



المريضك الرحمن في سورة الضحى
 الملك قد دخل في حفظ عبده فما شاك ان يرضى وفيه معذب
 من كتب العبد التاجي شفاعته
 السيد الكونين الحاجي قشيري ناظر
 الشريف لسته كرم
 المحرمين الشريفيين
 سبأ الله
 وابنه وكف



هذه النسخة الجليلية والمجلدة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخزانة
 صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العباد
 مفتوح معاهد المراسد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعقل حاضر مجاميع
 الاكمل آتوه وافتادوا السعادة والنجاة بشير وقفة لاخيه الميرزا والبر الكريمة
 من هو على كل شيء قدير حرر القوم السجدة وقفا
 محمد امين القس باوقاف المحرمين



٢٧

٤٦١

Süleymaniye	Manevi
Beşir Ağa	
27	

كتاب تفسير القرآن العظيم

تأليف الامام العالم العلامة للتفسير المحدث علي بن

محمد بن ابراهيم بن خليل الشيخ البغدادي

الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالسماطية

الشهير بالخازن له لك ولد سنة ثلاث

وسبعين وستماية ببغداد وسمع بها

من ابن النعماني وقدام ومشتق

فصح القاسم بن مظفر ووزيرة

بنت عمر وضع هذا التفسير

وسماه كتاب التاويل

لعالم المنزلة

رحمة الله عليه

ومشايخه

وفقنا

الله

ببركاته وبركاته علومه

في الدين والدنيا والاخرة

والمسلمين امين وصلى الله على

سيدنا محمد وال وصحبه

وسلم والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 الحمد لله الذي خلق الاشياء فقدرها تقديرًا وصور شكل الانسان فاحسنه
 تصويرًا ومخه بالعقل وجعله سبيلًا بصيرًا وشرقه بما عرفه من العلم ونوره تنويرًا
 وهدهدًا الى معرفته فيا لها نعمة وفضلًا كبيرًا وانطق لسانه فاد من يسكره بحمده
 وتخليلا وتكبيرًا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بسيرة نيرة واتزل
 عليه كتابا منيرا واودع حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفظه تلاوة
 له وخيرا وعلم عباده علومه تفهيمًا وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة
 وتحييرا وجعله برهانا واضحا وصوابا لا يحاو وفرضه توفيرا في الصلة ور
 محفوظا وبالا لسته متلوا في الصحف مسطورا يهدي التي هي اقوم ويبشر المؤمنين
 الذين يعملون الصالحات ان لهم اجر كبير وجعل كل بليغ على الايتان بمثلة حيرا
 قلين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
 بعضهم لبعض ظهيرا **احمد** على ثواتر انعامه حمد اكبرا واتوكل عليه مقوضا
 امرى اليه مستخيرا **اشهد** ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفدو قلب
 قابلهما مطيئا مستنيرا **اشهد** ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا
 ومهابة وتوقير اصلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم
 تطهيرا **وبعد** فان الله جل ذكره ونفذ امره ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
 بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشير المؤمنين ونذير النخالين بحكمه ببيان
 النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق
 واتزل عليه نورا هدي به من الضلالة وانتقذه من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح
 لمن اتبعه وبالحشر لمن اعرض عنه بعد ما سمعه بحج الخلائق عن معارضة حين
 تخذ امم على ازيان سورة من مثله في مقابلة ثم سهل على عباده المؤمنين
 اعجاز تلاوته ونشر على الالسن قراته امر فيه وزجر وبشر واتذر وذكر المواعظ
 ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليتحذر ودل فيه
 على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم ير ضنا بسرد حروفه دون حفظ حروفه ولا
 باقائه كلماته دون العمل بحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراته ولا بيسره
 دون تعلم حقايقه وفهم دقايقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدارية
 تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب تزوليه واقسامه والوقوف
 على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامة فانه ارشح العلوم اصلا واسبقها فرحا
 وفضلا واكرمها تاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو

الدال عليه وقد قيض الله تعالى رجالا موقنين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في
 سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ
 علمه نظر الخلق فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم **ولما** كان معالم التنزيل الذي
 صنعه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محي السنة قدوة الاسلام
 وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود
 البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعمالها
 ونبيلها واسناتها جامعها للمصنف من الاقاويل عاريا عن التشبيه والتضخيم
 والتبديل **خلا** بالا احاديث النبوة كمطر زيا لاحكام الشرعية مشوبا بالفضيل
 الغريبة واخبار الماضين العجيبة مصعبا باحسن الاشارات مخزجا باوضح
 العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل
 ثوابه وجعل الجنة مثقله ومآبه **ولا** كان هذا الكتاب كما وصفت اجبت
 ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر بوضوحه وجواهر فضوضه
 مختصا جامع المعاني التفسيرية وبيان التاويل والتبدير كما ويا الخلاصة
 منقولة متضمنة للنكت واصوله مع فوائده نقلتها وفرايد كخصتها من كتب
 التفسير المصنفة في سائر علومه المولفة ولم اجعل للنفس بقرفا سوى النقل
 والانتخاب متجنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب
 الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية واخبار المصطفوية
 على تفسيرية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع
 واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبيت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا
 يعرف به ليس هو على الطالب طلبه فما كان من صحيح اني عبد الله محمد بن اسماعيل
 البخاري فعلمته قبل ذكر الصحابي الراوي للحديث **وما** كان من صحيح اني الحسين
 مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلمته **وما** كان مما انقعا عليه فعلمته **ق**
وما كان من كتب الست كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير
 علامة وما لم اجد في هذه الكتب وجدت البغوي قد اخرج بسنده له انفراد
 به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي
 باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمده فاني
 اجتمعت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المتغيرة عند العلماء كالمجمع بين الصحيحين
 للحديث وكتاب جامع الاصول لابن الاثير للجزري ثم اني حذفت الاسناد وعوضت
 بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة في هذا الكتاب واهون

كتاب
 واقتد بالثقة



خ
 والانتخاب

اسم

خ
 واسمك

على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الاجاز وحسن الترتيب
مع التسهيل والتعريب **ويذكر** لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان يخلو
كتاب من خمس فوايد استنباط كل شيء كان مفقدا او جمعه ان كان مفقدا او شرحه
ان كان غامضا او حسن نظم وقاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجوا ان يخلو
هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت **وسميته** كتاب التاويل في معاني
التزويل والله تعالى اسال التوفيق لا تمام ما فاضدت واليه ارجع في تيسير
ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم
وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير
اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول **الفصل الاول** في فضل القرآن وتلاوته
وتعليمه **م** عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم افينا خطيبا
بما يدعنا خابز مكة والمدينة فحمد الله واتى عليه وعظوه ذكره فقال انما
بعد الايام الناس انما انا بشر يوشك ان يايتني رسول مني فاجيب وانى تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فممن استمسك به واخذ به كان
على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كذا قال الله عز وجل من اتبع ما كان على الهدى
ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى تارك فيكم ما ان تمسك به لن تضلوا بعدى احدهما اعظم من الآخر وهو كتاب الله
جل مجدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي ولان يقتر قاحتي يرد على الكوض
فانظروا كيف تخلصوني فيما **م** عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبينكم صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين **م** عن الحارث الاعور قال مررت
في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المؤمنين
الأتري الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله
قال كتاب الله فيه بنا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل
من تركه من حيار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جيل الله المتيز وهو
الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاموال ولا تلبس به الالسة
ولا تشبع منه العلم ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ
سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق **ومن**
ومن عمل بدار اجره ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك
يا عور اخبره الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي تجارث مقال

ذكر الله في اهل بيته زاد في رواية كذا بالسر الذي لا يدرى
ذكر الله في اهل بيته زاد في رواية كذا بالسر الذي لا يدرى

قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جده كله ليس فيه
شي من الهزل والنجار في صفة الادى هو المتسلط العالي المتكبر على الناس قصه الله
اي اهلكه قوله هو جيل الله المتين الجبل يرد على وجوده منها العهد ومنها الامان
فاذا اعتصم به الانسان اذاه الى جواره والذكر الشريف والحكيم المحكم العاوى من
الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق ومعنى لا تزيغ به الاموال اي
لا تميل عن الحق **عن** ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس
في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب يخرج من الترمذي وقال حديث حسن صحيح
م عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه **م** عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ
القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له اجران **قوله** الماهر بالقرآن يعني الحاذق الكامل
للفظ الجيدة التلاوة **قوله** مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك
لانه يسفر برسالته الى بنيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون
له تعالى فيما يامر به ومعنى كونه من الملائكة انه له منزلة لجة يكون فيها رفيعا لم **قوله**
يتتبع اي يتروى في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني يحصل له اجر يسير لقراءة
واجتر يسير بقية فيها والمشقة التي فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بالماهر
افضل منه واكثر اجرا **م** عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن
الذي يقرأ القرآن كمثل الاثرجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ
القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظل
طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفظ القرآن واستحباب ضرب الامثال
لا يصحح للفاسد **عن** ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الحرف ولكن النحرع
ولام حرف وميم حرف اخبره الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد
رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه **عن** ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اى الاعمال احب الى الله قال الحمال للمخل قال وما
الحمال المخل قال الذي يصعب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل اخبره الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقال لصاحب
القرآن اقرأ وارقا ورتل فما كنت ترتل في دارك فاني فان مترتك عند اخرها تقرأها اخبره
الترمذي وقال حديث حسن صحيح **عن** ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يجي القرآن بيوم القيمة فيقول يا رب حمله فليلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده

الواضح

تفسير

فيلبس حلة الكرامه ثم يقول يا رب رضى عنه فيرضى عنه فيقال اقرأوا ويزداد
بكل اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **عن** سهل بن معاذ الجهني
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن عمل به البر والداء تاجاً
يوم القيمة صنوه احسن من صنو الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل
بهذا اخرجه ابوداود **عن** علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظمره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة
وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وليس له اسناد صحيح **ق** عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اذن الله لشيء كما اذن لشيء يتغنى بالقرآن يجهر به معنى اذن في اللغة
استمع ولا تخله على الاصغاء لانه يستحيل على الله تعالى بل يكون اية عن تقرب به
قارئ القرآن واجزال ثوابه وذلك لانه سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث
وقوله يتغنى بالقرآن يحسن صوته به ويكون ذلك مع تخفيف وتر قيت في القراءة وقيل
معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله
يجهر به **ق** عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من يتغنى بالقرآن **الفصل الثاني** في وعيد من قال في القرآن براه ووعيد من اوتى
القرآن فليس به ولم يتقاهده **عن** ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن
براه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **قوله** فليتبوا معناه فليتخذ له مائة اى
منزل من النار **عن** جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في
كتاب الله عز وجل براه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث
غريب وسئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله عز وجل وفاكهة وابا فقال
اي سما فظلمني واى ارض فظلمني اذ اقلت في كتاب الله بغير علم **قال** العلماء النهى عن القول
في القرآن بالراى انما ورد في حق من يتاول القرآن على ما راد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا
لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم فمن حجة لبعض آيات القرآن على بطلان
بدعته وهو يعلم ان المراءى من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه حجة بما يقرى
حجته على بدعته كما تستعمل الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد
الفاسدة ليفروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك
ان تكون الاية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمل من المعاني والوجوه فكذا ان
الفتيان منهم وان وكلما داخل في النهى والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف

الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير ذلك
للكتاب والبسة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد
فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى
الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن كما هو في مقامه وقد دعا النبي
صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر
ما نقل عنه التفسير والله اعلم **ق** عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لو اشد
تقلتا من الابل في عقلها **ق** عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب لابل المعقلة ان تقاهد عليها امسكها
وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضرب له لصاحب القرآن
ففيه الحث على تقاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى **ق** عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبسر الا حد من ان يقول لنسيت اية كيت وكيت
بل هو نسي استذكره والقرآن فانه اشد نقصيا من صدره والرجال من النعم من عقلها
وفي رواية لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي **قوله** يبسر الا حد من اى
بييت الحالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسى **قوله** لا يقل نسيت اية كذا
وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو القادر للاسبغ
كلها وهو الذي انشاء اياه وقيل اصل النسيان الزك فله ان يقول نسيت القرآن
او قصده الى نسيانه وقوله نسي ما وبضم النون وتشد يد السين وفتح اليا اى
عوقب بالنسيان على ذنب صدره من ان لا يتقاهده القرآن **قوله** اشد نقصيا اى
خروجاً من صدره والرجال وفي معناه تقلتا من الابل من عقلها اى تخلصاً من العقال
وهو الجبل الذي يربط به **عن** سعد بن عباد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من امرء يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيمة اجذم اخرجه
ابوداود الاجذم هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام
عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الجور
امتى حتى القداة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ارفها ذنباً
اعظم من سورة من القرآن اية او بئها رجل ثم نسيها اخرجه ابوداود والترمذي
وقال حديث غريب **ق** عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا توافوا بالقرآن الى ارض العدو ومخافة ان ينال يسوا داود بالقرآن
المصحف ولا يجوز حمله الى بلاد العدو وسمى بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتاباً

وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره
ابن عبد البر واما المذکور في الحديث الثاني فهو ابو عماره خزيمة بن ثابت بن
الفاكه بن بعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف به في الشهادتين شهد
بدرًا ومابعدهما وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب قوله فقدت آية من
سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يطلب نسخ القرآن
من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد به فلم يجد تلك الآية
الامع خزيمة وليس فيها اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراها وتنبه الرجال كان للاستظهار لا لا استحداث علم لان القرآن العزيز
كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن النبي قال جمع
القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احدث
عمومي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من
حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة
من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث
حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استخرج القتل بقراد القرآن
فثبت مجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع من زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما نزل جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد
على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع
في مصحف واحد ثم لورفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر
الدين فحفظ الله تعالى كتابه في القلوب الى نقصان من النسخ ثم وفق لجمع الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن
بين الدفتين كما اتوا الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان
زادوا فيه او نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاسينا في الحديث وهو انه
كان مفرقا في العصب والخاف وصدور الرجال فحافوا ذهاب بعضه به هلك
حفظته ففرعوا فيه الخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمع
فراى في ذلك راياهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكسوه كما سمعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا واخروا شيئا ودفعوا له ترتيبا لم

ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الان في حلقنا
بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية
تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في
موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النمط
الذي ماو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان
وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيدا بن ثابت
شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقى ما بقي ولهذا
اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزعم بها لانه قرأ على النبي
صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين وكان جمع القرآن سببا
لبقاياه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه
على ما قال تعالى فانا نحن نزلنا الذكر واناله كما فطور واعلم ان الله تعالى
اتزل القرآن المجيد في اللوح المحفوظ جملة واحدة الى يوم الدين في شهر
رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم مدة من سنة الى سنة عند الحاجة وحدث
ما يحدث على ما يشاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة
والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل
من القرآن بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم طهر والقلم ثم يا ايها المرسل
ثم الحمد ثم ثبت يد الى الجب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك
الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والنجم ثم والضحى ثم الم نشرح ثم
والعصر ثم والقاديات ثم انا اعطينا كوكبا ثم الهاكك الكواكب ثم ارايت
ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم
ثم عبس ثم سورة القدر ثم البروج ثم والنين ثم ليلنا في قريش ثم القارعة
ثم القيامة ثم المزة ثم المرسلات ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت
الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفقان ثم فاطر ثم مريم
ثم طه ثم الواقعة ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس
ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبأ

ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم جمعت ثم الرخف ثم الدخان ثم
 الحاشية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النمل
 ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور
 ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سأل ثم عم فبقينا لون ثم النازعات ثم اذا
 السماء انشقت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في
 اخرها نزل مكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطا المومنون
 وقال عطاء ومجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة
 فذلك ثلاث فافوز سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات واما ما نزل
 بالمدينة فاحدى وثلاثون سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانتقال
 ثم عمران ثم الاحزاب ثم المنتحة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد
 ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الورد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الاناة
 ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله ثم النور
 ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التهم ثم الصف ثم الجمعة
 ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على
 التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في سورة قفيل نزلت
 بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسند كوفي موافق لها ان شاء الله تعالى **فصل**
 في كونا القرآن نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك **ق** عن عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا امويقرأ على حروف كثيرة لم يقرأها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت اساوره فترجعت حتى سلم فليسته بردايه
 فقلت من قرأ هذه السورة التي سمعتك تقرأوها قال اقرانها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانها
 على غير ما قرأت فانطلقت به افوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
 يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته
 يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله
 عليه وسلم اقرا يا عمر فقرأت القراءة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هكذا انزلت ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فافوز واما ما يفسر منه قوله فكنت
 اساوره في الصلاة اي واثنه واقا نله وهو في الصلاة والترصير التثبت قوله

فليسته بردايه هو تبشيد اليد بالاولى ومعناه اخذت بجامع ودايديه
 في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللثة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء
 بالقرآن والذب عنه والحفاظة على لفظه كما سمعوه من غير عدد ولا ما تجوزه
 العربية واما امر النبي صلى الله عليه وسلم بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي
 تقريره ولان عمر انما نسبته الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
 من جواز القراءة وجوبها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو مليب لا يتمكن من
 حضور القلب وتحقق القراءة تكن المطلق قوله ان هذه القرآن انزل على سبعة
 احرف فافوز واما ما يفسر منه قال العلماء انزاله على سبعة احرف التحقيق والتسهيل
 واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد
 به الحصر وقال لاكثر من وجوه العدد في سبعة احرف ثم قيل هي سبع
 من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال
 والامر والنهي وقيل هي سورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام
 واظهار وتخميم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات
 في هذه الوجوه فبسط الله تعالى عليهم ليعلم كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على
 لسانه **وقال** ابو عبيد بن اسحق سمع لغات من لغات العرب بينها ومعه ها وهي افسح
 لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل
 السبعة كلها مصر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجمعة في كلمة
 واحدة وقيل بل هي مجمعة في بعض الكلمات لقوله تعالى وعبد الطاغوت
 ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعد اب بليس وقيل هي سبع قرأت وهو الصحيح
 الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وضبطها عنه الصحابة وابيها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها
 وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها
 اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبع معان
 مختلفة كلاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم لم اشار
 الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدل احرف بحرف وقد قرر اجماع المسلمين
 انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقوله من قال المراد خواتم الاي فيجعل مكان غفور
 جيم سبع عليم ففاسد ايضا وخطا لاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم
ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف
 فراجعته فزاد في فلم ازل استزيده ويزيد في حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث

لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسال جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقرأ في
 جبريل على حرف فراجعتهم **عن ابن عباس رضي الله عنه** قال كنت
 في المسجد فدخل رجل يصلي يقرأ انا انكرت ما عليه ثم دخل اخر فقرأ سورة
 سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقلنا ان هذا اقرأه انكرت ما عليه فدخل اخر فقرأ سورة
 سوى قراءة صاحبه فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ **الحسن**
 النبي صلى الله عليه وسلم شأنا فما نسط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت
 في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيتني ضرب في صدره
 ففقت عرقا وكانا ننظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي اسئل الله
 ان اقرأ على حرف واحد فرد ذلك اليه ان هون على امتي فرد الى الثانية ان اقرأه
 على حرفين فرد ذلك اليه ان هون على امتي فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف
 ولك بكل مرة رددها مسئلة تسليها فقلت اللهم اغفر لامي اللهم اغفر لامي
 واخبرت الثالثة ليوم يرعبني الناس كلهم حتى ابراهيم قوله فسقط في نفسي
 من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس في الشيطان تكذبا
 للنسوة اسد ما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا
 فوسوس له الشيطان في نفسه تكذبا لم يعتقد به وهذه الخواطر اذا لم يستمر
 عليها الانسان لا يواخذه لها فوكه ضرب في صدره ففقت عرقا قال القاضي
 عياض ضرب به صلى الله عليه وسلم تثبिता له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر اليوم
 قوله وكاننا ننظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخ والخصبة والمعنى انه
 غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضرب به ما ازال عنه ذلك الخاطر قوله
 ولك بكل مرة رددها مسئلة تسليها معناه مسئلة محاجة قطعها واما باقي
 الدعوات فمرجوة الاجابة وليت قطعية الاجابة والله اعلم **وروي** النبوي
 بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل
 على سبعة احرف لكل اية منه وبروي لكل حرف منه طهر وبطن ولكل احد مطلع
 قيل في معناه الظاهر لفظ القرآن والبطن تاويله وقيل الظاهر ما حدث عن اقوام
 انهم عصوا فغضبوا فنفوا في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظاهر التلاوة
 باللسان كما نزل والبطن التبر والتفهم والتفكر بالغيب فالتلاوة باللسان تكون

بالنقل والتفهم والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتظيم الحرمة
 واخلاص العمل وطيب المطعم من الخلال المحض قوله ولكل احد مطلع معناه
 مصدق يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطعم الغنى وقد يفتح الله
 تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتح على
 غيره وفوق كل ذي علم عليم **فصل** في معنى التفسير والتاويل فاما
 التفسير فاصلة في اللغة من التفسير وهو الكشف ما غطي وهو بيان المعاني المعنوية
 وكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ
 وغريبها تفسير وقيل هو من التفسير وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب
 فيكشف عن علة المرض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأها وقصتها
 واما التاويل فاستقافة من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته
 قال اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية المرادة منه وبيان غايته
 المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ
 الآية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع
 والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم **القول في الاستعاذة**
 ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت
 القرآن فاستعذ بالله من الشيطان ومعنى اعوذ بالله التمسك اليه وامتنع به مما
 اخشاه من عذابه يعوده من الشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من
 شاطر يسيطا اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عار يدعاني من الجن
 والانوس شيطان الجن مخلوق من قوة النار فلهذا فيه القوة الغضبية الرجيم
 كفيل بمعنى فاعل اي يرحم بالوسوسة والسر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم
 بالشبه عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود
 عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه
 مسائل المسئلة الاولى ان التقوى للجموع على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها
 لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا ام سهوا وليست بقراءة القرآن خارج الصلاة
 ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطاء وجوهها سواء كانت في الصلاة او غيرها
 وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفي في اسقاط الجواب
 دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذوا الامر للوجوب وان النبي صلى
 الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا دليل الجموع وان النبي صلى
 الله عليه وسلم لم يعلم الا عراقي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وناخير البيان

العام القوي الشديد الشد
 والقائي الشد الجاد والحاد
 كذا في القاموس

عن وقت غير جائز واجيب عن قوله تعالى فاستغذ بان معناه عند جأه
العلماء اذا اردت القراءة فاستغذ بكوله اذا اتممت الى الصلاة فاغسلوا معناه
اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم
بانه صلى الله عليه وسلم واظب على شيئا كثيرا من افعال الصلاة لئلا يواجة
تكثيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعود منها المسيلة
الثانية وقت الاستغادة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة او
خارجها وحكي عن الشعبي انه بعد القراءة وهو قول اود واحد الروايتين
عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روى عن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جددك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونجسه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا
الحديث اسم حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولا يروى
داود والنسائي عن ابي سعيد بخه وعن جابر بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال عمر ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر
كبرا والحمد لله كبيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصبلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من نجسه ونفثه ومنهم من قال بنجسه الكبر ونفثه الشعر ومنهم من أخرجه
ابوداود وقيل المروية الجنون لان من جن قد مات عقله وقيل هم من الذين يوسوس
في الصلاة ونجسه موالده يلقيه من السب في الصلاة ليقطع عليه صلواته
واجتمع مخالف الجمهور بقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستغذ واجيب عنه بان تقدم
وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لما تقدم
المسألة الثانية المختار من لفظ الاستغادة عند السأفي عن الله عنه اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستغذ بالله من
الشيطان الرجيم وكحديث جابر بن مطعم وقال احمد الاولي ان يقول اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم جميعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستغذ
بالله انه موال السميع العليم والحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي ان يقول
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالحجة فالاستغادة
تطهير القلب عن كل شيء يشغل عن الله تعالى ومن لطائف الاستغادة ان قوله
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد
بقدرته الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضيق والافات واعتراف

عن ابي داود

من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستغادة التجا الى الله القادر في
دفع وسوسة الشيطان القوي الناجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله
بسبحانه وتعالى والله اعلم **تفسير سورة الفاتحة** وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع
وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلماء في ترديها فقيل تزلت بمكة وهو
قول اكثر العلماء وقيل تزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل تزلت مرتين مرة بمكة
ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الاسما
نه لعل شرف المسمى وفضله فاورد ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح
القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثانية سورة الحمد
سميت بذلك لافتتاحها باحمد الله الثالث ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك
لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام طائفتين وهما من السور الرابع السبع
المثاني سميت بذلك لانها تنهي في الصلاة ويقربها في كل ركعة وقيل لان الله
تعالى استأنها هذه الامتداد خرها لم يزلها على غيرهم وقيل لانها تزلت
مرتين الخامسة الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم
غيرها من السور السادسة الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة
ولا يكفي عنها غيرها **فصل** في فضلها **ح** عن ابي سعيد بن الملقا قال كنت صلى
في المسجد فدعا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم انيت فقالت يا رسول الله
اني كنت صلى فقال لم يقل الله سبحانه والله وللرسول اذ ادعاهم ثم قال لا علمك
سورة هي اعظم السور في القرآن قيل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدك فلما اراد
ان تخرج فقلت له لم تقل لا علمك سورة هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب
العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطأ وقال
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحي وفيه حتى تعلم
وهي سورة ما اتزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يقبل وذكر نحو قوله
الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اتزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وبها السبع المثاني وهي مقسومة
بيننا وبين عبيد ولعبد من اسأل اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب
والسبع المثاني اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس
قال سمينا جبريل قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه

فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم وسلم
 وقال البشر ضروري ان يوتيمها لم يوتيماني قبل الفاتحة الكتاب وخواتم سورة
 البقرة لم تقرأ بحرف منها الا اعطيت قوته سمع نقيصا موبالغ الف والصداد للمحبة
 اي صوتا كصوت فتح الباب **عن ابي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام
 قال قلت يا ابا هريرة انا احب ان تكون وراء الامام فقرأ في راعى وقال اقرأها في
 نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت
 الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل
 فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الحمد للرحمن الرحيم
 قال اني على عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض
 الى عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
 ما سألوا الا الهنا الصراط المستقيم صراط الذي انزلت على محمد غير المغتوب
 عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قوله في خداج اي ناقصة
 فقرأ راعى اي كبس ساعدي بيده قوله قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراءة
 لانه فسر بها ولا في القراءة ركن من ركائها وجزء من اجزاها قوله نصفين حقيقة هذه
 النعمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة
 من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله
 اياك نعبد واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي
 ولعبدي ما سأل قوله تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد والثناء
 يجميل الفعال والتجيد هو الثناء بصفات الجلال وقيل التجيد والتعظيم
 قوله ونما قال فوض الى عبدي وجه مطابقة هذا القول ما لك يوم الدين يقال فوض
 فلان امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة
 الفاتحة وانها صغينة وهو مذ هيل الشافعي وجماعة وسأقي هذه المسألة ان شاء الله
 تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم**
 الباء في بسم الله حرف خافض مخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمم محذوف
 لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله وبسم الله ابدأ واقرأ وانما طولت السا
 في بسم الله واسقطت الالف طلبا للحق وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها
 على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فبسم باسم
 ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفهموا كتاب

بلغ

الله بحرف معظم وقيل بالباحف مخفض الصورة فلما اتصلت بسم الله ارتفعت
 واستقلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله
 واظهر والسين ودد والميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى
 عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجند في الاسم فقال
 يا يحيى وقال سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوى
 والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات
 الشيء وذلك لان الاسم الاصوات المقطعة والمخروف المولدة الدالة على ذلك
 الشيء المسمى به فثبت لهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسماء كثيرة
 والمسمى واحد كقوله تعالى والله الاسما الحسن وقديكون الاسم واحد والمسميات به
 كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب للمغايرة وايضا فقول له فادعوه لها امر ان يدعوا
 الله باسمه فالاسم الاله الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات
 المدعو وبين اللفظ المدعوه واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد
 ذات الشخص المعبر عنه يحيى لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك
 الاعلى وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى
 واطافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص
 فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم غير التسمية ما وان التسمية عبارة عن تعيين
 اللفظ المعبر لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر
 واختلفا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه
 حتى ظهر به وعلى عليه فكانه علا على معناه ومنار على له وقال الكوفيون من السمة
 وهي العلامة فكانه علامة لسماء وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقا من السمة
 لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسماء واسا
 الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس مشتقا ولا يتركه
 فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله عز وجل هل تعلم له سميا يعني لا يقال
 لغير الله وقيل هو مشتق من اله ياله الالهة مثل عبادة الرجل يعني عبادة وليه
 ويذكر واليهتك اي وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل
 من الولد اي الفرع لان الخلق يولعون اليه اي يغز عوز اليه في حواجهم قال بعضهم
 ولدت اليكم في بلايا تنوبكم فاليكم فيها كرايم ختمه اه وقيل صله اليه يقال
 اهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمنون بذكره وقيل صله
 ولاه فابدت الواو ميم سمي به لك لان كل مخلوق واله نحو اما بالتحية او بالارادة

ومن هنا قيل بحسب كل الاشياء يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده ومن خصائص
هذا الاسم انك اذا حذفته منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذف الالف
بقي لله وان حذف اللام واثبت الالف بقي الله وان حذف التاء بقي له وان حذف الالف
واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو
الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات **الرحمن الرحيم**
قال ابن عباس ما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر قيل هما بمعنى مثلند ما نودديم
ومعنا ما ذوالرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر كل واحد منهما بعد الآخر لفظا لقاب
الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى
الرازق في الدنيا ومو على العموم لكافة الخلق المومن والكافر والرحيم بمعنى الغفور
الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل الرحمن الرحيم والرحيم الآخرة
ورحمته الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل من ترك عقوبة من يستحق العقاب
العقاب واسد الخبز والاحسان لاهله وقيل من ترك عقوبة من يستحق العقاب
واسد الخبز والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني
صفة فعل وقيل الرحمن يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن
بمعنى المطيب والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل في حكم البسملة وفيه مسلمان**
المسئلة الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة لاختلاف
العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة
ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن
جبير وعطاء بن ابي نجران واحمد في احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقي
هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي
ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة نزاد ابو داود ولا غيره
من السور وانما هي بعض آية في سورة الحمد وانما كتبت للفصل والترك قال مالك
ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قولان فالبسمة من اول السور
مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها
حديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين
قالوا لا يا رسول الله بل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها
فدل على انها ليست منها قالوا ولا محل للقرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة
ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة

الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت
خمساً واما حجة من ذهب الى ان البسملة في اول السور من جهة النقل فقد صح
عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وبعدها
آية وعن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم قال
هي فاتحة الكتاب قيل فافان السابعة قال البسملة الله الرحمن الرحيم اخرجها ابن خزيمة
وغیره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فضل السور وروى
رواية انقضا السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرج ابو داود
ومالك ابو عبيد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى
الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد
فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم فافان القرآن وام الكتاب والسبع المثاني ولبسم
الله الرحمن الرحيم احد آياتها قال الدارقطني في رجال اسأله كلهم ثقات
وروى موقوفاً وروى الدارقطني عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها فطعن بآية اية وعدة
الاعراب وعدة بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده
عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهري اذا غشي غشاة ثم رفع
لاسه متبسماً فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آية سورة فقرأت
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر قال البيهقي احسن ما احتج به
اصحابنا ان بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن وانما من فواخ السور سوى
سورة براءة ما رويناها في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا
فيها بسم الله الرحمن الرحيم على كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم
انهم كتبوا فيها ما آية وثلاث عشرة آية لبيت من القرآن قال وقد علمنا بالروايات
الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة
وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام
القرآن والسورة التي بعده فاذا اراد غيره عنه انه كان يقول لم كتبت في المصحف انتم تقرأ
وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعل ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في
القرآن وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كانت مدائمه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله
وبمد الرحمن وبمد الرحيم فقد ثبت لهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة
من الفاتحة ومن كل موضع ذكر فيها وايضا فاجماع الصحابة على انها في المصاحف

وانضم طلبوا بكتابة المصاحف تجد يدكلام الله عز وجل المتر على محمد
صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان يزيد واقيه او ينقصوا منه ولهذا
لم يكتبوا فيه نقطة امين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلم تكن
البسلة من القرآن الا اويل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين المسئلة الثانية
في حكم الجهر بالبسلة والاسرار اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسلة آية من الفاتحة
ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها
مع الفاتحة في الصلاة للجهرية وييسر لها مع الفاتحة في الصلاة السرية ومن قال
بالجهر بالبسلة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين
ثم بعدهم سعيده بن جبيرة وابوقلابة والزهرى وعكرمة وعطاء وطاوس وبجاجة
وعلى بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر وناقع
مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمر بن دينار ومسلم بن خالد
وابيه ذهابك شافعي واحمد بن حنبل وابو حنبل صاحب مالك ويحيى ايضا عن المبارك
وطي ثور **ومن ذهب** الى الاسرار لها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ما حجة من قال بالجهر فقد روى
جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس والنفثي وعلي بن ابي طالب وسمرة بن
جندب وامرسله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجهر بالبسلة فمنهم من صرح بذلك
ومنهم من فهم ذلك من عبارته فلم يرد في صحيح الاسرار لها عن النبي صلى الله عليه
وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والآخرى عن انس
وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها **وروي** عن
عبد الله المحمدي قال صليت وراي هزيمة فقرأ اسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ
بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول لا اله الا الله لا شريك له صلاة برسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجته النسائي وابن خزيمة في صحيحه **وقال** اما الجهر بالبسلة
الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده
عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يوم النازل ففتح ببسم الله
الرحمن الرحيم وذكر الحديث **قال** الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعنه ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجته الدارقطني
وقال ليس في روايته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له
وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجته الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح

واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذلك قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل
اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انقم الى ما تقدم من الادلة رجع على ما في الصحيح
وعنه الشافعي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم
اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابى السري العسقلاني
قال صليت خلف العترة بن سليمان فالا احصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعد ها وسمعت المعتمر يقول ما اشد
ان افتدى بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك ان فتى بصلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجته الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله
وقال رواية هذا الحديث عن اخبرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب احاديث
وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين بطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله
التوفيق والله اعلم **قوله** عز وجل **الحمد لله** لفظة خبر كانه سبحانه وتعالى بخيرات
المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليل للخلق كيف
يجردونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان
وبعد والحمد لا يكون الا بعد الاحسان **وقيل** ان المدح قد يكون منهيا عنه واما
للحمد فامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الشايعيل الافعال
تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعلم من
الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامد وقيل
للحمد باللسان وقولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في الله لام الاتحاق
كقولك الله لا ريزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على
الاطلاق **رب العالمين** الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي المالك
ويكون بمعنى التربية والصلاح يقال رب فلان الضيعة ترها اذا اصلحها
فان الله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للخلق معزفا بل
يقال رب الشيء معزفا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو احسن
لكل موجود سوى الله تعالى فيه خلق فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن
والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة
والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تفعل ولا تفعل واختلف في مبلغ عددهم
فقيل لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم
اربعمون الف في البر ومثلهم في البحر **وقيل** ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم
واحد وما العرانة الغراب الا كفسطاط في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق

العالم من العلم وقيل من العلامة وإنما سمي بذلك لأنه دال على الخلق والخلق
الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدق تلك النعمة من العباد
والرحيم هو المنعم بما يتصور صدق تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن
ويقال لغيره من العباد رحيم فإن قلت قد سمي سبيلة الكذاب برحمن إليامة
وهو قول شاعرهم فيه وانت لم تحث الوري ما زلت رحما قلت هو باب من
تغتهم في كبرهم وفي الغرهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت إلى قولهم هذا فإن
قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسلة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت
ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وإن الحاجة إليها أكثر
ففيه سبحانه وتعالى بتكريره ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المستقل بها على
خلق فوله تعالى **مالك يوم الدين** يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون
فيه الجزاء والمالكة هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على إخراج الأعمى
من العدم إلى الوجود ولا يفكر على ذلك إلا الله تعالى وقيل مالك أوسع من
ملك لأنه يقال ملك العبد والداية ولا يقال ملك هذه الأشياء وأنه لا يكون
مالكا الشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملكا الشيء ولا يملكه وقيل ملكا أولى لأن
كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل مما يعني واحدة مثل فرس وفارس
قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الذي الجزاء يقع على
الجزء والشريعة كما تدبره أن وقيل هو يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقيل
الذي في القبر يقال دنته قد أنى فمترته فذل فان قلت لم يخص يوم الدين بالذكر
مع كونه مالا لا يامر كل ما قلت لأن ملك الأملاك يوم ميزر بل فلا ملك ولا
امر يومئذ إلا الله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا أحاد الناس بالملك وذلك على الجواز
لا على الحقيقة قوله عز وجل **اياك نعبد واياك نستعين** أي من قوله اياك نعبد دعاء
أن من أول السورة إلى هنا نشأ والشأن في الغيبة أولى من قوله اياك نعبد دعاء
والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك
نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية
الخشوع والتذلل وسمى العبد عبدا لأنه وانقياده وقيل العبادة عبارة
عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقوله العبد اياك نعبد
معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم
للرب سبحانه لأنه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة إلا في الخشوع لله

تعالى لأنه مولى أعظم النعم وهو إيجاد العبد من العدم إلى الوجود ثم هذه
التي بينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والذل لله **واياك نستعين** أي
منك نطلب لمعونة على عبادة ذك وعلى جميع أمورنا فإن قلت لاستعانة على
العمل أن تكون قبل الشروع فيه فلم أخرج الاستعانة على العبادة وما الحكمة
فيه قلت ذكرها فيه وجوها أحدها أن هذا يلزم من جعل الاستعانة
قبل الفعل ونحن نجد الله يحصل التوفيق والاستعانة مع الفعل فلا فرق
بين التقدير والتأخير الثاني أن الاستعانة نوع بقدر فكانه ذكر جملة العبادة
أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا والثالث كان العبد يقول شرعت في
العبادة فانا استعز بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع الرابع
أن العبد إذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل
بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعز ليزول ذلك العجب
الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا الصراط المستقيم** أي اهدنا صراطا وقيل
ثبتنا وهو كما تقول للقيام فمر حتى ادعوا إليك ومعناه دمر على ما أنت عليه وهذا
الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب
مزيد الهداية لأن اللطاف والهدايات من الله لا تنتهي وهذا مذهب
أهل السنة والصراط الطريق قال جرير أمير المؤمنين على صراط إذا عوج
الوارد مستقيم أي على طريقته حسنة قال ابن عباس هو دين الإسلام وقيل
هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا
صراط المستحقين للجنة **صراط الذين أنعمت عليهم** هذا بدل من الأول أي
الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله
في قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وقال ابن عباس من قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني
غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الأصل ما هو نوران في القلب وإرادة
الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فإنه حمة توفد في قلب
ابن آدم الم تروا إلى اتفاح أوداجه وحمة عينيه وإذا وصف الله به فالمراد
منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق
عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين **ولا الضالين** أي وغير الضالين عن المدي
وأصل الضلال الغيوبة والملاك يقال أضل المني إذا غاب فيه وهلك

وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى عن عدي بن
حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلالا اخرجهم
الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالعقوب فقال من لعنه الله وعقوب
عليه وحكم على النصارى بالضلالة فقال ولا تتبعوا اهلها قوم قد ضلوا من قبل
وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم **فصل**
في امين وحكم الفاتحة وفيه مسلمان الاولى السنة للقارى بعد فراغه من الفاتحة
ان يقول امين مفصلا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه المدة والقصر قال في المسد
ورحم الله عبدا قال امين وقال في القصر امين وزاد الله ما يشاء بعداه ومعنى
امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من
اسما الله تعالى وقيل ما هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الافات **ق** عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ الامام فامتوا فان من وافق
تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله
الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية البخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب
عليهم ولا الضالين يقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول
امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق
تأمينه تأمين الملائكة معناه وافقهم في وقت التأمين فامن مع تأمينهم وقيل وافقهم
في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هوية
الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة وقوله غفر له ما تقدم من
من ذنبه يعني غفر له الذنوب الصغار وروى الكبار وقول ابن شهاب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى
الله عليه وسلم المستقلة الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلماء في وجوب
قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة
والها متعينة في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عن عبادة بن
الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها ب فاتحة
الكتاب اخرجاه في الصحيحين بحديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ فيها
ب فاتحة الكتاب فمضى خراج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة
الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تنقضي على المصلي بل الواجب
عليه قراءة اية من القرآن طويلة او ثلاث ايات فصاروا حجة بقوله تعالى
فاقرأ وما يتيسر منه ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسمى صلاة

ب فاتحة الكتاب

ثم اقرأ بما يتيسر منك من القرآن اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم
من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف
ظاهر لفظ الحديث وما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها ب فاتحة الكتاب اخرجها الدارقطني
وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امة ان يخرج فينادي
لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجها احمد وابوداود واجيب عن
حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة
او على العا جز عن قراءة الفاتحة والله اعلم **فصل** في سورة البقرة
قال ابن عباس بن ابي ابراهيم بالمدنية قيل سور اية وموقوله تعالى وانفقوا يومنا
ترجعون فيه الى الله قالوا نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع ومي ما بينان
وسنت وقيل وسبع وثمانون اية وسنة الاف وثمانماية واحد عشر من كلمة
وحسنة وعشرون الف حرف وخمماية حرف **فصل** في فضلها **م** عن ابي
امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه ياتي
يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤوا الزهرا ومن البقرة وال عمران فانها ياتيان
يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيايتان او كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن
صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال
معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قولة اقرؤوا الزهرا ومن سميت به لك لنورهما
ومدايتهما يقال لكل مستنير زار قولة كأنهما غمامتان او غيايتان قال اهل
اللغة الغمامة والغيابة كل شئ اظلم لانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها
والمعنى ان ثوبهما ياتي كغمامتين قولة فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من
الطير والصواف جمع صاف ومي التي تصف اجنتها عند الطيران كجلخان
الحاجة والمجادلة والمخاصمة اظهرها راحة والبطلة السحرة كما جازي الحديث
مينا يقال بطل اذا جابا لباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة
البقرة وسورة عمران وكذا باقي السور وانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض
المتقدمين وقالنا يقال سورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور
والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص **م** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت
الذي تقرأ فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ
سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اية القرآن اية الكرسي اخرج

الترمذي وقال حديث غريب **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الم**
قيل ان حروف الجحاف في اوائل السور من المتشابه الذي استأثر بعلومه وبني سر الله
في القرآن فنحن نؤمن بنظامها ونكمل العلم فيها الى الله تعالى وافية ذكرها
طلب لايمانها قال ابو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن
اوائل السور وقال علي بن ابي طالب ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التمجيد واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بالاعلوان
واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي ابحار فانه لا يعقل
والحكمة فيه هو كما قال لا تقيا والطاعة فذلك هذه الحروف يجب لايمانها
ولا يلزم البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معرفة المعاني ثم اختلفوا
فيها فعمل كل حرف منها مفتاح اسم من اسم الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله
واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الاوه واللام
لطيفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تترك حرفا من كلمة تريد كلها قال الرازي
قلت لها في فقالت قاف لا تحسبني نسيا الايجاف قولها قاف اي وقفت
فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايحاف الاسرع في السير قال ابن عباس الم انا الله
اعلم وقيل هي اسم الله مقطعة لوعلم الناس ما فيها تعلموا اسم الله الاعظم لا
تري انك تقول الروح حمر ونجموعها الرحمن وكذلك سايرها ولكن لم ينتهيا
تاليفها جميعا وقيل اسم السور وبه قال جماعة من المتأخرين وقال ابن عباس
هو قسم قيل اسم الله لهذه الحروف ونشرها وفضلها لانها مباني كنية المتزلة
واسمايه احسن وصفاته العليا وانا اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما
تقول قرأت الحمد لله وترديدك قرأت السورة بكاملها فكانه تعالى قسم لهذه
الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المبين في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى
لما خلقهم بقوله فاتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فجوزوا عنه انزل الله
هذه الاحرف ومعناه ان هذا القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون
عليها فكان يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله
تعالى لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح
بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا اكلمتمهم من اسمعوا الى
ما يحيى به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوا رنخ في قلوبهم
فكان سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا
ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة

بسم الله

بسم الله

خطابه

خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المتزلة في اوائل السور اربعة عشر حرفا في تسع
وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والها والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون ويون نصف حروف المعجم وسياتي الكلام
على بابها في مواضعها ان شاء الله تعالى قوله تعالى **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب
هو القرآن وقيل فيه اخبار والمعنى هذا الكتاب ذلك الذي وعدت به وكان الله قد
وعده نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا تحوه الحيا ولا يحق على كبره
الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدت به وقيل ان الله وعد
بنبي اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسرائيل فلما اجاز رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثيرا انزل الله هذه الآية الم
ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت على لسان موسى ان انزل على النبي
الذي من اوله اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال
للمجد كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب
اسم من اسم القرآن **لاريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
وقيل هو خير بمعنى النبي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فاما معنى
لاريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة
ذلك **مدي المتقين** المداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية
الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاديا لاريب في هدايته والمتقي اسم
فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية ما يخاف وقيل التقوى في
عرف الشر حفظ النفس ما يؤتمر وذلك بترك المحظور وبعض الباطل خات
قال ابن عباس المتقي من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الانقاة واصله
الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعل حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث
كنا اذا اشتد البأس اتقىنا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد البأس جعلنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امثالا وامره
واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من
واحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واما افترض وقيل التقوى ترك الامر على المعصية
 وترك الاعتذار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نالك وقيل التقوى الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر
بالعذر والاحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا ما باس به وخص
المتقين بالذكر لشرافهم لان مقام التقوى مقام شريف عز وجل انهم هم المستغفرون بالمداية

ولو لم يكن للمتقين فضل الاقوله مدي للمتقين فضل الاقوله مدي للمتقين كما قام
فان قلت كيف قال مدي للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت كقولك للعزير
الكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله اهدنا
الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب** يحصد قور بالغيب اصل الايمان في اللغة
التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اى مصدق فاذا قسرا الايمان لهذا فانه لا يزيد
ولا ينقص لان التصديق لا يجزئ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في
لسان الشرع عبارة عن التصديق بالغيب لا اقترار باللسان والعمل بالامر اذا
فهمنا الجهد فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم
وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي ان المصدق بقلبه اذا التزم جمع اللغة
العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج وخوذلك من اركان الدين
هل يسمى مومنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مومنا
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يبرئ الزاني حين يرتقي وهو مومن فتعني عنه اسم
الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى
قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكوا وكذا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة
ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال
ونقصانها وبهذا يمكن الجمع بين ظواهر تفصيل الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة
الايمان ونقصانه ويبرأ اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق
قد يزيد وينقص بكنى النظر في الأدلة والبراهين وقلة ايمان النظر في ذلك
وتفهم اذا يكون ايانا اصد يقرن اقوى من ايمان غيرهم لا نعم لا تعتبر شبهة في ايمانهم
ولا تزلزل ايمانهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق
اى بكر لا يشاوبه بغيره بغيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقترار والعمل ايمانا
لوجه من المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبه
افضلها قول لا اله الا الله وادناها اعطاة الاذى عن الطريق والحيا سبعة من
الايمان اخر جاء في الصحيحين بضع بكر الباطن الثلاثة الى العشرة والسبعة
القطعة من الشئ واماطة الاذى عن الطريق وهو عز لا يحجر الشوك وخوذلك عنه
والحيا بالدم هو اقتباس النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو الكتاب
لان المستحي يتزجر به سبحانه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ما خوذ
من الامن فسمى المومن مومنا لانه يؤمن بنفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد

والخضوع

والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذ لم يكن معه تصديق
وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن **في** عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن باثر الناس فانما هو جوف قال
يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسوله وتؤمن
بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به
شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتضموم رمضان
قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فانك ان لا تراه فانه
يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها با علم من السائل ولكن
سأحدثك عن اشرطها اذا اولدت الامة ربهها فذاك من اشرطها واذا كانت
لحفاة العراة رويس الناس فذاك من اشرطها واذا تطاول رعا البهيم في البنيان
فذاك من اشرطها في خمس لا يعلم الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله
عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير
ما لي علم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث
وبمعنا موقد تقدم الكلام على الايمان والاسلام وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث
فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن باثر اي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله
ولقائه وتؤمن بالبعث الاخر بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله
وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى دار الآخرة وهو الموت والبعث
مؤبده عند قيام الساعة وفي تفسيره بالآخر وجه اخر وهو ان خروجه الى
الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث اخر قوله ما الاحسان هو بنا
الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من اتي بلفظ الشهادة
واى بالعلم من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن
الطاعة فان من اتى الله بحسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك
واشرط الساعة علاماتها التي تظهر قبل قيامها قوله اذا اولدت الامة زكها
يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة قتله وله افكون ذلك الولد ابنا
وسيد هاوردع البهيم بكسر الراء ففتح الباب واسكان الهاء من البهيم وهى الصغار
من اولاد الضان والمعنى انه يسطر الماء على اهل البادية واسباهم حتى يتناولون
في البناء ويسودون الناس فذلك من اشرط الساعة والله تعالى اعلم قوله تعالى
بالغيب الغيب صدره وضع موضع الاسم فقيل للغيب غيب وهو ما كان

مغيباً عن العيون قال ابن عباس الغيب منا كل ما امرت بالايان به مما غاب عن
بصر من الملائكة والبعث والجنة والنار والعراط والميزان وقيل الغيب هنا
مواضع تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر وقال
عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد وما سبقونا
به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بيتنا من امره والذلاله
غيره ما من احد قط افضل من ايمان غيب ثم قرأ الله ذلك الكتاب الى قوله واوليك هم
المفلحون **ويقيمون الصلاة** اي يداومون عليها في مواقيتها بحمد ودها واتمام اركانها
وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وادائها والمراعاة للصلوات الخمس
والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم اي دع لهم واصله من صلوات العود
اذ اليسته فكان الصلوات يلين ويخشف وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع
وسجود وفقد ودعاء مع النية **وما رزقناهم** اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما
ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب **يتفقون** اي يخرجون ويصدقون
في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه اتفاق الواجب كالزكاة والذرة والاتفاق
على النفس وعلى من يجب نفقته عليه والاتفاق في الجملة اذا واجب عليه والاتفاق في
المدرب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما مدح بها وادخل
من القوي للتبعية ضيافته لهم وكفا عن العرف والنية بر للمنى عنها في الاتفاق **والذين**
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقرآن المترد عليك هو
وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالنوراة والانجيل والزبور وصحى الانبياء كلها
فيجب الايمان به لكلا وبالاخرة يعني وبالدراة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا
وكونها بعد ما هم يوقنون من الايقان وهو العلم والمعنى يتيقنون انما كانت
اوليك اي الذين يملكون هذه صفتهم **على هدى من ربهم** اي على رشاد ونور من ربهم
وقيل على استقامة **واوليك هم المفلحون** اي الناجون الفايرون بخوار من النار وفازوا
بالجنة والمفلح الظاهر بالمطلوب كذا انفتح له وجوه الظفر ولم تنغلق عليه ويكون
الفلاح بمعنى البقاء والشاعر لو كان حي مدرك الفلاح اذ ركه ملاعب الدماح يريد
البقاء فيكون المعنى اوليك هم الباقيون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البقية من
السعادة والغزاة والبقاء والمعنى واصلة الفلاح الشوق كما قيل ان الحديدي بل الحديد يفلح
اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اوليك هم المقطوع لهم بالحديد في الدنيا والاخرة واعلم ان الله
عز وجل صدر بهذه السورة بآيات اترها في التومنين واثنتين اترها في الكافرين
وبثلاث عشرية اترها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى **ان الذين كفروا** اي

محمد واوانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي
الليل كافر الا انه يستتر الاشياء بظلمته قال الشاعر في ليلة كفر النجوم
غماها اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف
الله اصلاً كفر فرعون وهو ما علمت لكم من اله غيري وكفر محمود وهو ان
يعرف الله بقلبه ولا يقرب لسانه كفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله
بقلبه ويقرب لسانه فلا يدبر به كفر امية بن ابي الصلت واي طال حيث
يقول في شعره ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية ديناً لو لا
الملائكة او حذر مسية لو جددتني سحابة ان مبيناه وكفر نقاق وهو ان
يقرب لسانه ولا يعتقه صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وخاصة ان
من محمد الله او انكر وحدا نينه او انكر سائما انزله على رسوله او انكر نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار
خالدا فيها ولا يغفر الله له تزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود **سواء عليهم**
اي متساو ولديهم **انذرتهم** اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف
فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر **الم تندرهم** **لا يومنون** اي لا يصدقون
وهذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة المشقاوة في سابق علم الله الازلي
انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم**
اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم حقيقته الاستيثاق
من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم
الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي
فيهم واما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اي وختم
على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يفتقرون به لانما سمعهم وتنوع الاعمال
اليه كائناً مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه اجمع
فقال انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم**
غشاوة هذا ابتداء الكلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السراج اي وجعل
على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التقاضي عن آيات الله ودلائل
توجيهه **ولم عذاب عظيم** يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا
والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب ما وكل ما يؤلم الانسان
ويعيبه ويشوق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان
من مراده ومنه اما العذاب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الصغير قوله عز وجل

ومن الناس من يقول **امنا بالله** تركت في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول
ومعنت بن قشير ووجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليليلوا
لها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسر الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود
وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر بعبادته بقلبه ويصيح على حاله في
على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عمد اليه فنتسب قال الشاعر
وسميت انسانا لانك ناسي وقيل سمي انسانا لانه يتناسى بمثله **وباليوم الآخر**
اي وايضا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر
الايام المحدودة المعروفة وما بعده فلا حده ولا اخر له قال الله تعالى **ادع الى**
المنافقين وما هم بمؤمنين نفى عنهم الايمان بالكلمة **يخادعون الله والذين امنوا**
اي يخالفون الخديعة الحيلة والكر والصل في الاخفاء والمخادع يظهر منه
ما يضمن ليخلص من غلبة التناق وهو خادعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا
ويجعله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة
وانما تجي في الفعل المشترك والله تعالى منزله عن المشاركة قلت المفاعلة قد
ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارت النعل وعافيت اللص
فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله يتعالى ان يكون منه خداع فان
قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار تخادعة الله ممنوعة
فكيف يقال يخادعون الله قلت انه تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك تفخيم لأمه وتعظيم لشانه وقيل اراد به المؤمنين واذا خادعوا
المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك الخداع ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجرى عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم على
خلافه في الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اي ان الله تعالى يجازيهم على
ذلك ويحاسبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان
وبالاذن الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم
فيستخفون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشهوة
وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن **وما يشعرون** اي لا يعلمون اذ وبال
خداعهم راجع اليهم في قلوبهم **منزل** اي شك وتناق والمؤمن الضعيف والخروج
عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك في الدين والتناق منها لانه يضعف
الدين كما لم يضعف البدن **فرادهم الله** يعني ان الايات كانت تنزل فترا
اية بعد اية فكل ما كرهوا بآية ازددوا بآية لكفر وتناق ولهم عذاب اليم اي مؤلم

يخلص

يخلص وجعه الى قلوبهم **ما كانوا يكذبون** تنكده بهم الله ورسوله في السر
وقرى بالتحفيث اي بكذبهم اذ قالوا **امنا** وهم غير مؤمنين **واذا قيل لهم**
يعني المنافقين وقيل لليهود والمعنى اذ قال لهم المؤمنون **لا تقصدوا في الارض**
اي بالكفر وتقربوا للناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قالوا **انا نحن**
مصلحون يعني يقولون قد كذبنا الكلمة تنبيه ينبيه بها مخاطبا لهم **بمفسد**
يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن لا يشعرون** وذلك انهم يظنون انهم
عليه من التناق واباطيل الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما عدا الله
لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعني المنافقين وقيل لليهود **امنا** اي الناس يعني
المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمنين اهل الكتاب والعق
اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان
قالوا **انؤمن كما امن السفهاء** اي الجهال فان قلت كيف يقع التناق مع المجاهرة بقولهم
انؤمن كما امن السفهاء قلت كانوا يظهرون القول فيما بينهم لا عند المؤمنين
فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم بقوله **الا انهم هم**
السفهاء ولكن لا يعلمون **واذا القوا الذين امنوا** يعني هؤلاء المنافقين اذ القوا المهاجرين
والانصار قالوا **امنا** كما ايمانكم **واذا اخذوا** اي رجعوا وقيل خلوا من الخلق الى قبل معنى
البايشيا طينتهم وقيل بمعنى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤسائهم وكهنتهم
قال ابن عباس ومهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابوردة بن
بني اسلم وعبد الدار بن جهمينة وعوف بن عامر بن بني اسد وعبد الله بن السوء في الشام
ولا يكون كما من الامم شيطان قابض له وقيل رؤسائهم الذين شابهوا الشياطين
ثم منهم قالوا **انا معكم** اي على دينكم **انا نحن مستهزون** اي يمجسوا واصحابه بما يظهرون لهم من
الاسلام لنا من من شربهم وتنف على سربهم وناخذ من غنائهم وصدقاتهم قال ابن
عباس تزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي لهب واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فالتفتهم
نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لهب واصحابه انظروا كيف امر
هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابى بكر الصديق فقال مرحبا بالضيف سيد بني
نسيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدى بن كعب لغار وقول القوي في دين الله الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخنته وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنفق فان المنافقين شر خليفة الله تعالى

فقال مملا ابا الحسن اي لا تقتل هذا والله ان اياتنا كما ياتكم ونصدق بقنا
كنصد بقتكم ثم ترقوا فقال عبد الله لا صحا به كيف رايتموني فعلت فاشنوا
عليه خيرا **الله يستنيركم** اي يجازيهم جزا استنير بهم بالمومنين فسمى اجزا
باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سدد
عليهم وردوا الى النار **وميدهم** اي يتركهم ويجهلهم والمد والامداد واحد واصلة
الزيادة والكرمايا في المد في الشرا والامداد في الخير **وطغيانهم** اي في ضلالاتهم
واصل الطغيان مجاوزة الحد **بهم** اي يتركهم في ضلالهم **وليك** يعني
النافقين **الذين اشترىوا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا الكفر بالايان وانما اخرجهم
بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه اعطاء بدل واخذ اخر
فان قلت كيف قالوا اشترىوا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا
لتمكنهم منه كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا بعبودية الضلالة
لجور عن الفضل وفقد الاهتداء **فما ربح تجارتهم** اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل
عن راس المال واصناف البيع الى التجارة لان الربح فيها يكون **وما كانوا مهتدين**
اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة
فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل **مثلهم**
الشيعة عن قوله في شيء يشبه ذلك القول قولا اخر بينهما مشابهة ليسين احدهما
الاخر وبصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة
ولما ذكر الله تعالى حقيقته وصف المنافقين عقبه بضرب المثل في زيادة في الكشف
والبيان لانه يورث في القلوب ما لا يورثه وصف الشيء في نفسه ولان المثل
تشبيه الشيء الحقيقي بالجلي فيناكه الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح
وشروطه ان يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه **كمثل الذي استوقد ناراً** اي
لينتفع بها **فاما اضاءت** يعني النار **فما حولها** يعني حول المستوقد **فمبدا لله بنورهم**
فان قلت كيف وحدها ولا جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين
كقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قستهم بقصة المستوقد
وقيل معناه ومثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد ناراً **او ترككم في ظلمات لا تبصرون**
قال ابن عباس تركت في المنافقين يقولون مثلهم في قضايتهم كمثل رجل اوقد ناراً
في ليلة مظلمة في مغارة فاستدفاوراي ما حوله فانقضى ما يحاف فيبين ما هو كذلك
اذ طغيت ناره فبقي في ظلمة حائرة متخوفاً فكذلك حال المنافقين اظهر والكلمة
الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وانكروا المومنين وقاسوهم

الغنائم فذلك نورهم فلما ما تواعادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
ظهور عقيدتهم للمومنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب
نورهم في القبر وعلى الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر
بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور يبلغ الاشياء في الهداية
الى الحق المعقودة وعلى الصراط المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق
الواضح الى الله تعالى والى صفاته وشبه الكفر بالظلمة لان الضلال عن الطريق
السلوك في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد الا ضلابة في الاحيرة الاخرة
وفي ضرب المثل بالمنافقين ثلاث حكم احدها ان المستضي بالنار مستضي
بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقربوا الايمان من غير اعتقاد
قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار يحتاج في دوامها الى مادة كحطب
لندوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة
بعده الضو اشده على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء تشبه حالهم بذلك ثم وصفهم
الله تعالى فقال **صم** اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمروا
بكم اي خرس عن النطق بالحق فمنهم لا يقولونه **عمى** اي لا يبصرون بها بل هو الحق
والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا يبصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لمسا
سدت عن سماع الحق اذ انهم وابوا ان تنطق به السنهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا
كمن غطت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر **صم** اذ سمعوا خيراً ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذ نواه **فهم لا يرجعون** اي عن ضلالهم وقفاهم قوله تعالى
او كصيب اي كاصحاب صيب وهو المطر كلما تزلزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب **من**
السماء اي من السحاب لان كل ما علاك فاطلك فهو سماء ومنه قيل السحاب بيت سما وقيل
من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم
ان المطر ينقع من اجرة الارض وبطلان هذا الحكم بقوله من السماء يعلم ان المطر
ليس من اجرة الارض كما زعم الحكماء في الصيب **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** وهو الصوت
الذي يسمع من السحاب **وبرق** يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك
يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يجر به السحاب وقيل الرعد
اسم ملك يجر السحاب اذا بددت جمعها وضربها فاذا اشتد غضبه يخرج
من فيه النار في البرق والصواعق وقيل الرعد يسبح الملك وقيل اسمه **يحيون**
اصابعهم في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من سماعها
او يغشي عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب **حذر الموتى** مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين** اي عالمهم
وقيل يجمعهم ويعذبهم **يكاد البرق** اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف**
ابصارهم اي يختلسها ويخطف استلاب الشيء بسرعة **كلما** اي متى **ما اضلهم** يعني
البرق مشوا فيه اي في اصابته ونوره **واذا اظلم عليهم قاموا** اي وقفوا متحيرين
وهذا مثل اخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل
شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر
فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفات تلك الظلمات
ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى اذانهم
من بوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل
ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمر هو القرآن لانه حياة
القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك
والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكرا النار والبرق ما فيه من العذاب
والبيان والوعيد وذكرا الجنة والكافرون والمنافقون يسيدون اذا هم عند قراءة
القرآن وسماعه مخافة ان يميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كبر والكفر بموت
وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمر بالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من
البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه
من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام
بلا وسدة هربوا احد من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفقهم
الهرب لان الله من وراءهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام
يرجمهم الى النار لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضلهم مشوا يعني المنافقين
واصابته لم يوتركهم بلا ابتلا ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسألة باظهار
كلية الايمان وقيل كلما انا الواعية وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انما معكم
واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا اراشدة وبلا تاخروا **ولوشاء الله لذهب**
بسمعهم اي بصوت الرعد **وابصارهم** بوميض البرق وقيل لذهب باسمعهم
وابصارهم الظاهرة كما اذهب سماعهم وابصارهم الباطنة **ان الله على كل شيء**
قدير اي هو الناعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل **يا ايها الناس** قال ابن عباس
يا ايها الناس خطابا لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطابا لاهل المدينة

وهو هنا خطاب عام لكل المكلفين **اعبدوا ربكم** قال ابن عباس وحدوا ربكم
وكما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واسئل العبودية لله لا للعبادة
غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافئدة والاعظام وهو الله
تعالى **الذي خلقكم** اي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق **والذين من قبلكم** اي
وخلق الذين من قبلكم **لعلكم تفلحون** لعل وعسى حرفا ترجع ومما من الله واجب **تفكرون**
اي لكي تفكر من العذاب ومعناه تكونوا على رجاء التقوى بان تكونوا في سبيل وقاية
من عذاب الله وحكم الله من ورايكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **الذي جعل لكم**
الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا وطامد لليلة لم يجعلها خربة لا يمكن
الترار عليها والحزن ما غاط من الارض **والسماوات** اي سقفا من فوقها فبذلك اقامت
الانسان المتفكر في هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيكمما يحتاج اليه فالسما
مرفوعة كالسقف والارض مفرقة كالسباط والجنوم كالمصاييح والانسان
كالك البيت وفيه مزوب النبات المنهية لمنافعة واصنافا كحيوان مصروفة
في مصانع فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها **وانزل من**
السماء يعني السحاب ما يعني المطر **فخرج به** اي بذلك **المان من الثمرات** اي من الوان
الثمار واصناف الثبات **زرعنا لكم** وعلفنا لوابكم **فلا تحنوا** والله انما يعني اثالا
تعبدهم وهم كعبادة الله والله المثل **وانتم تقولون** يعني انكم تقولون انكم تعلمون ان
مذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها انداد الله وانما واحد خالق جميع الاشياء
وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى **وان كنتم في ريب** اي واذا كنتم في شك لان الله
تعالى علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم لما نقرر
اثبات الربوبية لله تعالى وانما الواحد الخالق وان لا ضد له ولا ند انبته باقامة
الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة من كون القرآن
معجزة وان من عند الله لا من عند نفسه كما انه عزوف فيه وقوله على عبدنا
اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله تعالى
فاتواكم بحجزة سورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والاخر وقيل
السورة اسم للمزلة الرفيعة ومنه سور البلد لا ارتفاع سميت سورة لان
القاري ينالها منزلة رفيعة حتى يستكمل المازل يستكمل سور القرآن **من مثله**
اي من مثل القرآن وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى
الله عليه وسلم اي لم يحسن الكفاية ولم يحال العلم ولم ياخذه العلم عن احد وتردد
الضمير الى القرآن ووجه واولى زيد عليه ان ذلك مطابق لساير الايات الواردة في

التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن
منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يأتلك ويحاسبه ولو كان الصنير
مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه
فها تقرأ خاسل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا لما تم
عليه من الفصاحة والبلاغة في طريقه لا يجاز والاطالة فتارة ياتي
بالقصبة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود
الاول وان فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه ووزان الاسعار
والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب به فحجزوا عنه ونحروا فيه
واعترفوا بفضله وبهم معدن البلاغة وقرسان الفصاحة ولهم النظم
والنثر من الاسعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف
القرآن والله اني له حلاق وان عليه لطلاوق وان صله لمغروق وان اعلاه
لمقر وادعوا **شهادة اكرم من ذوالله** اي استعينوا بنا لهتمكم التي تعبدونها
من ذوالله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انما تستحق العبادة فتجعلوا
الاستعانة بها في دفع ما نزل من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا
فاعلموا انكم مبطونون في دعواكم بالها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا
يشهدون لكم **ان كنتم صادقين** ان محمد صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء
نفسه فان لم تفعلوا اي فيما مضى **ولن تفعلوا** فيما بقي وهذه الآية دالة على
عجزهم وانهم لم يأتوا بمثل ولا بمثل شيء منه وذلك لان النفوس الالهية
اذا قرعت مثل هذا التفرع استفرغت الواسع في الايمان بمثل القرآن
او بمثل سورة منه ولو قدر واعلي ذلك لا تقا به فحيث لم يأتوا بشي ظهرت
المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان عجزهم وهم اهل الفصاحة
والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حرا صاعا على اطفائوره وابطال
امرهم مع هذا المحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا
بسبي الذرا ري واخذوا الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة
صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك
العناد وهو قوله **فانقوا النار** اي فامسوا وانقوا بالايان النار التي وقودها
اي حطبها الناس **والحجارة** قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها اكثر
النهارا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل
اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرأ الناس مع الحجارة

لأنهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتسفح لهم فحجها الله
عذابهم في نار جهنم **اعدت اي هببت للكافرين** قوله عز وجل **وليس الذين امنوا**
اي اخبر المؤمنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبقارة ايراد الخبر
السار على سامع يستدبره ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان
اذا فرح بشي وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع
الخبر سرا وسامعه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن ما في السرور والخير
اغلب **وعملوا الصالحات** اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل
العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص
وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عز الريا
ان لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار ممتدة سميت جنة
لاجتنابها ولسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس
ما فيه كرم تجري من تحتها **الانهار** اي من تحت اشجارها ومسالكها اي تجري
المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث
ان انهار الجنة تجري في غير اخدود اي في غير شقوق والجنة الشوق كما رزقوا
اي طعموا منها اي من الجنة من مرة رزقا اي طعاما قالوا **هذه التي رزقنا من**
قبل اي في الدنيا وقيل ان نار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم
فاذا رزقوا بمرة بعد اخرى طعموا انها الاولى او ثوابه اي بالرزق متشابهها
قال ابن عباس مختلفة في الطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة
لارادة فيها وقيل تشبه نار الدنيا في الاسم لا في الطعم وعز جابر
ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون
ولا يبرزون بلبهم من الجنة والتسبيح كما تلبسون النفس طعامهم جنتهم
كرشح المسك وفي رواية ورشهم المسك قوله بلبهم من التسبيح كما تلبسون
النفس اي يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما ان النفس
لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جنتهم يعني ان فضول طعامهم يجري من الجنة
وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى **ولهم فيها** اي في الجنان **ازواج**
اي من الخور العز **مطهرة** يعني من البول والغايط والحمض والولد وساءير
الاقدار وقيل من عجائب كرم الغصن طهرت من قذارات الدنيا وقيل طهرت
من مساوي الاخلاق وقيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون

الجنة

الا يخرجون منها ولا يموتون ولخلد البقا الدائم الذي لا انقطاع له
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
 الجنة على صور الغر ليلية البدر الذين يلونهم على استكوك كدرى
 في السما اصناف لا يصفون ولا يخطون ولا يبقون ولا يسلون اساطم
 الذهب ورسخهم المسك وجمامهم الالوة الالنجوخ عود الطيلزد واهم
 الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم سبعون راعا في السما
 وفي رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى محسوفهما من وراء اللجر من الجن
 لا اختلاف بينهم ولا تبا عن قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة
 وعشيا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن
 في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مخوفة طولها في السما تسعون ميلا للمؤمن
 فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال قلت يا رسول الله من خلق الله الخلق قال من الماء قلت اجنة ما بناؤها
 قال الجنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الادفر وحصباؤها
 اللؤلؤ الكبار والياقوت وترتها الزعفران ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت
 ولا تنبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجهم الزمزمى زيادة وقال ليس
 اسأله بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس
 اعلاها درجة ومنها فجرا فجار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا اسأله
 الله فاسأله الفردوس من عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة
 لسوقا ياتونها كالجمعة فتنب ريح الشمال فتحشوا في وجوههم ونباهم فزادوا
 حسنا وجمالا فيرجعون الى اهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلهم
 والله لقد اوددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد اوددتم بعدنا
 حسنا وجمالا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في
 الجنة لجمعة للهور العين برقع باصوات لم يسمع الخلاق مثلها يقبلن من الخالدات
 فلا تشيد وخر الناعمات فلا تياس وخر الراضيات فلا تسخط طوفن كان لنا وكانه
 اخرجهم الترمذى قال حديث غريب قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب
 مثلا ما بعوضة فما فوقها سب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب
 مثلا الذباب والعنكبوت وذكر النمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه
 الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبده الاية كرهه الاشياء وذلك

من يذللها

لان الكفار واليهود كانوا متنفذين على ايدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك
 فانزل الله تعالى ان الله لا يستحي الحيات تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف
 ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في
 وصف الانسان والله تعالى منزله عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه
 الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فيه اية الحيات والتغير الذي يلحق الانسان
 من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته بترك ذلك الفعل القبيح
 واذا ورد وصف كحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف
 بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيات وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحي
 ان يضرب مثلا اي لا ينزل المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ماصلة فيكون
 المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس ماصلة بل هي الالهام والفكر والبعوض
 والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله فانه في غاية الصغر وله خرطوم
 مخوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمال فيبلغ منه
 الغاية حتى ان الجمل يموت من قضمه فافوقها يعني الذباب والعنكبوت
 وما هو اعظم منها في الجنة وقيل معناه فادونها واصغر منها وهذا القول
 اسبب بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالنسبة للصغير
 للحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذي ينجح البعوضة وهو
 اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمخدرات فقيل هو اخف من ذرة واجمع من
 مثله واطيب من ذبابة واحم من ذبابة فاما الذين امنوا يعني محمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن فيعملون انه يعني ضرب المثل الحق يعني الصدق من زعمهم
 الثابت الذي لا يخون فكان لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل عند
 العرب واما الذين كفروا فيقولون ما هذا اراد الله بهذا امثلا اي بهذا المثل
 يضرب به كثير من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويبدري
 كثير يعني المؤمنين بصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين
 يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والعنكبوت والخرج عن طاعة الله
 وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينفقون اي ينفقون ويتركون
 واصل النقص الفسخ وفك الموكد **عند الله** اي امر الله واصل العهد حفظ
 الشيء ومراعاته خالما لا بعرجال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده وفي
 معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله
 تعالى الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على ائمة اليهود في التوراة

ان يومئذ محمد صلى الله عليه وسلم ويدينوا نفعه وصفته الثالث المراد به الكفار
والنافقين الذين ينقضون عهد الله تعالى واحكمه بالانزلة في كتابه من
الآيات الدالة على توحيد الله **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يعني الايمان بحمد
صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فانما يبعثون كفر وابتعاد عن الله واليهود وقيل
اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها **وفيسدون في الارض** يعني بالمعاصي
وتقوي الناس عن الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **واولئك هم الخاسرون**
أي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى **المشركي العرب** على وجه التعجب
لكن فيه تنبيه وتنفيد لم **كيف تكفرون بالله** يعني بعد نصب اله لايل ووضع
البراهيم اله على وحدانيته ثم بين الله ليل فقال تعالى **وكنتم امواتا** يعني نطفاتي
اصلا بابائكم **فاحياكم** يعني في الارحام واله نيا ثم يميتكم عند التقصا حالكم ثم يحييكم
يعني بعد الموت للبعث **ثم اعيدن رجسهم** اي تزدو في الآخرة فيجزيكم باعمالكم
قوله عز وجل **والله الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** يعني من المعادن والنبات
والحيوان والحيال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض
جميعا لتستغوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتقاد
والتفكير في عجائب مخلوقات الله اله على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو
الاستمتاع بما خلق فيها ثم **استنوي الى السماء** اي قصدوا قبل خلقها وقيل عمده
وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال لا زرى معناه صعد امره وحكمه
ذكره صاحب الحكم وذلك ان الله خلق الارض ولا ثم عمده الى خلق السماء فان قلت
كيف اجمع بين هذا وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك وكماها قلت الدحو
البسط فيحتل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما ربسط
جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لقوله تعالى خلق لكم ما في
الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت محتمل انه ليس ملكا
فرتبنا وانما هو على سبيل نعمة اذ النعم كقول الرجل لمن يذكره لم ينعمر عليه الله
اعطاك الم ارفع وقد رك الم ارفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على
بعض والله اعلم **فمن سوا من سموات خلقنا سبع سموات مستويات لا صدى**
فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسموات عند قوله تعالى قد اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى **وما هو بكمثل شيء**
يعلم يعني يعلم الخبيات كما يعلم الكليات قوله تعالى **واذ قال ربك اي واذكريا محمدا**
اذ قال ربك وكما ورد في القرآن من هذا المعنى فهد سبيله وقيل اذ مر اية والاول وجه

الملائكة

الملائكة جمع ملك واصله مالك ومعنى الرسالة والمراد بالملائكة الذين كانوا
في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسموات وخلق للملائكة والجن قاسكن
الملائكة السما واسكن الجن الارض فعبدوه دهر اطويلا ثم ظهر فيهم احسنهم
فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جنرا من الملائكة يقال لهم **انزلهم** وريثهم
ابليس ومنهم خزان الجن فنبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعروا
لجبال واسكنواهم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض
وملك السما الدنيا وخرانه الجنة وكان ابليس رئيسهم ومريدهم والكرهم عبادة
وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال
في نفسه **ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه فقال له وكبحده**
اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة يعني بدلائمكم ورافعكم الى الخ
فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهلون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة منا اذ الله
خلق الجن وجالعههم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه
خليفة الله في ارضه لا قامة حدوده وتنفيذ قضاياه **قالوا اتجعل فيها من**
يفسد فيها اي بالمعاصي **ويسفك الدماء** يعني يغير حق كما فعل بنو الحيات
فان قلت من اين عرفوا بذلك حتى قالوا هذا القول قلت محتمل ان يكون ذلك
باجاز الله اليهم او قاسوا الشاهد على الغائب وقيل لانهم لما راوا ان ادم خلق من
اخلاط طرية علموا انه يكون فيه للحقد والغضب ومنه ما يتولد الفساد وسفك
الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خاف الملائكة وقالوا لمن
خلق هذه النار قال لهم عسائي فلما قال في جاعل في الارض خليفة قالوا لم يود ذلك
فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب
بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها
من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السؤال انما وقع
على سبيل التعميم لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من حال حكم
الله تعالى واحاطة علمه باخفى عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
وقيل ان العبد المخلص فيجب سبده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان
سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**
سبحان الله وبحمده ومعنى صلاة الخلق وعليها يبرزون من عن ان ران رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله للملائكة والعبادة
سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كلما جاني القرآن من الشيع فالحمد لله الصلوة

الملائكة

فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسيح تنزيه الله عما يليق بجلاله
فيكون المعنى ونحن نترهبك عن كل سوء ونقبضه ومعنى مجدك حامدين لك
او متلبسين بمجدك وقيل تسبح مجدك فانه لو لا انعامك علينا بالتوفيق لم تكن
من ذلك **وقدس لك** اصل التقديس التظهير اي نظهر لك عن كل النقايص وكل سوء
ونصفك بايلىق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل
معناه نظهر انفسنا لطاعتك وعبادتك **قال اني اعلم ما لا تعلمون**
قيل انه جواب لقول الملائكة اجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه
المصالح والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني بطبيعتي
وهم الانبياء والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل
اعلم انهم يذنبون وليستغفرون فاغفر لهم **فصل في ماهية الملائكة**
وقصة خلق آدم عليه السلام قيل ان الملائكة اجسام لطيفة هوائية
خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكل مختلفة مسكنهم في السموات
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطلت السما وحق اياها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملاك
واضع جيفته لله ساجدة اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب
واما صنعة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق
ادم وحمالي الارض في خالق من خلقته منهم من بطيعني ومنهم من
يعصيني من اطاعني اذ خلقته الجنة ومن عصاني اذ خلقته النار قالت الارض
اتخلق مني خلقتا تكون للنار قال نعم فبكت الارض فانبجرت منها العيون
الي يوم القيمة فبعث الله اليها جبريل ليأبئ به قبضته من احمرها واسودها
وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي
امسلك الي اني اخدم مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استغاثت
بك مني فكربت ان اقدم عليها فقال الله ليكايل انطلق فاتي بقبضته منها
فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت كبريل فرجع الى ربه فقال
ما قالت له فقال لعزرايل انطلق فاتي بقبضته من الارض فلما اتاها قالت
له الارض اعوذ بعزة الله الذي امسلك الي انا اخدم مني شيئا فقال وانا اعوذ
بعزته اني اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذرها وما حكمها
وحلوها ومهرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل
وما علم بها صنع فاخبرها قالت الارض وما رويها فقال الله تعالى وعزني

وجلال لا خلق مما جيت به خلقا ولا سلطتك على قبض ارحم لعلة
رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة بضعها في الجنة وبضعها في النار ثم تركها
ما شاء الله ثم اخرجها فحجها طينا لانها جادة ثم حاسنونا مدة ثم صلبها لا
ثم جعلها جسدا والقاء على باب الجنة فكانت الملائكة يجيئون من صفة
صورته لانهم لم يكونوا زوايا مثله وكان ابليس ممر عليه ويقول لامر ما خلق هذا
وينظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يملك وقال يوما للملائكة ان
فضل هذا عليكم ما يصنعون فقالوا بطيع ربنا ولا نعصيه فقال
ابليس في نفسه اني افضل على اعصيته ولين فضلت عليه لاهلكه فلما اراد
الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فتطيرت فارت مدخلا
صنيقا فقالت يا رب كيف دخل هذا الجسد قال الله عز وجل لما ادخله كرها
فدخلت في نافوخه فوصلت الى عيبيه فجعل ينظر الى سائر جسده فسارت الى
ان وصلت منخرجه فغطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول
كلمة قالها فتاداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولما خلقك ولما بلغت
الروح الى الركبتين هم ليقيم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت
الى الساقين والقدمين استوى قائما بشراسويها لهاودما وعظاما وعروقها وعصبا
واحشا وكسلبا من طين مزدادة وحشا كل يوم وجعل في جلده
تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذان ليسع بها والعيان يبصر بها
والمخرجان ليسع بها والفرج فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما ياكله
ويجد لذة المطعومات وبابان في اسفل جسده وبما القبل والدر
يخرج منها نفل طعامه وشربه وجعل عقله في دماغه وفكره ومراذه
في قلبه وشربه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في مريته وصحكه في طحاله
وفرجه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسبح بعظمه ويبصر بشعره
وينطق بلحمه ويعرف بدمه ويركب فيه السموات وحجزة بلجيا عن ابي باربرة
رضي الله عنه قال خلق الله تعالى ادم عليه السلام وطوله ستون ذراعا
ثم قال اذهب فسلم على اوليك ثم من الملائكة فاستمع ما يحبرونك به
فالها تحيتك وحيته فريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة
الله فزادوه ورحمة الله فكل من به دخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق
ينقص حتى الان من قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله
ادم تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف ينظر ما هو فله اراه اجوف

وجه للقطع **وكلامها رعدا** اي واسعا كثيرا **حيث شيتا** اي كيف شيتا ومتى
شيتا وابن شيتا والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بل منع الامانة عنه
وهو قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني لا تاكل من ثمرها وقيل هذا النهي
على جنس من الشجر وقيل على ثمرة مخصوصة قال ابن عباس في السبل وقيل
الكرمه وقيل في شجرة التين وقيل في شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر
الكلام ما يدل على التبيين لانه لا حاجة اليه لانه ليس المقصود ترفيع تلك
الشجرة وما لا يكون مقصودا الا يجب بيانه **فتكونا من الظالمين** يعني ان الكلمتين
هذه الشجرة ظلمتا انفسكما من جوز ارتكابا لذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه
بالمعصية واصيل الظلم ومنع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على
الانبياء حمل الظلم على انه فعل مما كان الاولى لا يفعله وقيل انه يحمل على
انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او بظلم
انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله تعالى **فازالها**
الشیطان اي استزل ادم وحواء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيا في الكلام
ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والحوار عما صدر منهم عند قوله تعالى عز
وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه **عنها** اي الجنة **فاخرجهما ما كانا فيه**
يعني من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فنفقة
الجنة فاقى الجنة وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم
كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخل الجنة في فيها فادخلته
ومرت به على الجنة وهم لا يعلمون وقيل انما اراد ان ياتي باب الجنة لانها كانت خارجا
منها وكان ابليس يتردد الى باب فوسوس لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة ورأى ما فيها
من النعيم لو ان دخله فاغتم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل
الجنة وقف على ادم وحواء ونما لا يعلم ان ادم ابليس فبكى وناح بياحة اخرتهما
وهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال ابكي عليهما لانكما موتان فتفارقا ما اتاهما
من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم
هل ادلك على شجرة الخلد فاني ان يقبل منه فقامسها باسه انه لما من الناحين فاقترا
وما ظنا ان احدا يحلف باسه كاذبا فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم
فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن سنياس
قال الله تعالى يا ادم لم يكن فيما اخرجك من الجنة منه وحة عن الشجرة قال بل يارب
وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعض في لا يهبطك الى الارض

قال

الجنة

ثم لا تنال العيش فيها الاكده افا نسيط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحفر وزرع وسقي حتى اذ ابلغ واشتد حصده ثم دمره ثم ذراه ثم طحنه
ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلعه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية اخرى عن ابن
عباس زادم لما اكل من الشجرة التي بنى عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت
قال يارب زينة لي حواء قال فاني اعقبتهما الا تحمل الاكدها ولا تقنع الا كرها
ودميتها في الشهوات فترنت حواء عند ذلك فقتل عليك لرتة وعلى بناتك لرتة
الصوت فلما اكل من الشجرة تنافست عنهما شيئا ما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة
فذلك قوله تعالى **وقلنا اميطوا** اي ازلوا الى الارض يعني ادم وحواء ابليس والجنة
فهي ادم بسرنديب من روض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حواء بجدة
وابليس بالاثلة من اعمال البصرة والجنة باصبيان **بعضكم لبعض عدو** يعني
العداوة التي بين المؤمنين من ذرية ادم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله
عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية ادم والجنة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلمهن
فليس منا ما سألناهن من هذا رينا من اخرجها ابوداود وله عن ابن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتلوا الحيات كل من خاف من ثارهن فليس منا وفي
رواية اقلوا الكبار كلها الا الجان لا يفسد الذي كان فضيب ففقه **عن** اي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسكوا فاذا
رايتهم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بد لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان
وفي رواية ان لهذه البيوت عوام فاذا رايتهم منها شيئا فخرجوا عليها ثلاثة ايام
فان ذهبت والا فاقتلوه فانه كافر ولكم في الارض مستغفرا وموتع قرار ومناخ
وبغية ومستمتع الى حين اي الى وقت انقضاء اجالكم قوله عز وجل **فلقني ادم**
اي قلقني والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التلقيم من **به كلام**
اي كانت سبب ثبوته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية
وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فب علي
انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت
نفسى فاعقر لي انك انت القهور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت
سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال ادم يارب ارايت
ما اتيت اشي ابته عنة من تلقا نفسي امرى قد رمت علي قبل ان تخلقني قال بل شئ
قد رمت عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرت علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى

الجنة

امرا دما بحج وعلمه اركان فطاف بالبيت سبعاً ومو يو من ذنوبه حرام
صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلايتي فاقتل
معدرتي وقلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاعف عني ذنوبي فادع الله
يا ادم قد عرفت لك ذنوبك وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة
لا يرفع راسه الى السماء حتى آمن الله تعالى وقيل في ثلاثة اشيا الحيا والعا والبقا
قال ابن عباس بكى ادم وجوا على ما فاتته من نعيم الجنة ما يتى سنة ولم ياكل ولم
يسر با اربعين يوماً وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود
اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت
دموع ادم اكثر حيث اخرجته الله من الجنة **قالب عليه** اي فتجا وزعته وغفله واصل
التوبة من ثواب يتوب اذا رجع فكان الثواب رجوع عن ذلك الذنب الذي كان عليه
ولا تحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد
ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فخذ ذلك
بحصل الندم وهو الخاف فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل على ان لا يعود اليه
وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة وسيا في بسط
هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة بضوحا في سورة التوبة ان شاء الله تعالى
انه ما والتواب اي الرجاء عن عبادته بقبول التوبة والثواب في وصف الله تعالى
للبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم** اي الرحيم بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه
مع كونه ثوابا بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها** جميعا يعني هو لا الربعة وقيل ان
الهبوط الاول من الجنة الى سما الدنيا والهبوط الثاني من سما الدنيا الى الارض وفيه
صنعف لا يقال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة
الى الارض والا صح انه للتاكيد **فاما يا نبيكم** من هدي فيه تنبيه على عظم
نعم الله على ادم وجوا كان قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت
عليكم بهذا التي تودىكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع
وقيل مخاطب هم ذرية ادم يعني ذرية ادم اما يا نبيكم رسل ونبيا
وشريعة وقيل كتاب ورسول فمن يقع **مدراى** فلاحق عليهم يعني فاستقبلهم
ولا يمخرجون اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا يمخرجون في الآخرة
والذين كفروا اي جحدوا وكتبوا ياياتنا اي القرآن اولئك اصحاب النار اي يوم
القيامة هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى يا بني
اسرايل اتفق المفسرون ان اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم

وسام اجمعين ومعنى اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد
يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اشكروا نعمي وانما عبر عنه بالذكر
لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن حمدتها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المنعولة على حمة الاحسان الى الغير
ومعناه ان الضرر المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها
لا تسمى نعمة اذ لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلثة نعمة تقدر بها الله تعالى
وهو ايجاد الانسان وزرقه ونعمة وقيلت الى الانسان بواسطة الغير لكن
الله ممكن من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان
بسبب لطاعة وهي ايضا من الله تعالى فانه هو المنعم المطلق في الحقيقة لان حصول
النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرايل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي
لفظها واحد ومعناه اجمع فمن النعم ان الله انعمهم من فرعون وعلق البحر لهم وغرق
فرعون وتطليل الغمام وانزال المن والسلوى في التنية عليهم وانزال التوراة ونعم
غير هذا كثيرة فان قلت ان النعمة بها ما كانت على المخاطبين بما بل كانت على
ابائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت لما ذكر المخاطبين بها لان فخر
الابا فخر الابنا ولا ان الابنا اذا اتفقوا ان الله قد انعم على ابائهم بهذه النعم
فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين
بها من محمد صلى الله عليه وسلم وذكر ما الايمان به **واوفوا بعهدى** اي امثال امرى
اوف بعهدكم اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاة حاله بعد
حال ومنه سمي الموثق التي تلزم مراعاة عهدا وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة
من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة
وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبغضنا منهم اثني عشر نبييا الى قوله
لا كفرن عنكم سياتكم فلما قال اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذا اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة
وقيل هو قوله واذا اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تقبلوا الا الله وقيل اراد بهذا
العهد ما اوثيته في كتب الانبياء عليهم السلام المتقدمة من وصفت محمد صلى الله
عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرايل على
لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسما عيل نبيا امينا فبقعه فصدق النور
الذي ياتي به عرفت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله
واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليبيته للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم

وصفته و **اباى فارمبون** اى يخافون في نقصكم العهد و **اموايا** انزلت
يعني بالقران **مصدق** **قالا معكم** يعني ان القران موافق لما في التوراة من التوجيه
والنبوة والاختبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايان محمد صلى الله عليه وسلم
والقران بقدره في التوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وانه بنى مبعوث من امن به فقد امن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب
التوراة وكفر بها **ولا تكونوا اول كافرين** الخطاب لليهود ترلت في كعب بن الاشرف
و **يسا** اليهود والمسيحيين **ولا تكونوا** يا معشر اليهود اول من كفر به فلو قلت كيف
جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم
قلت هذا التبريق بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن لانكم تعرفون
صغته وفعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتخون به على الكفار فلما بعث كان امر
اليهود بالعكس وقبل معناه **ولا تكونوا اول كافرين** من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك
فتسوا **اباى** اياكم واتم غيركم ممن يتبعكم على ذلك **ولا تشعروا** اي ولا تستبدوا **اباى** اياي
اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثما قليلا** اي عوضا يسيرا
من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشي اليسير الخفيف الذي لا قيمة له والذي
كانوا ياخذونه من الدنيا كالشي اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلذلك
قال تعالى **ولا تشعروا** **اباى** اياي **ثما قليلا** وذلك ان كعب بن الاشرف وروسا اليهود وعلماءهم
كانوا يصيبون الماكل من سفلةهم وجهالهم فكانوا ياخذون منهم في كل سنة شئنا
مغلوما من اذرهم وتاريخهم ونقودهم ومنهم فحافوا انهم يدعوا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وتابعوه ان تقوتم تلك الماكل فغيروا نعتهم وكنتموا اسمه واختاروا الدنيا
على الآخرة واصرروا على الكفر **اباى فانقور** اى يخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم
والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن وانظر
والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل**
اي لا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق بالباطل الذي كذبتم
وقبل معناه **ولا تخططوا الحق** الذي نزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة **بالباطل** الذي تكتبونه بايديكم من غير صغته وقيل لا تخططوا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق **بالباطل** اي بصفة الدجال وذلك لانه لما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس به هذا الذي تنتظرون وانا
بنو المسيح بن اود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا الحق** يعني نعت محمد صلى
الله عليه وسلم **وانتم تعلمون** يعني ان محمد صلى الله عليه وسلم بنى رسول وفيه تنبيه لسائر

الخلق وتخذى بمن مثله فصا هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام
في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتفم الحق لما فيه من الضرر
والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه
كتامنه **واقيموا الصلاة** يعني الصلوات الخمس لواقعيتها وحدثها وجميع
اركانها **وانوا الزكاة** اى اداء الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم **واركعوا مع**
الراكعين اى صلوا مع المصلين يعني محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وغيره عن
الصلاة بالركوع لان ركعتي من اركانها من اخطاب اليهود لانهم لا يركعون فيها ركوع
فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله **واقيموا الصلاة**
لان الاول خطاب للكاية والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة
الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في جماعة قوله تعالى **اتلمزوا الناس**
بالبر الاستغناء فيه للتبرع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال
الخير والطاعات ترلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقرينه
وحليفه من المسلمين اذ اسأله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره
حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا للمشرك العرب ان رسولنا يظهر منكم
ويبعثكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعثه نعتي محمد صلى الله عليه وسلم
حسدوه وكفروا به فبكتهم الله وبعثهم به لك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه
قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة
والزكاة ونوع البر ولا يفعلونه **وتدسون انفسكم** اى وتدعوا لعمالها فينفعهم
والنسيان عبارة عن السهو والحادث بعد حصول العلم والمعنى ان تكون انفسكم فلا
تتبعون محمد صلى الله عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرأون التوراة وتدرسونها
وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والامتناع
عن الافعال السيئة والامر **بالعقل** يعني انه حق فستبعونه والعقل قوة تتجلى
بقول العلم ويقال للعلم الذي يستفيد الانسان بتلك القوة عقل ومثله قول علي بن الخطاب
العقل عقلان فطبيع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذ لم يك مسموع كما لا ينفع الشمس
وضوء العين ممنوع واصول العقل الامساك لانه ما حوذه من عقال الاله كعقل البعير
بالعقل البينع من الشر فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجور والافعال
السيئة ومعنى الآية ان المفسود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير
الى تحصيل المصلحة وتخليصه عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس والامتنان
الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ به فكأنه ان يعظ متعاضلا ليعتد

العقل فلهذا قالوا فلا تغفلون وقيل ان من وعظ الناس بحجته ان مواعظته
تغذي الى القلوب فاذا خالف قوله فعله فكان ذلك سبب تغيير القلوب عن قبول
مواعظته في عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يوفي بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اوراق بطنه فيه ويهرها كما يدور
الحمار في الرحا فتجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان مالك الم تكن تاعز الناس بالمعروف
وقته عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا ايتيه وانهى عن المنكر وانيته قوله فتندلق
اي تخرج اوراق بطنه اي امعا بطنه واحدها رقت روي البغوي بسنده عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اشركت في رجلا لا تفر من شغاهم بمقارفين
من دار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك يامر من الناس بالبر وينوزل فيهم
وهم يملكون الكتاب فلا يعقلون فيل مثل الانسان الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالمرج ينفق للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله فتخرج كلامه ومن وعظ بفعله فلهذا
سماه الله رقتا بعضهم ابد بنفسك فانها عن عجزها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فبذلك
يسمى ما نقوله فيقول بالفضل منك وينفع النفعين قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر**
والصلاة قيل ان الصبر طينتي من ذلك ثم المؤمن لان من يتكلم بالصلاة والصبر على دين محمد صلى
الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صبره لان من صدق محمدا
صلى الله عليه وسلم وامر به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان من الخطاب
الى غيرهم فيوجب تحريك نظم القرآن لان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن
صلاهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله لما امرهم بالايان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والانزام شريعته وترك الركايسة وجب الحياء والمال افعالهم استعينوا بالصبر والصلاة
التي هي عن اللذات والهمم الى الله فانهم في حب الدنيا والجاه والدار
وعلى هذا القول يكون معنى الآية استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما تشغلكم من انواع البلا
وقيل على طلب الاخيرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك الحماهي وقيل بالصبر
على اذ الغايض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المعطيات وعن غير اللذات
وفيما انكسار النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا
واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح الهيئة واحصاء القلب
ومغالبات الاركان والاداب مع الخشوع والخشعية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اي اذا هممه امر لم يزل الى الصلاة
وعن ابن عباس انه نعى اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم نعى عن الطريق فصلى
ركعتين اطاف بهما السجود ثم قام الى رحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة

29 **وانها يعني الصلاة** وقيل الاستغاثة **لكبرية** اي ثقيلة **الاعلى** **لخاشعة**
يعني المؤمنين وقيل الخاشعين وقيل المطيعين المتواضعين لله تعالى واصبل
الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر
ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من
لا يرجو لها ثوابا ويحتاج على تركها العقاب فهي ثقيلة عليه **الذين يظنون**
اي يستيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الآخرة وفيه دليل على
ثبوت روية الله تعالى في الآخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيرجعون
باعمالهم قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم انما اعاد
هذا الكلام مرة اخرى تؤكد الحججة عليهم وتحذير من ترك اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم **واني فضلكم على العالمين** يعني على كل من آمن به وبما انعم الله به
وان كان في حق الاتباع لكن يحصل به الشرف للابناء **وانفقوا يومئذ** اي واخشوا
عذاب يوم لا تحزى اي لا تقضي نفس عن نفس شيئا يعني حق الزمها وقيل معناه
لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء
من اخيه وامه وابيه **ولا تقبل منها شفاعة** اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل
الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا لا شفيع لنا الا وانفرد
الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن
الفاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جات بشيء لا يقبل
منها **ولا يوحى فيها عهد** اي قذية وهو حرم ما ناله الشيء بالشيء **ولام يبرحون**
اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذبحناكم** اي واذكروا اذخلصنا اسلافكم
واجدادكم فاعندوا نعمته ومنه عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من افرعون**
اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العالين
وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الربان وعمر اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم**
اي يكلفونكم ويد يفتونكم **سؤال العذاب** اي شدة العذاب واسوؤه وقيل
يصرفونكم في العذاب مرة كذا مرة كذا وذلك ان فرعون جعل لبني اسرائيل خدما
وحولا وصنفهم في الاعمال اصنافا صنف يبنون ويحرقون وصنف يخدمونه
ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ومب كانوا اصنافا في اعمال فرعون
فدوا القوة يسلمون السوارى من الجبال حتى فوجت ايديهم واعناقهم ودهرت
ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين بسوز له العضوم
وطايفه يضربون اللبن ويطحون الاجر وطايفه نجارون وحدها وزن المضعفة

منهم يصيب عليهم الخراج يعني الجزية ضربية يودونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودي ضربيته غلت بميته الى عنقه شهر والنساء يزلون الكنان وينسجونهم وفي كل تفسير ليسو مودنكم سوا العذاب ما بعده وهو قوله تعالى يدعوننا بانناكم ويستحيون سناكم اي يتركون من جوارحهم ان فرعون لم يدر في منامه كان اثارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر وحرقت كل قبطي بها ولم تنته من قتلهم ففكاه ذلك وسال الكهنة عن روياء فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وكل بالقوايل فكن يفعل ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفنا وقيل سبعين الف واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رسل القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل قد خرج صغارهم وموت كبارهم فيوشك ان يقع القتل علينا فامر فرعون ان يولد بجواسنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها وفي ذلك **بلا من ربكم عظيم** اي اختبار وامتحان والبلاد يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلك بلا من ربكم عظيم على صنيع فرعون كان من بلا المحنة وان حمل على الانحياز كان من النعمة قوله تعالى **واذ فرقا بينكم البحر فاجنباكم** اي فصلنا بعضهم من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحر الانشاع ذكر سياق القصة وذلك انه لما دام ملكا فرعون امرا به عز وجل موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرعوا في يومهم المرح الى الصباح وان يستعبروا على القبط لتبقى لهم اوليتهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في بني اسرائيل القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والى الله تعالى الموت على القبط فامت كل بكلم فاشتغلوا به فمهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصبح اليك فاصاح تلك الليلة ديك وخرج موسى ببني اسرائيل ومم ستماية الف وعشرون لا بعد وزان عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثني وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما اراد السير ضرب عليهم الله فلم يروا ان يذهبون فزعما موسى شيخا ببني اسرائيل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عمدا الا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك اسند علينا الطريق فسالم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ولن لم يعلم صمته ذناه عن جماع قولي

يوسف

فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز معهم فقالت له اريدك ان تلتك على قبره ما تعطيني كلما اسالك فاني عليها وقال حتى اسال ربي فامر ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع فاحملني معك واخرجني من مصر ههنا في الدنيا واما في الآخرة فاسالك ان لا تنزل عرفة من غرف الجنة الا تزلهم معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف المافادع الله ان يحسره الله المافدع الله ان يحسره الله المافدع الله ان يوحه عنه طلوع الفجر حتى يبرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجوه وهو في صندوق من مرمر وحمل معه حتى دفنه بالسام فبعد ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل ماوي في ساقاتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعماية الف حصان ادمم وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف فنان شب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعداء وسار بنوا اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اسرق الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فنبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف تصنع هذا فرعون خلقنا ان ادركنا قتلنا والبحر اما منا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انقلب كيايا خاله فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارفع الما بين كل طريقين كما جبل وارسل الله النخ والسمن على قمر البحر حتى صارت يدينا وخاضت بنوا اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الما كما جبل الفخيم لا يرى بعضهم بعضا فافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخوانا فاوحى الله الى جبال الما ان تشكي فصارت الما كالشال يرى بعضهم بعضا وسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالين فيه ذلك قوله تعالى واذا فرقا بينكم البحر فاجنباكم يعني من فرعون **واعرقنا ال فرعون** وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه متعلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انقلب من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين اتفوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يمدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربنا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادمم ولم يكن في خيل فرعون فرس نثي فاجابير بل عليه السلام على فرس اثنى وديتو مقدمهم وخاض البحر فلما سمع ادمم فرعون يحيا الفخيم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيئا وافتحت الخيول خلفه في البحر وجاميك ايل عليه السلام

قال في تفسيره ان الله تعالى لما خلق الانسان خلقه على صورة الانسان وكان عليه ثياب خضر وكان عليه خضر

خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا يا صحابكم حتى صاروا
كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فامر الله البحر
ان ياخذهم فالتظم عليهم وعزقهم اجمعين وكان بين طرقي البحر اربع
فراخ وهو بحر القلزم وهو طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر
يقال له اساق وكان غرقا لفرعون يراى من بني اسرائيل فذالك قوله **وانتم**
تنظرون يعني الى هلاككم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قد تم حتى نظروا
اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فضاء موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله
عز وجل **واذواعدنا من المواعدة** وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان
الله وعده لمجي الميقات **موسى** اسم عبري فهو بالعربية الماوشى هو الشجر سمي
موسى لانه اخذ من بين الجبال الشجر ثم قلبت الشجر سينا فسمى موسى **اربعين ليلة**
اي انقضا اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرين من ذي الحجة وقرن لنا ذبح
بالليل ذوز النهار لان شهر العربية وصنعت على سائر القمر وقيل لان الظلمة اقدم
من الضوء **ذكر العقدة** فذلك قال العلماء لما جئنا الله بنى اسرائيل من البحر وعرف
عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتمون اليها وعد الله موسى عليه السلام ان
ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاببت الى ميقات ربى لايتكم منه
بكتاب فيه بيان ما تأتونه وما تنذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم
اخاه هارون فلما اجابوا الوعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة
لايصيب شيئا الا جى ليدب موسى الى ميقات ربه فراه السامري وكان صابغا
اسمه ميتا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل ما جري وقيل كرمات وقيل
بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامر وكان منافقا يظن الاسلام وكان من قنوم
يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى مومنا قد قدم الفرس يخضر في الحال
فقال في نفسه ان لهذا سائنا وقيل راى جبريل حين دخل البحر قد ام فرعون
فقبض قبضة من تراب فرسه والتقى في روعه انه اذا التقى في شئ جى ولما ذهب
موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة واتر الله عليه التوراة في اللوح
وكانت اللوح من زبرجده وقربه بجيا واسمه صريرا لا قلام قيل انه بنى
اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد
استنقاروا حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بيلة عمر لم يهلك
فرعون وقومه بقى ذلك الحلى في ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلى
التي استعتموها من القبط غنية لا تحل لكم فاحرقوا حبيرة وادفنتوها فيها حتى يرجع

بلغ

موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امهم بذلك فلما اجتمعوا الى اخذها
السامري وصناعتها عجلا في ثلاثة ايام ثم التي فيها القبضة التي اخذها
من تراب جبريل فخرج عجلا من ذهب مصعقا للجواهر وخارجورة وقيل كان
يخمر ويمشى وقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فليكن الهكم ها هنا وخرج
يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد اخلعوا الوعد فعدوا اليوم مع الليله يومين
فلما مضى عشرين يوما ولم يرجع موسى وفغوا في الفتنة وقيل كان موسى
وعدهم ثلاثين ليلة ثم من يدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشرة
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل وسمعوا
قول السامري عكفت عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه وقيل عده كلم الا
هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا الصح فذلك قوله تعالى **ثم اخذتم العجل**
يعني الهام من بعده اي من بعد موسى **وانتم ظالمون** اي وانتم صارون لانفسكم
بالمعصية حيث وضعت العبادة في غير موضعها **ثم عفونا عنكم** اي تخوننا
ذنوبكم وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** اي من بعد عبادةكم العجل **لعلكم تشكرون**
اي لكي تشكروا عفوى عنكم وحنن ضيق اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها
وبصاها الكفر وهو نسيان النعمة ونسيانها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب
وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الشا على النعمة وشكر ساير الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استطاعتها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل
حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه السلام قال الهى انعمت على النعم
السوانع وامتنى بالشكر وانا شكرك اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى
تعلت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبيدى ان يعلم ان ما به من نعمة ففى منى وقالت
داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعبودية عن شكره شكرا كما جعل
اعترافه بالخروج من معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها
بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا تراها البتة وتزى
المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولتظرك بالمكافاة ولمن دونك
بالاحسان والافضال قوله عز وجل **واذا نينا موسى الكتاب** يعني التوراة
والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المرفق بين الخلائق
والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على العدو والواو على اصلها **لعلكم تتقون**
يعني بالتوراة **واذ قال موسى لقومه** يعني الذين عبادوا العجل **يا قوم انكم ظالمون**
انفسكم باخذكم العجل يعني الهام من بعده فكانهم قالوا ان يش تصنع قال فتوبوا

الى اباديكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال **فاقتلو انفسكم**
يعني ليقتل البرئ منكم المحرم قال قلت لتوبة عبادة عن الله على فعل البغيح والفرم
على ان لا يعود وهذا مغاير للقتل فكيف يحسن تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد
تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله
تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التائب من
الردة لا يقتل فكيف سمحوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرايع
فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التائب من الردة اما عاميا في حق الكل او خاصا في حق
الذين عبدوا العجل **فذلك خير لكم عند ربكم** يعني القتل وتحمل هذه المشقة لان الموت لا بد
منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحق وهو فيهم
الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من اجل حبهوته او مد طرفة الى قاتله واتقاه بحبدا
رجل فهو ملوم من ردة توبته واصلحت القوم لاجل جرح السيوف واقبلوا عليهم فكان
الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي
لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم سحابة سودا لا يبصر
بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسافة كلما كثرت القتل دعا موسى وهارون الله ويكيا
وتضرعا اليه وقالوا يا رب هلك بنو اسرائيل البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم
ان يكفوا عن القتل فانكشف عن السوف من القتل قال علي بن ابي طالب كان عدد القتلى
سبعين الفا فاستند ذلك على موسى فارحم الله اليه اما يرضيك ان تدخل القتل
والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه وذلك قوله **فاناب**
عليكم اي فعلتم ما امرتم فتجافون عنكم **انه هو التواب** اي الرجاء بالمعزة القابل للتوبة
الرحيم مخلصه قوله عز وجل **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك حتى نرى الله**
جملة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل امره ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعينه روز اليه
من عبادة العجل فاختر موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا ونظفوا
وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء ليقاتل ربه فقالوا لموسى اطلب
لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام ونفث الجبل كله
فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا
كل ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب
وسمعه يكلم موسى بكلمة وبها وسمعهم الله تعالى في انا الله لا اله الا انا فذكركم اخرجكم
من ارض مصر بدميد شديدة فاعيدوني ولا تقبلوا واعيدوني فلما فرغ موسى وانكشف الغمام قبل اليهم
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله حيا وانا قالوا اجعل قريبا لي تومم متوبهم ان المراد بالروية العلم

فاخذتكم الصاعقة قيل لي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون سرده اذ
لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سيات الموت
واختلفوا في ذلك السب فقيل ان ناظرين من العافا حرقهم وقيل جات صيحة
من السماء وقيل ارسل مجوسا من الملائكة فسمعوا بحسبهم فخر واصعقوا **وانتم تنظرون**
اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذ الموت فلما هلكوا جعل موسى بيته ويتضرع
ويقول الى ما ذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي ملكتنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناسد ربه حتى احياهم الله رجلا
بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله
تعالى **ثم بعثناكم** اي اجييناكم **من بعد موتكم** اي لنستوفى ابقية لجالكم وارثا فكم ولو
انهم كانوا قدامنا لانقضاء اجلهم لم يبعثوا الى يوم القيمة **لعلكم تشكرون** وقوله تعالى
وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حواشي الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه
شي يستريحون ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما يبصر فيقياسيهم
من الشمس وجعل لهم حموه امن نور يضي لهم بالليل اذ لم يكن لهم في التيه شيء
والسلوى هي في التيه والاكثر على ان السلوى التي تخرج من فم موسى كالصنم يقع على
الشجر طعمه كالشهد وقال وهب بن ميثاق الرقاق واصل المن هو ما يفي الله به من غير
نقب في عن سعيه بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وما وهما
سقا العين ومعنى الحديث ان الكفاة شيء انبت الله من غير سعي احد ولا مونة فهو ثمرة
التي اتي كان يتزل على بني اسرائيل وقوله وما وهما سقا للعين معناه ان يخلط مع الادوية
فينتفع به لانه يقطر ما وهما بحثا في العين وقيل ان قطيرة في العين ينفع لكن لو جمع
مخضروا وليس يوافق لكل وجمع في العين وكان هذا الذي يزل على اسفارهم في التيه
في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قلنا
هذا المن مجلاوة فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى
وهو طائر يشبه السماخا وقيل هو السماخا بعينه فكان الرجل منهم ياخذ ما
يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليو من لانه لم يكن
يتزل يوم السبت شيء **كلوا اي** وقلنا لهم **كلوا من طيبات اي** من حلالا **ما رزقناكم**
ولانه خروا لغد في الفوا وادخر واخذ ودود فسد فقطع الله عنهم ذلك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام
ولم يخبث اللحم ولولا حوامل تخزن النجس وجها لاله ما قوله لم يخبث اللحم لم يخبث
وما خلونا اي وما نجسوا حقنا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني ياخذهم اكثر مما

حد لهم فاستحقوا به لك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان يتولد عليهم
بلامونة ولا تعقب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله تعالى **واذ قلنا ادخلوا**
مله القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس بنى رجا قرية الجارين
وكان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العالفه ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا
يكون القابل يوشع بن نون لانه موالي في فتح ارجا بعد موت موسى لان موسى مات
في النيه وقيل في بيت المقدس فعلى هذا فيكون القابل موسى والمعنى اخرجتم
من النيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس **وكلوا منها حيث تشتم**
رغد اي موسى عليكم **وادخلوا الباب** ثم قال ان القرية ارجا قال ادخلوا اي
باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومنى قال ان القرية هي بيت المقدس
قال هو باب حطة **بحد** امحى خضعا متواضعا من كراكم ولم يربو به نفس السجود
وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امر واجبا لاستغفار وقال ابن عباس قتلوا
لا اله الا الله لانها محط الذنوب والخطايا على قدر مسيلتها حطة **تغفر لكم**
خطاياكم اي تترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة ستر الذنوب **وسريه**
المحسنة يعني ثوابا قبل اي يغفر الله **من ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي** قالوا
قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالخطية فقالوا بلنا هم خطا انا
ثمنا انا اي حطنا حمل وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطى لم الباب
ليخضعوا ورسولهم فابو ذلك ودخلوا حضا على استأهم فخالوا في الفعل كما خالفوا
في القول وبه لوع في عن امريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل لبي اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استأهم
وقالوا حطة في شدة **فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء** يعني عذابا من السماء قيل
امرسل الله عليهم طاعونا فملك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا
يعسفون اي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل **واذا استنقضى موسى**
لقومه اي طلبا لستيا لقومه وذلك انهم عطشوا في النيه فسالوا موسى ان يسقي
لهم ففعلوا وحملوا اليه كما قال **فصلنا** **اضرب بعصاك** وكان العصا من اس
لكنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبان يتعد ان في الظلة نور واسمها
عليق وقيل ثمره حملها آدم معه من الجنة فتوارثوها الانبياء حتى وصلت الى شعيب
فاعطاها موسى **الحجر** قال ذهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان في حجر
عيونا لكل سبط عثر وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا به ليل انه عرفه
بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خضيا مرعبا على قد راس الرجل كان موسى يصعبه

في محلة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة
وجوه في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان
من الكدان وهو الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه
ليغتسل فخر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامر بك ان ترفع هذا الحجر فاني قدرة
ذلك فيه معجزة فوضعه في محلة فلما سالوه السقيا قتل اضرب بعصاك
الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفع منه عيون الكل
سبط عين ليل اليهم في جدول وكان اذا امره حمله ضربه بعصاه فيذهب
الماء ويبس الحجر فله قوله **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** يعني على عدد
اسباط بني اسرائيل والمعنى وضربه فانفجرت وانفجرت بمعنى واحد وقيل انجرت
اي عرقت وانفجرت سالت **قد علم كل اناس** اي موضع شربهم لا يدخل سبطا
مع غيره **كلوا واشربوا اي** قلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني من السلوى
والا فمذاكله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة **ولا تصنوا في الارض**
مفسدين من العيث اسد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام
حيث انفجرت من الحجر الصغير ما روي منه اجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصبعيه فروى منه اجمع الكثير لان
انفجار الماء من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى **واذ قلتم**
يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم ساءوا من المن والسلوى وملوه
فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان
قلت بما طعاما كان قناله لم قالوا على طعام واحد قلت اراد بالواحد ما لا يختلف
ولا يستبدل ولو كان على ما يذوقه الرجل عدة الوارد ادم عليها في كل يوم لا يبدلها
كانت بمنزلة الطعام الواحد **فادع لنا ربك** اي فسل لنا ربك **يخرج لنا مما تنبت**
الارض من ثمرها وكثايبها وفومها قال ابن عباس لغوم الخبز وقيل هو الحنطة
وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية
الشهوة اولاهم ملوا من البقا في النيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في
البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني موسى استدلون
الذي ملوا في اي الذي ملوا خسر واردي موالي الذي طلبوا بالذي ملوا خير يعني بالذي
ملوا شرف وافضل وهو ما ملوا فيه امس بطوا مصر اي فاني ابيتم الا ذلك فالتوا مصر
من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول الثوب عليه كدخوله
على نوح ولوط والغول هو الاول فان لكم ما سألتم يعني من نبات الارض وضربت

عليهم **الذلة** اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزمو الذل
والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانهم لم يكن ضربت عليهم الجزية
قبل **المسكنة** اي الفقر والعاقبة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعدته
عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنيا يسير كما هم فقرا فلا ترى احدا من اهل الله
اذ لا ولا حرص على المال من اليهود **وباؤ** اي رجعوا ولا يقال تابوا الا بشر **بغضب من**
الله وغضب الله زيادة الانتقام من عصاه **ذلك** اي الغضب **بانهم كانوا يكرهون**
بايات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التوراة ويكرهون الاجل
والفرقان **ويقتلون النبيين** النفي معناه المحر من انبا يذبحي وقيل هو بمعنى الرفيع
ما خوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اي بغير حرم فان قلت قتل الانبياء يكون
الابغراق فما قايده ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقيل بوصف تارة بالحق
وهو امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدو وان فهو قوله قتل باحكم بالحق فالحق
وصف الحكم لان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتل سبعين نبيا في اول
النهارة وقامت الى سوق ففعلوا في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وسعيا وغيرهم من الانبياء
ذلك باعصوا اي ذلك اكلت والكفر باعصوا امرى **وكانوا يخفون** اي يخافون
امرهم ويرتكبون محارمي قوله عز وجل **ان الذين امنوا والذين هادوا** وايضا اليهود سمو
به ذلك لقولهم انا مديننا اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل
انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى **والنصارى** سموا به ذلك لقول الحواريين نحن انصار
الله وقيل لا عزرايم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها **والصايبين**
اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا به ذلك بخروجهم من الدين قال عمر
وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وقال ابن عباس
لا تحل ذبايحهم ومن تحتهم وقيل هم قوم من اليهود والنصارى يجعلون واسط
روسهم وقيل هم قوم يقرن بالله ويقرن بالزبور ويعبدون الملائكة ويعملون الى
الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم
يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وحقق الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها
وتعظيمها وانما هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله تعالى هذه الطوائف قال
من امن بالله واليوم الآخر فان قلت كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا وقال
في اخرها من امن بالله فما فائدة التعميم او لا ثم التحصيل خرافة قلت اختلف
العلماء في حكم الاية فلم فيه طريقتان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق
ثم اختلفوا فيهم فقتلهم الذين في زمن الفترة ومنهم طلاب الدين مثل جيب الجار وقس

ابن ساعده وورقة بن نوفل وجبريل الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فنهى
من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتاب بعد و منهم من لم يدركه فكانه تعالى قال
ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل
المبدل من اليهود والنصارى من امن منهم بالله واليوم الآخر ومحمد صلى الله عليه وسلم
فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المومنون من الامم الماضية وقيل هم المومنون
من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى
الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصايبين يعني في زمن استقامة امرهم من امن
منهم ومات وهو مومن لا حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا
ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هم على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين
امنوا بالانبياء الماضية ولم يومنوا بك وقيل هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم
ولم يومنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصايبين فكانه تعالى يقول هؤلاء المبطلون
كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار مومنا عنده وقيل ان المراد من قوله تعالى ان
الذين امنوا يعني محمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وتنبوا على ذلك
في المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله واليوم الآخر **وعمل صالحا** اي في ايامه
فلهم اجرهم عند ربهم اي جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي في الآخرة
قوله تعالى **واذا اخذنا ميثاقكم** اي عهدكم يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور**
يعني الجبل العظيم قال ابن عباس مر الله جبلا من جبال فلسطين فاقطع من امته حتى قام
على رؤوسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا
بحكامها فاجابوا ان يقبلوها لما فيها من الاعمار يعني الانتقال والتكاليف الشاقة
امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقطع جبلا على قدم عسكرهم وكان قدره فرسخا
في فرسخ فرقة فوق رؤوسهم قد قامت كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة
والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اي وقلنا لهم خذوا **اما اتقواكم** اي ما اعطاكم
بقوة اي بجهد واجتهاد **واذكر ما فيه** اي ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اي لكي تتجوا
من الملاك في الدنيا والعذاب في العقبى والارض تحت رؤوسكم بهذه الجبل فلما راوا ان
ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وحملوا بلا حطون الجبل وبهم سجود فصار ذلك سنة
في سجود اليهود لا يسجدون الا على اصفاف وجوههم ويقولون بعد السجود رفع
عنا العذاب ثم **توقيتهم** اي اعزتهم من بعد ذلك اي من بعد ما قبلتم التوراة
فلولا فضل الله عليكم ورحمته اي بالامهال لكم من الحاسر من اى العيون الذين
به هاجب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم**

اي جاوز والحد في السبت يقال سبت اليهود لانهم يعطونه ويقطعون فيه اعمالهم
واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى العفة قال العلماء بالاجاز انهم كانوا قديمين
داود عليه السلام بقرية بار من ايلة ورحم الله عليهم صيد السمك يوم السبت
فكان اذا دخل السبت لم يبق جوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يري لها من كثرتها
فاذا مضى السبت تفرقتا بحيتان ولزم من فسر البحر في ذلك قوله تعالى ذواتهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستنزلون عليهم نورا الا انهم لم يقولوا وقال لهم انما
منيتهم عن اخذها يوم السبت ولم تنتهوا عن اخذها في غيره فعد رجال منهم فخرروا
حياتا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انفا فاذا كانت عتية الجمعة فتحوا
تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيغصن فيها ولا يقدر
على الخروج منها لعمري فاذا كان يوم الاحد حذوها وقيل انهم كانوا يصيدون
الشعوص والحياض يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمنا
ولم يتركهم عقوبة فخرروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاخذوا
ومحوا واكلا وابعوا وانروا فلما فعل ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف
وكانوا يحسبون انهم صنف مسك عن الصيد ونمى عن الاصطياد وصنف مسك
ولم يصبه وصنف انهم كانوا في الذنب وهتكوا الحرمه وكان الصنف الناهون اثني عشر
الف فلما اتيهم بوز قبول يصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة ففسموا
القرية بينهم بحدار فصار على ذلك ستين شرا لعمري داود وعصبي الله عليهم
لا صارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين
احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطوا السور واعلهم الجدار فاذا هم جميعا فردة لم اذا تاب
وهم يتعاونون وقيل صار الشباب فردة والشيخ خازنهم فكانوا ثلاثة ايام ثم هلكوا
ولم يمكث مسيخ فوق ثلاث ولم يتوالد وقال الله تعالى **فقلنا لهم كونوا فرقة خالين**
امر محو بل وتكون من معنى خالين بعد من طردوا وقيل فيه تقديرهم وتأخير تقديره
كونوا خالين فردة ولما لم يقل خالين **فجعلناهم** يعني عقوبتهم بالمسيخ **فكالا** اي
عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معنى عقوبة قرية اصحاب السبت
عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها
من القرى لتتفطوا بذلك وموقوفه تعالى **وموعظة للمنتفيين** اي المؤمنين من امة
محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى **واذ قال موسى لقومه**
ان الله يامركم ان تذبوا بقرة واحدة البقرة وهي الانثى واصلاها البقر
وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى العفة في ذلك

قال علماء السير والاحبار انه كان رجل غني في بني اسرائيل وله ابن عمر فقير لا وارث
له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاء على بابها ثم
اصبح يطلب ثاره وجا بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فحذوا واشتباه امر
القتيل على موسى فسأل موسى ربه في ذلك فامر به بقره وامره ان يضربه ببعضها
فقال لهم ان الله يامركم ان تذبوا بقرة **قالوا فخذناها** اي نحن نسالك عن امر القتل
وانت تستمري بنا وتامرنا بذب بقره اي وانما قالوا ذلك ليعلم ما بين الامرين في الظاهر
ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه **قال** يعني موسى **اعوذ بالله** اي امتنع بالله **ان اكون**
من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالحجاب لاعلى في السؤال
فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولما لم يردوا اليها بقره
كانت قد جوهها لاجرات عنهم ولكن شددوا فشدوا الله عليهم وكان في ذلك حكمة منه
عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طغر وله عجلة فاتيها بغنيضة
وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت
العجلة في الغنيضة عونا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه
وكان يقسم ليله ثلاثة اجزا يصلي ثلثا وييام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا
اصبح انطلق فيحطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شا الله فينصه قنبلته وباكل ثلثه
ويعطى امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله
في غنيضة كه انا نطق فادع الله ابراهيم واسماعيل واسحق ان يرد ما عليك وعلامتها
انك اذا نظرت اليها يجيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذبذبة
لحسنها وصغر ثقلها فاتي الغني الغنيضة فراها ترعى مضاح بها وقال ما عزم عليك
باله ابراهيم واسماعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قريتها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الغني البار امة اركبي فانه مومن
عليك فقال الغني اني لم تامر في مبدلك فقال البقرة والله لو كنتي ما كنت
تقدم علي ابد انا نطق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من امله لانقلع ليرك بامله فساد
الغني بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك وشوق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق ببيع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير
ولا تبع بغير مشورتني وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الغني الى السوق وبعث
الله تعالى ملكا ليرى خلقه قد مرته ولتخبر الغني كيف بره بامه ومواعظ فقال له الملك
بكم مده البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك انك سبته
دنانير ولا تستامر امك فقال له الغني لو اعطيتني فذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع

الفتى الى امه فاحبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعتها الا برضاي
فرجع لها الى السوق واتى الملك فقال استامرت امك قال الفتى نعم انها امرتني ان لا تبعتها
من ستة على مئذها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر ديناراً ولا تستامرها فاتي
الفتى ورجع الى امه فاحبرها بذلك فقالت له امه ان الذي ياتي بك ملك في صورة ادمي
ليختبرك فاذا اتاك فقتله اقامنا ان يبيع هذه البقرة ام لا تفعل فقال له الملك اذهب
الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فلان موسى بن عمران يشترها منك لقتيل قتل في بني
اسرايل ولا يبيعها الا بملي مسكها ذهباً والمسك الجيد فامسكها وقدر الله تعالى على بني
اسرايل ذبح البقرة بعينها فمات الواسق ومنوز البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها
مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلاً من الله ورحمة ذلك قوله تعالى **قالوا مع لنا**
ربك يبيع لنا ما نرى لا كبره ولا صغيره والفاضل المسنة التي لا تله والبك القنية التي لم تله
عوانى نصف بين ذلك اي بين الشئين فافعلوا ما نؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثر وا
السؤال قالوا دعو لنا ربك يبيع لنا ما لوها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السود والاولا محلاة
يقال صفراء فاقع واسود حاله **فسر الناظر** اي يحجبهم صحتها وصفها لونها **قالوا دعو**
لنا ربك يبيع لنا ما نرى اي اسامة هي ام عاملة ان لا تفرقنا به علينا اي البقر واشتبه
امرنا علينا واننا ان شاء الله لم نندرز اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخره قال انه يقول انها بقرة لاذ لوك
اي ليست مدلة بالعل تشير الارض تغلبها للزراعة **ولا تفسد الحوت** اي ليست بساقية
والساقية هي التي تستقي الماء من البئر تستقي الارض **مسئلة** اي برية من العيوب **لا شة فيها**
اي لا لون فيها غير لونها **قالوا الان جيت باخو اي بالبيان النام الذي لا اشكال فيه فطلبوا**
فلم يجدوا بقرة بكمال صفها الا بقرة ذلك الفتى فاشترها منه بملي مسكها ذهباً
ففرجوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قبل الغلام منها
وقيل خوف المضيق وقيل لغرة وجودها بهذه الاوصاف جميعاً قوله عز وجل
واذ قلتم نفساً خوطبت جماعة به ذلك لوجوب القتل فيهم فادارتم فيها قال ابن عباس
اي اختلفتم واختصتم من الله رزقاً وموالدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضاً **والله**
خرج ما كنتم تكتمون اي ظهر ما كنتم من امر القتل لا محالة فلا يتركه مكتوماً **فقلنا**
اضربوه يعني القتل ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي القمرف
وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بجمل الذنب وقيل بجذعها اليمنى والاقرن

انهم كانوا مخبرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوا باي جزء منها اجزاء وحصل
المقصود وانما ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير
وفي الآية اشارة تقديره فضره فحى وقام باذنه واوداجه شجب دماً وقالت
قتلتى فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتاً كما نه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث
قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك اي كما احيا الله حامل صاحب البقرة بحى الله الموتي**
يعني يوم القيمة **وبربكم اياته لعلمكم تفعلون** اي تمنعون انفسكم عن المعاصي
فان قلت كان حق هذه الفتنة ان يقدم ذكر القتل ولا يردح البقرة بعد
ذلك فما وجه ترتيب هذه الفتنة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى
لما ذكر من قصص بني اسرايل وما وجد من خباياهم تزيها لهم على ذلك وما
وجد فيهم من الايات العظيمة وما تان فضتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من
التقريع واذا كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فاولى التقريع على ترك
المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة
فلو قدم ذكر قصصة القتل على قصصة الذبح لكانت فتنة واحدة ولذهب لغرض
من تشية التقريع فلما قدم ذكر الذبح اولاً ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة
ضرب القتل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء
قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة او كد وعن الحيلة ابرداً لاحتما ان يتوهم متوهم ان
موسى لما احياه بضرب من السم او الحيلة فاذا احيا القتل عند ما ضرب ببعض البقرة
وبما فعلوه بهم انتفت السبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامه كان ذلك فان قلت
هلا امروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كاللحم في البقرة
ثم في ذبح البقرة فوايد منها التقرب بالقربات على ما كانت العادة جارية عندهم
ومنها ان القران كان عندهم من اعظم القرايين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيل
بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها في ثمنها **فصل**
في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع
ولا يعرف قاتله فان كان ثمر لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن
صدق المدعى بان اجتمع جماعة في بيت او صحوا ثم فرقوا عن قتيل فيغلب على الظن
ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعدا القتل لا يخالطهم غيرهم
فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف حسين بينا على من يدعى عليه
وان كان الاوليا جماعة توزع الايمان عليهم فاذا اختلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه
ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين

وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب لقود و به قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث
فالقول قول المدعي عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف بينا ام حنيفة
بيناه قولان احدهما انه يحلف بينا واحدة كما في سائر الروايات والثاني
يحلف حنين بينا تغليظ الامر القليل وعند ابي حنيفة لاحكم للوث ولا يبدأ
بيمين المدعي بل اذا وجد قتيلا في محلة يجتاز الامام حنين من جلائل من اهلها
فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا والاخذ اليه من سكانها
والدليل على ان البينة بيمين المدعي عنه وجود اللوث نادى عن سهل بن ابي حنيفة
قال انطلق عنه الله بن سهل ومحيصة وحوبيصة بن مسعود الى جابر بن عبد الله بن مسعود
صلح ففرقا فاني محبيصة الى عبد الله بن سهل وموييل حتى في ذمة قتيلا
فدفعه ثمرة من المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحوبيصة
ابن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبركبر ومواحدت لقوم سنا فسكت فتكلم فقال لحنون
وتتحققن قالكم اوقال صاحبكم قالوا كيف تخلف ولم تشهد ولم تر قال
فتبريكهم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار ففعل النبي
صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع
برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يظلم منه قوله
بماية من بل الصدقة اخرجاه في الصحيحين والدليل من هذا الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابد تكون لمن
يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعي عليه من حيث ان الاصل
براة ذمته فكان القول بقوله بيمينه والله اعلم قوله تعالى **سَمِعْتُمْ قُلُوبَكُمْ** اي بليت
وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت
من بعد ذلك اي من بعد ظهور الدلائل التي جالها موسى وقيل مواساة الى
احياء القتيلا بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدّة **كالحجارة**
اي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه **او قيل** او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي
واشد فتوة فان قلت لم يشبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد
ومواساة من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للثأر وقد لا يلد او دا
عليه السلام والحجارة ليست قابلة للثأر فلا تلين فلفظ ثم فضل الحجارة على القلب
القاسي فقال **وان من الحجارة لم يتغير منه الا انها** وقيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد
به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى لستى الاسباط والتغير التغير بالسعة والكثرة **وان**

منها لما يشق فيخرج منه الماء يعني العيون الصغار التي يدور الانهار
وان منها لما يهبط من خشية الله اي ينزل من اعلا الى اسفل وخشيته
عبارة عن اتقياد ما لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود
لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جامد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت
ان الله تعالى قاد رعلى افعالهم الحجر والجماد لا يعقل ويخشى بالهام لها ومذهب
اهل السنة ان الله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره
فلهام صلاة وتسمع وخشية يد له عليه قوله تعالى وان من شيء الا ليس بحجرة
وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المؤمن الايمان
به ولكل علم الى الله تعالى **عن جابر بن سرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لا اعرف حجرا بمكة كان يسلم على علي قبل ان يبعث واني لا اعرفه الان عن علي رضي الله
تعالى عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجني
الترمذي وقال حديث غريب **عن جابر بن عبد الله** قال كان في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم جذع في قتلته يقول اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجدع مثل اصوات العشار حتى نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاححت النحلة
صباح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها وضماها اليه فحلفت
تنبأ نبي الصبي الذي يسكت حتى استغثت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر
قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلا الى اسفل الا من خشية الله وذلك ليشهد لما
قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتقديد والمعنى ان الله
بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لا عمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة
قوله عز وجل **اقطعهم** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي اعطى
الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى اقطعهم افرجوا
ان يومئذ اي ينفذ فيكم اليهود بما تجزونههم وقيل معناه اقطعهم لان يومئذ
لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من ذلك
وظهور المعجزات على يده **وقد كان قريش منهم يسمون كلام الله** قتل المراد
بالقريش الذين كانوا مع موسى يوم القيامة ومنهم الذين سمعوا كلام الله تعالى
وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الصغار

راجع اليهم في اقتطعون ان يومنا لكم فعلى هذا يكون معنى لسمعون كلام الله
ثم يرفقونه اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفرق الذين يسمعون كلام الله
بالفرق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها تزلت في السبعين
الذين اختارهم موسى ليقادروا وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعثوا سمعوا
كلام الله اما الصادقون منهم قالوا نعم ادعوا كما سمعوا وقالوا طاعة منهم
سمعنا الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا فكان هذا تخريفهم ومن فسر الفرق الذين كانوا يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تخريفهم وتبدلهم
صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم من التوراة **من بعد ما عقلوه**
اي علموا صحة كلام الله تعالى وماراه فيه ثم مع ذلك خالفوه **وهم يعلمون**
اي فساد مخالفتهم ويعلمون ايضا الحزم كاذبون قوله تعالى **واذا لقوا الذين**
امنوا تزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم **امنا**
بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانما نجد نغته وصفته في كتابنا
واذا خلا بعضهم الى بعض يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وميثم بن يهوذا
وروسا اليهود لا مؤامرا فقي اليهود على ذلك **قالوا اتحدتم بما فتح الله عليكم**
يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله
صدق **بما جئكم به** اي ليخاطبكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا
عليكم بيقولكم فيقولون لكم قد اقرتم انه نبي حق في كتابكم لا تتبعونه
وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لا رعبهم بعضا وقالوا اتحدتم بما فتح
الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة وقيل هم
يهود بني قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان
القرية والخنازير قالوا من اخبر محمد بهذا هذا ما خارج الاممكم وقيل ان اليهود
اخبروا المؤمنين بما عندهم الله به على الجانيات فقال بعضهم لبعض اتحدتم
بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم **عند ربكم فلا تفعلوا**
اي ان ذلك لا يليق بما اقم عليه **ولا يعلمون** يعني اليهود ان الله يعلم ما يسرون
اي ما يخفون **وما يعلمون** اي ما يبذرون وما يظهرون وقوله عز وجل **ومنهم اميون**
اي من اليهود **لا يعلمون الكتاب** اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع اي وهو

الذين يسمعون كلام الله
والذين يغيرون كلام الله

ان

المنسوب

المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل عليه من الام لم يتعلم كتابته ولا قراءة
الا ما في جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر **تمني كتاب الله اول ليلة**
تمني داود الزبور على راسه اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين
بمقاييس كتاب الله تعالى وقيل الاما في الاحاديث الكاذبة المختلفة وهي الاشياء التي
كتبها علماء وهم من عند انفسهم واصنافوها الى الله وذلك من تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن نمسنا
النار الا باياتنا معه ودة وغير ذلك مما تمثوه فعلى هذه يكون المعنى لا يعلمون الكتاب
لكن يتمنون شيئا لا يحصل لهم **وانهم لا يظنون** اي ليسوا على يقين **فويل الويل**
كلمة تقولها العرب لكل من وقع فيهلكة واصطلمها في اللغة العذاب والهلاك
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابن سعيده الحذري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الويل لاد في جهنم يهودي فيه الكافر اربعين خيرا قبل ان
يبلغ قعره اخرج الترمذي وقال حديث غريب اخبرني سنة **لذين يكتبون**
الكتاب بايديهم تأكيد للكتابة لانه يحتمل ان يامره غيره بان يكتب فقال بايديهم
لتنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رسا اليهود
خافوا على ما كلمهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
فاحتالوا في تقويق سفلتهم عن الايمان به فعدوا الى صفته في التورية فغيروها
وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر الحبل العين مربعة فغيروا ذلك
وكتبوا مكانه طوال ازرقي العين سبط الشعر فكان اذا سألهم سفلتهم عن صفته
قرروا عليهم ما كتبوا **ثم يقولون هذا من عند الله** يعني هذه الصفة التي كتبوها
فاذا نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة فجدونه مخالفا فكدوا
به ويقولون انه ليس به **ليشتهروا به** اي بما كتبوا **ثم اقليل** اي الما كل الرشا التي
كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما**
يكسبون قوله تعالى **وقالوا اي اليهود لن نمسنا** اي لن نصيبنا **النار الا باياتنا**
معه ودة اي قدر مقدرا ثم يروا عذاب العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما تقرب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عذاب
العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عذبوا
فيها العجل وقيل ان اليهود من عموال الله عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين
يوما تحلة القسم فقال الله ردنا عليهم وتكذبنا لم **قل اي يا محمد قل لليهود اتحدتم**
عند الله عهدا يعني موثقا لا يجذبكم الامدة المنة **فلن يخلف الله عهدا** اي عهدا

ذهابهم

ام تقولون على الله ما لا تعلمون بل اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا
النار من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة
والسيئة منا الشرك في قول بن عباس واحاطت به خطيئته الى حد قاتل به من جميع
جوانبه قال بن عباس هو الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به ايا ملكته
خطيئته واحاطت ثواب طاعته فعلى من هبل هل السعة يتعين تفسير السيئة
والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت
العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم
الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تذكيرا قلت احبب بعضهم
بأن الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا انه قوله امن لا يفيد الا انه
فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات
وقيل ان قوله امنوا يفيد الماتى وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال
امنوا ولا تشركوا ومواهم عليه اخر ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذا اخذنا من مثاقب بني اسرائيل في التوراة واليثاق
العهد الشديد لا تنقبذوا الا الله اي امره تعالى بعبادته فيه خلخلة النبي عن عبادة
غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالله الذي احسانا اي براهما ورحمة
وتزول عنده امرهما فيما لا يخالف امره تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيها
الاستقوان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان لهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما
الى الايمان بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالد على امر بعبادته لان شكر
المنعم واجب وربه على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم
فيجب تقدير شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانما الشب في كون
الولد وجوده ثم ان لما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما فانما ذى القربى اي القرابة
لان حق القرابة تابع بحق الوالد والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالد فلهذا عطف
القرابة على الوالد واليتامى جمع يتيم وهو الذي ماتت ابوه وهو طفل فاذا بلغ اكمل زال عنه
اليتيم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره وبيته وخلوه عن مقوم بمصلحة
اذ لا يقدر هو ان يتقن بنفسه ولا يقوم بحوائج المساكين جمع مسكين وسياقي بيانه ان شاء الله
تعالى ولما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان يتقن بنفسه ويتقن غيره
بخدمته وقول للناس حسنا فيه وجهان احدهما ان الخطاب للحاضر من اليهود في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا اعدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا لعلنا نصدق قاضي شان محمد

صلى الله عليه وسلم فمن سالمكم عنده فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا قوله ابن عباس
الوجه الثاني ان الخطاب يبين بهم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم ليثاق وانما
عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات لقوله حتى اذا كنتم في الغلظت جنتهم
وقتل فيه حذف تقديره وقتلنا لهم في ليثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم
بالمعروف وانهم عن المنكر وقيل هو الذين في القول والعشرة وحسن الخلق واقتنوا
الصلاة والى الزكاة ولما امرهم الله بهذه التكاليف لتكون المنزلة عنده بما التزموا به
اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليهم اي عرضتم عن العهد الا قليلا منهم
يعني من الذين امنوا منهم كعبه بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم مغضوبون
اي كاعراض اياكم قوله تعالى واذا اخذنا من مثاقبكم قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم من اليهود وقيل خطاب لابائهم وفيه تفرع لم لا تستغفرون اي لا تترقبون
دماء اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تستغفروا عما غيركم فتستغفروا عما
فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا
من دياره وقيل لا تغفلوا شيئا تخرجوا به انفسكم من دياركم ثم اقرهم اي بهذا العهد انه
حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على انكم انتم هو لا
يعني يا هؤلاء اليهود فتصلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون قريبتكم من
ديارهم اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تطاهر من عليهم بالاثم والعهد وان اي تتفاوتوا
عليهم بالعصية والظلم وان يا توكم اسارى جمع اسير تغدوهم اي بالمال وما استغادهم
بالشر او قري تغادوهم اي تهادلهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله
تعالى اخذ على بني اسرائيل في التولية ان لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم
بعضا من ديارهم واما عبدا وامة من بني اسرائيل فجدتوه فاستدروهم باقام من مثمه
واعنتوه وكانت قريظة حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج وكان بين الاوس
والخزرج حروب فكانت بنوا النضير تقابل مع حلفائهم وبنوا قريظة تقابل مع
حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين خرجوا من ديارهم واخربوها وكان اذا سر رجل
من الفريقين جمعوا اليه ما لا يقدرون به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم
تقدروهم فقالوا انا امرنا ان نقتلهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان نستل
حلفائنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هولاء تقاتلون انفسكم وفي الآية تنبيه وتأخيه
تقديره وتخرجون قريبتكم من ديارهم تطاهر من عليهم بالاثم والعهد وان وهو محرم
عليكم اخراجهم وان يا توكم اسارى تغدوهم وكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عقود
ترك القتل وترك الاخراج وترك الظلم مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا

القد قال الله تعالى **اقوم من بينكم من يكتب الكتاب وتكفرون ببعض معناه** ان وجدتموه
 في يد غيركم قد يمتوهم وانتم تقولونهم فكان ايمانهم القدا وكفرهم قتل بعضهم بعضا
 قد هم على منافقة افعلهم لا على القدا لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض
فما جاز من فصل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود **الاخرى في الحياة الدنيا** اي عذاب
 وموان كان خري بني قريظة القتل والسبي وخري بني النضير الاجلا والبقى من
 منازلهم الى ارجاء اذ عاقبتهم من ارض الشام **ويوم القيمة** يردون الى الله العذاب يعني عذاب
 النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وثمد يد عظيم **اولئك الذين اشتروا الحياة**
الدنيا بالآخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن قل استعمل بتخصيص لذات
 الدنيا فانته لذات الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يبرز عليهم ولا هم ينصرون
 اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل **ولقد اتينا اي اعطينا موسى**
الكتاب يعني التوراة جملة واحدة **وقعتنا اي والبعثنا من التعمية** وموان يقفون
 اثر الاخر من بعده اي من بعد موسى **بالرسل** يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل
 من بعد موسى الى من عيسى عليه السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والسرقة
 واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واسموييل وداود وسليمان وارسل
 وحوقيل والياح ويوشع وذكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة
 موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير احكام التوراة
 فذلك قوله تعالى **واتينا عيسى بن مريم بالبينات** اي الدلائل الواضحات والى المعجزات
 من احيا الموتى وابرأ الاعمى والابرص وقيل لي الانجيل واسم عيسى بالسرانية اتيهوع
 ومريم بمعنى الخادم وايدناه اي وقويناه **روح القدس** قيل اراد بالروح الذي نطق فيه
 والقدس هو الله تعالى واصناف روح عيسى اليه تشريفا وتكراما وتخصيصا له كما تقول
 عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم
 الذي كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه به حياة القلوب سماه روحا
 كما سمي القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
 ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل
 روحا للطهارة لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي روحا لكانه من الوحي
 الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى
 قال وايدناه اي قويناه يحيى ربه وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه
 حيث سار فلم يفارقه حتى ظهرت به الى السماء فلما سمعت اليهودية ذكر عيسى قالوا يا محمد
 لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما نقص علينا من اخبار الانبياء فقلت فاتينا بما اتى به عيسى

ان كنت صادقا قال الله تعالى **افكلما جاكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا يخفى**
انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به **فقرينا كذبتهم** يعني مثل عيسى ومحمد
 صلى الله عليه وسلم **وقريفا تقتلون** يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك
 ان اليهود كانوا اذا جاز رسولهم لا يهتدون كذبوه فان تنبأ لهم قتلوه وانما كانوا كذلك
 لارادتهم الدنيا وطلب الدنيا لرياسة فيها **وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلفت** جمع غلغلت وهو
 الذي عليه غشاوة فلا يبي ولا ينفق وقال ابن عباس غلفت بضم اللام جمع غلغلت
 والمعنى ان قلوبنا او عيتة للعلم فلا تحتاج الى علم وقيل او عيتة من الوحي لا تسع حديثا
 الا وعته الاحديثك فالقلا لانيق ولا تقتله ولو كان خيرا لفرمته ووعته قال الله تعالى
بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوته
 محمد صلى الله عليه وسلم ثم انكروه وحججوه فلهذا لعنهم الله **فقليل ما يؤمنون** اي لم
 يؤمن منهم الا قليلا لان من امن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى **ولما جاءهم كتاب**
من عند الله يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة وهذا المقصد يقحجة في نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة **وقا يعني اليهود**
من قبل اي من قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم **السيخفخون** اي يستخفون **وعلى الذين**
كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا اخبرهم امر او هم عدو يقولون اللهم انصرنا
 عليهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي بحجج صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا
 يقولون لا عدو لهم من المشركين قد اظهر زمان يخرج فيه نبي بقصد توما قلنا فقتلهم معه
 قتل عاد وارم فلما جاءهم **ما عرفتوا اي الذي عرفوا يعني محمد صلى الله عليه وسلم**
 عرفوا نفعه وصفته وانه من غير بني اسرائيل **كفروا به اي** حججوه وانكروه بغير وجه
فلعن الله على الكافرين ليس ما استروا به انفسهم اي ليس شيئا الذي اختاروا ولا انفسهم
 حين استبدلوا الباطل بالحق واستروا بمعنى باعوا والمعنى ليس ما باعوا به خطا انفسهم
اي يكفروا بما انزل الله يعني القرآن بغير اي حسدا **اي دين لا من فضل** يعني الكتاب والنبوة
على من يشاء من عباده يعني محمد صلى الله عليه وسلم **فيا واي فرجعوا** **بغضب على غضب**
 اي مع غضب قال ابن عباس الغضب لا يقتضي عدا التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وللكافرين يعني الجاحدين بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم **من الناس عذاب من عذاب**
 فيه واذا قيل لهم **امنوا بما انزل الله يعني بالقرآن** وقيل بكلام الله قالوا **انؤمن بما**
انزل علينا يعني التوراة وما انزل على انبيائهم ويكفرون بها **وايه اي بما سواه من الكتب**

وقيل لما بعده يعني الانجيل والفرقان وهو الحق يعني القرآن مصداقاً لما معهم يعني
التوراة قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين من اليهود
وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا علمت المعصية في الارض فمنكرها
وانكرها برى منها ومن رضى عنها كان من اهلها ان كنتم مومنين اي بالتوراة وقد نبيتم فيها
عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالادلة الواضحة والمخبرات
الباهرة ثم اخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميتات وانتم ظالمون لما كره
تبيكتهم وتاكيد التبعة عليهم واذ اخذنا منكم ورضنا فوقكم الطور خذوا ما اتيكم بقوله
واسمعوا اي استجبوا واطيعوا فيما امرت به قالوا سمعنا اي قولك وعصينا يعني امرنا
قيل انهم لم يقولوا هذا بالستهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعبث ان نسب ذلك اليهم
واشربوا في قلوبهم العجل يكفرهم اي قد اخرجهم في قلوبهم والحرم على عبادة كناية عن الصنع
في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذره في النار وامرهم ان يشربوا منه فمن شرب
في قلبه شئ من جبال العجل ظهرت سخالة الذهب على شاربه قل ليس ما يامرهم به ايمانكم ان كنتم
مومنين اي بزمعكم وذلك انهم قالوا لو مننا انزل علينا فذكرهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان
كانت لكم اله الاخره عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعوى باطلة
منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان مؤمناً فكم نحن ابناء الله واجباؤه فذكرهم الله والزمهم
الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم اله الاخره يعني الحجة خالصة اي خالصة لكم
من دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة كارهه وانها له من الهنا
ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم
روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغض كل انسان برقيقه ومنا
بقي على وجه الارض من يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يمتنوه اية اي يعلمهم انهم في دعواهم
كاذبين باقمت ايدىهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف الى اليد لان كونه جانيات لانها
تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتمديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعلم من
الكنز لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا اولي به ولجندهم الامر
للقسم والنزول للتوكيد وتقديره والله ليجندهم يا محمد يعني اليهود احرم الناس على حياة
اي حياة متطاولة والحرم اشده الطلب ومن الذي اشرى كوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف
عليه والمعنى واحرم من الذين اشرى كوا فان قلت الذين اشرى كوا قد دخلوا تحت الناس في قوله
احرم الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردتهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم
اليهود لانهم لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الحياة الدنيا لا يستبعدون حرصهم عليها
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مترب بالبعث والجزا كان حقيقاً بالتوبيخ العظيم

وقيل ان الواو واواستيف تقديره من الذين اشرى كوا اناس يهود احدمهم يعني المجوس
سموا به لك لانهم يقولون بالثور والظلمة يهود اي يعني احدمهم لوبع الفضة اي تمير
الفضة وانما خص الالف لانها نهاية الصفوة وقيل لانها حجة المجوس فيما بينهم بقرابة
هذه الارسال اي عشر الف سنة والافنبروز والاف مهران فذه تحتهم والمعنى ان
اليهود احدمهم من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمنزلة خروجه اي مبعده من العدة الى النار
ان يجترأ لوعمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية
من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سب نزول هذه الآية ان عبد الله
ابن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال
جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لا مئابل ان جبريل يزل بالعذاب والشدة والحلف
وانه عدا لنا اراواشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سخر على يد
رجل يقال له البخت يضر فلما كان وقت بعثنا من يقتله فلقبه بئابل غلاما مسكينا
فاخذه ليقتله فدفن عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم قلن بسلط عليه وان لم يكن
هو فقل اي حتى تقتله فلما اكبر ذلك الغلام وقوي غرانا وخرب بيت المقدس فلهذا اتخذ
عدوا فانزل الله هذه وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذنا
وقيل ان عمر الخطاب كان له ارض باعلا المدينة وكان عمر اليها على مدار من اليهود فكان
يجلس اليهم ويبيع كلامهم فقاتلوا يوما ما في اصحاب محمد احب اليهم منك وانما قطع فيك
فقال عمر والله ما آتيتكم بحكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لانه بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وسلم واري ما ناره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من
الملائكة قال جبريل قال ذلك عدونا بطلع محمد صلى الله عليه وسلم على شرا ووسو
صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يحج بالحطب والاسلامه فقال لهم تعرفون
جبريل وتذكرون محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل
وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحد مما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا للمها كان عدوا لله
ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ سورة الله صلى
الله عليه وسلم هذه الايات وقال لقد وافقت ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتني
بعدي لك في بيتي اصاب من الحرج والافتراب نسيب هذه العداوة كون جبريل كان يتردد
على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه تركه على قلبك مشعر بذلك قوله فانه تركه
يعني جبريل تردد بالقرآن كناية عن غيرته كونه على قلبه لئلا يحمده وانما خص القلب بالذكر لانه
محل الحفظ باذن الله اي بامر وعصية قالوا موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب مبدئي

وبشرى للمؤمنين في القرآن بداية المؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب
وبشرى لمن يتوكل على الله اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل الملائكة
في الآية الاولى ان من كان عدوا والحييريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وجبريل يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق في هذه
الآية ان كل من كان عدوا لاحد هو لا وفاته عدوهم جميعهم وبشرى ان الله عدوه بقوله فان
الله عدو للكافرين فاما عدوهم الله تعالى فانها لا تنفرد ولا تفردها وانه لم
تودهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر اعظم منه وقتل المجردين عدوهم الله عدو
اوليائه فهو قوله ان الذي يحادوا الله ورسوله اي يجادلون اولياء الله واهل طاعته
وقوله وملائكته ورسوله يعني ان من عادى واحدا من هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر
بواحد من هؤلاء فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خضعتهما بالذكور وان كانا داخلين
في جملة الملائكة لبيان شرفهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه
ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غدا الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبغ غدا
الابن وجبريل وميكائيل اسمان اعجبتان ومعناه ما عباد الله وعبيده لان جبريل وميكائيل
بالرأيانية والعبد وابل هو الله ولقد انزلنا اليك آيات بينات قال ابن عباس هذه الجواب
لابن موريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جيتنا بشئ نعرفه وما
انزلنا عليك من آية بينة فستبعك لها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات اي الواضحات
مفصلات بالاحلال والحرام والحل والاحكام وما يكن لها اي مما يحججه هذه الآيات
الا انما استقر اي الخارجون عن طاعتنا وما امرنا به او كلما عاهدوا عهده اقال ابن عباس
لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من اليهود في محمد صلى الله عليه وسلم
وان يؤمنوا بقرآننا الذي انزلنا في محمد صلى الله عليه وسلم ولم عهدوا فانزل الله
هذه الآية او كلما استقر نام انكار عاهدوا عهده اي موقوفهم انه قد اظلم زمان بني ميعوث
وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهدا كثيرا ثم نقضوهما بنده اي طرح العهد ونقضه
ففرق منهم يعني من اليهود بل الكون لا يؤمنون يعني كفروا فيهم بنقض العهد وكفروا فيهم
منهم بالحق ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم فصدقوا
معهم يعني صدقوا بصفته التوراة وبنوة موسى وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مبعثه مصدقا للتوراة بنده ففرق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراؤهم قيل المراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب
لانا لنبدلها لايكون لا بعد التشكك ولم يمتسكوا بالقرآن ما بندهم التوراة فانهم كانوا يفرقونها
ولا يعلمون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلواها بالذهب ولم يعلموا بانها كانت لهم

لا يعلمون

الذين كفروا بالقرآن من الذين كفروا بالقرآن

لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورقصوه عن علم به ومعرفة وانما جعلهم على
ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم على اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وكتموا امره وكان اوليك النعمة القايل قوله تعالى **واستغفروا ما فعلوا الشياطين**
على ملك سليمان يعني ان اليهود نبذوا كتاب الله واستغفروا ما فعلوا الشياطين ومغفرتهم
تقر من التلاوة وقيل معناه تغفري وتكذب على ملك سليمان وهو قوله ان سليمان ملك
الناس بالسر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين
كتبوا السر والسيرجات على سائر صف هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك فلم يشعر
وكتبوه ودفعوه تحت كرسيه وذلك حين ترع الله عنه الملك فلم يشعر بذلك وقيل ان
بني اسرائيل استغفروا بغير السحر في زمانه فغفروا من ذلك سليمان واخذ كتمه ودفعه
تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان به فافتعلوه
فاما صلحما بن اسرائيل وعلما واهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان
واما السفلة منهم فقالوا هذا من علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب نبيا بهم
وفشت الملائكة لسليمان فلم تزل هذه محالهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وانزل عليه براه سليمان عليه السلام فقال تعالى واستغفروا ما فعلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يجعله وفيه تزييد لسليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا
نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان
السحرة من اليهود ذرعوهم انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله من ذلك وقيل
ان بعض اجدار اليهود قال لا تجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان
الاسا حرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا في كونه سا حرا
كافرا ثم نبيا تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال **ولكن الشياطين كفروا** يعني
ان الذين اتخذوا السحر لا يفهمهم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى **يعلمون**
الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني
اليهود دعونا بقوله واستغفروا وسمى السحر سحر الخفا سببه ولانه يفعل في خفية وقيل
معنى السحر الانزاله وصرف الشئ عن وجهه ونقول العرب ما سحر عن كذا اي ما
صرفه عنه فكان السحر الخفي الباطل في صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه
اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن
التمويه والتخيل ومذهب هل السنة ان له وجودا وحقيقة والعل به كفر
وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي الموثرة في قلب الاعيان وروى عن الشافعي انه قال
السحر تخيل ويمر من وقد يقتل حتى اوجب لقصاص علي من قتل به وقيل ان السحر يورث

قليل

في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد قيل
للساحرة الهوى وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا لا اله الا الله تعالى هو
الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحرة لذلك لان الساحر هو الفاعل لها الوثر
فيها والاصح ان السحر يحيل ويورث في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على
ذلك ان للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيجزم وقد مات قوم
بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلوية الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي
نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشرار بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله الابالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المومنات اخرجاه في الصحيحين فعند رسول الله
صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله
الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو
ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو الموثر او يعتقد ان الكواكب هي
الموترة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ويجب
قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلد الساحر
ضربه بالسيف اخرجته الترمذي والغسم الثاني من السحر وهو التحيل الذي
يشاكل النيرجيات والسحيرة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه فذرة ولا ان الكواكب
هي الموترة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو الموثر فهذا التقدير لا يكفر به صاحبه
ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي
عن مالك يبلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرها
وقد كانت دبرها فامرت بها فقتلت اخرجته في الموطا قوله عز وجل وما انزل على
الملكين اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والاتزال هنا بمعنى الالهام والتعليق
اي ما الهام وعلموا قرئ في الساذ الملكين بكسر اللام قاله ارباب جلان ساحر ان كانا يابل
وقيل عليحان ووجهه ان الملايكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام
فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملايكة وكيف يجوز
للملايكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميعا انهم
به وجميع ما نفاهم عنه ثم امرهم ونفاهم بعد العلم منهم بما يومرون به وينهون
عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان الامر والنهاي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده
من بني ادم عنه فغير ممكن ان يكون الله تعالى علمه الملكين الله ينسماها في تنزيله وجعلها

قصة لعباده من بني ادم كما اخبر عنها انما يقولان لمن جاءت علم ذلك منها انما نحن
قصة فلا تكفر ليحتر بها عباده الذين نهىهم عن السحر وعن التفرق بين السرور
وزوجه فيتمحص المومن بتركه التعلم منها ويحزى لكافر بتعلمه السحر والكفر منها
ويكون الملكين في تعليمهما ما علمنا من ذلك مطيعين لله تعالى اذا كانا عن اذن من الله
تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضار بما سحر من سحر من تعلم ذلك منها بعد نهيهما اياه عنه
بقوله انما نحن قسمة فلا تكفر اذا كانا قد اديا ما امر به وقال غيره انما لا يستعدان ذلك
بل صفات السحر وانه كرايز طلائد ويامرنا باجتنابه فالشقي من ترك تعلمه وتعلم السحر
من وصفها والسعيد من قبل نفسهها وترك تعليم السحر منها وقيل ان الله تعالى امتحن
الناس بها في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منها فيكفر به والسعيد من تركه
فيستقي على يمانه والله تعالى ان يمتحن عباده بما شاكا امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت
بقوله من شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **سبيل** قيل بي بابل العراق بارض
الكوفة سميت بذلك لتبديل الالسة بها عند سقوط صرح زرد وقيل انها بابل
دياوند والا ولا اصح واشهر **هاروت وماروت** اسمان سراييان وقصة الالية
على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملايكة لما راوا ما يصعد الى السماء من اعمال
بني ادم الخبيثة في زمزم من دريس عليه السلام فغير ربه وقالوا هؤلاء الذين
جعلتهم في الارض واختبرتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل وانزلتكم الى
الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم كركبت فيكم ما ركبوها قالوا سبحانك ما كان ينبغي
لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاخترنا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاخترنا
هاروت وماروت وكانوا من اصالح الملايكة واعبدتهم وكان اسم هاروت عزا وماروت
عزاما وغير اسمها لما قارفا الذنب وركب الله فيها الشهوة والهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والربا وشرب
الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكر اسم الله الاعظم وصعدا
الى السماء فامر عليهما شهر حتى اقتتلا وقيل بل اقتتلا في اول يوم وذلك انه
اختصم اليها امرأة يقال لها الزهرة وكانت من اجل اهل فارس وقتل كانت ملكه
فلما راياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل
الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت
في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان يغد هذا الصنم وتقتلا
النفس وتسربا الخمر فقال لا سبل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها
فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قد خرجت في نفسها من الميل اليها ما فيها

فراوداها عن نفسها فمرغبت عليها ما قالت بالامر فقال لا الصلاة لغير الله عظيم
وقل النفس عظيم وامر بالنفس شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وفعابا المرأة قريبا
بها فربما انسان فقتله خوف العشيحة وقيل انما سجد للصنم وقيل
جائها امرأة من احسن النساء تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط في نفسك
مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي علي زوجها قال له صاحبه
اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله
من العفو والرحمة فقال لاها لنفسها فقالت لا الا ان تقضي لي على زوجي فقضيا
ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتله فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما
عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتله ثم سالاها لنفسها فقالت لا الا ان لما صنما فعبده ان انما صليتنا
مع عنده فعدت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله ففعل
معها عنده فمسخ شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لما لن تدركاني حتى تجبراني
بالذي يضعه اني به الى السما فقال لا بسايرة الا كبر قالت فما انتما بدمركي حتى تقلمانني
ايها فقال احدهما للاخر علمها فقال في اخاف الله فلا اخاف من رحمة الله فعلمها ذلك
فكلمت به وصعدت الى السما فسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها الزهرة بعينها
وانكر اخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السائرة السبعة التي اقسام الله لها
فقال فلا اقسام بل الخمس الجوار الكنس والتي قسنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى
الزهرة بحماها وحسنها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت
بعد ما قارفا الذنب بها بالصعود الى السما فلم يظاوعما اجتمعا فعلم ما حل بمهما
فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالا ان يسفعهما الى الله عز وجل
وقالا له راينا ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد بجميع جميع اهل الارض فاشفع
لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا
عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فمما يباين بعد ان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام
الساعة وقيل انهما من كوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قضى يوما
ليتعلم السحر فوجد ما معلقين به جليهما من رقة اعينهما مسودة جلودهما للنبيين
السنتما وبينهما الاقدار اربع اصابع ومما بعد بان بالعطش فلما راي ذلك فقال
لا اله الا الله فلما سمع كلامه قال له من انت قال رجل من الناس فقال لا مني امرة
انت قال من امته محمد صلى الله عليه وسلم قالوا قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم
فقال الحمد لله واظهر الاستبشار فقال الرجل امم استبشار كما قال انه في الساعة

وقد دنا انقضاء عذابنا فصلى في القول بعصمة الملائكة اجمع المسلمين على
ان الملائكة مومنون فضلا وانفق اية المسلمين على ان حكم الرسول الملائكة حكم النبيين
سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبت فيه عصمة الانبياء فذلك
الملائكة وافهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم ثم اختلفوا في غير المسلمين
من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع
الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير
المسلمين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة
هاروت وماروت عن علي ومما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري
في تفسيره عن جماعة من الصحابة فتقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي
ابن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب
من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله للفسر
واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وهذه الاخبار
انما اخذت من اليهود وقد علم ان تراوهم على الانبياء والملائكة وقد ذكر الله عز وجل
في هذه الايات اقتران اليهود على سليمان عليه السلام او لا ثم عطف على ذلك قصته
هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان بالسم الذي افغلت عليه
الشياطين واتبعته في ذلك اليهود فاحبر عن قولهم وكذهم وذكر ايضا في الجواب
عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة انما سقاى قال الملائكة
لو ابليتكم بما ابليت به بني ادم لعصيتوني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك
وفيه رد على الله تعالى وذلك كقصة ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا
منهم الوجه الثاني انما اخبرنا عن عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله
تعالى لا يخير من اشرك وان كانت قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث
ان المرة لما خرجت كيف يعقل انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها
بحيث اقسام بها في قوله فلا اقسام بل الخمس الجوار الكنس فيان بهذه الوجوه ركاكة
هذه القضية والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تربية الملائكة عن كل ما لا يليق
بمنصبهم وقوله تعالى **وما يعلمان من احد** يعني احد حتى ينصحا له او لا ويقولوا **انما**
نحن قسنة اي ابتلاء ومحنة **فلا تكفراي** لا تتعلم السحر فتعجل به فتكفر فيقولان انما
انما نحن قسنة فلا تكفراي سبع مرات فانني قبول نصيحتهما وصمم على التعليم فيقولان لم ايت
هذا الرقاد قبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور سا طع في السما فذلك الايمان
والمعرفة ويترن شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعته وذلك غضب الله

فيتعلمون منها يعني من الملكين **ما يفرقونه بين المرزوق وجهه** أي علم السحر الذي يكون
سببا في التفرق بين الزوجين كالتمويه والتخيل والنقش في العنقا ويخوذ ذلك على حد
الله تعالى عنده البغضا والنشور والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر
ليس له تأثير في نفسه بديل قوله **وما هم** يعني السحرة **بصاؤره** أي بالسحر **من أحد** أي
أحد الأباذ أي تعالى أي بعلمه وقضاياه وتكوينه فالساحر يسير والله تعالى يتدبر
ويكون وذلك بقضا الله وقدرته ومشيئته **ويتعلمون ما يصرون ولا يفتنهم** يعني السحرة
لأنهم يقصدون به الشر **ولقد علموا** يعني اليهود **لمن اشتراه أي اختاره** **ماله في الآخرة**
من خلاق يعني ماله نصيب في الجنة **وليس ما شروا به أنفسهم** أي بأعواظ أنفسهم
حيث اختاروا السحر والكفر على الدين الحق **لو كانوا يعلمون** فإن قلت كيف أثبت لهم العلم
أولا في قوله **ولقد علموا** على التوكيد **الفسق** ثم فناء عنهم خرافة قوله **لو كانوا يعلمون** قلت
قد علموا أن من اشتراى السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا
بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جات به الرسل عناداً منهم وبغياً وذلك على
معرفة منهم بأنهم فعلوا ذلك من العقاب فجعلهم حيث لم يعلموا بعلمهم كأنهم منطعمين
منه **ولو أنهم** يعني اليهود **امنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **والنقوا** يعني اليهودية
والسحر وما يؤثمهم **لمثوبة من عند الله** أي لكان ثواب الله أي أيا هم خير لهم يعني الثواب **لو كانوا**
يعلمون يعني ذلك قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا مراعاتاً** سبب نزول هذه الآية
أن المسلمين كانوا يقولون **راعنا** أي راعنا رسول الله من المراجعة أي راعنا سمعنا وفرغنا لكلامنا وكانت
هذه اللفظة سبباً في تحايل اليهود معناها عندهم اسمع لاسمعت وقيل من الرعونة
إذا أرادوا أن يجمعوا الناس أو قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعوا اليهود هذه الكلمة
من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نكتب محمد أسراراً علنا وبه الآن فكانوا ياتونهم ويقولون
راعنا يا محمد ويخفون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه فغظن لها
وكان يعرف لغتهم فقال لليهود **ليني سمعتها من أحدكم يقولها رسول الله صلى الله عليه**
وسلم لا من عنده فقالوا **ولستم نقولها** فقالوا **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا**
أي لكي لا يتحدا اليهود به ذلك سبباً إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقولوا انظروا**
أي انظروا وقيل معناه انتظروا وتأنوا وبنوا وبنينا **واسمعوا** أي ما تقولون من واطيعوا بآي
الله تعالى عبادة المؤمنين أن يقولوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد إلى شتمه
وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وإن يتخير والخطابه صلى الله عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن
المعاني أرقها وإن سألوه يسألوه بتعظيم وتوقير لا يخاطبوه بأيسر اليهود **والكافرين**
يعني اليهود عذاب اليم ما يؤد أي ما يجب **الذين كفروا من أصل الكتاب** يعني اليهود **والأشركين**

يعني عبدة الأوثان لأن الكفر اسم جنس تحت نوعان أهل كتاب وهم
الذين مدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعدة الأوثان وهم من عبدة غير الله
أن يتروا عليكم من خير من دكم يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم
من الوحي والنبوة وإنما كرميت اليهود وتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً منهم
على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لحلفاءهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا بخير مما نحن فيه ولودنا لو كان خيراً فأنزل الله
هذه الآية تكذيباً لهم **والله يختص برحمته من يشاء** يعني أنه تعالى يختص بنبوته
وبها الله من يشاء من عباده ويتفضل بالآيات والهداية على من أحب من خلقه
رحمة منه لهم **والله ذو الفضل العظيم** يعني كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم
فانه منه ابتداء وتفضلاً عليهم من غير استحقاق منهم ذلك بل له الفضل
والمنة على خلقه قوله عز وجل **ما ننسخ من آية أو ننسها** الآية وسبب نزولها
أن المشركين قالوا إن محمد أيا من أصحابه يأمرهم بنبهاتهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقولون
قوله ويرجع فيه غداً ما يقول إلا من تلقا نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله وإذا
بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر وإنزل ما ننسخ من آية
فينسخه الآية وجد الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم
وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحريك ومنه نسخ الكتاب ومحوه
ينقل من كتاب إلى كتاب خروفاً ولا يتغير في الصورة الأولى بل يقتضي
إثبات مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخاً وذلك أنه نسخ
من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة إلى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرقع
والإزالة وهو إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والنسخ الكتاب وعلى
هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخاً وبعضه ناسخاً والمراد حكم هذه الآية وهو
إزالة الحكم بحكم يعقبه **فصل** في حكم النسخ في اصطلاح العلماء عبارة
عن رفع الحكم الشرعي بديل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلاً وأوقع سماعاً لأن
اليهود فإن منهم من لم يذكره عقلاً لكنه منعه سمعاً وشدت طائفة قليلة من
المسلمين فانكروا النسخ أجمع الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقعه بأن الدلائل
قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا يقع الخ مع القول بالنسخ وهو
نسخ شرع من قبله فوجب لقطع بالنسخ ولما على اليهود الزامات منها أن الله تعالى
حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمهم على من كان قبلهم ومنها أنه جازي التوراة أن الله تعالى
حال النسخ عليه السلام عند خروجه من الغلظ أن جعلت لك كرامة ما كولا لك ولذريقك

واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرائيل كثيرا
من الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان نزوح الاخ للاخت وقد حرمه على من
بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ
فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة
كالنوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ ما نسخ القرآن ونقله من
اللوحي المحفوظ الى سما الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء
ان المراد من النسخ ما رفع حكم بعض الايات بهليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله تعالى
ما ننسخ من آية او ننسخها فانها نأتي بخير منها او مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها
ايات القرآن لانه ما هو المعروف عندنا مستنبطه قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب
لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية او
ننسخها فانها نأتي بخير منها او مثلها وذلك يعني بانه ما لا ياتي وما ياتي به من جنس القرآن
وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله ناتي بخير منها يعني بانه ما هو المنفرد بالاثبات
بذلك الخبر وهو القرآن الذي هو كلام الله وزا السنة ولان السنة لا تكون خيرا من
القرآن ولا مثله واجتمع الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين
منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف
لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من
الوصية وتقرر هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوه احدها
ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا
سورة فلم يذكرها منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغداوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاجابوه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجها البغوي
بغير سند وقيل ان سورة الاخراب كانت مثل البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكمها الوجه
الثاني ما رفع تلاوته ونسخ حكمه مثل آية الجحيم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو
جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمد ابالحق وانزل عليه الكتاب فكان
فيما انزل الله عليه آية الرحم قراهاها وعيناها وعقلناها ورحم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورحمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل يخذل الرحم في كتاب الله
فيضلوا بتركه فريضة انزلها الله وان الرحم في كتاب الله حق على من نزل اذا احصى من الرجال
والنساء اذا قامت البينة او كان الجليل والاعتراف اخرجهم مسلم والبخاري في صحيحه الوجه الثالث
ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية للاقربين ونسخ بآية
الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحقول ونسخ بآية اربعة اشهر

وعز آية القتال وروى قوله ان يكن منكم عشرة فاصبروا وروى فليطو اما يتن الى آية تحت
بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثله في القرآن واما
معنى الآية فنقول ما ننسخ من آية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسخها في بضم النون وكسر
السين ومعناه ننسخها على قلبك وقلا بن عيسى فتركها لا ننسخها وقيل معناها نأمر بتركها
فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والافساد النسخ من غير اقامة غيره
مقامه وقرئ ننسخها بفتح النون والسين وبالمزة ومعناه نؤخرها فلا تزلها ونرفع
تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الجحيم فعلى هذا يكون النسخ الاول معنى رفع التلاوة والحكم فقال
سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلناه من تحت الكتاب اذا
نقلته الى كتاب اخر وننسخها اي نؤخرها ونؤخرها في اللوح المحفوظ فلا تزلها فان بخير
منها اي بما هو ارفع لكم واسهل عليكم واكثر اجوركم وليس معناها ان آية خير من آية لان كلام الله
تعالى كله واحد او مثلها اي في النسخة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي
كان على المؤمن من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لكم في علاجهم لسقوط التعب المشقة
عنهم وما نسخ الى الايسر كان اكمل في الثواب الذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة
فنسخ ذلك فرفع من صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة انقل على الابد ان
واشوق من صيام ايام معدودات وكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكيف التوجه الى بيت الله
وصرفه الى المسجد الحرام واستوى الاجر في ذلك لان على المقل التوجه الى حيث امره الله تعالى
الم نعلم ان الله على كل شيء قدير اي من النسخ والتبديل والمعنى يا محمد اني قادر على تبديلك مما نسخت
من احكامي وغيرت من فرائضي التي كتبت افترضتها عليك مما اشاء ما هو خير لك ولعمري المؤمنين
وانفع لك ولم عاجلا واجلا **الم نعلم ان الله له ملك السموات والارض** يعني انه تعالى هو المنفرد
في السموات والارض وله سلطانها وزغيره يحكم فيها وفيما فيها بما يشاء من امره ونسخه وتبديل
وهذا الخبر وان كان خطا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا
النسخ ومحمد وابنوه عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله انه له ملك السموات
والارض وان الخلق كله عبده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة **وما لكم**
يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب من **والله اي ما سوى الله من ولي** اي من قريب وصديق وقيل
من وال وما واليهم بالامور **ولا نصبر** اي نأصبر معكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم ايها
المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصبر بويديكم ويقويكم على اعدائكم قوله تعالى **ام تريدون ان**
نسالكم سؤلهم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد اين كتاب من السماء جلدتها اني موسى
بالنوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان نؤمن بك حتى تاتي بالله والملائكة
فبئس السؤل فموسى قالوا ان الله جهنم فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان تريدون ان

امر كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعب قالوا
 في انبيائهم ليسوا على شيء **فقال الله يحكم الله بيني وبينكم** يعني بين الحق والمبطل يوم القيمة **فما كانوا**
فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله تعالى **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** تركت في خراب
 بيت المقدس وذلك ان طيطوس الرومي غزا بني اسرائيل فقتل ما تلتهم وبسب ذرارهم وحرقت
 القنطرة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناء المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل
 الله من اظلم اى ومن كفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاربه **ان يدرككم**
فيها اسرها يعبد ويصلي له فيها **وسعي في خرابها** وقيل ان تحت نصر المجوس من هل يابل
 موالذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان قتلوا اليهود
 يحيى بن زكريا **واولئك ما كانوا يعلمون** **الاخايفين** وذلك ان بيت المقدس موضع حج
 النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدها بعد عمارتها رومي واضر في الاخايف ان علم به قتل
 وقيل اخيفوا بالحربة والقتل فالخزية على الذي والقتل على الخزي وقيل خوفهم بفتح مد ايتم
 الثلاث قسطنطينة ورومية وعمورية لم **في الدنيا خزي** يعني الصغار والذكور والقتل والبي
ولم في الآخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الآية تركت في مشركي مكة واراد بالساجد المحج
 الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام
 ومنعوا من حجة والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من عمره به كذا الله تعالى والصلاة
 فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى تخلصوها
 وتكونوا اولي بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادى في الموسم لما ترك سودة
 براءة الا لا يجزى البيت بعدهم العام مشرك فكان مدها خوفهم وثبت في الشرع ان لا يكن
 مشرك من حول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتحريم على مسجد
 واحد وهو ما يبيت المقدس والمسجد الحرام قلت يجوز ان يحكي الحكم عاما وان كان
 السبب خاصا كما تقول لمن اذى صاحبنا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين فان قلت على اي
 القولين ارجح قلت رجع الطبري القول الاول وقال النصارى هم الذين سعوا في خراب
 بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الآية التي قبل
 هذه وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يحرم مشركي مكة ذكر ولا للمسلمين الحرام فتعين
 ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظون
 بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وما موضع حجهم وذكر ابن العربي
 في احكام القرآن قوله لا تأكلوا مما كان عليه من قبله قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ومراد
 بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض الساجد او ببعض الامكنة محال قوله عز وجل **والله اعلم**

لا ينجح

والغزو

في قوله
 من اظلم
 ممن منع
 مساجد الله

والغزو **فاينما تولوا فثم وجه الله** سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نضر
 من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم
 الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ذلك
 فقلت هذه الآية وعن عامر بن مخنف عن ابيه عن جده قال كنا مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم يدري اهل القبلة فصل على كل رجل منا على خياله فلما
 اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فابن ما تولوا فثم وجه الله اخرج
 الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر تركت في المشافر يصلون الطلوع حيث ما توجهت
 بمرحلتهم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر امرأته حيث كان
 وجهه يومي وكان ابن عمر يبعده وفي رواية مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على ابيه
 وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه تركت فان ما تولوا فثم وجه الله
 الآية وقيل تركت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا
 ليس لهم قبله معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا افاض الله بهذه الآية
 وقيل انما تركت في تحييل النبي صلى الله عليه وسلم ولم واصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من التواحي
 ثم انما نسخ بقوله تعالى فولد وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان الله المشرق والمغرب
 وما بينهما خلقا وملاكا وانما خصر المشرق والمغرب كقناع جميع الجهات لان كل ما فيها
 خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو
 القبلة فان القبلة ليست قبله لانه تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها
 فابنما تولوا فثم وجه الله اي فمننا القبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم الله
 تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم
 رضا الله اي يريه ونال توجه اليه رضاه **ان الله واسع** من السعة وهي العنق اي واسع خلقه
 كلهم بالكفاية والافضال والتدبير وقيل هو واسع المغفرة **عليم** اي باعمالكم ونياتكم
 حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء مسيلة تتعلق بحكم الآية وهي ان الساجد
 اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واستبهرت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من
 الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادبها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يقناها القبلة
 فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلي على حاله
 ويصح صلاته وكذا الشدة ود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله تعالى **وقالوا اتخذ**
الله ولدا في يهود المدينة حيث قالوا عزير بن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا
 المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه اي تعربها الله فتره
 الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم واقرأهم عليه عن ابن عباس عن النبي صلى الله

51

عليه ولم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وسخني ولم يكن ذلك
فاما تلك شيئا يافى فرعون الى لا اقدر ان اعبدكم كما كان واما شتمه اياي فتولي ولد
فبما في ان اخذ صاحبة اولد **بل له ما في السموات والارض** يعني عبدا وملكا فكيف
ينسب اليه الولد وهو داخل فيها وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى
متزه عن النسب والنسب في الولد انما يتخذ للحاجة اليه والاستماع به عنده
عجز الوالد وكبره والله تعالى متزه عن ذلك كله فاصنافه الولد اليه محال **كل القاتولة**
يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقررون له بالعبودية واصطبل القنوت
لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله الغيام وحمته قوله صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة طول القنوت فعلى من لا يكون معنى لا يتكلم له قايون بالشهادة مقررون
له بالوحداية وقيل قاتلوا من لا يكون مستخرون لمخلوقا ولا اختلفت العلماء في حكم الآية
فقال بعضهم هو خاص بمرسل في تخصيصه طريقا احدهما قالوا هو راجع الى غير
والسبح والملايكة الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته ورساير الكفار وديت
جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى
واوتيت من كل شيء ولم توف ملك سليمان فله على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل
بديع السموات والارض اي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع
الاشياء اي يبدعها ما لم تكن **واذا قضى الامر** اي قدره واراها خلقه وقيل اذا احكم امرا
وحقه واتقته واصطبل الفضل الحكم والفراغ والعقبات في اللغة على وجوه كلها ترجع
الى انقضاء الشيء وتامه والفراغ منه **فاما يقول له كن فيكون** اي اذا احكم امره وحتمه
فاما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعلوم
لا يحتاج بكف قال فاما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن
قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كائنا كانت لعلها بالغا ان
يقول لها كوني ويا لها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له
لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فاما يقول لا جل تكوينه وارادته كن فيكون
فعلى هذا ذهب معنى الخطاب قوله تعالى **وقال الذين لا يعلمون** قال ابن عباس هم اليهود
الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم
مشركوا العرب لولا اي هلا **بكلنا الله** اي عيانا بانك رسول الله او تانيت اية اي دلالة
وعلاوة على صدقك **كذلك قال الذين من قبلهم** اي كفوا الامم الخالية **مثل قولهم** وذلك ان
اليهود سألوا موسى ان يرسم الله جبهة وان يسبهم كلام الله وسأله من الايات ما ليس
لهم ميلته فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق قالوا

مثل

مثل ما قال من كان قبلهم **تسبتم قلوبهم** يعني ان المكذبين للرسول تسبتم اقوالهم واقفا
وقيل تسبتم في الكفر والعقوة والتكذيب وطلب الخصال **الايات** اي الدلالات
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **وقوم يوقنون** يعني ان ايات القرآن وعلما به محمد صلى الله
عليه وسلم من المعجزات الملائمات كافيته لمن كان طالبا ليقين ما نأخذ من الايات بالذكر لانهم
هم اهل التثبت في الامور ومعرفة الاشياء على يقين قوله عز وجل **انا ارسلناك بالحق**
اي بالصدق وقال ابن عباس في القرآن وقيل بالاسلام وقيل بمعناه انا ان ترسلناك عينا بل انا
ارسلناك بالحق **بشير** اي مبشر الاولياي واهل طاعتي بالثواب العظيم **ونذير** اي منذر
ومخوف الاعداء واهل معصيتي بالعذاب لا ليم **ولا تسال قري** يعني التناهي الذي قال
ابن عباس ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شري ما فعل ابواي فقلت
منه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبلغ ما ارسلت به لالتسار عن اصحاب بحيم وقري
ولا تسال بضم التاء ورفع اللام على الخير وقيل على النبي والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبلغ
ما ارسلت به فاما عليك البلاغ ولت مسئولا عن كفر عن اصحاب بحيم اي عن اهل الحيم
سميت النازح كما لشد تاجها وقيل بحيم معظم النار قوله تعالى **ولن ترهم عند الله**
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسلون النبي صلى الله عليه وسلم المدد ويطلبونه
انه ان مهلم اتبعوه فاتر الله مدد الآية والمعنى انك وان هادتهم فلا يرصنون لها
وانما يطلبونك لتفلا ولا يرصنون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر
القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى يجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم
حين كانوا يجمعون الى بيت المقدس فلما صرقت القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافهم
على دينهم فاتر الله تعالى ولن ترهم عندك اليهود يعني الابالي يهودية ولا النصارى يعني
الابا النصرانية وهذا شيء لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيان في وقت واحد وهو قوله
حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقهم قل اي يا محمد ان **الله** يعني دين الله الذي هو
الاسلام **هو الهدى** اي يهدي الى الحق والهدى **ولن تتبعكم** اي لن تتبعكم **امواهم** يعني اموا اليهود والنصارى
فيما يرصنهم عنك وقيل امواهم واقوالهم التي هي اموا بديع **بعد الذي جاءك من العلم** اي
البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام وعلى الكعبة
مالكم من الله من ولي يعني يلمرك ويقوم به **ولا نصير** اي نصيرك ويمنعك من عذابه وقيل
في قوله ولين اتبعتم امواهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امنه والمعنى
اياكم اخاطب ولكم اودب واني فقد علمتم ان محمد صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق
والصدق وقد عصمتم فلا تتبعوا انتم اموا الكافرين ولين اتبعتم امواهم بعد الذي
جاءكم من العلم والبيان ما لكم من دوز الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل **الذين يتبينهم**

الكتاب قال ابن عباس ترك في اهل السفينة الذين قد صولع جمعهم من اهل طائفة
وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من كسبية وثمانية من رهبان الشام منهم بجرار
الراهب وقيل هم من اهل الكتاب مثل عيسى بن مريم وقيس بن عاصم واصحابهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المومنون عامة **يقتلونهم حق تلاك** اي يتركونه
كما انزل لا يغيرونه ولا يجرؤونه ولا يبدلون مكانه من نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل يتبعونه حق اتباعه فيجولون حلاله ويحرمون حرامه ويعلمون بحكمه ويؤمنون
بمشاهدته ويتفقون عنده ويكونون علمه الى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره
وتفكرون في معانيه وحقايقه واسرارها **اولئك** يعني الذين يتلونهم حق تلاوته **يومنون**
اي يصده قوز به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المومنين بالتوراة الذي
يتلونهم حق تلاوته اهل المومنين بحمد الله صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعمته وصفته وان
قلنا انما تركت في المومنين عامة فظاهر ومن يكفر به اي يحجب بآياته من فرائض الله وبنوة
محمد صلى الله عليه وسلم **فاولئك هم الخاسرون** اي خسروا لانفسهم حيث استبدلوا الكبر بالآية
قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اذكروا نعمتي بكم واستغفروا
اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم **واي فضلتكم على العالمين** واذا ذكرنا
تفضيلنا اياكم على العالمين فافهم وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكرهها في اول السورة وهما التوكيد وتذكير النعم **وايقظوا بالآية**
نفس نسي وفي هذه الاية ترميز لم والمعنى يا عيسى بن اسرائيل المبدل لكتابي المحفوظ
خافوا عذاب يوم لا تنفي فيه نفس عن نفس نسي **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** اي لا
تقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من المقام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الاية ولا تنفعها شفاعة اذ اوجب عليها العذاب
ولم تستحق سواه وقيل انه مراد على اليهود في قولهم ان ابا ناس شفعوا لنا ولا هم ينصرون اي ولا
ناصر لهم ينصرون من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل **واذا ابتلى ابراهيم بربك كلمات**
ابراهيم اسم اعجمي ومعناه ابراهيم ومولاه ابراهيم بن تارخ وموازيه بن ناحور بن شاربوع بن
ارغون بن فالج بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم
بالسوس من ارض الاقواز وقيل ببابل وقيل بكنوز وهي قرية من سواد الكوفة وقيل
بحران ولكن اياه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعرف
بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم متروكون بفسادهم وثيرون
بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعرفون بفضله
ويشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدايم بيته ولما جاء الاسلام

زاده شرفا وفضلا فحكي الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى
قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والالتحاق بشريعته لان ما اوجبته
الله على ابراهيم فهو من خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود
والنصارى ومشركي العرب في وجوب الالتحاق لمحمد صلى الله عليه وسلم والايان به
ونصديقه واصلا لا ابتلا الامتحان والاختيار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف
بلا لانه يسبق على الابدان وقيل ليخبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلي فلان يكذا
يتضمن امر من احد سمات عرف حاله والوقوف على ما يحمل من امره والثاني ظهور جودته
ورداته وابتلا الله العباد ليس يعلم احوالهم والوقوف على ما يحمل منها لانه عالم
بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليس يعلم
العباد احوالهم من ظهور جوده ورداة وعلى هذا يتنزل قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس
مؤثلا نون ستمائة من شرايع الاسلام لم يبتل بها احد افا قامها كلها الا ابراهيم فكتب
له البراءة فقال ابراهيم الذي في معنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم
فاما بعده فقد ابتلى الانبياء جميعا امرأته ومي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله
التاسيس والعبادة والاية وعشرة سورة الاحزاب في قوله انا المسلمين والمسلمات الاية
وعشر في سورة المومنون في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ومي
مذكورة ايضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء
الفطرة خمس في الراس فقل الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وقول لا اله الا الله
وخمس في الجسد تقليم الاظفار وتنف لا بيط وحلق العانة والحتان والاستنجاب لما
ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية
خمس من الفطرة الحتان والاستحذاء وقل الشارب وتقليم الاظفار وتنف لا بيط
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة فقل الشارب واعفا
اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقل الاظفار وغسل البراجم وتنف لا بيط وحلق
العانة وانتفاض الماء قال مصعب وهشيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع
انتفاض الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة
وهذه الاشياء المذكورة في الحديث وانما من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرقا
وعلى ناسه واتفقت العلماء على انها من الملة واما معانيها فقد قيل فقل الشارب
واعفا اللحية في مخالفة للاعاجم فانهم كانوا يصفون كحاشم ويوفون شواربهم او يوفون
معاو ذلك عكس كحال النظاره واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتطيف لغير

والانق من الطعام والقلم والوسخ واما فضل الاطفار فللمحجار والزينة فانها اذا طالت
فبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم ومي العقد التي في ظهور الاصابع فانه
يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما خلق العانة وتنفذ لابط للتنظيف عما يجتمع من
الوسخ في الشعر واما الاستنجاء لتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف
القلعة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان
واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة
واول من احدث ابراهيم عليه السلام ولم يثبت احد قبله في هرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدث ابراهيم بالقدم بالقدم بالقدم والتشديد من
خفف ذنب الى انه اسم للالة التي يقطع بها ومن شدة قال ما واسم موضع عن يحيى بن
سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس صنفا الضيف
واول الناس فص شاربه واول الناس اراى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى
وقاد يا ابراهيم قال رب زدني وقارا اخرجته كالك في الموطأ وقيل في الكلمات انها مناسك
الحج وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعنا سببا بالكوكب والشمس فاحسن النظيرين وبالنار والمجرة
وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اخبر ابراهيم بكلمات او حاشا اليه وامره ان
يعمل بمن فاته رأى ادا من حتى التادية وقام موجبه حق القيام وعمل من غير تريب وتوان
ولم ينقص من شيا واختلوا من كان هذا الابتلاء قبل النبوة وبعده ما قيل كان قبل النبوة
بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب تقدم على المسب وقيل بل
كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الروح لا لى وذلك بعد النبوة
والصواب انه ان فسرا ابتلاء بالكوكب والشمس كان ذلك قبل النبوة وانه ان فسرا بما
وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى **قال اني جاعلك للناس اماما**
اي تقيده بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والا امام ما والى يومه به قال ومن ذريتى
اي قال ابراهيم واجعل من ذريتى اولادى اية يفتدى بهم قال الله لا يعصيه عهدي
اي نبوتى وقيل الامانة الظالمين يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عمدت اليك من النبوة والامانة
من كان ظالما من ذريتك وولده كقوله تعالى **واذ جعلنا البيت** يعني البيت الحرام وهو الكعبة
وبدخل فيه للحرم فانه تعالى وصفا بكونه امنا وهذا اصفه جميع الحرم مشابة للناس اي
مقام من قباب يتوبوا اجمع والمعنى يتوبون اليه من كل جانب محجونه واما اي موضعنا من
يأتمون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هو اهل الله وقال ابن
عباس معاذ او لحاق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة وانه لم

بلغ

يجل القتال فيه لاحد قبلي ولم يجلي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله تعالى الى
يوم القيامة لا يعصده شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلا
خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيهم ويوتهم فقال الا الاذخر
معنى الحديث اني اجل لاحد ان ينصب لقتال والحرب في الحرم واما احل ذلك للرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يجزى احد بعده وقوله لا يعصده شوكة اي
لا يقطع شوكة الحرم والمرد به ما لا يوذى فاما الموذى منه كالعوج فلا يابس بقطعه
قوله ولا ينفر صيده اي لا ينفر من له بالاصطياد ولا يبيع ج قوله ولا يلتقط لقطته الا
من عرفها اي شدة ها والنسبة دفع الصوت بالترتيب واللقطة في جميع الارض لا تحل
الا لمن عرفها جولا فان جاصحها اخذها والا استغنى بها الملتقط بشرط الضمان وحكم
مكة في اللقطة ان يعرفها على اله وام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدد وبسته قوله
ولا يختلاخلاه الخلا معقورا الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليا من الخيش
وخلاه قطعه قوله لقيهم القبي الحاد قوله عز وجل **واخذوا من مقام ابراهيم مصلي**
قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
والمرد لفة والرى وسائر الشامد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يضطلي
عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل كان اثر
رجل ابراهيم عليه السلام فيه فاندست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا
بالصلاة عنده ولم يومروا بمسحه وتقبيله في عن ابن عباس قال قال عمر
وافقت رضى في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم فصلي فتركت
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي الحديث وكان به وقصة المقام على ما رواه
البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسما عيل
اتخذت منطلقا لتعني اثرها على سارة ثم جابها ابراهيم ويايتها اسماعيل
ويترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في اعلا المسجد وليس
بمكة يومئذ امن وليس بها ما فوضعها هناك ووضع عند ما جابها فيه منبر
وستفي فيه ما ثم فني ابراهيم منطلقا فبعتته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى اين
تذهب وتتركونا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها فقالت له امر الله بهذا قال نعم قالت اذا لا يطيعنا ثم
رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند السنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه
البيت ثم دعا بهذه الدعوات فرقع يديه وقال رب اني اسكت من ذريتى بواد غير
ذي زرع حتى يبلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من تلك الماء

حتى اذا انقصد ما في السما عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوهاو
قال تلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليهما فقامت عليه ثم استعبدت الوادي تنظر هل ترى حدا فلم ترا حدا فلبطت
من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها سعت سعي الانسان المجهود حتى
جاوزت الوادي ثم اتت المرأة فقامت عليها فتنظرت هل ترى حدا فلم ترا حدا
فعلقت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس
بينهما فلما اشرقت على المرأة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت
فسمعت ايضا فقال قد سمعت ان كان عندك غوث فاذا انى بالملك عنده موضع زمزم
فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر لها فجعلت تحوصه وتقول لبيدها هكذا
وجعلت تعرف من الما في سقاها وهو يفر بعد ما تعرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم برحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم ولم تعرف من الما كانت
زمزم عينا معينا فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الصبغة
فان هاهنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكانت
البيت ترغما من الارض كالراية تاتي السيل فتأخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مر بهم رفقة من جرهم واهل بيت من جرهم مقبلين من بلقيس
كدي فزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عايفا فقالوا ان هذا الطائر ليه ورعى الما
لعمدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالمافرجوا فاجروهم
فاقبلوا وام اسمعيل عنده الما فقالوا اننا نرى عندك نعمة ولكن لا نرى لك في الما
قالوا نعم قال بن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك ام اسمعيل وبي عجبا لا تزلوا
الى اهليهم فزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ايلات منهم وثب الغلام وقلم العوية منهم
وانفسهم وانجهم حين شب فلما ابرك زوجه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم
بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركه فلم يجده اسمعيل فقال امرته عنه فقالت خرج بيتي في
لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألهم عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن في
ضيقة وشدة وسكت اليه قال اذا اتى زوجك اقرى عليه السلام وقولي له بغير عتبه بابه
فلما جا اسمعيل كانه انشيا فقال هل جاءكم من احد قال نعم جانا شيخ كذا وكذا فقالنا
عندنا فاجبرته فقالني كيف عيشنا فاجبرته ان في جود وشدة قال فكل اوصالك بشي
قالت نعم امرق ان اقر عليك السلام ويقول غير عتبه بابه قال اذا ك اني وقد امرني ان
افارقك اني باهلك فظلمها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ان يلبث
ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرته فقال عنه فقالت خرج بيتي لنا قال كيف اتم وسأله

عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة وانت على الله عز وجل فقال ما طعامكم
قالت اللحم قال فما شربكم قالت الما قال الله بارك لكم في اللحم والما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يكن لم يومئذ حب ولو كان لم حب وعالم فيه قال فما لا يحلو لطلبها احد
بغير مكة الا لم يوافقه وفي رواية فجاء فقال ابن اسمعيل فقالت امرته ذئب يصيد
فقالت امرته الا تترك قطعهم وشرب قالوا وطعامكم وما شربكم قالت طعامنا اللحم
وشربنا الما قال الله بارك لكم في طعامهم وشربهم قال فقالوا بالقاسم بركة دعونا ابراهيم
قال فاذا زوجك اني فاقري عليه السلام ومريه يثبت عتبه بابه فلما جا اسمعيل قال
مل انا كمن احد قالت نعم انا شيخ حسن الهيئة وانت عليه فقالني عنك فاجبرته فقالني
كيف عيشنا فاجبرته انا بخير قالوا وماك بشي قالت نعم فيا عليك السلام ويامر ان تثبت
عتبه بابه قال اذا ك اني وانت العتبه امرق ان اسمك لم يثبت عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد
ذلك واسمعيل يهرى ببلاتحت وحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فضنعا كما يصنع
الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال يا اسمعيل ان اسمي في بامر قال فاسمع ما امرك ربك قال وتبينني
قال واعينك قال فان اسمي في ابني بيتا هاهنا و اشار الى اكمة من رفعة على ما حوله ففقه ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة و ابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جا
ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ويؤبني واسمعيل يناول الحجارة ويمايقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعل لا يبنيان حتى تدور حول البيت ويمايقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعت الشيخ عن ثقل الحجارة فقام
على حجر المقام فجعل يناول الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امرأة
اسمعيل قالت لابراهيم اترى غسل راسك فلم يزل يجا به بالمقام فوضعه عن شقه الايمن
فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر
فتبين ان روقه ميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الركن والمقام يا قوتان من يا قوت الجنة طمس نورهما ولولم يطمس نورهما لامسا تاما بين الشرق
والغرب اخرج به الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله فغسلت من
والمقام بمسا مده الحج وشاعره قال مصلي مدعي من الصلاة التي في الدعاء من فقام بالحجر
قال مصليا واتخذوا من مقام ابراهيم قبلة امرها بالصلاة عند وهذا القول هو الصحيح
لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يستعمل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولا يصلي
الرجل بالذي يصلي فيه وهذه نال الى ابراهيم واسمعيل ايام زمانها والزمان بها و اوجبا عليها
قيل انما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولذا يقول في دعائه اسمع يا ايل
وايل بلبان السراينة بمواسه فلما رزق الولد ساء بطن ابيتي يعني الكعبة اضافة اليه شريفا

في حكمه **ويزكهم** اي ويظهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارواح والردايل
والنقايص وقيل يزكهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا
للابن بابلاخ شجر ختم ابراهيم الذي اصابه الله تعالى فقال **انك انت العزيز** قال
ابن عباس لا يوجد مثله وقيل هو الذي اقيم وقيل هو المنيح الذي لا تساله الايدي
وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم احسن عزازي صلبة قوية **الحكيم** اي العليم الذي
لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء واجباها على غاية الاحكام قوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابراهيم سب ترول هذه الآية ان عبدا لله بن سلام دعا ابني اخيه
الى الاسلام فهاجروا معه وقال لما قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة اني تباعث من ولده
اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد امنته ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سبعة
واحد منها جران يسلم فارتل الله ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشرعيته
وفيه تعريض لليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانساب
الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب
يفتخرون بانهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك فان ابراهيم هو الذي طلب
بعثته الله الرسول في آخر الزمان فمن يرغب عن الايمان بهذا الرسول الذي ما وعده ابراهيم
فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشرعيته
يقال يرغب في الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه **الامن نفسه** قال ابن عباس خسر
نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتنعها واستخف بها واصل السفة الخفة وقيل
للجهل وصنع الرأي فكل سفيه جاهل لان من عبده غير الله فقد جهل نفسه لانه
لم يعرف بان الله خالقها ووجدت جاح من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف
نفسه بالذل والضعف والعجز والفتا ويرى ربه بالعز والقدر والبقا ويدل على
هذا ان الله تعالى اوحى الى اود اعرف نفسك واعرفني قال يارب كيف اعرف نفسي وكيف
اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفتا واعرفني بالقوة والقدر والبقا
ولما اصطفياه اي اختارناه **في الدنيا وانه في الآخرة من الصالحين** يعني القايين وقيل مع
الانبياء في الجنة **اذ قال له ربه اسلم** اي استسلم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان
الانبياء انما نشأوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من الرب وذلك
عنه استدلاله بالكوكب والشمس وطلعه على ما رآه من الخلق فيها واقتارها
الى محمد مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم **قال اسلمت لرب العالمين** قال ابراهيم خضعت
بالطاعة واخضعت للعبادة لما لك الخلاق ومدبرها ومحمد لها وقيل معنى اسلم اخلص
دينك وعبادتك الله واجعلها يسيرة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح

وان ابراهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامر ان يعمل بحجوا ربه وقيل معناه اسلم
نفسك الى الله تعالى وقول امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امرى لرب العالمين
قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين المعنى في القبول
عز وجل **وهي بها ابراهيم بنبيه** يعني بكلمة الاخلاص وهو لا اله الا الله ويقال
بالسنة الجنيبة وكان لابراهيم ثمانية اولاد واسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق
وامه سارة ومدين ومداين ونقيان وزمران ويثو وشوخ وامهم قنطورا بنت يعقوب
الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال وهي بها ابراهيم بنبيه ولم يقل
امرهم قلت لان لفظ الوصية او كد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت
وفي ذلك الوقت يكون احيا ط الانسان اوله ماشدا واعظم وكانوا هم الذين تولد وصيته ابراهيم
وانما خص بنبيه بهذه الوصية لان شفقة الله على بنيه اكثر من شفقة على غيره وقيل
لانهم كانوا اية يقبدهم فكان ملاحهم صلاح لغيرهم **ويعقوب** اي وصي يعقوب
بمثل ما وصي به ابراهيم وسمى يعقوب لانه والعيسر كانا قنطين في بطن واحد فقدم
العيسر وقت الولادة في المخرج من بطن امه وخرج يعقوب كدرة عقبه وكان له من الولد
اثني عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويزبولون ويوسف وبنامين ورحوب
ويوسف وبنامين ثم خاطب يعقوب بنبيه فقال **يا بني انا اسمعطيكم لكم الدين**
اي اختاركم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي موافقون لمخلفون والمعنى وموتوا
على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت على الانسان
وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل فله عليه ما روى عنه
جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرج جاء في الصحيحين قوله تعالى **ان كنتم**
شهداء اجمع شهادته وهو معنى الحاضرين اي ما كنتم حاضرين **وحضر يعقوب لموت**
اي حين احتضر وقرب من الموت تولت في اليهود وذلك انهم قالوا النبي صلى الله عليه
وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بعبادته باليهودية فارتل الله هذا لانه لا يتركها لهم
والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا ليعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم
تخضروا ذلك فلا قد دعوا على انبياء ورسل الانبياء طيل وتنبؤهم الى اليهودية
فاني ما ابتعثت خليلا ابراهيم وولده واسلام الا بعد من الاسلام وبذلك وصوا
اولادهم ربه محمد واليهم شرب من ماء قال يعقوب لنبيه فقال تعالى **اذ قال**
يعني يعقوب لنبيه يعني لا ولادة الاثنى عشر من بعده **ومن بعدى** اي من بعدى
من بعدى قيل ان الله تعالى لم يعقب نبيا حتى يخبره بين الموت والحياة فلما خبر يعقوب

وكان قد رأى اهل مصر عبدة من الاوثان والنيران فقالوا انظر في حقنا اولدنا واولدنا
فاجمع ولداه وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبون من بعدى قالوا **نعم**
الهلك واليه اياك ابراهيم واسماعيل واسحق انما قدم اسماعيل لانه كان اكبر من
اسحق وادخله في جملة الاباء وان كان عمه لان العرب تسمى العم ابا والخاله اما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الرجل صنو ابه وقال في عمه العباس وواعلى ابني **الحق**
واحد و**نحو** له **مسلمون** اي مخلصون العبودية **تلك** اشارة الى الامة المذكورة
يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وولداهم **قد خلت** اي مضت لسبيلها والنفى
يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم
ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم **لما ما كنت** يعني من العمل ولكم يا معشر اليهود والنصارى
ما كنتم اي من العمل ولا تستأثرون بما كانوا يعملون يعني كل فريق يسأل عن عمله لا عن عمل
غيره قوله عز وجل **وقالوا كونوا هودا او نصارى فقتلوا** وقال ابن عباس تزلزلت في رؤساء
اليهود وكعب بن الاشرف وقال ابن الصنف ووهب بن وهب بن هودا وابي ياسر بن خطب
وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابها وذلك انهم خاضوا للمومنين في الدين
فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء
وكتابتها النوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرنا بعيسى والنجيل ومحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمومنين
كونوا على ديننا فلادى الا ذلك فانزل الله عز وجل **قل يعني يا محمد بل ملة ابراهيم يعني**
اذا كان لا بد من الاتباع فتبعت ملة ابراهيم لانه جمع على فضله **حينما** اصله من الخف
وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الخفيف هو المائل عن الاديان
كلها الا من الاسلام قال الشاعر ولقد خلقنا اذ خلقنا **حينما** ديننا عز كل دين
والعرب تسمى كل من حج او حنن **حينما** تنبها على انه على دين ابراهيم وقيل الخفيفة
الختان واقامة الناسك مسلما يعني ان الخفيفة هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم
عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم وفيه تفرقة بين اليهود والنصارى وغيرهم
من يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال تعالى
قولوا امنابا لله يعني قولوا ايها المومنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا
هودا او نصارى فتمتدوا **امنابا** لله اي صدقنا بالله **وما انزل الينا يعني القرآن وما انزل**
الى ابراهيم اي وامنابا انزل الى ابراهيم وهي عشر محاييف **اسماعيل واسحاق ويعقوب**
والاسباط وهم اولاد يعقوب الاثني عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط
هو ولد الولد وهو الحافز ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه

وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالنقبائل في العرب من بني اسماعيل وكان في الاسباط
انبياء **وما اوتي موسى يعني النوراة وما اوتي عيسى يعني الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم**
والمعنى انما ايضا بالنورانية والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله
حق وهدي ونور وان الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى
و**حق لا فرق بين احد منهم** اي لا تؤمن ببعض الانبياء وتكفر ببعض كما نزلت اليهود
من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وافترت ببعض الانبياء وكما نزلت النصارى من محمد
صلى الله عليه وسلم وافترت ببعض الانبياء بل تؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدي
ونحو **مستلزم** اي ونحوه تعالى خامعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية **عن ابي هريرة**
قال كان اهل الكتاب يزعمون النوراة بالعبرانية ويغيرونها بالعربية لاهل الاسلام فقالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضدوا قول اهل الكتاب ولا تكذبوا بهم وقولوا لنا باسهم **وما**
انزل الينا الاية قوله تعالى **فاذ امنوا** يعني اليهود والنصارى **بمثل ما امنتم به** اي بما
امنتم به ومثله كقوله ليس كمثل شيء اي ليس مثله شيء وقيل **فاذ امنوا** اي بانكم
وتوجه كتوحيدكم **فقد امنتم** او والمعنى ان حصلوا دينا اخر مثل دينكم في الحققة
والسداد **فقد امنتم** والكنى استحال ان يوجد دينا اخر يساوي هذا الدين في الحققة
والسداد استحال الامتناد بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والافراد بكل الانبياء
وما انزل اليهم وقيل معناه فاذا امنوا بكتابتكم كما امنتم بكتابتهم **فقد امنتم** **واذ قولوا**
اي اعترفوا فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة وكراهية وقيل في
خلال وصل من الشقاق انه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل مومن
المشقة لان كل واحد منهما يمر على ما يشق على صاحبه ويؤذي به **فيكفيكم الله اي**
ما يكفيكم اسما محمد شر اليهود والنصارى وموضوعان من الله تعالى لاثبات رسوله صلى الله
عليه وسلم لانه اذا تكلم بشي اخبره ومنا خبا لا يخيب فيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد اخبر الله ما وعد به بقتل بني قريظة وسبيهم واجلابني النضير وضرب الخزاعة على اليهود
والنصارى **والجميع** لا قولهم العليم باحوالهم ليس جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما
ما يصرون من الحسد والقيل وهو مجاز بهم وهو انهم عليه قوله تعالى **سنة الله**
قال ابن جرير بن الله وانما سماه صيغة لان اثر الله فيهم على المتدين كما يظهر
اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل ارادة الله لختان
لانه يصبغ المختلن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحد منهم مولود
واقي عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصغر سمونه ما المعجونة وصبغوه به
ليطهره به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر

ملائكة

على اجداده او قالا احواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس سنة عشر وسبعة
عشر شهرا وكان يحجه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها العصر
وصلى معه قوم فخرج رجل من كان صلى معه فمر على اهل مسجد قبا وهم راكعون فقال اشهد
بانه لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت
وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وبني قبلة اهل الكتاب فلما ولى
وجهه قبل البيت نكروا ذلك قالا البر في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول حاله
وقالوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ولخلق العلم في وقت
تحويل القبلة فقالوا لا ترونا كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس
سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء
لثمانية عشر شهرا وقيل كان ليلة عشر شهرا او قيل لثلاثة عشر شهرا وقيل تزلزلت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سمية وقد صلى بافحامه ركعتين من صلاة الظهر
فخولت الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والساكنان الرجال فسمي
ذلك المسجد مسجد القبلتين ومن قبل الخبر الى اهل بيت في صلاة الصبح في عن ابن عمر قال بينما
الناس في صلاة الصبح انما حضرت ابي فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتر على الليلة
قران وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة وقوله تعالى **وحيث ما كنتم يعني من براوج مشرق او غرب فاولوا وجوهكم شطره** اي
نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبله احرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اريد بالشرق مشرق الشام في اقصا يوم من السنة
وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
عن عينة ومشرق الشام في سائر كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل الشرق لان المشرق
الشامي جنوبي منها وعن خط الاستواء والذي بينهما مقوسهما والفرق من مكة في القبلة اربعة
عشر الكعبة ولم يبعد عن مكة اصابة الحقيقة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع
ذكرها وإنما نحن في القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا سي ائتمعت من تلقاء
نفسك فثارة صلى الى بيت المقدس وثارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكانت حوا ان
تكون حكا حجة الله فيكم فانه تعالى **والذين اتوا الكتاب يعني اليهود ليعلموا انه**
الحق من ربهم يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هداهم فقال تعالى وما الله بغافل
 عما يعملون يعني وما اناساه عما يفعل هؤلاء اليهود فانا اجاز بهم عليه في الدنيا والاخرة
وفرض عليهم ان لا قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا باغافل
عن ثوابكم وجزاكم فانا انبئكم على طاعتكم افصل الثواب واخر بكم احسن الجزاء قوله تعالى

فما بين المشرق والمغرب قبله احرجه الترمذي

ولين

ولين انبت الذين اتوا الكتاب يعني اليهود بكل اية وكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان
وذلك الفهم قالوا ايتنا بآية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الآية ما تتبعوا قبلك
يعني الكعبة وما انت بتابع قبلكم يعني ان اليهود يصلي الى بيت المقدس والنصارى الى
الشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع
اختلاف جهاتهما فالتزمنا قبلك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة
بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود
والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ولين امتعت ما واهم يعني ما واهم ورضاهم او
رجعت الى قبلة من بعد ملجأكم من العلم اي من امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل
اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد الحق انك اذ الى الظالمين
يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وصرها قبل هذا الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهل امة او قبلة او خطاب
له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين اتبعوا الكتاب
يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اذ اذعه يومئذ اهل الكتاب كعبه الله من سلام واصحابه
يعرفونه قيل يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة بالوصف المعين الذي يجدونه
عندهم كما يعرفون اناسهم اي لا يشكون فيه ولا يشكبه عليهم كما لا تشكبه عليهم
ابنا وهم من ابنا غيرهم روي عن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله اتر على
نبيه صلى الله عليه وسلم الذي اتبعناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه
المعرفة فقال عبد الله يا محمد لقد عرفت حيز رايته كما عرفت ابني ومعرفتي بحمد صلى الله
عليه وسلم اشد من معرفتي بابي فقال عمر فكيف ذلك فقال شهدته رسول الله حق
من الله وقد نفعته الله في كتابنا ولا ادرى ما تصنع الشا فقبل عمر راس عبد الله وقال
وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الصمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى
ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرقت اليها من قبلة ابراهيم وقبلة
الانبياء قبل ذلك كما يعرفون اناسهم لا يشكون في ذلك وان في قلوبهم اي من علماء اهل الكتاب
ليكنتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة وهم يعلمون ان كتمان
الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة
والانجيل ومنهم مع ذلك يكتفون الحق اي الذي يكتفونده ما هو الحق من ربك فلا تكونون من الممترين
اي الشاكين في ان الذي تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان
بعضهم عاندوكم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتر ولم
يكف فاما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد

به غيره والمعنى فلا مشكون انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى **ولكل وجه** اي لكل اهل ملة قبله والوجه اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في المتوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجه ان المراد به جميع المسلمين اي ولكل اهل جمعة من الافاق ووجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الارمان والاشخاص **وموليا** اي مستقبلا والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة مولى وجهه اليها وقيل موليا اي محتارها وقيل ان هو عايد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليا ايها وقرى موليا اي مصر وفايها **فاستنبقوا الخيرات** اي بادروا بالظلمات وقولوا لا امرؤ فقيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلوية فعلى هذه التكون الآية دليلا لمذهبنا في ان الصلاة في الوقت افضل لقوله فاستنبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الذنب ان ما تكونوا يعني انتم واهل الكتاب **يا ايها الذين آمنوا** اي من اهل القبلة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعد لاهل المعصية بالعقاب **ان الله على كل شيء قدير** اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لمستمحى العقوبة قوله عز وجل **ومن حيث خرجت فول وجهك** **شطر المسجد الحرام** اي من اي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحو **وانه يعني التوجه الى الحق** من ربك اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه **واما الله** بغافل عما تعملون اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا** **وجوهكم** شطره فان قلت قل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وموان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتعريف وازالة الشبهة وايضا البيان لحسن التكرار فيه لتعلم من جمعة الى جمعة **ليلا يكون للناس عليكم حجة** قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل يوعى العموم وقيل يوعى قريش واليهود فاما قريش فقالت جمع محمد الى الكعبة لانه علم انما الحق وانما قبلة ابيه ويرجع الى ديننا كما رجع الى قبلة ابيهم وقالت اليهود لم ينصف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله **الا الذين ظلموا** منهم من ظلموا في الدنيا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم عباد لولهم بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان استغناء قدام حجة انما يكون تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم وادحضه عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم عباد لولهم

7
بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم من فلول من قراع الكتاب اي لكن سيوفهم من فلول وليس يعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا الى الكعبة قبله ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيجول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي بجده في كتابنا سيجول الى الكعبة ولم يحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي الا ان يظلموا فيكم وما عرفوا من الحق **فلا تخشوا** اي فلا تخافوهم في انفسكم الي الكعبة في نظامهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة **واخشوا** اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتم به وفرضته عليكم **ولا تهم** **نعمي عليكم** اي ولكن انتم نعمتي عليكم بديانتكم الي قبلة ابراهيم لستم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة **ولعلمكم** **بثبوت** اي اني تثبت وامن الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى **انما ارسلنا فيكم رسولا كما ارسلنا فيكم** **اي شي** ترجع اليه فقل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولا تم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا واعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعثنا الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعدده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين وانتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدهما وهو قوله فاذا ذكرتم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منهم فاذا ذكرتم وجه التشبيه ان النعمة بالذكورية مجرى النعمة بالرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذلك قوله منكم وفي رساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب **رسولا** يعني محمد صلى الله عليه وسلم **تلقوا** **عليكم** **ايانا** يعني القرآن وذلك من عظم النعمة لانه معجزة باقية على الدمار **وتزكيتكم** اي يطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل بعلمكم ما اذا فعلتم صرتم اركيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الاعمال **وعلمكم الكتاب** يعني احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير الملاوة فليس يتكرر **الحكمة** يعني السنة والفقه في الدين **وعلمكم** **ما لم تكونوا تعلمون** يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والحاضر الخالية وقصص الانبياء والابرار عن الحوادث المستقبلية مما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذكرتم وقيل

الذكر يكون باللسان وموان يسجد ويجده ويجد. ويحذرك من الذكر ويكون بالقلب
وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بجوارح وموان
تكون مستغرقة في الاعمال التي امر بها مثل الصلاة وسائر الطاعات والقول الجوارح فيها
فعل **اذكركم** اي بالشواهد والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل
اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال اهل المعاني اذكروني بالمؤجبه والايات
اذكركم بلحان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلام اذكروني بالقلوب
اذكركم بغير ان الذنوب اذكروني بما لا عا اذكركم بالعطاء عن اي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي في وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكركه في ملاخير منهم وان تقرب الى شبرا قربت
اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا قربت اليه باعا وان اتاني بمشي اتيته هرولة قوله عز وجل
انا عند ظن عبدي بي فقل معناه بالغفران اذا استغفروا بالقبول والاجابة اذا دعاوا بالالفانية
اذا اطلب وقيل المراد منه تحقيق الرجاء واميل العفو وهذا هو قوله وانا معه حين يذكرني يعني
بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في
اللفظ لها معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون
المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه احد قوله وانه ذكرني في
ملاذكريته في ملاخير منهم الملا اشرف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الي ابراهيم وهذا مما
استدل به المعتزلة ومن وافقهم على تفصيل الملائكة على الانبياء واجيب عنه بان الذكر
غالب يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الى شبرا قربت منه ذراعا وهذا
من تخاديت الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فقل مبداء يكون
ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد تقرب العبد
من الله تعالى لتقرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد تقرب
نعمه والطاف بوجه وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما
زاد بالطاعة والذكر زادت بالبر والاحسان وان اتاني بمشي في طاعتي اتيته هرولة
اي صبت عليه الرحمة صببا وسبقته نقاشا عن اي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني في شقاه
وق عن اي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر نفسه
والذي لا يذكره كمثل الحي والميت مر عن اي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يستحق المفردون قالوا وما المفردون قال الذين لا يذكرون الله كثيرا
والذين لا يذكرون الله كثيرا الذين ذهب لقرن الذي كانوا فيه وتغوا وهم يذكرون الله وينالون

الرجل اذا تنفقه واعتزل وقوله تعالى واشكروا لي يعني بالطاعة ولا تذكرون اي بالمعصية
فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلاة انا خصمها به لك لا فيها من المعونة على العبادات اما الصبر فهو
حبس النفس على احتمال المكافاة في ذات الله وتوطئتها على تحمل المشاق في العبادات وسائر
الطاعات وتجنب الخزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم ومنه
به ومنهم من حمل على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلا يجب ان تفعل على طريق
الخشوع والتذلل للمعبود والاخلال به وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الزايف
وبالصلوات المحسنات في مواقيتها على تحصيل الذنوب **ان الله مع الصابرين** اي بالعون والنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت فيمن قتل به رمي المسلمين وكانوا اربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين ومم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمر بن ابي وقاص بن هيب
ابن عبد مناف بن زهرة الزهري خو سعيه بن ابي وقاص وذو الشاين واسمه عمر بن عبد عمرو
ابن قيس بن عمرو بن خراطة ثم بني عبيد بن غافل بن البكير بن بني سعدة بن كنانة ومجمع
مولي العزم والخطاب وصفوان بن يحيى بن الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية ومم سعد بن
خزيمة وميشرة بن عبد المذر بن يزيد بن الحارث بن فحيم وعمر بن الحمام ورافع بن العلي حارثة
ابن سراقه وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن فحيم بن سودة واما ابنه عفا وامي اما كان الناس يقولون
لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا انها قال الله هذه الآية وقيل
ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لافناء محمد من غير فائدة وقيل
هذه الآية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله بل احيا وانا احياهم الله عز وجل في
الوقت لا يصال النوايا اليهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تفرضا زلفهم على
ارواحهم ويصل اليهم الروح والرحمان والفرح كما تفرض النار على ارواح الافرغ عند او عشا
فيصل اليهم الالهم والوجع فقيه دليل على ان المطيعين يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم
في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موقوفين بمعنى قوله بل احيا
وقا وجه النفي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات
بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا يصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء في خواصر
طير خضر تسبح في الجنة فهم احيا من هذه الملة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم
وجواب خروجه هو انهم احيا عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فحق لشاهدتهم
لذلك ويذكر على ذلك قوله تعالى ولكن لا تسفروا اي لا تروهم احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانا نقولون
يا جباري اياكم به فان قلت ليس يا المطيعين من المسلمين يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم
فلهم خصص الشهدا بالذكرك قلت انا خصهم لان الشهدا افضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وموانهم

ابن الصالح

يرزقون من مطاعم الجنة ومما كلها وغيرهم ينعمون بما دوز ذلك وجواب خبره والله
رد القول من قال ان من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا اختلفوا في خبر الله بقوله
بل احيانا نهم في نعيم ايم قوله تعالى **ولنبلونكم** اي ولنجبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم
تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطابع من العاصي لا يعلم شيئا لم يكن عالما به فانه
بتحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وخذونها **ابن** اي انما قال بشي ولم يقل يا شيالا
يوهم ان شيئا قد ادى الى خوف وكذا الباقي فلما قال بشي كان التقدير بشي من الخوف
وبشي من الجوع وقيل معناه بشي قليل من هذه الاشياء من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو
والخوف وقع مكره يحصل منه ألم في القلب والجوع يعني التخط وتعد حصول القوت ونقص من
الاموال يعني بالهلاك او الخسران **والانفس** اي ونقص من الانفس بالموت والقتل **والثمرات** يعني
الخراج في الثمار وقيل قد تكون الجنة ايضا وبترك العمل والجماعة في الاشجار وحكى عن الشافعي
في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال
يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة
القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مات ولد العبد قال الله تعالى
لما يكتنه اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فما قالوا لو احمدا
واسترجع قال لا يواله بيتنا في الجنة وسواه بيت الحمد اخرج الترمذي وقال حديث حسن
فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد
اذا علم انه مبتلي بشي ووطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا
شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين لم يعلموا بذلك صحة الدين
فبعد دعوتهم ذلك الى متابعتهم والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه
فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما
اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من القتال فلما اخبر الله انه سيجاهده فغده ذلك تميز
المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اذا خلاصه من حال
الرخا فاذا علم انه مبتلي دام على التسرع والابتها الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من
البلاء ثم قال تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلاء وبشر يا محمد الصابرين على امتحان فيما
امتحانهم به من الشدايد والمكاريه ثم وصغهم بقوله تعالى **الذين اذا اصابهم مصيبة**
اي نائية وابتلا قالوا ان الله يعني عبدا وملكا وانا اليه راجعون يعني في الآخرة مرغمات
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عبده فضيبه مصيبة فيقول ان الله
وانا اليه راجعون اللهم اجزني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبتيه واخلف
له خيرا منها قيل ما اعطى احدا ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيا

احد لا اعطى يعقوب الا تسرع الى قوله عند فعد يوسف يا اسحق على يوسف وقيل في قول
العبد ان الله وانما اليه راجعون فتعويض منه الى الله وانما راجع بكل ما نزل به من المصائب
اوليك يعني من هذه صفته عليهم صلوات من رزقهم قال ابن عباس اي مغفرة من رزقهم ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ابي وافي اي اغفر له وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عني
مغفرة ورحمة بعد رحمة **ورحمته** قال ابن عباس وسعة والرحمة من الله انفاضا وفضلا احسانه
ومن الادميين رقة وقطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة
لا تساع المعنى واتساع اللفظ وتفضل ذلك العرب كثيرا اذ اختلف اللفظ واتفق المعنى
وقيل كرهها للتاكيد اي عليها من رحمة بعد رحمة **واوليك هم المهتدون** يعني الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفارزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب
نعم العدلان ونمت العداوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعداوة المدنية فصل
في ذكر الحاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجرا الصابرين خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مرد الله به خيرا يصيب منه يعني يتلبيه بالمصائب حتى ياجره
على ذلك **ق** عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من
نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى لا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها
خطايا له النصيب المغيب والاعيا والوصب لم يرض **ق** عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فاسواه الا حط الله به سيئاته
فما حط الشجرة ورقها **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل
الزرج لا تزال الريح تقيفه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزق
لا تثمر حتى تستحصد الارزق ثم يعرف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر
ثمرة الارزق وقيل الارزق الثابتة في الارض عن انس بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده شرا امسك عنه حتى يوافي به
يوم القيامة وبعد الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزامع عظم البلاء
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرج الترمذي
وله عز جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى
اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرصت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء في المؤمن والمومنة في نفسه وولده
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزا اذ اقبضت صنيته من اهل
الدنيا ثم احسبه الى الجنة عن سعيد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اني اشد بلاء

منه

بلغ

قال الانبياء مثل الا مثل فالامثل يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد
 بلاؤه وان كان في دينه رقة موز عليه فاما يبرح البلا بالعبادة حتى يتركه يمشي على الارض
 وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل ان الصفا والمروة
 من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة المسماة بقلبي الحجارة الصفاة
 والمروة الحجارة الرخوة وجمعها مرو ومرواات وهذا ان اصلها في اللغة وانما عني الله بها
 الجبلين المعروفين بمكة في طريق المسعى ولذلك ادخل فيها الالف واللام وشعائر الله اعلام
 دينه واصلاها من الاشعار وهو الاعلام واحدها شعيرة وكلما كان معلما يقترب به الى الله
 من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله وشعائر الحج معاملة الظاهرة للحج
 ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمخرج كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك
 التي جعلها الله اعلاما للطاعة فالصفا والمروة منها حيث يسعي بينهما **فخرج البيت**
 اي قصده البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لا فائدة للمناسك
او اعتمر اي نزل البيت والعمرة الزيادة في الحج والعمرة للشرع عين قصد الزيارة **فلا جناح عليه**
 اي فلا اثر عليه واصله من جرح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف بها اي يدور بها ويسعى**
 بينهما وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صلمان يقال لهما اساف ونايلة
 فكان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكانت اهل الجاهلية تطوف بين الصفا والمروة
 تعظيما للعبادة فلما جاء الاسلام وكثر الاصنام تخرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة
 فانزل الله هذه الآية واذا نفي السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله **وعن عاصم بن سليمان**
الاحول قال قلت لانس كنتم تذكرون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من
شعائر الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت واعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين
الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله فنص اختلف العلماء في حكم
 السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر
 وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو
 قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه
 دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية
 عن احمد في ذلك فروى عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجة وروى عنه
 انه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا يبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب
 هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصح عليه انه لا اثر في فعله فدخل
 تحت الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة

شعائر الله

واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة
 فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب
 او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان
 الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي
 بجواه واسمها جبيعة احدي بنات ابي عبد الله اذ قالت دخلت مع نسوة من قريش دارا
 الي بني حنين فنظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعي بين الصفا والمروة فرأيت
 يسعي وان ميزره ليدور من شدة السعي حتى لا يقول في ارضي ركبته وسمعتة يقول
 اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة
 زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
 فمن حج البيت واعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاراي عليا حديثا ان لا يطوف
 بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت
 هذه الآية في الانصار كانوا يملكون لمناة وكانت مائة حذو كديده وكانوا يخرجون ان
 يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
 الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية من جابر في حديثه الطويل في صفة
 حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة
 من شعائر الله اية او اياك الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه
 وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله عليه السلام قد وعاني مناسككم
 والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشراط شرعت في بقعة من بقاء الحرم ويؤتاها في احرام
 كامل فكان كذا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله
 فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يثبت في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله
ومن تطوع خيرا فهو خير وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح
 عليه ليس فيه الا انه لا اثر على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره
 كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو المتشكك
 بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع
 هو الطواف المذكور او لا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا اخر يدلى على ذلك قوله
 الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع التطوعات في الدين يعني فعل فعل كل اية
 على ما اقرض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع
 الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما
 فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للجمهور

مكية

فان الله ساكر على الطاعة عليم اي بعبثته وحقيقته الشاكر في اللغة هو المظهر
للائام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه
لا تلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اراد به
انه المجازي على الطاعة بالشواب لان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظهرة
في الاحسان اليهم قوله تعالى ان الذين يكتون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في اليهود
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في
التوراة وقيل ان الاية على العموم فمن كتم شيئا من امر الدين لان اللفظ عام والعبارة
بعموم اللفظ لا بخصوص السب ومن قال بالقول الاول فانها في اليهود قالوا انكم لا تبع
الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة
اليكاته واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عطلت مصيبيته عن اي هزيمة
قالوا لولا ايتان انزلنا الله في كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتون ما انزلنا من البينات
والهدى الى اخر الايتين وهما اظهر اعلوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح
انه اذا اظهره البعض بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل
العالم عن شيء يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والافلام بعد ما بيناه للناس في الكتاب
يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل
ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كانه
اوليك يعني الذين يكتون ما انزل الله من البينات والهدى بلعنهم الله اي يبعدهم الله من رحمة
واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد وبلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلايق
الاجن والانس وذلك ان البهايم تقولنا منقضا القطر لخاصي بني ادم وقيل اللاعنون
هم اجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا حجت
الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استضافوا الى الانبياء
قائلا اي ندوا على ما فعلوا فجعوا من الكفر الى الاسلام واصلحو يعني الاعمال فيما بينهم
وبين الله تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم فاوليك اتوب عليهم اي اجتاز عنهم واقبل
توبتهم وانا التواب والمجاوز عن عبادي الرجاء بقلوبهم المنفرة عني الى الرحيم يعني
بهم بعد اقبالهم على قوله عز وجل ان الذين كفروا وما كانوا كفارا اوليك عليهم لعنة الله
واللائكة والناس اجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يوتي بالكا فيوقف فيلعنه
الله ثم تلحقه اللائكة ثم يلعنهم الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلحقه اهل
دينه وملكه فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد
بلعنهم وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون

72
الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه خاله في هذا اي مقيم في اللعنة وقيل في النار
وانما اضربت لعنهم شاملا لا يخفف عنهم العذاب ولا يغيرون اي لا يملكون ولا يوجبون
وقيل لا ينظرون ليعتدروا وقيل لا ينظر اليهم نظرحمة فصلا فيما يتعلق بهذه الايتين
الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على
الاسلام وقد شرط الله تعالى في هذه الاية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز
لعن الكفار بعد عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشح فمحلوا
فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصابة
من المؤمنين فلا يجوز لعن احد منهم على التيقن وانما على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعن الله الشارق يسرق البيضة والحبل فمقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الواسمة والمستوشمة وكل الربا وموكله ولعن من غير مار الارض ومن انتب لغير ابيه
وكلامه في الصحيح قوله تعالى والحكم الله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا
يا محمد صف لنا ربك وانصبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد لا تضاد
وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعه ولا يتقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظيره
وليس كمثل شيء وقيل واحد في الاهيته وربوبيته ليس له شريك لان الشريك شركا معه الالهية
فكذبهم الله بقوله والهمكم الله ولحد يعني لا شريك له في الالهية ولا نظيره في الربوبية والتوحيد
هو نفى الشريك والقسيم والشبه فانه تعالى واحد في افعاله لا شريك له بشاركة في مصنوعاته
وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه لا اله الا هو
تقدس للوحدانية بنى غيره من الالهية وابنا لخاله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعني انه
المولى لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه امانة واما
منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم هم عن آسمانك يزيد قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اسلموا لاعظم في هاتين الايتين والحمد لله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم وفاحة ال عمران الحمد لله الاموال العتوم اخرج ابو داود والترمذي وقال
حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الحكم الواحد فليأتنا بآية
ان كان صادقا فانزل الله هذه الاية ان في خلق السموات والارض وعلمه كنيهة الاستدلال
على وحدانية الصانع ورد به الى التفكير في آياته والسطر في عجائب مصنوعاته واقار افعاله
ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعا لكان له الافعال لا يستحال انما فاعلهما
على امر واحد ولا متع في افعاله التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم
والمدبر له واحد قادر مختار فيبين سبحانه من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله
تعالى ان في خلق السموات والارض وانا جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس

غير جنس الاخرى ووحدة الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية في السما سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض
مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار
والثمار والنبات النوع الثاني قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اي تفاوتها في المجرى والذهاب
وقيل اختلافهما في الطول والعرض والزيادة والنقصان والنور والظلمة والنافع واليصل على
النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار انما نظام احوال العباد بسبب طلب الكسب
والنعيشة يكون في النهار وطول النعم والراحته يكون في الليل فاختلف الليل والنهار انما
هو لتخصيص مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى **والفلك التي تجري في البحر اى السفن**
واحدة وجمعه سوافن وسمى البحر بحر لا تساعه وانما طه والاية في الفلك لتخبرها
وجريها على وجه الماء وما موقرة بالاشكال والرجال فلا ترسب وجريها بالبحر مقبلة
ومدبرة وتخير البحر لجل الفلك مع قوة سلطان الماء وميجان البحر فلا ينحى منه الا الله تعالى
النوع الرابع قوله تعالى **ما ينفع الناس** يعني ركبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح
والاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يوق قلوبهم من ركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم وما نفهم
وايضاً فان الله تعالى لا يوق قلوبهم من ركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم وما نفهم
سبب دعوتهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك
فالحاصل ينتفع لا بد يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى **وما اترل الله**
من السماء من ماء فيل اذ ارب السحاب سمي سما لان كل ما اعلل فاطلاك فهو سما خلق الله
الما في السحاب ومنه ينزل الى الارض فيل اذ ارب السحاب يعني خلق الله الما في السما ومنه ينزل
الى السحاب ثم منه الى الارض في احياء اي بالما الارض بعد موتها اي بعد يسها وجدوبها
سما موتها مجازا لانه اذ لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر في كالميتة والاية في اترل المطر
واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياء جميع من حيوان ونبات وتروله عند وقت
الحاجة اليه مقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان وزمكان النوع السادس
قوله تعالى **وبث اى فرق فيها اى في الارض من كل امة** قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض
من جميع المخلوق من الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد
وموادهم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسة والطبايع والاعلا
والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله تعالى **ونضرب**
الرياح يعني ما بها فتولا ودبور او شاما وجنوبا ونكبا وماى الريح التي تاتي من غير مهب صحيح
فكل ريح مختلف ما بها تسمى نكبا وقيل نضربها في احوال معاقبها بالينة وكما صفة وحارة وباردة
وسميت ريحا لانها تخرج قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الاشفاس عقيم

او منده وقيل البشارة في ثلاثة رياح الصبا والسمال والجنوب والذبورى الريح العقيم
التي اهلك بها عاد فلابشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا تمسك ولا ترى
وماى مع ذلك في غاية القوة تفكع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وماى مع ذلك فلو
امسكت طرفة عين لما ت كل ذي روح ولست كما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى
والسحاب المسخر بين السماء والارض اى الغيم المذلل سمي سحابا بالسرعة سيره كأنه يجب والاية
في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يتقاعقنا
بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود
القانع القادر والمختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المارد من قوله والهم اله
واحد لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلائل مصنوعات اله اله على وحدانيته وقيل
انما جمع ايت لان في كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا
مديرا مختارا يقوم بعقلون اى ينظرون بصفا عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه
الاشياء خالقا ومديرا ومختارا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس من يعنى المشركين
من يتخذ من دون الله اندا ايعنى اصناما يعبدونها والند المثل المذاع فعلى هذا الاصنام
اندا لبعضها البعض وليت اندا لله وتعالى الله ان يكون له ندا وله مثل منادع وقيل الاندا
الاكف من الرجال وهم رؤساؤهم وكبرائهم الذين يطيعونهم في معصية الله يحبونهم اي
يودونهم ويميلون اليهم والحب تفيض البغض واجبت فلانا اى جعلته معصيا بان يحبته
والحبة الامارة كحب الله اى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم
عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحبهم الله فكان المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله
في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني
اثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب والذين آمنوا الله حجتا
له اى اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواء والمشركون اذا اتخذوا صنما
شرا واخر احسن منه طر حوالا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعبدون عن اصنامهم
في الشدايد ويقيمون الى الله تعالى فما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين والمؤمنون لا يعبدون عن الله تعالى في السر والافترا ولا في الشدة ولا في الرخا
وقيل ان المؤمنين يوحدون الله والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتعقل المحبة لصلهم احد
وقيل انما قال والذين آمنوا الله حجتا لان الله احبهم ولا فاحبه ومن شهد له العبود
بالمحبة كانت محبته اتم وسياق في بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبونهم ويحبونهم ولو يرى
الذين ظلموا اقرى بالتا والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
رايت امر عظيم اقرى بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عنده روية العذاب حين

منها في الوجود

يقذف بهم في النار لكونهم كفروا وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون
العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة
لعلوا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله
تعالى ما يتفقوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود
وان الله شهد به العذاب قوله تعالى اذ تبارا الذين اتبعوه وتبارا الذين اتبعوا
وراوا العذاب اي القادة من مشركي الانس والجن يومئذ يجمع القادة والاتباع
في النار بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم
وقيل هم الشياطين يتبرون من الانس والقول هو الاول ونقطت بهم الاسباب يعني
الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي
كانت بينهم يعملونها في الدنيا وفيك اليهود والحلف التي كانت معهم اي بينهم يتواديون
عليها واصل السبب في اللغة الخيل الذي يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ
من ذريعة او قرابة او مودة سبيبا تسيبها بالخيل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع
لوان لناكرة اي رجعة الى الدنيا فتمتبر ائمتهم اي من المتبعين كما تباروا واما اليوم فكذلك يريم الله
اي كما ارادهم العذاب يريم الله اعمالهم حرق عليهم لانهم ابتغوا الهلاك والحرق العظم
على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انخرع عنه الحمل الذي حملة على ما ارتكبه والمعنى ان
الله تعالى يريمهم اليقل التي علموها وارتكبوها في الدنيا فينجسون لم علموها وقيل يريمهم
ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة فيقال لهم تلك
مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين ينجسون ويندمون على ما فاتهم
ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا تزلت في ثقيف وخرافة وعامر بن صعصعة وجي مدح فيما حرموا على انفسهم من
الحث والانعام المحيرة والسايبة والوصيلة والحامر والحلال المباح الذي احله الشرع
وانخلت عقدة الخطيئة واصله من الحلال الذي هو تقييد العفة والطيب ما يستلذ
والمسلم لا يستطيع الا للحلال ويعاقب الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تركه
النفوس وثقافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأثموا به ولا
تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل لكم الى ما يحدوكم اليه ليطمان
وقيل هي اللة وفي المعاصي وقيل هي المحترات من الذنوب ثم بين على هذا التخيير قوله تعالى
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته باباياه السجود لادم ثم بين
عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء يعني بالاثم والسيئ وما ينهاكم عن
والفحشا يعني بها المعاصي وما يقع من قول وفعل قال ابن عباس السوء ما لا يحل فيه والفحشا

ما يجب فيه الحد وقيل معنى الفحشا الزنا وقيل نبي الخلق وان تقولوا على الله ما لا نقول
يعني من يخترع الحد والانعام ويتناول ذلك جميع المعاصي والمذاهب الفاسدة التي
لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان وسوسته
عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وما هيبة هذه الخواطر حروف
واصوات منتظمة خفيفة تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله
تعالى والمحدث لها في باطن الانسان واما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك
وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من نبي ادم مجرى الدم
وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله هذه قضيتهم متأنفة والصغير في لم يعود على غير مذكرة قال ابن عباس دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال ارفع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع
ما الفينا عليه ابانا ففهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية وقيل ان الآية منسلة
لما قبلها والصغير في لم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دونه اندادا وهم مشركوا العرب
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه ابانا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الصغير في لم يعود على
قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على
انفسهم قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه ابانا يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى
اولوكان اباؤهم يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين
لغفلة عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يمتدوا الى الصواب
ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء وحدا
النعيق صوت الراعي للغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد
ومثل الكفار في معظهم ودعايهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع
الا صوتا فصارا الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة
الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تظن المراد وكذلك الكفار
يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين
كفروا في قلة عقابهم وطمعهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفهم من
الامر والنهي الا للصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناق ووقيل معناه
ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تنفع ولا تغفل كمثل الناق بالغنم فهو لا يستفهم
من نعيقة بشئ غير انه عناء من الدعاء والثقة لذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها
الا العناء والبلاء والرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا ما هو المدعو
والاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بهم عني

لما شبههم بالبهائم زاد في سبكيتهم فقال صم لا تنم اذا سمعوا اللقود دعا الرسول الى التبتغوا به
صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال للذي لم يسمع ولا يعقل كانه اصم بكم اي عن المطلق
بالخير عني اي عن طريق المدي فهم لا يعقلون قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي
كان حاصل فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر
في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب
كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال
مر عن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل
الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعثا غبرا يده يه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بلحرام فاني يستجاب لذلك قوله استعث اعبروا بالبعد العهد بالدهن والغسل
والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعلم قوما تترهوا عن اكل المستلذ من الطعام
فاباح الله لهم ذلك واشكروا الله يعني على نعمه ان كنتم اياه تغفرون اي اشكروا الله الذي
رزقكم هذه النعم ان كنتم تحفظونه بالعبادة وتقربوا الى الله لا غيره وقيل ان كنتم
عارفين بالله وبنعمه فاشكروا عليه بقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم **وكم الخنزير**
لما امرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلال لا بين هذه الآية
انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما فارقه الروح من غير ذكاة شرعية ما يذبح واما
الدم فهو الجاري وكاننا العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشوبه وتاكله فحرم الله الدم
واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه واما لحم البقرة لانه المفقود لانه لا ياكل
وما اكل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاطلاق رفع الصوت
وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فحرم ذلك مجرى لهم وخالهم
حتى قيل لكذا ذبح مهمل وان لم يجهر بالنسبة **فمن اضطر** يعني الى اكل الميتة واحوج اليها
غير باع اصل البغي الفساد ولا عباد اصله من العبد وان وهو الظلم ومجاوزه للمحد فلا
التم عليه اي فاكله فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان الله عفو رحيم اكله في حال الضرورة
حرم يعني حيث رخص لعباده في ذلك **فصل** في حكم الآية وفيه مسائل الاولى
في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها بخسة واستثنى الشرع منها
السك والجراد اما السك فللقوله صلى الله عليه وسلم هو الطهور وماؤه الحل ميتته اخرج
للجماعة غير البخاري وسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى
عن ابن ابي اوفى قال عزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عزوات اوستا وكنا ناكل

76
الجراد ونحوه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على
وجه المافق اما لك والشافعي لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن
ابن صالح بن جني انه مكروه وروى عن علي بن ابي طالب انه قال ما طعم من صبيد
البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابى بكر الصديق
وانى يؤكل باخته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا بأس باكل الجراد
ما اخذته وما وجدته ميتا وروى مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا
ية كذكاة مثله بان يقطع راسه ويسوى فان عقله عند حتى يموت فلا يحل
المسئلة الثانية في حكم الدم اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا
يستمنع فقال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال
ابو حنيفة دم السمك ليس نجسا قال انه اذا ليس بهيض واستثنى الخارج من
الدم الكبد والطحال وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن
عبد الله بن عمر بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال اكلنا من الدم دمان ومن الميتة
ميتان للحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ اخر اكلت لنا ميتتان ودمان
فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجة واحمد
ابن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد
قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن
عمر فروغا وضعف ابو بكر بن العزي هذا الحديث فقال يروى عن ابن عمر لا يصح سند
وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر وقفا ومعروفا وروى عن الصريح الموقوف واختلف
في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم لهما
لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي ما دمان ويشهد له الحديث فهو يخص
من العموم المسئلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانا اذكر
الله تعالى تحمة لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء
انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة والشافعي
قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والغنم يكتفى في ولوغه غسل واحدة والفرق
بينهما ان التعليظ في الكلب نجاسة لا يعقل معناه فلا يفتدى الى غيره المسئلة الرابعة في حكم
قوله وما اهل به لغير الله من الناس من نذرهم ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان الذين كانوا
يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصراني اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذنب
عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين ارتوا الكتاب
حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم

المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجبا زبحر وروى عن علي بن ابي طالب انه قال
اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لمستمهم فكلوا فان
الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو
المكلف بالشئ المجا اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر الى خاف التلف
حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثه
اقسام اما باكره او مجوع في خمسة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود
هذه الاقسام بحكم الاستسنا في قوله فلا اضطر عليه وتباح له الميتة فاما الاكره فيبيح
ذلك الى زوال الاكره واما المحض فلا تاكلوا اما ان تكون ايمه فلا خلاف في جواز الشبع
منها وان كانت نادرة فاختلعت العلماء فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق
وبه قال ابو حنيفة والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة في قوله
غير باغ ولا عاقل ابن عباس معنى غير باغ خارج على السلطان ولا عاقل اي متعدي يعني
العاصي بسفوره بان يخرج لقطع الطريق وابوق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفوره ان ياكل
من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المشافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان
اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب ثور الى ان البغي والعده وان يرجعان الى الاكل
وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ
اي غير طالب للميتة وموجب غيرها ولا عاقل اي غير متعدي ما حمله وقيل غير مستحل لها
ولا ممتنع ومنها والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب تزلزلهم في امرهم وسا
اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفليتهم الهدايا والمال وكانوا يرجون
ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيرهم خافوا على ذمها
وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوها فاذن الله ان
الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته ووقت نبوته هكذا قول المفسر قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا
ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغنا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا
يكتُمون التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فكانوا يدكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الهالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فلهذا هو المراد بالكتاب فيصير المعنى ان الذين يكتُمون معاني ما انزل الله
من الكتاب ويشترون به اي بالكتان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب **مثنا**
قليل اي عموما يسيرا وهي المال التي كانوا ياخذونها من سفليتهم **اولئك** ما ياكلون في بطونهم
الا النار يعني ما يودعهم الى النار وهو الرشي والحرام فلما كان ينبغي ذلك بهم الى النار فكانهم

اكلوها ولا ياكلهم الله يوم القيامة اي كلام رحمة وما يسرهم بل ياكلهم بالتوبيخ وهو قوله
احسوا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا ياكل فلانا اذا غضب عليه ولا يتركهم
اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب **ولم عذاب اليم** اي وجع يعزل الله الى قلوبهم **اولئك الذين**
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى
واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عاقلين بالحق ولكن كتموا واخفوه وكان في اظهاره
الهدى والمغفرة وفي كتمان الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانها كانوا
بايعين الله بالضلالة والمغفرة بالعذاب **فما اصبرهم على النار** اي ما الذي اصبرهم واي
شيء جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استنهام بمعنى التوقيف وقيل
انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا
على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراشدين بالعذاب والعقاب برز عليه تعجب من
حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله تزل الكتاب بالحق يعني ذلك العذاب بسبب
ان الله تزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فقلنا لهم ذلك لان الله تزل
الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة وان الذين اختلفوا في الكتاب
يعني اختلفوا في معانيه وتاويله فحرفوها وبه لوها وقيل اموا ببعض وكفوا ببعض يعني
شقاق اي خلاف ومنازعة **بعبه** يعني عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى يضلون قبل المشرق واليهود قبل المغرب
الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما نزعوا ولكن
فيما بينت في هذه الاية وقال ابن عباس في خطاب المؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتد الاسلام
اذ ان النبي بالشهادتين وصلى الى اي جهة كانت ثم ما كان على ذلك وحيث له الجنة فلما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتزلزلت الغريز وصرفت العقيلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال
تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك **ولكن البر** يعني
ما بينت لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله المحبة للثواب والمودعة
الى الجنة ثم بين خصا لا من البر فقال تعالى **من امن بالله واليوم الآخر** اي ولكن البر من امن بالله
فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الآخر وانما ذكر الايمان باليوم الآخر
لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت **والملائكة** اي ومن البر الايمان بالملائكة
كلهم لان اليهود قالوا ان خير بر عدونا والكتاب قيل اراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة
لسياق ما بعده وهو قوله **والنبيين** يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه
يبدل تحت كل واحد منها استياكيرة ما يلزم المؤمن ان يصدق بها **والى الماعلى** يعني من
اعمال البر انما الماعلى حبه قيل ان الضمير اجمع الى المال فالتمسوا على هذا وانى المال على حبه

المال في عن أبي هريرة قال قال جابر بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم أجرًا قال ان تصدق وانت صحيح صحيح تخشى الفقر وتامل العنى ولا تمهل حتى اذا بلغت
الهلكوم قلت لفلان كذا او لفلان كذا او قد كان لفلان كذا اقول حتى اذا بلغت الهلكوم يعني الروح
وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الوصي له وقوله وقد كان لفلان كذا كناية
عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع على الله اي والى المال على حبه وفي طلبه رضائه
ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم احق بالمعطى عن سليمان بن عمار
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان
صدقة وصلة اخوجه النساي فان ميمونة اعتقت وليدة ولم تساد ذن النبي صلى الله
عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدوم عليها فيه قالت اشعرت يارسول الله اني اعتقت وليدة في
قالا وفعلت قالت نعم قال اما انك اعطيتها احوالك كاذ اعظم لاجل الوليدة الجارية
واليتامى اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اي والى الفقراء من
اليتامى والمساكين جمع المسكين سمي بذلك لانه دائم الشكون الى الناس لانه لا شيء له **وابن السبيل**
يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي للسافر ابن السبيل للازمة الطريق وقيل هو الضيف يترك
بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاولا شبه لان ابن السبيل اسر جامع جمل
للسافر **والشاهدين** يعني الشاهدين المستطمين عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للشاهدين حق ولو جاء على فرس لخرجه ابوداود عن زيد بن اسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اعطوا للشاهدين ولو جاء على فرس لخرجه مالك في الموطا عن امرئ مجيد
قالت قلت يارسول الله ان المسكين ليقوم على يائي فما اجد شيئا اعطيه اياه قال ان تجدي الاظفار
مخروقا فادفعه اليه في يده اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث صحيح وفي رواية مالك
في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف مخروق قوله ردوا
المسكين لم يرد به رد اللحم وانما اراد به رد وكنى تقطوع اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة
وفي كونه مخروقا مبالغة في قلة ما يعطى **وفي القاب** يعني المكاتبين وقيل هو فوك النسبة وعتق الرقبة
وفدا الاسارى **واقام الصلاة** يعني المفروضة في اوقاتها **والزكاة** يعني الواجبة **واللوفون**
بعدهم يعني ما اخذه الله من اليهود على عباده بالقيام بحجوده والعمل بطاعته وقيل اراد
بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من قدر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين
الناس مثل الوفي بالوعيد واد الامانات **اذ اعاهدوا** يعني اذا وعدوا بالخروج واذا اذروا وادفوا
واذا اخطوا بروا في ايما نعم واذا اقاوا صدقوا في اقوالهم واذا ايتنوا ادوا الصابرين في
الباسا اي في الشدة والفقر والفاقة **والضاربين** الضاربين الزمانه **وجنبا لباس** يعني القتال والحرب
في سبيل الله وسمى الحرب باسم الباس لانه من الشدة في عن البر قال كنا والله اذا احمر الباس تنقبي به وان

79
النجاء منا الذي يجاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر الباس اي اشتد للحرب
وتنقبي به اي تجعله وقاية لنا من العدو **واوليك الذين صدقوا** اي اهل هذه الاوصاف هم
الذين صدقوا في ايما نعم **واوليك هم المتقون** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص تزلت في حين من احياء العرب اقتلوا في الجاهلية بسبب قتيلا فكانت بينهم
قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل
تزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد احبين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا يتكئون
لشاهم بغير مهر واقسموا يقتلن بالعبء من الحرم منهم وبالمائة من الرجل منهم وبالرجل
منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم صنع في جراحات اوليك فرفعوا المهر الى النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وامروا بالمساواة فرضوا ولموا وقيل انما تزلت
هذه الآية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان اليهود
كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع
القتل على شريف قتلوا به عدوا وياخذون دية الشريفا ضعفا دية الخسيس فلما بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص
فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون
القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص
فرض على القاتل للولى لا على الولي وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص
المساواة والماملة في القتل والدية والجراح من فضل الاثر اذا ابتغى بالمفعول
به يتبع ما فعل به فيفعل مثله ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصى او خنقه او شذخ
راسه بجرح فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي
واحدي الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة
والرواية عن احمد **الحرب بالحرب والعبد بالعبد والافني بالافني** ومعناه انه اذا
تكا فالدعان من الاحرار المسلمين والعبيد من المسلمين والاحرار من المعابد
او العبيد منهم فيقتل كل صنفا ذاق مثل الذك بالذكر والانثى بالانثى
وبالذكر ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا ولد بولد ويقتل الذي بالمسلم
والعبد بالحرب والولد بالولد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويبدل عليه
ماروى البخاري في صحيحه عن ابى حنيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي
صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يوتي
الله عبدا فاما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفك

الاسير وان لا يقتل مومن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي بن خزيمة عن غير رواية
اي حبيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل الذين يقتلوه
عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نقام للحدود في
المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرج الترمذي وذهب اصحاب الراي الى ان
المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهبنا في
ومن وافقه ويقولون في مفسرة لما اهتم في قوله النفس بالنفس ان تلك الواردة
لحكاية ما كتب علي بن ابي اسير في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين ما كتب
عليهم وذهب اصحاب الراي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس
وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما
قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعنا القتلتم قال البخاري وقال معاوية بن
حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابي الليث
ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو قتلوا عليه اهل
صنعنا القتلتم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكر من غير ان يعلم ما يراد به
وقوله لو قتلوا لا اي تقاوتوا واجتمعوا عليه قوله تعالى **فمن عفى له من اخيه شيئا** ترك
له وضح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية والعفو عنها
قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ والى المقتول وانما
قيل له اخ لانه لا بد من قتل انه والى الدم والمطالبة وقيل انما ذكره بلفظ
الاخوة ليعطف احد ما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الحسنة واخوة الاسلام
وفي قوله شيئا دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود وثبتت الدية لان شيئا من
الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف** اي فليستع الولى القاتل بالمعروف فلا ياتخذ اكثر من
حقه ولا يعنفه **واذا اليه باحسان** اي على القاتل اذا الدية الى ولى الدم من غير
مما طلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تعبير الآية واذا عفا
ولى الدم عن شيئا يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليستع القاتل ذلك العفو
بمعروف وليود ما وجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطال ولا مدا فغة
وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافر وان العاقلة مومن بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص فيما هو مومننا حال ما وجب عليه القصاص وانما
وجب عليه بعد صدره من القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبار بالاجماع
قد اعلى ان صاحب الكبيرة مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه
بعد القتل بالايان وسماه مومنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى

الدم بقوله فمن عفى له من اخيه شيئا واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولوا ان الايمان
باق على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى نذر بالعفو عن القاتل
والعفو لا يلحق الا عن المومن لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**
يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف
من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو والدية كانا حراما على اليهود وكان القصاص
حكما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل
كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامت بين القصاص
او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسير وتفضيل لهم على غيرهم **فمن عفى**
بعد ذلك يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبل الدية **فله**
عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد
بالعذاب لا ليم عذاب لاخرة قوله تعالى **ولكم في القصاص حياة** اي بقا وذلك ان
القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاوه
وبقا من هم يقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتصر
منه ارتدع غيره من كان ييم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص
الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والنجاح وغير ذلك وذلك لان الجراح
اذا علم انه اذا جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقا الجراح والمجروح وربما
افضت الجراحة الى الموت فيقتصر من الجراح وقيل في معنى الآية ان الحياة سلاحة
من قصاص الاخرة فانه اذا اقتصر منه في الدنيا لم يقتصر منه في الاخرة وفي ذلك حياة
واذا لم يقتصر منه في الدنيا اقتصر منه في الاخرة **يا اولي الاباء** اي يا ذوى العقول الذين
يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باثلاف غيره **لعلكم تتقون**
يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوفا للقصاص قوله عز وجل **كتب عليكم** اي فرض
واوجب عليكم **اذا حضر احدكم الموت** اي قارب وذنا منه وظهرت اثاره عليه من
العدا والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يخرج عن
الايمان **ان ترك خيرا** يعني ما لا ينل بطلاق على القليل والكثير وهو قول الزهري فيجب
الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين
واختلفوا في مقدار الكثير الذي يقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها
وقيل سبعة فما فوقها وقيل ستون دينار فما فوقها وقيل انه من خمسمية الى
الالف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روى ان رجلا قال العائشة اتني
اريد ان اوصي فقال له كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة

قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعبالك **الوصية** اي اليبسا والوصية
التقدم الى الغير بما يجلبه وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت
للوالدين والاقرين كانت الوصية في ابتداء الاسلام فرضية للوالدين والاقرين على من ترك
وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعد من طلب النعم والشرف والرياء
ويتركون الاقرين فقرا فاجاب الله تعالى الوصية للاقرين ثم نزلت هذه الآية باقية
الموارث ويمارون عن عمر بن خزيمة قال كنت اخذ ابن مائة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارثا خروجه
النسأ وللأزمنة نحو وذهب بن عيسى الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث
ونقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقرين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس
والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين
والاقرين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجبات
تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للتزويج لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض
احكام الآية وذمها لاكثر من المفسرين والعلماء وفقها الحجاز والعراق الى ان وجوبها
صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرؤ مسلم له
شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريده ان يوصي به ان يبيت ليلتين في رواية ثلاث ليل
الا ووصيته مكتوبة عنده قال فافهم سمعت عبد الله بن عمر يقول ما رثت على ليلة منتهى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجها الجماعة قوله
ما حق امرؤ الحق شيئا من ماله على الواجب والندب والحث فيجعل هنا على الحث في الوصية
لانه لا يدرى متى ياتي الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **المعروف**
اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للعتي ويدع الفقير
عن سعيه بن ابي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمني ان يعود في عام حجة الوداع
من وجع اشتد في فقلت يا رسول الله اني قد بلغت من الوجع ما ترى وانما لا يرثني
الا ابنة لي فانصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالثلث يا رسول الله فقال لا قلت فالثلث
قال الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثك اغنيا خير من ان تدرهم عالة
يتكففون الناس العالة الفقرا وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب
بالكف عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس عصفوا من الثلث الى الربع فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال السعة والثلث كثير فقال علي بن ابي طالب لان وصيكم بحسن احوالي من
ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من اوصي بالثلث فلي اوصي بالثلث فلم يترك وقيل يوصي

بالسدر والخمس والربع حقا اي ثابتا بثبوت نذبه لا بثبوت فرضه وجوب **على المشتكين**
اي المؤمنين الذين يتبعون الشك **من بدله** اي غير الوصية من الاوليا والاوصيا وذلك التغيير
اما في الكتابة او في فسخة الحقوق والشهود بان يكتبوا الشهادة او يغيروها وانما ذكر
الكتابة في بدله مع ان الوصية موقوفة لان الوصية بمعنى الايصا كقوله من جاءه موعظة
اي وعظ والتقدم برقمته لقول الميت وما اوصى به **بعدها سمعه** اي من الموصي وحقته
فانما اتمه على الذي يريد لونه اي ان اتم ذلك التبدل لا يعود الاعلى المبدل والموصي والموصى له
بريانه **منه ان الله سمع** يعني لما وصى به الموصي **عليم** يعني يتبدل المبدل **من خاف** اي علم به
خطاب عام لجميع المسلمين **من موص حنفا** اي جورا في الوصية وعد ولا عز الحق والحنف
الميل او انما اي ظاهرا فصالح **فصلح بينهم** وقيل الحنف الخطا في الوصية والاثم العذر وقيل في
معنى الآية اذا حضر رجل مريضا ومو يوصي فراه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف
او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يامر بالعدل في وصيته وينهاه عن الحنف
والميل وقيل اذا اذ احط الميت في وصيته او خاف منه فلا حرج على وليه او وصيه
او والي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ويرد الوصية الى العدل
والحق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه في الصلح **ان الله غفور رحيم** اي لمن اصلح وصيته بعد
الحنف والميل عن اي هيرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ليعمل المرأة بطلعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضار ان في الوصية فحب لها
النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرج
ابوداود والترمذي قوله فيضار ان المضارة ايصال الضر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية
ان لا تمضي وينقص بعضا او يوصي لغير اهلها او يحنف في الوصية ونحو ذلك قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتبنا فرض عليكم **الصيام** والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار
اذا اعتدله وقام قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني تدمرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك
عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص
وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية كما كتب على الذين من قبلكم يعني من الانبياء والامم
من ولداه الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلق الله امة لم يفرغه عليهم كما فرغه
عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عسر سهل عمله وقيل ان صيام شهر
رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض عليا فصا موا رمضان زمانا فاما وقع له الشد في
والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فاسفارهم ويضربهم في معاشهم فاجتمع رأي
علمائهم وروسائهم ان يحلوه في فضل من السنة معتدلين الصيف والشتا فجعلوه في
فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصا موا اربعين يوما ثم بعد زمان

اشتكى ملككم فنه جعل الله عليه ان هو بر من وجهه ان يزيد في صومهم اسبوعا فافتراد
فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليه ملك اخر فقال لما شان هذه الثلاثة
ايام اتوا خمس يوم ما فافته وقيل اصبا بمصر موتا ففعلوا فيه وفي صيامكم فزادوا عشر
قبله وعشر بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده
يوما ثم لم يزلوا يزيدوه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الثلث **لعلمكم**
تتقون يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك
الشهوات من الاكل والجماع وغيرها وقيل معناه لعلمكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير
الصوم وقيل لعلمكم تستطون في شهر المتقين لان الصوم من شعائريهم **اياما معدودات**
اي مقدرات وقيل قليلا فيل ان كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بغيره
المجزة امر العترة ثم الصوم عن عايضة قالت كان يوم عاشورا يصومه قريش في الجاهلية
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن صامها ومن شأ تركه وقيل
ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال ولا كتب عليكم
الصيام وهذا يحفل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك
لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه كحمل
الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير متسوخة يقال ان فريضة رمضان
ترك في السنة الثالثة من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم
الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان منكم مريضا**
او على سفر فعدة اي فافطر فغلبه عدة من ايام اخر يعني غير ايام مرضه وسفره **وعلى الذين**
يطيقونه اي يطيقون الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب كثيرهم الى انها
منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك لانهم كانوا في ابتداء
الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويغذوا وانما اخبرهم الله تعالى باللا يشق
عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التحجير وترك الغزوة بقوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتحجير وسلمة بن الاكوع قال لما
ترك هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر
ويغذي حتى ترك هذه الآية التي بعدها ففسخها وفي رواية حتى تركت هذه الآية
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق
الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويغذي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا

في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين
ان يفطر ويغذي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة
ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال السباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليه
الغذية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطيقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو
المسندة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم عن عطاءه سمع ابن عباس
يقرا وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو
الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا **فدية**
طعام مسكين الغذية الخرا وهو الذي يبيده الانسان بقي به نفسه من نقصان
وقع منه في عبادة ونحوها ويحب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضا الكبير ان
يطعم مكان كل يوم مسكينا مد من غالب قوت البلدة وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض
فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال نصف صاع من البر وصاعا
من غيره وقال ابن عباس يطعم كل مسكين عشاء ويحرم **من تطوع خيرا فهو خير له** يعني زاد
على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكين فاكفر وقيل فمن زاد على القدر الواجب
فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له **وان تصوموا خيرا لكم** قيل هو خطاب مع الذين
يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحمّلوا المشقة فهو خير لكم
من الافطار والغذية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه
الى الكل **اولى ان كنتم تعلمون** يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمت علمتم ما في
الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين
في افطار رمضان بغير عذر ولا عذر البيحة للغير ثلاثة احوالها السفر والمرض
والحيض والنفس نفولا اذا افطروا فعليه القضاء والكفارة الثاني الحامل والرجع
اذا خافا على ولديهما افطرا وعليهما العضا والكفارة واليه ذهب لسافعي وذهب
اصحاب الرأي انه لا فدية عليها الثالث الشيخ الكبير والمعجوز الكبير والمريض الذي لا يرجى
بروه فعليه الكفارة دون القضاء قوله عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم
شهر رمضان سمي الشهر شهر الله يقال للسر اذا اظهره شهره وسمي الهلال شهره
لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهر ابا سمي الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرضا
وهي الحجارة المحلاة في الشمس وقيل انه لما نقلوا اسم الشهر عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي دفعت فيها فوافق هذا الشهر ايام مرض الخنوم به وقيل ان
رمضان اسم من اسم الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم هذا الشهر
كشهر رجب وشعبان وشهر رمضان الذي اترل فيه القرآن لما خطل الله تعالى شهر رمضان

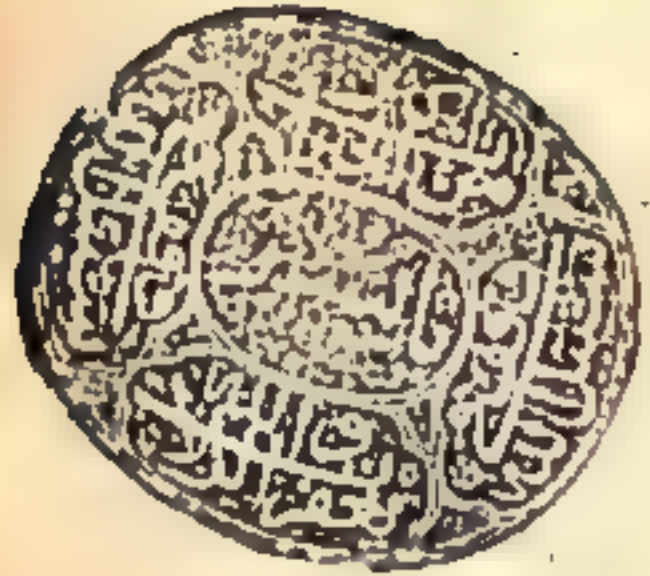
هذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتيبه فيه والقرآن اسم
 لهذا الكتاب لمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول
 القرآن اسم وليس بمموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالنور والابجيل
 فعلى هذا القول انه ليس بمموز وذهب لاكثر من ان الله مشتق من القدر وهو الجمع تسمى
 قرأنا لان جمع السور والايات بعصتها الى بعض ويجمع الاحكام والقصاص الامثال
 والايات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة في ليلة
 القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى
 الله عليه وسلم بخمسة وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
 وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين
 من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال
 مضين من رمضان وانزل ابجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل
 زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم
 في الرابعة والعشرين ليلة مضت بعد ما فعل هذا ليكون انزل القرآن على محمد
 صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان المشي وقيل في
 معنى الآية شهر رمضان الذي نزل به من صيام القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة
 والزكاة ونحو ذلك من الفرائض روى ذلك عن مجاهد والضحك وهو اختيار الحسن بن الفضل
هدى للناس يعني من الضلال و**بينات من الهدى والفرقان** فان قلت هذا قيد شكك وهو انه
 يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اول الهدى
 ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جلياً وتارة لا يكون كذلك فانه قال هو هدى ثم قال هو البين
 من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى
 للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلائل الواضحات
 التي تبين الحلال والحرام والمحدد والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى
من شهد منكم الشهر فليصمه اي من كان حاضراً مقيماً غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود
 الحضور قيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وروى المذاهب الثلاثة ان النبي صلى الله
 عليه وسلم صوموا الرويتة وافطروا الرويتة اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان
 من رأى الهلال ومن خبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يحز في خبر
 الواحد قال ابو ثور ومنهم من اجره مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله
 الشافعي وهذا للاختياط في امر العبادة له خولها وخروجها ومن كان مريضاً او على سفر
فعدة من ايام اخرنا كرهه لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تحيير المريض والمسافر للقيم الصحيح

من شهد منكم الشهر فليصمه اي من كان حاضراً مقيماً غير مسافر فادركه الشهر فليصمه

ثم نسخ تحيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا
 لاحتمل ان يشهد النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان
 الحكم باق على ما كان عليه **فصل** في حكم الآية وفيه مسائل الميلة الاولى اختلفوا
 في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي من كان وهو ما
 يطابق عليه اسم المرض فله ان يفطر تترى لا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب اهل
 الحسن وابي سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي
 لو صام لو وقع في مشقة عظيمة تترى لا للفظ المطلق على اقل احواله القول الثالث وهو
 قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفظ هو الذي يودي الى ضرر في النفس وزيادة علة غير محتملة
 كالمحجور اذا خاف انه لو صام اشتد ضحاؤه وصاحبه جع العين يخاف لو صام ان يشتد
 وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجده الصوم افطر والا فقهو
 كالحكم المسئلة الثانية الفطر في السفر بباح والصوم جائز قال عامة العلماء وقال ابن
 عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه الفضا وكذا
 بقوله صلى الله عليه وسلم لم ليس من البر الصيام في السفر وجملة العلماء على من يجده الصوم
 في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في سفر فرأى رجلاً من بني النضير فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام
 في السفر اخرج به البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن النبي
 قال اسافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعي لصائم على الفطر ولا الفطر
 على الصائم اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر
 فقالوا او الظاهر ما سطر كان سفره اياماً وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم وحل
 وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخاً يومان وقال ابو حنيفة وامامه
 اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم اشأ السفر
 في ثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه
 ان احب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام
 الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياحذوا بالاحداث
 قالوا حدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع
 وهو على ثمانية واربعين ميلاً من مكة المسئلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي
 الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولي
 وافضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء بما سواوا افضل الامر من ايسرهما
 لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسئلة السادسة يبيح الفطر كل سفر

وبه

ولو



مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى
فعدة من ايام اخر معناه فاقطع فغلبه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز نقض الصوم
متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب نقضه من غير تعيين لزمن النقض فبيد على جواز
التراخي في النقض ويدل عليه ايضا ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي بالصوم من رمضان
فما استطع ان افقي الا في شعبان ذلك عن الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه في الصحيحين
يريد الله بكم اليسر اي التيسير في هذه العبادة وهو اباحة الفطر للمسافر والمريض **ولا يريد**
بكم العسر اي وقد تقي عنكم الحرج في امر الدين فبما خیر جل بين امرين فليختار اليسر ما الا كان
ذلك احب الى الله تعالى **ولتكموا العدة** اي عدد الايام التي افطرت فيها بعد الركن والسفر
والحيض لتغفوا بعد ما وقيل اراد عدد ايام الشهر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تقطروا حتى تروه فان غم عليكم
فاقدروا له وفي رواية فامكوا العدة ثلاثين **ولتكبروا الله** فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة
العيد قال ابن عباس حق على المسلمين ان اراوا هلال الشوال ان يكبروا وقال الشافعي واجبا لظاهر التكبير
في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في
عيد الاضحية حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكموا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا
معناه ولتكموا عدة صوم رمضان وتكبروا الله على ما هداكم الى اخر هذه العبادة القول الثاني
في معنى لتكبروا الله اي ولتقظوا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة
على ما هداكم اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم **وعلماكم تشكرون** الله على نعمته فصر
في فضل شهر رمضان وفصل قيامه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
رمضان صعدت الشياطين فتمت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصنف الاول اشد بالخلال
ونعمته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمان واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي
طلب الوجه لله ونوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه
نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل عمل اجر ادم يصنع الحسنه عشر امثالها الى
سبعماية صنعت قال الله تعالى الا الصوم فانه في انا اجرى به يدع شهوته وطعامه من
اجل الصيام فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقائه وخلاف فيه اطيع عند الله من
ريح المسك في رواية والصيام حنة فاذا كان يوم صوم احد كره فلا يرفث يومه ولا يصحب
فان شامه احد او قاتله فليقل في صيامه قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظ الاطلاع
لخالق عليه الا الصوم فانه لا يطعم عليه احد وانما حصل الصوم بقوله تعالى في وان كانت جميع

سنة

الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا ينظم من ابدن بقوله ولا
فعل حتى تكنه للحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطعم عليه الا الله
يقول الله تعالى انا اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم
فرحتان فرحة عند فطره اي بالطعام لما بلغ منه الجوع لتأخذه النفس حاجتها منه
وقيل فرحة ما وقوله من اتمام الصوم الموعود عليه بالغواب وهو قوله وفرحة عند
لقائه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلاف بضم الخاء فتحها القمان وهو تغير طعم
التمر وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ربح المسك هو الشا على
الصائم والرضى بفعله لئلا يمنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلاف والمعنى ان
خلاف فطر الصائم ابلغ عند الله في القبول من ربح المسك عند احد كره قوله الصيام حنة
اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة
لكل ما يريد الانسان من المرأة وقيل هو التضرع بذكر الجماع والصحب الضجة والجلبة
والصياح عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا
يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة يقال اين الصائمون فيقومون
لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا غلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان
في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن النبي مائة قال
انبياء رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعت يارسول الله مني ثأمر ينفعني الله به قال عليك
بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له
اخرجه النسائي قوله عز وجل **واذا سألكم عبادي عني فاني قريب** قال ابن عباس قال
يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعائنا وانت نزع ان بيننا وبين السما خساية
عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فقلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا اقرب ربنا فتاجبه ام بعيد فتأديد وقيل انهم سألوه في اي ساعة
تدعوا ربنا فقلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته
او عن فعاله اما السؤال عن ذات الله تعالى فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات
واما السؤال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعائنا واما السؤال
عن فعاله فهو ان يكون السائل سأل هل يجيب ربنا دعائنا اذا دعوانه فقوله تعالى
واذا سألكم عبادي عني فيجمل هذه الوجوه كلها وقوله فاني قريب فعناه قريب
بالعلم والحفظ لا يخفى على شيء وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حيلة
من سأل عن النبي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال
توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرغوا اضموا اضموا بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ارجعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا
غاييا انكم تدعون قريبا وهو معكم قوله ارجعوا على انفسكم اي ارجعوا اليها وقيل معنا
امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاكم وقوله تعالى **اجيب دعوة الداعي اذا دعان**
اي اسمع دعا عبدي الداعي اذا دعاني وقيل الدعا عبارة عن التوحيد والشا على الله تعالى
كقول العبد يا الله الا انت فتقولك يا الله فيه دعا وقوله لا اله الا انت فيه
توحيد وشا على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي بقوله اجابة ليجانس
اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم انه له ربا ومذبر يسمع دعاه اذا دعاه ولا يجيب
رجا من رجاوه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعاه ربه تعالى باخلاص بضرع اجاب الله دعوته
فان قلت انا نزل الداعي ببالغ في الدعا والتضرع فلا يجاب لما وجه قوله اجيب دعوة
الداعي وقوله ادعوني استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية
مطلقة وقد وردت اية اخرى مفيدة ومعنى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه
ان شا والمطلق يحل على المفيد وثانيها ان معنى الدعا هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة
هو الثواب وذلك في الآخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون
المعنى اجيب دعوة الداعي اذا وافق العضا او اجيبه وان كان في الاجابة خيرا له او اجيبه
اذا لم يبالغا او محالا او راجعا ان معناها عام اي اسمع وموعني الآية المذكورة في الآية
واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب
السيد عبده ولا يعطيه سواه وخامسها ان للدعا ادبا وشرايط وهي اسباب
الاجابة فمن استكملها واتي بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتداء
في الدعا فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى **فليستجيبوا لي** يعني اذا دعوتهم
الى الايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم والاجابة الطاعة فالاجابة
من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء **ليومنون لي لعلمهم بشيرون** الى كي
يحدثوا الى مصالح دينهم ودنياهم فصل في فصل الدعا وادابه عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتر لم يبال كل ليلة الى سما الدنيا اجيبي
بمتى تلبس الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني
فاعفله هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء
احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق
على ما يليق بالله وكل علمه الى الله ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقا غير مراد
ولا شك في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات الخلق وعن الانتقال
والحركان والمذهب الثاني مذهب كثير المتكلمين وجماعة من السلف انها تقول على ما يليق

في الدعا

في اللغة

به

به

به فعلى هذا انقل كما لك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره او ملايكته وانه على
الاستغاارة ومعناه الاقبال على الداعي بالاجابة والالطف وفي الحديث الحث
على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم
حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا خاليين اخرج ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن غريب المصنف الخ الى يقال بيت صغير ليس فيه مناع
عن عبادة من الصامات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعا على الارض مسلم يدعوه
الله بدعوة الا اياه الله اياها او صرف عنه من السوس لها ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم فقال جل من القوم اذن يكثر قال الله اكثر اخرج الترمذي وقوله الله اكثر
معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا
الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلبه غافل لاه اخرج
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بشي الا ان
علي الله من الدعا اخرج الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ
العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعا ففتح
له ابواب الرحمة وما سئل الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا تنفع مما
نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الله
ولا يزيد في العمر الا الله وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال
الله يغضب عليه **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
ما لم يحجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم
يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد
دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستعجل عند ذلك ويدع الدعا قوله يستجى اي
يستسكن عن السؤال واصلة من حصى الطرف المطرف اذا كلف ضعف **ق** عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان
شئت ولكن ليغفر على المسئلة فان الله لا مكره له نزل البخاري اخرجني ان شئت ليغفر مسئلته
فانه يفعل ما يشاء لا مكره له فلتغفر المسئلة اي لا تكن في دعائك ربا معتزدا بل اعزم
وجد في المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوه في صلاة
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والشا عليه ثم ليصل على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يدع بعد ما شا اخرج الترمذي وقال حديث صحيح قوله تعالى
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم سبب نزول هذه الآية انه كان في ابتد الامر

بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة
او رقد قبلها فاذا صلى رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة التالية ثم ان عمر بن الخطاب
وقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ بيكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه نفسي الخاطئة التي رجعت
الى اهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت ريحة طيبة فنسوت الى نفسي فجامعت اهلي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جدرا به لك يا عمر فقام رجال فاعتزفوا بمثل
ذلك فنزلت في عمر وصحابه احل لكم اي ايج لكم ليلة اراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى
نساءكم الرفث كلام يستفهم ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو من كان يات عن الجماع
ابن عباس قال صلى الله تعالى حي كنتم يكتفي فاذا ذكره من الباصرة واللامسة وغير ذلك انما هو الجماع
هذه لباس لكم اي سكن لكم وانتم لباس لهم اي سكن لهم قيل لا يسكن شيء لسكن
احد الزوجين الى الآخر وسمى كل واحد من الزوجين لباسا للآخر مما عنه النوم واجتماعهما
في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما ستر الصاحبه عما لا يحل كما
كما في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه **علم الله انكم كنتم تحتانوز انفسكم** قال ابن
عباس يريد بها انتم كنتم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي الصيام والمعنى
تظلموا بها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يوتن الرجل على شيء
فلا يودي فيه الامانة ويقال للعاصي خاينة لانه موثمن على دينه **فتابع عليكم اي فبتم قتاب**
عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم اي محيا ذنوبكم عن البراء قال لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يجونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم
كنتم تحتانوز انفسكم قتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال وكان ذلك ما نفع الله به الناس
ورخص لهم ويسر قال **لان باشر وهاهنا** اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت
المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه **وابتغوا ما كتبه الله لكم اي ما**
قضا لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة
الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر **وكلوا واشربوا حتى**
يتبين لكم الخطيط الابيض من الخطيط الاسود نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري
ويقول قيس بن صرمة وذلك انه ظلم رجل في ارضه وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتم
وقال لاهله قد عصى الطعام فارادت المرأة ان تطعمه شيئا سخيا فاخذت تغزل ذلك فلما فرغت
فاذا هو قد نام وكان قد اعياها من التعب فايقظته فكره ان يعصى الله ورسوله والى ان
ياكلوا صبح صائما محمودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس مالك اميت طليحا فذكر له حاله فاعظم له ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا اي مهزولا محمودا **عن البراء**
قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فقام قبل ان
يفطر لم ياكل ليلة ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر
الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان عمل يومه
فقبلته عينه فجات امراته فلما رآته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
ففرحوا بها فرحاشد يد او نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الابيض من الخطيط
الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخطيط الابيض
من الخطيط الاسود يتناضى النهار من سواد الليل وسمي خطا لان كل واحد منهما يبدو في
الافق ممتدا كالحيط قال الشاعر فلما اضاءت لئلا سدة ولا ح من الصبح خط انا را
السدة اختلاط الظلام واسد الفجر اصناف عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الابيض من الخطيط الاسود ولم يتر من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخطيط الابيض والخطيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب
حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل بعده **من الفجر** فقلوا انه انما يغني الليل والنهار
ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخطيط الابيض من الخطيط الاسود عمدت الى
عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادي وجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي فغردت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى
يؤذن ابن ام مكتوم رجل اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبح اصبح واصبحت واعلم ان الفجر الذي
يحم به على الصائم الطعام والشراب والجماع ما هو الفجر الصادق المستضي المنتشر في الافق
سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخطيط والخطيط
مستطيل والصبح ليس مستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض ما واول الصبح يكون
رفيقا صغيرا ثم يتسربل فلهذا شبه بالخطيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب
ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطिला ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر
الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيل **ق** عن سمية بن جندب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذا نزل ولا يياض الافق المستطيل هكذا حتى يسطر هكذا
وحكاه حماد بن عيسى قال يعني معترضا في رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذا نزل
بلا ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطيل في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو
الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى **ثم اغتوا**

الصيام الى الليل يعني منتهى الصور الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر **ق** عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا عريت
الشمس فقد فطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئا فيه
وجهاذا احد ما نعلم يلزم ذلك له فيه صلى الله عليه وسلم عن الوصل والثاني لانه قد حصل
الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل ولم ياكل وتمتلك الحنية بهذه الآية في ان الفطر يجب تمامه
قالوا لان قوله تعالى ثم اتوا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول وكل الصيام يجب
اصحاب الشافعي بان هذا الامر في بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على باقية
الفطر من الفطر ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال اهل عندكم
شيء قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم انا يوما اخر فقلنا يا رسول الله اهدى خليس قال لا شيء فقله
اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحبيب هو خلط الاقط والتمر والسنن وقد يحصل عوض الاقط
دقيق او قيت وقيل هو التمر يترع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل **ولا تبشروا من**
وانتم عاكفون في المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التقدير وهو في
الشرع عبادة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبتكفون في المسجد فاذا امرت لرجل منهم حاجة الى اهله
خرج اليها وخالها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فتروا عن ذلك حتى يغفروا من اعتكافهم واعلم ان الله
تعالى يميز بين الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف بحكم
الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه
فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز فيه غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز
عن سائر البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فقيل عن على
انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين فخصه به وقالوا لا يجوز
الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حنيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس
وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام وموذن وقال
الشافعي لا يجوز الا في مسجد له امام وموذن وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام وموذن وقال
الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة **ق** عن عائشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعتكف العشر الاخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازا حده بعده
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاخر من رمضان فروع الاول
يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف
ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روى عن ابن عمر قال قال رسول الله في نذرته في الجاهلية
ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فاوف بترك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم

في الليل الفرع الثاني لا يقدر للاعتكاف مكان عند الشافعي واقله حنيفة ولا حنابلة فلو
نذر اعتكاف سنة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال
الشافعي واجب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل من الاعتكاف عند
مالك واني حنيفة يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس انما الجماع
حرام في حال الاعتكاف ويعسده واما ما دون الجماع كالعبكة ونحوها فمكروه ولا يفسد به
عند اكثر الفقهاء وهو اظهر قول الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل
اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابو حنيفة واما الملازمة بغير شهوة فجاز ولا يفسد به
الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت تترك رجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي كايض وهو معتكف
في المسجد ومضى فخرجت فانا ولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت للحاجة اذا كان
معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت للحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين
الترجيح شريح الشعر وقوله الحاجة حوايج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر
الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى **ذلكم حدود الله**
يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله
وقيل حدود الله فربما اصل الحد في اللغة النع والحال خارجين الشيئين الذي يمنع اختلاط
احدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله القواعد
التي قدرها ومنع من مخالفتها **فلا تشر بها** اي فلا تاتوا بها ولا تغشوها فلان قلت في الآية اشكالان
اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة
وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تشر بها الاشكال الثاني وهو انه تعالى قال في هذه
الآية تلك حدود الله فلا تشر بها وقال في آية اخرى ومن يعمل الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف
الجميع بهذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين وجهان اما الاشكال الاول فاجابه ان الحكم
الثقة متفهما فليد ان كانت كثيرة الا ان اقرها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تبشروا من
عاكفون في المساجد وذلك بوجوب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتوا الصيام
الى الليل وذلك بوجوب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان اقرب الى هذه الآية جانب التحريم
قال تعالى تلك حدود الله فلا تشر بها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله
تعالى والعمل بامر الله فهو متصرف في حيز الحق فتمنى ان يبيدها لانه من بعده وقع في حيز الباطل
ثم يولد في ذلك فتمنى ان يترك الحد الذي هو الحاجر بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تبشروا من عاكفون في المساجد
ونحو هذا من التحريم في حدوده فلا تشر بها اي تجانبين لكم ما امر به ونهاكم عنه ذلك

بين الله اياته اي معالم دينه واحكام شريعته **لناس** مثل هذا البيان السافي الوافي لعلم
يتقون اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجي من العذاب قوله تعالى **ولا تأكلوا اموالكم بينكم**
الباطل تزلت في امر القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عنده رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي لا تبينة قال لا قتله
قال فلك يمسه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ما له
لياكله ظمما ليلقين الله وهو عنه معرض فتزل الله هذه الآية والمعنى لا ياكل بعضكم
مال بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي باحه الله له واصل الباطل الذي ذهب
فصل اما حكم الآية فاكل المال بالباطل على وجه الاول ان ياكل بطريق التعدي والنهب
والعصب والثاني ان ياكل بطريق اللهو كما رواه جرة المعنى وعن الزمر والملائكة ونحو ذلك الثالث
ان ياكل بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الودعة والامانة
ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الا عظم ولقد وقع في التقاريف فلان
ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها بغير حلالها **وقوله لولاها الى الحكم** اي قلنوا امور تلك الاموال
التي فيها الحكومة الى الحكم قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجده
ويخا صم الى الحاكم وهو يعلم ان الحق عليه وانه آمن ممنعه وقيل هو ان يعطي شهادة الزور
عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسوه الى الحكم وقيل
لا تدن بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان شريح القاضي
يقول اني لا اقبض لك واني لا ظنك ظالما ولكن لا يصحني الا ان اقبض يا محضر في من البينة وان
فصل لا يحل حراما **ق** عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جليلة خصم باب حجرته
فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتي الخصم فلعن بعضهم ان يكونا بلغ من بعض في رواية
اكن يحجته من بعض فاحسب نه صادقا فاقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانا منى قطعة من
النار فليجعلها اوليذرها قوله سمع جليلة خصم يعني صوت خصم وقوله اكن يحجته يعني اقل
اكن يحجته من فلان اكا قوم بها منه واقد رعليها من الحسن بفتح الحاء وهو الغبطة **لتأكلوا اموالهم**
اي طائفة وقطعة من اموال الناس **بالاثم** يعني بالظلم وقال ابن عباس يالهم الكاذبة
وقيل بشهادة الزور **وانتم تعلمون** يعني انكم على الباطل قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا**
عن الاهله تزلت في معاذ بن جبل وتعلت زعم الانصار بين قال ايارسول الله ما بال الدلال
يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا يزال ينقم حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون
على حال واحدة فانزل الله يا اولئك عن الاهله وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة
عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهله جمع هلال وهو اول
حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر **فليؤموا** **واقبت للناس** جمع ميفات والمعنى

لما فعلنا ذلك لمصالح دينية ودينية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافتايم
ومجمل ديونهم واجارهم وعقد النساء وافات الحيف وغير ذلك من الاحكام المتعلقة
بالاهله ولهذا اخالف بينه وبين الشمس التي هي اية على حالة واحدة **والحج** اي للحج
وانما افرد الحج بالذكر وان كان اطلاق جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في
الجاهلية كانت تحج بالعدد ونسب لا بالشهر فابطل الله ذلك من فاعلموا ان الحج مقصور
على الاشهر التي عينها الفرض الحج بالاهله وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله
تعالى كما كانت العرب تفعل في النساء وليس لبربان **تاتوا البيوت من ظهورها** عن البرا
قال تزلت هذه الآية فينا كانت الانصار اذا حجوا في الم يدخلوا من قبل ابواب البيوت
فجارجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه غير ذلك فتزلت وليس البربان تاتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من تقي وتاتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرما في
في الجاهلية اتوا البيوت من ظهوره فانزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي
اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطا من بابه فان كانت
من اهل الدار تقب تقباً في ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان
كان من اهل البادية دخل وخرج من خلف الحيا ولا يدخل ولا يخرج من الباب وروى ذلك براه
وكانت الحنابلة يقرش وكنانة وقراعة ومن دان بدينهم سوا حنابلة في دينهم
والخامسة الشدة فكانوا اذا احرما لم يدخلوا بيوت البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحنابلة يبالون بذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار
يقال له دفاعة بن التائب من الباب وهو محرم فانكر واعليه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على ترك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني احس فقال الرجل ان كنت حسيا فانا احسي رضى بهديك وتمتلك
ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة
لم يحل بينهم وبين العمائم وكان الرجل يخرج ملبا بالعمرة فقبوله الحاجة بعد ما خرج
من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجمة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين
السماء فيفتح الجدار من وراءه ثم يقوم من حجرته فيامر حاجته حتى بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل من المدينة بالعمرة فدخل حجرته فدخل رجل من الانصار
من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايتك
دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احس فقال الانصارى وانا احس يقول انا على
دينك فانزل الله تعالى وليس البربان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من تقي وتاتوا

البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره **وانتم والله لعلمكم تقتلون** قوله تعالى **وقالوا**
في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه **عن ابي موسى** قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الرجل يقتل شجاعة ويقا تل حمية ويقا تل ربا اي ذلك في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل
الله **الذين يقتلونكم** كان في ابتداء الاسلام امر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل عن
قتال المشركين ثم لما حاربا الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم لهذه الآية قال الربيع
ابن انيس هذه الآية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا اولهم
يقاتلوا بقوله تعالى **اقتلوا المشركين كافة** وبقوله **اقتلوهم** حيث تقتلهم فصارت
آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا
في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان
والشيوخ والزمن والمكافيف والحجابين فلا تقتلهم لانهم لم يقاتلوا ولم يقاتلوا
تعالى ولا نعمة وقال ابن عباس لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من
التى اليكم من عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر امير اعلى جيشا او
سرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل
الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليه ا قوله
ولا تغلوا الغل الحيانة وهو ما يخفي احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تعتدوا
اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الآية ولا تعتدوا اي لا تبذروهم بالقتال فليكن
القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيحلوله مكة ثلاثة
ايام يطوف بالبيت فلما تخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا
خافوا ان لا يفتح قريش كما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام
وفي الحرم فاتوا الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلوا لم قتال الذين
يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحج والحج في ذلك وقال لا تعتدوا
اي بابتداء القتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل **واقتلوهم حيث تقتلهم**
اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى
امر بلجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد
الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم
من دياركم **والفتنة** اشتد من القتل يعني ان شرهم بالله اشتد واعظم من قتلكم
ايامهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي

منه
القول

الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار
وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة
اشد من القتل ولا تقتلوا في المسجد الحرام حتى يقاتلواكم فيه اخلف العلماء
في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في
المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله **فان قاتلواكم فاقتلواهم** اي فقاتلواهم وثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لم تحل لاحد يقتل ولا يحل لاحد يدي
وانما حلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا التحريم
القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقتلوا دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الآية
منسوخة بقوله **اقتلوا المشركين** حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها
منسوخة بقوله **واقتلوهم** حتى لا تكون فتنة **كذلك** لاجرا للكافرين **فان انتوا** يعني عن
القتال وقيل عن الشرك والكفر **فان الله غفور** يعني لما سلف **رحيم** يعني بعباده حيث لم
يماجلهم بالعقوبة **واقتلوهم** اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعني
وقاتلواهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق
بينهما ان هذا الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كان قد
حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بجرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ
الحرية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فينبعوه كفعل مومني اهل
الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه
ويرشد بهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فاني الله عز وجل ان يرضى منهم
الا بالاسلام او القتل **ويكون الدين لله** اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه
شي **فان انتوا** يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر **فلاعدوا** اي فلا سبل **الا على**
الظالمين قال ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول
الثاني الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزا الظالمين ظما على سبيل
الشاكلة وسمي الكافر ظما لما لو صنع العباد في غير موضعها قوله تعالى **الشهر الحرام**
بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا
في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصدته المشركون عن البيت بالحديبية فصاح بالمل
مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقصي عمرته فذلك قوله تعالى **الشهر**
الحرام يعني ذي القعدة الذي دخلتم فيه وقضيت عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتكم
فيه عن البيت **والحرمات** جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة

الاحرام قصاص من المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمقتي
انهم لما منعوا عن العرة وانما عوا هذه الحيات في سنة ست فتدوا فقتلوا حتى قضيتوا
على رءسهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدوكم بالقتال في الشهر الحرام
فاقتلوا في سنة ثمانية قصاص من **ما اعتدى عليكم** اي بالقتال فاعتدوا عليه اي قاتلوه بمثل
ما اعتدى عليكم سمي الجزا بالاعتد على سبيل المشاكلة وانفقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال
به يحتاج الى الاتفاق فامر به والاتفاق بوصف المبال في وجوه الصالح الدينية كالاتفاق في
الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز القراة وعلى النفس والعيال وغير ذلك
مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف
الى الجهاد **ع** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله
ايانا واحسابا لله ونفسه يقابو عده فان شبعه وريه وروقه وبوله في ميزانه يوم
القيمة يعني حسنة عن خويم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة
في سبيل الله كتب له سبع مائة صنعة خروجه الترمذي والنسائي **ولا تلتقوا ايديكم الى التملكة**
قيل بالازالة ومعناه لا تلتقوا ايديكم الى التملكة والمراد بالايدي الاتقى والمعنى ولا تلتقوا
انفسكم الى التملكة عبر بالايدي عن النفس وقيل بالاعلى اصلها وفي الكلام حذف نفقة يره
ولا تلتقوا انفسكم بايديكم الى التملكة كما يتال اهلك فلان نفسه بيده اذا تيب في هلاكها
وقيل التملكة كل شئ تضيق عاقبته الى الهلاك وقيل التملكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك
ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهي عن ترك الاتفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
قال ابن عباس اتفق في سبيل الله وان لم يكن لك الاسهم او مشتق ولا يقول احدكم لا احد
شيا السهم هنا هو ما يرمي به والشخص سهم فيه فصل عريض وقيل كان رجلا
يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله بالانفاق
على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلحق نفسه
في التملكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل تركت الآية في ترك الجهاد
عن ابي عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفا عظيم من الروم فخرج
اليهم من المسلمين مثاهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجاعة فضالة بن عبيد
فجاء رجل من المسلمين على صفت الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه
الى التملكة فقام ارباب يوجب لا نصارى فقالوا يا ايها الناس انكم لتؤثرون هذه الآية هكذا
التاويل والتاويل هذه الآية فينا معشر الانصار اعاذ الله الاسلام وكثرنا صرنا قتال
بعضنا بعض سرادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعد

الاسلام وكثرنا صرنا قتلوا اموالنا فاصلى ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى
على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قتلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلتقوا ايديكم
الى التملكة وكانت التملكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركها الغزو فجاز الا ارباب
شاخصا في سبيل الله حتى دقن يارض الروم اخرجهم الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح ما قال ابو ايوب في اخرج غزاهما بارض فلسطينيه ودقن في اصل
سورهما فم يتبركون بغيره ويستسقون به من عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك
فترى ان ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا لقا الى التملكة هو ان
يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي ثوبة
فياس من رحمة الله وبينهم في المعاصي فهو القنوط فمنه الله عن ذلك وقيل يعني
الاية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا اننا نحاف الفقر ان انفقنا فذلك كقولهم ان يحلوا
انفسهم ما لكثر الاتفاق **ع** عن حذيفة قال وانفقوا في سبيل الله ولا تلتقوا ايديكم
الى التملكة قال تركت في النفقة **واحسنوا** اي في الاتفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته
وقيل واحسنوا في الاتفاق فلا تشرفوا ولا تفتروا نفوا عن الاراف والاتفاق في الاتفاق
وقيل بمعناه واحسنوا في اذافر ايض الله تعالى **ان الله يحب المحسنين** اي يتيسرهم على احسانهم
قوله تعالى **وامموا الحج والعمرة لله** قال ابن عباس هو ان يتمها مناسكها وحدثوا بها
وقيل اتمامها ان تحرمها من ديرة اصلك وقيل هو ان يزد لكل واحد منها سفرا وقيل
اتمامها ان تكون النفقة حلالا وتنتمى عما نهي الله عنه وقيل اتمامها ان تخرج من اهلك
لما لا تجارة ولا حاجة وقيل اذا شرع فيها وجب عليه الا تمام **فصل** وانفق
الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا **ع** عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اني كل عام يارسول الله
فست حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت لكانت نفقة
وفي رواية وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحها انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس
والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليمذهب حماد بن حنبل
والقول الثاني القاسنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه
ذهب مالك وابو حنيفة وحجة من اوجبا العمرة ما روى في حديث الضحى بن معبد انه قال
لعمركم ان الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي والى اهلك بما قال هديت لسنة
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرج ابو داود والنسائي باطول من هذا وجه الدليل انه
اخبر عن وجوبها عليه وصوبه عمر بن الخطاب في وجوبها عليه لسنة النبي صلى الله

عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها القدرينتها في كتاب الله وانما الحج والعمرة لله وعن ابن عمر
قال الحج والعمرة فريضة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة لله
استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عمر قال الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة لله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانما ينفيان الفقر والذنوب كما
ينفي الكبر خبث لحيته والذهب والفضة وليس بحجة مبرورة ثواب الا الحجة اخرجته
النسائي والترمذي ورواهما من مومن بظلم يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال
حديث حسن صحيح وجه الدليل انه امر بالتابعة بين الحج والعمرة والامر للجواب ولا نقا
قد نظمت مع الحج في الامر بالانتماء فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روى
عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة او اجبة من قال لا وان تعمروا
خير لكم اخرجته الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن اسباط
وحجاج ليس ممن يقبل منه ما نكره لسو حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمع لاثباته
على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فضرورة الافراد ان الحج ثم
بعد فراغه منه يعتمر من اد في الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج وباقيها عاما لها فاذا فرغ من عملها احرم بالحج من مكة في
تلك السنة وانما سمي متمعا لانه يستمتع بخطوات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان
يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينبو بما يقبله وكذلك
لوا حرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتح الطواف فيصير قارنا وانما قلنا
في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران به وعليه
ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم افرد الحج اخرجته مسلم وله عن ابن عمر
قالا اهلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال فدا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه
بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمركم فان ذلك اتم الحج احكم وانتم
لعمركم ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجته مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة
الى ان القران افضل يدر عليه ما روى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك
عمرة وحج اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية الى ان
التمتع افضل يدر عليه ما روى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابوبكر وعمر وعثمان قائلين من نبي عنهما معا وفيه اخرجته الترمذي عن ابن عمر قال التمتع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي بين

في المدينة

في المدينة وهداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس
الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم
يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يجد
من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة
وليقيم وليجمل شعره بالحج وليهد من لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا
رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم مكة فاستلم الركن اول شيء
ثم حبل ثلاثة اطواف من السبع ومضى اربعة اطواف ثم ركع حتى قضى طوافه بالبيت
عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فافى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبع اشواط
ثم لم يجمل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومخرهديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت
ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهدى فساق
الهدى من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمعا
او قارنا وما وثقنا في قولنا انما يجب مذهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نواحيها
ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واخلافهم في حجة
صلى الله عليه وسلم انه كان مفردا او متمعا او قارنا صلى الله عليه وسلم احرر بالعمرة بعد ذلك
وادخلها على الحج فصا وقارنا فمضى وكان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتدا
الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الاستفاعة والارتفاق وقد ارتفق بالقران
كارتفاق للتمتع وزيادة وهو الاقتضار على فعل واحد وبهذا يمكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتابه خلاف الحديث كلاما
موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع
وكل كان يأخذ منه امره بركه ويصدر عن تقليده فاصيف لكل اليه على معقانه امر به واذن
فيه ويجوز في لغة العرب ضافة الفعل الى الامر به كما يجوز منافاة الى فاعله كما يقال
بني فلان دارا واريد به انه امر ببني فلان كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ما عزاونا
امر بركه واختار الشافعي الافراد واحج في ترجمته انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن
عباس وعائشة فيقولون لمزنية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة
سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطا
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانه يسمعه يلبى بالحج واما ابن عباس فمحملة من
العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحته عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما عايشته
فقرها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعا على باطن امره وظاهره مع كثرة

فقمها وعلمها ومن لا يترجم الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف
والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس والتقصير في اصح القولين وان كان العمرة اربعة
الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير وهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى
فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلفت هل اللغة في الحصر والاحصار
ف قيل لا والرجل عن وجهه يريد فقد احصره اذا حبس فقد حصره قال ابن السكيت احصره
المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريد بها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج
الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصره والمحبوس حصره وقال ابن قتيبة
في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسل وعدو ويقال
احصره فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصره فهو محصور وذهب قوم الى انما بمعنى واحد
قال الزجاج يقال للرجل من حصره هنا ومن احصره وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار
الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع
الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامر بحجب
اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو
او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التخلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقمادة
وهو مذهبنا في حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني كحاج بن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر وعرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت
ذلك لابن هرويرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه بوداود والنسائي والترمذي وقال حديث
حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التخلل الا بحسب العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس
وانني وبه قال مالك والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا
بان تروى الآية في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حيا من جهة العدو لان
كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فترلت هذه الآية فحل
النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته وخرجه من قضاها من قبله ويدل عليه ايضا سياق الآية
وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انما قال احصر العدو
فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو ووزن المرض وغيره واجيب عن حديث كحاج
ابن عمر بانه محمول على من شرط التخلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويده على جواز الاشتراط
في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان شاة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله اني اريد الحج فاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قل بسم الله ليك محلي من
الارض حيث تحب في اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وبغيره ان شاة بنت

حسني

الزبير

الزبير كانت حجة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حج واشترطي وقولي اللهم محلي حيث
حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فممن له مرض او عذر ان يجلا
ويخرج من احرامه ثم المحصر يتخلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى **فان احصرتم**
استيسر من الهدي ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتكم فعليكم
ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدي الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقره وادناه شاة
قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصره اليه ذهب
الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية لها وذهب ابو حنيفة
الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويؤد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك
الوقت **ولا تخلقوا روسكم حتى يبلغ الهدي محله** اي مكانه الذي يحل ان يذبح فيه وفيه
قولان احدهما انه الحرم فان كان خارجا فالحل يوم النحر وان كان معتمرا فالحل يوم يبلغ
مديه الى الحرم وهو قول ابو حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصره سواء كان في الحل او
في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي
عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا فحال كفار قريش في البيت
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجته البخاري قوله تعالى **فمن كان منكم**
مريضا او به اذى من راسه معناه ولا تخلقوا روسكم في حال الاحرام الا ان تضطر والى
حلقة لمرض او اذى وهو القدر الضد اع قد بدية فيه اضمار تقديره فخلق راسه فغلبه فدية
ترلت هذه الآية في كعب بن عجرة **ق** عن كعب بن عجرة قال اتى علي بن ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا وقد تحت قد حلق والتمل نيتنا شرعا وحمي فقال ابو ذيك هو ام راسك قال
قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام واطعم ستة مساكين وانك نسكة لا ادري
بأي ذلك بدا وفي رواية قال ترلت في هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه
فقدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يره وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما كنت ادري ان الوجع يبلغ بك ما ارى وما كنت ادري ان الجهد يبلغ بك
ما ارى اجتدساة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام واطعم ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع قال كعب فترلت في خاصته وميكم عاتة ومعنى قوله تعالى **فمن كان منكم**
مريضا او به اذى اي صوم ثلاثة ايام او صدقة يعني اطعام ثلاثة اصع ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع او نسك واحدتها نسكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقره
وادناها شاة وهذه الغدية على التحجير ان شاذج او صام او نذر وكل هدي او
اطعام يلزم المحرم فانه لمساكين احرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصره وانما

الصوم فله ان يصوم حيث شاؤ له عز وجل **فاذا امنتم** يعني من خوفكم وبراقتكم من
مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** قال ابن الزبير معناه فمن
احصر حتى فاتته الحج ولم يتجدد فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك
بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم خرج فيكون متمتعاً بذلك الاحلال الى احرامه الثاني
في العام القابل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم
تغتموا في تلك السنة ثم اعتمتم في السنة القابلة في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم
باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج **فعلبيكم ما استيسر من الهدى** وقال ابن عباس هو الرجل
يقدم معتمراً من فوق من الافاق في اشهر الحج فقصي عمرته واقام بكة حلالاً حتى انشأ منها
الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعاً بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة
موا لا يستماع بعد الخروج من العمرة والتذذ بما كان يخطو عليه في حال الاحرام الى احرامه
بالحج فما استيسر من الهدى يعني فغلبه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر
فلوذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي كدم الخمرات ولا يجزيه ذبحه عند
ابن حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولو جوب دم التمتع خمس شرايط احدها ان
يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في
هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات قبله فلو رجع الى الميقات
واحرم منه لم يكن متمتعاً الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فلهذا الشرط مقبولة
في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيأ منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع جبران عنه ان فحى
فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة مودم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله **فمن لم**
يجد يعني الهدى فصيامة ثلاثة ايام فليحج اي عليه صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله
بالحج قيل يصوم يوماً قبل يوم النزوية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب
ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطراً فان لم يصم قبل يوم النحر ففيل يصوم
ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وموافق الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق
ومور رواية غزاحد والقرن الاخر للشافعي **وسبعة اذ احتم** يعني وصوموا سبعة ايام
اذا رجعتكم الى اوطانكم واهليكم قال ابن عباس به قال الشافعي فلو صار قبل الرجوع الى
اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاحقة في الرجوع فعلى
هذا يجزيه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقيل الرجوع الى اهله وبه قال
ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدى
الا ان قد عطل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم انه ان العشرة بكماها
في القايمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاثا وثلاثين

خمس وسادسة تميل الى سهامه ولا ان القران انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء
تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك القيد لكونه في علم الحساب وهو ان تعلم العدد مفصلاً
ثم تعلمه جملة لتعطي به من جهتين فلهذا قوله تعالى فصيامة ثلاثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجعتكم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعملون الحساب وكانوا يجتنبون
الزيادة بيان وايضاح فلهذا قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظة خير ومعناه امر
اي كملوها ولا تنقصوها **ذلك اي هذا الحكم الذي تقدم لمن لم يكن اهله حاضري المسجد**
الحرام قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه
قال طاووس وقال ابن جريج اهل عرفة والجميع وصحبان ونحله وقال الشافعي كل من كان
وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون
الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذوالحليفة
والجحفة وفرن ويلم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فانه وزها الى مكة فهو من
حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من ينزله بحجة فيه ومعنى الآية ان المشار
اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور ومولودم الهدى او بدله على التمتع وهو الافاق
فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا مدي عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات
فاقدمه على التمتع لا يوجب خطا في حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرج
البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن منعة الحج فقال اهل المهاجرون
والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهلنا فلما قد ضامكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلا لكم بالحج عمرة الامن قلده الهدى طقنا بالبيت
وبالصفا والمروة واتينا ولبنا الشيا وبه قال من قلده الهدى فانه لا يحل من شيء يبلغ الهدى
محله ثم امرنا عسبة التروية ان نحل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطقنا بالبيت
وبالصفا والمروة وقد تم حجتنا وعلينا الهدى كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدى فمن
لم يجد فصيامة ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذ رجعتكم الى امصاركم الشاة تجزي فجمعوا
بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فانا لله انزل في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
وفي الحديث زيادة قال الحبيدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث عزير ولم اجده
الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرج في صحيحه من اجل عكده فانه لم يرو عنه في صحيحه
وعنه ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** اي فيما فرضه عليكم وهاكم
عنه في الحج وفي غيره واعلموا ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره وهاكم بحديثه
وارتكب مناهيه قوله عز وجل **الحج اشهر معلومت** يعني اشهر الحج معلومت وقيل وقت

الحج أشهر معلومات وفيه شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة إلى طلوع النجم يوم
الخروج قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن
وإن سير في الشعب وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه أن الحج يثبت
بطلوع النجم الثاني من يوم النحر والعبادة لا تقوت مع بقا وقتها فدل على أن يوم النحر ليس من
أشهر الحج وأيضا فإن الأحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على أنه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن
عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر ويقال إن عمر
وعروة بن الزبير وعطاء وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والعمري والشدي وابن حنيفة
واحد بن حنبل وهو واحد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول أن يوم النحر هو يوم الحج الأكبر
ولأن فيه يقع طواف الأفاضة وهو تامر كان الحج وقيل أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة
بكمالها وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهو الرواية الأخرى عن مالك وحجة هذا القول أن
الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولا نكسر كان أوله من أشهر الحج كان
آخره كذلك فإن قلت هذا شكك وموازن الله تعالى قال قبل هذه الآية وبيا نزلنا عن الأهل قبل
في موافقت للناس والحج فحمل الأهل كلها موافقت للحج قلت قوله موافقت للناس والحج عام
وهذه الآية وهي قوله الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل إن الآية الأولى
محملة وهذه الآية مفترقة لها فإن قلت ما قال أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج شهران
وعشر ليل وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا قلت أن لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء
الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل أنه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيك
سنة كذا أو أماراه في ساعة منها ولا إشكال فيه على القول الثاني وهو قول من قال أن أشهر الحج
ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكمالها فمن فرض في أشهر الحج يعني من الزم نفسه وأوجب عليه
فيه الحج والمراد بهذا الفرض ما به بصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل
فقال الشافعي ينبغي أن لا يحرم بمجرد النية من غير حاجة إلى التلبية ووجهه أن فرض الحج
عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع
في الأحرام بمجرد النية حتى ينضم إليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة لما قيل ويرى
فلا بد من انضمام شيء آخر إلى النية ككيفية الأحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على أن
الأحرام بالحج لا ينعقد إلا في أشهره وهو قول ابن عباس وأبيه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق إلى أنه
تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه
ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد أحرامه بالحج في شهر السنة ووجهه أن
الأحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كأنه لا نية في الأحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على أن
يقوله قل في موافقت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى فلا ترفث قال ابن عباس الرث

الحج وفي روايته عنه أن الرث غشيان النساء والقبول والغزو وإن لم يكن من الغشيان الكلام
فعل هذا القول التلغظ به في غيبة النساء لا يكون فشا قال حصين بن قيس إذا بن عبد الله بن
يعبره بلوبه وهو جبهه ويؤله ومن مشين من أميكا أن يصدق الطير نكاحا لميسا
فقلت أن رث وانت محرم فقال أنا الرث ما قيل عند النساء قوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرث
كلام منقضي لا يستفح ذكره من ذكر إجماع ودواعيه فقوله فلا ترفث يحتمل أن يكون نبيعا على
إجماع وإن يكون نبيعا عن الحديث في ذلك لأنه من دواعيه وقيل الرث هو النحر والحج والقبول
القبض وقيل الرث للغشيان الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق أصله يخرج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي كلها
وهو قول طاووس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو
ما نهى عنه المحرم في حال الأحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الشعر وما أشبه ذلك
وقيل هو السباب والتنازب باللقاب في غيبيته قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من حج فلم يرفث ولم يفتق رجع كيوم ولدته أمه ولا جدال في الحج قال ابن عباس الجدال المسرا
وهو أن يبارى الرجل صاحبه ويخاضمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول الآخر
الحج فدا أو قيل هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا أهلاكم
بالحج عمة الأمن قلله الذي قالوا وكيف يجعلها عمة وقد سمي الحج بهذا كان جداله وقيل هو مكان
عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة
وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب ما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج وأخبر أن امرأته قد
استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم فلا خلاف فيه بعده وذلك المعنى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أن الزمان قد استدار كشيء يوم خلق الله السموات والأرض وقيل معناه ولا
شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النبي وقيل ظاهر الآية خبر ومعه أنه لا ترفثوا ولا تغشوا
ولا تجادلوا في الحج وإنما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وإن كان اجتناب ذلك في كل الأحوال والأماكن
واجبا لأن الرث والغشيان والجدال في الحج أسخى وأقطع منه في غيره وما تفعلوا من خير يعلمه الله
أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حدث الله على فعل الخير غفيرا عن الشر
وهو أن يستعملوا مكان الرث الكلام الحسن ومكان الغشيان البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق
والإخلاق الجميلة وقيل جعل الخير عبارة عن ضبط النفس عن الشر حتى لا يوجد منه ما نهى عنه
وقيل إنما ذكر الخير وإن كان عالما بجميع أعمال العباد من الخير والشر لفضيلة وهو أنه تعالى إذا علم من
العبد الخير ذكره وأشهره وإذا علم منه الشر ستره وأخفاه فإذا كان هذا فضله مع عبده في الدنيا
فكيف يكون في العقبى وهو أرحم الراحمين ولا كرم من تزود وأما خير الزاد التقوى تزلت
فإناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج فيعبرون به ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن بيت ربنا

افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى المنب والغصب
فانزل الله وتروا واي ما تبغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابراهيم
والتشغيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتروا من التقوى فان الانسان
لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمكبوس
من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل
من الزاد الاواني فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم
المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى اذا انت لم ترحل زاد من التقوى ولا يفت بعد
الموت من قد تزوداه ندمت على ان لا تكون كمثل وانك لم ترصد كما كان رصدا وان تقوى
اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقوى وفيه تنبيه على حال عظمة الله
جل جلاله يا اولى الالباب يا ذوى العقول الذين يعلمون حقايق الامور قوله عز وجل
ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من ربكم يعني رزقا وتقيا وهو الرزق في التجارة عن
ان عبس قال كانت عكاظ ومجنة وذهو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم
قاموا ان يتجروا في المواسم فتركت ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج
وقراها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة
بقرية مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرية مكة ايضا قال لا زرت في بي باسفل مكة
على يريد منها وذهو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق
ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرة ايام من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون
بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون
عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعند اى امانة التيمم قال كنت رجلا
اكرى في هذا الوجه وكان الناس يقولون في انه ليس لك حج فليقتل بن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن
ان رجلا اكرى في هذا الوجه وان ناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر ليس يحرم
وتبلى وتطوف بالبيت وتبغ من عرفات وترى الحمار قلت بلى قال فان لك حجاجا رجلا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من ربكم فارسل
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجك ابوداود وقال بعض
العلماء ان التجارة ان وقعت نقضا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم تقع نقضا فيه
كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها التجديد العبادة عن غيرها لان الحج بدو
التجارة اكل وافضل وقوله تعالى **فاذا افضتم** اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة من عرفات
جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بفتح واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي بمجموع

تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان خيريل
يرى ابراهيم الناسك ويقول له عرفت فمفتول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة
وقال الصالح ان ادم لما اصبط وقع بالمد وهو اجدته فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه
فاجتعا بعرفات في يوم عرفة فتعار فافترس اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان
ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واي من ايامه الله ان يخرج الى عرفات ونعتها
له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يريده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فلما
فوق على الحرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الحرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما
راى الشيطان انه لا يطيقه ذمب فاطلق ابراهيم حتى اتي ذال المجاز فنظر اليه فلم يعرفه
فجازه فسمي ذال المجاز فطلق ابراهيم حتى وقف بعرفات ففرزها بالنف فسمي الوقت عرفة
والموضع عرفات حتى اذا امسى اذ دلت الى جمع فسمي لك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن
عباس ان ابراهيم راى ليلة التروية في منامه انه يوم يذبح ابنه فلما أصبح تروى يومه اجمع اى تنكر
بل هذه الرواية من الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راي ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح
عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يبعثون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمى لما يبنى فيها من الدماى يصب فيكون فيه الزود
والدما فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة
ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقت فقد فاته الحج ويدخل وقت
الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك كصفت
يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت والحكمة واحدة من ليل او نهار فقد حصل
له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم
النحر وقت الافاضة من عرفات من بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات فاحذر
صلاة المغرب حتى يجمع بينهما وبين العشاء بدلة في عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا ولم يسبح الوقوف فقلت الصلاة
يا رسول الله فقال الصلاة اما لك فركب فلما جا المزدلفة نزل فوضا فاسبح الوضوء اقيمت
الصلاة ففعلت المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء ففعلوا ولم يصدر
بينهما شيئا وقوله تعالى فاذا ذكر الله عند المشعر الحرام سمى مشعر من الشعار وهي العلامة لانه
من مقام الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو
ما بين جبلتي المزدلفة من مازى عرفة الى وادى محتر وليس المازان ولا وادى محتر من المشعر
الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لاني الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من
مقام الحج وقيل المشعر الحرام هو فوج وهو اخر حد المزدلفة والاولى مح وميت المزدلفة من المزدلف

وموا لا اقتراب لاهما منزلة من الله وقربة وقيل لثقل الناس بها زلف اليل وقيل لاجتماع
الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانهم يجمع فيها بين المغرب والعشاء قبل المدا بالذكرة للشمس
الحرام ما يجمع بين صلاة المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله واذا ذكروا الله امر وهو
للو جوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المدا بالذكرة هو الدعا واللبنية
والتيسيع والتحميد والتكبير عن ابن عباس ان سامة بن زيد كان في النبي صلى الله
عليه وسلم من عرفته الى المزدلفة ثم اورد في الفصل من المزدلفة الى منى فكلما قال لمر
يزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتي المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين
ولم يجمع بينهما شيئا ثم اضطلع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبيّن له الصبح باذان
واقامة ثم ركب القموص حتى اتي المشعر الحرام واستقبل القبلة فدعا وكبر وهكلاه
ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره
اليعقوبي وغيره وسند ولم جده في الاصول قال طائفة من اهل الجاهلية يدعون من
عرفته قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون ان شرب ماء
غير قبيح الله تعالى احكام الجاهلية فاحرا الافاضة من عرفته الى بعد غروب الشمس
وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل طلوعها وشرب خيل بكة ومعنى قولهم اشرق
شبر ادخلوها الجبل في المروق وهو نور الشمس وقولهم كي ما يغري ندفع للبحر يقال
اغا اذا اسرع ودفع في عدوه عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون
من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق شبر فالحقهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض
قبل طلوع الشمس وقوله تعالى واذا ذكروه كما ذكروه اي واذا ذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكرتم
بالهداية لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لن الضالين لاني لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه والها في قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول
لن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل ترجع الى القرآن والمعنى واذا ذكروه كما ذكروا
بكتابه الذي انزل عليكم وان كنتم من قبل انزاله لن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي افيضوا من حيث افاض الناس وفي المخاطبة بهذا القول ان احدهما انه
خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الخمس يفيضون بالمزدلفة
ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمة فلا تخلف الحرم ولا تخرج منه ويكفواظرون ان يفيضوا
مع سائر الناس بعرفات وكانت سائر الناس يفيضون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات
افاض الخمس من المزدلفة فامرهم الله ان يفيضوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها
الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عن عاتكة قالت كانت
قريش ومن دان دينها يفيضون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحرم وكان سائر العرب يفيضون

بعرفات فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها
ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون
الحرم جمع الخمس واصلة من السدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة خمسا
للسدة منهم في دينهم فصلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الخمس والقول
الثاني انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم ومولاه
بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير
ثم افيضوا من حيث افاض الناس بالياء وقال هو ادم عمه اليه تنسج وجهه هذا ان
الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواء مبتدع محدث وقيل المدا من
مكة الآية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر
واراد بالناس ابراهيم واسماعيل واتباعهما لانه كانت افاضة من المزدلفة قبل طلوع
الشمس وجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم
من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة
من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت
على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اسكالا وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك
لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذا ذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من
جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات
فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا الاسكال بان فيه تقديرا
وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
ليس عليكم جناح ان تنبغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذا ذكروا الله فعلى هذا
الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان دم في قوله ثم افيضوا
بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة الدرع عن هشام بن
عروة عن ابي قال سئل اسامة بن زيد فاجاب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة بفق قال هشام والنقص فوق
العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اسد من المشي والفجوة الفجوة وهي
المنع من الارض والنقص السير السريع حتى يستخرج من الناقة الفقي وسوهاج عن ابن
عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفته فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
ومراه جراسه يد اوضا بالابل فاسار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالكيعة
فان الير ليس بالايضاغ الا يضاغ السير السريع وقول تعالى واستغفروا الله اي من
مخالفكم في الموقف وجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم المعنى ان الله ما والسائر الذنوب

عباده برحمته والنفور بغيره المبالغة في الغفر وكذا الدجيم وفيه دليل على انه
تعالى يغفر التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنب بالاستغفار
ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة وذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين
ويرحم للذين ينسئونه وكرمه قوله عز وجل **فاذا قضيت مناسكتكم اي فرغتم من محكم عبادكم**
وذبحتم نسايكم اي ذبايحكم وذلك بعد رمي حجرة العقبه والاستقرار بمبنى فاذا ذكروا الله
يعني بالتخيد والتجديد والتبديل والتكبير والشا عليه **كذكركم ياكم** قال اهل التفسير
كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين السجد بمبنى وبين الجبل وقيل عند
البيت فيه كرون مغاير اياهم ومما نرى من فضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احلام
كان ابي كبير الجفنة رجلا لغنا يقرى الضيف وكان كذا وكذا بعد مناهجه ومناقبه
وتبناشدون في ذلك الاسعار ويتكلمون بالمنشور والمنظوم من الكلام الفصيح ومنهم
بذلك الشهرة والسعة والرفعة بذكر منافعهم وابائهم فلما من الله عليهم بالاسلام
امرهم ان يكون ذكركم لله لا بابائهم وقالوا ذكر في فافا الذي فقلت ذلك بكم وبهم وحيث
اليكم واليهم وقال ابن عباس معناه فاذا ذكر الله كذا الصبيان الصغار الاباء وذلك لان
الصبي او اما يفصح بالكلام يقول ابيه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكره كذكر
الصبيان الصغار الاباء **واشد ذكرا** اي بل اشد ذكرا او قيل او بمعنى الواو اي واشد
ذكرا اي واكثر ذكرا للاباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الاباء فهو المستحق للذكر والحمد
مطلقا وسيل ابن عباس عن هذه الآية وقيل له قد ياتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه
اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب به عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالدك
اذا شتم من الناس من يقول **ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسلمون الله تعالى**
في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا غنا وابلا وبراء وعبيد او اما كان
احدهم يقوم فيقول اللهم اني ابي كان عظيم الفضة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل
ما اعطيت قال فتأده هذا عبيد نبيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونفس عني ابي
هزيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال نفس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة
ان اعطيت رضى وان لم يعط سحق نفس وانتكس واذا شريك فلا انتعش قوله نفس عبد الدينار
مذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخنصة ثوب من خثر
او صوف معتم قوله وانتكس هكذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على راسه او في امره فقد
خاب وخسر قوله واذا شريك هذا افضل ما لم يسيم فاعله يقال شاكنة الشوكه اذا دخلت
في جسمه والانتعاش اخراج الشوكه من الجسم وانما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا
التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث **وماله في الآخرة من خلاق**

اي وماله في الآخرة من خلاق ولا نصيب ومنهم من يقول **ربنا اتنا في الدنيا حسنة**
وفي الآخرة حسنة يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الدارين فريقتين فريقتا القصر
في الدعا على طلب الدنيا ومنهم الكفار لانهم كانوا لا يغتفرون البعث والآخرة والزيق
الثاني ومن المومنين الذين جمعوا في الدعاين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان
خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعها فالاولى ان يستعبد بالله من
شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرف من عرقه لسوس عليه حياته في الدنيا
ونظف عن الاستغفار بطاغته الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين
فلهذا قال تعالى اخبرنا عن المومنين ومنهم من يقول **ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة**
حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير
والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة فمن عن عبد الله بن عمر بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة
في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل
الصالح وفي الآخرة للمغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والعزاد اهللا ومالا
فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل في الدنيا حسنة يعني عافية وفي
الآخرة عافية فمن عن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين فقد حقق
فضا رمل الفرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت تدعو الله بشي وتساله
اياهم قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت تقايني به في الآخرة فاجله لي في الدنيا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقعا عذابا لنا قال فدعا الله به فشفاه **ق** عن انس بن مالك قال اكثر
دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقعا عذاب
النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركبتين
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقعا عذاب النار اخرج ابو داود **ايك**
اشارة الى المومنين الداعين بالحسنيين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكما له
فقال وماله في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا لهم اي لكل فريق من هولا نصيب
اي حظ ما كسبوا يعني من الخير والدعا بالثواب والجر على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا
والله سبحانه ذكره في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى انه
تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكما تبا وكيفياتها بمقادير ما لهم من
الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى
وكاين من قرية عنت عن امرها ورسله فحاسبنا بها شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم

عباده يوم القيمة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب
وقيل انه تعالى اذا حسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية
فكر وصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليله بذلك
على ما لا قدره لانه تعالى لا يشغله شأن عشا ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مشا عد
لا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق في اقل من لحظة البصر وروى انه تعالى يحاسب
الخلائق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع
القبول له تعالى عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يساله السائلون في الوقت الواحد
كل واحد منهم شيئا مختلفا من امواله دنياه والاخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير
ان يشتبه عليه شيء من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في
معنى الآية ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كائنات فهو قريب لا محالة وفيه
اشارة الى المبادرة بالعبادة والذكر وسائر الطاعات وطلب الاخرة قوله تعالى واذكروا
الله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات
وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصي الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كبر مع كل حصاة في ايام **معدودات** يعني ايام التشريق وهي ايام رمي الجمار سميت
معدودات لعدتها وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر ولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة
وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وما ومنه هذا الشافعي وقيل
ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب وروى عن
ابن عباس ايضا وهو مذهب ابي حنيفة مر عن نبينا الهذلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام
التكبير عن ابن عمر كان يكبر في تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه
وفي مجلسه وفي مشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبة فيسعه
اسد المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى يخرج مني اخرج البخاري بعين اسناد اجمع
العلماء على ان المارد هذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها
في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحية وفي هذه الايام في ادبار
الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فغلب بيتهى به من صلاة الظهر يوم
النحر الى صلاة الصبح من ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة
وهو قول ابن عباس وابن عمر به قال الشافعي في اصح اقاويله قال الشافعي لان الناس فيه تنوع
للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر من صلاة
الظهر وقيل انه ينبغي به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر

ايام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر
صلاة والقول الثالث للشافعي انه ينبغي بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم
بعد صلاة العصر من ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة
وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول به قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود ينبغي به
من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير
في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل ان كان حلا كبر عقب ثلاث وعشرين
صلاة او لها صلاة الصبح من يوم عرفة واخرها صلاة العصر من ايام التشريق
وان كان محرما كبر عقب سبع عشرة صلاة او لها الظهر من يوم النحر واخرها عصر ايام
التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نقفا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو
قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فهو
حسن وروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق
وقوله تعالى فمن تجمل في يومين اي فمن تجمل التفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق
فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج البيت منى الليلة الاولى
والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى
عنه كل حصاة سبع حصيات ثم من رمي في اليوم الثاني واراد ان يفر ويدع البيئتين
الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تجمل في يومين فلا اثم
عليه يعني فلا اثم على من تجمل في اليوم الثاني في تعجيله ومن تاخر فلا اثم عليه
يعني ومن تاخر الى التفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه في تاخره
واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن تفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام التشريق وقيل
غروب الشمس من ذلك اليوم فان غابت عليه الشمس وهو بمنى لزمه البيت والرمي اليوم
الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان يفر ما لم يطلع
الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل وامر سقاية الحاج ترك البيت
بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي تاخر في افعال
الحج كاملة قد اتي بما يلزمه فاما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر
فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجز على موجب هذه الرخصة فانه ياتى ما زال الله
تعالى هذه الشبهة ويبين انه لا اثم عليه في الامر من فان شاعجل وان شاخر الجواب
الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يهوى ففعله على فعل
الفريق الاخر فيبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وان لا اثم عليه

فيه

الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا اثم عليه لساكلة اللفظ الاول فهو كقوله جزاء
سنة سية مثلها ومعلوم ان جزا السينة ليس بسنة الجواب الرابع انه فيه دلالة
على جواز الامر فكأنه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التاخير بل اني
اي ذلك التخير وفي الاثم للحاج المتعجل وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجة شيئا ما نهاه الله عنه
من قتل صيد وغيره مما هو مخطوئته في الحج وقيل معناه انه ذهب منه ان اتقى فيما يتى من
عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما يتى من عمره وهو قوله
وانفقوا الله اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المخطوئيات واعلموا
انكم اليه تحشرون اي فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ثم لا ياترك في الاخرة من شريف التقى حليف بنى زهرة واسمه
اي واناسي الاخرى لانه خنس يوم بدر ثمانية رجل عن قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا بن اخيكم فان كانا
كناكموه الناس وان كانا صادا فكنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رايت قال في ساخرين بكم
فاتبعوني فخنس خنسي الاخرى بذلك وكان الاخرى حلو المنظر وكان ياتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحيا الله ويظهر الاسلام ويقول اني لاجلك ويحيا الله على كل
ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه وكان الاخرى شافقا فترافيه ومن
الناس من يعجبك قوله اي يروك وتحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة
كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني به قوله والله في بلد مؤمن
ولك الحب وهو اللخصام اي شديد الحدا الى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو
شديد القوة في المعصية جده بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطية وعن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الاله الخفيم يعني الشديد في الخصومة
واذا تولى اي ادبر واطرد عنك بعد لانه القول وحلاوة المنطق سعي في الارض اي ساروسى
في الارض لينفسد فيها يعني يقطع الاجسام وسفك دماء المسلمين وميلك الحرب والنسل
وذلك ان الاخرى بنى بينه وبينه وبينه خصومة فيقتلهم لئلا يفرقوا وروى عن عمر
واصلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مفتتيا دينا كان له على عمر فاحرقه كرسا
وعقره اثنان وقيل معناه اذا تولى اي صار واليا وملك الامر سعي في الارض لينفسد فيها يعني
بالظلم والعدوان كما يفعل ولا السوء والظلمة وقيل يظلم ظلمه حتى يمنع الله بشوم ظلمه
الغفر فيلذ الخرب والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الاية عامة في حق كل من كان موصوفا
بهذه الصفات المذكورة ولا يمنع ان تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في كل من كان
موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرصني بالمعاصي واجبت

من
تذوقه

المعزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى
غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحب ذلك بان يتناول الله والمز ولا يحب
فبان التزقيت للارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشيء وتفضيله والارادة بخلاف ذلك
واذا قيل له اتق الله اي خف له في شرك وعلا نيتك اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة
وحمة الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوقت
وعدم الاصفا اليه واصل العزة المنع والتكبر فحسبه جصم اي كافيته له جصم جزا
وعذابا وجمم اسم من سما النار التي تعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم عجمي
وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعدها وقرها وليس لي لها داء الا لفراس والمهاد التوطية
ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحت وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند
الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر ان اتق الله فومنع
خذه على الارض اتق الله تعالى قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء ضمانات
الله قال ابن عباس تزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احدى عن ابي هريرة قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جده عاصم بن عمر بن
الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة فركبوا حتى من هذا بل يقال لهم بنوا الحبيان
فتبعوهم فترى من مائة رام فاقصوا اثارهم حتى اتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر
تزدوه من المدينة فقالوا هذا تمر يرب فتبعوا اثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم
واصحابه كجوا الى فدفد وجا القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان تزلتم الدنيا
ان لا تقتل منكم رجلا فقتلوا عاصم اما انما فلا تزل في ذمة كافر اللهم اخبر عن رسول الله قالوا
فرمواهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي جيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم
العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق تزلوا اليهم فلما استكنوا منهم حلوا وبارفهم
فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فاني ان يصحبهم فخير وه
وعالجوا على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بجيب وزيد حتى باعوا بمكة
فاشترى جيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان جيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر
فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث
ليستحبه لها فاعارته قالت ففعلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذ
فلما راينه فرغت فرجة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال الجيب ان اقتله ما كنت افعل
ذلك ان شأ الله وكانت تقول ما رايت اسيرا فظاخير من جيب لقد رايت ياك فظف غيب
وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لم يوثق في الحديد وما كان الارزاق رزقه الله فلما خرجوا به من
الحرم ليقتلوه قال دعوني صلى الله عليه وسلم كعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تزولوا في جرح من الموت

نابج

لزدت فكان اول من سئل الركنين عند القتل وقال اللهم احصيه لهم عددًا وقاتك
 • فلت اباي حين قتل سلهما على اي شق كان لله مصر عني
 • وذلك في ذات الاله وان يشاء • يبارك على اوصال شلو مشرع
 ثم قام اليه عقبه بن الحارث فقتله وبعث قريش الى عاصم ليوثقوا بني من جده بعد
 موته وكان قتل عظيمًا من عظيم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الذي رجمته
 من رسلهم فلم يقدر وامنه على شئ نزل في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
 يوم اصبوا اخبرهم الغد فداسم للموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله ليس في الاخذ
 خلق القانة والعطف لعنف من العنت قوله على اوصال شلو الشلو العض من اعضا الانا
 والمرع للمرفق والظلة الشئ الذي يظلل من فوق الانسان والدرجاعة من الخل والزنا بير
 قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة
 انا قد اسلمنا فابعثنا فامرنا من علم اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكر منهم فبعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومروث بن الحنظلي القنوي وخاله
 ابن بكير وعبد الله بن طارق بن ثهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم ابن ثابت
 ابن ابي افلح الانصاري وذكر واخو حديث البخاري ونزاد عليه فقالوا فاصلبوا خبيبًا
 حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس في احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلقه سلامي فقام اليه
 ابوسروعة عقبه بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان
 معده مع فوهه من يدي خبيب فقال له خبيب ان الله فان اذاه ذلك الا اعتوا فطعنه فانتد
 فذلك قوله تعالى واذا قتل الله اتقوا الله اخذته العزة يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابنته
 صفوان بن امية ليقبله بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى فسطاس الى السقيم ليقبله
 في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابوسفيان بن حرب فقال له ابوسفيان بن حرب حين قدم
 ليقبله انشدك الله يا زيد اني اخط محمد لعنه الله الان مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك
 فقال زيد والله ما احب ان نمجدا الا في مكانه الذي هو فيه نصيبه شوكه قودبه وانا
 جالس في اهل فقال ابوسفيان ما رايت احدا يجلب احد اصحاب محمد ثم قتله
 فسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لا يصحابه ايكم يجنزل خبيبا عن
 خبيته وله الحق فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبا جوه المقادير الاسود فخرجنا عيشا الى
 وبكتمان النهار حتى اتينا السقيم لئلا فاذا حول الخبيبة اربعون من المشركين ذابوا وهم نيام
 فاتزلاه من خبيته فاذا ابو طيب ينشئ فلم يغير منه شئ بعد اربعين يوما وبيده على جراحة
 ومي يعض في اللون لوز الدم والرجح ربح المشك فحمله الزبير على فرسه وسار فانته
 الكفار وقد مقتدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما حقن دمهم قذف

الزبير خبيبا فابتلعه الارض فسمي بليع الارض وقال ابو جابر لما جئنا معشر
 قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب
 وصاحبا المقادير الاسود اسد ان صار يان ديفعا اسبالمما فان شيتتم ناضلتم وان
 شيتتم نازلتم وان شيتتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبا جوه على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وجيريل عنده فقال يا محمد ان الملايكة لتباني بهذين من
 اصحابك وتزلي في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شرب
 انفسهم ابا نزل الخبيبة عن خبيته وقال كثر المفسرين تزلت في صهيبي بن سنان الرومي
 وانا نسب الى الروم لان منازلم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية
 فسيته ومو غلام صغير فنشأ بالروم وانا مومن العرب من النمر بن قاسط قال سعيد
 ابن المسيب وعطا قبل صهيبي مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فابتهه نفر من مشركي
 قريش فترد عن رحلته وتفلما كان في كنانته وقال والله لا نقبلون الا واري بكل سهم
 معي ثم اضرب بسيفي ما كان في يدي وان شيتتم دلتكم على ما لا دفتتم مكة وخيلتم سبيلي
 فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
 مرضات الله الا يتفق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع اياحي وتلا عليه هذه الآية
 وقال الحسن انه روى هذه الآية تزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيايني
 ان يقولها فيقول المسلم والله لا شئ نفسي فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل تزلت هذه
 الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس امر من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
 يقوم قياما من هذا الشقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالامر قاله انا اشري نفسي به
 فقاتله وكان على اقر هذه الآية يقول اقتسلا ورب لكعبة وسمع عمر بن الخطاب هذه الآية
 ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر بن الخطاب وانا اليهم جعون قام رجل
 فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخبره الترمذي وقال حديث حسن غريب
 واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشر البيع ومنه قوله وشروه بثلثي وباعوه
 والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه
 في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد والمعروف ونهى عن منكر فكان ما يبذله
 من نفسه كالسلفة فصارت كالبايع والله تعالى المستر والتمس بوثاق الله في الآخرة ابتغاء
 مرضات الله اي طلبه من الله والله روف بالعباد اي من رافقه الله فعباده ما من جعل التميم
 الدائم في الجنة جزا على العمل القليل المقطوع ومن رافقه ان يقبل توبة عبده ومن رافقه
 ان انفس العباد واموالهم ان يشري بملكه بملكه فضلا وحسانا قوله عز وجل يا ايها

سنة
وعزكم

الذي امنوا ادخلوا في السلم كافة تركت في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام
 واصحابه وذلك لما اسيروا اقاموا على تقليم شرايع موسى فعضوا السبت وكرهوا
 لحوم الابل والبانها وان ترك هذه الاشياء في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا
 يا رسول الله ان التوراة كتاب قد عفا فلنقم به في صلواتنا في الليل فامر الله هذه
 الآية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتسكوا بالتوراة فانها منسوخة
 والمعنى استسلموا لله وطبعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بحمد صلى
 الله عليه وسلم من اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا موسى وعيسى ادخلوا في السلم اي في
 الاسلام وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اقامه عمر قال انما
 نسمع ايجادا من يهود فنجعلنا افترقا نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولم
 امنهوكون كما تقولون اليهود والنصارى لقد جئتم بها ايضا بغيره ولو ان عيسى جاسا
 وسعدا لاتباعه قوله ممنهون اي اختيروا في دينكم حتى تخلصوه من اليهود والنصارى
 وقوله لقد جئتم بها يعني بالملة الخنيفية بغيرها بغيره اي لا تحتاج الى ثبوت وقيل يحتمل
 ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسلم ادخلوا في
 السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم
 ولا تفرقوا وقيل انه يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه كافة
 وهذا المعنى الذي بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان
 في هذه الآية الاسلام ثمانية اسهم ففعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد
 والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا يسهم ولا يتسهم **خطوات الشيطان**
 اي ثاره فيما من لكم من محرم السبت وحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشهادة
 التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والفرايد والاهوا المفسدة لان من اتبع سنة انسان فقد
 تبع اثره انه لكم عدو مبير فان قلت عداوته بايصال الضرر والافا الوسوسة فكيف يصح
 ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الغافل بجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلا
 اليها ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة ان يزين المعاصي والقاسمات وكما سبب
 بوقع الانسان في مخالفة الله تعالى فيضده بذلك عن الثواب وهذا من اعظم جهات
 العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بأنه مبير مع ان الانزاه قلت ان الله يبين عداوة
 ما هي فكانه يبين ان لم يشاهد فان للتم اي ملتم وصلتم وقال ابن عباس شركتم من بعد
 ما كانتكم لينا نزلت الايات الواضحات فاعلموا اني اسعوي في نعمته من خلفه لا يجر
 شي حكيما يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الآية وعبدوا
 لمن في قلبه شك ونفاق او عذره شبهة في الدين قوله تعالى هل ينظرون الا ينظرون التاركون

في قوله
 عداوة

للدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله في ظلالهم من الغمام
 يعني السحاب لا يبين الرقيق سمي غماما لانه يغمر ويستر وقيل موسى غير السحاب بل يكن
 الابن اسرائيل فيتهمهم ويوكهيه الضباب لا يبين والملايكة اي تاتيهم الملايكة وروى
 الطبراني في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوقا وذلك قوله هل ينظرون الا
 ان ياتيهم الله في ظلال من الغمام والملايكة وقضي الامر قال عكرمة والملايكة حوله وقيل معنا
 حول الغمام وقيل حول الرب سبحانه وتعالى واعلم ان هذه الآية من ايات الصفات وللعلماء
 في ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وموذهب هذه الآفة
 واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاني ايات الصفات واحاديث الصفات
 وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها الخجالات ونكل علمها الى الله عز وجل والى رسوله
 صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله متزه عن سمات الخلق وعن الحركة والكون
 قال الكلبي هذا من الذي لا يفهم وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في
 كتابه فتفسيره قرآنه والسكوت عليه ليس لاحد ان يفهمه الا الله ورسوله وكان الزمري
 والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحد من جناب الصحابي
 رابوية يقولون في هذه الآية وامثالها اقروها الخجالات بلا كيف وتشبيه ولا تاويل هذا
 مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة واشهد بعضهم في المعنى .
 . عقيدة ثنائ ليس مثل صفاته . ولا ذاته شي عقيدة صايب .
 . نسلم ايات الصفات باسرها . واخبارها للظاهر المتقارب .
 . ونؤمن عنها كنهه فم عقولنا . وتاويلها فعل اللبس المغالب .
 . ونركن للتسليم فيها خافا . للتسليم دين المرخير المراكب .
 المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين من العقلاء والمفسرين من اصحاب النظر انه تعالى
 متزه عن المجرى والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجرى والذهاب لا يتنقل عن الحركة
 والكون وبما محدثان وما لا يتنقل عن المحدث فهو محدث والله تعالى متزه عن ذلك
 فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مراد فلا بد من التاويل على سبيل
 التفصيل فعلى هذا اقبل في معنى الآية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون محي
 الايات مجيئها الله على سبيل التنبيه لسان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله ووجه هذا
 التاويل ان الله تعالى في آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك
 فصار بهذا المحكم مفسرا لهذا المجرى في هذه الآية وقيل معناه ياتيهم الله بما وعد من الحساب
 والعقاب فخذ فمنا في به تقويلا عليهم اذ لو كان ما ياتي في جه كانا سمل عليهم من نبال لعبيد

واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان تكون الفاعل بمعنى البال لان بعض الحروف يقام مقام
بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلم من الغمام والملايكة والمرد
العذاب الذي ياتي من الغمام مع الملايكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان ياتيهم قاهر
الله وعذابه في ظلم من الغمام فان قلت لمكان اتيان العذاب من الغمام قلت لان
الغمام منظمة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان ابلغ واقطع وقيل
ان نزول الغمام علامة لظهور احوال القيامة واهوالها وقيل الامر اي وجب العذاب
وفرغ من الحساب وذلك فصل العقاب بين العباد في يوم القيمة والى الله ترجع الامور
اي الى الله بغير امور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور
جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة لكن المراد من هذا اعلام بخلق الله المجازي على
الاعمال بالثواب والعقاب وجواب خروجه لما عبه قوم غيره في الدنيا وازادوا
افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة انكشف الغمام وردوا الى الله ما اضافوه الى غيره
في الدنيا قوله عز وجل سئل بني اسرائيل لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يسأل
يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها
باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التوبيخ والتفريع والمبالغة في الجزع عن الاعراض
عن دلائل الله وترك الشك وقيل المراد بهذا السؤال التقدير وتذكير النعم التي انعم الله
بها على سلفهم كم اتيناكم من آية بيينة اي من دلائله وافصح على نبوة موسى عليه السلام مثل
العصا والبيد البيضاء وخلق البحر والارض والسموات ومن يبدل نعمة الله من بعد ما حازها
يعني بغير الآيات التي جات من الله لانها هي سبيل الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج
اسم الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبهلوها وقيل المراد
بنعم الله عنده الذي عهد اليهم فلم يوفوه فان الله شديد العقاب يعني لمن بعد نعمة الله
قوله عز وجل من لم يذكر والحياة الدنيا نزلت في مشركي العرب اي جهل واصحابه
لانهم كانوا يتبعون ما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين
عبد الله واصحابه وقيل نزلت في مشركي اليهود ويحتمل انما نزلت في الكفار من المؤمنين
تعالى بديل قراءة من قرأه من بعض الراي وذلك لا يمنع ان يكون الله تعالى هو المزيل
بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الانبياء العجبة
والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان
وركب في الطبائع الميل الى اللذات وحب الشهوات لاعلى سبيل الاجا والقسر الذي لا يمكن
تركه بل على سبيل الخشب الذي يميل اليه مع امكان ردها عنه فتنظر الخلق الى
الدنيا اكثر من قدرها فاعجبهم حسناتها وزهرتها وزينتها فاجبوها وفتنوها وقيل

عن
و

ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واجبوها فكان هذا
الامهال هو التزيين وقيل ان المراد من التزيين هو الشيطان وعوادة الجن والانس وذلك انهم زينوا
للكفار المحرم على الدنيا وطلبها وفتحوا لهم من الآخرة وقيل او يسموهم ان الآخرة ليقبلوا على
لذات الدنيا والمحرم عليها وهذا التناوب لصعيف لانه تعالى تزين للذين كفروا ويتناول
جميع الكفار فيه خلقه الشيطان وعوادة الجن والانس وان لكلهم من تزين لهم وهذه التزيين
لابد وان يكون مغاير للم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ويحتمل ان المراد من التزيين ان
الكفار يستهزؤون بغير المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب
وبلال وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يغلبونهم والذين اتقوا يعني
الغفار من المؤمنين ففرغهم اي فوق الكفار يوم القيامة لان الغفار في عليين والكفار والمنافقين
في اسفل السافلين عن حارثة بن وهب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو قسم على الله لاره الا اخبركم باهل النار كل غث
حواظ مستكبر القتل الغليظ الشديد في الخضوع الذي لا يتقاد بخير والمواظ الفاجر
المختال في مشيئه وقيل بواله في تمدح باليس في ما وعنده عن سامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجحيم وسوز غير ان اصحاب
النار قد منهم الى النار وقت على باب النار فكان عامة من دخلها النساء الجذبة الجذبة والظن
وكثرة المال والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير عداي لان ما به خل
عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على من يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه
في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير احتساب
وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نقادنا في خزائنه حتى لا يحتاج الى حساب بل يخرج منها ان الحساب
انما يكون ليعلم قدر ما يعطى فانه غني عالم بما يعطى لا يخاف نقاد خزائنه لانها بين الكافر والنون
وقيل معناه ان الله تعالى يقرر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق على من يشاء ولا يعطي كل احد على
قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا مقارض له في حكمه ويجاسب في الرزق ولا يتال
له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا يشرك له في ملكه
ينازعه ولا يسأل عما يعقل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي المتقين في الآخرة من الثواب
والكرامة بغير محاسبة منه لم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك ان نعيم الجنة لا نقاد له
ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة من الثواب والاجرة بغير محاسبة ثم يفضل عليهم
فذلك الفضل منه عليهم بغير حساب قوله تعالى كانا ناسا من واحد اي علي بن واحد
قيل بواحد وذريره كانوا مسلمين على بن واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلعا وقيل
الناس على شريعتهم واحدة من الحق والهدى من وقت ادرك الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله

نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل لهم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح
كانوا موثقي ثم اختلفوا بعده وفاته وقيل كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام الى
ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهراء من عليه السلام لاخذ
الميثاق فقالوا لك ربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك
اليوم ثم لما ظهر الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة
واحدة يعني اما قدوة يقتدى به واما ظاهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة
على الكفر والباطل به ليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم
نحو ايل وشيث وادريس ونحوهم فلجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والكلم للغالب
وقيل ان الآية دللت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على ان يكونوا موقوف
على دليل من خارج فبعث الله النبيين وجملة ثمانية الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكور ومنهم في القرآن اسما الاعلام ثمانية وعشرون نبيا مبشرين
يعني بالثواب لمن اطاع ومنذر من عذاب الله يعني بخوفه في العذاب لمن كفر وعصى واما قدوم البشارة
على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ صحة الابدان والانداء تجري مجرى إزالة المرض ولا شك
ان المقصود هو الاول فكان اول ما تقدم وانزل معهم الكتاب اي الكتاب يكون للتدبر وانزل
مع كل واحد كتابا باحوى اي بالعدد والصدق ومجلة الكتب المنزلة من السماوية واربعة كتب
انزل على ادم عشر صحايف وعلى ابراهيم خمسة وعشرون صحيفة وعلى ابراهيم عشر
صحايف وعلى موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه
وسلم القرآن ليحكم بين الناس يعني الكتاب واما اصنيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو
الله تعالى لانه انزل والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزل وقيل معناه ليحكم بين الناس
كل بني كتابه المنزلة عليه واسناد الحكم الى الكتاب والنبى مجاز والله هو الحاكم على الحقيقة
فيما اختلفوا فيه اي الحق الذي اختلفوا فيه بعدما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق
الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد بالتوراة والانجيل الذي اوتوه اليهود والنصارى
واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغير حق او قيل اختلافهم هو تخريفهم
وبتدليلهم وقيل الكناية فيه مراجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف
في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد رسوخ الدلائل على صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب
بقيامهم وحده من بعد ما جاءهم البينات اي الدلائل الواضحات على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم بغير ايديهم يعني انهم لم يبق لهم عذر في القدر ولعنه وترك ما جاء به
واما تركوا اتباعه بغير حق او هو طلب لهدى وطلب لرئاسة فهدى الله الذين امنوا
لما اختلفوا فيه اي الى ما اختلفوا فيه من الحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا العروة ما اختلفوا

فيه من الحق وقيل هو من المقلوب فهدى الله الذين امنوا الحق الذي اختلفوا فيه وكان
اختلافهم الذي اختلفوا فيه اجمعة فهدى الله هذه الامة الاسلامية اليه عن ابي موسى
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة
اوتوا الكتاب من قبلنا واوتينا من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فعدا
اليهود وبعدهم للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن
الاخرون السابقون سيدانهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله
عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لهدايتهم الى يوم الجمعة ثم اتفقوا فلما
لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد من عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فجاء
الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الله للجمعة والسبت والاحد ولله ذلك ثم تبع لنا يوم
القيامة نحن الاخرون من اصل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة
قبل الخلائق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلى اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلى
النصارى الى الشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله شهر رمضان
واختلفوا في ابراهيم فقال لليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى
الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام فاليهود فرطوا فيه
والنصارى فرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي
اختلف فيه من اختلف فيه باذنه يعني بعلمه وامر وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم قوله تعالى ام حسبكم ان تدخلوا الجنة تركت في غرق الاخراب وبقي غررة الخندق
وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي
كانوا فيه يومئذ وقيل تركت في غرق احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامصحابه المدينة في اول الهجرة ثم استبد عليهم الفيل لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم
وديارهم بايدي المشركين واثر وارضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واسرقوا من اتفاق فاثرت الله هذه الآية تطيب القلوبهم ومعنى الآية
ام حسبكم والميم صلة وقيل هل حسبكم والمعنى اظنتم انكم خلوا الجنة تحرد
الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدة والهم
والابتلاء والاختبار وموقوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي سنة الذين مضوا من
قبلكم واتباعهم من المؤمنين ومثل محبتهم مستم الباس اي اصابهم الفقر والشدة والسكنة
ومواهم من البوس والضرب والضمان وضربا خفيفا ولا يستقر بل لا يزال يضرب ويتركه لقلقه
والزلازل والزلزلة الحركه وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضرب ويتركه لقلقه

حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وذلك ان الرسل اثبتت من غيرهم
واصبروا ضبط للنفس عند نزول البلاء وكذلك اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم
الجهد والشدة والبلاء لم يتوهم صبر وذلك هو الغاية المقصود في الشدة ولما بلغ
الحالة الشدة الى هذه الغاية واستبسطوا النصر قيل لهم **الا ان نصر الله قريب**
اجابهم الى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم
الى ان ياتهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة
في طلب الحق فان نصر الله قريب **عن خباب بن الارت** قال شكونا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يتوسد برده له في ظل الكعبة فقلنا الا تستغفرون لنا الاذعولنا
فقال قد كان من قبلكم يوخد الرجل فيجره في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى
حضرموت لا يخاف الا الله والذي علي غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى يا ايها الذين
ما اذ ينفقون ثلث في عمره من الجحود وكان شيخا كبيرا ذاما ليقال يا رسول الله بما ذا
تنفق وعلى من تنفق فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من خيراتكم
اي مال والمعنى وما تنفقوا من انفاق شيء من المال قتل او كثر فقلوا **والدين** وانما قدم
الاتفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانها كانتا السبب في اخراجه من العدم الى
الوجود **والاقرنين** وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصلح
جميع الفقراء فتقدم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لضعفهم
ولا نعم لا يقدر وزن على اكتساب ولا لهم من ينفق عليهم **والمساكين** وانما اخرهم لان
حاجتهم اقل من حاجة غيرهم **وابن السبيل** يعني المسافر كما انه بسبب نقصانه عن
بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية
الاتفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال
فقال **تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم والمعنى** وما تنفقوا من خير مع هؤلاء
او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء
التفسير ان هذه منسوخة قال ابن مسعود لنسختها اية الزكوة وقال الحسن انها محكمة
ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وبما الوالد ان وقال
ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الآية فمن احب لتقرب الى الله تعالى بالاتفاق
فلاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاولى فالاولى تبقى في الآية سؤال
وبما انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا بيان ما ينفقون فاجابوا ببيان

المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله وما انفقتم من خير بيان
ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكل به المقصود وهو بيان الصرف
لان النفقة لا تنفق نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر **ان النفقة لا تنفق**
حتى يصيب لها طريق المصنع قوله عز وجل **كتب عليكم القتال** اي فرض عليكم
للجهاد واختلف العلماء في حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزع غيرهم واليه ذهب النووي وحكي عن الاوزاعي
نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الوجوب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة
من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص
هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها وللجهاد فرض
على كل مسلم ويؤيد على ذلك ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للجهاد واجب عليكم مع كل امين براكبان او فاجرا اخرجه ابوداود وزيادة
فيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا يجرى بعد
الفتح ولكن جهاد ونية فاذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام
به البعض سقط الفرض عن الباقي وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء
قال الزمري كتب الله القتال على الناس جاهدا او لم يجاهدوا فمن غزى فيها ونعمت
ومن قعد فهو عذرة ان استعفى به اعان وان استنفر ففروا ان استغنى عنه فقد قال
الله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعد بدرجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان
القاعدة تاركين فرضا لم يعبه بالحسنى واختلف العلماء بالناسخ في هذه الآية على ثلاثة
اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعقود من المسكن القول الثاني انها منسوخة
لازيتها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله وما كان المؤمنون ليتقوا كافة
القول الثالث انها ناسخة من وجوه ومنسوخة من وجه والناسخ منها ايجاب الجهاد
مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله وموكره لكم اي
القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه
من مونة المال ومنسقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كانوا امر الله وقيل نسخ الله
الكره بقوله اخبار اعنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم للقتال قبل ان
يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعتداء في الله تعالى ان الذي تكروهونه
من القتال يوجب لكم من تركه لئلا تكروهونه بعد ان فرض عليكم وعسى ان تكونوا شيئا وهو
خير لكم لقطعة عسى توهم الشك مثل العلوي من الله اليفيق وقيل انها كلة مطمحة
فهي لا تدل على حصول الشك للقابل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزوة فيه

احد الحسينيين اما الظفر والغنية واما الشهادة والجنة وقيل لما كان الشئ شاقا في
الحال وهو سبب لمنافع الجليلية في المستقبل ومثله شرب له والمترقانه ينم عن الطبع
في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة يتوقع حصول الصحة في المستقبل
وعسى ان يحبوا شيئا يعني القعود عن الغزو وموشر لكم يعني ما فيه من فوف الغنيمة
والاجر وطع العدو وفيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والشكوت فقد بلادكم
وكماول قتالكم واذا علم ان فيكم مهابة وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم ما في
الجهاد من الاجر والغنيمة والخير وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم
بقصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة
فيجب على العبد امتثال امر الله وان كان يشق على النفس في الحال قوله تعالى يسئلونك عن
الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبده
ابن جحش ومعاوية بن عمنه في سرية في جمادى الاخر قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية
وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا انزلت
فافتح الكتاب واقره على اصحابك ثم امض الى امرتك ولا تستكره احد منهم على السير
معه فصار عبدا لله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسم على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها غير فرش
لعلك تاتيها بخير فقال سمعوا وطاعة ثم قال لا يحل لكم قتال في الشهر الحرام الا في ان استكره
احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فليستطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه
وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بعدن فوق الغرغرة بموضع من
الحجاز يقال له بخرا انصل سعد بن اخو قاص وعتبة بن غزوان وغيرهما كانا يعتقبانه فخلعا
في طلبه ومضى عبدا لله ببغية اصحابه حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطائف فينماهم
كذلك مرت بهم غير لغزيش يحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو
ابن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان
فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال
عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتبعهم فاحلقوا
راوه محلقا راسه امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا
وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه
من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن
للموم وليمنعن منكم فاجمعوا امرهم في موافقة القوم فرمى واخذ بن عبد الله السهمي عمرو
ابن الحضرمي يساهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين

في الاسلام فاقتل نوفل فاعجزهم وساق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدما
واخذ الجرايب يعني المال وغيره ذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر القباة
استحلتم الشهر الحرام وقالتن فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وانى ان ياخذ شيئا من ذلك وعنت المسلمون اصحابا لسرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم
ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وطمعوا ان قد ملوكا وسقط في ايديهم
وقالوا يا رسول الله اننا قتلنا ابن الحضرمي فخر مسينا فقتلنا ملال رحيل فلانته ربي في رجب
اصبناه امر في جمادى واكثر الناس في ذلك فارتل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم العير وفعل منها الخس فكان اول خسر في الاسلام واول غنيمة ضمت فقتل
الباقى على اصحاب السرية وبعث هلم مكة في قد اسيرهم فقال بل نعمتها حتى يقدم سعد
وعتبة وان لم يقدما قتلنا معا فلما قدم ما فادنا فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بدر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله
فرجع الى مكة فاقبل بها كافرا واما نوفل ففرض بطن فرسه يوم الاخراب ليده خلة من
فوق في الخنقة مع فرسه فخطا جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الية فاما تفسير
الاية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتخريم القتال
فيه وفي السابليين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال
في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القتال في الشهر الحرام فترلت هذه الآية والقول الثاني ان السابليين هم المشركون وانما
سالوه على وجه العيب على المسلمين فترلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
اي قريبا محمد قتال فيه كبراي عظيم مستكره واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين
احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقتلوا فيه فيقتلوا على سبيل
الدفع روى عن عطاء انه كان يخلف باليه ما يحل للناس في الغزو في الشهر الحرام ولا ان يقتلوا
فيه وما استنحت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الهوى انها منسوخة وقال سعيد
ابن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كفاية يعنى في الاشهر الحرم وغيرها ومنه
عن بسيل الله هذا البتة الكلام والمعنى ومصدقكم المسلمين عن الحج او صدكم عن الاسلام من يريده

وكفر به اي بالله **والمسجد الحرام** اي مدينتكم عن المسجد الحرام واخرج اهله منه يعني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين اذومهم حتى باجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم
 كانوا هم القايدين بحق المسجد الحرام **دور المشركين** اي عنده الله اي اعظم وزرا عنده الله من
 القتال في الشهر الحرام **والفتنة** اي الشرك الذي انتم عليه **أكبر من القتل** يعني قتل ابن الحضرمي
 في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أبيس وقيل عبد الله بن جحش الي يومني مكة
 ان غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيرهم انتم بالكفر وبما اخرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم ايامهم من البيت ولايزالون يعني مشركي مكة **يفتنونكم** يعني
 يامعشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يعني الي دينهم وهو الكفر **ان استطاعوا يعني ان**
قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فيمكنوا الرجل الدهر وان ظفرت في اللابن علي
 وموالتقانه لا يظفر به **ومن يردكم عن دينه فيمت** وهو كافر يعني ومن يطاوعهم منكم
 فيرجع الي دينهم فيمت علي رده فاذل ان يوت فاوليك **حيطت اعمالهم** اي بطلت اعمالهم في الدنيا
والاخرة وهو ان المرتد يقتل ويقتل زوجته منه ولا يستحق الميراث من قاربه المؤمنين ولا ينصر
 ان استنصر ولا يهجر ولا يثنى عليه ويكون ماله فينا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب
 على اعماله ويحيط اجرها في الاخرة وظاهر الآية يقتضي ان لا ترد اذا ما تنفر عليه الاحكام اذا
 مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من احكام الردة وفيه دليل على ان
 ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد علي رده وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل
 وان اسلم **واوليك اصحاب النار** يعني الذين ما توا على الردة والكفر هم اصحاب النار **فما خافوا**
 اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله نزلت في عهد الله
 ابن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نوجه على وجهنا هذا ونقطع ان
 يكون لنا غزوا فنزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش
 واصحابه وامر الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين اذ لم يكونوا اصابوا في سفرهم وزر افليس لهم
 فيه اجر فارتل الله هذه الآية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم وعشائيرهم
 وقواتهم وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم ففعلوا عن المشركين وعن
 بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه
 السرية جهادا **اوليك يرجون رحمة الله** اي يطعمون في نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة
 وفيل المراد من الرجاء هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل الظن في كونه ووقته قال قتادة انني
 الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الناس قال الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
 في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله هو لاهم خير من هذه الامة شر جحلام الله امثل جاحكاشون
 وانه من رجاء طلب ومن خاف هرب والله غفور راي لا نوب عبادة رجمهم والمعنى انه تعالى

غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل **يسئلونك عن الخمر**
والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار
 انوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اقتنا في الخمر والميسر
 فانما مذهبنا للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الآية واصل الخمر في اللغة السكر
 والنقطة وسميت الخمر خمر لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تشتره
 ونقطة وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر ايات نزلت
 بمكة ومن ثمرات التحيل والاعناب تتخذون منه سكراف كان المسلمون يشربونها
 في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة جواب سوال عمر ومعاذ رضي الله
 عنهما يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيها انتم كذبر فتركها قوم لقوله انتم كذبر
 وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا
 اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت
 صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون **اعبدوا ما بقدر**
 فحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما الخمر
 لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون تحريم السكر في اوقات
 الصلاة فترك قوم شربها وترك قوم شربها في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها
 بعد صلاة العشاء فيصبح وقد نزل سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة
 الصبح فيصحو وقت الظهور ثم ان عثمان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا
 من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم نرا من بعير فاكلوا وشربوا الخمر
 حتى اخذت منهم فافترقوا عند ذلك وانفسوا واناسبوا وتناشدوا والاشعار فانشده
 سعد قصيدة فيها فخر قومه وبها الانصار فاخذ رجل من الانصار كحي البعير
 فضرب به راس سعد فتشجحه موشحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بينا شافيا ويروى ان
 حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبه ناصح
 والانصارى يتمثل بيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما
 • جمعنا مع الايو انصرنا ونجرة • فلم يبرح في مثلنا في المعاشرة •
 • فاحياونا من خير احيا من مضى • وامواتنا من خير اهل المقابر •
 فقال حمزة اوليك المهاجرون وقال الانصارى اوليك الانصار حمزة بن الانصارى وترك
 ناصحه فقطعه حمزة وجا الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واخبره بفعل حمزة فغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ناصحا فقال عمر اللهم

بيننا في التميزنا شافيا فانزل الله تعالى الآية التي في المائدة الى قوله فهدنا لهذا
مشهور فقال عمر انتم تميزنا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع
التخيم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الغوا شرب الخمر وكان
انتفاعهم بذلك كثيرا فاعلم انه لو منعهم من الخمر فعدوا واحدة لستق ذلك عليهم فلا
جرم استعمل هذا التدبير وهذا الرفق قال انس خرجت الخمر لم يكن يومئذ للعرب
عيش اعجب اليهم منها وما حرم عليهم شيئا من الخمر فخرج عن انس رضي الله عنه
قال ما كنا نأخذ الخمر غير فضيحة وانما لقمنا اسقى ابا طلحة و ابا ايوب وفلانا وفلانا
اذ جاز رجل فقال حرمتنا الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فاسالوا عنها ولا
راجموها بعد خبر الرجل الغضيج بالضاد ولما المحمدين شراب يتخذ من نبيذ
مطبوخ والمنضوخ المكسور والاهراق القصب والقلا لجمع قلة وهي الخمر الكبير
فصل في تخيم الخمر وعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وان يحده
شارها ويغيب بذلك مع اعتقاد تخيمها فان استعملها كفر وبغيت قتلها
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر
حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يده منها لم يمت منها لم يشربها في الآخرة
لفظ مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن
فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له
المذرق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهد الخمر يشرب
للمسكر يتيقن من طينة الخمر قالوا يا رسول الله وما طينة الخمر قال عرق اهل النار
او عصارة اهل النار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا اجتحت صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسيقه من طينة الخمر فيلوم طينة الخمر
قال صديداهل النار اخرجوا ابودود عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل منه صلاة بيتعا
وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الزايف وفي رواية عن القرآن لم يقبل
صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجته النساء عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال اجنبوا الخمر فانها ام الخبايا فواءه لا يجتمع الايمان وادمان الخمر
الا بوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجته النساء موقوفا عليه وفي قصة عن انس رضي
الله عنه قال اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عامرها ومعمها وشارها
وساقيتها وحاملها والمحمولة اليه وبابرها ومبايعها وواهبها والكل منها اخرجته الترمذي

مخرج

فصل في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في ماهيتها قال الشافعي في الخمر عبارة
عن عصير العنب الذي قذف بالزبد وكذا للقيع الرقيق والتمر والتمر المتخذ من
العسل والخمصة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من
العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه
حرام واخرج علي ذلك ياروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى بعض عماله ان ازرق
المسلمين من الطلما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه وفي رواية اما بعد فاطموا شرابكم حتى يذهب
منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجته النساء الطلما البكر الطا والمدا الشراب
المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقى ثلثه واخرج ايضا ياروي عن ابن عباس
قال حرمتم الخمر لعينها قليلا وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجته النساء واستدل ايضا
على ان السكر حرام ياروي عن ابى الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا شربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجته النساء وقال
هكذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة اشياء ياروي عن ابن عمر قال
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تخريم الخمر وهي من خمسة
من العنب والتمر والعسل والخمصة والشعير والخمر ما حرام العقل وثلاث ورمه فان زبد
الله صلى الله عليه وسلم كان عهدنا في عهد انتهت اليه الجدة واللاللة وابواب من ابواب الدنيا
اخرجته البخاري ومسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال
شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمر او ان من التمر خمر او ان من
الشعير خمر اخرجته ابودود وزاد في رواية والذرة وفيها كرم مسكر وللزبد في نحوه
وزاد وان من العسل خمر اخ عن ابن عباس سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباقر ما اسكر فهو حرام
عليك الشرايكلال الطيب ليس بعه لللال الطيب لا للرام الخبيث قال صاحب المطالع
الباذق يفتح الذال المعجمة وهو الطلما المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنوا
امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال
ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باؤه وهو اسم الخمر بالفارسية اهل اليمن في زمانه
اوسبق قوله فيها وفي غيرها من جندتها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
انما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر
ومقتر اخرجته ابوداود والمعتمر كل شراب ارجى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار
واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام ياروي عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجته الترمذي وابوداود عن عائشة

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فكل الكت منه
حرام اخرجه ابوداود والترمذي وفي رواية له ولكسوق منه حرام الفرق بالتي يلعكها
بيع ستة عشر طلالا بالبعده ادى واجيب عن حديث عمر في الطلالا به معارضه ما روى
عن الشايب بن يزيد ان عمر قال وجبت من فلان ربح شراب وزعم انه شرب الطلالا واخا
سائل عنه فاني كان سكر جلدته فقال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر لانه تاثا اخرجه
مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فيوقوف عليه ومعارضه ما روى عنه في الباقر وقوله
والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمرة
الاهاجم ويقال لما سكر السكر وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والسكر من كل شراب
وقال موسى بن هارون وهو الصواب واما حديث ابى الاحوص فقيد ومان احدهما في سنده
حيث قال عن ابى بردة واما يرويه سالك عن القسمر عن ابى بريدة عن ابيه واليوم الثاني في
متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تسكروا مسكرا ويدا على صحة هذا
فادوى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابى بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت لفيتمكم عن الاثربة في ظروف الادم فاشربوا في كل واحد غير ان لا تسكروا مسكرا وقال النسائي
في حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابوا الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا
تابعه عليه من اصحاب سالك واما حديث عابشة فيه فهو غير ثابت فامر قول النسائي المسئلة
الثانية في الحكم بنحاسته الخمر وما يلحقها بخسة العيز ويدل على نجاستها انما الخمر
والليس والانساب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشئ
للتقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت بخسة العيز ويدل على نجاستها
ايضا انها محرمه التناول للاحترام ولا ان الناس مشغولون بها فينبغي ان يحكم بنحاستها تأكيد
للزجر عنها المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والاتقاع بها اجتمعت الامم على تحريم
بيع الخمر والاتقاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام
اخراجها في الصحيحين مع زيادة اللفظ عن عابشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت التجارة في الخمر عن ابن عباس قال بلغ عن الخطاب بن ابي ثعلبة ان ابا عبد الله
فقال قال الله فلا خال يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فباعوها عن المغيرة بن شعبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع
الخمر فليشققن خنازير ابوداود وقوله فليشققن الخنازير اي فليقطعها قطعاً كما
تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانها في التحريم سواء
عن ابى طلحة قال يا بنى الله اني اشتريت خمر لا يتام في حجرى فقال اهرقها وكرهه فان

اخرجه الترمذي وقال وروى عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لا يتام وهو اصبح فان
قلت فما وجه قوله تعالى ومناقع للناس تلك مناقعها اللذة التي توجد عند سربها
والفرج والطرب معها وما كانوا يصيبون من الذبح في خمرها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت
حرم ذلك كله **تصل** واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال
بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يجاطل الرجل على اهله
فقاله فايما في مناصبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر
ان اصل الازوة من العرب في الجاهلية كانوا يشربون خمرهم ويخربونها ويخربونها ثمانية
وعشرين جناهم يسمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماها لغز
والقوم والرقيب والجلس والنافع السبل والمعل والميخ والفيح والوعيد وكانوا
يسمون لسيعة منها انصبا فلقد سماها وللقوم سمين وللقريب ثلاثة اسم وللجلس
اربعة وللنافع خمسة وللسبل ستة وللمعل سبعة وثلاثة من الاقداح لا انصبا لها
ومى البطح والفيح والوعيد قال بعضهم في الدنيا سهام ليس فيها بيع سمي وعبد
وبيع وبيع ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الرباب ويضعونها على يد رجل
عدل عندهم يسمونه المحيل والمفيض فيجلبها في الخريطة ويخرج منها قديها اسم رجل
منهم فايما خرج اسم اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له اقداح من
الثلاثة التي لا انصبا لها لم ياخذ شيئا وعزم من اخرج ركلة وقيل لا ياخذ ولا يعزم
ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفون ذلك الجوز الى الفقرا ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون
به ذلك ويذمون من لا يفتله ويسمونه اليوم يعني الخيل الذي لا يخرج شيئا بين الاصحاب
لجعله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شئ فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر
حتى لعبا لصبيان بالجوز والكباب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطام او يد
على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكأنما
صبع يده وفيه مخزير اخرجه موسى وعنه ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابوداود وروى عن ابى طالب
قالا النرد والسطرنج من الميسر واختلفوا في السطرنج فذهب في حقيقته انه يحرم اللعب به
سواء كان برهان او بغيره ومن ذهب لشافعي انه مباح بشرط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا
السطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروي عن المذيان والصلاة عن النسيان لم يكن
حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله
تعالى **قل فيما** يعني في الخمر والميسر **كبير** اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت
على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب الخمر ومنها فعل ما لا يحل ففعله

واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة
والمعاداة وكل ذلك فيه اثم كثيرة ومنافع للناس يعني انهم كانوا يرجون في بيع الخمر
قبل تحريمها واما منافع الميسر فتواحدة مال بغير كره ولا نقب وقيل ربما ان الواحد منهم
كان يعجز في المجال الواحد مائة بغير فحصل له المال الكثير وبها كان يصرفه الى المحتاجين
فيكسب بذلك الشا والدم وهو المستغنى **واما الكبر من نعمها** يعني انهم بعد التحريم الكبر من
نعمها قبل التحريم وقيل انهم قالوا تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك هذه ذنوب يترتب عليها اثم كثيرة
سبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسئلونك ما اذا ينفقون** وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حصنهم على الصدقة فقالوا ما اذا انفق فقال الله تعالى قل العفو يعني العفو عن العفو
ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الحكمة يكسبون المال ويسكنون قدر النفقة ويتصدقون بالمال
بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بالزكاة وقيل هو الصدقة عن ظهر غنى عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا الصدقة فاما كان غنى ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى
وابدا بغير غنى وقيل هو الوسط في الاتفاق من غير اسراف ولا افتقار وقيل هو في صدقة التطوع
اذ لو كان المراد بهذا الاتفاق الواجب لكان الله قد رده فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به
صدقة التطوع **كذلك يبين الله لكم الايات** اي يبين لكم الامور التي سالت عنها من وجوه
الاتفاق ومفسارها لعلمكم **تفكر في الدنيا والاخرة** يعني فتأخذون بما يصلحكم في الدنيا
وتستغفون الباقي فينبفعكم في الاخرة وقيل لعلمكم تفكر في زوال الدنيا فتردوا فيها
وفي اقبال الاخرة وبقاياها فترغبوا فيها قوله عز وجل **ويسئلونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما
نزلت اذ الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اخرج المسلمون من اموال اليتامى يخرجوا شديدا حتى عروا
اموالهم وتركوا محالطتهم وربما كان يصنع اليتيم الطعام فيفضل منه فيذكوه ولا ياكلوه
فاشبه ذلك عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهزل الله ويسئلونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خيرا اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ حجة ولا عوض خيرا لكم اي اعظم اجرا
وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم وان تحالطوا به
يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباخه المحالطة اي شاركون في اموالهم
واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا
من قيامكم بامورهم او تكافؤهم على ما يقبضون من اموالهم فاخوانكم اي فتم اخوانكم والاخوان
يعني بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضى والله يعلم
المفسد من المصلح يعني المفسد مال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بلخاطبة اليانة
واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح ولو شاء الله لا غنتكم اي لضيق عليكم وما

اباح لكم محالطتهم واصل العنت السدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق
عليكم ان الله عز وجل حكيم اي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعينهم ولكنه حكيم لا يكلف
عباده الاما لتسرع فيه طاقتهم قوله تعالى **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن** نزلت في مرثد
ابن ابى مرثد الغنوي واسم ابى مرثد كنان بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عنان
وكانت حليته في الجاهلية فانت فقالت لا تخلو فقال ويحك يا عنان ان الاسلام حال
بيني وبين ذلك فقالت هل لك ان تزوجني قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت اني تشترى مرا واستغاثت عليه فضره من يأسه يدا ثم خلوا سبيلا
فلما قضى حاجته بمكة وايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم بما كان من امره
وامر عنان وما لقي بسببها وقال يا رسول الله اجعل لي ان تزوج لها فانزل الله هذه الآية
واصل النكاح في اللغة الوطى ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا
ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمنن اي يصدرن الله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والالتزام
احكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة
يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية
او غيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الجاهل الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فايهاح الله تعالى فكا من هذه
الآية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ثم استثنى من اهل الكتاب
فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت في مشركات
العرب الوثنيات خاسنة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثنى وانما حكمها عام مخصوص قال
قنادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن يعني مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب
يترانه وبيان هذا في مثله ومضى ان لفظ الشرك على من يظلمن فالأكثر من العلماء وهو القول
الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذا لك عبدة
الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى
وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا كما من دوز الله والمسيح بن مريم وما امر الا ليعبدوا الله لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فلهذه الآية صريح في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى
صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبى صلى الله
عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد كفر عن ما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم ومن
عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا اليهود والنصارى لا تكلم

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الاعداء الاوثان فقط والاد
اصح لما تقدم من الادلة فعلى من قال اسم الشرك لا يتناول الاوثان تكون الآية محكمة
وعلى قول الاكثر ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابات وغيره تكون الآية محكمة
في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولا تمسكوهن بحنايا ولا يمسكهن
وافضل من مشركه يعني ولو اعجبتم يعني بما لها وماله ونسبها فالامة المومنة خير
وافضل عنده الله من المشرك المنة نزلت في حنسا عليه كانت كذيفة من اليان قال يا جنسا
قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك وما منك شر اغتفها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن
رواحه كانت عنده امة سودا فغضب عليها يوما فلطمها ثم قرع فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتقوم
رمضان وتحنن الوضوء وتغسل قال هذه مومنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لا اغتفها
ولا تزوجها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا انت كح امة وعرضوا عليه حرة مشركة
فانزل الله هذه الآية ولا تتكلموا للمشركين حتى يؤمنوا هذا خطابا لوليا المرأة لا تزوجوا المشرك
من المشركين حرم على المومنات ان يتكهن مشركا من اهل اصناف الشرك كانوا وافقه الاجماع على انه
لا يجوز للمشركة ان تتزوج بالمشرك ولعبد مومن من مشرك يعني حرو ولو اعجبكم بحسنه
وجماله وماله اوليك يدعون الى النار يعني يدعون الى الشرك الذي يودى الى النار والله يدعو
الى الجنة وللجنة يعني انه تعالى لما يبرئ هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعلموا
بما امركم به واتنوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسير
الله وارادته وتوفيقه ويبيز اياته للناس اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه
لعلهم يتذكروا اي فينظرون قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض من عن انى ان اليهود
كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فقال اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو
اذى فاعزلوا النساء في المحيض الى اخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استمعوا كل
شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا اخالفنا
فيه في اسد بن حصيق وعبد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا تاجمعون
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليها فخرجنا فاستقبلها هدية
من بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرنا فاسقمنا ففرغنا انه لم يجد عليها
الوجد الغضب فاصل المحيض السيلان والافجار يقولون ان الوادى اذا سار واما فزاده قل
ما وادى اي يوشى قد زوالا في اللغة ما يكره من كل شيء فاعزلوا النساء في المحيض اي اجنبوا
مجامعتهم ولا تقربوهن يعني بالوطى والجماعة فهو كالتوكيد لقوله فاعزلوا النساء في المحيض

حتى يطهرن معنى من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد
الطاء ومعناه حتى يغتسلن فاذا اظهرن اياي اغتسلن من حيضهن فان توضعن من حيث امرهم الله
قال ابن عباس طوهن في الفرج ولا تقربوهن الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير
المآقي وقيل فانوهن من الوجه الذي امر الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوضعن من حيث
يجل لكم غيبا من ذلك بان لا يكن صايات ولا معتكفات ولا محرمات فصلى في حكم
الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض وسجد كافر
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتي حايضا او امرأة في دبرها او كافها فقد كفر بما
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم واخرجه الترمذي وقال لنا معنى هذا اعند اهل العلم على
التقليط ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزه الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما انه
يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديده والقول
الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روى عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال ينفق نصف دينار
وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي
وقال رحمه بعضهم عن ابن عباس ووقف بعضهم المسئلة الثانية اجمع العلماء على جواز
الاستمتاع بالمرأة الحايض ما فوق السرة ودون الكبة وجواز مصاتها وملاستها ويدل على ذلك
ما روى عن عائشة قالت كانت احدا اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يباشرها امرها ان تاتى بها في فود حيثما يباشرها وايم يملك اربد كما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يملك اربد وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم من فاواحدة وكلانا جنب وكان يامرني فاثر فبما شرفي وانا حايض اخرجاه في الصحيين
المراد بالباشرة هنا الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء اولدوا به اوه وقولها يملك اربد يكون
المراد هو العضو الذي ذكر وبشرها وهو الحاجة من عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا وني الخمة من المسبي قالت انا حايض قال ان حيضتك ليت في يدك الخمة حصير
صغير مظفور من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد وعائشة في حجرها فطلب
منها الخمة وهو حايض المسئلة الثالثة يحرم على الحايض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة
القران ومس المصحف وحمله فلو امت الحايض من التلويث في عبور ما المبيح جاز في احد الوجهين
قياسا على الجنبة الثاني لا يحد بها الغلط ويجب على الحايض قضاء الصوم دون الصلاة
لما روى عن عائدة العديرة قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحايض تقضي الصوم ولا تقضي
الصلاة قالت احرورية انت قالت جبرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فتؤمر
بقضاء الصوم ولا نور بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسئلة الرابعة لا يرتفع شيء مما منعت

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال ينفق نصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال رحمه بعضهم عن ابن عباس ووقف بعضهم المسئلة الثانية اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحايض ما فوق السرة ودون الكبة وجواز مصاتها وملاستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت احدا اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تاتى بها في فود حيثما يباشرها وايم يملك اربد كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربد وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من فاواحدة وكلانا جنب وكان يامرني فاثر فبما شرفي وانا حايض اخرجاه في الصحيين

الحائض يا تقطع الدم ما لم تغتسل او تقيم عنده عدم الماء الا الصوم فانها اذا
انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهبت بوجيفة
الى انه يجوز للزوج غسائها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده
قبل الغسل ومنه مذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غسائها ما لم تغتسل
من الحيض وتقيم عنده عدم الماء والثاني في الغسل فقال لا تقر يومين حتى يطهرن يعني من
الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاقومن من حيث لمكرم الله فاذلك على ان الرطى لا يجز
قبل الغسل وقوله تعالى **ان الله يحب المتطهرين** يعني من الذنوب والتواب الذكيا اذنب
جدا توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب **ويحب المتطهرين** يعني من الاحداث
وسائر النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب
قوله تعالى **نساوكم حرثكم** الاية عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا اجامعنا
من ورايها جالوا حول فانزلت نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم وفي رواية
الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امرأة في قبلها من دبرها وذكى لحد يدي عن ابن عباس قال
جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال
حولت رجلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا قال فاحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم اقبل واد برواق الله بر الحيفه
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رجلي هو كناية عن الايتان في غير
المحل المعتاد منه اظاهرة ويجوز انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظاهرا
وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار ومنهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود ومنهم اهل
كتاب فكانوا يبرون لم فضلا عليهم في العلم فكانوا يفتقون كثير من فعلهم وكان من
سنان اهل الكتاب لا ياتوا النساء الا على حرف وذلك استمر ما تكون المرأة فكان هذا
الحي من الانصار قد اخذوا به ذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء خرا
منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدرات ومثليقات فلما قدم المهاجرون المدينة
تزوج رجل منهم امرأة من الانصار قد هب يصنع بها ذلك فاكترته عليه وقالت انا كنا
نؤتي على حرف فاصنع ذلك ولا فاجتنبني حتى يرمي امرها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم اي مقبلات ومدرات ومثليقات
يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابوداود والوثني الصنف وقيل الصورة لاجثة
لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء
يقال شرح فلان جارتيه اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله حتى سري
امرها اي ارتفع وعظم وقفا خمر واصل من سري البرقا اذ الح في المعان عن ام سلمة ان

عن ابن عباس قال كان اليهود يقولون اذا اجامعنا من ورايها جالوا حول فانزلت نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني
شيتم في نسام واحد وروي سمام بالسيف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى حرثكم معناه مزيج لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض
والنطفة كالبنه والولد كالنبات الخارج فانوا حرثكم اني شيتم يعني كيف شيتم وحيث شيتم
اذا كان في القبل والمعنى كيف شيتم مقبلة ومدة وعلى كل حال اذا كان في الفرج وفي الاية
دليل على تحريم ايتان النساء اذ بار من لان محل الحرث والزرع هو القبل لا البر ويؤيد ذلك ما روي
عن ابن هرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها اخرجها ابوداود
وقال السعيد بن المسيب هذا في الغزل يعني ان شيتم فاعز لواوان شيتم لانزوا وسيل ابن عباس
عن الغزالي قال حرثك ان شيت فعضط وان شيت فروى وروي عنه انه قال تستامر الحشرة
في الغزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة الغزل وقالوا هو الواد الحق وروى نافع
قال كنت امسك على ابن عمر المصنف فقرا هذه الاية نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم فالتوا
هذه الاية قلت لا قال تزلت في رجل اني امرته في دبرها فشق ذلك عليه فزلت هذه الاية
وروى عبيد الله بن الحسن انه لقي سأل عن عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عبد الله حديث يحدثه نافع
عن عبد الله انه لم يكن يرى باسبا ياتيل النساء في ادبارهن فقال كذب العبد وخطا انما قال عبيد الله
يوتون في فرجهم من ادبارهن ويحكي عن ذلك باحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء
على تحريم ايتان النساء في ادبارهن وقالوا لا نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم اني شيتم فالتوا
العامة وموالدهم فاو الى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولا نساوكم حرثكم فالتوا
الحرث والحديث به يكون نساوكم حرثكم فالتوا حرثكم فالتوا حرثكم فالتوا حرثكم فالتوا
يعني الولد وقيل قد مو التسمية والدعاء عند الجماع عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو ان احدكم اذ اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقنا فاننا ان يفتنه به ما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل المرأة بفتنة من الافراط
في عن ابن هرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت احد من المسلمين ثلاثة من الولد
فتمته النار الا حلة القسم قوله الا حلة القسم يعني الا قدمه ما يبراهه فتمته فيه وهو قوله
تعالى وان منكم الا وادها فاذا وردها جاوزها فقه ابرفته وقيل قد مو التسمية يعني الخير
والعمل الصالح بدليل سياق الاية وانفقوا الله الى احرزوا اني تاتوا شيئا ما نهاكم الله عنه واعلموا
انكم ملائكة اي صابرون اليه في الآخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المؤمنين يعني بالكرامة من الله تعالى
قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايامكم تزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين خبيث
ابن النعمان شئ فخطب عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلي بينه وبين خبيثه فكان اذا قيل له في
يقول قد حلفت بامه ان لا افعل فلا يجازي الا ان تبرزني فارتل الله هذه الاية وقيل تزلت في

الى بكر الصهيق حين حلف لا يفتق على مشط حين خاض في حديث الافك والعرض ما يحل
مع من الشئ وقيل العزمة السدة والقوة وكل ما يعترف من منع عن الشئ فهو عرضه والمعنى
ولا تجعلوا الحلف باسمه سبياً ما نفاكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى برا وصلة رحم
فيقول قد حلفت باسمه لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح **ان تبرؤوا وتتقوا**
ويصلحوا اي الناس قيل معناه لا تختلفوا بالله ان لا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا اي الناس
مر عن اي هزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فخرها
خيراً منها فليأتمها وليكسر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين
متقين مصليين فان كثرة الحلف باسمه ضرب من الجسارة عليه **والله سمع اي حلفكم** عليم
يعني بنبيناكم قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ما لم يطرح من الكلام
وما لا يعتد به وهو الذي يورد لاعز روية واللغو في اليمين ما والذ لا عقد معه كقول
التايل لا والله بلي والله على سبيل اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما رو
عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله بلي والله
اخرجه البخاري موقوفاً ورفع ابوداود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو قول الرجل في بيته كلاً والله وبلى والله ورواه عنها ايضاً موقوفاً وقيل في معنى اللغو هو ان
يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة ولا
ثم عليه عنه قال مالك في الوطأ الحسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف لانسان على الشئ
يتيقن انه كذاب ثم يوجد خلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشئ وهو يعلم
انه فيه اثم كاذب ليرضاه احد الا يقدر لمخلوق او يقتطع بمسا لا فهذا اعظم من ان تكون فيه
كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشئ المباح له فعلمه ثم يفعل او ان يفعل ثم
لا يفعل مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او حلف ليفرز غلامه
ثم لا يفرزه وفايدة الخلائق الذي ينشأ في الوطأ في ابي حنيفة في لقوا اليمين ان الشافعي لا يوجب
الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجهها فيما اذا حلف على شئ يعتد به كان
شرباً ان لم يكن وابو حنيفة يحكم بصد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي
وعكرمة ومذهب ابي حنيفة موقوفاً بن عيسى والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وعليمان بن
يسار وقناة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في العقب وقيل هو ما يقع سهواً من غير
قصد اليه ومعنى لا يواخذكم الله اي لا يلقا بكم بلغوا اليمين وقيل لا يواخذكم اي لا يلزمكم
الكفارة ببلغوا اليمين ولكن **يواخذكم** اي يكتب قلوبكم يعني لكن يواخذكم بما عزمتم عليه وقد تم
له وكب القلب هو العقد والنية **فصل** في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى
لا يعتد اليمين لا باسمه وباسمايه وصفاته فاما اليمين باسمه فهو قول الرجل والذي نفسي بيده

والذي اعبده ويخوذ ذلك والحلف باسمه كقوله والله والرحمن واليهيب ونحوه والحلف
بصفاته فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله ويخوذ ذلك اذا حلف بشئ من
ذلك ثم حث فعليه الكفارة المسئلة الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكتب
والنبي والحي ويخوذ ذلك فان حلف بشئ من ذلك لا تنقذه يمينه ولا كفارة عليه ويكره
الحلف به لما روى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر بن الخطاب في ركب
وهو يحلف باسمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بايايكم
فمن كان كافراً فليحلف باسمه او بيمينته اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف
على امر في المستقبل فحلف فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن
فكان فان كان عالماً به كالحلف بان يقول والله ما فعلت وقه فعل اوله فعلت وما
فعل فهداه اليه من الغيوس وهو من الكبار سميت غيوساً لانها تنفس صاحبها في الامم ويجب
فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالماً او جاهلاً ولا سيما بوجوبه الى انه لا كفارة
عليه فان كان عالماً في كبره وان كان جاهلاً في من لقوا اليمين **والله غفور** يعني لغفاده
فيما لقوا من ايمانهم الذي اخبروا بواحد منهم عليها ولو شأوا خذتمهم والزمهم الكفارة في العاجل
والعقوبة عليها في الاجل حلهم يعني في تركه معاجلة اهل العميان بالعقوبة قال
الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يجلس لقيامه واقتضاه عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه
يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويقيه وهو منهمك في معاصيه كما يقى البوالمثني وقد يقيه
الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فغفلا عن ان يدعو كما يقى الناسك الذي يدعو وبالله
وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصبر والاكفارة الذي لا يستغفر غضب ولا يستغفر جهل
جاسد ولا عصيان عاص ولا يستغفر الاضاح مع العجز اسم الحليم اما الحليم هو الصبور مع
القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يجلب بالعقوبة قوله تعالى للذين يولون من سائرهم يولون
اي يحلفون واللاية اليمين قال كثير فليل الا لا يلاحظ اليمين وان قدر منه الالية برحمت
والا يلا في عرفت الشرح هو اليمين على ترك الوطأ كما قال ابو حنيفة لا يواخذكم الله ولا يفرز
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرته شيئاً قالت اني بقطيعه خلف لا يفرزها
السنة والستين والثلاث فيدعيها لا ايتما ولا ذات بعول فلما كان الاسلام جعل الله ذلك
للمسلمين اربعة اشهر واثلاث هذه الالية قال سمعته بن السيب كان الايلا طراً اهل الجاهلية
فكان الرجل لا يريد امرته ولا يجلس في تزوجها غير فيحلف ان لا يفرزها ابداً فيتركها لا يما ولا
ذات بعول وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي لا يعلم به ما عند الرجل
في المرأة اربعة اشهر وثلاث هذه الالية للذين يولون من سائرهم تريض استظار اربعة اشهر والذين
انقضت الانتظار فان قالوا اي رجوع اليمين الوطأ والمعنى فان رجعوا عن ما حلفوا عليه من

ترك جماعة فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من ضراره بامرته فانه غفور رحيم لكل
التائبين فزوج يتعلق بحكم الآية الفرع الاول خلفه انه لا يقرب زوجته ابدا اومدة مي
التر من ربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر بوقوع الزوج ويومها بالفرج وهو الرجوع
او الطلاق وذلك بقدم مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي بان قدر عليه او بالعتول مع
العجز عنه فان لم يبق ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان واني للرد وان عمر
قال سليمان بن يسار ادركت بضعه عشرين اصحابا النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقوع المولى
وذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد والشافعي
وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت عدة اربعة اشهر يقع عليها طلاقه بآيته وبه قال سفيان
الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلاقه رجعية الفرع الثاني
لو خلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر فليس بول بل هو حالف فان وطئها قبل مضي المدة لم
كنارة بين الفرع الثالث لو خلف ان لا يطأها اربعة اشهر فليس بول بعد مضي المدة عند الشافعي
لان بقا المدة شرط للوقوف وشبوت المطالبة بالفرج والطلاق وقد مضت المدة وعند ابو حنيفة
يكون مولىا وينع الطلاق بمضي المدة الفرع الرابع مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد
جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت ترجع الى الطبع وهو قوله صبر المرأة عن الزوج فيستوى
في الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك واني حنيفة تنصف مدة الايلا بالرق غير ان
عند ابي حنيفة تنصف المدة برقا المرأة وعند مالك برقا الزوج كما قال في الطلاق الفرع الخامس
اذا وطئ خرج عن الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه
لان الله وعده المغفرة فقال فان فاوان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال
ذلك في إسقاط العقوبة عند لا في الكفارة وقوله تعالى وانهم زعموا **الطلاق** اي تخفوه بالايقاع
فان الله سميع عليم يعني بنيائهم وفيه دليل على انها لا تطلق بالم طلقها زوجها
لانه تعالى شرط فيه الغرم قوله عمر بن عبد العزيز **المطلقات** اي المملكات من جبال ازواجهم والمطلقة
هي التي وقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن انفسهن** اي ينتظرن فلا يترجن ثلاثة قروء جمع قروء
والقراء اسم يقع على الحيض والطمح قال ابو عبيدة الاقران من الاغصان كالشقوق اسم للجمرة والبيات
وقيل انه حنيفة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلوا في اصله فقيل اصله الجمع
من قرأ اي جمع لان وقت الحيض يجمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجمع في البعد وقيل اصله الوقت
يقال جمع قال لان لغزبه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض يأتي في الوقت والطهر يأتي في الوقت
وبسبب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلفت اعمدتها على قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض
يروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس واني موسى وعبيدة بن الصامت واني للرد
وبه قال عكرمة والعماليق والشديد الاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد

ابن حنبل كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض المثلث في انها الاطهار
يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابو عمر وعائشة وبه قول اكثر العلماء واني للشافعي
وحجة من يقول بان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للنسحاضة في الصلاة ايام
اقرباءك يعني ايام حيضك لان المرأة لا تقع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول بانها
الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يمر به فليراجعها
حتى تغتسل ثم انسا امسكها وان ساطق قبل ان يغتسل فتلك العدة التي امر الله ان يطلقها فاخير
ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعينه من اللغة قوله لا عشي وفي كل عام انت جاشم غرزة
تشد لا فضاها عزيم عزايكا سورة مالا وفي الحج رفعة لما ضاع فيها من قروء نسايكا
اراد انه كاف يخرج للفرج ولم يغتسل طهرا فيضغ اقرا من وانا كان يضيغ بالسفر زمان الطهر
لان زمان الحيض فايدة للخلاف ان ممة العدة عند الشافعي اقصر عند غيره اطول وذلك
ان المعتمدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للزواج ويجب
بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقرا اطهارا قللت عائشة اذا دخلت
للطهنة في الحيضة الثالثة فقد بانست من زوجها وحلت للزواج وروى عنها انها قالت
القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنسابة هذا اعلم لان هذا مما يتلوه النساء وطلعن
في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا
ومدة هبل في حنيفة لا تتقضي عدتها ما لم تظهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق
في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فاذا قلت ما معنى الاخبار عنهم
بالربص في قوله وللمطلقات يتربصن فانفسهن قلت ما هو خبر في صورة معنى الامر اصل
الكلام ولست بصل المطلقات فاخرج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واستغرابا به ما يجب
ان يتلقى بالشارحة الى امثالها فكانت امثلة الامر بالتربص فهو خبر عن موجوده وتطيره قوله
في الدعاء بحرك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاطابة فكانه قال وجلت الرحمة فهو خبر
عنها فقص **العدة** في احكام العدد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة الحمل تنقضي بوضع
الحمل نحو المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة المسئلة الثانية عدة
المتوفى عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا في ذلك الحائض والائمة المسئلة الثالثة عدة
المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة اقر او الضرب الثاني
الايسل من الحيض اما الكبر او لم تكن تخيض فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول
فلا عدة عليها المسئلة الرابعة عدة الاما نصف عدة الحرة فيما لم تنصف وفي الاقرا وان
لا تنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبدان تنصيفه يطلق تطليقتين ونقصه الامة حيضتين قوله
تعالى ولايجل للنكاح **نكاح** الله في اركان من قال ابن عباس يعني المولى وقيل الحيض والمعنى انه

التطليقتين ان سرحها وطلتها الثالثة **فانما يعرف** يعني بعد الرجعة وذلك
انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يسكنها بالمعروف وهو كالمعر في الرخ
من ادا حق النكاح وحسن الصحبة **او قسح** **با حسن** يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى
تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل بولاه اذا طلقتها ادى اليها جميع حقوقها المالية
ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع تتعلق باحكام الطلاق الفرع
الاول مخرج اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نيية ثلاث الطلاق والفراق والراح وعند
ابن حنيفة الصحيح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني لخر اذا طلق زوجته طلقة او
طلقتين بعد الدخول بها فله ما جفتها من غير رضاها مادامت في العدة فاذا لم يراجعها
حتى انقضت عدتها وطلتها قبل الدخول بها او خالها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها
واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك
على زوجته الحرة طلقتين واختلف فيما اذا كان احدا الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته
الامة ثلاث طلقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين فالاعتبار بالزوج في عدد
الطلاق وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذوهاب حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد
يملك على زوجته الحرة ثلاث طلقات والحر يملك على زوجته الامة طلقتين **لجعل لكم ان تاخذوا**
مما ايتكموهن يعني اعطيتكموهن شيئا يعني من مهر وغيره ثم استثنى الخلع فقال **الا ان**
يخاف الايقيا حد **ود الله** ترك في جملة بنت عبد الله بن ابي وبقال جيبه بنت سهل
الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام
فانت باها تسكو اليه زوجها انه يؤسسى اليه ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره المرأة
ان لا تزال ارفقة يديها تسكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها
ارجعي الى زوجك فلما رأت ان باها لا يسكنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه
زوجها وادركته اثارا لها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والدي بعثك بالحق نيتا ما على وجه
الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ لما فقالت صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقال يا رسول
الله ما كنت احذ لك حديثا يترد عليك خلافة موأكرم الناس جبال زوجته ولكن ابغضته فلا انا
ولا هو فقال ثابت اعطيتها حديثا غل فقل لها قل ترددها على وخلي سبيلها فقال لها ترددين
عليه حديثه وتلكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما
ما اعطيتها وخلي سبيلها ففعل خ عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام

قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تروين عليه حديثه
قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديثه وطلتها تطليقه قولها ما اعت
يعني ما اجد عليه والمعنى الموجهه والحديثه البستان من الخلل اذا كان عليه الحايط
ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما الا يقيا حد ود الله والمعنى
تخاف المرأة ان يغتصب الله في امر زوجها ويخاف الزوج انها اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فتدعي
انه الرجل ان ياخذ من امرته شيئا ما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول
لا اطيع لك امر ولا اطاع لك مضجعا ونحو ذلك وقرى يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم
ذلك من حالها يعني يعلم القاضي والوالي **فان خفتم** يعني فان خشيتكم واشفقتم وقيل معناه
فان ظننتم **الا يقيا حد** **ود الله** يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعة فيما امر به من
حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل بمرجع المرأة وهو سوء خلقها وخفافها بحق
الزوج **فلا جناح** **عليها فيما افقت** به اي لا جناح على المرأة في النشوز اذا خبت الملاك
والمعصية فيما افقت به نفسها واعطت من المال الا ما لا يمنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على
الزوج فيما اذا اخذ من المال اذا اعطته المرأة الطائفة راضية **فصل** في حكم الخلع وفيه
مسائل المسئلة الاولى قال الزمري والخمري وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف
من ان لا يقيا حد ود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول
ان الآية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المرأة عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله تعالى
حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيا حد ود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز
الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيا حد ود الله وذوهاب جمهور العلماء الى انه لا يجوز
الخلع من غير نشوز ولا غصب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب غير ان الزمري
الله صلى الله عليه وسلم قال يا امرأة سالت زوجها الطلاق من غير ما بان فحرام عليها الرجعة
لجنة اخرجها ابوداود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يفسخ الحلال الى
الله الطلاق اخرجها ابوداود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان
طعنكم عن شيء من أنفسكم فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجاز لها ان تقبل مرها من غير ان يحصل
لها شيء بان وهبوا وانذرت كان ذلك في الخلع الذي يصير بسببه مائة نفقة اولها جيب
عن الاستثنا المذكور في هذه الآية انه محمول على الاستثنا المنقطع المسئلة الثانية الخلع جائز
على اكثر ما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول
علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس وقاسم بن سعيد بن المسيب لم ياخذ دون
ما اعطاها حتى يكون المنفصل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يفتيه
بقدر معين كما ان للمرأة ان ترضى عند عقد النكاح الا بالكمية فكذلك للزوج ان لا يرضى عند

المخالعة الاباليل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بعضه
وكراهته المسئلة الثالثة اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ او طلاق قال
السافعي في القديم انه فسخ وموقولا بن عمار وطاوس وعكرمة وبه قال احمد والشافعي
وابونثور وقال السافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو الاظهر وهو موقوف عثمان
وعلى وابن مسعود والحسن والسعي والفتح وعطاء بن السبي ومجاهد ومكحول
والزهري ومعه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى
ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر المطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا كان الطلاق اربعاً وحجة القول الجديد
انه لو كان فسخا لم يصح بالزبادة على المهر المسمى كما لا قاله في البيع وايضا لو كان الخلع
فسخا فاذا خالها ولم يذكروا عوضا وجب له المهر عليها كما لا قاله فان الثمن يجب
رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان المطلقة
الثالثة قوله او تخرج باحسان وفاية للخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد
الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقين وان جعلناه فسخا بانتهى من ثلاث
قوله تعالى تلك حده ودالله يعني بهذه او امر الله ونواهيته وهو ما تقدم من احكام الطلاق
والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من تجاوزها وهو قوله **فلا تغتروا بها اي لا تجاوزوا**
ومن يتعد حدود الله اي تجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله تعالى فان طلقها اي المطلقة
الثالثة **فلا تحل له من بعد اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره** يعني حتى
تتزوج زوجا اخر غير المطلق فيجاء بها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد
هنا الوطي تزلت في بيمته وقيل عايشته بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت
ابن عمر فارقة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا **ف** عن عايشة قالت جات امرأة
رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت
طلاقا فترجعت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هذبة الثوب فبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تريد ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عيسلتك وتذوق
عيسلتك قوله فبت طلاقا اي قطعه والبنت المقطع وقولها مثل هذبة الثوب اي طرفه وهو
كناية عن استرخا الذك قوله حتى يذوق عيسلتك بضم العي ضمير عسل شبه لذة الجماع
بالعسل وهو كناية عنه وانما انت العسل لانه من العرب من يوشه وقيل انتة حملا على المعنى
لان المراد منه المنطقة وعبد الرحمن المذكور بنو عبد الرحمن بن الزبير بن بغيض الزبي وكسر الباء
المسندة وروى بها ثبت ما يشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلي اصدك في الاخر

فلبست حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله
ارجع الي زوجي الاول فان زوجي الثاني قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر فقالت
له مثل ما قالت لا يبي بكر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا رجعت اليه لا رجعت له وقوله تعالى **فان طلقها** يعني الزوج
الثاني بعد وطئها **فلا جناح عليها** يعني على المرأة والزواج الاول **ان يترجعا** يعني بنكاح جديد
ان طنا اي علما وايقنا وقيل ان رجعا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى **ان يترجعا**
الله يعني فيما بينهما الاصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناها ان علما ان نكاحهما على
غير دلالة والمراد بالدلالة التحليل فسرعان الاول منه مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث
لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بملك بشرائط وهي ان تقعه منه ثم تزوج زوجا اخر
ويطأوها ثم يطلقها ثم تقعه منه فاذا احصلت هذه الشرائط حلت له ولدا لا ولد قال
سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب لا يوافق الا صح واختلف العلماء
في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب وبالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت
بما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها الاول فبذلك انكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك
واحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجته الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح
انه ينفارقها فانكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا اطلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا
كان في عزمها ذلك وبه قال السافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دللت على ان المرأة تنتهي
بوطي مسبق بعقد وقد وجد ذلك فوجب لقول بانتهى المحرمه وقال ان يقع في رجل الى ابن عمر
فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق احده من غير موافقة فترجعا ليحلها الاول فقال لا
الانكاح وعدة كذا فنفذها سفاكا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
وتلك حده ودالله يبينها القوم يعلمون يعني يعلمون كما امرهم الله به ونهاهم عنه وانما احصل الله
العلماء لانهم هم الذين يستمعون بذلك البيان قوله عز وجل **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن**
ترلت في ثبات بن ليلى رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب نفقضا عدها رجعا ثم طلقها
يقصد بذلك مقارنتها فبلغن اجلهن اي قارب نفقضا عدها رجعا ثم طلقها ولم يرد نفقضا
العدة لانها لو انقضت عدها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ متايل في مقارنتها كما قيل فبلغ فلان
البلد اذا قارب وسار فيه فله امن باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل
اسم للزمان فيجعل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ان يقع الرجعة فيه بحيث اذا انقضت عده
مكنة الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة بنا الى المجاز **فامسكوهن** اي امسكوهن بمعرفتهن وان
يشهد علي رجعتهم وان يراجعها بالقول لا بالوطي **وامرجهن مع** وقاي ان تركوهن حتى تنفق عدهن

فيمكن انفسهم ولا يتكلمون في امر الله لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا
يضارون من التقيد المرأة منه بما لها النفقة والى تظلموا بها وزكمت في امر من جد والله التي
بينها لكم وقيل معناه لا تضارون من على فقه الاعنة اعلمين ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
اي ضربه نفسه بخالفه امر الله وتوحيها العذاب لله ولا تحذروا ايأت الله هزوا يعني بذلك
ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهييه في وجهه وتتريله فلا تحذروا ذلك استهزا ولعبا
فمن وجبت عليه طاعة الله وطاعة رسوله فهو وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها
في العدة والرجعة والمخلع وترك المضارة فلا تحذروا هزوا فقهه الله عظيمه وعيد شديد
وقيل هو راجع الى قوله فامساك بعروة فواتسرح باحسان فكل من خالف امر من امور الشرع فهو
متخذ يات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويقت ويترجح ويقول كنت عابا فتهوا عن ذلك
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جد من جد وهزل من جد النكاح والطلاق
والرجعة اخرجه ابوداود والترمذي قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يعني بالامان الذي
انعم الله به عليكم فذاكم له وساء برغمه التي انعم بها عليكم **وما انزل عليكم** اي واذكروا نعمة
فيما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن **والحكمة** يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواظب القرآن **يعظكم به** اي بالكتاب الذي انزل على نبيه صلى الله
عليه وسلم **واتقوا الله** يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه **واعلموا ان الله بكل شيء عليم**
يعني انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعان لا يخفي عليه شيء من ذلك قوله تعالى
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار المزني في عضل اخيه جميلة وكانت تحت ابي
البداح عامر بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت فخطب اليها وامنها من
الناس فأتاني ابن عمي فانكحها اياه فاصطالحا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تزكها
حتى انقضت عدتها فلما خطبت لي اتاني فخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمعتها
الناس واثرتك بها فزوجتك اياها ما ثم طلقها طلاقا له فيه رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتيتني فخطبها مع الخطاب واسلا انكحها ابدا فقي نزلت هذه الآية واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلا تغضواوهن ان ينكحن ازاوجن الاية فذكرت عن يميني وانكحها اياه اخرجه
البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها
اراد ان ينكحها فاني جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد
زوجها قدر هنيئته فنزلت هذه الآية واراد يزوج الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضت العدة
بمخلاق هذه الآية التي قبل هذه قال الشافعي لا اختلاف الكلامين على فراق البلوغ فلا
تغضواوهن ان ينكحن ازاوجن خطاب للاوليا والمعنى لا تنصقوا عليهن اياها الاوليا فتمنعوهن
من رجعة ازاوجن نكاح جديدة يتفقون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام بجميع الاوليا وان كان

سبب لا يتخافا واصل العضل المنع والتضييق منه قول او من حجره
وليس اخوك الهيم العهد بالذي يملك ان ولي برصيك مقبلا هو لكنه النأي اذ كنت
امناء وصاحبك الا في الامر اعضلا يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للمنافع
ومن وافقه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تلك لم يكن عضل ولا
لنفي الولي عن العضل معنى وقوله تعالى **اذ انزلوا بيوهم بالمعروف** يعني اذ ابرأني الخطاب
والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما
بما التزمه لصاحبه حتى الصداق تحصيل الصحة الحسنة والعشرة الجميلة **ذلك** اي ذلك الذي ذكرني
النبي **يوعظهم من كان منكم يومئذ** يعني ان المؤمن هو الذي يتنفع بالوعظ دون
غيره **ذلك** اي لكم واطمروا يعني انه خير لكم واطمروا بكم واطيب عند الله **والله يعلم ما في**
ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون يعني ذلك قوله عز وجل **والوالدان** يعني المطلقات
اللاتي لم يزلوا من ازاوجن وقيل المراد بمن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او مكرهات وقيل
عليه ان اللفظ عام وما قام دليل للتخصيص فوجب تركه على عمومته ولانه ظاهر اللفظ فوجب
حملة عليه برصنع **والادمن** هذا خبر بمعنى الامر والنقد بر الوالدات برصنع ولا مدني في
حكم الله الذي وجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب والاحتجاب لان تزويجه
الطفل يلحق الام اصح له من ين غيرها ولو حال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة
ارضاع الولد قوله فان رصنعن لكم فأتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحققت الاجرة
وقال تعالى فان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا امر صريح في ذلك فاذا لم يوجد من رضع
الطفل ولم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المصطر
وان رعت لام في ارضاع ولدها فمأوى له من غيرها **احولين كاملين** الحول السنة واصلا
من حال الحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه ما يتسامح فيه تقول ائت عند
فلان حولا وان لم تستكمل فيه الله انما حولا كاملا ان رجعة وعشرون شهرا وهذا التحديد
في الحولين ليس بحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله تعالى **ان يرضعكم فلما علق الاتمام**
بارادتنا علما ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع الشارح
بين الرضعين في مقدار رضع الرضاعة فقه الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجسا اليه عند التسارع
قال ابن عباس في رواية عنكم اذا وضعت الولد سنة اشهر ارضعته حولين وان وضعت
سبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعت تسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين
شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في نه لا يد الوالدي
عنه موجد لكل مولود في اي وقت ولد لا ينقص حقه عن حالين الا باتفاق من الابوين فايهما
اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه به يد على ذلك قوله فان اراد فصالا

عن تراص منها وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال
لئن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا انتهى الرضاعة لئن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون
ذلك حد محدد وانما هو على قدر اصلاح الطفل وما يعين به وعلى المولود له يعني الاب
وانما عبر عنه بهذا الا ان الوالدات انما ولدن للابا ولذلك ينبغي لولد الاب دون الام قال
بعضهم انما اعمهات الناس وعيكة مستودعات وللأبا ابناء وقيل ان هذا تنبيه على ان
الولد انما يلحق بالوالد لا لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل
الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصلحته **رغم ان** اي طعام من وكسوتها اي لباسه
بالمرء وقيل على قدر البسرة لا تكلف نفسا ولا وسما يعني طاقته والمعنى ان اب الولد لا يكلف في
الاتفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تنفع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة لا تقصير والدته بولدها
يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها لان ذلك ليس بواجب
عليها ولا مولود له بولده يعني ولا تلحق المرأة الولد الى ابيه وقد انفردت به ذلك وقيل معناه
لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذ لم يرصع الولد من غير امه فعلى هذا
يرجع الضرر الى الوالد من فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل
ان يكون الضرر ارجح الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا يرصعه حتى يموت
فيتفرق به ذلك ولا ينفق عليه الا بد ويتزعم من امه فيضرب به ذلك فعلى هذا تكون الباصلة
والمعنى لا تقصير والدته بولدها ولا اب ولده **وعلى الوارث** مثل ذلك يعني وعلى وارث اب الولد
اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم بمقامه
في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا
الوارث مثل ما كان على الصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل بمصيبة
الصبي كالجدة والاب والعم وابن عمه وقيل هو كل وارث من الرجال والنساء به قال احمد فيجب
على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان في ارحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة
وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في حاله فان لم يكن
له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه
وعلى الوارث ترك المضارة فان اراد اي الوالدين فصلا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراص
منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاورا وتشاورا من اهل العلم بذلك حتى يجبروا ان الفطام
قبل الحولين لا يضرب بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا
حرج ولا ثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذ لم يضرب بالولد وان اذ لم يضربوا بالولد
اي لا ارادوا من رضاع غير امهاتهما اذا ابتاعها ثم ارضاعهم او تغذوه لك لعله ينزل القطع
لن غير ذلك او اردن التزوج فلا جناح عليكم اذا اسلمتم يعني الى المصنع ما اتيتهم يعني لم يهرق

من اجرة الرضاع وقيل اذا اسلمتم الى امهاتكم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن بالمعروف
اي بالاحسان والاحمال امر وان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين بوجوهه ناطقين
بالقول لا يحيل مطيعين لانفس المصنع بما امكن حتى يوفى من قهر بطن بقطع بقاديرهن
وانفقوا الله اي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجبت عليكم لا ولا تم **واعلموا**
ان الله ما تعلمون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلايتها فانه تعالى
يراه ويعلم ما قولكم تعالى **الذين يوفون** يعني يوفون منكم واصبل التوفى اخذ الشيء وايقظ من
فقد استوفى عمره كماله يعني لا يوفى فلان يعني قبض واخذ **ويذرون** اي ويتركون **ازواجه**
والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة **يترصعون** اي
يتنظرن **بما قضين** **اربعة اشهر وعشرا** يعني قدر هذه المدة وانما قالوا **عشر** بلفظ الثاني
لان العرب اذا سمعت بعدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان احدهم يقولت عشر
من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا **عشر** ايام وقيل
ان هذه الايام ايام حزن وليس جذاذ فسيهر بها الليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة
في ان الله تعالى هذا العدة بهذا الغرض لان الولد يركض بطن امه لنصف حدة الحمل يعني يحرك
وقيل ان الروح يخرج في الولد في هذه العشرة ايام ويذكر على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق اللهكم جمع في بطن امه اربعين يوما
ثم يكون علقته مثل ذلك ثم يكون مضغته مثل ذلك ثم يمد له اليه مثل كائينك رزقه
واحدا وعلا وسقى وسقى وسقى فيخرج فيه الروح الحديث اخرجاه في الصحيحين بزيادة قد ايدى
الحديث على ان خلق الولد جمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه فيخرج الروح فيه في هذه
الايام **لا يزيد** **فصل** في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحاديث وفيه مسائل السئلة
الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرون ليلة على عدة الحرة شهران
وخمس ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة عدة الحرة والبر ومثل
بظام هذه الامة وعدة الحامل بوضع الحبل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها
بلحظة حل لها ان تتزوج وبه على ذلك ما روي عن سبعة الاسمية النكاحات تحت
سبعة من خولة ومن بني عامر بن لؤي وكان من شهد به رافض في حجة الوداع ومن حامل
فلم يثبت ان وضعت حملها بعد وفاته فلما سقطت من ثقلها تحل للحمل فدخل عليها ابو
السائل ويحكمه رجل من بني عبد الله فقال ما لي اراك تجلس للحمل ابعالك ترجين
النكاح والله والله انك ستبالح حتى تم عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سليعة فلما قال
لذلك حججت على نياي خير اميحت واتيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن
ذلك فافانني بانني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان يده الى اخرجاه في الصحيحين

وفيه قال ابن شهاب ولا ادري باسا ان تزوج حين صنعت وان كانت في دمها غير انه
لا يضرها حتى تفرغ على هذه الاية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تغتسل اربعة
اشهر وعشر خصص من هذا العموم اولات الاحمال هذه الحديث ويؤيد قوله اولات
الاحمال اجلهن ان ينفق حملهن المسئلة الثانية يجب على المتوفى عنها زوجها الاحد
وموت ترك الزينة والطيب والدم للراس بكل دمن والحمل الطيب فان اضطر الى الحمل فيه
زينة فبرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكحل به بالليل وتصح بالنهار
عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي جوسلة وقد جعلت على
صبر اقبال ما هذا ايام سلمة فقلت تمامه وصبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه
يب لوجه فلا تجليه الا بالليل وتزعيه بالنهار ولا تغطي الطيب ولا بالخفافه
خضاب قلت يا اي متسطين يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به واسلكا اخرجه ابو داود
وللمساي نحوه قوله فانه يطيل لوجهه اي يوقده ويحتم ويؤيد من شب لنا اذا اوقدها
قوله تغلفين اي تغطي به واسلكا والخليف هو الفرقة على وجه المرأة وكذا راسها في الطخنة
بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها البس الديباخ والمبر والحلي والمصوغ للزينة الا احمر الاصفر
وجوز ما صغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس الياس من الثياب والصفوف والور
ق عن زبيب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيسة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي
ابوها ابو سفيان بن حرب وقد غصم حبيسة بطيب فيه صفة خلوقا وغيره فذهنت به
جارية ثم ميت بها رثيمها ثم قالت واسم علي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تتخذ على ميت فوق ثلاثة
ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشر قالت ثم لم يلبس ثم دخلت على زبيب بنت جحش حين توفي
اخوها فذعت بطيب فسمعت منه ثم قالت انك اذ انت ماتي بالطيب من حاجة غير اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تتخذ على
ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشر **ق** عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تتخذ على ميت فوق ثلاث الا على زوج **ق** عن عائشة
قالت كان النبي ان يتخذ على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشر ولا تكحل ولا
تطيب ولا تلبس ثوبا مضمونا الا في عصب وقد مرخص لنا عند الطهارة اذا غسلك
احدا من جثتها في نية من كنت اطعمها الا في عصب العصب بالعرق والصاد
الماتين من البرود التي صيغ غرله قبل الشج قوله لها نية من كنت البنية التي ليسير
والكت لغة في القسط وهو شي معروف يتجرب به عن ام سلمة قالت قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المسطرة من الثياب ولا المسطرة ولا الخلق لا تختب ولا

تكحل

تكحل اخرجه ابو داود وقوله ولا المسطرة الثياب المسطرة هي المصبوغة بالمشق وهي
للقرة عن نافع ان صفية بنت عبد استسقلت عينها وهي جارية على زوجها ان عمره لم تكحل
حتى كادت عينها ترمصا نا اخرجه مالك في الموطا المسئلة الثالثة اختلفوا في ان
هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تغتسل
بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال لا يترخص بالنفسن وذلك لا يحل
الا بالعقد الى ان ترصد لا يحل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت
البدنة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تغتسل بانقضاء وبدل على
ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها بكني في انقضاء عدتها انقضت هذه الازمنة يعني المدة
المسئلة الرابعة اجمع العلماء على ان هذه الاية ناسخة لما بعدهها من الاعتدال بالحوال
وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وستة كتمام الكلام عليه بعد في موضعه ان
شالله تعالى والله اعلم وقوله تعالى **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم**
خطاب للاوليا لانهم هم الذين يلون العقد **فما فعلن في انفسهن بالمعروف** يعني من
الترين والتطيب والنقل من المسكن الذي كانت تحقده فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه
وقيل انما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال
الطيب واحتج اصحابنا بوجوبه على جواز النكاح بغيره في هذه الاية لان اضافة
الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب صاحب الشافعي بان قوله تعالى فلا جناح
عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا لهم واجيب عن قوله فيما
فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضت العدة لانها تزوج نفسها **والله**
بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا تخفي عليه خافية والخبر في صفة المخوفين انما يستعمل في نوع العلم
وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى متزه عن ذلك كله قوله عز وجل
ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به اي لو حتم واشترط به والتعريض ضد النسخ
ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده
ولكن استعاره بما يناسب المقصود ثم والادح وقيل هو الاشارة الى الشيء كما يفهم السامع
مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن **من خطبة النساء**
يعني المعتات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل مودة كذا النساء
والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما عرضتم به من ذكر النساء
عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول ذلك بحيلة وانك لفصاحة
ومن عرضي الزوج وانني فينا لراغب وعسى الله ان ييسر امره صالحة ونحو ذلك من الكلام

الموم من غير نصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او تزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا
التاويل ما روى عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عن صنتهم به من خطبة النسا هو ان يقول اني
اريد ان تزوج وان النسا من حاجتي ولو ودنا انه ييسر المرأة صالحة اخرجه البخاري وروى
ان سكيته بنت حنظلة تأملت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدة ما فقال
قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدتي علي وقد سميت في الاسلام فقالت
سكيته غفرا الله لك ان خطبتني في عدتي وانت يوحدة عندك فقال انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي في
عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو محتامل على به حتى اشتر
الحصير في يده من شدة تحامله عليها كما كانت تلك خطبة **او اكنتم** يعني انتم
في انفسكم يعني من نكاحهم وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاؤوا لا يتكلم بشي المقصود
انه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا في ما يضمن الرجل في نفسه من العتبة
فيها علم الله انكم **سند كروهن** يعني يقبلونكم لان شهوة النفس التي لا تخلو منه احد
فلما كان هذا الخاطر كالشيء الساق اسقط عنه الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في
معنى هذا السر المنع عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرف بالنكاح ومراذه
الزنا ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظفرت نكاحك فهو اعز ذلك وقيل هو قول
الرجل للمرأة لا تقويني نفسك فاني نكحتك وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق ان لا تزوج
غيره وقيل هو ان لا يخطبها في العدة وقال الشافعي والجمهور ومرواية عن ابن عباس قال
الكلبي اي لا تضيقوا انفسكم ابن بكرة اجماع ويده على ان لفظ السر كناية عن اجماع قول اسره
القيس الا زعمت بسباسة القوم انني كبرت وان لا يحسن السرمانى بسباسة اسم المرأة
واما اوقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيي كتم فكفى به عن لفظ اجماع الفرج
ومعنى الآية لا تواعدوهن من مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالسر الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية
ان الله تعالى اذن في اول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا ان**
تقولوا قولنا ما يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المرأة انه رغب
في نكاحها ولا تفر مواعدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحقوا العزم على عدة النكاح
في العدة حتى تنقضي وانما سماها كتابا لانه لا يفر منه واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
اي خافوه واعلموا ان الله عتق حليم لا يعجل بالعقوبة على من جاهه بالمعصية بل يستر عليه
قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم يمسواهن او تفرضا لهن فريضة اي ولم
تمسواهن ولم تفرضا لهن فريضة يعني ولم يقبوا لهن صداقا ولم توجوه عليهن تركه في رجل
من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسر لها صداقا ثم طلقها قبل ان يسرها فزلت

هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو تقلنسوا بك فاني قلت
يدل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فسا
وجه نفي الحرج والجناح عنه قلنت فيه قطع سبب الوصلة وما جاني الحديث ان بعض
الحلال الى الله الطلاق فتني الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروج من الامساك وقيل
معناه لا جناح عليكم في نظليق من قبل المسيس في اي وقت شئتم حايضا كانت او طاهرا
لان لا سنة في طلاقين قبل الدخول **ومتعوهن** اي اعطوهن من مالكم ما يمتنعن به
والمتاع ما يتبلغ به من الراد على الموسع اي العتي الذي يكون في سعة من غناه **قدرة** اي قدر
امكانه **وعلى المفتر** اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدرة** اي قدر امكانه **ضاغفا**
بالمعروف يعني متعوهن بما يتبعها بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك
حقا واجبا لانها على **الحسن** يعني الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسن بالذكر
لانهم هم الذين يتفعون هذه البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فله شأنه
وطريقه والمحسن هو المومن **فصل** في بيان حكم الآية وفيه فروع الفرع الاول
اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهر اثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال
الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك لا المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول
وقد فرض لها مهر اوجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني
المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القدر لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا
وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لتقوله
تعالى ولم تطلقات متاع بالمعروف وموار الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة
الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فمتعها نصف المهر الفرض الثالث في قدر
المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ابنة النوا ب درع وخار وازار واقلاها
دون ذلك وقاية او متعة او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها
على المومر خادم واوسطها ثوب واقلاها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ابن عبد الرحمن
ابن عوف طلق امراته وحمها يعني متعها بجارية سودا وتمع احسن بن علي امرأة بعشرة
الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف
الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوزه وقال احمد في احاديث الروايتين عنه يتقدر بما
تجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى يتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة
تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مغوض الى الاجتهاد لانها كالمتعة التي واجبهما
الله تعالى للزوجين وبين ان حال المومر مخالف حال المعسرة في ذلك الفرع الرابع ومن
حكم الآية ان من تزوج امرأة بالعدة برضاها على غير مهر صحيح النكاح ولها ما يطالب به بان

يقرب من خاصة اقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض
والدخول لها المدقة قوله عز وجل **وان طلقتموهن من قبل ان يمسوا** يعني جامع
وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولعدة عليها
وهو قوله **وقد فرغتم ان فرضة** اي سميت لمن مزايا نصف ما فرضة اي فلهن
نصف المهر المسمى ومدى الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب لان نصف المهر المسمى لان
المسيس ما حقيقة في المسيس انه ان جعل كناية عن النكاح وانما كان فقه وجدا للطلاق قبله قال
ابو حنيفة للخلوة الصحيحة فقه المهر ومعنى الخلوة الصحيح ان يكون بها وليس هناك مانع
حتى لا شرعي فاكس نحو الرق والترك او يكون معها ذلك والشرعي نحو الاحتضان والنفاس والصوم
وصوم الفرج وصلاة الفرج والاحرام وسوا كان فرضا او قلا ولاية حجة لمذهب الشافعي
قال شيخ لم اسمع الله ذكر في كتابه بانما ولا ستر ان عمر انه لم يمسها فلها نصف المهر وقال
ابن عباس اذا خلاها ولم يمسها فلها نصف المهر فروع لومات احدا الزوجين بعد التسمية وقبل
المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله **الا ان يجفوز** يعني النسا
المطلقات والمعنى لان تترك المرأة نصيبها من المهر فيكون للزوج فيعود جميع المهر
الى الزوج او يعفو الذي بيده **عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه المولى وهو قول ابن عباس
في رواية عنه والحسن عليه وطاوس والشعبي والخفي والزهري والبيهقي وبه قول الشافعي
في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجيب
ابن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والشافعي والجمهور
ابن عباس في قوله **ان يجفوز** يعني حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول
يكون معنى الآية **الا ان يعفو المرأة** اذا كانت ثيبا بائنة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو
وليها اذا كانت المرأة بكرة صغيرة او غير جارية النصف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج
وانما يجوز عفو المولى بشرط ومضى ان تكون بكرة صغيرة ويكون المولى ابا او جدا لان غيره لا يزوج
الصغيرة وعلى القول الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصح هذا القول الطبري
والواحد فيكون معنى الآية او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المرأة المهر
كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الناقط
عنه فيحسن للمرأة ان تعفو ولا تطالب بشئ من المهر والرجل ان يعفو فيكون لها المهر كاملا وروى
ابن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاحل لها المهر كاملا وقالنا اننا نعفو
ولان المهر حق للمرأة فليس لوليها ان يصب من مالها شيئا فملك المهر لانه مال لها وان تعفو القرب
للتقوى هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب الذكر لان الذكورة هي الاصل
والثابت فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى

وقيل بوطاب للزوج والمعنى ولصيف الزوج فيترك حقه الذي ساقه من المهر اليها
قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض
فيعطى الرجل الصدق كاملا او تترك المرأة نصيبها من المهر ان حبها جميعا على الاحسان
ومكارم الاخلاق **ان الله بما تعملون** يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق بصير
اي لا يخفى عليه شئ من ذلك قوله عز وجل **حافظوا** اي داوموا واطيعوا **على الصلوات** يعني الخمس
المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها وانما
او كما يفار فعلها في وقتها **المحتمة** لها **والصلاة الوسطى** ثانيا لا وسطا ووسطا كل شئ
خير من واعده وقيل الوسطى يعني الفضل من قوله **لا فضل** او وسطا وانما افردت وعطفت
على الصلوات لا تفرد لها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات بخلاف فضل
في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى
على ما ذهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عباس ومعاذ وجابر
وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويذهب الى ذلك ان مالك بن
ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان في الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجها مالك في الموطأ
واخرجها الترمذي عن ابن عباس وابن عمر بن الخطاب لا فهاين صلاة في جمع الظاهر والعصر بحمان
وبما صلاتا تبار والمغرب والمشرق بحمان وما صلاتا تبار وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى
غيرها ولا فهاين في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النور في الصيف وفقر الاغصان
وكثرة الناس وعقلة الناس عنها فحتمت بالمحافظة عليها كونها معصية للضياح ولان
الله تعالى قال عبقها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة
بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا
يعني تشهد ملايكة الليل وملايكة النهار في مكتوبة في ديوان حفظه الليل وديوان
حفظه النهار فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زهير
ابن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عابضة وبه قال عبيد الله بن زياد
ومرواية عن ابي حنيفة ويذهب الى ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعابضة قال الصلاة
الوسطى صلاة الظهر اخرجها مالك في الموطأ عن زيد بن ثابت والترمذي عنهما فلهذا وخرج ابو داود
عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بها حجرة ولم يكن يصلي
صلاة الشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فتركت حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط
النهار وفي سنة المروان فهاين في المروان يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب
الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود والشافعي وابي هريرة وابن عمر وابن

عباس بن ابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عميدة السلف في الحسن البصري وابراهيم
التيمي وقتادة والضحك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر
وقال الترمذي وهو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي
لصحة الحديث فيه قالوا انما نص على انها الصبح لانه لم يبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر
ومنه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روى عن علي بن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وسيوتهم نار الحيا شغلونا عن صلاة
الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر فكأنهم واد
في اخرى شغلونا عن الصلاة الوسطى والعشا اخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود قال حبس
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احرقت الشمس واصفرت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم
وقبورهم نار الاوحش الله اجوافهم وقبورهم نار اعن سمرة بن جندب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجته الترمذي وله عن ابن مسعود
مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح **م** عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة
ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فاذا في حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى قال فلما بلغت اذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلاة
العصر وقوموا به قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى عن
حفصة بن غوذك ولان صلاة العصر تأتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة
عليها اولى ولا تأتي في غير صلاة في نهار وهي النجوى والظهور وصلاة الليل والمغرب والعشا وقد
خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتقليد من غيرها ويدل على ذلك ما روى عن ابي المليلح
قال اكنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي حيمم بكرنا صلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجته البخاري قوله بكرنا صلاة العصر اي قدموها
في اول وقتها **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تقوته صلاة العصر
فكانما تراها له وماله قوله وتراي تقصير سلبك له وماله فبقي فردا ابلا اهل الاما
ومعنى الحديث ليكن حذره من قوت صلاة العصر كحذره من ذهاب هله وماله المذهب
الرابع انها صلاة للمغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب
تأتي بين شمس النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر
في السفر وهي من النهار ولا صلاة الظهر تسمى الا ولان ابنة اجبريل كان لها اذا كانت الظهر
اولا الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل عن احد من
السلف فيها شيء ولما ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين

لا تقصران في المغرب والصبح ولا تقصر صلاة على المنافقين المذهب السادس
ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا يبيحها الا الله امر بالمحافظة على الصلوات
الخمس ثم عطف على الصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن
ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انما هي الوسطى لغيرها الله على عباده مع ما
خصها بمزيد التأكيد وتخريفها لهم في المحافظة على اجمع الصلوات على صفة الكمال
والقام ولهذا السبب اخفى الله تعالى لثبته القدر في شمر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم
الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسماءه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب خاتمه جمع
من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظوا على
للصلوات الوسطى كلها افضلها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال لا تسألني الوسطى
واحدة منهن تحافظ على الكل تكن تحافظ على الوسطى ثم قال لا رايت لوعلمتها يبينها اكننت
تحافظ عليها ومضيتا السائر من فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد
حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها انها العصر للاحد الحديث الصحيحة الواردة فيها
والله اعلم قوله تعالى **وقوموا لله قانتين** اي طائعين فهو عبارة عن الحال الطاعة وتمامها والاحتراز
عن ابتغاء الخلق في اركانها قيل اهل دين صلاة يقومون فيها غامضين فقوموا انتم به في صلاة
طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل ان من هو قانت ولما امر بالمحافظة على
الصلوات فوجب ان يحل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء معني الآية وقوموا الله
داعين في الكون وقيل لما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت
هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل عليه ما روى عن زيد بن ثابت قال كنا نكلم في
الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى تزلت وقوموا الله قانتين فامرا بالسكوت
وفيها عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه
ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجته
مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدوء في الصلاة وخشوع الجناح
والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احد منهم يصلي لهاب الرحمن ان يلتفت ويقلب العصى او
يعبث بشئ او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الاناسيا قوله تعالى **فان خفتهم رجلا لا ي**
رجالة او ركبانا اي يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق
الصلاة من تمام الركوع والسجود والخشوع والخوف عدوا وغيره فصلا مائة على ارجلكم
او ركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المفانلة والمطابقة في وقت الصلاة
وصلاة الخوف فتان احدهما ان يكون في حال القتال وهو للرد لهذه الآية وقسم في غير حالة القتال
وهو المذكور في سورة الفاتح في قوله تعالى واذا اكنتم فيهم فامت لم الصلاة وسيا في الكلام عليها

ان شاء الله تعالى في موضعها فاذا التحم القتال وهو المراد بهذه الآية ولم يمكن تركه
لاحد فذهب الشافعي لضم يصلون كما بنا على الدواب ومساة على الرجل الى
القبلة والى غير القبلة يومئذ بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويجزئ
عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوتر الصلاة ويقضيها
لأن النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد
ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واجتنب الشافعي هذه هبة لهذه الآية وحب
عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بان لم يكن ترك حكم صلاة الخوف
فلما ترك صلاة الخوف لم يوتر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة فقط اما الخوف
الحاصل في القتال بل بسبب خرابها من العدو وفضده سبع هاج او غشية
سبل يخاف على نفسه الدلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالأيما
في حال العدو ولا ن قوله تعالى فان حفرتم مطاقا يتيانا والكلوفان قلت قوله تعالى في حال الاوركانا
يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع
الضرورة وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هنا وروى عن ابن عباس
قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر والبعاء وفي السر والكنية
وفي الخوف ركعة اخرج مسلم وقد عمل بظاهر هذه الجماعة من السلف منهم الحسن البصري
وعطاء وطاروس مجاهد وقتادة والفتح والاسحاق بن راهوية قالوا يصلي في حال
شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن فيعدد
الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السر صلى ركعتين
ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتا ولو احدث ابن عباس هذا على
ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردة اما جات الكاوية الصحيحة
في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه
للمجمع بين الاحاديث وقوله تعالى **فاذا انتم من خوفكم فاذا الله** اي فصلوا الله الصلوات
الحسن تامة باركانها وسننها **فما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فيه اشارة الى انعام الله تعالى
علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نضل الى معرفة شي فله الحكم
على ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم يعني يا معشر الرجال وبيروا واجبا** يعني زوجات
وصية لارواحهم قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم
وصية **منا على الكول** اي متعوضين متاعا وقيل جعل الله ذلك لمن متاعا والمتاع نفقة
اطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه **غير اخراج** اي غير مخراجات من يوتون تركت هذه الآية
في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث صاحب المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد

فكانت فرجع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فاعطى
النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وامرهم ان يتفقوا عليها
من تركه زوجها حولا وكان الحكيم في ابتداء الاسلام اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان
يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الكول وكان نفقتها وكسوتها واجبة في مال الزوجها
تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون بحيرة فان شأت اعتدت في بيت زوجها
ولها النفقة والسكنى وان شأت خرجت قبل تمام الكول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب
على الرجل ان يوصي بذكر هذه الآية على جميع امرئ من احد ما ان لها النفقة والسكنى
من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذه الحكيم اما الوصية
بالنفقة والكسوة والسكنى فليسح باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة
والسكنى ونسخ عدة الحول اربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة
المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في الترتيب لقوله تعالى
سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى نقول في جعلك في السما وقوله تعالى **فان خرجن**
فلا جناح عليكم يعني يا معشر اوليا الميث **فيما فعلن في انفسهن من معروف** يعني التزين
للنكاح ورفع الحج عن الورثة وجمعان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة
عنه اذا خرجن قبل انقضاء الكول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج
لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجبة عليها خبرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها
حولا ولها النفقة والسكنى ويترتب ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك
اربعة اشهر وعشر **والله عز وجل** غلب قوى في انتقامه من خالف امره ونهيه وتعدى
حدوده **حكيم** يعني فيما شرع من الشرايع وبين من الاحكام قوله تعالى **والمطلقات متاع**
بالمعروف اما اعاد الله تعالى ذكر المنفعة من الزيادة معنى وهو ان في غير هذه الآية
بيان حكم جميع المطلقات في النفقة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الوسع
قد رده الى قوله حقا على المحسن فقال جل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل
فانزل الله تعالى **والمطلقات متاع بالمعروف** فجعل المنفعة لمن يملك وقال تعالى **حقا**
على المتفق يعني على المؤمنين الذين يتقون الشر وقد تقدم احكام المنفعة **كذلك يبين الله لكم آياته**
يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يحجب
لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك يبين لكم سائر احكامي في آياتي التي انزلتها على محمد
صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **فعلكم تعلمون** اي لكي تعلموا ما بينت لكم من القوانين
والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل **الم نزلنا القرآن** كانت قرية
يقال لها ذار ودان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين

خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون جمع الذين خرجوا اليه
فقال الذين بقوا كانا صحابنا اخرم منا رايًا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا
وليس وقع الطاعون ثانية لتخرجنا الى ارض لا وباقها فرجع الطاعون من قابل فرب
عامته اهلها فخرجوا حتى قتلوا واديا افصح واسع فلما تزلوا المكان الذي يبتغون
فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملاك اخر من اعلاه ان موتوا فما تواجبا
ق ان يخرج الى السامرة فلما تجاسر بلفه انا لوبيا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن
ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم بد بارض فلا تقة مواعيه
واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرار منه فحمد الله عزه ثم انصرف وقيل انما فر
من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فمكروا
ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان ارض التي تاتيها بها وبافلا تخرج
حتى ينقطع منها الويا فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرار منه فلما راي الملك
ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في
انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا
عقوبة لم ماتوا وما قد واهم كموت رجل واحد فاتي عليهم ثمانية ايام حتى استحو
وا وحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فجزوا عن دقهم فخطر واخطره ووز الساع
فذلك قوله تعالى الم تر بعني الم تعلم يا محمد باعلاي اياك وهو من روية القلب قال
اهل المعاني هو عجيب له يقول هل رايته مثل هولاء كما تقول الم تر الى صبيح فلان وكل ما في
القران من قوله الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه **الى الذين خرجوا**
من ديارهم ومنهم الوف قيل من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف
وقيل عشرة الاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا
واصح الاقاويل قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال ومنهم الوف
والالف جمع الكثير وجمع القليل الاف وقيل معنى ومنهم الوف موتهم فجمع الف والاولا صح
قال فر عليهم مدة قبلت اجسادهم وعظمت عظامهم فمات عليهم حز قيل بن مودى وهو ثالث
خلفا بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم فرب بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون فمات
بعده كالب بن يوشع فقام بعده حز قيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا
فسالت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعظمت فوهب الله لها حز قيل ويقال له ذلك لكان
سمى به لانه تكفل سبعين نبيا واجتاهم من القتل فلما مر حز قيل على اولىك الموقوت
عليهم وجعل فيهم فواحي الله تعالى اليه اتريد ان اريك اية قال نعم يا رب
فاحيهم الله تعالى وقيل دعا حز قيل ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم

كانوا قومه احياءم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج في طلبهم
فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك وذكروني فبقيت وحيدا
لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حز قيل احيوا يا الله تعالى
فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا لجانك ربنا ومجدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى
قومهم وعاشوا هذا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاده دنيا
مثل الكفن حتى ماتوا لاجلهم التي كتبت لهم قال ابن عباس لما مات التوحيد اليوم تلك
الريح في ذلك السيط من اليهود قال قتادة منقلم الله على فراسهم من الموت فاما هم فعقوبة
لهم ثم بعثوا ليستوفوا بقية اجمالهم ولوجات اجمالهم لما بعثوا فان قلت كيف
اميت هولاء مرتين الله نيا وقد قال الله تعالى لا يذوقن فيها الموت الا الموت الا الاولى
قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان معجزة
من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق العادة ونوادير فلا يقاس عليها
فيكون تقدير قوله الا الموت عام مخصوص بمعجزات الانبياء فيكون تقدير قوله الا
الموت الا وليا التي ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الاية
احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بما لم
يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله
تعالى ومو الصادق في خبره انه اما تم ثم احياءم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم
يوم القيمة وقوله تعالى **حذر الموت** اي مخافة الطاعون وكان قد تركهم وقيل انهم امروا
بالجهاد ففروا منه حذر الموت فقال لهم الله **موتوا** يحتمل انهم ما تواعدوا قوله تعالى
موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله تعالى كونوا فرقة خاسين **ثم احياءم**
يعني بعد موتهم **الى الله** **لذو فضل على الناس** يعني انه تعالى تفضل على اولىك الذين امانهم
باحياءم لانهم ما تواعدوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو
على العموم فهو تعالى تفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بتفضله يوم القيمة
ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليهم لا يشكره اما الكافر فانه لم يشكر اصلا
واما المؤمن فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى **وقالوا في سبيل الله** قيل هو خطاب للذين
احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اشارة تذكيره وقيل لم قالوا حين
سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه تذكروا من الموت كما هرب
هولاء فلم يتفهم ذلك فغيبه تحريض للمؤمنين على الجهاد واعلموا ان الله سميع عليم لما
يقول المتفضل عن القتال عليم بما يصنعه قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا**
القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليحاز عليه فسمي الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رحا

ما وعدهم به من الثواب لا نهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل
صالح او ميسر قال الامية بن الخالص كل امرؤ سوف يحزى قرضه حساء او سبيًا
او مدينا كالذي اناه واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان القرض يقطع من ماله
شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى السبايرجوا
ثوابه عنده وهذا تطف من الله تعالى في استعداده الى اعمال البر والطاعة
وقيل في الآية اختصار لغة يره من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه فهو
كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا ابن آدم
استطعتك فلم تطعمني قال يا رب كيف وانت رب العالمين قال استطعتك عدي
فلان فلم تطعمه اما لو علمت ذلك لو اطعمت لو جئت ذلك عندى الحديث واختلفوا في
المراد بهذا القرض فيقولون الاتفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو
صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري عنه
عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدرداء وان
الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدرداء قال اولي
يدك قال فتناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حايطي حايطا فيه ستماية مخلة
ثم جاء يمشي حتى اتي الحايط وام الدرداء فيه في عياله فانادها يا ام الدرداء قالت
ليك قال اخرجني من الحايط فاني قد اقرضته لربي نذره غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كم من عقد رداح لاني الدرداء وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيه خل فيه الواجب
والتطوع ويؤاخر في حياطينه طيبة به نفسه وقيل هو الاتفاق من المال الخلال
في وجوه البر وقيل هو ان لا يقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص تعالى ولا يكون فيه ربا
ولا سمعة **فبعضا غفله** يعني ثواب ما انفق **اضعا فالكثيرة** قيل هو بضاعة الى سبعة انة
ضعف وقال السدي هو التضعيف لا يعمله الا الله وهذا هو الاصح وانا انضم ذلك
لان ذكر الميم في باب الترغيب قوي من ذكر المحمود **والله يفيض ويبسط** قيل يقبض باسك
الرزق والتقدير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة
ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لك امرهم بالصدقة وحتم على الاتفاق
اخباره لا يمكنهم ذلك الابتوفيقه وارادته واعانته والمعنى فبالله يقبض بعض القلوب
حتى لا تقدر على فعل الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على الاتفاق في
الطاعات والاتفاق في البر ويروي عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعتين من اصابع الرحمن كقلب واحد

يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا
على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان
بها والتسكوت عنها وامرارها كالحجرات من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارية
هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة **والله ترجعون** يعني في الآخرة فيخرجكم
باعمالكم قوله تعالى **لم تر الى الملا من بني اسرائيل** الملا اشرف القوم ووجوههم واصل من
الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط **من بني اسرائيل** اي من موت موسى ومن بعده
زمنه **اذ قالوا يا بعتي اولى بك الملا** يعني اولى بك الملا **بني اسرائيل** اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع
ابن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو سمعون بن صفيّة بن علقمة من ولد
لاوي بن يعقوب واما سمي سمعون لان امه دعيت له ان يرزقها غلاما فاستجاب الله
لها فولدت غلاما فسمته سمعون ومعناه سمع الله دعاء ونقول السين بالعبرانية شيئا
وقال الكثر المفسر بن يوسف بن يار وقيل ابن هلقا ثانيا قيل انه ولد هارون ومعرفة حقيقة
ذلك الشيء بعينه ليس امر من العقيدة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وكما حصل ذلك
الاشارة الى القصة كان سبب سيلة اوليك الملا لانه النبي انه لما مات موسى عليه السلام
وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله ويحكم بالتوراة حتى
قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوشع كذا في التوراة قيل كذا في قصته
الله فغظت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونشوا عهده الله حتى عبدوا الاصنام فبعث
الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعده موسى
ييعتزون اليهم ليحيده واما نشوا من التوراة ويأمرهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعده
الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف
وعظمت فيهم الخطايا فظفر لهم عدو ويقال لهم البلساوا وهم قوم خالوت وكانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وبهم العاقبة فظفر واعلى بني اسرائيل
وعلى واعلى كثير من رضعهم وسبوا كثير من ذرارهم واسروا من ابنا ملوكهم اربعماية
واربعين غلاما فضرعوا عليهم كجزية واخذوا ثوبهم ولقي بنوا اسرائيل منهم بلا وشدة
ولم يكن لهم بني يدبر امرهم وكان سبط النوبة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فخبسوها
في بيت رهينة ان تلد جارية فيه لها غلام لما يرى من غيبة بني اسرائيل فيولد لها وجعلت
المرأة تدعو ان الله يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشوريل ومعناه بالبرية اسماعيل
يقول سمع الله دعاء في لما كبر الغلام اسلمته التوراة في بيت المقدس وكفده شيخ من علمائهم
وتبناه فلما بلغ الغلام اثناء جبريل عليه السلام وبه نوايم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا ياني
عليه احد فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا سموي فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه

رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيخرج الغلام فقال يا بني ارجع فتم فبعاه الثانية
فقال الغلام دعوتني فقال نعم فان دعوتك فلا تجني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل
عليه السلام وقال له اذ سبالي قومك فبلغهم رسالة ربك قال الله قد بعثك فيهم نبيا
قلما اتاهم كذبوه وقالوا له استنجدت بالنبوة ولم تكفالك وقالوا له ان كنت صادقا
فابعث لنا ملكا نقاتلك في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع
على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجوع والنبى هو الذي
يقوم امره ويشير عليه ويرشده ويأبى به بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل
نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال شركان من رجال اللوت والعائلة ما كان قد لك
قوله تعالى **بعث لنا ملكا نقاتلك في سبيل الله** جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك
قال يعني قال النبي **هل عسيتم هذا استفهام شك يقال للعلم ان كتب عليكم اي فرض**
عليكم القتال لا يجمع ذلك الملك **الانقالتوا** يعني لا تقوا بما قدتم وتجنوا عن القتال معه
قالوا ومالنا ان لا نقاتلك في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان والعرب تقول مالك
ان لا تنقل كذا ولكن نقول ما لك لا تنقل كذا قلت دخولا وحذوها لانتان صحيحان
فالايات كقولك ما لك ان لا تكون مع الساجدين والخلف كقوله ما لكم لا تقمنون
وقيل معناه ومالنا في ان لا نقاتل فخذف حرف الجر وقيل ان هذا اريدة ومعناه
مالنا لا نقاتل في سبيل الله **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اخرج من غلب عليهم من ديارهم
وظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا النبي لم ابعث لنا ملكا كانوا
في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من صر منهم ومعنى الآية انهم قالوا النبي لم انا انما كنا
تركنا الجهاد لاننا كنا ممنوعين في بلادنا ان لا يظهر علينا عدونا فاذا بلغ ذلك منا
فطبيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نسانا واولادنا قال الله تعالى **فلما كتب عليهم القتال**
في الكلام حذف تقديره فقال الله ذلك النبي فبعث الله اليهم ملكا وكتب عليهم القتال
تولوا اي عرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله **الاقبلا منهم** يعني لم يتولوا عن
الجهاد ومم الذين عبروا والنهر مع طالوت واقتصر على الفرقة على ما سياتي في قصتهم
ان شاء الله تعالى **وان الله عليهم بالظالمين** يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حتى خالف امر ربه
ولم يف به قوله تعالى **وقال لهم نبينهم ان الله قد بعثكم طالوت ملكا** وذلك ان اشمويل
سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعضي وقرن فيه وهن القدس وقيل له ان
صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طول هذه العصى وانظر الى القرن الذي فيه الدهن
فاذا دخل عليك رجل فنش له من في القرن فهو ملك بني اسرائيل فاذا هز اسه بالدهن
وملكه عليهم واسمه طالوت بالعربية ساد لبن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب

وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبه وكان طالوت رجلا
دبا غايده الاديم قال وهب وقيل كان سقي يسقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه
وقال وهب ضللت حماري طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمضى على بيت اشمويل
النبي فقال الغلام لطالوت لودخلنا على هذا النبي فمالنا عن امر الحمار ليرشدنا او يدعولنا
فدخل عليه فبينما هما عنده بذكر ان له حاجتهما اذ نس الدمام في القرن فقام اشمويل
فقال طالوت بالعضاة فكانت على طوله فقال طالوت قرب اسك فغربه اليه فذهبه
بد من القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال
طالوت او ما علمت ان سبطي اذني سبط بني اسرائيل قال بلى قال فباي اية قال باية انك
ترجع وقد وجد ابوك حمر فكان كذا لك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعثكم طالوت
ملكا وقيل انه جلس عنده وقال للناس ملك طالوت قائم عظميا بني اسرائيل الى يومهم
اشمويل وقالوا له ما شان طالوت بملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة
عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهودا بن يعقوب فقال لهم
بينهم اشمويل ان الله قد بعثكم طالوت ملكا **قالوا ان يكون له الملك علينا** اي من ابن
يكون له الملك وكيف يستحقه **ونحن احق بالملك منه** انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل
سبطان سبط نبوة وسبط محلكه فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى
وهارون وعليهما السلام وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان
عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من بنيامين بن يعقوب فلذلك الب
انكروا لكونه ملكا وزعموا انهم احق بالملك منه ثم انهم اكدوا ذلك بقوله **ولم يوف سعة**
من المال يعني انه فقير والمالك يحتاج الى المال **قال** يعني اشمويل النبي **ان الله اصطفاه**
عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم
من الشيعة ان الامامة موروثه وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون
من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصة
الله به **وزاد سبط** اي فضيلة وسعة **في العلم** وذلك لانه كان من اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوجي
اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب **والجسم** يعني بالطول وذلك لانه كان اطول
الناس براسه ومنكبه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة
لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ الملك **وان الله يوفى ملكه من ليا** يعني انه
تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله وزاد كل خلقه
والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا **والله واسع** الفضل والرزق فاذا افوض اليه الملك
فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى

في النبيه خلفه موسى عند بوشم من نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته
في دار طوفان فاصبح في دارة فاقروا بملكه **ان في ذلك لآية لكم** يعني قال لهم اني اسمو بيل
ان محي التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبركم به ان الله قد
بعث لكم طابوت مذكرا ان كنتم **مؤمنين** يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت
واقروا بالملك لاطا الوت تامب للزوج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخجوا معه فذلك
قوله تعالى **فلما فصل طابوت بلقيس** اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مشقة
شاخصا الى غيره فخرج طابوت من بيت المقدس بالجند وهم سبعون الف مقاتل وقيل
ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا لم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لم يضره او معذورا
لعذره وذلك لما راوا التابوت لم يسكوا في النصر فساروا الى الخرج في الجهاد وكان سيرهم
في حرسه يد فشكلوا الى طابوت قلة لما بينهم وبينه وهم وقالوا الى الياه لا تخلف
فادع الله ان يحري لنا نهر **فقال طابوت ان الله مبتليكم بنهر** اي يختبركم به لتبين طاعتكم
وهو علم به ذلك قال ابن عباس بنو نصر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين فمن
شرب منه فليس مني اي فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه يعني لما فاني
يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف غرفة بيده** قرى بفتح الغين وضمها الغتان وقيل الغرفة
بالضم الذي يحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر
فشربوامنه يعني من النهر **الا قليلا منهم** قتلهم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل مائة
وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح وقيل على ذلك ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال
كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طابوت الذين
جاوزوا معه النهر ولم يجاوزوا معه الا بضعة عشر مومن وثلثمائة اخرجهم البخاري وقيل
البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر التي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا
العدد القليل وكان من اغترف فحما امره الله تعالى غفر عنه لشربه وشربه وابه وقوي قلبه
وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسوت شقا هم
وعلمهم العطش ولم يروا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم
ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال انا قاتل اوليك القليل الذين لم يشربوا ولم يوقوا
تعالى **فلما جاوزوه** هو يعني جاوز النهر طابوت **والذين امنوا معه** يعني اوليك القليل قالوا
يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون جاوز
النهر مع طابوت المومن والمناق والطابع والعاصي فلما راوا العدو وقال المنافقون **لما فقه**
لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
وقيل لم يجاوز النهر مع طابوت الا المومنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزوه هو والذين امنوا

معه فان قلت تعالى هذا القول من القايل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت
يجمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلماية وبضعة عشر انفسهم الى قسمين جنرا والعدو
قسم قالوا الماروا العدو وكثرته وقلة المومنين لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم
القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى
لاطاقة لنا اليوم لافقة لنا اليوم بجالوت وجنوده **قال الذين ظنوا انهم لن يموتوا**
انهم ملاقاتنا اليوم ملاقاتنا اليوم ورضوانه في الدار الاخرة كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
لا واحد له من لفظه كالمهبط غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بقضاء الله وقدره وادارته
والله مع الصابرين يعني بالصبر والمعونة قوله عز وجل **والصابرون** اي يعني طابوت وجنوده
المومنين بجالوت وجنوده يعني المشركين ومعنى صبروا واصابروا بالبراز من الارض وهو ظاهر
واستوي منها قالوا يعني المومنين اصحاب طابوت ربنا افرغ علينا اي صيب علينا **صبرا**
وثبتا اي قويا وثبتا الشئ قد امانا وانصرنا على القوم الكافرين وذلك ان جالوت
وقومه كانوا يعبدون الاصنام فقال المومنون لربنا انصرهم على القوم الكافرين **فمرهم**
باذن الله يعني اذن الله تعالى استجاب دعا المومنين فافرع عليهم الصبر وثبت اقدامهم
ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فمرهم باذن الله يعني بقضائه وارادته واصل
الزم في اللغة الكسر كسرهم وردهم **وقتل داود جالوت** وكانت قصة قتله على ما ذكر
اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فممن عبر مع طابوت ايشا ابوداود وفي ثلاثة
عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرى بالقذاة فقتل داود لابيه يومك يا ايتاه ما اري
بقذاتي شيئا الا صرخته فقال له ابوہ اشريا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذاتك
ثم اقام مرة اخرى فقال يا ايتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا را بضا فركسته
واخذت باذنه فلم يجني فقال له ابوہ اشريا بني فان هذا خير يريه الله بك ثم اذاع
يوما اخر فقال يا ايتاه اني لامسني بين الجبال فاسمع فاسمع جبل الا سمع معي فقال يا بني
اشرفان هذا خير اعطا كما سمعته تعالى قالوا فامرسل جالوت الجبار الى طابوت ملك بني
اسرائيل اذ ابرأ الى وابرز اليك وابرز الى من يقاتلني فان قتلته فلكم ملكي وان قتلته فلي
ملككم فشد ذلك على طابوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته
ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فقال طابوت بينهم ان يدعوا الله في ذلك
فدعا الله فاني برفيقه دهن القدس فتورجد يد وقيل له ان صاحبه الذي يقتل
جالوت هو الذي يفتح هذا القرز على راسه حتى يد هزم منه راسه ولا يسير على وجهه
بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا الثور فيملاؤه ولا يتقلع فيه
فدعا طابوت بني اسرائيل واخبرهم فلم يوافقوه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان

في ولد ايشان من تقيت جالوت فدعا ايشا وقال له اعرض علي بينك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السوارى فجعل يعرض واحد واحد اعلى الترس فلا يرى شيئا فقال لا يشا هل نقتلك وله غير هو لا قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب له قد نزع عم انه لا ولد له غنوم فقال له كذب فقال له النبي ان ذوقه كذبك فقال لا يشا صدق ربي يا بني انه ان لي ولدا صغيرا مستقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في سبع كذا وكان داود عليه السلام حرا فقصر مستقاما ازرقا معي اصفر فغاب طالوت ويقال انه خرج اليه فوجهه في الوادي وقد سال الوادي قوما ويحمل شايين يعبرنما السيل الى الزريبة التي يرمح فيها غنمه فلما راه طالوت قال هذا هو الرجل المظلوم لا شك فيه فعذرا رحم البهايم وهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووصع الترس على راسه فنشر فاص فقال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري حاتمك في ملكي قال نعم فقال له انيت من نفسك شيئا تنقوي به علي قتله قال نعم انا انا انا نعم فيجي الاسد والنم والذئب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحبيه عنها فاخرقها الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فداود عليه السلام في طريقه بجحر فتاده ياد داود احملي فاني حجر هارون فخذه ثم من حجر اخر فقال له ياد داود احملي فاني حجر موسى فخذه ثم من حجر اخر فقال له ياد داود احملي فاني حجر كذا الذي تقتل به جالوت فخذه فوضع الثلاثة في محلاة فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود ونهجا ونصافا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة استبد له داود عليه السلام فاعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من جولة جيل الغلام فجا في قف على طالوت فقال له ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصر في اسم يعني هذا السلاح عني شيئا وان نصر في فلا حاجة لي به فدعني قاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود ومخلاته وتغلدها واخذ المقلع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اسد الناس واقواهم وكان ياتهم الجحوش وحده وكان له بيعة حديد وزنها ثمانية رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلع والحجر كما يوتي الكلب فقال نعم وانت من الكلب فقال جالوت لاجرم لا تسنحك بغير سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقيم الله محكم ثم قال داود وبسم الله ابراهيم واخروج حجرا ثم قال بسم الله اسحاق واخرج حجرا ثم قال بسم الله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا واداد داود المقلع ورمى به جالوت فخرج من قفاه وقيل من رايه ثلاثين رجلا وخرج جالوت صريحا قتيلا فاخذ داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنوا اسرائيل

هذا هو الجبل الذي كان عليه جالوت

فرحاشد يدا ويزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء الى طالوت وقال له انجز لما وعدتني به فقال اريد ابنة الملك بغير مهر او نقاد او دما شرطت علي صدة اقا وليس لي شيء فقال لا الكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي حيانا اعد لنا غلف فان قلت منهم ما ياتي رجل وجيتني بغلفهم زوجك ابنتي فاتهم فجعل كل ما يقتل واحد منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم ما ياتي غلفه فجاء بها الى طالوت والقاهما بين يديه وقال ادفع الى امرتي فوجه ابنته واجري خاتمة في ملكه فقال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثر واذكروه فحسده طالوت واراد قتله فاخبر به ابنة طالوت رجل يقال له ذوالعينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وها جرمت جهما بوجي القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصله او ذلك فقال للكان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ايتيني بزق خرقاته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته ان يبعك قالت هو نائم على سريره ففزع به بالسيف فقال الخنزير ما وجد ربح الخنزير قال رحم الله داود ما اكثر شره للخنزير فخرج فلما أصبح علم ان لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت بحقيق ان لا يدعني حين يركب ثاره مني فاشته حجابي وحراسه واغلق ابوابه دونه ثم ان داود اناه ليلة وقدهدات العيون واعى الله عنه الحجة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سما عند راسه وسما عند رجليه وسما عن يمينه وسما عن شماله وخرج فاستبقط طالوت فبصر بالسهم فركب فقال يرحم الله داود هو خير مني فطرت به فقصدت قتله فظفرتني فكف عني ولوسا الوضع هذا السهم في حلقى وما انا بالذي امنه فلما كان من الليلة الثالثة اناه ثانيا فاعى الله عنه الحجاب فدخل هو نائم فاخذ ابريق وموتيه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من حنجرته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وظل فلما أصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشده الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركعتي في اثره فاشته داود في عدو وكان اذا فرغ لم يترك فدخل غارا فلوحي الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت فقال لو كان بنا لخرقنا هذا السج فانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتي جبل المتعبد من فتبعه معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهيه احد عن قتله داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلماء والعباد حتى اتي بامراء تعلم الاسرار اعظم فامر حياها بقتلها فخرها الحيا فلم يقتلها وقال قلنا محتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة والندم علي ما فعل واقتل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبر ويبكي ويقول ياد الله ارحم عبدك

وتوارى

تعالى قوله عز وجل **تلك الرسل** يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه
السورة **فضلنا بعضهم على بعض** فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجع التسوية بين
الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجتماع لآفة على أن الأنبياء بعضهم
افضل من بعض وإن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا منهم أي الرسل من كل الله أي كلمة الله وهو
موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعني محمد صلى الله عليه وسلم رفع الله منجته
ومرتبته كافة على سائر الأنبياء بفضل به عليهم من آيات البينات والمعجزات الباهرات
فما أتى نبي من الأنبياء آية او معجزة الا أتى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل
محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء آيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر بإشارته
وحين الخبز الى الله عند مفارقتة وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام النبايم له شاهدة
برسالته وتبع الماتين بين صابغة وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة
واعظمها واظهرها معجزة آية القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض عن معارضته والبيان
بمثلته في معجزة ثابتة الى يوم القيامة **ق** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء الا وقد أعطى من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي وثنيت وحيا او جاءه الله الى فارحوا ان كونه الكرم فابعد يوم القيامة **ق** عن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمساً لم يعطها احد من الأنبياء
قبلني بضرب بل رعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فإني امارج من امتي ادركته
الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تجل لاحد قبلني واعطيت السقاية وكان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة **ق** عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء ست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وحلت
لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم لي النبوة
فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا
الابهام والرمز من تغميم فضله وعلاقته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
بانه العلم الذي لا يشبه ولا يكتيف فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضهم او احدهم
ويريد نفسه فيكون الختم من المقصود به كاسم الخليفة من استمر الناس فذكره من غير اداة
ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى **وانبينا عيسى بن مريم البينات**
يعني الحج والاذلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراهيم والبرص والحيات التي
وايدناه روح القدس أي توحيه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السماء فان قلت
لم يخص موسى وعيسى بالذكر من سائر الأنبياء قلت لما اوديت من آيات العظمة والمعجزات

بوزن فخر

الباهرة

الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة
وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة
خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا اكل من كان من الأنبياء اعظم آيات والمعجزات
كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قضيات سبق في الفضل لانه
اعظم الأنبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين **ولوشا**
الله اي ولواراد الله واصل المسئلة الارادة **ما اقتتل الذين من بعدهم** يعني بعد الرسل
الذين وصفهم الله من بعدهم **ما جاتهم البينات** أي الدلائل الواضحات من الله بما فيه من جبر
لنبيه اه الله ووقفه **ولكن اختلفوا** أي اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل **فمنهم من امن** أي آمن
على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر أي ومنهم من نكروا الكفر بعد قيام الحججة
وبعثة الرسل **ولوشا الله ما اقتتلوا اي ولواراد الله** أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف
يحجزهم عن ذلك **ولكن الله يفصل ما يريد** يعني انه تعالى يوفق من يشاء الطاعة والايان به
فضلا منه ورحمة ونجدة من يساعد لانه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل الرجل على
ان لا يطالب برضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق
مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تنقشه فاعاد السؤال
فقال بعد عميق فلا تنجحه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا ما رزقناكم** قيل اراد به
الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والاتفاق في وجوه الخير من قبل ان
يأتي يوم لا يسع فيه أي لا فدية فيه وانما ساءه بيعة لان الغدا اشرا لنفس من الهلاك
والمعنى قد موات لانفسكم اليوم من مواتكم من قبل ان ياتي يوم لا نجاة فيه فيكس الانسان
ما يقتدي به من العذاب **ولا خلة اي لا مودة ولا صداقة ولا شفاعنة** وظاهر هذا يقتضي
تخلي الخلة والشفاعة وقد دللت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون
هذا عام مخصوص **والكافرون هم الظالمون** لانهم ومنعوا العبادة في غير موضع قوله عز
وجل **الله الاموات يحيى العقيم** **فصل** في فضل هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وان سنام القرآن البقرة
وفيها آية هي سيدة أي القرآن آية الكرم اخرجها الترمذي قوله ان لكل شيء سنام سنام
الشيء اعلاه شيها سنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قوله
والشريف والكرم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة أي القرآن أي افضله من عن ابن
كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنيذر اقدرى آية في كتاب الله
مساك اعظم قلت الله لا اله الا هو يحيى العقيم فضرب في صدره وقال يهنيك العلم ابا المنذر
عن واثله بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان آية

في القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا هو الحي القيوم
 اخرجه ابوداود وقال العلماء انما ثبتت اية الكرسي بكونها اعظم اية في القرآن
 لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدة والحيوة والعلم والقيومية
 والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء كما ذكره من توحيد وتعليم كان
 اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفصيل بعض القرآن على بعض وتفصيله
 على سائر الكتب المنزلة ومنع من جواز تفصيل بعض القرآن على بعض ابوالحسن الاشعري وابوبكر
 الباقلاني قال لا تفصيل بعينه على بعض يقتضي نقص المفضل وليس في كلام الله عز وجل
 نقص وتاويل هو لا تأويل من الاطلاق لفظ اعظم وانفصل في بعض الايات او السور بمعنى عظيم
 وفاضل ومن اجاز تفصيل بعض القرآن على بعض من العلماء المتكلمين قالوا هذا التفصيل
 موافق الى اعظم اجراء القاري وجرى ثوابه وقوله ان هذه الآية او هذه السورة اعظم
 او افضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم
 عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح اية الكرسي
 وايتين من اول حشر تزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمشي ومن قرأها
 حين يمشي حفظ ليلته حتى يصبح اخرجه الترمذي قال حديث غريب واما التفسير
 فقوله عز وجل لا اله الا هو الحي القيوم كل له سواء واثبت لاهوته سبحانه وتعالى
 فهو كقولك لا كرم الا زينة فانه ابلغ من قولك زيد كرم الحكي بمعنى الباقي على الابد الائم بلا
 زوال الحكي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا بالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد
 موته ولا يعزبه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سوا يعزبه الموت والعدم فكل شيء
 هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتاويله
 انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وازراقتهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم
 الائم بلا زوال الموجود الذي يتبع عليه التقي هو القائم على كل نفس بما كسبت
 والقيوم فيقول من القيام وهو يغفل للقيام على الشيء **لا تأخذه سنة ولا نوم السنة** ما
 يتقدم النوم من الغفلة الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسان ما بين الناييم
 واليقظان والنوم هو الثقيل المزبل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في الغفلة
 والنوم في القلب فالسنة هو اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع
 المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهو
 والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك النقص وافته
 فانه تعالى ممتنع عن النقص والافات ولان ذلك تغير والله تعالى ممتنع عن التغير وعن
 التغير عن موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمش كلمات

ذلك ان لا تأخذه سنة ولا نوم

فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه
 عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية الكثر
 لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق
 بلفظ هذه الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم
 ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام تغناه الاخبار انه سبحانه ونعالي لا ينام وانته
 مستحيل في حقه لان النوم النعاس غلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى ممتنع
 عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه
 ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرفعة اليه وقيل
 اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يضيق على من يشاء ويرفعه
 اي يوسع على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة
 يصعدون اعمال النهار بعد انقضاءه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرق
 سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة وباء الوحدة
 تحت وبضم التاء في اخره جمع سبحه ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله ونهاوه
 والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحددة والله تعالى
 ممتنع عن الجسم والمحدود به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمى ذلك الشيء المانع نورا
 او نارا لانما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بالانتهى اليه بصره
 من خلقه جميع المخلوقات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعية ومعنى
 الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلي خلقه لاحرق جلال ذاته
 جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن
 ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله
 فاجابهم الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه
 قارورة في فمهم فتركوه وحذروه ان يكسروها فجعل ينفس وبما في يديه في كل يوم واحدة
 قال فجعل ينفس وينتبه حتى نفس نفسة فصرح له بالآخر فكسرها قال امجد
 انما هو مثل صريره الله تعالى له يقول فكة لك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة
 مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال دفع في
 نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء ان صح هذا
 الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهل القوم موسى كطبل الروية من موسى لان
 الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا
 السؤال والله اعلم قوله تعالى **في السموات والارض** يعني ان الله تعالى مال لا لا يغير

شريك ولا منازع وهو خالقهم وبهم عبده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك وكان
الغالب فيهم من لا يعقل اجري الغالب مجرى الكل فغير عنه بلفظة **ما من ذا الذي يشفع**
عنده الا باذنه اي بامر وهذا استغفارهم انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره
وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبرانه لا شفاعته لاحد عنده
الاعمال استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة
بعض النبيين والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم**
يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدرون على الآخرة
ويخلفون الدنيا وراؤهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما
قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمعصود من هذا انه سبحانه
وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من احوال جميع خلقه **ولا يحيطون بشيء من**
علمه يقال احاط بشيء اذا علمه وما هو ان يعلم وجوده وجنسده وقدره وحقيقته
فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه قيل قد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى لا احد
لا يحيط بمعلومات الله تعالى **الا بما شايعني** ان يطالعهم عليه وبهم الانبياء والرسل ليكون
ما يطالعهم عليه من علم غيبه دليل على نبوتهم كما قال تعالى فلا تظن اني غيبه احد الامم اني
من رسول **وسمع كرسية السموات والارض** يقال فلان يسمع الشيء سمعة اذا احتله واطاقه
وامكنه القيام به واصل الكرسى في اللغة من تركيب الشيء بعضها على بعض ومنه الكراسية
لتركيب بعض اوراقها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسى هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسى
هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني
ان الكرسى غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان
السموات والارض في جوف الكرسى مخلقة في فلاه والكرسى في جنب العرش مخلقة في فلاة
وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسى كدبرهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قايمة
من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض ومويز يدي العرش ويحمل الكرسى اربعة املاك
لكل ملك اربعة وجوه واقدمهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على
صورة ابي البشر آدم وموليا الزرق والمطر لنبى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور
وموليا الزرق للافهام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وموليا الزرق
للوحيث من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وموليا الزرق للطير من السنة الى السنة
وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاخترق حملة الكرسى من نور حملة العرش

القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه
قال ابن عباس كرسية علمه القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان
الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز **ولا يودعه**
اي لا يتقلده ولا يجده ولا يشق عليه **حفظ ما** اي حفظ السموات والارض **ومو العلى** اي الرفع
فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيا يجب ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلى
بالاطلاق المتعالي عن الاشياء والانداد والاصداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والتميز
فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلى في صفة الله تعالى متقولا الى اقتداره وقهره واستحقاقه
صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلى ان يحيط به وصف الواسعين
العظيم يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي
قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى
ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر ومن العظم الذي هو من نفوس الاجسام قوله تعالى
لا اكره في الدين وسبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون
مقلدة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر بن عمار لها ولده لم تودنه فاذا عاش جعلته
في اليهود فخا الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد
الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا لهم بنا وانا واخواننا قنزلت لا اكره في الدين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اخاروكم فم منكم وان اخاروهم
فاجعلوهم معهم وقيل كان رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو حصين ابناء
قتضا فبذل بيعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون
الزيت فلزمهما ابوهم وقال لا ادعكما حتى تسلما فاخضعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لهم رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكره في الدين فحلى سبيلها
وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا ابدل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب
كانت امة امة ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او الفتنل
ونزل في اهل الكتاب لا اكره في الدين يعني اذا قبلوا الجزية في اعطوا الجزية منهم لم يكره
على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة
وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يومر بالقتال فتمسخت بآية القتال وهو قول ابن
مسعود وقال الزهري سالت يزيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكره في الدين قال كانت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشرين لا يكره احد في الدين فاني المشركون لان يقالوا
فاستاذن الله في قتالهم فاذا نزل معنى لا اكره في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكره عليه
قد بين الرسول من الغي يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة

بكثرة الايات والبراميين الهالة على صحتها **فمن يكفر بالطاغوت يعني الشيطان وقيل بالساحر**
والكاهن وقيل بملك ما عبد من دوز الله تعالى وقيل كل ما يطغى الانسان فهو طاغوت فاعول
من الطغيان **ويؤمن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبود من دوز كل شيء كان يصعد وفيه
اشارة الى انه لا بد للكافرين بيبوب ولا عن الكفر وبتبرامنه ثم يوم من بعد ذلك بالله فمن
فعل ذلك صحا يانه وهو قوله تعالى **فقد استمسك بالروة الوثقى** اي فقهتمسك واعتصم
بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى ثانيا لا وثوق وقيل العروة الوثقى السبل الذي يوصل
الى مرضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام** اي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة وللحق
ان التمسك بالله من الصحيح الذي هو دين الاسلام كالتمسك بالشئ الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا
انقطاع **واسمع عليكم** يعني انه تعالى سميع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين
عليهم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع له عاين اياهم الى الاسلام عليهم بجر صديقه على اسلامهم
قوله عز وجل **والله ولي الذين امنوا** اي ناصرهم ومعينهم وقيل نجبهم ومتولى امورهم فلا يكلمهم
الى غيره وقيل هو متولى هدايتهم **يخرجهم من الظلمات الى النور** اي من الكفر الى الايمان وكل ما في
القران من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى
وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لانتسار طغيانه ولا الظلمة
تجيب الابصار عن ادراك الحق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان
وسمي الاسلام نور الوضوح طريقه وبيان دلته **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** يعني كعب
ابن الاشرف وحيي بن اخطب ونياد روستا الغلاة **يخرجونهم من النور الى الظلمات** اي من الهدى
الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط
قلت هم اليهود وكانوا موقنين بحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون
في كتبهم من نعمة وصفته فلما بعث كفروا وحده وابتنوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار
ومنع الطاغوت اياهم من الدخول فيه اخرج من الايمان يعني صدقهم الطاغوت عنه وحرمانهم
خيرهم وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول رجل لابي اخبرني عن ما اذا وصي به لغيره
في حياته وحرمة منه وكقول الله تعالى اخبر اعن يوسف عليه السلام اني تركت حلة قوم لا يؤمنون
بالله ولم يكن قط في ملتهم **اولياؤهم** اي اصحاب النار **والذين كفروا** يعني الكفار والطاغوت اصل النار
الذين يخرجون فيها من غيرهم قوله تعالى **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل اتى اليك
يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وحجاده لان الم تركا له يوقفها المخاطب على تعجب منها والنظر
استنهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت فلانا في صنعه والذي حاج
ابراهيم هو مزود من كتمان الجبار ومواد من صنع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية
ان اتاه الله الملك اي لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك الحاجة من بطر الملك

وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة موان وكافران فاما الموان فليمان وقيل
واما الكافران فمزود وبخت نصر واخلفوا في وقت هذه الحاجة فقتل اكلهم ابراهيم الامام
سجده مزود ثم اخرجهم ليعرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه **اذ قال ابراهيم ربي الذي**
يحي ويميت وقيل بل كان هذا بعد القايم في النار وذلك ان الناس تحطوا على عمد مزود وكان
الناس يتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يتاريساله من ربك فيقول انت فيميره
فخرج ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه يتار لاهله الطعام فاقاه فقال له من ربك قال ربي
الذي يحي ويميت **قال انا احى واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فانت بها**
من المغرب فهتلك كفر فزده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فر على كتيب من اعتر
فاخذ منه تطيبا للقلب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت
زوجته سارة الى رحله ففتحت فاذا هو طعام اجود مما راه احد فصنعت منه خبزا
فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان عمدا اهله وليس عندهم طعام فقالت
من الطعام الذي جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه محمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث
الى مزود الجبار ان من سب واتركك في ملكك قال اهله بغيري فجاه الثانية فقال له مثل ذلك
ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك لجمع الجبار جموعه
فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سارت الشمس فلم يروها فبغى الله عليهم
فاكلت كورهم وشربت دماهم فلم يبق الا العظام ومزود ينظر ولم يصبه شي من ذلك ثم
بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعة سنه يضرب راسه بالظاف
وكان رحم الناس به من جمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك يعذبا رعايه
سنة مدة ملكه حتى امانه الله عز وجل ومعنى اذ قال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت
هذا جواب سوال غير مذكور فقهيره قال له مزود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت
قال يعني مزودنا احى واميت قال اكثر المفسرين مزود جليل فقتل احدهما واحتجبا
الاخر فجعل ترك القتل احيا فاستقبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجز عن نصر
حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحيا الحيا الميت فكان لابراهيم ان يقول
لنمزد فاحي من امتك كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى وضح من الاولى لما راى من قصور
فهم مزود وصنع ابراهيم عارض الفعل بمثله ونسي اخلاق الفيلق قال ابراهيم فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فانت بها من المغرب فهتلك كفر يعني تجبر مزود وشي وانقطع
حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بعث الذي كفر وكان يمكنه
ان يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقبله لانه خاف ان يوسل
ذلك عا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة مزود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرعه عن

ملك الملك ان كان يظن ان الله

عن تلك المعارضة اظهار الحق عليه ومعجزة لبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني لا يرشدكم الى حجة يدحضون بها حج اهل
الحق عند الحاجة والمخاصمة وعني بالظالمين من ود قوله عز وجل **او كاذبي مرتبة** هذه
معطوفة على الآية قبلها والمعنى الم ترا الى الذي حاج ابراهيم او كاذبي مرتبة فيكون هذا
عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كاذبي حاج ابراهيم وهل رايت كاذبي مرتبة
قرية وقيل الكافر اية والتقدير الم ترا الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مرتبة
واختلفوا في ذلك الما فروى عن مجاهد انه كان كافرا ليك في البعد وهذا قول ضعيف
لقوله تعالى كرم لبت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى لنجعلك آية للناس وهذا
اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي وهو
عزيز بن سرحيا وقال هب بن منبه هو ارميا بن خلتيا من سبط هارون وهو
الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث فذرة الله تعالى على احياء خلقه
بعد ما ماتتم لا تعريف اسم ذلك الما على القرية فجايز ان يكون ذلك الما هو عزير
وجايز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنسبة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبى لم يقرأ الكتب
القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل بي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر
والمراد بالاحياء اعمارها وقيل بي القرية التي اهلك الله اهلها التي خرجوا من
ديارهم وهم الوف وقيل هي ديار اباد وقيل سلما باذ وقيل دير هزقل وقيل هي قرية
العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وهي **خاوية على عروشها** اي ساقطة على سفوفها
وذلك ان السقوف سقطت ولا تروى وقت الحيطان عليها بعد ذلك **قال** يعني ذلك
الما راى **في هذه** الله بعد موته **فان** قال ان ذلك الما كان كافرا وهو ضعيفا فاحمله على
الشك في قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجازي
العرف والعادة لاعلى سبيل الانكار لقدرة الله تعالى وكان المقصود منه طلب زيادة
الدلائل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تخي الموتى ومعنى اني يحيى
هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء اعمارها فاحب الله ان يريته آية في
نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روى عن وهب بن منبه
ان الله تعالى بعث ارميا الى ناسية بن اموص ملك بني اسرائيل لبيده ويأتيه بالخبر
من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا
ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احدا ثم وادعهم الى فقال يا ارميا يا رب اني
ضعيف ان لم تقوى عاجزان لم تبلغني مخدولان لم تنصروني فقال الله تعالى اني اله الامم

ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالحمد لله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين
لهم فيها ثواب لطاعة وعقاب لمعصية وقال في اخرها عز وجل اني
احلف بعزتي لا قبضن لكم فتنة ينجيها الحكيم ولا سلطان عليهم جبارا فافا رسيا الله
الهيبة واتزع من صدره الرحمة ببتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى
اني مهلك بني اسرائيل يا فت ويا فت هم اهل يابل وهم من ولد يافت بن نوح فلما سمع
ارميا صاوح وبكى وشق ثيابه ونفذ الرماد على راسه فلما راي الله نصره وبكا ناداه
يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب هلكتي قبل ان اري في بني اسرائيل
مالا اسريه فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر
في ذلك من قبلك وفرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق
لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتي الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر
وفرح وقال ان بعدنا نبيا فبذنبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك
الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتنادوا في السر قبل الوحى وذلك حين اقرب
هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابل
فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائر واتى الخبر الى ملك
بني اسرائيل قال لارميا اينما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف
الميعاد وانا به واثق فلما قرب لاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تم له في صورة
رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استتبعك
في اهل رحى وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزدنهم اكرامى اياهم الا اسخطا الى
فاقتنى فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وسلم وابشر بخير فانظر الملك فكث
اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعده بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي
اتيتك استتبعك في شان اهل بيت المقدس فقال له ارميا اما طرقت اخلاقم بعد ذلك فيهم فقال يا بني
الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمة الا قدمتها اليهم
وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلي عباده المصلحين ان
يصليهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففرغ منهم
بنوا اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا بني الله اينما وعدك الله تعالى فقال اني بربى واثق
ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وموقعا على جدار بيت المقدس يصيح ويشتبش بنصر
ربه الذي وعده فقعده بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي جيتك في شان
اهل بيت المقدس فقال ارميا ان لم ان يغفوا من الذي هم فيه فقال الملك يا بني الله ان كل شئ
كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصير عليه فالיום رايتهم على عمل لا يرضى الله تعالى

فقال ارميا على اي عمل رايتهم قال على عظيم بسخط الله تعالى فغضبت الله عز وجل فاني
لاخبرك وانا اسالك بالله الذي بعثك بلحق ان تدعوا الله عليهم ليقتلهم كوا قالا ارميا
يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابعثهم وان كانوا على غير ما
قالهم فما خرجت لكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت
المقدس فالتهب مكان القربان واحترقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح
وسق وشابه ونبه الرما د على ابيه وقال يا مالك السموات والارض ابعديهم عادي الذي وعدني
به فتودى انه لم يصبر ما اصابهم الا بقتيل ودعا اليك عليهم فاستيقن ارميا انها قتياله
وان ذلك الشايل كان رسول الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل تحت نصر
وجنوده بيت المقدس واصر جنوده ان يلا كل رجل منهم ترسه تراكا ويدخله في بيت المقدس
فعلوا ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلده ان بيت المقدس فاجتمع عنده من
كان بقي من بني اسرائيل من صغير وكبير فاختر منهم سبعين الف صبى قسمهم بين الملوك
الذي كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة غلّة وكان في اولئك الغلمان انايا وخاينا وعزير
وقوق من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلاثا قتلهم وثلاثا سبواهم وثلاثا اقرهم بالشام فكانت
هذه الواقعة الاولى التي اترها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما ولي بخت نصر رجعا الى بابل ومعه
سبايا بني اسرائيل اقبل ارميا على حماره ومعه عصير عنب وركوة وسلة تير حتى غشي ايليا
وبني اسرائيل بيت المقدس فلما راى خرابها قال في يحيى هذه الله بعد مولها ومن قال ان الماركان
عزير اقال بخت نصر لما خرب بيت المقدس وادم ببني اسرائيل وكان فيهم عزير ورواينا
وسبعة الاف من اهل بيته او دفما جاعز من بابل الى بابل على حمار حتى تراءى بهز قل على شط
دجلة فطاف في القرية فلم ير لحداء وغامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب
فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما راى خراب القرية وهلاك
اهلها قال في يحيى هذه الله بعد موتها وانا قال ذلك تعجبا لاسكان في البعث ورجعا الى حديث
وهب قال ثمران ارميا ربط حماره بحبل جديد والقي الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه
الروح مائة عام وامات حماره وبقي عصيره ونبينه فيه واعلى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك
ضحى ومنع كحد من السباع والطيور فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا
الى ملك من ملوك فارس يقال له موشك وقال له ان الله يامر ان تنزع بقومك فتم بيت المقدس
وايليا حتى يعود اعمى ما كان فانتدب الملك في الف قهرمان مع كل قهرمان ثلث مائة الف عامل
وجعلوا صر وها واهلك الله تعالى بخت نصر سبعون دختة ما غده ونجى الله من بقي من
بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فمر بها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن
ما كانوا فلما مضت لمائة احيا الله منه عينييه وساير جسده ميت ثم احيا الله جسده

وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا احماره عظيمة تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها
العظام البالية ان الله يامر ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامر ان تلتقي
كما وجدك ا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامر ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامر ان تلتقي
فنودي ور في الغلوات فذلك قوله تعالى **فاما ان الله مائة عام** اصل العام من العوم وهو الباحة
سميت السنة عاما لان الشمس تقوم في جميع برجها **مئة بعثة** اي ثم احياه واصله من
بعثت لنا فاذ اقامتها من مكاتها **قال كمل بئنت** يعني قال الله له كمل قدر الزمان
الذي مكثت فيه ميتا قبل ان بعثك من ماتك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث
اليه ملكا فساله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد مائة لبثت يوما وذلك
ان الله تعالى امانته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب
الشمس فقال **لبثت يوما** وما ويرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس
فقال **وبعض يوم** قال يعني قال الله تعالى له وقيل قاله الملك **بل لبثت مائة عام**
فا نظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته **وشرايك** يعني ذلك العصير
لم يتسنه يعني لم يتغيره السنون التي انت عليه فكان التين كما انه قد قطف من ساعته
لم يتغير ولم ينتن **وانظر الى حمارك** اي وانظر الى احياه حمارك فتنظر فاذا هو عظام بيض
فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر
ولجعلك ايت للناس قيل الواو زائدة محبة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط
لفعل بعده والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الامانة والاحياء لجعلك اية للناس يعني
عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو
شاب اسود الراس والحجبة واولاده واولاد اولاده وشيوخ وعجايز شملط فكان
ذلك اية للناس **وانظر الى العظام كيف ننسوها ثم ننسوها كما** فري بالراء ومعناه
كيف نجعلها يقال لنسرها الله الميت انتشار اي احياه وفري بالراء ومعناه كيف
نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الحسد ونركب بعضها على بعض وانتشار
الشي رفعه وانتزاعه يقال نشرته فلنشراى رفعة فارفع واختلفوا في معنى الآية
فقال لا كثر وزانه اراد عظام الحمار وقيل ان الله تعالى لما احياه عزير او ارميا
على اختلاف القولين فيه ثم قاله انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فتنظر وبعث
الله رجلا فجات بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فتركب بعضها على بعض حتى
الكثر من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم
ثم كسى الله تلك العظام اللحم والعرق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه
ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه ميت حتى اخذ بمخ الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار

حياءاً لله ثم ينفق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى
امانه ثم بعثه ولم يميت حمارة ثم قيل لها انظر الى حمارك فتظفر في حمارة حيا قايما كهيئة يوم
ربطه لم يطعم ولم يشرب ما يدهن حمام ونظر الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى
العظام وذلك ان الله اول ما احل له عينيه فتظفر في سائر جسده ميتا وفي الآية تقديم
وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف تنشرها ولتجعلك آية
وعز ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزير ابعده ما امانه ما يدهن سنة ركب
حمارة حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكره هو الناس وانكره ما زله فانطلق على وهم
حتى اتى منزله فاذا بجوز عجميا مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة
لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفت وعقلته فقال
لها عزير يا هذه هذا من اهل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت احدا ابكر عزيرا
منذ كه او كذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزير اقعدها من مائة سنة ولم
نسبح له بذكر فقال في عزير ان الله امانه مائة سنة ثم احيا في فقال ان عزيرا
كان رجلا بحجاب الدعوة فكان يدعو لم يرض وصاحبا لبلايا العافية فادع الله ان
يرد علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فعد عاربه ومسح يده على عينها فصحتا
واخذ بيدها وقال لها قومي يا ذر الله فاطلق الله رجلا فقامت صحيحة فطقت اليه
وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم
واين عزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو ابيه شيوخ فنادت هذا عزير
قد جاءكم فكم بوهها فقالت انا فلانة مولاكم قد عادى عزير ربهم فرد على بصري واطلق حلي
وزعم ان الله كان قد امانه مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان
لاي شامة سودا مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فراهها فعرف
انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد اخرجت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد
بين الخليل وبين عزير على التوراة فاناه ملك بانافيه ما فسقاه من ذلك لما تمكنت
التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير
فلم يصدقوه فقال في عزير قد بعثني الله اليكم لاجد دكم توراةكم قالوا فاملها علينا
فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت
الا اند ابنه فقالوا عزير ابن الله وستا في القصة في سورة التوبة ان شا الله تعالى
وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما انقضى له عينا فاما كان ينكره من احيا القرية وراه عينا فاما
في نفسه قال العلم قري مجزوعا موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرى اعلم على قطع
المنزلة ورفع الميم على الخبر عن الذي قال في يحيى هذه الله والمعنى فلما تبين له ولما يري ذلك

عينا قال ان الله على كل شئ قدير يعني الامانة والاحيا قوله عز وجل **واذ قال ابراهيم**
رب اني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه
مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر
وقيل بحر طبرية فراهها وقد توارى عنها واداب البحر والبر فاذا امده البحر جاتا احتيازا فاكلت منها
واذا جزر البحر جات السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جات الطير فاكلت منها فلما راي
ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير
واجواف دواب البحر فادنى كيف تحيها لا عاين ذلك فانزاد يقينا فعاتبه الله تعالى فقال
اولم تؤمن يعني اولم تصدق **قال بلى يا رب** قد علمت وامنت **ولكن ليطين قلبي** اي ليسكن قلبي
عند المعايينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عن اليقين لان الخبر ليس
كالمعينة وقيل لما راي الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف
يجمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم
عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين
يجوز ان يروا نبيا لهم محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونه
وتسألون في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فذكر ذلك اجل ابراهيم ان يصير
الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما اخرج على نمرود فقال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احده الرجلين واطلق الآخر فقال
ابراهيم ان الله تعالى يقصم الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم
ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سأل ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطين قلبي بقوة يحيي فاذا قيل في انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اخذ
الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذا نزل في ابراهيم
ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من غير الناس كان اذا خرج اغلق باباه فلما جاءه
في الدار رجلا فتاب اليه لياخذه وقال من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي ربي لدار فقال
ابراهيم صدقت وعرفت انه ملك الموت فقال له من انت قال انا ملك الموت حيث ابشرك ان الله
قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعائك ويحيي الموتى
بسؤالك فتح قال ابراهيم رب ارفني كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطين قلبي
انك اتخذتني خليلا وتحييني اذ ادعوتك ونفطيتني اسالك **ق** عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نحن اولي بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارفني كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطين قلبي ورحم الله لوطا لقد كان ياكل من كثر شديد وليس في السجى ما لبث
يوسف لاجتال الدعوى القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم

حذره
الحق

تحل حق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها وانما نقل المرفي وغيره من العلماء
ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان مستطرقا الى الانبياء لكاننا احق
به من ابراهيم وقد علمت اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون
الاية قد سبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك ففني ذلك عنه وقال الخطابي ليس في
قوله تحل حق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك
عنه ما يقول ان الشك انما في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك
على سبيل التواضع والعظم من النفس وكذا قوله لولبت في السجن طورا لثي يوسف
لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسيلة من ابراهيم لم تعرض على جهة الشك لكن من قبل
زيادة العلم بالعيان في هذه المعرفة والطمانينة ما لا يفيد بالاستدلال وقيل لما تزلزلت
هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحل حق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونته شكنا انا ولى به
فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه
صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم وانما
تفسير الاية فقوله تعالى واذا قال ابراهيم اي اذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف
على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدم الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم
تر اذ قال ابراهيم رب اني كنت خفي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم او لم تؤمن الاكث في اوكلم
الغائبات وليجاب كقول جرير الستم خير من رب المطايا اي الستم كذا لك والمعنى اولست
قد امتت وصدقت بانني قد احيى الموتى قال بلي قد امتت وصدقت ولكن ليظن قلبي يعني سالتك
ذلك ارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لا رى
من اياتك واعلم انك قد اجبتني **قال في اربعة من الطير** قيل اخذ طاووسا وديكا وحمامة
وغرابا وقيل انشرا بذر الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت
لان الطير صفة الطير ان في السماء والارتفاع في الهوى وكانت بمكة ابراهيم عليه السلام كذلك
وموا العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزات كماله لفته فان قلت لم خص هذه الاربعة
الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة في الطاووس اشارة الى ما في الانسان من حب
الرياسة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف
بالحب والنكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص في هذه الطيور مشابهاة لما في الانسان
من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة
حق على الدرجات وفاز بنيل السعادات **فصل في قرى بكسر الصاد ومعناه** قطعهن
ومن قرى بضم الصاد ومعناه املهن **البك** ووجهه في وقيل معناه اجمعهن

والبيان

واضمهن

واضمهن اليك فمن قره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم
قطعهن فحذفه اكتفا بقوله **ثم اجعل على كل جيل منهن جزا** لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور ويقترب ريشها وان يخلط
ريشها وحمها ودمها بعصه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جيل منهن جزا واقتلوا
في عدد الاجزاء والحيات فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على
اربعة اجل على كل جيل ربعا من كل طائر قبل جيل على جهة الشرق وجيل على جهة الغرب
وجيل على جهة الشمال وجيل على جهة الجنوب وقيل اجزاء سبعة اجزاء ووضعها على
سبعة اجل وامسك رؤسهم بيده ثم دعا من فقال تعالى يا ذن الله تعالى فجعل كل قطرة
من دم طائر نظير الى القطرة الاخرى وكل ريشة نظير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت
كل جثة بعضها بعضا في السما بغير رؤس ثم اقبلن سعيان الى رؤسهن كلما جاتا يتوال براسه
فان كان براسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طائر براسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهم**
يا بنيك سعيان قيل المراد بالسعي الاسرع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه
دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبه لانه لو طارت لتوهم متوهم انهما غير الطير وان
ارجلها غير سليمة ففني الله تعالى هذه الشبهة بقول يا بنيك سعيان وقيل المراد بالسعي
الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعي وقيل السعي هو الحركة الشديدة
واعلم ان الله عز وجل يعني انه تعالى غالب على جميع الاسباب لا ينجو شيء **حكيم** يعني في جميع اموره
قوله تعالى **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل اراد به الاتفاق في الجهاد وقيل هو الاتفاق
في جميع ابواب الخير ووجه البر في ذلك فيه الواجب والتطوع وفيه انما تقديره مثل
صدقات الذين ينفقون اموالهم **كحل حجة** اي كمثل ذراع حجة **انبتت** يعني اخرجت تلك الحجة
سبع سائل جمع سنبل في كل سنبل ثمانية حبة فان قلت فلهذا لا يسميها مائة حبة
حتى يضرب المشبه بها قلت في الاغصان مستحيل ومما لا يكون مستحيلا تقرب المشبه جاز
وان لم يوجد والمعنى في كل سنبل مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن
وقيل ان المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والرفع انه اذا بذر حبة واحدة
اخرجت له سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فذلك لا ينبغي لمن طلب
الاجر عند الله في الآخرة انه لا يترك الاتفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة وساية
وسبعماية **والله يصنع لربيبا** يعني انه تعالى يصنع هذه المصاعف لمن يشاء وقيل معناه
يصنع على هذه او يزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء الله من الاضغاف
مما لا يعلمه الا الله **واسع** اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة
وهو الجود والافعال **عليهم** يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل يعلم بمقادير الاتفاق بما يستحق

المتفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله** قيل ترك
في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ما عثمان فجز السليم في غزوة تبوك بالغ بعير
بأقباها وحلها فقلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في
جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرائته يدخل يده فيها ويقلها ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن
فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف
فأمسكت أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجهما إلى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين
في سبيل الله بالاتفاق عليهم في حوائجهم وموئنتهم **ثم لا يبتغون ما انفقوا من أموالهم ولا ذي**
أي يبتغى نفقته التي انفقها عليهم بالمال والادنى وهو أن يبتغى عليه عطية فيقول قد أعطيتك
كذا وكذا أفبعد دعه عليه فيكرها عليه والادنى هو أن يعيره فيقول كم تسال وانت فقير
أبدا وقد بليت بك وأراحتني الله منك وأما ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقلة
يقال من فلان على فلان إذا انقلبه بالمنة وقد يكون ذلك القول أيضا منقوضه قول الشاعر
فمن عينا بالسلام فاما كلامك يا قوت ودر منظم ومن المن بالمال ما هو مستفاد من الناس
مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن يزيد كانا في بعض بلادنا أعطيت رجلا
شيئا ورأيت زسلا مكا ينقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم
على اظهارها والمن به قال قائلهم في المدح بترك المن زاد معروفا عندي عظما انه عنده
مستور حقيرة تناساه كان لم تاته وهو في العالم مشهور كبير وقال قائلهم يدم
المنان بالعطا انيت قليلا ثم اسرعت منته فيلك ممنون قد اذ قليل وأما الادنى
فهو ما يصل إلى الانسان من ضرر يقول او فعل اذا عرفت هذا فتقول المن هو اظهار
المعروف إلى الناس والمن عليهم به والادنى هو ان يشكى منهم بسبب ما اعطاهم فخرم الله
تعالى على عباد المن المعروف والادنى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصفك الله تعالى
نفسه بالمنان في الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل في الله فضاله
على عباد الله واحسانه اليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تغيير وتكبير
فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **الهم اجزم** يعني ثوابهم **عند ربهم** يعني في الآخرة **ولا خوف**
عليهم يعني يوم القيامة **ولا هم يخزفون** يعني على ما خلفوا من الدنيا **قول معروف** أي كلام حسن
ورجميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يوعدة بها وقيل دعاء صالح ليدعوله بظن
الغيب **ومغفرة** أي شتر عليه خلته وفقره ولا تنقص ستره وقيل هو ان يجاوز
عن الفقير اذا استطاع عليه حاله رده **خير من صدقة** يعني هذا القول المعروف والمغفرة

خير من الصدقة التي تدفعها إلى الفقير **يتبعها الذي** وهو ان تعطى الفقير الصدقة وتمن
عليه بها وتعيه بقولك تؤذيه بفعل **والله غني** أي مستغنى عن صدقة العباد والغنى
الكامل الذي لا يحتاج إلى احد وليس كذلك إلا الله تعالى **جليم** يعني أنه تعالى جليم لا يجعل
بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقة قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا**
صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم **بالمال والادنى** يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالن
على الله والادنى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى **الذي** أي كاي حال الذي
ينفق ماله رياء الناس أي مرياة لهم وسمعة لير وانفقته ويقولوا انه سخي كريم **ولا يوم من**
بالله واليوم الآخر يعني ان الريا يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المنيق
لكن من فعل المنافقين لان الكافر يعلن بكمه غير مري به **فمثل** أي مثله المري بصدقة
وساير اعماله **كمثل صفوان** هو الحجار الملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال
واحد صفوانه ومن جعله واحدا قال جمعه صفي **عليه تراب** أي على ذلك الصفوان تراب
فأصابه وابل يعني المطر الشديد العظيم القطر **فتركه صله** أي ترك المطر ذلك الصفوان
صلا الملس لا شيء عليه من ذلك التراب فقد امسك صربه الله تعالى النفقة المناق والمري
والمومن المنان بصدقة ويورى الناس يرى الناس ان لم يولاهما لا في الظاهر كما يرى التراب
على هذا الصفوان فاذا جال الطراد هبه واذا له وكذلك حاله هو لا يوم القيامة تبطل اعمالهم
وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب لو ابل ما على الصفوان من التراب **لا يقدر** و**عليه شيء** **مما**
كسبوا أي لا يقدر و**عليه ثواب** شيء مما عملوا في الدنيا **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني الذين
سبق في علمهم انهم يوتون على الكفر وروى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم قال لان خوف ما اخاف عليكم الشرك الا صغيرا قالوا يا رسول الله وما الشرك الا صغير
قال لا ريبا بينا الام يوم يجازى العباد باعمالهم اذ هبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون
عندهم جزاء عن اي هجرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
انا اعتنى الشرك على الشرك من عمل علة اشرك فيه مع غيري تركته وشركه قوله عز وجل **ومثل الذين**
ينفقون أموالهم ابتغاء موات الله أي طلب موات الله **وتبديت انفسهم** يعني على الاتفاق في طاعة
الله ونقد يقاب ثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة يوعد الله اياها فيما انفق
وقيل احسانا وقيل بصدقة المعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر
وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بانفقوا على البيتين ثواب الله ونقد يقاب بوعده
يعلمون ان ما انفقوا خيرا لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بخلاف الله عليهم وقيل معناه
انهم يثبتون في الموضع الذي ينفقون فيه صدقا لهم قيل كان الرجل اذا هرب بصدقة تنبت
فان كانت له خالصة امضاها وان خالطه شركا او ربا امسك **كمثل جنة** أي بستان قال القرأ

اذا كان في البستان تحمل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس **برجوة** هي المكان المرتفع عن الارض
السوى ولا ن ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والادوية كان ثمرا احسن واذا كان لها
من الماء يروىها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفعت وربت
فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها **اصابها ابل** وهو المطر الكثير
الشديد قال بعضهم ما روضته من رياض الخبز معشبة مخضرا جاد عليها وابل هطل اراد
بالخز ما غلظ وارتفع من الارض **فانت اكلها ضعفين** اي فاعطت ثمرها مثلين قيل انها حملت
في سنة من الربيع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت تحملت في السنة مرتين **فان لم يصبها**
وابل فطل اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل وصابها طل
فذلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالابل
وهذا مثل ضرب الله تعالى العمل المؤمن المخلص في اتقائه وسائر اعماله يقول الله تعالى ان هذه
الجنة تربع وترتني كل حال ولا تخلق سوا كان المطر قليلا او كثيرا فذلك يضاعف الله صدقة
المؤمن المخلص في صدقته واتقائه الذي لا يمن ولا يودي سوا قلت نفقته او كثر **والله بانها**
بصبر يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن ولا يودي والذي
يمن بصدقته ويودي قوله تعالى **ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب** هذه متصلة بما
قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى ايود يعني ايجل حدكم ان تكون له جنة
اي بستان من نخيل واعناب ما خصها بالذكر لانها اشرف الفواكه واحسنها ولما فيها من الغذاء
والنفقة **تجري من تحتها الانهار** يعني ان جرى الانهار فيها من تمام حسناتها وسبب الزيادة ثم نقا
له فيها من كل الثمرات لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه **واصابه الكبر** يعني صاحب هذه الجنة
مكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فقلت
كيف عطفه واصابه الكبر على يود وكيف يجوز عطفه لما عطف على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون له جنة خالما واصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر **وله ذرية من بعد** يعني له اولاد صغارا نخرة عن الحركة بسبب الشيخوخة والسنه
فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستبد
كانها عمود وهذا مثل ضرب الله تعالى العمل الخائق والاراي يقول مثل المنافق والاراي يعمل في حسنه
بحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد من عاف اصاب جنة
اعصار فيه نار فاحترقها وهو اوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من النعم والطمع ما لا يعلمه
الا الله لكبره وضعفه وضعف ولاده فهو لا يجده ما يعود به الى اولاده وهو لا يجدهون
ما يعودون به عليه فنبهوا جميعا متحيزين بخير لاحيلة لم يراهم فذلك الحال من اتي
يوم القيامة باعمال حسنه ولم يقصد لها وجهه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية

الحاجه الخبير لا مستغيب له ولا نوبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يومنا لا يصح بالنبى صلى الله
عليه وسلم في من ترون ثلث هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم بغيره عمر وقال قولوا
نقله ولا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال عمر قليا ابن ابي ولا تخف
نفسك فقال ضرب الله مثلا لعل قال لاى عمل قال الرجل غني بطاعة الله تعالى ثلث الله له
الشیطان فعمر يا معاشر حتى احرق اعماله كلها **لكم الله** يعني لكم **الايات** يعني كما بين لكم الله تعالى
امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذا للذين بين لكم من الايات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون**
اي تستعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني زوال الدنيا وبقا الاخرة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا من طبائت ما كسبتم اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من هلا لالت
ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على باحة الكسب والله ينقسم الى طيب وخبيث
عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو
من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوف من فماتت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم
القيامة الا النار اخبره الترمذي المتخوف الذي اخذ المال من غير وجهه كما يخون الانسان في
المال بينا وشمالا **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي
المرد ما اخذ منه امن جلال ام من حرام **خ** عن المتكلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد
طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبى الله داود كان ياكل من علبه عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان طيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجهم الترمذي
والنساء واختلفوا في المراد بقوله تعالى اتقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة وقيل ان الامر للوجوه
والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرص
والنقل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قد مر ذكره
ينال الفرص والنقل فوجب ان يدخل تحت هذا الفرق في القول الاول ان المراد من هذا الاتفاق ما هو
الزكاة فيخرج عليه مسائل المسئلة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكسبه
الانسان فيه دخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بان
مكتسب وفيه شبهة جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة
بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سرة بن جندب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي يبيع البع اخرج ابو داود
وعن ابن عمر بن عباس ان اباهم قال مررت بعمر بن الخطاب وعليه عني امة اجملها فقال عمر لا تؤذي
زكاته يا حارس فقلت مالي غير هذا واشت في القربى قال لا مال فضع فوضعتها فحسبها فاخذ
منها الزكاة فاذا الحال المحل على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرة دراهم او مائة درهم
اخرج منه ربع العشر المسئلة الثانية في قوله **وما اخرجناكم من الارض** قطا به الاية يدل على وجوب

الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات ما يزرع الا دميون لكن جمهور العلماء خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخل والكروم وفيما يقتات ويذخر من الحبوب واوجب
ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقتصد من نبات الارض كالنواكح والبقول والخضراوات كالبطيخ
والقثا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
يساله عن الخضراوات وبني البقول فقال ليس فيها شيء اخرجته الترمذي وقال هذا الحديث
ليس بصحيح وليس صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وما يروى هذا عن موسى
ابن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل والعمل على هذا عند اهل العلم ان ليس في الخضراوات
صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجته الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد السلام
ابن عبد الله بن تميم الخرافي في احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان
ياخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك
لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثر في سننه
ومما قوى المراسيل لا يحتاج من امره سله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة
في الزيتون وتجب الزكاة في التمار عند به والصالح وموانع بحد البصر ويصغر وقت
الخراج بغير الاجتناف والجفاف وفي الحبوب عند الاستعداد ووقت اخراج بقعة الدالين
والنصفية المسلة الثالثة يجب خراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف
العشر فيما سقى بنهر او سانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
فيما سقى السماء والعيون او كان غيرهما العشر وما سقى بالنهر نصف العشر اخرجته البخاري
ولا في داود والنسائي قال فيما سقى السماء والانهار والعيون وكان بعلا العشر وما سقى
بالسواقي والنفع نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بوردته ولم يتعب في سقيه وقال
وكيع هو الذي يثبت من ما السائل قوله او كان غيرهما العشر ما سقى بالنهر من الزرع وهو البعل
وقد فسره في لفظ الحديث والنفع وهو الاستقاوكة للساقية وهي الدابة التي يسقى
عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجزئ العشر في التمار والزرع حتى تبلغ خمسة اوسق
والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب لعشر في كل قليل او كثير من التمار والزرع
واصح الجمهور في ايجاب النصاب ما روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما
دون خمسة صفة وفي رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر ولا حبة صدقة اخرجته
في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم
من الارض صدقة المتطوع اخرجته ما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعيا فاكل منه طير او انسان او بيمة الا كان له به صدقة

اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا
لكم من الارض صدقة المتطوع اخرجته ما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعيا فاكل منه طير او انسان او بيمة الا كان له به
صدقة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث** اي ولا تنقصه والخبيث
يعني الردي من اموالكم **منه تنفقون** اي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون قال تزلت فينا معشر الانصار كما اصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته
وقلته وكان الرجل يأتي بالتمور والتمور فيعلقه في السجدة وكان امدل الصنفه ليس لهم طعام
فكان احدهم اذا جاع اتى التمور ففرض به بعضاه فسقط البسر والتمر فياكله كان ناس ممن
لا يرعب في الخبز ياتي بالتقوية الشيع والخش وبالقنوقد انكسر فبطلت فارتل الله تبارك
وتعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون **ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه** قالوا لو ان احدكم اهدى الىه مثل ما اعطى
لم ياخذ ما اعطى غماض وجا قال فكنا بعدد لما ياتي احدنا بصالح مما عنده اخرجته الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشراهم ووزالة اموالهم ويعزلون
الجيد لا نفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تنفقون ولستم
باخذيه يعني ذلك الردي الا ان تغمضوا فيه الغماض في اللغة غرض البصر وطباق الجفني والمراد
به هنا التجوز والساملة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره غمض عينيه لئلا يرى ذلك وقال
ابن عيسى معناه لو ان احدكم على رجل حقا فجاءه فلهذا لم ياخذ الا ما هو يرى قد غمض عن حقه
وتركه وقال البراء الواهدي ذلك ما اخذتموه الاعلى استحياء من حاجه وغيظ فكيف ترمون لي
ما لا ترضون لانفسكم اذا كان لما لك حبة افليس له اعطى الردي لان اهل السهمان شركاه فيما
عنده وان كان كلهم يراي فلا بأس باعطاء الردي **واعلموا ان الله عني** يعني عن صدقاتكم لم يامركم
بالصدق لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي جزيكم
على ما تعلمونه من الخير قوله عز وجل **الشیطان یعدکم الفقر** اي يخوفكم بالفقر يقال اعدته
خيرا او اعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر اعدته والفقر
سؤال الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم
بالفقر ويقول للرجل امسك عليك ما لك فانك اذا انصدقت افتقرت **ويا مكره بالفخشا**
يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فخشا في القرآن
فهو الزنا الامد الموضع وفي الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل ولا بالفقر
ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامر بالفخشا وهو البخل وذلك لان البخل منه مذمومة
عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر

فلهذا قال تعالى الشيطان يعبدكم ان يعبدكم الفقر ويأمركم بالخشا **واسم** **يعبدكم** مغفرة منه يعني مغفرة
لذنوبكم وسائر اكم **وقض** يعني رزقا وخلفا للمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفصل اشارة
الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان لم يزل يامر ادم والملك لم يزل يامر ادم بالسيادة والشيطان يامر ادم بالخشا
واما ملك الملك فليعلم ان الشيطان يامر ادم بالخشا فليعلم ان الشيطان يامر ادم بالخشا
وجده الاخرى فليست عودا بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعبدكم الفقر ويأمركم بالخشا
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب قوله ان الشيطان لم يزل يامر ادم بالخشا
الواجدة من الامار وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل
خير او شر والعزم فاما اللمة الشيطان فوسوسته وامامة الملك فالها من اسم تعالى **واسم** **واسم**
اي عني قادر على اغتيابكم واخلاف ما تنفقونه **عليكم** ما تنفقونه لا يخفى عليه خافية **وعني** اي
ما ربه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم **يعبدكم** فيه العباد الا ملكا يقول ان يقول
احد ما الله اعط منقنا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا **تلقا** عن ابي هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يده الله ملاي لا تنقضها
نفقة سخا الليل والنهار وقال ارايتكم ما انفق من خلق السموات والارض فانه لم ينقض ما في
يده وفي رواية فانه لم ينقض ما في يمينه وكان عمره على الماء وبه الميزان يخفص ويرفع وفي رواية
وبه الاخرى الغيظ والقبض يرفع ويخفص **وعني** اي بما ينبت في بطن الصدوق قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انفق ولا تنقض فيجزي عليك ولا تنقض فيجزي عليك قوله ولا تنقض فيجزي عليك
فليس عليك اي فيجازيك بالتقديري فيجزي عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمع وتمنعي
بلا تنقض ولا تنقض فيجزي عليك قوله تعالى **بوق الحكمة** من **بوق الحكمة** من **بوق الحكمة** من
ومحكمه ومتسابعه ومقدمه وموضعه وحلاله وحرامه وقال الصالح القران والفهم
فيه وانما قال ذلك لتضمن القران الحكمة وقال في القران ماية وتسع ايات ناسخة ومنسوخة
والفانية حلال وحرام لا يسع المؤمن ترك حتى يعلم هو ولا تكونوا كاهل النهر وان يعنى
الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها ففسدوا
بها الدماء وانفقوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فليعلمكم بعلم القران فانه
من علم فيعلم انما يخلف في شيء منه وقيل في القران والعلم والفقه وقيل في الاصابة في القول
والفعل وحاصل هذه الاقوال ان الشيطان يامر ادم بالخشا ومعرفته الاشياء وادائها واصول
الحكمة المنع ومنه حكمة الاله لا يها تمنعها قال الشاعر ابي خنيفة احكموا سفهاكم
اي امنعوا سفهاكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل
الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام وما لا يجوز له فلهذا **من**

الحكمة يعني ومن نوته الله الحكمة **فقد** **او في خير الكبر** **او في خير الكبر** **او في خير الكبر**
وما يذكر الا اولوا الالباب وما يتعظم بما وعظه الله الا ذوا العقول الذين عقلوا عن الله
امرهم ولغيبه قوله عز وجل **وما انفقتم من نفقة** يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطان كفاة وغيرها
او نذرتم من نذر يعني به ما وجبتموه على انفسكم في طاعة الله تعالى فوفيتهم به والنذر ان يوجب
الانسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصلة من الخوف لان الانسان انما
يقعد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المأمور والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر
فالمفسر ان يقول الله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزى به غيره وغير
المفسر هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعل كذا او يقول الله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه
فيه كفارة يمين عن عابثة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله
فليطعه ومن نذر ان لا يعصى الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من نذر ان لا يبيعه فكفارته كفارة في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر ان لا يطيعه
فكفارته كفارة يمين ومن نذر ان لا يخطا فله فليف به اخرج ابو داود عن عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما يملك ابن ادم اخرج النسائي
وعني ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به
من البخل **م** عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقرب من ابن ادم شيئا لم يكن
الله قدرة له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج به ذلك من البخل شيئا لم يكن البخل يبريه ان يخرج قال
بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النذر كون الناذر يصير ملزما ما لا ياتي به فكلفا
بغير نشاط ويكون سببه كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقض امره وشأن
العبادة ان تكون متحضرة به تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي كونه قد ينقض بعض الحكمة
ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فتسمى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسيات
الحديث فيؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير فعناء انه لا يرد شيئا من
القدر وقوله فيخرج ذلك من البخل ما لم يكن البخل يبريه ان يخرج معناه انه لا ياتي به هذه
القرية نظوعا محصنا مبتدئا وانما ياتي به في مقابلة شيء يبريه كقوله ان شئني مريض فعلى كذا
او نحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم قوله تعالى **فان الله يعلم اي يعلم** ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم
به وانما قال يعلم ولم يقل يعلم ما لان روح الضمير على الاخرين ما نكوه قوله ومن يكب خطيئة
او اثما ثم يرميه بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله **وما انفقتم** لانها اسم فمكوه قوله
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به فلم يقل **وما** **للظالمين** يعني الواصدين
الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقة فاقم الديار والسعة وقيل هم الذين
يشهدون بالمال الحرام **من انصار** اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فقيده وعيد عظيم لكل

ظالم قوله تعالى **ان تبدوا الصدقات** اي تظهرها والصدقات ما يخرجها الانسان
من ماله على وجه التبرع فانه خل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع **فما لم ياتي** اي فتممت
الحضرة اي وقيل معناه فتمم الشيء وقيل معناه فتمم شيئا ابدا الصدقات **وان تحفوها**
اي تسروا الصدقة **وتؤتوها الفقرا** اي وتعطوها الفقرا في السر **فما لم ياتي** اي فتممت
افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة والتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع
افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص ولان فيه
بعدا عما تورثه النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير لاخذ
ومما اذا اعطى في السر العنة الذل والانكسار واذا اعطى في العلانية يحصل له الذل
والانكار ويدهل على ان صدقة السر افضل ما روي عن النبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشارع نسا في عبادة الله ورجل
قلبه معلق بالسجدة اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا
عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل صدقة فافضاها حتى لا يعلم ثماله ما تنفق بمينه اخرجاه في الصحيحين
لله ورجل صدقة بصدقة فافضاها حتى لا يعلم ثماله ما تنفق بمينه اخرجاه في الصحيحين
ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد ارضى على نفسه من مداخله الريا في عمله او يكون ممن
يقدر به في فعله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاطرها اخرجها افضل
من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولان في اظهار الزكاة
تغليظ للمعنى التي في الآية واردة في زكاة الفرض وكان احتياؤها خيرا اعلى عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحدا من يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاطرها الزكاة
افضل حتى لا يسهل الظن وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفا افضل
في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى **ونكفرتكم من سيئاتكم** قيل ان من صدقة زكاة تقدر به
ونكفرتكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل ادخل من التبعية ليكون العباد على رجل
ولا يتكلموا او المعنى ونكفرتكم الصغار من سيئاتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر
واسه بما تعلمون خيرا يعني من اظهار الصدقة واحتياها قوله تعالى **ليس عليكم هذا**
قيل سبب ثروته هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرايات واصهار في اليهود وكانوا ينفقونهم
وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا اكرهوا ان ينفقوا بهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل
كانوا ينفقون على فقرا اهل المدينة فلما اكثروا المسلمون نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة
على المشركين كي يحلهم الحاجة على الدخول في الاسلام بحرمه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم
فقر ليس عليكم هذا ومعناه ليس عليكم هذه الآية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاهل ان
يدخلوا في الاسلام فحينئذ يتصدق عليهم فاعلم الله تعالى انه انما بعث بشرا وتدر او داعيا الي الله

بآذنه فاما كونهم مستفيدين فليس ذلك اليك **ولكن الله يهدي من يشاء** يعني ان الله تعالى
يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية من الهداية التوفيق واما الهداية البينات
والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية فاعطوهم ونقدوا
عليهم **وما تنفقوا من خيرا** اي من مال **فلا تنفكوا** اي لا تنفكوا فتنفقوا به انفسكم **وما تنفقوا**
الا ابتغاء وجه الله ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج
هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقته ما عندهم وقيل معناه ولستم
في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تنقصون ولا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا
عليهم اذا كنتم انما تنفقون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض
العلماء لو نفقت على شريك الله كان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة
الا الى المسلمين وهم اهل السهام المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة
القطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة
التطوع اباح الله تعالى ان تصرف في فقر المسلمين وقدر اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز
صرفها الى اهل الذمة بحال **وما تنفقوا من خيرا يوفى اليكم** اي يوفى لكم جزاؤه وقال ابن عباس يباريكم
به يوم القيامة ومعناه يودي لكم جزاؤه ولهذا حسن ادخاله الى مع التوفيق لانه تضمنت معنى
التادية **وانتم لا تعلمون** اي لا تعلمون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل **للفقر الذين احصوا**
اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقر افعيل وهو مورد على موضع اللام من قوله فلا تنفكوا
كانه قال ما تنفقوا من خيرا للفقر وانما تنفقوا لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق
ذكرها للفقر وقيل خبره محذوف تقديره للفقر الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم
فقر المهاجرين كانوا نحو من اربعة رجل لم يكن لهم بالمدنية مساكن ولا عشاير وكانوا ياءون
الى صنع في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويصومون النوى بالهار وكانوا يخرجون في كل سرقة
يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصدقة فحشا الله تعالى الناس على مواساتهم
فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله **في سبيل الله** يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد
في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله **لا يستطعون ضربا في الارض** يعني لا يتفرغون
للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصدقة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم
عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصاروا منى حصنهم المصنعة عن الحرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل اغنيا من الغنفاء**
اي يظن من لم يجهز كالم انهم اغنيا من الغنفاء وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه
يقال تعفنا اذا ترك السوال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنيا لاهلهم الغنفل
وتركهم المسيلة **فهم يساهمون** اي يساهمون في الغنمة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها

هذا فقبل في الحشوع والتواضع وقيل في شراهم من الحاجة والفقر وقيل
في صفة التي هم من الكجوع وراثته ثياهم من الصبر **لايسالون الناس احكاما** يعني
الحكاما قيل اذا كان عنده غدا لايسال عشا واذا كان عنده عشا لايسال غدا
وقيل لايسالون الناس اصلا لانه قال بحسبهم الجاهل اغنيا من التثقف وموزك
المسئلة فعلم بذلك انهم لايسالون الله ولانه قال تعرفهم بسمائهم ولو كانت المسئلة
من شائهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصيد منهم سوال
حتى يقع فيه الخاف فهم لايسالون الناس الحافا ولا غير الخاف **وعن ابي هريرة**
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني
النفسي **عنه** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة
واللقمة والتمر والتمر بل الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفتن به فينصفه
عليه ولا يقوم فيسأل الناس لقط الخاري **عنه** عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان ياخذ احدكم حيلة ثم يأتي باجمل فيأتي بجزمة من حطب على ظهره فيسعيها
خير له من ان يسأل الناس عطاء او منعوم **وعن ابن مسعود** قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسا لمت في وجهه خنوسا وخذل
او كدح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهبا خرجه
ابوداود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سأل وله قيمة او قيمة فقيه لطف اخرج ابو داود وقال زاد هشام في حديثه
وكانت لا وقيمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطا
ابن يسار من منال متكم وله او قيمة او عطا فقه سأل الخافا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله اربعون درهما فهو ملجفت
اخرجه النسائي **عنه** عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم من سأل الناس تكثر افاغيا سأل جمر اقلية قلل او يستكثر وقوله يغني
وما يتفقوا من خير فان الله به علم يعني انه تعالى يعلم مقادير الاتفاق ويجازي عليه
ففيه حث على الصدقة والاتفاق في الطاعة قوله تعالى **الذين ينفقون اموالهم بالليل**
والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه تزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب
كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غير هاتفة قد بددتم ليلاد بددتم نهارا وبددتم
سرا وبددتم علانية وفي رواية عنه قال لما تزلت للفقراء الذين احصوا في سبيل الله بعث
عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصدقة وبعث علي بن ابي طالب في الليل
بوسق من تمر فاثر الله تعالى فيها الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية

حشر
فليست

عني بصفة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان
صدقة الرافضل من صدقة العلانية لانه تعالى قد نفقة الليل على نفقة النهار
وقدم السر على العلانية وقيل تزلت الآية في الذين يبطون الخيل للجهاد في سبيل الله
لانهم يكلفونها بالليل والنهار والسر والعلانية **عنه** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احتسب فرسا في سبيل الله اياها واحتسابا ونفقه يتا بوعده
فان شبعه وريه وروثه ويوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية
عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمل بها اصحابا كاجابة والفاقا
فلهم اجرهم عند ربهم اي جزا اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في الآخرة
قوله عز وجل **الذين ياكلون الربا** اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر
المقصود من المال لان المال لا يוכל انما يصرف في الماكول ثم يוכל فتمنع الله التصرف
في الربا لما ذكر فيه من الوجع **عنه** عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا
وموكله وكاتبه وشاهده وقالهم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربح
الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال **لا يقومون** يعني من يقوم يوم القيمة
الانما يقوم الذي يخطه الشيطان اي يصرفه واصل الخط الضرب والوطي وهو ضرب على
غير استواء يتلناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها ونطا الناس باحتقانها ومنه
قولهم خبط خبط عشوي للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اعتد او تميز وتخط الشيطان
اذا مسه بجمل وجنون **من الس** يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون يعني
الآية ان اكل الربا يبعث يوم القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة
لان الربا ربا في بطونهم حتى ثقلهم فلا يقدر وزن على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علالة
اكل الربا اذا استحل يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراق فانطلق في جبريل الى رجال كثير كل
رجل بطنه مثل البيت الفخم منضد على سائبة والفرعون يصعدون على المنارخذوا
وعشا قال فيقولون مثل الابل المنهومة يخطون الحجارة والشجر لا يسرعون ولا يقبلون
فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احداهم
فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغسائهم الفرعون فيردوهم
مقبليين ومم بريقه لاعدائهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال الفرعون يعطى للهم
لا تقم الساعة اياه اقال يوم القيامة يقول اذ خلوا الفرعون اشبه العذاب قلت يا جبريل
من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يخطه الشيطان من الس
قوله بطنه مثل البيت الفخم اي العظيم الكبير الغليظ قوله منضد اي موصو عن بعضهم

على بعض السابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتمريك افراط في الشهوة
 في الطعام من الجوع قوله تعالى **ذلك با فقم قالوا انما البيع مثل الربا** اي ذلك الذي تركهم
 من العذاب بقولهم هذه او استحلوا ما اياه وذلك ان اصل الجاسلية كان احدهم اذا حل ما له
 على غريمه فيطالب به فيقولوا لهم لصاحبنا حوزد في ليلة الاجل حتى ازيدك في المال
 فيفعلوا ذلك وكانوا يقولون سوا علينا الزيادة في اول البيع بالرخ او عند المحل لاجل
 التأخير فذكرهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله **واحل الله البيع وحرم الربا** يعني واحل
 الله الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل
 وذلك لان الله تعالى خلق الخلق ثم عبده وعباده الكرم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم
 بما يريد وليس لاحد ان يعترض عليه في شئ مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة
 والتسليم لحكمه وامره ومنه وذكروا بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقالوا اذا باع ثوبا
 يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرة فلما حصل التراضي على هذا
 التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المانية عنه بما فلم يكن اخذا من صاحبه شيئا
 بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن
 ان يقال ان العوض هو الما بالية مدة الاجل لان الما بال ليس مالا او شيئا اشار اليه حتى
 يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين **فصل في حكم**
 الربا وفيه مسائل المسئلة الاولى ذكرنا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يفتقر
 اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما به ربحين فقد كان او ضيعة فقد حصل له
 زيادة دراهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقده الربا لانه يمنع الناس عن
 الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدرهم اذا تمكن من عقده الربا خفف عليه حصول الزيادة
 من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع مصالح الناس بالتجارات وطلب الارباح
 الوجه الثالث هو سبب انقطاع المعروف بين الناس من القرى فلما حرم الربا طابت
 النفوس بقرض الدرهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلبه لاجل من الله تعالى الوجه الرابع
 ان تحريم الربا قد ثبت بالنصوص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكليف معلومة للخلق فوجب
 القطع بتحريم الربا وان كان لانعام وجه الحكمة في ذلك المسئلة الثانية اعلم ان الربا
 في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة
 هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص **مسئلة** صلى الله عليه وسلم عن عمر
 ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق والاهواها والبر بالبر
 والاهواها والسعير بالسعير والاهواها والتمر بالتمر والاهواها وفي رواية الورق
 بالورق والاهواها والذهب بالذهب والاهواها **مسئلة** عن ابي هريرة قال قال رسول الله

ان الربا

صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا مثل والفضة بالفضة وزنا
 بوزن مثلا مثل فن زاد واستزاد فقاربا وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والسعير بالسعير
 والمخ بالمخ مثلا مثل ايده فن زاد واستزاد فقاربا اما اختلفت لوانه عن عبادة بن
 الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر
 والسعير بالسعير والتمر بالتمر والمخ بالمخ مثلا مثل سوا يساويه ايده فاذا اختلفت
 هذه الامناف فيبيعوا كيف شئتم اذا كان يداي بيد فقص رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 جبريل الربا في هذه الاشياء الستة وهي النعدين واربعه اصناف من المطعومات وهي البر
 والسعير والتمر والمخ قد مب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لوصاف
 فيها فتيحه الى كل ما توجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى
 ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال فذهب لاكثرهم الى ان
 الربا ثبت في الدرهم والدينار بوزن وفي الاشياء المطعومة بوصف اخر واختلفوا في ذلك الوصف
 فذهب للشافعي ومالك الى انه ثبت في الدرهم والدينار بوزن وفي النعدين وذهب أصحاب
 الرأي الى انه ثبت بعلية الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن
 وخود ذلك واما الاربعه الاشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعلية
 الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالخبز
 والنورة وخومها وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل وموزون
 ثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك كماليس بمكيل او موزون وهو قول سعيده بن المسيب والشافعي
 في القدرم وقال في الجديده ثبت الربا بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة
 من التمار والقواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة فاما روى عن عمر بن عبد الله انه ارسل
 غلامه بصناع فمخ فقال بعه ثم اشترى به شعير اقد مبل للبلاد فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع
 فلما جاءه اخبره به لك فقال له معلمي فعلت ذلك انطلق فرد له لا تاخذن الامثلا مثل فاني كنت
 اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا مثل وكان طعامنا الشعير قيل
 له فانه ليس مثله فقال في اخاف ان يصارح اخرجهم مسلم فجعل مال الربا عنه الشافعي كما كان
 ثمن او مطعوما المسئلة الثانية الربا نوعان ربا بفضله وهو الزيادة وربا بضيعة وهو الاجل
 فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النعدين بجنسه كالدسب بالذهب والمطعوم
 بجنسه كالحنطة بالحنطة وتحوز ذلك فيسترط فيه الثالث والمساواة بغير الشار الشرع فان كان
 موزونا كالدراهم والدينار فيسترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والسعير
 يسترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويسترط الربا في بعض في مجلس العقد وان باع ما يدخل
 فيه الربا بغير جنسه نظرا فان باع بالايوافقه في وصف مثل ان باع مطعوما باحد النعدين فلا ربا

فيه كما لو باع بغير مال الربا وان باعه بما يوافق في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الذهب
بالدنانير او باع الخنطة بالشعر او كان مطعوماً بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت
فيه ربا بالتفاضل فجوز بيعه متقافلا ويثبت فيه ربا بالنسبة فيشرط في بيعه
التقايض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم لا يد ابىد وقوله هاوها فيه شرائط
التقايض في المجلس وتحترم النسبة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسوا بسوا مثلاً مثل
ففيه ايجاب المماثلة وتحترم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم
فاذا اختلفت هذه الاصناف فيبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التقاض
عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقايض في المجلس هو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا
بيده والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض ومن اقرض شيئاً وشروط عليه ان يرد عليه افضل
منه فهو قرض جرم منفعة وكل قرض جرم منفعة فهو ربا به عليه ما روى عن مالك قال بلغني
ان رجلاً الى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلاً سلفاً واشترطت عليه افضل مما اسلفته قال عبادة
ابن عمر فذلك الربا اخرج ما للشي الموطا فان لم يشترط فضلاً في وقت القرض فهو المستقرض
افضل مما اخذ جاز ويده عليه ما روى عن مجاهد ان ابن عمر اسلف دراهم فقضى صاحبها
خير منها فاني ان اخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي
بذلك طيبة اخرج ما لك في الموطا وقوله تعالى **فإن جاء موعدة من ربه** اي تذكر
وتخوف وانما ذكر الفعل لان تانيته غير حقيقي فجاز تذكره وذلك لان الوعد والموعدة
شي واحد **فإن أتى** اي عن اكل الربا **قل ما سلف** اي ما بقي من ذنبه قبل التوبة مغفوره **وامره**
الى الله يعني بعد التوبة ان شاء الله حتى يثبت على انتهائها وان شأه حتى يعود الى اكل
الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحله ويحرم عليه وليس للغير من
امر نفسه شيء وقيل ان الآية في من يعتقد تحريم الربا بشرا كله فامره الى الله ان شاء الله
عنه وان شأه بعباده **من عاد الى اكل الربا بعد التحريم مستحلاله فاولئك اصحاب النار هم**
فيها خالدون قوله عز وجل **بحق الله الربا** اي ينقصه ويملكه ويذهب بركته قال ابن عباس
لا يقبل الله منه صدقة ولا حجاً ولا جهاداً ولا صلة **وبه في الصدقات** اي يزيدها ويثمرها
ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الآخرة **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب لا اخذها
الرحمن بهيمة وان كان ثمة قتر بواقي كف الرحمن حتى يكون اعظم من الجبل كما يرى احدكم فلهو او
فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعد ثمة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية
ولا يقبل الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يرى احدكم فلهو حتى تكون
مثل الجبل **والله لا يحب كل كفار** يعني كل كفر مقيم عليه مستحل اكل الربا **ايتم** يعني متى في الائم

وفيما نبي عنده من اكل الربا لا يترجعه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعاً الى
مستحل الربا ولا يثم راجعاً الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون لا يتجاسد للزنيين
قوله تعالى **ان الذين امنوا** يعني صدقوا بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** يعني التي امرهم الله
بها **واقاموا الصلاة** اي المفروضة باركانها وحدها في اوقاتها **واتوا الزكاة** يعني
المفروضة عليهم في اموالهم **لهم اجرهم عند ربهم** اي لهم ثواب اعمالهم في الآخرة **ولا خوف**
عليهم ولا هم يحزنون اي يوم القيامة قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله**
قيل تركت في العباس بن عبد المطلب عثمان بن عفان زكاً ناد اسلفاً في التمر فلما حضر وقت
الحج اذا صاحب التمر لما ان اتما اخذها حقه لم يسبق له ما يكتفي عيالي ففعل كما اتاخذ النصف
وتوخر النصف واضعف كما ففعل فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما واتر الله عز وجل هذه الآية فسمعا واطاعا واخذ اروس
اموالهما وقيل تركت في العباس بن عبد المطلب وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني
عمر بن عبد مناف من ثقيف فحج الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا واتر الله تعالى الاية وقال
النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيارواه جابر من افراد مسلم الاكل شيء من امر
الجاهلية تحت قدمي موضوع ودما الجاهلية موموعة وان ولدم اضع من دما يناد مر
ابن سبعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتله هزبل وربي الجاهلية موموعة واول
ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضع كله وقيل تركت في اربعة اخوة من ثقيف
وهم مسعود وعبد ياسيل وحبيب وربيقة بن عمر بن عمر بن عوف الثقفي كانوا يربون بني
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخروم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على
الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمر والثقيف وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة
والله ما نعطى الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن
اسد وكان عاملاً رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكنت عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم
بقصة الثقيف وكان ذلك ما لا عظيم فانا تر الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ما
امركم به ولا تنتهوا عما نهاكم عنه **وذروا** اي اتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم
من فضل روس اموالكم **ان كنتم مومنين** يعني ان كنتم محققين لايمانكم قوله **فان لم تفعلوا**
اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه **فاذ** اي اقرئ بكسر الهمزة والميم **واذ** اي اقرئ بكسر الهمزة والميم
فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذا ذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا
انتم واثقوا **بحرب من الله ورسوله** قال ابن عباس لا ياكل الربا يوم القيامة خد سلا حاك
للحرب قال اهل المعاني حرب لله والنار وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في معنى هذه الحارة
فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد ووزن ثقيف للحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب

وذلك ان من امر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التقرير
 والمجلس الى ان تظهر منه التوبة وان كان اكل الربا ذاك شوكة وصاحب عسكر حارب الامام
 كما يجازي لغيره الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه حتى على
 امام المسلمين ان يستتبه فان نزع اي تاب والاضرب عنقه **فان ينتم** اي فان تركتم اكل
 الربا ورجعتم عنه **فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** يعني لا تظلمون انتم الغريم
 بطلب زيادة على رءوس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رءوس المال فلما تزلت هذه الآية قال
 بنو عمر والتقي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل يتوب الى الله تعالى فانه لا ابدان لنا
 يعني لا قوة لنا بجرب الله ورسوله ورضوان رءوس اموالهم فشكلوا المغيرة العسرة
 ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تقدم الغلات فابوا الى بواخر وهم فآثر الله عز وجل
وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي عليه الحق من غماكم معسرا والعسرة تقبيل اليسر
 وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضايق ولم يجد ما يودي به في دينه **فنظرة**
 اي فامهال وتأخير **الى ميسرة** اي الى وقت زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان
 المال الذي يودي به واختلفوا في حكم الآية وهل الاقطار تختص بالربا ام هو عام
 في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الآية
 في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقصي عليه وامر بحبسه فقال له كان
 عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح
 انما ذاك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يلمزكم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ولا
 حكم بين الناس ان يحكموا بالعدل ولا يلمزنا الله بشئ ثم روي بناء عليه والقول الثاني
 وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واجتبايان
 الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يعثر اذا عثر ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين
وان تصد قوا خير لكم يعني وان تصد قوا على المعسر باعليه من الدين فتركون رءوس
 اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذه المذهب للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسر فذكر
 رءوس المال فعلم ان التصديق راجع اليها **ان كنتم تعلمون** يعني ان التصديق خير لكم وافضل لان
 فيه التناهي في الدنيا والثواب الجزيل في العقب **فصل** في ثواب نظار المعسر
 والوضع عنه وتشديد الدين والامر بقضايه **م** عن ابن قتادة انه طلب غرامة فتواري
 عنه ثم وجهه فقال في معسر قال الله قال في سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول من سره ان يخيله الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه **م** عن ابي
 اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله
 في ظله يوم لا ظل الا ظله **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان

قلكم تا جريد اهل الناس فان راى معسرا قال لقيانه تجاوز واعنه لعل الله ان يتجاوز عنا
 فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب
 عند الله ان يلقاه به عبده بعد الكفاير التي هي الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع
 له قرضا اخرجها ابوداود **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد
 اتلافها اتلفه الله **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطلق الغنى
 ظلم زاد في روايته واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع **م** عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن
 ابي حذرة دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت
 اصواتها حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليها حتى
 كشف سجن حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشاء بيده ان صنع
 الشر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال فمراقضه **م** عن ابي هريرة قال
 كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ من الابل جاءه يتقاضاه فقال اعطوه
 فطلبوا منه فلم يجدوا لاسنانه فمراقضه فقال اعطوه فقال او فبنتي وقال الله فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم لم يجز استقصاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحبكم موقلا
 ثم امر له بافضل من سنة **م** عن ابن قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والامان بالله افضل الاعمال فقال رجل
 فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عن خطاياي فقال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر
 عن خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر
 الا الذين قال في ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرقم راسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته ثم قال سبحان الله ما ذا
 تراءى للنبي فذكرنا وفرعنا فلما كان من الغد سالت به رسول الله ما هذا
 التسهيد الذي تراءى فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيى
 ثم قتل ثم احيى وعليه دين فادخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجته النساء قوله
 تعالى **وان تقواي** وخافوا **ايونا ترجعون فيه الى الله** تروى بفتح التاء اي تصيرون فيه الى
 الله وتروى بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير
 او شر **وتم لا يظلمون** اي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم

قال ابن عباس هذه اخراية تركت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل صنعها
على راسي يتي وتنافي من سورة البقرة وعاش بعد هار رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدى وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا
من ربيع الاول يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس
ان اخراية تركت اية الربا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تدانتم بالدين**
قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسي
قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تدانتم اي تعاملتم بالدين او ديان بعضكم
بعضا والتداني تعاقل من الدين يقال دانت دايته اذا عاملته بالدين وانما قال بدني بعد
قوله تدانتم لان الدايته قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فتعده بالدين
ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدني ليرجع
الضمير اليه في قوله فاكتبوه فلم يذكر ذلك لوجوب ان يقال فاكتبوا الله بن فلا يحسن
التعريض له وقيل انما ذكره تأكيد **الى اجل مسي** يعني الى مدة معلومة الاول والآخر
مثل السنة والشهر ولا يجوز المغير مدة معلومة كما لو قال الى الخضاد وخوخ والاجل يلزم
في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض
فانه لا يلزم فيه الاجل عند كراهة العلم **ق** عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في ثم في كمال معلوم
او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين الذي قد بينتم به بيعا كان
ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فتعيل لي واجبة وهو ذهب عطا
وابن جريح والتمحي واختيان محمد بن جبريل الطبري وقيل الامر محمول على الذنب والاحتيا
فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا
ثم نسخ بقوله تعالى فان من بعضكم بعضا فليؤد الذي اتمم امانته وهو قول الحسن
والشعبى والحكم ابن عيسى ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب**
اي ليكتب المدين بين الطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان
ولا تعديتم اجل ولا تاخير قيل ان فايده الكتابة هي حفظ المال من الجانيين لان صاحب
الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تغدر عليه طلب زيادة او تعدد المطالبة قبل
حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تغدر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي
عليه فلما كانت هذه الفايده في الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب اي** ولا يمتنع كاتب ان
يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقول وجوبها
لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة واجبا على كل كاتب فاذا اطلب بالكتابة وتحمل

الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي
فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الذنب والاستحباب وذلك ان
الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحبه ان يكتب ليقتضي حاجة اخيه المسلم
وشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل ان كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين
على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علم الله** اي كما شرعه
الله وامره به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب بما يصلح ان يكون حجة
عنده المحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما امنا
من ابطال الحق وان يكون ما يكتبه متفقاً عليه عند العلماء وان يحترز من اللفاظ التي تقع
التزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذهب العلماء **وليمد**
الله عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق
فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملا والاملا لقائ فيصحبان معا
واحد **وليتق الله** يعني المملوك لا ينقص منه اي من الحق الذي وجد **شيافان**
كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا اي جاهلا بالاملا وقيل هو الطفل الصغير وقال
الشافعي السفيه هو الميذر للمفسد طاله دينه **ولا يستطيع ان يمد** يعني كبر راي
او عجم في كلامه او حيل او غيبة لا يمكنه الحضور عند المكاتب او جهل طاله وعليه فهو لا
كلام لا يصح اقترارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليمدد** يعني وليكمل
واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس راد بالولي
صاحب الدين يعني ان يحجز الذي عليه الحق من الاملا فليمدد صاحب الحق لانه اعلم بحقه
بالعدل اي بالصدق **واستشهدوا** اي شهدوا **من رجالكم** يعني واسمهم واعلى حقوقكم شامدا
لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل بلدكم يعني من المسلمين الاحرار
دون العبيد والصبيان وهذا قول اكرهه اهل العلم واجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد
وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عالم يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان
ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرايط فيه كانت شهادته
معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب لشهادته اذا امدد عوا فلهذا نص يقتضي ان من تحمل
شهادة وجب عليه الادا اذا اطلب لها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له
في ذلك حرم عليه الذهاب الى اد الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة
فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن الشاهدان رجلين **وامر ثاني** اي فليشهد رجل وامرأتان
واجمع الفقهاء على ان شهادة السامع ارجح الجائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل
وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى ان يجوز شهادة

السامع الرجال في سائر الحقوق الا العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال
لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب لشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء كالبكا والولادة
والرضاع والبركة والنيابة ونحوها يجوز فيه شهادة رجل وامرأتين واربعة نسوة وانفقوا
على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحل ودفعه تعالى **من ترضون من**
الشهادة يعني متضا عندكم في دينه وامانته والشرايط المعبرة في العدالة وقبول الشهادة
عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجرب تلك الشهادة منفعة
الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه
وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب
على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحابه لاداء شهادته اصل الزمة بعضهم على بعض
ولا تقبل شهادة العبيد واجازها شريح وابن سيرين وموقولا نسوا لاقول المجنون معتبر حتى
نقض شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسيل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى
قال **من ترضون من الشهادة** والعدالة شرط وهو ان يكون الشاهد بغير عيب مصر على
الصفاير والمروة شرط وهي ما يتصل باء النفس ما يعلم ان تاركه قليل الحياء حتى حصل الميثة
والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شي مما يستحي امثاله من اظهاره
في اغلب علم بذلك قلته مروته وترد شهادته وانفق التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على
العدو وان كان مقبولا الشهادة على غيره لانه منهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة
الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليها ولا تقبل شهادة من يجرب شهادته الى نفسه نقعا عن
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود ولا
هذي غمر على اخيه ولا يجز شهادته ولا القانع اهل البيت لهم ولا طين في ولا ولا قرابة
قلا لثراوي القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة في
الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من امواله تعالى وارترك شيئا مما ينبغي ان لا يكون
عدلا والفر يكسر العز الحنة والقانع هو السائل المستطعم وقيل هو المنقطع الى قوم يخدعهم
فتد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لامل البيت ينفع بما يصير اليهم
والظنين بكسر الظا المتهمة وقوله تعالى **فضل احدا** اي تنسى احدي المراتب فنه كراحد **اما**
الاخرى لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت لمراتن مقام الرجل الواحد حتى لو نسبت
احدا اما قد كرها الاخرى فتقول حضنا مجلسا او سمعنا كذا فيحصل به لك الذكرى وحكى عن
سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكرى مجلس احدا اما الاخرى ذكرى والمعنى ان شهادته تقبل
كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على فضل وهو النسيان وقوله تعالى **ولا يات بالشهادة**
اذا ادعوا يعني اذا ادعوا لتحمل الشهادة وسامهم شهد الا انهم كانوا شهداء

وهذا امر يجاب عنده بعضهم وقال قوم بجبذ الم يكن غيره فان كان غيره فهو محير وقيل
هو امر ندب فهو محير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وادائها ومعنى
الاية ولا يات بالشهادة اذا ادعوا الاداء الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا
يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بلخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب
عليه الاداء **اولا** **لشاموا** اي ولا تملوا ولا تفخروا **وان تكتبوه** الصمير راجع الى الحق والدين **صغيرا**
كانا **وكبرا** يعني قليلا كان الحق والدين او كثيرا **الى اجله** يعني الى محل الحق والدين **لكن** يعني ذلك الكتاب
اقسط عند الله يعني اعدل عند الله لانه موامره واتباع امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة**
يعني انا الكاتبة تذكر الشهود **واذا في ان لا تترتا** **توا** يعني واخرى واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة
الا ان تكون تجارة حاضرة اي لا ان تقع تجارة حاضرة يد ايدي تدير **وهما بينكم** اي
فيما بينكم ليس فيها اجل **فليس عليكم جناح** اي لا ضرر عليكم **ان لا تكتبوها** يعني التجارة
الحاضرة والتجارة تغليب لاموال ونصيرتها لطلبك لنما والزيادة بالارباح واما
رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس
فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لسق ذلك عليهم ولانما اذا احتكروا واحد من المتابعين
حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف الجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد
واشهدوا اذا ابتاعتم يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل
هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيته وقيل هو امر ندب
واستحباب وموقولا الجهور وقيل انه منسوخ بقوله فان من بعضكم بعضا فيلوه الذي
ايمنى امانته وقوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد** هذا نهى عن المضارة واصله يضار
بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيا يان يكتب والشاهد فيا يان يشهد ويضار
الكاتب فيزيد او ينقص ويجوز ما امل على عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا
الشاهد وقيل اصله يضار بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعوا رجل الكاتب والشاهد وبما
مشغولان فيقولان نحن على شغلهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركم ان يجيبا اذا
دعيتا وبلغ عليهما فيسغلهما عن حاجتهما فتسمى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما **وان تفعلوا**
يعني ما نهيتهم عنه من المضار فانه فسوق **لكن** اي معصيته وخروج عن الامر **وانتقوا الله** اي خافوا
الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها **وعلمكم الله** يعني ما يكون ارشادكم في امر
الدين **واسم كل شئ عليم** يعني انه تعالى عالم بجميع مصالح عباده ولا يخفى عليه شئ من ذلك
قوله عز وجل **وان كنتم على شك في شئ فاستسئروا الكتاب** يعني ولم تجردوا الات الكتاب **فمن**
جمع ومن وقرى **فمن** **مقبوفة** يعني فارتفعوا من تدبيره وهو ما مقبوضة ليكون وثيقته
لكن باموالكم واصل الرمن من الام يقال الرمن الشئ اذا دام وثبت والرومن ما وضع عند

الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه ديناً فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم
الكاتب ولا يختص به سفره ونحضر قد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض درعه عند
ابي السحر اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت
ليس الغرض بخون الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لغور الكاتب
والاشهاد امر استعالي به على سبيل الارشاد على حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم للتوثيق
بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جوار الكرم في الحضر والسفر جميعاً مع
وجود الكاتب وعدمه وقال المجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر
الاية واجاب الجهم عن ظاهر الاية بان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل
الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فمن قبضه بيعني
ارتضوا وارتضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم
الا بالقبض فلورهن ولم يسلم لم يجز الرهن على التسليم فاذا اسلم الرهن لم يرض من جهته
حتى لا يجوز له ان يسير جده مادام شيء من الحق باقياً وقوله تعالى **فان من بعضكم بعضاً**
يعني فان كان الذي عليه الحق اميناً عند صاحب الحق ولم يرتض منه شيئاً حسن ظنه به
فليود الذي ائتمن امانته يعني فليود المديون الذي عليه الحق الذي كان اميناً في ظن الدين
الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمي الدين امانة وان كان مضموناً لا يمانه عليه
حيث ان من تجوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهناً حيث المديون على
ان يكون عند ظن الدين الذي ائتمنه وان يودي اليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتض
عليه شيئاً ثم اذ ذلك توكيداً بقوله **وليتق الله ربهم** اي المديون في اداء الحق عند حلول
الاجل من غير مماطلة ولا تجود بل يتعامل المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع
الى خطاب لشهود فقال تعالى **ولا تكتموا الشهادة** يعني اذا دعيت الى اقامتها وادائها
وذلك لان الشاهد متى امتنع عن اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق
فلهم اني عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال **ومن يكتمها يعني الشهادة فانه**
اثم قلبه اي فاجر قلبه والاثم الفاجر واما الضيف لاثم الى القلب لان الاثقال من
الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اصطفى لاثم الى القلب
قيل ما اوعده الله على شيء كايكافه على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه اثم قلبه واراد به
مسخ القلب لغو ذبانه من ذلك **والله ما تعلمون عليم** يعني من بيان الشهادة وكتمانها
ففيه وعيد وتخذ برطن كتم الشهادة ولم يظنرها قوله تعالى **ما في السموات وما في**
الارض ملكا وما اهلها عبيده وهو ما لا اله الا الله **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله** وهذا ايحاء وحديث النفس والمخاطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يمان

من دفعها فالمواخاة لها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان المخاطر
الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجوه
فهذا مما يواخه الانسان به والعنصر الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن
يكفه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجوه فهذا مفعول عنه بدليل قوله لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها
فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الاية ان
تبدوا ما في انفسكم ايها اليهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان بحاسبكم
به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان وارداً غيب قضية فلا يلزم صرفه
اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافر من المؤمنين والمعنى وان تبدوا
اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار وتخفوه فلا تظهروا بحاسبكم به الله
وذهب كثير العلماء الى ان الاية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي
بعدها ويدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانوار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ركبوا على الركب فقالوا اي لرسول الله كلفنا من الاعمال ان يطيق الصلاة والصيام والجهاد
والصدقة وقد انزل الله عليك هذه الاية ولا تطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا واطعنا وعلينا بل قولوا سمعنا واطعنا
عقرانك ربنا واليك المصير فلما اقترلها القوم وذلك لها السنتم انزل الله في اثرها
امن الرسول كما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه وره لا تفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا عقرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها
الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان ننسى او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصراحملة على الذين
من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واعرلنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجهم مسلمين وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت
بدل نعم **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز عن
لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعلموا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورهم
وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار
وقول الله تعالى بحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال
قوم قد ثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال ما كسبت قلوبكم وليس عبد اسرعلا او اعلنة

من حركه جارحة او ممة قلب لا يعلم الله ثم يخبر به ويجاسبه عليه ثم يغفر ما شاء
ويعذب ما شاؤا وقال اخرون في معنى الآية ان الله تعالى يجاسب خلقه بجميع ما ابد وامن
اعمالهم واخفوه ونفا فبهم عليه غير ان معاقبتهم على اخفوه اخف مما يعلموا به وهو
ما يحسب لهم في الدنيا من النوايب والمصائب والامور التي يجزئون عليها وهذا قول
عائشة عن امية انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يجاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجزيه فقالت ما سألني عنها احد منذ سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاناة الله العبد بما يصيب من الحمة والنكبة حتى
البضاعة يد عما في يد فبعضه فيفقدها فيخرج لها حتى ان العبد يخرج من ذنوبه كما
يخرج التبر الاحمر من الكبر اخرجته الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا اراد الله بعبد الخير عجل اليه العقوبة في الدنيا واذا
اراد بعبد الشر اسلك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيمة وقال قوم في معنى الآية وان
تبدوا ما في انفسكم يعني ما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوا وانتم عازمون عليه يجاسبكم
به الله فاما حديث النفس ما لم تفرعوا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤخذ
به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان بن ايواخذ العبد بالعتة فقال اذا كانت عتة او خذ بها
وقيل في معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما
بكل ما في الضمائر والسرائر ما ظهر واخفى ومعنى الآية وان تبدوا ما في انفسكم فتهلكوا به او تخفوه
مما اضمتم وبنوهم يجاسبكم به الله اي يجزيكم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهار الفضل
ويعذب الكافرين اظهار العدة له يروي عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يجاسبكم به الله
ولم يقل مواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان
ابن محرز المازني قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني كذبت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يد في المؤمن من ربه حتى يضع عليه كفنه فيقره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
اعرف رب اعرف من تدين فيقول استر فعا عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تظوى جميعه
حسابه واما الاخر والكمات والمنافقون فنادى لهم على رسول الخلاق هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء كما مل العدة فيغفر
للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين بعد لا قوله عز وجل ان رسول الله انزل اليه من ربه عن ابن عباس
لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يجاسبكم به الله وخلق قلوبهم منه شيء لم يخل

من شيء فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ان رسول الله انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لما تكسب وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا امرنا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واعرلنا وارحمنا انت مولانا فانظرنا على القوم الكافرين
قال قد فعلت اخرجته الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض
الحملات والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلا والمخير والجهاد واقاصيصل الانبياء وما ذكر
من كلام الحكماء ختم السورة بذكر يصدق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك
ومعنى من الرسول اصدق الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا
القرآن وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام متر من عند الله عز وجل والمؤمنون يعني وصدقوا الرسول
بذلك ايضا كل اي كل واحد من المؤمنين **من ربه وما لا يكتنه وكتبه ورسله**
فعنه ارجع مراتب من اصول الايمان وضوابطه فاما الايمان بالله فهو ان تؤمن بالله واحد
احد لا شريك له ولا نظيره وتؤمن بجميع اسماءه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم
قادر على كل شيء واما الايمان بالملائكة فهو ان تؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون
وانهم السفرة الكلام البررة وانهم الوسايط بين الله وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان
تؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحى الله الى رسله فانها حق وصدق من عند الله تعالى
بغير شك ولا اريباب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على الحكم والتشابه
وان محكمه يكشف عن تشابه واما الايمان بالرسول فهو ان تؤمن بانهم رسل الله الى عباده
واماناو على وجه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر
بعضهم ذلك ونسك بقوله تعالى لا تفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود
من هذا الكلام شيء اخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يغيرون
بنبوة موسى وعيسى ويكرزون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفصيل بعض
الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله لا تفرق بين احد من
رسله فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل تؤمن بجميع رسله وفي الآية
افهارتد يره وقالوا يعني المؤمنين **لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني**
سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما امرنا
من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به وسمعنا ما امرنا به وسمعنا ما امرنا به
غفرنا لك ربنا او يكون المعنى غفرنا لربنا غفرنا لك **واليك للصير** يعني قالوا ربنا جعنا ومعادنا
فاغفر لنا ذنوبنا وروى البغوي يغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسل تسليم الله تعالى

عقرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** قبل ان يكون
ابتداء خبر من الله ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اشارة الى ان الله تعالى قال
لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يوسع الانسان ولا يضيق قال
ابن عباس واكثر للفسر ان هذه الآية تحت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه صح المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليه والرجل
واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فترلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون
ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس لان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه
هم المومنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال الله
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى **ما جعل عليكم في الدين من حرج** وسيل سفيان بن عيينه
عن قوله تعالى **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** قال لا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن
لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبها
بما لا تطيق **لها ما اكسبت** يعني للنفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه **وعليها ما اكسبت**
يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية ان الله تعالى لا يواخذ احد ابنه بغيره
قوله عز وجل **ربنا لا تؤاخذنا** وهذا تعليم من الله عباده المومنين كيف يدعونهم ومعتناهم
قولوا ربنا لا تؤاخذنا اي لا تقاينا وانما جابلفظ للفاعلة وهو فعل واحد لان المسمى قد
امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعد عليه من عقابه بذنبه وبما اخذ بها
انفسنا واخطانا فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذي هو السهو وقيل ضد التذكر
فيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امر به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم
شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسألوه
ترك مواخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسي في محل العقوبة دليل قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العقوبة قطعنا
معنى طلب لعقوبته باله عاقلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين
اما الاول فهو ما كان من الانسان على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن
راى على ثوبه دما فاخر از الله عنه ثم نسي فضلي فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذا كان
يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعد رفيه وكذا الوتر كما امر بفعله على وجه السهو
او ارتكب منها عنه من غير قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه
النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل نفسي ولم نجعل له عزما
فمثل هذا يجب ان يسأل الله ان يعفو عنه واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها
او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر ربنا به وسهوه لانه شرط

ثبت

ثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب لعقوبته والعقوبة عن النسيان الوجه
الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين به حق تقاة فان صدر منهم
ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان انما هو لسهوه خوفا من تقواهم الوجه
الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التفرغ والتدلل لله تعالى واما الخطا في قوله
او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك
خطا منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب لعقوبته والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه
الوجه الثالث ان يكون الخطا على سبيل الجهل والظن بان له فعلة كان ظن ان وقت الصلاة
لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطا الموضوع عن العبد
لكن طلب لعقوبته والغفران لسبب تقصيره وقوله **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** يعني عهدا ثقيلا وشيئا قاعا
غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذر بنا بنقصه وتركه **كما حملت على الذين من قبلنا** يعني اليهود
فهم يقوموا به فتعذر بهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما تشددت على اليهود من قبلنا وذلك
ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم بااربعة اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه بخاسرة
قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابيه ونحو هذه من الانقال والاصار التي
كُتبت عليهم فقال المومنون بعضهم ان يصونهم من امثال هذه التعليلات واليهود المقيده
وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى **ما جعل عليكم**
في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فقال المومنون بعضهم ان يصومهم من مثل **ربنا ولا**
تحمّلنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لنقل حمدا علينا وتكليف
ما لا يطاق على وجهين احدهما ان ليس في قدرة العبد اكمال تكليف الاعمال النظر الى الزمان
بالعدو فهذا النوع من التكليف لا يكلف الله عبده بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق
بما في قدرة العبد اكمال مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف لاعمال الشاقة
والزرايع الثقيلة كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المومنون
وهو لا يحلهم ما لا طاقة لهم به واستدل هذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز
اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله **ولا تحملنا ما لا**
طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلة وقيل هو الحب وقيل
هو شماتة الاعداء وقيل هو الزفة والعظيمة وقيل هو سخر القردة والخنازير فعوذ بالله
من ذلك كله قوله **واعف عنا** اي تجاوز عنا ذنوبنا واحمنا عنا **واعف لنا** اي استر علينا ذنوبنا
ولا تقصصنا **وارحمنا** اي تعذبنا برحمته تجنبا لها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا
من رحمته وقيل اننا لانال العمل بطاعتك لا بعطائك ولا نترك معصيتك الا برحمتك
واصل الرحمة رقة تقضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس راد بها الا

فصل في تقوى النفس والوسوسة
على سبيل السهو والنسيان

وجه آخر في قوله
ربنا لا تؤاخذنا

الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو ان يسير عليه صونا
له من العضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا
الله تعالى عن العبد واستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب
انت مولانا اي ناصرا وحاظنا ووليانا ومتولي امرنا **فا نصرنا على القوم الكافرين** يعني الجاحدين
الذين عبدوا غيرك وحججوا واحد انيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرنا لك ربنا قال قد
غفرت لكم وفي قوله لا نتواخذنا ان نسينا واخطانا قال لا واخذكم ربنا ولا نعمل علينا امر
قال لا احمل عليكم ولا نعملنا ما لا طاقة لنا به قال ولا احمل عليكم واعف عنا وغفر لنا وارحمنا
انت مولانا نصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتمكم على
القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال **عن عبد الله بن مسعود** قال لما
اسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى السدرة المنتهى في السادسة واليهما
ينتهي باخرج من الارض فيقبض منها واليهما ينهي ما يعبط من فوقها فيقبض منها قال اذ
يغشى السدرة ما يغشى قال فرأى من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيئا من المحرمات قوله
المحرمات الذنوب لعظام التي توجب تركها النار واصل الاقحام الولوج **عن ابن مسعود**
الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم الايتان من اخر سورة البقرة من قرأها في ليلة
كفناه معناه كفناه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقر به تلك الليلة وقيل كفناه
من قيام الليل **عن ابن عباس** قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل صلى الله عليه
وسلم اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السما فتح اليوم
لم يفتح قط الا اليوم فترأى منه ملك فقال هذا ملك ترأى الى الارض لم يزل قط الا اليوم فسلم وقال
ابشر بنورين وتبينهما لم يوتما بنى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن يقرأ حرف منها
الا اعطيت عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان
يخلق السموات والارض بالفي عام اترأى منه ايتى ختم بها سورة البقرة ولا يقران في دار ثلاث
ليال فيقر به شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب اخر تفسير سورة البقرة
والله اعلم باسر كتابه **تفسير سورة الاعراف** مدنية وهي مائة اية وثلاثون الفا
واربعائة وثم نزلت كلمة واربعة عشر الفا وخمسة وخمسة وعشرون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
الرقيم قوله عز وجل **المراد الله لا اله الا هو الحي القيوم** قال المفسرون ثلاث هذه الايات في وندجرحان
وكانوا يستنزلونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر جلا من اشراقهم
منهم ثلاثة نفر الهم يؤولهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب سورتهم
الذي لا يصدر رول الا عن رايه والسيد واسمه الانعام وهو تاهم وصاحب حلم الذي يقوم بامر

طعامهم

طعامهم وشراهم وابو حارثة بن علقمة وهو استغفهم وحبرهم وكان ملوك
الروم يكرهون لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثيابا خيرات جيب واردية في
جمال جاز في الحارث بن كعب يقول من اهر ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاة تم
فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم دعوهم فضاوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسما قال لا قد اسلمينا
قبلك قال كذبنا بمنعك من الاسلام دعوا كما لله ولد او عبادك الصليب واطمأ الخنزير
قال ان لم يكن عيسى ولده في ابوه وخاصة جبريل في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم لم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه ابيه قالوا بلى قال الستم
تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى باني عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا
قيم على كل شيء خفيظه ويزرقه قالوا بلى قال فصل ملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال
الستم تعلمون ان الله لا يخفي عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى
من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاؤ ربنا
لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى عملته امه بمحتمل المرأة ثم وضعته
كما تضع المرأة ولدها ثم غدى كما يغدى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
قالوا بلى قال فهل يكون لها كرام عمة فسكتوا فانزل الله صدم سورة العن الى صنع
وما ينزله منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست ترعم ان عيسى كلمة الله وروح منه
قالوا بلى قالوا احسبنا نرا ابو الاحجود فانزل الله رد اعليهم ام الله لا اله الا هو
يعني ان كان منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو فكيف تبشرون
له ولد اذ قيل تعالى ان لا اله الا هو فلو كان له ولد لكان معه الاله الواحد الاحد ليس معه الاله
ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يحري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي
في صفة الله تعالى فهو الاله الباقي الذي لا يبعث عليه الموت واما القيوم فهو القائم
بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصلحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومقادهم **نزل عليه**
الكتاب يعني القرآن **الحي** اي بالصدق والعدل **الصدق** **قالا** **ينزله** يعني لما قبله من الكتب
في التوحيد والنبوات والخبار وبعض الشرايع وقوله لما ينزله من مجاز الكلام وذلك
ان ما ينزله فهو ما منه فقيل لكل شيء تقدم على الشيء هو ينزله لغاية ظهوره
واشتهاره **وانزل التوراة والانجيل** من قبل اي من قبل القرآن فان قلت لم قال انزل الكتاب
وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل من اجله في اوقات كثيرة وترأه للتكثير

٢٢

وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة **هدي للناس** يعني ان اتر التوراة والانجيل قبل
الفرقان كان هدي للناس فان قلت كيف وصف القرآن في اول البقرة بانه هدي للمتقين
ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدي للناس قلت انما وصفه لفران بانه هدي
للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدي
لناس لان المناظرة كانت مع نصارى مجنون وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا
السبب قال هنا هدي للناس وقيل ان قوله هدي للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القرآن
المقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدي للناس لما فيها من
الشرايع والاحكام **وانزل الفرقان** يعني الفارق بين الحق والباطل وقيل اراد به الفرقان ما اعاد
ذكره تخطيطا لثانيه وممخا لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره لبيان انه تعالى
اتر له بعد التوراة والانجيل ليجعل فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى
عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلاهما هدي للناس ومفرقة بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان
هدي للناس **الذين كفروا بايات الله** يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد
بجران كفر وبالقرآن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السب لا يمنع عموم اللفظ
فهو بينا والآخر من كفر بشئ من ايات الله **لهم عذاب شديد والله عزيز** الغالب لا يغلب
ذوانتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى **ان الله لا يخفى عليه**
شئ في الارض ولا في السماء لا يخفى عليه شئ من امر العالم وهو المطلع على الحوام فتقوله ان الله لا يخفى
عليه شئ في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات **هو الذي**
يصوركم في الارحام التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف
والارحام جمع رحم **كيف يشاء** يعني الصورة المختلفة للمساوية في الخلقة ذكرنا او اني ابيح
او اسود حنثا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام المختلفة
في الشكل والطبع واللون وذلك من نقطة **ق** عن عهد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق لحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم
يكون علقته مثل ذلك ثم يكون مضغته مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه
واجله وعمله وشقي واسعيده ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم لم يعمل عملا اهل
الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وان احدكم لم يعمل عملا اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا
فيقول اي رب نقطة اي رب نقطة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يخلق خلقا قال يا رب اذكر

ام اني اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واودة
في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان غير بعض الغيب فيقول اكلت في دارك
كذا صنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطير طيرا فادع النصارى
فيه الالهية وقالوا ما قدره على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله
المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام
كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صور في الرحم فثبت بكونه مصورا في الرحم على انه عبد
مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا اله الا هو العزيز الحكيم** وهذا ايضا
في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صور الله في
الرحم قوله عز وجل **هو الذي انزل عليك الكتاب** يعني القرآن **مايات محكمات** يعني مميزات مفضلات
احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام فانه تعالى احكمها فتم الخلق
من التصرف فيها الظهورها ووضع معناها **ام الكتابات** يعني نازل الكتاب الذي يقول عليه
في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال من ام الكتاب ولم يقل امهايات
الكتاب قلت لا زالايت في قائلها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل
ان كل اية من ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه مائة يعني ان كل واحد منها اية **واخر** جمع اخري
متشابهات يعني لفظه يشبه لفظا غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله متما محكما
ومتشابهات وجعله في موضع اخر محكما فقال الركاب حكمت اياته وجعله في موضع اخر
كله متشابهات فقال تعالى الله تزل احسن الحديث كتابا متشابهات فكيف يجمع بين هذه الايات
قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق ليس فيه عيب ولا هنر وحيث جعله
كله متشابهات اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله متما بعضه
محكما وبعضه متشابهات فقد اختلفت عبارة العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث
ايات التي في اخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل يا اهل الانبياء ما حرم ربكم عليكم وتطهيرها
في بني اسرائيل وقضى ربك الانقياد والالاياه الايات وعنه ان المحكمات هي النسخة والمتشابهات
هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقاعدة السدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام
الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا وقيل ان المحكمات
ما اطلع الله عليه عباده على معناه والمتشابهة ما استأثر الله بعلمه فلا يسيل لاحد الى
معرفة غولها من شرائط الساعة مثل الدجال وياجوج وما جوج ونزل عيسى عليه السلام
وطلوع الشمس من مغربها وقنا اله نيا وقيام الساعة جميع هذا اما استأثر الله بعلمه
وقيل ان الحكم ما لا يحتمل من التأويل والاجها واحدا والمتشابهة ما يحتمل وجهان روي ذلك
عن السافعي وقيل المحكم ما يراى بالقرآن والمتشابهة هي المخوف المقطعة في اوائل السور قال

ابن عباس ان ربنا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراهما اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك القرآن فاشهدك الله انك انزلت عليك
قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك في احدى وسبعون سنة فقل انزل
عليك غير هذا قال نعم المص قال هذه اكثر من احدى وستون ومائة فقل انزل عليك غيرها
قال نعم المص قال فقل ما بين احدى وثلاثين سنة فقل من غير هذا قال نعم
المص قال هذه اكثر من احدى وسبعون سنة ولقد خلط علينا فلا نرى ابكثيره
ناخذام بقليله ونحس من لا يوم من بعد ان نزل الله هذه الآية قوله فاما الذين في قلوبهم
زيغ فينتهون ما تشابه منه وقيل ان الحكم ما لم تشر الفاظه والمتشابه ما تكررت
الفاظه وقيل ان الحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص
والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهذا يتم فما في رده
المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن
نزل بالفاظ العرب ولما نظم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والوجز
الذي لا يخفى على سامعه ولا يجمل غير ظاهره ولا طائفة لبيان المراد والتوكيد بال ضرب
الثاني المجاز والكنائيات والاشارة والتلويحات وغماض بعض المعاني وهذا الضرب
هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين
ليتحقق عجزهم عن الايمان بمثل فكانه قال عارضوه بال ضربين شديتين ولو نزل كل محكما
واصحنا لقالوا هلا نزل بال ضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه
لغاية عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر بذكرهم المتشابه الى الحكم فيطوئوا تلك
فكرهم ويتخلصوا بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيشربون على تعبهم كما يشربون على عبادتهم
ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره
ولمك الخواطر وخدمت الفكرة ومع الغرض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج
المعاني وقد قيل في عتبنا انه يورث البلاء وفي فضيلة الفقر انه يبعث على
الحيلة لانه اذا احتاج احدا الى الجواب لثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني
غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على ان تراعى الجواب
لانهم اذا قدروا على ان تراعى المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند
العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى
انزل المتشابه في كتابه مخبرا به عباد الله ليقفوا على معرفته ويردوا الى عالمه فيعظم بذلك
ثوابه ويرقاب به المنافق فيدأخله الزين فيتحقق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر
والله اعلم فاما الذي في قولهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزين الشك واختلفوا في المعنى

بهم والمشار اليهم فقتلهم وقد نجران الذين خاصمو رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عيسى عليه السلام وقالوا الاست نزع ان عيسى روح الله وكلمته قال لي قالوا حسنا
فانزل هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقا هذه الامة واستخراج
بحساب بحمل من الحروف المتقطعة في اوائل السور وقيل لهم لنا فقور وقيل لهم الخوارج
وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحورية والسانية فلا ادرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة
فيتنبهون ما تشابه منه يعني يحيلون الحكم على المتشابه والمتشابه على الحكم ويقولون
ما بال هذه الآية عمل ما كذا وكذا ثم نخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو
المعنى بهذه الآية في عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه آيات محكمات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتهم
الذين يتنبهون ما تشابه منه فاوذكرك الذين ساءم الله فاحذرهم وقوله تعالى **ابتغا الفتنة**
اي طلب الشك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهلهم وقيل طلب افساد
ذات البين **وابتغانا وبه** اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل
الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليها قال ابن عباس في قوله
وابتغانا وبه اي طلب بتمامك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى
يبعثون كيف احيوا وبهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه **وما يعلم تاويله**
الا الله يعني تاويل المتشابه وقيل لا يعلم انفسا تلك هذه الامة الا الله لان انفسنا
ملكها مع قيام الساعة وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون القرآن تاويلا لما نزل
الله به علمه لم يطبع عليه احد من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها
وخروج الرجال وروى عن ابن عباس وعلم الحروف المتقطعة واسماء ذلك ما استأثر الله
بعلمه فالايمان به واجب وحقايق علومه معوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين
وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه واني تركت وعائشة واكثر الناس
فعلية القول ثم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ان الله افعل تعالى **والراسخون**
في العلم اي الراسخون في العلم وهم الذين اتقوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك **يقولون**
امنا به قال ابن عباس ساءم الله راسخين في العلم بقوله منابه فرسوخهم في العلم هو الايمان
وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل القرآن الى ان قالوا
امنا به **كل من عند ربنا** يعني الحكم والمتشابه والتاسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم تعلم
فتحق معتد وزين في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفي الحكم بحجبتنا الايمان
والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه فانه تفسير لا يسمع
احدا اجماله وتفسير تعرفه العرب بالسنة وتفسير يقوله العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله

وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واوعطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله
ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون انما به روي عن ابن عباس انه كان يقول انما من
الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه انما من يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه
لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القرآن شيء لا يعرفه احد من الامة وفي المراد بالراسخين
هنا قولنا احدهما انهم مومنون اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والعقول الثابتة ان الراسخين هم العلماء العالمون بعلمهم سئل انس
ابن مالك عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المستمع له وقيل الراسخ في العلم من وجد
في علمه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد
فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين البقي **وما يذكر الا اولوا الالباب وما**
يتعظما في القرآن الا ذوا العقول وهذا شأن من الله عز وجل على الذين قالوا انما به كل من
عند ربنا قوله تعالى **ربنا لا نزع قلوبنا اي وقولنا اي ويقول** في الراسخون في العلم ربنا لا نزع قلوبنا
اي لا تلهنا عن الحق والهدى كما ازعت قلوبنا الذين في قلوبهم زيغ **بعد اذ هديتنا اي وفقتنا**
لدينك والايان بالمحكم والمتشابه من كتابك **وهب لنا من له رحمة اي اعطنا توفيقا**
وتبيننا الذي تخبر عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا جوار ومغفرة **انك انت الوهاب**
العبء العطية الخالية عن الاعراض والاعراض والوهاب في صفة الله تعالى انه يعطي كل احد
على قدر استحقاقه **مر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب** انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن قلب واحد **فمن جفت شئنا شر قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من لوازم
الصفات وللعلماء قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير نعتين تاويل ولا تكييف
والآخر معناه بل نؤمن به وانه حق ونكل علمه الى امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا القول هو مذهب هل السنة من سلف الامة وخلقنا من اهل الحديث وغيرهم
والقول الثاني انه يتا ولا يحجب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله
شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته
وفي تصرفه لا انه حال في كفه بمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب
عباده وغيرها كيف شا لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع
على الانسان انما يبرز اصبعه فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بايهم
ويعلمونه من انفسهم وانما في لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود
من التمثيل بحسب ما اعتاده وان كان غير مقصود به التشبيه او الجمع وهذا مذهب
جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لغاية وهي ان الله تعالى اجعل

القلوب محلا للخوار والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل ساير
الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل **ربنا انك جامع**
الناس ليوم لا ريب فيه اي ليوم القضا وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك
فيه انه كان وهو يوم القيامة **ان الله لا يخلف الميعاد** هذا من بقية دعا الراسخين في
العلم وذلك لانهم لما طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يحصم بالهداية
والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا شرانهم اتبعوا ذلك بقوله ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ومعناه اننا نعلم انك جامع الناس للحج في يوم القيامة ونعلم ان وعدك
حق وانك لا تخلف الميعاد فن ازعت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة
فهو ناج من العذاب سعيد قوله تعالى **ان الذين كفروا يعني** رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس هم قريظة والنضير **الذين كفروا** ولز تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
اي من عذاب الله شيئا وقيل من بعث عنده الله شيئا **واوليك هم وقود النار**
كتاب الفرعون قال ابن عباس كعادة الفرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة الفرعون وقيل
كعادة الفرعون والمعنى كعادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحو
الحق كعادة الفرعون فانهم كذبوا موسى وصده قوا فرعون **والذين من قبلهم** يعني كفار الامم الماضية
مثل عاد وثمود وغيرهم **كذبوا بايتنا** يعني لما جاءهم بها الرسل **فاخذهم الله بذنوبهم** اي فعاثتهم
الله بسب تكذيبهم **والله شديد العقاب** وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا الذين كفروا عنهم اموالهم
ولا اولادهم عند حلول النقرة والعقوبة مثل الفرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم
تغفر عنهم اموالهم ولا اولادهم قوله عز وجل **قل للذين كفروا استغلِبون وتخشرون قري بالآيات**
والآيات من قرايبا لآيات المتقاة تحت معناه بلغهم يا محمد انهم سيغلِبون وتخشرون من قرايبا لآيات
المتقاة فوق معناه قل لهم استغلِبون وتخشرون الى جهنم قيل المراد بالذين كفروا مشركي قريش
والمعنى قل للكفار هكة استغلِبون يوم بدر وتخشرون في الآخرة الى جهنم فلما تزلت هذه الآية
قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشكم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان
جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فآثر الله هذه الآية وقيل ان هذه الآية تزلت في اليهود
وقال ابن عباس ان يهود اهل المدينة قالوا لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين
يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم
لبعض لا نتجاول حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكبت كمنية بالفتح المصيبة
في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاق فلم يسلما وكان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد لمدة فقبضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف
في سبيهم الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا اموالهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم فازل

الله هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرشيا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود
احذروا امثلا لما اتزل بقرش يوم بدر واسلموا قبل ان يترككم ما تركهم فقد عرفتم اني رسول
تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما غارا لا علم لهم بالحرب فاصبت
منهم فرصة وانا والله لو كانت العرفت اننا نحن الناس فاتزل الله عز وجل قل الذين كفروا ينعف
اليهود يستعملون اى ستمون وتخشون يعني في الآخرة **الى جهنم وبئس المهاد** اي المزارع
والمعنى بئس ما هم فيه لهم في النار قوله تعالى **قد كان لكم اية في فتيين المتقات** قيل الخطاب للمؤمنين
يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفه على الذي قبله
ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال
قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لانه اية مؤنثة قلت كلما ليس بمؤنث حقيقة يجوز
تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان قد هب الى المعنى وترك اللفظ
وقال الزمخشري انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكما اجاب من
هذا الوجه ومعنى الآية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما افقوك
انكم ستعملون في فتيين اخبرتين واصلا في الحرب لان بعضهم نفى الى بعض اى يرجع
الفتنة يوم بدر **فتية تقا تل في سبيل الله** اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين
وما يتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب
وكان صاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم سبعون يهيرا وفرسان وكان معهم
من السلاح ستة اذرع وثمانية سيوف وقوله تعالى **واخرى كافر** اي وفرقة اخرى كافرة
وهم مشركو مكة وكانوا استعانة وخمسين رجلا من المشركين وكان من راسهم عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى **برونهم مثلهم** قرئ بالتابعي ترون اهل مكة صنع في
المسلمين معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتاله ليمنظروا
على من تكون الدبرة ولمن النصر فزادوا المشركين على عدد المسلمين وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك
معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قواة الياء فجعل بعضهم الروية للمسلمين
ثم له تاويلان احدهما يرون المسلمون المشركين مثلهم كما هم فان قلت كيف قال مثلهم وانا
كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثل هذا
الدرهم يعني الى مثليه سواء فتكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو ان الله تعالى اظهر
للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المومنون انهم يغلبونهم لانه لانه الخوف من قلوبهم

في قوله يرونهم

وهذا التاويل الثاني هو الاصح قل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثلهم فان
قلت كيف جمع بين قوله تعالى يرونهم مثلهم وبين قوله تعالى واذيركموهم ذالتيتم
في اعينكم قليلا وتقبلكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين واستكثروا
للمشركين واذالتيتم يتاويوا في استغلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كان في
كالتن مختلفين فان قلنا ان الفتيه الراية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية
القتال على ما هم عليه ثم قل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجتزوا عليهم فضيروا
على قتالهم بهذا السبب قال ابن مسعود نظروا الى المشركين فرأوا انهم يضعفون علينا ثم نظروا
هم فارأوا انهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال الله قللو اني اعيشا حق
لو قلت لرجل المجني ترأهم سبعين قال دام مائة قال فاسرنا منهم رجلا قلنا كم كنتم
قالا لغاوان قلنا ان الفتيه الراية هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين
يعني يرون المشركون المسلمين مثلهم قل الله المسلمين في اعين المشركين ليحبسوا فليكون ذلك سبب
خذلانهم وقد روى ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا ثمان مائة
وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر رجول
في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار للقدره التامة وقوله تعالى **الذين** اي في اراء العين
والله يولي يوقى بنصره من نشان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر في رواية الجيوش مثلهم
لعبرة اى لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المودقة الى العلم واصلا من العبور كانه
طريق يبرونه فيوصلهم الى امدام وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم
لاولى الابصار لانه وكما يقول السليمة قوله عز وجل **نزل للناس** قال اهل السنة المزني هو الله تعالى
لانهم تعالى خالق جميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده
واباحتها للعبدة تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزني هو الله
تعالى مما يوكده ذلك قراءة مجاهد زينة بفتح الزاي على التسمية القاعل وقال الحسين المزني هو
الشیطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى في هذه الاشياء
اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حبشهوات فيه خفيه الشهوات المحرمة والمزني
لذلك فهو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية
وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابي علي الجبائي عن المعتزلة ان ما كان
حراما كان المزني له وهو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزني له هو الله تعالى والصحيح
ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى الخالق لكل شيء ولا شريك له في ملكه وقوله **جبال الشروات**

يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشيء المشتهى من **الناس** انما يبداء به كذا النفس لان اللذة
هنا اكثر والاستيناس هنا ثم ولا يخرجنا من الشياطين واقرنا بالافتان **والنبي** انما خص النبي
بالذكر لان حب لولده الذكر اكثر من حب لانه لا نرى وجهه ظاهرا لانه يتكثر به ويعصده
ويغوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حبا لزوجته والولد حكمة بالغة وموقفا
التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك **والقطاير المقنطرة** جمع قنطار وسمى قنطار لمن الإحكام
والعقد يقال قنطرة اذا احكمته ومنه القنطرة اي الحكمة الطاق واختلغوا في القنطار هكل
هو محدد وادوا وغير محدد وعلى قولنا احدهما انه محدد ثم اختلغوا في حده فروى عن قتادة
ابن جيل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقالا عنه انه اثني
اثنى عشر الف درهم والف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف
ومائتا مئة ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقنجا الاسلام يوم جاء بمكة مائة
رطل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتاده مائة ومائتا رطل الفاقا وقال مجاهد سبعون الف
وقال السدي هو اربعة الاف مثقال والقول الثاني ان القنطار للنبي محدد وقال الربيع
ابن انس المال الكثير يعصده على بعض روى عن ابن عباس انه حكى عن العرب ان القنطار
وزن لا يجدها اختيارا ابن جبرير الطبري وغيره وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال
وقال ابو بصير القنطار من مسك ثور ذهبا اوقصة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة
تسبها بعبور القنطرة المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القنطار جمع واقله
ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيجوز ان تكون سنة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة
المقنوشة من الذهب **والفضة** انما يبداء بها من ينسأير اصناف الاموال لانها قيم الاشياء وانما
كانا محبوبين لان المال له اما لا تقدر على ما يريد هذه صفة كماله في محبوبته وقيل
سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنقص اي تفرق **والخيل المسومة**
لخيل جمع لا واحد له من لفظه كما تقوم والرهط سميت لافراس خيلة لا خيلها في مشيتها
وقيل لان الخيل لا يركبها احدا الا وجد في نفسه تخيلة يعني عجبا واختلغوا في معنى السومة
على ثلاثة اقوال الاول انها الراعية يقال است الدابة وسومتها اذا ارسلتها للرعي والعقود
انها اذا رعت نزلت حستها والقول الثاني انها من السنة وهي العلامة ثم القايلون بهذا
القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتجمل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل
البلق وقيل هي العلامة بالكي والقول الثالث انها المصيرة للحسان وتسميها احسنها **والانعام**
جمع همومى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا لابل خاصة فانه
غلب عليها **والمرث** يعني الرخ ذلك يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف **متاع الحياة الدنيا**
اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا ومن زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يعني والله عنده

القنطار

حسن لما يلى الجمع فقيه اشارة الى الترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة
الى من تاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها
السعادة القصوى قوله تعالى **قل اوبئيبكم** اي اخبركم بخير من ذلك يعني الذي فكر من متاع الدنيا
لذي نفعوا قال ابن عباس في رواية عنه يريد للمهاجرين والانصار ارا دان يعرفهم ويشوقهم الى
الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتى لشرك **عندهم** معناه انه تعالى اخبرنا
عنه خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فتحتم على ترك ما محبوبا يرحون ثم فذلك الخير
فقال تعالى **جنت تجري من تحتها الانهار** خالد بن قيس **وازواج مطهرة** وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
سعيد الخدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ناله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول اهل الجنة فيقولون وما لنا
لانرضى وقد اعطينا ما لم نقط احد من خلقك فيقول لا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
واي شيء افضل من ذلك فيقول اهل الجنة رضوا في فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد
اذا علم ان الله تعالى قد رضى عنه كان له سرور وعظم لفرجه **والله بصير بالعباد** يعني انه
تعالى عالم بمن يورث ما عنده ممن يورثه ثروات الدنيا فيجازي كل اهل على عمله فيثيب وليعاقب
على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالدين اتقوا فذلك اعلم الجنات قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا اصابنا صدقة فاعف لنا ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا **وقنا عذاب النار** قوله تعالى **الصابرين** يعني على اذا الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي الباسا والصراء
وحين الباس وقيل الصابر من على دينهم وعلى اصابهم **والصادقين** يعني في ايمانهم وقال قتادة
هم قوم صدقت نياتهم واستقامت مشيهم وقولهم في السر والعلانية والصدق يكون
في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبية الكذب والصدق في الفعل هو لا نظاف
عنه قبل اتمامه والصدق في النية الغرم على الفعل حتى يبلغه **والقانتين** يعني المطيعين لله
وقيل هم المصلون مما وعبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها **والمتقين** يعني
اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقارب وصلة
رحمه ولزكاة وللنفقة في جميع القربات **والمتغفرين** **الاستحجار** يعني للصليين بالاستحجار
وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كما كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت
السم اخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا صومهم في ايامهم قال نافع كان ابن عمر يجي الليل
ثم يقول يا نافع استحرجنا فاقول لا فيعنا والصلاة فاذا قلت نعم فعدت تغفر ويدعو
حتى يصلي الصبح وعني اي هيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يبارك وتعالى
كل ليلة الى سماء الدنيا حين يثقل ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني
فاعطيه من يستغفر في فاعف له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني

وله في رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من مداع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له
حتى ينفجر الصبح وهذا الحديث من احاديث الصفات وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان معروفان
مذهب لسلف الايمان به واجراوه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب
من يتناول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي بما ينكر هذا الحديث من يقبل الامور على
ما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذه الصفة
الاجسام فاما نزول من لا يستولى عليه صفات الاجسام فان هذه للمعاني غير متوهمة فيه
وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم وانجائهم دعائهم ومغفرتهم فظهر
يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته ككيفية ولا على فعاله ككمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو
السهيع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هو لا بما وصف
بشره بل لانهم مع ذلك لشدة خوفهم وجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى عن عثمان
ان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الله بك يصوت في الاسحار وانت نايم على فراشك وقيل هم
الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول لما سميت الصلاة استغفاراً لانهم
طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل **شهد الله انه لا اله الا هو** قيل في سبب نزول هذه الآية
ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصر المدينة قال احدهما
لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا
على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا لهما انت اخبرتنا به امتنا بك وصداقك
قال سلا في قالوا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فارتد الله هذه الآية فلم
الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله
تعالى **شهد الله** يعني بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبين ما ظاهرا وقيل معنى شهد الله
حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما يمكن للتوصل
الى معرفة الوجدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيد به بابين من عجائب شروعاته
وغريب مبتدعاته سبل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البقرة تذلل
على البعير واثار القدم تدل على المسير فحيكل علو بهذه اللطافة ومركز سفي هذه الكفاية
اما يد لان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة
الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد لنفسه بنفسه
قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم تكن سموات ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى **شهد الله انه**
لا اله الا هو والملايكة اي وشهد الملايكة بمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى
شهادة الملايكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من
هذين الامرين يسمى شهادة حتى اطلاق لفظ الشهادة عليهما **اولوا العلم** اي وشهدوا

شهدوا الله بان لا اله الا هو

اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اول العلم فقيل لم الانبياء عليهم السلام لانهم
اعلم الخلق بالله تعالى وقيل لم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار وقيل لم علماء اموي اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل لم علماء جميع
المؤمنين **قايما بالقسط** اي العدل يقب على الحال والقسط العدل والمعنى انه تعالى قايما بتدبير
خلقه كما يقال فلان قايما بامر فلان يعني انه مدبر له ومنتهى لاسبابه وفلان قايما بحق فلان
اي انه مجاز له فانه مدبر امر خلقه وقايما بامرهم ومجاز لهم باعمالهم **لا اله الا هو** انا كرده
للتاكيد وقيل ان الاول وصف ونق جيد والثاني سبهم تعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل
فايدة التكرير الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه فقيه حث للعباد على تكريرها
والاستغفار بها فانه من استغفر بها فقد استغفر بافضل العبادات **الغريز** اي الغالب الذي
لا يقهر **الحكيم** يعني في جميع افعاله **ان الدين عند الله الاسلام** يعني ان الدين المرغى عنده هو
الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما
ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية
فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرى ان الدين بفتح الهمزة ودا على ان
الاولى المصنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة
الحزب يقال كما تدن تدان ثم صار اسم الملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشرعية
قال الزجاج الدين اسم بجميع ما يقبده الله به خلقه وامرهم بالانقياد عليه والاسلام هو
الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي بسند
الثعلبي عن غالب لقطان قال لا تبت الكوفة في تجارة فتزلت قريباً من الاعشى فكنت اختلف
اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان اغدرا الى البصرة قام من الليل متمجداً بهذه الآية شهد
الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعشى
وانا الشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وبني عنده وديعة ان الدين عند
الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع الله فيها شيئاً فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت اني سمعتك
تردد ها هنا بلغك فيها قال والله لا احثك بها الى سنة فكتبت على يابه ذلك اليوم واثمت
سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو ايل عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجابصا حيا يوم القيامة فيقول الله عز وجل اني قد
هذا عندى محمد وانا احق من قايما بالعباد ادخلوا بعدي الجنة قوله تعالى **وما اختلف الذين**
اوتوا الكتاب قالوا الكلي تزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الامن بعد ما جاءهم العلم** يعني بيان نفعه
وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من اخبار

بنى اسرائيل واودعهم التوراة واختلف يوشع بن نون فلما مضى التوراة الاول والثاني
والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم
العلم يعني نبيان في التوراة من الاحكام **بغيا بينهم** اي طلبا للملك والرياسة فسلط
الله عليهم الجبابرة وهم الذين اتوا الكتاب وهم من ابناء اوليك السبعين حتى اهرقوا الدما
وقبل تزلزلت في نصارى بخران ومعناه وما اختلف الذين اتوا الكتاب يعني الانجيل والاختلاف
كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعد ما جاءهم العلم يعني بان
الله تعالى واحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني للمعاداة والمخالفة
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود
والنصارى الذين محمد وانبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **فان تجاوزوا** اي تجاوزوا
يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لاسنا على ما سمعنا يا محمد انا اليهودية
والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ان يخرج
عليهم بانه اتبع امر الله الذين هم مقرر في بقوله **فقل اسلمت وجهي لله** اي انقذت له بقلبي
ولساني وجميع جوارحي واما خص الوجه بالذكرا لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة
فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اي
اخضعت عملي لله وفقدت بعبادتي الى الله **ومن اتبعني** يعني ومن اسلم كما اسلمت انا **وقل**
للذين اتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين يعني مشركي العرب **السلام** لفظة
استنهام ومعناه امري اسلموا فان اسلموا فقد امتدوا يعني الى الغور والنجاة في الآخرة
فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال
اليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبدته ورسوله فقالوا ما ذاك الله ان يكون عيسى عبدا قال
الله تعالى **وان تولوا** اي عرضوا **فانما عليك البلاغ** يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم
واختلف علماء النسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسليته
النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرم على ما ينهم ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طائفة
الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف
والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن قوله عز وجل **الذين يكفرون**
بايات الله يعني يكفرون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى **ويقولون للنبيين** يعني
حق ويقولون **الذين يأمرون بالعقوبة** من الناس كاذبا يعني اسرائيل يأمرونهم بالرجوع ولم يكن يأتهم
كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يؤيدون قومهم فيقتلون انبياءهم فيقوم
رجال من اممهم وصدهم قديروهم ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فيقتلونهم ايضا فهم الذين يأمرون الناس بالعقوبة يعني بالعدا من الناس روى البغوي بسند

التعليق عن الحبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اسند عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون للنبيين بغير حق ويقولون الذين يأمرون بالعقوبة من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم
من ناصر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثا
واربعين نبيا من اولي النصارى ساعة واحدة فقام مائة واثناعشر رجلا من عباد بني
اسرائيل فامرهم بقتلهم بالمعروف ونهى عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النصارى في ذلك اليوم
فهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وانزل الآية فيهم **فبشرهم بعذاب اليم** انا دخلنا النار
في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء التقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيمة
وهو محمول على الاستعارة وهو ان اعداء الكتاب والعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب
وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان
اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم **اوليك الذين حبست اي بطلت اعمالهم في**
الدنيا والآخرة وبطلان العمل وان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة **وقال لهم من**
ناصر من يعني ممنعونهم من العذاب قوله تعالى **المر تر الى الذين اتوا نبييا من الكتاب** يعني في اليهود
يدعون الى كتاب الله يعني القرآن وذلك ان اليهود ادعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن
عباس قال الله جل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن
على اليهود والنصارى انهم على غير المدي فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن زبيرة على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان
يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلتموا الى التوراة في بيننا وبينكم فايها عليه
فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا
وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكروا بوجعها شرهما فيهم فرفعوا امرهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم
فقال النعمان بن اوفى وغري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد اضرقت فقال من علمكم بالتوراة قالوا
رجل اعور يقال له عبد الله بن مسعود يا سيدي فوك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل
قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذبتك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتوراة وقال له اقرافها فما اتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعد ما فقال عبد
الله بن سلام يا رسول الله قد تجاوزها ثم قام ورفع كفها وقرأها على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحسن والمحسنة اذا زنيا وقامت عليهما البيعة رجما
وان كانت المرأة حلي ترضى لفا حتى تصنع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فقتل يهودا لذلك فارتل الله عز وجل المرتل الذي اوتوا نصيبا
من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القران والتوراة على
اختلاف الروايتين **ليحكم بينهم** اي ليقضي بينهم واصناف الحكم الى الكتاب موافق سبل المجاز
ثم يتولى فريق منهم يعني الروسا والعلماء وهم معضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا
العلماء والذين اعرضوا عن الاتباع **ذلك بانهم** يعني ذلك التوراة الاعراض انما حصل بسبب انهم
قالوا لننسا النار الا اياما معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة **وغيرهم** اي واظهرهم
في دينهم ما كانوا يفترون اي يخلفون ويكذبون قتل موثوق لم يختر ابنا الله واحبا و
وقيل موثوق لهم لننسا النار الا اياما معدودات وقيل غيرهم قولهم نحن على الحق
وانتم على الباطل فكيف **اجمعناهم** اي فكيف يكون خالما اذ اجمعناهم **يوم اي في يوم لا ريب**
فيه اي لا شك فيه انه كائن واقع وهو يوم القيامة **ووفيت كل نفس ما كسبت** فيه مقدمة هم
واستعظام لما عدلهم في ذلك اليوم وانهم يفتنون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم
وسهلوه عليها تغلبا بباطل وطع فيما لا يكون ولا يحصل لم يتل ازا ولا راية ترفع لا مثل
الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على هوس الاشهاد ثم يرميهم الى النار
وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسنا نعم ان كانت لهم حسنة ولا يزداد على سيئاتهم قوله عز وجل
قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبلي الله صلى الله عليه وسلم ساله عز وجل ان يجعل
ملك فارس والروم في امته فارتل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة وعدلته ملك فارس والروم فقال المشافقون واليهود هيهات هيهات من ابن محمد ملك فارس
والروم وهم اعز وامنع من ذلك الميكف محمد امكة والمدنية حتى طع في ملك فارس والروم فارتل
الله هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جابن قل النبوة من بني اسرائيل
الغيرهم فتركت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف التثنية اذ بيت الميم في اخره
وقيل ان الميم فيه معنى اخر وهو يا الله اقصدها مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا
وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يوتييه من يشا وقيل معناه
مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك احد غيره وفي بعض كتب الله المزة انا الله ملك
الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم
رحمة وانهم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تستغفروا بسبب الملوك ولكن توبوا الى
اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والملك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شيء
ومالك على كل ملك وملوك وقادر ومقدر وقيل معناه مالك الملك اي جنس الملك ينتصر

فيه كيف يشا **توفي الملك** من تشايعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبوة له
الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الا على ظواهرهم بعض الخلق وهو من
يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة **وتزوج الملك من تشايعني** بذلك تزوج
النبوة من بني اسرائيل وايتلها محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه في نبوته
ورسالة احد وقيل توفي الملك من تشايعني محمدا واصحابه وتزوج الملك من تشايعني
من ابي جهل وصناديد قريش وقيل توفي الملك من تشايعني امته محمد صلى الله عليه وسلم
وتزوج الملك من تشايعني فارس والروم وقيل توفي الملك من تشايعني ادم وذريته وتزوج
الملك من تشايعني ابيليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل ادم **وتقر من تشايعني** محمدا
صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة **وتنزل من تشايعني** اليهود باخذ الجزية منهم وتزوج
النبوة عنهم وقيل تغلبها جبريل والانصار وتزل فارس والروم وقيل تغلب من تشايعني محمدا
 واصحابه حين دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتزل من تشايعني ابا جهل واصحابه
حين قتلوا والقوا في قلب يوم بدر وقيل تغلب من تشايعني الطاعة وتزل من تشايعني
وقيل تغلب من تشايعني الغنى وتزل من تشايعني الفقر وقيل تغلب من تشايعني القناعة والرضى وتزل
من تشايعني الحسن والطبع **بيدك الخير** يعني المنصر والغنية وقيل الالف واللام تغني
العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير ومن الشرف قلت لان
الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله الى عباد المؤمنين وهو الذي انكرته اليهود
والمنافقون فقال بيدك الخير توتيهما ولياك على غير اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير
لا ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير
بالذكر لانه المستغنى به والمغلوب فيه **انك على كل شيء قدير** يعني من ايتا الملك من تشايعني
من تشايعني لانه تشايعني بقوله تعالى **تولج الليل في النهار والنهار في الليل** وقال اخراج
الملك اركفه بذكر قدمته الباهرة في حال الليل والنهار في العاقبة بينها وقال اخراج
الحج من الميت ثم عطفت عليه انه يرزق من يشايعني حساب وفي ذلك دلالة على ان من
قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر على ان يترج الملك من
فارس والروم واليهود ويبدلهم ويوتييه العرب ويغيرهم بقوله تعالى **تولج الليل في النهار**
يعني تدخل الليل في النهار ويومان يحجل الليل قصيرا وما نقص منه زيدا في النهار حتى
يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك
غاية قصر الليل **وتولج النهار في الليل** حتى يكون الليل خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول
الليل ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد الليل
عقب من النهار وياتي بفض النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول صحيح واقرب الى معنى الآية

بلغ

لانه اذا انقضى الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج **وتخرج**
الحج من البيت وتخرج الميت من الحج يعني انه تعالى يخرج الانسان الحج من النطفة وهي ميتة
ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرج وهو حج من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك
سائر الحيوانات وقيل يخرج النيات الفضل احضر من الجبال يابس ويخرج النخلة من النواة
وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد
والكافر ميتة **وتزق من تشا بغير حساب** يعني من غير تضييق ولا تقتير بل ييسر الرزق لمن
يشاء ويوسع عليه قوله تعالى **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** قال ابن عباس
كان الحجاج بن عمرو ابني الحقيق وقيل من يزيد يبطنون بنجر من الانصار ليقتنومهم عن
دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن جثمة لا وليك الترافة اجتنبوا
بؤلا اليهود لا يقتنومكم عن دينكم فاني وليك الترافة لا طنتهم فانزل الله هذه الآية
وقيل تركت في مخاطبة بني يثيعه وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل تركت في
عبد الله بن الحارث بن ابي عامر كونه يثقون بالمشركون واليهود ويأثرونهم بالاخبار يرحبون ان
يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وبني المؤمنين
عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب
يا رسول الله ان معي خمسة من اليهود وقد رايت ان استظهرهم على العدو فتركت هذه
الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعني انصارا واعوانا من دون المؤمنين
يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن بنبي الله المؤمنين
ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقربة بينهم وصحبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض
في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان **ومن يفعل ذلك** يعني موالات الكفار من قتل
الاخبار اليهم واظهار عورات المسلمين ويؤدبهم ويحبهم **فليس من الله في شيء** اي فليس من
دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ولاية المولى
معاذاة اعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضد ان لا يجتمعان **الا ان تتقوا منهم نقاة**
اي لا تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله يمتحن المؤمنين عن موالاة الكفار ومداغمتهم
ومباطنهم الا ان يكونوا كفارا غالبيهم من المؤمنين فيقوم كفار فداهم بلبانة
وقلبه مطمئنا لا يماند فعا عن نفسه من غير ان يستحل حراما او ما لا حراما
او غير ذلك من المحرمات ويظهر الكفار على عورة المسلمين والتقاة لا تكون الا مع خوف
القلب مع سلامة النية قال الله تعالى لا من اكره وقلبه مطمئنا لا يماند فداهم بلبانة
التقية وخصته قلوبهم على ظهارا يماند حتى قتل كان له به لك اجر عظيم وانكر
قوم التقية اليوم وقالوا لما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين

وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اغرأه الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا
من عدوهم قال يحيى النكاقي لسعيد بن جبيرة في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقاة
باللسان والقلب مطمئنا لا يمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في
الحرب وقيل انما تجوز التقاة لصون النفس عن الضرر لا دفع الضرر عن النفس واجب
بقدر الامكان **ويحذركم الله نفسه** اي ويحذركم الله ان تقصوه بان ترتكبوا الهوى وتخالقوا
الماوراء وتوالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله **والى الله المصير** يعني ان الله
يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الآخرة قوله عز وجل **قل ان تحفوا ما في صدوركم**
يعني ما في قلوبكم من امور الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب **وتبدوه**
يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعل وقيل معناه ان تحفوا ما في قلوبكم من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحب والمقاتلة **له يعلم الله** اي
يحفظه عليكم ويحازيكم به **ويعلم ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى اذا كانت
لا يخفي عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفي عليه حالكم وموالاتكم الكفار
وميلكم اليهم بقلوبكم والله على كل شيء قدير **يوم تجز كل نفس ما عملت من خير** يعني تجز
كل نفس جزا ما عملت محض يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء **وما عملت من سوء** وتجه
ما عملت من الخير محض فتنسبه وما عملت من سوء تؤد اي تمنى لو ان بيننا وبينه اي وبين
ما عملت من السوء **ابعد** اي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والفاية
والنهاية وقيل معناه تؤد القال لم تعلمه ويكون بينه وبينها امدا بعيدا **ويحذركم الله نفسه**
انما كرهه لئلا يهملوا **والله روف بالعباد** قتل معناه انه روف بهم حيث حذرهم من نفسه
وعزهم بحال قدرته وعلمه وانه يمل ولا يهمل وقيل معناه انه روف بالعباد حيث املهم
بالنوبة ولتدرك العمل القباح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد
ابتعد بقوله والله روف بالعباد وهو وحده يعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت
وعيده وسخطه قوله تعالى **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله** تركت في اليهود والنصارى
حيث قالوا نحن ابنا الله واجاوه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرش وهم
في المسجد وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشوف
ومم يسجدون لما فقال يا معشر قرش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل
فقال قرش انما نعبد اجدادنا ليعقبونا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى
نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله ونعظيم له فانزل الله قلوبهم ان كنتم
تحبون الله فيما ترعمون فاتبعوني يحبكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعتها والمعنى قل
ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا متقادين لاوامره ومطيعين له فابتغوا
فان اتباع من محبة الله وطاعته قال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن عظمة واجلاله
وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهييه ومحبة الله للعبد ثناء وعلية ورضاه
عنه وثواب له وعفوه عنه قد لا يكون له تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم** يعني ان من غفر له فقد
ازال عنه العذاب **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر ذنوب من اجبه ورحمه بغضله
وكرمه ولما تزل هذه الآية قال عبد الله بن ابي بن ساول راس المناقبين لا يصحاحه
ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نخبه كما احببنا من ابي عيسى بن مريم
فانزل الله عز وجل **قل اطيعوا الله والرسول** يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر او نهي ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة والزرع ومجرى ما امر الله به في كتابه او نهي
عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني
ونقصوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلم تكن طاعتكم **فان تولوا** اي عرضوا عن طاعة الله ورسوله
فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابي قالوا ومن ابي قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد اخطى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعصني
الامير فقد عصاني في قوله عز وجل **ان الله اصطفى ادم ونوحا** قال ابن عباس قالت اليهود
عن من بنى ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله
اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اخيار
من الصفوة وهي الخالص من كل شئ ادم بنو البشر ادم عليه السلام ونوحا هو نوح بن
لحم بن مشوش بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكي ان الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان
الدمشقي ان اسم نوح السكت واما سمي نوحا لكثرة توحه على نفسه **والا ابراهيم** قيل اراد
بالا ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل الا ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله
نقلا جعل ابراهيم عليه السلام اصلا لشعبين فجعل اسماعيل من ابراهيم عليهما
السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفا
وجعل اسحاق اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى من نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ثم جمع له ولائته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بالا ابراهيم من كان
على دينه **والعمران** واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن عبد بن قاهت بن لاوي

هذه
بعض

ابن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون عمران موسى وهارون او نفسه وقيل
هو عمران بن اشم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليها السلام
وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بالامر من مريم وابنها عيسى
عليهما السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من تسلم **على العالمين** اي القارئ
واصطفاهم على العالمين باخصهم من النبوة والرسالة **ذرية** اي اصطفى ذرية واصلمها
من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهرا دم كالدور وانما سمي الابا
والابنا ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الابا والابا من ذرية ادم
وهو بمن ذراه الله اي خلقه **بعضها من بعض** اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من
بعض في الناصر والتفاضل وقيل بعضها على بن بعض **والله سميع** يعني انه تعالى سميع
لاقوال الصاد **عليهم** بنيا لهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعل
قوله تعالى **اذ قالت امرأة عمران** اي حنة بنت فاقوذ ام مريم وعمران بن ماثان وقيل ان
اشيم وليس عمران بن موسى لان بينهما الفارق واما ثمانية سنة وكان بنو ماثان روس بني اسرائيل
في ذلك الزمان واجبارهم وملوكهم **رب اني نذرت لك ما في بطني محررا** اي جعلت الحمل الذي
في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتقا خالفا
مترغا للعبادة الله وخدمته الكنيسة لا اشغل بشئ من اموره لاني قاتل كان المحرر عندهم
اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح متيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم
يجوز ان احب قام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد الخروج بعد ان اختار الائمة
في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبياء بني اسرائيل وعلماء يهم الا من اولاده جماعة
محررة كخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرق الا العلمان ولا يصلح الجارية لخدمة بيت المقدس
لما يصيبها من الحيض والاذى فخرت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره
اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقوذ وهي ام
يحيى عنده زكريا وكانت حنة بنت فاقوذ اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد
امسك عن حنة الولد حتى ابنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان
فيما هي في ظل شجرة تبصر بطاير يطعم فرخا فحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله
ان يعيب لها ولده او قالت اللهم لك على ان ذنرتني ولدا ان تصدق به علي بيت المقدس
فيكون من سدنته وخدمته فلما حملت بمرم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها
زوجها ويحك ما صنعت اريت ان كان ما في بطنك انثى فلا يصلح له ان يولد فاجابها
فيهم شديدا من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى **حاكيا**
عنها **فتقبل مني** يعني نذري والتقبل اخذ الشيء على الرضا واصله من المقابلة لانه يتقابل

بالجزا ومنه اسوال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضى الله تعالى والاعلام في كتابه
وعبادته **انك انت السميع** يعني لتسمع ودعائى **العليم** يعني بينتى وما في صغيري قوله **وجعل**
فلما وضعها اي ولدت حملها وانما قال وصنعها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت
حنة ترجوان يكون غلاما **قالت** يعني حنة **رباني وضعها انثى** تريد به لانه اعتذر الي
الله تعالى من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام
لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه **والله اعلم بما وصفت** قرى يحزم التا
اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشئ الذي وصفت وقرى وصفت
برفع التا وهو من كلام امرئهم على تقدير انما قالت رب اني وضعها انثى خافت ان تكون
اخبرت الله تعالى به لك فاذا لم تدره الشبهة بقولها والله اعلم بما وصفت **وليس لك**
كالانثى يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقدم وتأخير تقدمه
وليس لانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة وفي
الكنيسة ولا يصلح الانثى له لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولا يعاورة ولا يجوز
لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الآية ان المقصود منه هو تفضيل هذه الانثى على
الذكر كما انها قالت كان الذكر مطلوبا لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهوبة الله تعالى
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهوبة الله تعالى وكانت منهم من اعمل النساء
وافضلهن في وقتها **واني سميتها مريم** يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادوا بهذه
التسمية ان يفضلها الله تعالى على اناث الدنيا **واني اعيزها بك** وذريتها الى امنعها واجبرها
بك وذريتها من **الشیطان الرجيم** يعني الطريد اللعين وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت
تطلب من ان يكون لها ولد ذكر فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من
الشیطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات **ق** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم من مولود الا غنسه الشيطان حين يولده فيتهل
صارا من غنسه اياه الامم وابنها ثم يقول ابو هريرة افردوا ان شئتم واني اعيزها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه
باصبعه حين يولده غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى
تقبّلها اي **تقبّلها** يعني تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر المحرم يعني قبل ورضي
قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على ما قبلها قبول كما يقال
قبلت الشئ قبولاً ويجوز قبولاً اذا رضى وقال ابو عمر وليس في المضاد فقول بفتح الفاء
الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وما سوا وهو ان يرى الشئ
وياخذه وقيل معنى التقبل في التربية والقيام بشاؤها وانما قال يقبل الجمع بين الامر

يعني

يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو معنى الرضى **وانبت لها نباتا حسنا** معناه
وانبت لها فنبئت مريم نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تقبلها اي يقبلها حسن اي سلك
بها طريق السعد وانبت لها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان
فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام **وكفلها زكريا** قال اسد الاخبار لما ولدت
حنة مريم فلقتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عنده لاجبار ابنا هارون
ومريم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتأخر
فيها الاخبار لانها كانت بنت مأموم وصاحب قربا منهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان
خالها عنده فقال له الاخبار لو تركت لاحق الناس بها لترك لامها التي ولدها ولكنها تفرح
عليها فتكون عند من خرج سهمها فانظروا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار
فيلبوا الأذن فالتقوا اقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء صعد فهو اولي بها من غيره
وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالتقوا اقلامهم التي
كانت باية بهم فانرفع قلم زكريا فوق الماء وقف واخذت اقلامهم ثم رست في الماء وقيل
جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرى جرف قلامهم مع جرى الماء الى اسفل فنهض زكريا
وقرعه وكان زكريا راس الاخبار ونبيهم فذكر قوله تعالى وكفلها زكريا قرى تشديد الفاء
ومعناه وضمنها الله زكريا فضمها بالترعة وقرى تخفيف لفا ومعناه وصمها زكريا الى نفسه
بالترعة وقام بامر زكريا ابن اذن بن مسلم بن صدوق ومن اولاد سليمان عليهما السلام فنامم
زكريا منهم الى نفسه بنى لها بيتا واستر منع لها الموضع وقيل ضمها الى خالها تام يحيى حتى اذا ثبت
وبلغت مبالغ النسابة لها محرما في المسجد وجعل اباه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا
يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم وذلك قوله تعالى **كلما دخل عليها زكريا**
المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكونه من المسجد وقيل المحراب ما ترقى
اليه بدخ وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب **وجدها**
رثقا يعني فاكهة في غير وقتها فكان يحيط بها فاكهة الشافى الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
قال يعني زكريا **يا مريم اني لك هذا** اي من لك هذه الفاكهة **قالت** يعني قالت مريم مجيبة لزكريا
هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلغ شيئا بل كان ياتيها رثقا
من الجنة فيقول زكريا يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما
تكلم ولد هاعيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحاق اصابته بنى اسرائيل ازمة
وهي على ذلك من حالها حتى صنعت زكريا عن حملها وكفالتها فخرج علي بن اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل
تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد
جهدنا واصابنا من الشدة ما ترى فتدفعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها به اقتدارا وعيلا بالاعلام

فخرج السهم لجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله ييسر امرنا فصار يوسف رزقاً لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا دخله عليها في المحراب ناه الله وزاده فيه خبز كبريا عليها فيقول يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء **غير حساب** ومدة الحمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرة او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كليات الاوليا وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راي زكريا ذلك قال ان الذي يقدم علي ان ياتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وجنتها من غير سبب لقادر على ان يصلح لي زوج ويبي لي ولدا في غير حينه من الكبر قطع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله تعالى **انا انزلناه نذرا في كتابه طيبة** يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقياسا لكا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانا قال طيبة لثاني لفظ الذرية **انك سمع الدعاء** سامعه وبجبه قوله عز وجل **فنادته الملائكة** يعني جبريل عليه السلام واما اخبر عنه بلفظ الجمع لفظا لثبانه ولانه رئيس الملائكة وقيل ان يبعث الائمة جمع من الملائكة فخرى ذلك على مجرى العادة **ومواقم يصلي في المحراب** في المسجد ولما ذكرنا عليه السلام كان اكبر الكبر الذي يقرب التراب ويفتح لم الباب فلا يده خلون حتى ياذن لهم في الدخول فينما بمواقم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن في الدخول اذا موبرجل شاب عليه ثياب بيض فخرج ذكر يامنه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا **ان الله يدبرك** يعني اى بولده اسمي يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لانه تعالى احب به عمره وقيل لان الله احياء بالطاعة حتى لم يم بمصيبة قط **مصدق بكلمة من الله** يعني عيسى بن مريم وانا سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير ابد لالة على حال القدق فوقه عليه اسم الكلمة لانه ما كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية ويبتدئ به كما يعتد بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشره مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه مخلوق نبيا من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعدناه بخلقه كذا وكان يحيى اول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بسنة اشهر وكان ابن خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليها السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى ومما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني حامل فقالت مريم

وقال ابن عباس سمي يحيى لانه تعالى احب به عمره وقيل لان الله احياء بالطاعة حتى لم يم بمصيبة قط

وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى **مصدق بكلمة من الله** يعني ان يحيى من عيسى وصدق به **وسيد** امن ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتسب الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخاق وقيل هو الذي يطعم ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيد في العلم والعبادة والورع وقيل هو السيد الحكيم الذي لا يغضب شيئا وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو النبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الحسن فبني على انسا **يخجله** قال واى ذا ادوا من الخجل لكن سيدكم عمر بن الجموح **وحضور** قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحضور الذي لا ياتي النساء ولا يفرقن فعلى هذا هو فاعول معنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات او اصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو الغني وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحضور بمعنى المحصور بمعنى المنوع من النساء قال السعيد بن المسيب كان له مثل هدية لثوب وقد تزوج مع ذلك ليغفر بصره وفيه قول اخر هو ان الحضور هو الامتنع من الوطئ مع الفرية عليه واما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المجتهدين وهو اليق بن زهير لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في مدح المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجعل من ان يضاف الى احد منهم نقص او فقر فحمل الكلام على منع النفس عن الوطئ مع الفرية عليه او من حمله على ترك الوطئ مع الفرية **ونبيا من الصالحين** يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين فتوله تعالى **قال** يعني زكريا **رب ليبارك** وقيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دللت على ان الذي نادوه هم الملائكة فعلى هذه القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمراد به عيسى عليه السلام وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشره بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال **رب انى يكون لي غلام** يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام **وقد بلغني الكبر** قيل هو من المقلوب ومعناه موقد بلغت الكبر وشئت وقيل معناه وقد نال الكبر وادركت الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشيره الملائكة اياه به ومما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به اكان شاكا في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانا قال ذلك على سبيل الاستغفار والاستغلام والمعنى من اى جهة يكون لي الولد لا يكون بالالة العقر عن زوجتي ومرتد شاكى على او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله **قال لك الله يفعل ما يشاء** وقال العكرمة والسدى لما سمع زكريا انه الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصون الالهى سمعت ليس هو من الله واما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحى اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا فاعل الوسوسة واعترض على الوعد

بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع
الوثوق باخبارهم عن الوحى السماوى واجبت عن هذا الاعتراض بانهم لما دلت الدلائل
على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلامدخل للشيطان فيه وذلك
فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول
الوسوسة فسنذكر ما ذكرنا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان نكريا
يوم بشر بالولد ابن اشير وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية
الصحاح كان ابن مارية وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذكره الله تعالى
وقد بلغنى الكبر وامرأتى عافى عقيم لا تله قال كذا الله يفعل ما يشاء يعنى انه تعالى
قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شئ قوله عز وجل **قال** يعنى نكريا
رب اجعل لى آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امرأتى فاذا في العبادات والشكر **فلا يتك** اي
علامتك على الذى طلبت معرفة علمه **الا تكلم الناس** اي لا تقدر على تكليم الناس **ثلاثة ايام** ايام
ثلاثة ايام مليا لها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرته
التسبيح وله ذلك قال في اخر الآية واذكركم بكم كثير اوضح بالعشى والابكار يعنى في ايام منعك
من تكلم الناس وهذه من الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر
مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامه الجوارح من اعظم اللغات
وانما منع عن الكلام مع الناس ليخلص هذه الايام لعبادة الله وذكره فلا يشغل لسانه
بشئ اخر يوقر الله على فضايق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيا طلب لايته من اجله
وان يكون ذلك ليلا له على وجوده كمال ليمسوره بذلك قال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام
عموية لسواله الايتبع مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة
ايام الارض اي الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت اشارته
بالاصبع المسجحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه
الهمس وقيل اراد بصوت ثلاثة ايام لا يفهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح
لوافقته اهل اللغة عليه **واذكر ربك كثيرا** واذكركم باللسان من الكلام في تلك المدة
امه بالذكر فقال واذكركم كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه **فصح** اي عظم
ربك وترحمه عن التقايص وقيل ومثل ربك وسميت الصلاة سجدة لان فيها ترنما للرب
سبحانه وتعالى **بالعشى والابكار** فاما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي
صلاى الظهر والعصر صلاى العشى والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى **واذ قالت**
الملائكة يعنى جبريل عليه السلام **يا مريم ان اسأطفاك** اي اختارك **وطهرتك** يعنى من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنقاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب **واسطفاك** اي

واختارك **على نسا العالمين** اي على عالميها وقيل على جميع نسا العالمين فان قلت هل
فرق بين الاصطفا الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناها وجوها يتحصل منها الفرق
ف قيل في معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محبرة ولم يجرد
قبلها انشئ ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقا من عنده وكفلها
زكريا ومعنى الاصطفا الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمها كلام الملائكة
ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء **عن علي بن ابي طالب** قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خير نسا يها من بنت عمر بن الخطاب خيرا نسا يها خديجة بنت خويلد قال ابو بكر بن ابي شار
وكيع الى السماء والارض قيل اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسا يها ومعناه
انها خير كل نسا بين السماء والارض قال الشيخ محي الدين النواوى والظاهر ان معناه ان كل واحدة
منها خير نسا الارض في عصرها واما التفضيل بينها فتسكت عنه **ق** عن ابي موسى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران
واسية امرأت فرعون وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء
معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من غيره وثريد ثوبها لا لحم
فيه افضل من غيره وثريد وفضل عايشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في
هذا تصريح بتفضيلها على مريم واسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نسا هذه الامة عن
النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علم حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امرأة فرعون اخرجها الترمذي
قوله عز وجل **يا مريم اقنتي لربك** اي قانت للملائكة لها شفاها الطيعي ربك وقيل معناه
اطيى القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها
وسالت دما وتيجا وحكى عن مجاهد نحو **واستجدي** **واركعي مع الركعة** انما قدم السجود على
الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب نامى للجمع كانه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل
انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانبارى امرها امرعا ما
وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملى السجود والركوع في كل حال ولم يرتفع السجود
على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الركعة ولم يقل مع
الراكعات لان لفظ الركعة اعلم فيه خل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل
وانتم وقيل معناه افعلى كفضل الركعة وقيل المراد بالصلاة في جماعة اي صل مع الصليين
في جماعة قوله تعالى **ذلك من انبا الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرته
لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب **نوحية** اي بلقية
اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضية الا بوحى منا اليك وانما قال نوحية لانه

رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ **وما كنت** يعني يا محمد **لديهم** هنا لك عندهم **اذ يلقون**
اقلهم يعني التي كانوا يلقون بها في الما لاجل الاقتراع **ايهم** **تلكم** **ايهم** يعني يريها ويقوم
بمضامها قيل سيب منازعتهم في كماله من هم حتى اقترعوا على ذلك فكانت بنت عمر بن
وكازر يسيهم وكبيرهم فلاجل ذلك وغبوا في كمالها وقيل لان من هم حررت لعبادة الله وخدمته
المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك غبوا في كمالها **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله**
يبشركم معناه وما كنت له يمين يا محمد اذ يختصمون وما كنت له يمين اذ قالت الملائكة يعني جبريل
عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يشره من خير **بكلمة منه** يعني برسالة
من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل التي الى فلان كلمة سرفى بها واخبر في خبر فرحت
ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير
بعل ولا حمل وذلك الولد **اسمها المسيح عيسى بن مريم** وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو
قوله كن فسماه الله كلمة لان كان عن كلمته التي هى كن كما بقا لما قد اسماه منه شيئا هذا قد مر الله
وقضا الله يعني ان هذا الامر على قدره وقضايه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام
وانما ساء كلمة لانه وجد عند الكلمة التي هى كن فان قلت كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة
التي هى كن فلم يخص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق
وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب عام للمنفارقة ولما كان حدوث
عيسى عليه السلام بحمد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان امتناقة حدوثه الى الكلمة
اتم واكمل فبذلك التاويل حتى ان يسمى عليه السلام نفس الكلمة لانمحدث عنها فان قلت
الضمير في قوله اسمها عايدا الى الكلمة وهى موصوفة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكرا
ولهذا ذكر الضمير فان قلت لم يقل اسمها المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد
وهو عيسى واما المسيح فللقب وانتم هم صفة قلت الضمير في قوله اسمها يرجع الى عيسى
وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال الذى يعرف ويتميز به عن سواه هو مجموع
هذه الثلاثة واختلصوا المسمى عليه السلام مسيحا واهل هو اسم مشتق او موضوع ففعل
فقل انه موضوع واصله بالغيرانية مشيخا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى
 واصله موسى وميتشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكر واقبه وجوها قال ابن عباس سمي
عيسى مسيحا لانما مسح ذعا هة الابر او قيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح منه باب
الافراط فظهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه مسوحا باله من وقيل لان جبريل
عليه السلام مسح بجماله حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسبح في الارض
ولا يقسم بمكان فكانه مسح الارض اى يقطعها مساحا فعلى هذه القول تكون الميم زائدة
وقيل سمي مسيحا لانه كان يسبح القديم لا الخصل وسمى الى جلال مسيحا لانه مسح احدي

قوله كن فسماه الله كلمة لان كان عن كلمته التي هى كن كما بقا لما قد اسماه منه شيئا هذا قد مر الله

العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكتاب
وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاصداد قوله تعالى **وجيها** اى شريفا رفيقا
فاجاه وقد روي في الدنيا والاخرة اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يدرى لا كرامة
والابرص ويحيى الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب علومه وتلته عند الله وهو قوله تعالى
ومن المقربين يعني عند الله يوم القيمة لان اهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم
اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علومه وتلته وانه رفعه الله الى السماء **ويكلم الناس في**
المهد يعني ويكلم الناس صغيرا او موق في المهد وذلك قبل ايام الكلام ووقته والكلام الذي
تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب لاية وتكلم
بيرة امه مامر موهبا ما اهل الفرية من القذف ويحيى انتم قالت اذ اخلوت انا وعيسى
حدثني وحدته فاذا اشغلتني عنه انسان يسبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم بيرة
امه سكنت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى
ساعة ثم سكنت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق **وكلاما** يعني ويكلم الناس فقال الكهولة
والكهولة في اللغة موالدي اجتمع قوته وكمل شبابه والكملة عند العرب لذي جاوز اللانين
وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل ويتبين فيه الانبياء
قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسل الله تعالى ملكا في رسالة ثلاثين شهرا
شرفه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة ثمك في نبوته ثلاث
سنتين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد بيرة امه وهو معجزة عظيمة
ويكلم الناس فقال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانها ستنجب
حتى يكتمل وقيل فيه اخبارا به يتغير من حال الى حال ولو كان لها كما زعمت النصارى لم يدخل
عليها التغير فيكون ردا على النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسن بن الفضل
وكلاما يعني ويكلم الناس كقوله بعد نزوله من السماء في هذه الآية نصر على انه سينزل من السماء
الى الارض وسيطل الباطل وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها للحالة
الوسطى في احتياك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة **ومن الصالحين**
يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانا
ختم واصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان
الصالح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرصا كحاشي يكون مواظبا على النهج
الاصح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله بكونه وجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين لانه يكلم الناس في المهد وكلاما اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات
واشرف المقامات قوله تعالى **قالت** يعني مريم **رب** يعني ياسيده يقول بحير يلما بشرها

بالولد وقيل بقوله به عز وجل **ان يكون له ولد** من ان يكون له ولد ولم **يمسني بشر** اي ولم
يصني رجل وانما قالت ذلك لتجيب الاشكا في قدر الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد
ولد من غير اب **قال له الله يخلق ما يشاء** يعني هذه لخلق الله منك ولدا من غير ان يمشك
بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله **اذا قضى امره**
فانما يقول له كن فيكون يعني كما يريد **وعلم الكتاب** يعني الكتاب والخط باليه **والحكمة** يعني العلم
والسنة واحكام الشرايع **والنور** يعني التي اترك على موسى **والاجل** يعني الذي اترك عليه
وهذا اخبار من الله تعالى لهم ما هو فاعل بالولد الذي يشاء به من الكرامة وعلو المزية
ورسولا الي بني اسرائيل اي وجعله رسولا الي بني اسرائيل وكان ولا نبيا بنو اسرائيل يوسف بن
يعقوب واخبرهم عيسى بن مريم عليهم السلام فلما بعث اليهم قال **ان قد جيتكم بآية من ربكم**
اي بعلامته من ربكم على صدق قوله وانما قال بآية فوقد جا بآيات كثيرة لان الكلد على شراعه
وهو صدقه في الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا ما هذه الاية قال **انني اخلق لكم**
اي اصور واقد من الطين كهيئة الطير والهيئة الصورة الهيئة من قولهم هيئات الشيء اذ
قدرته واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطين المهيأ للصورة **فيكون طيرا** قرى بلفظ انهم لان الطير
اسم جنس يقع على الواحد والاثني والجمع وقرى فيكون طيرا بالتحديد على معنى يكون ما انفخ
فيه طيرا وما اخلقه يكون طيرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل
وانما خصل الخفاش لانه من اكل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان
الاثنى منه لكانه في تخفيض ذكره وان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر له المعجزات
اخذوا ويتعجبون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش
ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السمل والارض قال اذهب كان طيرا وما دام الناس ينظرون
اليه فاذا لغاب عنهم سقطت اليهم من فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى
وليعلم ان الكمال لله تعالى **يا ذا** الله معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى في عمل هذا
الصورة انما انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى
عليه السلام **وابرى الاعمى والابرص** اي واسفي الاعمى والابرص واصحهما واخلفوا في الاعمى
فقال ابن عباس موالدي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابرص وقيل موالا اعمى وقيل موالدي
يبصر بالزنا ولا يبصر بالليل والابرص موالدي به وصح وكان الغالب على نواز عيسى عليه السلام
الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب برا الاكمه والابرص
فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال اذهب رما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى
في اليوم الواحد نحو خمسين الفا فطاق ان يمشي اليه من مرضى لم يطبق مشي عيسى عليه السلام اليه
وكان يدا ٧٨٧ بالدعاء على شرط الايمان رسالته **واحي الموتى** **يا ذا** الله قال ابن عباس قد اجاز الربعة

انفس

انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشرة وسام بن نوح وكلهم بنو وولده الاسام
ابن نوح فاما عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاته عيسى واصحابه فوجدوه
قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقينا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فذعا
الله عيسى فقام عازر رجيا باذنه تعالى فخرج من قبره وعاش وولده واما ابن العجوز
فانه مربه وهو ميت على عيسى عليه السلام ويحمل على السر فدعا الله عيسى فجلس على
سريره وترلع عن اعناق الرجال وليس يا بدوا في اهلهم وعاش وولده واما ابنة العاشرة
فكان باخذ العصور من الناس ماتت بنت له بالاسم فدعا الله عيسى فاحياها به عوته
فعاشت وولده لها واما ابن نوح فان عيسى عليه السلام جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم
فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك
الزمان فقالوا قد قامت القيامة فقال عيسى لا ولكن دعوتكم باسم الله الاعظم ثم قال الميت
فقال بشرط ان يعبد في الله من سكرات الموتى اخرى فدعا الله عيسى ففعل **وانجيكم** يعني وانجيكم
بانا كلون اي بما لم اعاينته **ومانه خروف** **بنيوكم** اي وما ترفعونه فنجيونه في بيوتكم لتاكلوه
فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بالاكل الباردة وما ياكل اليوم
وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للفلام
انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا او قدر فموا لك ان افسطى الصبي الى اهلك فيسكن على اهلك
حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فنجسوا صبيانا ثم عنه
وقالوا لا نتقه وامع هذا السحار وجمعهم في بيت فجا عيسى يطيلهم فقالوا ليس هنا
فقال وما في البيت قالوا خازن قال كذلك يكونون ففتحو عليهم الباب فاذا هم خازن
فتشع ذلك في بني اسرائيل وظهر لهم توابه فخافت عليهم انه فحمتهم على خيبر لها وخرجت
هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خزانة تزل عليهم اينما كانوا
فيه من طعام الجنة وامر ان لا يخونوا ولا يدخروا الفد فخانوا ودخروا ففعل عيسى
بخبرهم ما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فتمسحهم الله خزانة برو في هذا دليل
قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخراجه عن الغيبات
مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابرا الاكمه والابرص واخيا الموتى باذنه تعالى
واخراجه عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا اما لاسبيل لاحد من البشر الى علمه
الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المجسم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق
قلت ان المجسم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتد في اخراجه
عليها اما المجسم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها بواسطة
حساب الرمل وخود ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برؤية من اجن

فانما صنفنا عيسى عليه السلام في كتابنا
الذي فيه عازر ابن العجوز

وقد يخطئ ايضا في كثير مما يجزبه واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المعجيات
فليس الا بالوحى السماوى وهو من الله تعالى وليس باستغانة بواسطة حساب ولا غيره
فحصل الفرق **ان ذلك** يعنى الذى تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وبرا الاكمة
والابصر والاخبار عن المعجيات **لاية لكم** اي لغيره ودلالة على صدق انى رسول من الله اليكم
ان كنتم مومنين يعنى مصدقين له **ومصدق** فاقبل انه عطف على قوله ورسولا وقيل بموطفه
على انى قد جئتم باية من ربكم والمعنى وجئتم مصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك لانه
الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم بصدق الذى قبله ويصدق
بما اترا اليه من الكتب والشرائع والاحكام فلذلك قال عيسى عليه السلام ومصدق لما
بين يدي من التوراة **ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم** قال وهب بن منبه ان عيسى كان
على شريعة موسى عليهم السلام وكان يبيت ويستقبل بيت المقدس قال ابن اسرئيل
انى لم ادعوكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا لاجل لكم بعض الذى حرم عليكم واصنع
عنكم الاصار وذلك انه تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض
ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فينظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك
التشديدات التى كانت عليهم وقال قتادة كان الذى جاء به عيسى الى ما جاء به موسى وكان
قد حرم عليهم فيما جاء به موسى الا بل والترجى والشحوم واسيا من الطير والحيتان تزداد
غيره فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخر من عيسى عليه السلام رفع كثير من احكام
التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام
والشرائع والناسخ والمنسوخ هو صدق **وجئتم باية من ربكم** اي بحجة واضحة شاهدة
على صحة رسالتى ثم خوفهم بقوله **فانقوا الله** يعنى يامعشر بني اسرائيل فيما آثمتم به وانهاكم
عنه **والطيقون** يعنى فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما دعوتكم
اليه هو قولى **ان الله ربي وربكم فاعبدوه** لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد
ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد جاز من قال بقوله
من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان برئيا مما نسبته النصارى وانه كان
عبدا لله وخصته بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله **مذا صراط مستقيم** يعنى التوحيد
قوله تعالى **فانما احسن عيسى منهم الكفر** اي وجد وعرف وقيل راي والاحساس عبارة عن
وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحسن ذلك عيسى منهم وعفا امرهم
عليه وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى
عليه السلام الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه فغوه من بينهم

فخرج هو وامه ليسبحان في الارض فترا الى قرية على جبل واصنافا واحسن اليها وكان
لذلك القرية ملك يجتار متعة فجاز ذلك الرجل في بعض الايام وهو يوم حزين فدخل منزله
ومزمع عنده امرته فقالت مزمع ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا فتالي نى قالت
مزمع اخبرني لعلى الله ان يفرج كربتة قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل
منا يوما يطعمه فيه هو وحنوده وليستقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا
وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي لا بعتم لذلك فاننا امراني ان يدعوله فيكفي ذلك
ثم قالت مزمع لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مزمع لا يتبالي فانه قد
احسن اليانا واكرمنا فقال عيسى قولي لماذا اقرب ذلك الوقت فاملا قد وركا وخوابك ما
ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحويا القعدة ورمقا وبحمنا
وما الخواني غمر المير الناس مشك فلما جاء الملك والحل من ذلك الطعام وشرب من ذلك
الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض
وليت مثله فقال عيسى من ارض اخرى فلما راه الملك قد دخل طشده عليه فقال الرجل
انا اخبرك ان عندى غلاما لا يسا الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل
الماخر او كان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك ايام وكان يحبه
حبا شديدا فقال الملك ان يجلا دعاء الله حتى صار الماخر ابدعوته ليستجيب له حتى
يحيى ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك
لا ابالي لين راه فقال عيسى انا احييته تتركى انا وامى نذهب حيث نشا قال نعم
فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكة الملك قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا
قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنة فياكلنا كما اكلنا ابوه
فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصه واقته وكروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح
المبشر به في التوراة وانه يسخر دينهم فلما اظهر عيسى له عوق اشتد ذلك عليهم واخذوا في
اذاه وطلبوا قتله وكروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعنى
عيسى عليه السلام **من انصاري الى الله** اي مع الله وقيل معناه الى ابي ابي امر الله واظهر
دينه وقيل الى بمعنى في اية ان الله وسبيله وقيل الى موضعها والمعنى من يعثر نصرته
الى نصرته الله قال **الحواريون فمضى انصار الله** وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل
الى الله تعالى تروا عليه وكروا به فخرج يسبح في الارض فمضى جماعة يصطادون السمك
وكانوا اثني عشر ورثيهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تضرعون
قالوا نصيبي السمك قال لا فلا تمشون حتى نصيبه الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم
عبدا لله ورسوله فسالوه اية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد ربح شبكته في الما

فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تترق من كثرتهم فاستعانوا
بأهل سفينة أخرى وملأوا السفينتين من السمك فغره ذلك أموابه وانطلقوا معه
واختلفوا في الحوارين فقبل كانوا يصطادون السمك فلما امسوا بعيسى صارا يصطادون
الناس وبعد وهم الى الذين سموا حوارين ليأمنوا بهم يقال حورت التي بمعنى بيضته
وقيل كانوا قضاة سماوية لذلك لانهم كانوا يجرون الشباك اي يبيضونها وقيل ان مريم
سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان اخر من سلمته الى حوارين وكانوا قضاة من صباغين وفقه
الى ربيهم ليتعلم منهم فاجتمع عنده ثياب وعمر من له سرق فقال لعيسى انك قد نقلت هذه
الصنعة وانا اخرج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت
على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصير به فاريد ان تخرج منها وقت قدومي وخرج المعلم
الى سفره فطمع عيسى جبا واحدا على لون وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني يا ذناب
كما اريد منك ثم قدم للحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت فقال قد
فرغت منها فقال وانه في الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال
عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا
اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد للحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان
ذلك من الله تعالى فقال للناس يا هؤلاء فانظروا فامسوا وصحابه وهم الحواريون وقيل سموا
حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء
وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون من الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء
عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الذي يستعان به
عن جابر بن عبد الله قال نذب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم المذبح فانتدب الزبير
ثم نههم فانتدب الزبير ثم نههم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كل
نبي حوارى وحوارى الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله
واعوانه امنابا الله اي صدقنا باذن الله وبنوا ورجب كل شئ واشهد يعني انت يا عيسى يا ابننا
مسلمون قيل معناه واشهد باننا منقادون لما تريد من نصرك والذم عندك ومستسلمون
لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء
قبله لا اليهودية والنصرانية ربنا امنابا انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى
عليهم انهم مسلمون ربنا امنابا انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام
وابتغوا الرسول يعني عيسى فاكتمنا مع الشاهد يعني الذين شهدوا الانبياء بالصدق
وابتغوا المراكم ولفيك فابنت اسمنا مع اسمائهم واجعلنا في اعداءهم ومعهم فيما
تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون الشاهد من الذين تسالوا الحواريين ان يكونوا معهم من مفضل

فلمذا قلنا ان عيسى في قوله فاكتمنا مع الشاهد يعني مع محمد صلى الله عليه وسلم وامت
لانهم هم المخصوصون بتلك القضية فانهم يشهدون للرسول بالبلاغ وقبل مع
الشاهد يعني النبي لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل **وايضا** يعني كفارة
بنج اسرائيل الذين احسن عيسى منهم الكفر واصل المكر صرفا لغير عما يقصده بعزب
من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الحقيقة فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله
ومموابه وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجهم قومه بمموابه رجع مع
الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهرهم سألته اليهم فها هو يقتله والفتك به
قد لك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة **ومكر الله** اي جازاهم على مكرهم
فسمي الخبز باسم الابنة لانه في مقابلة وقيل مكر الله استدراج العبد واخذة بقة
من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو الفاعل السبب على صاحبهم
الذي دام على عيسى حين ارادوا قتله حتى قيل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام انقلب
رمط من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر من الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فذفوه
وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فسمي الله خنازير فلما راي ذلك يهود اراس
اليهود وملكهم فرغ لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وباروا اليه
ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله خوخة في ستفها روضة
فرفعه الله من تلك الروضة وامر يهود اممك اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطيانوس
ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطاع عليهم قطنوا انه يقتله فيها
والتي الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وضابطوه قال
وهب بن منبه ان اليهود طرقتوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها
فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه
السلام الحواريين تلك الليلة واصحابهم وقال ليكن مني احدكم قبل ان يصبح الذيك
ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكان لليهود تطلبه فاتي الحوارى الى اليهود
وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ملائكة فمما فاخذوا ولم عليه فلما
دخل البيت الذي فيه المسيح التي الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذوا الذي
دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون
انه عيسى فلما صلب الذي الذي الله شبه عيسى جات منهم امرأة اخرى كان عيسى عليه السلام
معا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلنا تبكيان عند المصلوب فجاء عيسى عليه السلام
وقال علي من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصنني الاخير وهذا شئ شبه لم فلما كان
بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط الى زمم المجد لاينة وهو اسم موضع فهو نسبة اليه

فانه لم يبك عليك احد بكاءوا ولم يحزن عليك احد حزنا ثم لجمع لك الحواريين
فبشتمهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطهم الله عز وجل عليهم فاشتعل الجبل
بنورا حين هبطت له الحواريين فبشتمهم دعاة في الارض ثم رفعة الله تلك الليلة للذين
فيها النصارى فلما اصبحت الحواريون تكلم كل واحد منهم بلسان من اسلمه عيسى اليم فذكر
قوله تعالى مكرها ومكرا لله **وانه خير المالكين** يعني وهو افضل المجازين والسيئة العقوبة
وقال السدي في اليهود حبت عيسى في بيت ومئة عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل
منهم وكان قد نافعنا فالتقى عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال فتادة ذكر لنا
ان بني الله عيسى عليه السلام قال لا صحابة اياكم بقية ف عليه شبهه فانه مقتول فقال
رجل منهم انا يا بني الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع اليه فكناه الريش
والبسه النور وقطع عنه لذة الطعام والمشرب فطار مع الملائكة فموتهم حول
العرش وصار انبياء ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنة وولدت له بببيت لحم من ارض وري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل وادخل الله الى عيسى على ارض ثلاثين سنة ورفع الله من بيت المقدس ليلة الجمعة
من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وقامت احده مريم
بعد رفعه ست سنين قوله تعالى **اذ قال الله يا عيسى اقمي فاعك الى اهلك** وفي معنى
التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكرنا
في معناها وجوها الاول معناها اني قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيته الشيء
واستوفيت ما اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه انه لا يصل اعداؤه من اليهود اليه
بقتل ولا غيره الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم ليلا لم يمت
فمعنى الاية اني مني بك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال
ابن عباس معناه اني مميتك قال ذهب بن منبه ان الله تعالى توفي عيسى ثلاث ساعات من النهار
ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه اليه الوجه الرابع ان المراد بقوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والاية تدل على ان
يفعل به ما ذكرنا كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث
ان عيسى سينزل فيقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الاسدي
معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام
لما رفع الى السما صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي
اخذ الشيء وايقاها عالم الله تعالى من الناس من مخطيها الى الذي فعله الله به هو روحه

فبشتم

في ارضهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطهم الله عز وجل عليهم فاشتعل الجبل بنورا حين هبطت له الحواريين فبشتمهم دعاة في الارض ثم رفعة الله تلك الليلة للذين فيها النصارى فلما اصبحت الحواريون تكلم كل واحد منهم بلسان من اسلمه عيسى اليم فذكر قوله تعالى مكرها ومكرا لله وان

دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقية الارض
ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الى فاخبر
الله تعالى انه رفعه بتمامه الى السما بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الاية
تعبيرا واما خيرا فانه في ارفعك الى ومطهر من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزل الله الى
الارض وقيل لبعضهم هل يجتهد في عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه
لم يكن له في الدنيا واما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده ليوصلن ان يترلفيكم ابن مريم حكما مقسطا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحزبية ويفيض المالح حتى لا يقبله احد ثم اد في
رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب لا يؤمن بيه قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل
ابن مريم فيكم واما منكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال لا نرى في ذيب تدرى ما امكم منكم
قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي ايراد
مسلم من حديث الثوري بن سمعان قال فينما ما كذا كذا بعث الله المسيح ابن مريم عليه
السلام فينزل عند النارة البيضاء شرق دمشق عن ابي هريرة ان رسولا الله صلى الله عليه
وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى بنى وانه نازل فاذا رايتوه فاعرفوه فانه رجل
مربوع الى الخمرة والياض يترلفين محرودين كان راسه يقطر وان لم يصيبه ببلل فيقاتل
الناس على الاسلام فيقتل الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحزبية ويعطى الله في زمانه الملل
كلها الا الاسلام ويعطى المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفي ويصل
عليه مسكون اخرجه ابوداود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابوبكر وعمر يوم القيامة بين يميني محمد وعيسى صلى الله
عليهما وسلم وقوله تعالى ومطهر من الذين كفروا اي يخرجك من بينهم ويخبرك منهم
وجاعل الذين يبعثونك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعني وجاعل الذين يبعثونك في التوحيد
وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالاعتز
والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل لهم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل
هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك
النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان
النصارى وان اظهروا متابعتهم عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك لان عيسى
عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه هم الذين
شهدوا بان الله عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة **ثم انا**

فبشتم

مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين في الآخرة الذين ابتغوا عيسى وصدقوا
به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال
تعالى فاما الذين كفروا يعني الذين كفروا بآبائهم وعيسى وخالقوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من
الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم **والآخرة اي وادعاهم في الآخرة وما لهم من**
ناصر يعني ما تعينهم من عذابنا واما الذين آمنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا
بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته **وعملوا الصالحات** يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرع لهم
فمنهم اجورهم يعني جزا اعمالهم لا تنقص منه شيئا **والله لا يحب الظالمين** اي لا يحب
من ظلم غيره حق الله او وضع شيئا في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم
بجميل ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه منهم والحواريين وغير ذلك
من القصص **يتلوه عليك** اي يخبرك به يا محمد على لسان جبريل واما اصناف ما يتلوه جبريل
الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاصنافه اليه من **الايات**
يعني من القرآن وقيل الايات يعني العلامات الدالة على نبوته كما يحمد لانها اخبار لا يعلمها
الا من قبله او يكتبها وبني روحه اليه وانت اعلم لا تقرأ ولا تكتب فثبت في ذلك من الوحي السماوي
الذي ازل عليك **والذكر الحكيم** اي الحكيم المنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه
حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو الموحى المحفوظ الذي منه تنزلت
جميع كتب الله على رسوله وهو لوح من درة بيضا متعلق بالعرش قوله عز وجل **ان مثل عيسى**
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل التفسير ان هذه الاية نزلت في محاجة
نصارى وفد بخران قال ابن عباس ان زهرا من اهل بخران قد موأ على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان فيهم السيد العاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكركم هذا فقال
من هو قالوا عيسى نزع من عند الله فقال لا النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له
هل رايت له مثلا او انبيت به ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل عليه السلام فقال له قل لهم
اذا اتوا ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى من هم العذرا الهتول فغضبوا وقالوا يا محمد هك
رايت انشيا فظ من غير اب فارتد الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشاء في كونه
خلق من غير اب كمثل ادم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق
ادم من التراب لياسر وهو ابلغ في القدر فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من من من غير اب
بل الانسان في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال
تعالى خلقه من تراب فهو خير مستأنف على جهة التفسير لخالق ادم في كونه خلقه من

تراب في قدره جسدا من طين **ثم قاله** كن اي انشاء خلقا بالكلية وكذلك عيسى انشاء الله
خلقنا بالكلية فعلى هذا القول ذكرنا في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب
ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكون بعد الخلق
واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدأ
خبر اخر فتلا في خبر كرم ايضا في قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة
ويجوز ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن جبراف كان فيصير العظم
وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الاية فان
قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام
قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه بدمه وبالطرف الاخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجود وجودا خارجا
عن العادة المستمرة وبما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اعرب في العادة
من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاعرب ليكون قطع المحض واحصى لادة شهرته
اذا نظر فيما هو اعرب مما استغربه وحكى ان بعض القائلين اسر في بعض بلاد الروم فقال
لهم لم تعدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال قادم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان
يحيى الموتى فقال حزقيلا ولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيلا اربعة الاف قالوا
وكان يبرى الاحياء والابرص قال فجر جيسى ولى لانه طبع واحرق مرقا سلبا وقوله كن
فيكون قال ابن عباس معناه كن فكان فاريدا للمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن
واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذي اخبرتك به من تمثيل
عيسى بادم هو الحق من ربك **فلا تكن من المحترزين** اي من الشاكرين ان ذلك لك وهذا خطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم وللمراد به امتدانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله
تعالى يا ايها النبي اذ اطلقت النساء والمعنى فلا تكون من المحترزين ايها السامع كانيامن كان
لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التيسير لزيادة الثبات والطمانينة قوله تعالى
فمن حاجك فيما من حاجك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاك من العلم يعني بان عيسى
عبد الله ورسوله **فقل فقالوا اي ملهوا والمراد منه الحق واصله العلو بالراى الغرم كما تقول**
تعالى تفكر هذه المسئلة نعم اينا فانا وابناكم اريدكم كل منا ومنكم ابناؤنا وبنانا وبنانا وبنانا
وانفسكم قيل اربا لابنا الحسن والحسين وبالنسبة فاطمة وبالنسبة نفسه صلى الله عليه
وسلم وعليهما رضي الله عنه وقيل هو على العموم كجاعة اهل الدار **ثم لبثت** قال ابن عباس
نصر في الدعاء وقيل معناه مجتهدا وبالنسبة في الدعاء وقيل معناه ملتفتا لا ينهال الالقاء
يقال عليه بهلة الله اي لغته الله **فجعل الله على الكاذبين منا ومنكم** في امر عيسى

قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد بخران ودعاهم
الى المباهلة قالوا احثي نرجع وننظر في امرنا ثم ما نيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض
قالوا للعاقد وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا بنى مرسل وليس فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على
ما انتم عليه من القول في صا حاكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة ثم شق خلفه وعلى يمينه
خلفها واليمنى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف بخران
قال يا معشر النصارى اني لا اري وجوها لوسالوا الله ان يزيل جلال من مكانه لانه
فلا يتقبلوا فتكوا ولا يسمي على الارض نصراني يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم
قد علمنا اننا لانبا هلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا بيتنا لمباهلة فاسلموا بينكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا ذلك فقال فاني انا بذككم فقالوا ما لنا بحرب لعرب طاعة ولكننا نفضل الحك على ان لا نردنا
ولا تخيفنا ولا نردنا عن ديننا وان نودي اليك في كل سنة الف حلة الف في صفر والف
في رجب نردي في رواية وثلاثة وثلاثين درعاً عادية وثلاثة وثلاثين رعيماً واربعاً
وثلاثين فرساً غازیة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي
نفسى بيده ان العذاب نزل على اهل بخران ولولا عنا المسخوفة ووخازنهم ولا نظرهم
عليهم الوادي نازا ولا سناصل الله بخران واهل حتى الطير على الشجر ولما حال الحوك
على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لينبئ الصائق
من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فامعني ضم الابناء والنساء
في المباهلة قلت ذلك الدعا فيه الدلالة على ثقته بحاله واستيقاضه بصدقه حيث
استجر اعلى تعريض اخرته واولاد كبه واحب لنا رايه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر
على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يبذل خصمه مع اجنبته واخرته
هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خصوا الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصغار
بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب ذواتهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على
النفس لينبئ بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يبرو واحدا من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الي
المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يذللها في كتبهم وقوله تعالى **ان هذا يعق الذي يعق عليك**
يا محمد من خير عيسى وانه عبد الله ورسوله هو الفضل الخ واصله من القصص ويتبع الاثر
والقصص بخبر عيسى ويتابع فيه المعاني **وما من الا الله** لما دخلت من التوكيد المتق والمعنى ان

حج
واستينافه

عيسى

عيسى ليس باله كما زعمت النصارى فقيه رد عليهم وقتي جميع من ادعى من المشركين انهم
الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية **وان الله هو الغني** الغالب
المنتقم من عصاه وخالف امره ودعى معه الهة اخر **الحكيم** يعني في تدبيره وفيه مدعى النصارى
لان عيسى لم يكن كذلك **فان قولوا يعني** فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه **فان الله يعلم بالفسيد**
اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتوبيخ لهم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد بخران المدينة اجتمعوا
باليهود فاختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على
دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من ابراهيم ودينه بل كانا ابراهيم حينما
مسما وانا على دينه فاستبقوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان تقول فيك ما قالت
اليهود في غير فارتل الله عز وجل **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء** يعني فيها اتفاق
ولا ميل لها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة او قصيدة لها اول واخر وشرح كلمة تتوا
اي عهد لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله **الا نعبدا الا الله ولا نترك**
به شيئا ولا نتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله
وموا المسيح واشركوا به وموافقهم اب وان روح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك والسجود
لهم فلهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه
الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امره لا يصف وهو ان لا تقول
عزير ان الله ولا تقول المسيح ان الله لان كل واحد منهما ما يشرك الحق مثلنا ولا نطيع احبارنا
ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض
لان السجود لغير الله حرام فلا يسجد لغير الله وفيه معنى ولا نطيع احدا في معصية الله **فان**
قولوا يعني فان اعرضوا عما امرتهم به **فقولوا انتم لهوا لا شهدوا** اي مخلصون التوحيد
الله والعبادة له **وقولوا انتم لهوا لا شهدوا** اي مخلصون التوحيد
تجار بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها باسقيان وكفار قريش فافاء
وهم بالباقي دعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي يقبض به مع راحة الى عظيم بصيرة فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ما بعد فاني ادعوك
بديانة الاسلام اسم فبسم الله اترك من يترك فانه قوليت فاما عليك ام اليرسبين
ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم **الا نعبدا الا الله ولا نترك به شيئا ولا نتخذ بعضنا**

بعضا انما من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون لقوله الحديث احد
روايات البخاري وقد اخرج به باطون من هذا وفيه زيادة قوله اليرسيين وفي رواية
الاربيين والاربيين لا كار وهو الزرع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل
كان في الزمان الاول بعث الله خالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصاري اتباع عبد
الله بن اريس وهم الاروسية وقيل هم الارسيون يضم الهمزة وهم الملوك الذين يكالفون
انبياءهم وقيل هم المتخثرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدقهم عن الاسلام واستعوك
على كبرك قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قال ابن عباس جتمع عند النبي صلى الله عليه
وسلم نصارى نجران واخبار اليهود فتنازعوا عنده فقالوا لا احبارنا كانا ابراهيم لا يهوديا
وقالت النصارى ما كانا ابراهيم الانصاريين فالتزم الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم
فما اترك التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختلفوا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان
منهم وعلى نبيهم فبراه الله عز وجل ابراهيم بما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية
انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما تروا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان نبي ابراهيم
وبين موسى وتروا التوراة عليه خمسمائة سنة وخمس سبعون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة
وسمائة واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس
وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وستمائة وعشرون سنة واورد على هذا
التأويل بان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذا انزال
القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يعجب ما ادعيتهم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما
واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القرآن ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة
والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصريا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه
اليهود والنصارى وهو قوله **فلا تعقلون** يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى
لا تجدوا مثل الجدال **الحال انتم هو لا اله الا الله** وهو موضع التذليل يعني يا هؤلاء
والمراد بهم اهل الكتاب يعني يا معشر اليهود والنصارى **ما جئتم ابي جادتم** وخاصة منتم
فيما لكم بعلم يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بآياته في امر موسى وعيسى وادعيتهم انكم
على دينهما وقد انزلنا التوراة والانجيل عليكم **فلم تحاجون فيما ليس لكم بعلم** يعني انه ليس في
كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصريا **والله يعلم** يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم
لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا
فيه واعلم ان ابراهيم يرى من دينهم فقال تعالى **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصريا** يعني لم يكن كما
ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى **ولكن كان حنيفا مسلما** يعني ما يلاعن

الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختن ويصحي
ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن لاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل **وما**
كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيدعون بعض يكون النصاري مشركين بقوله
بالاهية المسيح وعباد نعم له قوله عز وجل **اولى الناس ابراهيم** يعني اخصهم به واقرهم
منه **لذلك ياتبعوه** يعني الذين كانوا في زمانه وامواله واتبعوا شريعته **وهذا النبي** يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم **والذين امنوا** يعني هذه الامة الاسلامية **والله ولي المؤمنين** يعني بالنصارى
والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاية من النبيين
وولي ابي وخليل وفي ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس ابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امروا والله ولي المؤمنين اخرج به الترمذي وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه
محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب
واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهما جحر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدرهما كان اجتمعت قريش في دار الندوة
وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتلتم بيد
فاجعوا ما لا واحد منكم الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم وليستدب له لك
رجلا من ذوي رأيكم فبعثوا عمر بن العاصي وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الا دم وعيره
فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلم عليه وقال له ان
قومنا لك ناصحون شاكرون ولصاحب عيسى بن مريم محبون وانهم بعثونا اليك لنخذك
هو لا الذي قد موعا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه
احدنا الا السرا وانما كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجائناهم الى شعب بارضا لا يخل
عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث
اليك ابن عمه ليعسده عليك دينك وملكك ورعيته فاحذرهم وادفعهم الينا
لنكفيهم قالوا بآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يجيئونك بالتحية
التي يجيئك بها الناس غيبة عن دينك ومستك قال فدعاهم النجاشي فلما حضر واصاح
جعفر بالباب يستاذن عليك حزبه فقال النجاشي مر واهد القتل فليعد كلامه
ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بايمان الله وذمته ففطر عمر الى صاحبه وقال
الا تشعرون كيف يرطون بحزبه وما اجابهم به الملك فسا ما ذلك ثم دخلوا عليه
فلم يسجدوا له فقال عمر بن العاصي الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي
ما منعكم ان تسجدوا الي وتحبوني بالتحية التي يجيئني بها من اتاني من الافاق قالوا انفسجده
الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبدا الاوثان فبعث الله فينا نبيا

صادقا امرنا بالتخية التي رضىها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي
ان ذلك حق وانه في التوراة والابجيل ثم قال ايكم العاتق لينا ذن عليك حزبا لله
قال جعفر انا قال فتكلم قالوا فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب
ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم واتا احبنا اجيب عن اصحابي في هذين الرجلين
فلتسكاهما احدهما ولينصت لآخر فتسمع محاورتنا فقال عمر لجعفر تكلم فقال جعفر
للنجاشي سل هذين الرجلين احبيدهم ام احارافا ان كنا عبيده فقد ابتعنا من اربابنا فردنا
عليهم فقال النجاشي احبيدهم ام احارافا بل احارافا فقال النجاشي بخوان العبودية
فقال جعفر سلما هل ارتقا دما بغير حق فيقتض منا فقال عمر لا ولا قطرة قال جعفر
سلما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضا وها قال النجاشي فما تطلبون منهم
قال كنا وم على بن واحد وامر واحد على بن ابينا فتركوا ذلك وابتعوا غيره فبعثنا
قومنا لده فبعهم اليها فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدي الذي يتبعوه
فقال جعفر اما الذي ناله كناعليه فهو دين الشيطان كما نكفربا لله ونعبده الحجازة واما
واما الذي ناله يتحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جانا به من عند الله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسولك ثم امر
النجاشي بضرب لنا قوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشي انشدكم الله الذي نزل الابطجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم
القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن
كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي جعفر ما ذا يقول لكم هذا الرجل وما ذا يامركم به
وما ينهاكم عنه فقال جعفر علينا كتاب الله ويلدنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامر
بحسن الجوار وصلة الرحم وبر الوالدين ويامرنا ان نعبده الله وحده لا شريك له فقال اقرا
على ما يقرأ عليكم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه
من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمر ان يعقب
النجاشي فقال انتم يشتمون عيسى وانه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وانه فقرأ عليهم
سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقدره فغضب وقال والله
ما زاد المسيح على ما يقولون ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيئوم بار مني
يقول امنون من سيئكم او اذكركم عمر ثم قال ابروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حرب
ابراهيم فقال عمر ويا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الهط وصالحهم الذي جاوا
من عنده ومن اتبعهم فانك ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمر وحصله
المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة

قال جعفر فانصرفنا فكتا في خبر جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسوله
صلى الله عليه وسلم في خصوصتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولي الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين قوله تعالى **ودق طائفة من**
اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين
دعاهم اليهود الى دينهم فزالت فيهم ودق طائفة اي تمت جماعة من اهل الكتاب
يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم
لان المؤمنين لا يضلون قلوبهم فيحصل عليهم الا شر ينميه لهم املا للمؤمنين وما يضلون
يعني ان وبلا الضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتضيض ضلال
المسلمين وما يتدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم وشياهم **يا اهل الكتاب**
الخطاب لليهود ولم تكفروا يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة
والابجيل على هذا القول ويخبرهم وتبديهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك **وانتم تشهدون** يعني ان نعتهم وصفته
في التوراة والابجيل وذلك ان اخبار اليهود كانوا يكتمون عن الناس نعتهم وصفته فاذا خلا
بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق**
بالباطل وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسهرم وكانوا يجتهدون في القائل الشبهات
والتشكيكات وذلك ان الساعي في الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم
تلبسون الحق بالباطل معناه تخريف التوراة وتبديلها فخلطون الحرف الذي كتبه بآيه
بالحق المتزل وقيل يخطط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم توطئوا على اظهار
الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بنبوته موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى
لا ينسخ فهذا من تلبسناهم على الناس **وتكتمون الحق** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
في التوراة **وانتم تعلمون** انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كنتم الحق عناد او حسدا
وانتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل **وقالت طائفة من اهل الكتاب**
امسوا بالذي نزل على النبي امنوا واجه النصارى وكفروا اخره ومذا نوع اخر من تلبسنا اليهود وقيل
تواطؤ عشرين من يهود خيبر وقرى عربية فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
باللسان دون اعتقاد القلب ثم كفروا واخر النهار وقولوا انا نظرننا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا ان محمدا ليس بمويز لك المبعوث وظهر لنا كذبنا فاذ افعلتم ذلك شككنا صاحب محمد في دينه
وانتم موافقوا لاهل الكتاب واعلم به منافقون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك

انه لما صرف الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لا صحابه متوا بالذي
انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكرزوا وارجعوا الى قبلكم اخر النهار
لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلكم فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شئ
لانه اول ما يواجه منه واشهدوا في معناه **شعر** من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت
لنفسنا بوجه نهاره وقوله **لعلكم يرجعون** يعني عني انا القيتا هذه الشبهة لعلهم يشكون
في دينهم فيرجعون عنده ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم فلم تتم
ولم يحصل لها اثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله لكان زعم الشرك في قلوب
من كان في ايمانهم ضعف قوله تعالى **ولا تؤمنوا الا لمن يبع دينكم** هذا متصل بالاول وهو
من قول اليهود يقول بعضهم لبعض فلا تؤمنوا الا لمن يبع دينكم اي وافق
ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية والى السلام في لمن صله كقوله رد لكم اي ردكم **قل ان الله ي**
هدي السبيل ان الله يهدي السبيل والبيان بيان انه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من
قال هذا كلام مغرض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود
بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن يبع دينكم ولا تؤمنوا **ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم**
من العلم والحكمة والكتاب والايات من فلق البحر والسموات والارض والسموات والارض والسموات
ولا تؤمنوا **او يحاجوكم عند ربكم** لانكم صحيح دينهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك
قال في انشا ذلك قل ان الله يهدي السبيل والمعنى ان الذي انتم عليه انما صادر ديننا بحكم الله وامره
فاذا لم يرد بغيره وجب تباعده والافتقار لا كراهة لانه هو الذي هدى اليه ولم يره وقيل معناه
قل لم يا محمد ان الله يهدي السبيل وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف
وقرأ الحسن والا عسوان يوتي بكسر الالف فيكون قول اليهود انما عند قوله الا لمن يبع دينكم وما بعده
من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الله يهدي السبيل ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم بالامة محمد
من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني لان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل
منكم وقوله عند ربكم اي عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل اوفى قوله او يحاجوكم معنى حتى ومعنى الآية
ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتهم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن
كثير ان يوتي بالمد على الاستفهام وحشية يكون في الكلام اختصار لقوله ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم
يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قال هذا
من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الله يهدي السبيل بانزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل
نبيكم حسد موه وكفرتم به **قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة
رجوع الى خطاب المؤمنين ويكون بمعنى ان لا يهاجروا شرط وجزا يوضع احدهما موضع الآخر

عن
الشيخ محمد

والعقبي

والعقبي وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الله يهدي السبيل ومعنى
عليه ويحتمل ان يكون بجميع خطاب المؤمنين ويكون نظم الآية ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم
يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فضل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فضل ان الله يهدي السبيل
ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلكم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى
ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يسكوا عند تبليس اليهود ونزولهم في دينهم يقول الله تعالى لا
تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الله يهدي السبيل وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كما خطبها للمؤمنين عند
تبليس اليهود لئلا يربوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعني قل لم يا محمد
ان التوفيق للابيان والهداية للاسلام بيد الله اي نعم الله وقادر عليه دونكم ودون سائر
خلقه يؤتيه من يشاء يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق
له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يوتي احد مثل ما اوتيتهم فقال الله تعالى
رد اعليهم قل لم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل في
اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزيادة على غيره في خصال
الخير **واسمع اي** وسعته يتفضل على من يشاء **عليهم اي** يتفضل عليه وهو للفضل
اهل **يخصي برحمته** يعني بنبوته ورسالته وقيل يدنيه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن
من يشاء يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تختص بالانبياء الاختصاص بالفضل
لا بالاختصاص لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص والفاضل ان يبعث ما يشاء الى من
يشاء بغیر استحقاق **واسمع اي** وسعته يتفضل على من يشاء **عليهم اي** يتفضل عليه وهو للفضل
بقطار يوده اليك ومنهم من ان تامة بدنيا لا يوده اليك تزلت في اليهود واخبر عز وجل
ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين **القطار** عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال
القليل يقولونهم من يوده الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يودهها
وان قلت ومنهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس في هذه الآية اودع
رجل من قريش عند الله بن سلام الف ومائتي اوقية من ذهب فاداهما اليه فذلك قوله تعالى ومن
اهل الكتاب من ان تامة بقطار يوده اليك ومنهم من ان تامة بدنيا لا يوده اليك يعني
فخاص من عازر واستودعه رجل من قريش دينار فخانه ومحمد ولم يوده اليه وقيل اهل
الامانة هم النصاري واهل الخيانة هم اليهود لان من هذه هبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين
واخذوا له باي طريق كان **الامانة عليه اي** ما قال ابن عباس يريد تقوم عليه ونظامه بالاحكام
والخصومة والملائمة وقيل معناه الامانة قد املك عليه يا صاحب الحق قايما على اسم الله متوكلا

عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البيعة عليه وقيل اراد انه
ان اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه ربه عليك
وان اخذت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرد عليه ذلك اي سبيل لك الاستحلال للحياة
بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا انهم ولا يخرج
في اخذ ما للعرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلالا لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة
لهم في كتابنا وكانوا يستغلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابنا الله
واحباوه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان
الاموال كلها كانت لنا فاني فيا العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل
علينا في اخذها منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبيعون رجا لان المسلمين في
الجاهلية فلما اسلموا اتفقتهم بقبلة اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق وليس عندنا نقضا
لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلكم انهم
الله تعالى فقال **ويقولون على الله الكذب** يعني اليهود **وسم يعلون** يعني انهم كاذبين ثم انه
تعالى رد على اليهود قولا **فقال اني ليس لي امر كما قالوا بل عليهم سبيل** ولفظة بل في المجرى
ما قبلها فكل هذا يحسن الوقوف عليها ثم بيده من اذ في اي ولكن من **وفيهم** اي يهود الله
الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي انزل عليه وبآداء
الامانة التي امن بها عليه وقيل انما في قوله **بهم** راجعة الى الموفى **وانهم** يعني الكفر
والحيانة ونقض العهد **فان الله يحيا المتقين** يعني الذين يتقون الشرك عن عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت
فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعيها اذا آمن خان واذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا حدث كذب واذا عاهد غدر
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله تعالى **ان الذين يشترون بعهدهم وايمانهم ثم قليلا**
قال عكرمة تزلت هذه الآية في اخبار اليهود وسائهم في ارضهم فكانت بنو النضير
وكعب بن الاشرف وحي بن اخطب الذين كفروا ما عهد الله اليهم في التوراة من شأن محمد
صلى الله عليه وسلم فبه لوه وكتبوا بايديهم وغيره وحلفوا انه من عند الله ليلتقوا
الرشى والمأكلا التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفاهم وقيل تزلت في ادعاء اليهود انه
ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل تزلت
في الاستعانة بن قيس وخضم له عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله بن عمر قال عليا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهدهم وايمانهم

ثمنا قليلا الى اخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر فيقطع بها ماله
امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله عز وجل بقصد ذلك ان
الذين يشترون بعهدهم وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاستعانة بن قيس
الكندى فقال ما يجدكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فم تزلت
كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمتنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كاذب او يمينه قلت انه اذا حلف
ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر فيقطع بها
مال امرئ مسلم فهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وتزلت ان الذين يشترون
بعهدهم وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية واخرجه الترمذي وابوداود وقال لا ان
الحكومة كانت بين الاستعانة وبين رجل يهودي وقيل تزلت هذه الآية في رجل
اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطيت بها ما لم يعطه عن عبد الله بن ابي اوفى
ان رجلا اقام سلعته وهو في السوق فحلف باسلفه اعطيت بها ما لم يعط ليوقع فيها
من المسلمين فتركت ان الذين يشترون بعهدهم وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية وقيل الاية
حملت الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهدهم يدخل فيه جميع ما امر الله
به ويدخل فيه اليهود والمواشي والمأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل
نفسه من عهد وميثاق وكل ذلك من عهد الله الذي يجب لوفائه ومعنى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهدهم يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني
شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري ياخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من
المعطي والمأخوذ ثمنا لاخر فلهذا معنى **الشر او ليك** يعني من هذه صفته **اخلاق لهم**
في الاخرة اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها وجميع منافقها **ولا يكلمهم الله** يعني كلاما يبرهم
به او ينفعهم وقيل لا يكلمهم الله يعني الغضب **ولا ينظر اليهم** اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزيكهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يفتي عليهم بحسبهم **ولم عذاب لهم** يعني
في الاخرة **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا ينظر اليهم ولا يزيكهم ولم عذاب لهم رجل حلف على سلفه لقد اعطيت بها ما لم يعط
وما كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العزم فيقطع بها ماله امرئ مسلم ورجل متع
فضلا ما ينقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعتك فضلي ما لم يقل يدك عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
ولا يزيكهم ولم عذاب لهم قال فقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا
وخسر امنهم يا رسول الله قال السبل والمنان والمتفق سلفته بالخلف الكاذب والنسائي

رجلا

المنايا اعطى والمسبل ازاره والمتفق سلعته بالخلف الكاذب عن ابي امامة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع حق امر مسلم بميمينه حرم الله عليه الجنة
واوجبه النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيا من اراء
قوله عز وجل **وان منهم يعني من اليهود لم يقا يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف**
وما لك بنو لصف وحي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمر والساعر يلوون اي يعطون
ويميلون اصل الذي القتل من قولك لويت يده اذا قتلته **بالكتاب** يعني
بالتحريف والتغيير والتبديل وتخريف الكلام تقليه عن وجهه لان التحريف يلوي لسانه
عن سنن الصواب بما ياتي به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل ان يكون المعنى
يلوون بالسنة الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنة فياتون به على
على القلب ونقل الامام فخر الدين عن الفقهاء قال يلوون السنة معناه ان يعدوا الى
اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفات غير المعنى وهذا كثير في لسان العرب
فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من التوراة كان ذلك هو المارد من قوله يلوون السنة بالكتاب وقيل انهم غير واصفة النبي
صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوا واياة الزجر وغير ذلك مما بدلووا وغيره **والنفسوه**
من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي نزل الله على نبيه
وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه **ويقولون ما هو من**
عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كره هذا اللفظين
مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد ويقولون **على الله الكذب** وهم يعلمون معنى انهم
كاذبون وقال ابن عباس ان لاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة
والانجيل واخفوا كتاب الله ما ليس فيه قوله تعالى **ما كان لبشر ان يوتيئه الله الكتاب والحكم**
والنبوة قبل ان ينصارى بخزان قالوا ان عيسى مريم ان يجذوه رجافا قال الله تعالى **واعلمهم**
ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يوتيئه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله
تعالى **ما كان لبشر يعني محمد صلى الله عليه وسلم ان يوتيئه الله الكتاب** يعني القرآن وذلك
ان ابارافخ من اليهود والسيد من نصارى بخزان قالوا لا محمد تريد ان نعبدك ونقتذك رجا
قال محمد اذ الله ان امر بعبادة غيره الله وما جئكم به الا حجة من الله وما بذكر بعثني فانزل الله
هذه الاية **ما كان لبشر ان يوتيئه الله الكتاب والحكم** يعني عيسى عليه السلام
وبوضع موضع الواحد والجمع ان يوتيئه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل يلوون ايضا
الحكم عز الله تعالى والنبوة يعني المتزلة الرفيعة ثم يقول للناس **كونوا عبادا الى من دون الله**
ومعنى لاية لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس **كونوا عبادا الى من دون الله** وكيف يدعو الناس الى

العبادة فحسب دونه وقد جاء الله بالكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء
موسى وفوز وصافات لا يجعلهم اذعالا لاهية ولربوبية من ان الله تعالى اقام الكتب
السموية ومنها البت النبوة ولا تكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى
ولكن كونوا عبادا يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين في قاضي القول على حسب مذهب
العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن
عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا قضاة معلمين وقيل معناه حكماء علماء وقيل الرباني
الذي يورث الناس بفضار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعلم العلم وقيل الرباني
العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم
بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني
هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواطبا على طاعته
وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على اكمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون رباب
العلم واحد منهم ربان وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم وينصحبهم والالف والنون
للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفته الرب
وطاعته وعلى قول المبرد الرباني ما خوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر
والعلماء وهم الذين يطاعان ومعنى لاية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا
عبادا الى ولكن ادعوكم الى ان تكونوا معلمين للناس خيرا ومواطبين على طاعته
وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية
وسوا كانت عربية او عبرانية فهي نزل على الذي علم وعلم ما علم وعلم الناس طريق الخير
وقوله تعالى **ما كنتم تعلمون الكتاب وبكنتم تدرسون** اي كونوا ربانيين ليس بكونكم عالين
ومعلمين ليس بكنتم الكتاب فدللت الاية على ان العلم والعقلم والدراسة توجب كون
الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والعقلم لا لهذا المقصود فباع علمه وخباه سعية
قوله عز وجل **ولا يامركم** قرى بنصبه لراعطفا على قوله ثم يقول فيكون فردا على البشر
وقيل على ضمائر انى ولا ان يامركم وقرى برفع الراعى الاستئناف وهو ظاهر ومعناه
ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا
يامركم الانبياء **ان تتخذوا الملايكة والنبين ابايا** يعني كفعل فريش والصايين حيث
قالوا الملايكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث في المسيح وهنر ما قالوا وانما
خصى ملايكة والنبين بالان لان الذين صغوا بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب
لم يحك عنهم الا عبادة الملايكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر
يامركم بالقر بعد اذا كنتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب لانكاره يعني لا يتواضعوا ولا ينعقد

قوله تعالى **واذا اخذ الله ميثاق النبيين** قال الزجاج موضع اذ نصب الميثاق واذ كذا فافهم
اذا اخذ الله وقال الطبري واذا كذا يا اهل الكتاب اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين
واصل الميثاق في اللغة عند يوكه يمين ومعنى ميثاق النبيين عزمهم وقوا به على انفسهم
من طاعة الله في ما امرهم به وتناهم عنه وذكر في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما ان
ما حوذا حتى لا ينشأوا الثاني انه ما حوذا لهم من غيرهم فلهذا الميثاق جعلوا في المعنى هذه
الاية في هبة فخر الحان لا يسهل تعالى اخذ الميثاق من النبيين كما عطفه قيل ان ينطقوا
الله ورسالة الى عباد الله ان يصدق بعضهم بعضا لا وان يصدقوا بعضهم بعضا على كل حال
يأتي بعده من الانبياء وينصرون ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركهم فاحذ
الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل ان اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد
صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي بن عباس وقادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا
ففي ان اخذ الله على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى
اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن
اولوا النبوة من محمد لاننا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين
وامهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكفي بذكر الانبياء لان العهد مع المستوع
عند مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا اذ من بعده
الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به
وليؤمنن به وهم احبوا لنصرته وقيل ان المراد من الاية ان الانبياء كانوا ياخذون العهد
والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصرون وهذا
قول كثير من المفسرين وقوله **ما اخذكم من كتاب وحكمة** فري بفتح اللام من لما وبكرها مع
التخفيف في القراية في قراية اللام قال معنى الاية واذا اخذ الله ميثاق النبيين من اجل
الذي اتاهم من كتاب وحكمة **ثم جاكم رسول** يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لثبوت
به للذي عندهم في التوراة من ذكره ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق
كما يتاخذ من ميثاقك لتفعلن لا اخذ الميثاق بمنزلة الاستخلاف فكان معنى الاية
واذا استخلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة متى جاهم رسول مصدق لما معكم
ليؤمنن به وينصرنه وقوله **ثم جاكم رسول** يعني محمد صلى الله عليه وسلم **مصدق لما معكم**
وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته وحواله
مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لما في كتبهم لا بانه والافتقار لقوله ولا امر

قوله لتؤمنن به ولا امر القسمة تفدي به والله **لتؤمنن به ولتنصرنه** قال البغوي قال الله عز وجل
لاني احيي استخرج الذرية من صلب آدم والانبيا فيهم كالمصباح اخذ عليهم الميثاق
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام محمد بن الرزقي يحتمل ان يكون هذا الميثاق
ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان لا يعبدوا من الله واجب فاذا جاز رسول وظهرت المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايان به عرفوا عند ذلك وجوبه
بتقديره هذا الدليل في عقولهم فهذا هو الميثاق **قالا اقرن** يعني قال الله
فانضربها ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبي اقرن بالايان به
والنصر له وانضربناه بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته اقرن وذلك
لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات
هذا الميثاق وتأكيد على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد **ولقد علم على ذكركم**
امراي عندي والامر العهد الثقيل وقيل سمي العهد امر الانه ما يوصري بشد ويقعه
قالوا اقرن اي قالوا للنبيون اقرن بانما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين
لما معنا من كتبك **قالا فاشهدوا** يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني اتم على
انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة
فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وابتدوا الانا صل الشهادة العلم
والبيان **وانا معكم من الشاهدين** يعني قال الله يا معشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم
وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم **فمن تولى** اي اعرض عن الايمان محمد
صلى الله عليه وسلم ونصرته **بعد ذلك** الاقرار **فاولئك هم الفاسقون** اي الخارجون عن الايمان
والطاعة قوله عز وجل **اقير دين الله** يعني ذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعوا لفرقتين
منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلا الذين يقرن برئي من دين ابراهيم فعضبوا وقالوا لا نرضى بقصايك
ولا نأخذ بك فالتزموا دين الله الملة للاستسقام والمراد منه الانكار والتوبيخ
يعني ابعد اخذ الميثاق عليهم ووضح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام يفتون
قري بالنا خطابا كاضرا في غير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقري بالعبية
ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون **ولم اسلم** اي خضع وانقاد **من في السموات**
والارض طوعا وكرها فالطوع الانتقاد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واما من
النفس اختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها ففعل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل
الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر

كرها وقيل هذا في يوم اخذ الشياطين قالوا بلى فمن سبقت له السعادة
قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقبل اسلم المومنين طوعا فبينما
اسلمه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في
القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في امره فاما المسلم فيقتاد
به تعالى فيما امر به وما نهاه عنه طوعا واما الكافر فيقتاد به كرها في جميع ما يقتضي
عليه ولا يمكنه دفع قضايه وقدره عنه **والله ترجعون** قري بالياء والتا والمعنى ان مرجع
الخلق كلهم الى الله يوم القيامة فغيبه وعبد عظيم من خالقته في الدنيا قوله تعالى **قل انما**
بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المنقولة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الاية ان من صدقه محمد صلى الله
عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال تعالى قل انما بالله واتما وحد الضمير في قوله قل
وجمع في قوله انما لانه انما خا طبع بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ
هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال انما تنبئها على انه حتى قال هذا التول
وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله انما ومعنى الاية قليا محمد صدقا بالله انه ربنا والينا
لا الدنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل **واما ازل**
عليها يعني وقيل يا محمد صدقنا ايضا بما اتر علينا من حجه وتزييله وانما قدم ذكر القرآن
لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل **وقال ازل على ابراهيم واسماعيل**
والسمكان ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل
الكتاب يعرفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب لاثني عشر
وكانوا انبياء شرع جميع الانبياء فقال **والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم** لا تفرق بين
احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز
وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء
فان قلت لم عدى ازل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة
بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الواحدي ازل من فوق وينتهي الى الرسل فجاءت اارة
باحد المعنيين وقناة بالمعنى الاخر **ونحن له مسلمون** اي موحدون ومخلصون انفسنا لا نجعل
له شريكا في عبادة فقلنا قوله عز وجل **ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه** يعني انا الذين
المقبول عنده الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح
ما يامر الله به ويرضى عن فاعله وينيب عليه وهو في **الاخرة من الخاسرين** يعني الذين خسروا
في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة
في قوله **ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه** قال الله يهود ففتح مسلمون فقال الله عز وجل

لنبيه صلى الله عليه وسلم قل نعم والله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى **كيف بهدي**
الله قوما كروا بعبادته تزلت في ثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة
واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق ووجوح بن الاسلت
وقال ابن عباس تزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم يستغفون به على الكفار ويقرضونهم ويقولون قد اظلم زمان بني مبعوث
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا بغيره وحسدوا ومعنى كيف بهدي الله كيف
يرشده الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي حقدوا وانبوه محمد صلى الله عليه وسلم
بعدا بما فهم اي بضد يعمر اياه واقرارهم به وبما جاء به من عنده **ربه وشهدوا ان الرسول**
حق يعني وبعد ان افروا وشهدوا ان محمد ارسول الله الى خلقه وانه حق وصدق **وجاهم**
البيان يعني الكج والبراهين والمعجزات كالدلالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق علمه تعالى انه يهدي
الظالمين وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول الاية كيف
يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس
فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص بالاوليك المرتدين عن الاسلام
ثم انه تعالى عظم ذلك الحكم في اخلاية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع
الكفار المرتدين والكافر الاصلي وانما سمي الكافر ظالما لانه وضع العباداة في غير موضعها
اوليك جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
خالدين فيها اي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة لا يخفف
عظم العذاب ولا هم ينظرون اي ولا هم يخرجون عن وقت العذاب ولا يخرج عنهم من وقت
الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال **الا الذين تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد توبتهم
وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما كفر بالكفر انهم على ذلك فارسل الى قومه ان
سلوا رسولا الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصبحوا الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائيبا
وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه **واصلحوا اي وضموا الى التوبة**
الاعمال الصالحة فينبذ التوبة وحدها لانكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل
معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات
فان الله غفور رحيم اي غفور لقبائهم في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالغفر وقيل غفور
بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل **الا الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا**
لن يقبل توهم تزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والاخييل بعد ايمانهم موسى وغيره

قوله وكيف بهدي

على الاصل

من انبيائهم ثم اذادوا كفر يعني كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايامهم به قبل بعثته لما نزلت عندهم من نعمة وصفته في كتبهم ثم اذادوا كفر يعني كفروا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله حق ثم اذادوا كفرا يعني باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم ما قولهم نترفع بمحمد ربنا لمنون وقيل نزلت في الاحد عشر رجلا من اصحاب الكارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فدخل منها في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وما كانوا وهم كفارا الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة لمن تاب فما معنى قوله تعالى ان تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ان تقبل توبتهم فقال الحسن قتادة وعطاء السدي ان تقبل توبتهم حين يحضرون الموت وهو وقت الحرجة لانه الله تعالى قال وليت التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدكم الموت قالوا اني تبت الان فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال اني اليهود والكفار والمتردين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ما تواعلوا لان تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية قوم تابوا من ذنوبهم فعملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد ان تقبل توبتهم اذا ما تواعلوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى ان تقبل توبتهم ما اذادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لانهم كفروا بعد ان يقبل التوبة عن عبادة الله وانه قابل توبته كل تائب من كل ذنب بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصبحوا على الله الله غفور رحيم علم ان المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الا زيادة على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واعتلج فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى **واولئك هم الضالون** يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم اذادوا كفرهم الذين ضلوا عن سبيل الحق وخطاوا منها جده قوله تعالى **ان الذين كفروا واما اتوا وهم كفارا** قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الكارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن كان كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر **فلن يقبل من احد منهم ملك الارض** هي اي قدرها يملاها

خالفهم

الارض من شرقها الى غربها **ولو اقدى به** قيل معناه لو اقدى به والواوزنية مقحمة وقيل الواو على حالها وفانتهما النفا للعطف والتقدير لو تقربا الى الله بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد في التعليل لانه يصح بنفي القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احد منهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام قد ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان الكافر قدم ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك قيل معناه لو ان الكافر اتفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة **اولئك** اشارة الى من مات على الكفر **لهم عذابا ليم** **وما لهم من نار** يعني نار عذابهم من العذاب **ق** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لا يورث اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شيء ان كنت تقدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهلون من هذا وانت في ضلالتهم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك لفظ مسلم وقوله عز وجل **لن تنالوا البر** قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا **اجني تنفقوا ما تحبون** وقيل معناه لن تنالوا ابرار الله وهو ثوابه واصطل ابرار التوسع في فعل الخير يقال ابرار العبد ربه اي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانها من الخير المتوسع فيه **ق** عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا **عن** النوايسر سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والامر فقال البر حسن الخلق والامر ما حاك في الصدر وكرهتان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة ابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المودى الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيب اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة **ق** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح الفقير وتامل الغني ولا تعلم حتى اذا بلغت الخلق قوم قلت لفلان كذا او لفلان كذا الا قد كانا مختلفين في هذا الاتفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تحجوا زكاة

اموالكم فعلى هذا القول قيل ان لاية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب
 في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها ساير الصدقات وقال الحسن كل شيء انفقته المسلم
 من ماله مما ينبغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تناووا البر حتى
 تنفقوا مما تحبون **في** عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر انصارى بالمدينة مالا وكان
 احب ماله اليه بريحاً وكانت مستقبله السجدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذمها
 ويثرب من ماله فيها طيب قال انس فلما تركت هذه الاية لن تناووا البر حتى تنفقوا مما
 تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول
 في كتابه لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون وانا احب مالى الي بريحاً وانها صدقة
 لله عز وجل ارجو برها واذ خرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ ما لم يرخ او قال ذلك مال المارح اري ان تجعلها في الاقرين
 فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فغتمها ابو طلحة في قاربه ونسي عنه قوله خذ ما لم يرخ
 كلمة تعالى عند المدح والرضى وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت
 حرف وتوت فقلت خذ ما لم يرخ وقبل خذ قوله مال المارح اي ذورخ وفي الرواية الاخرى
 ذلك مال المارح بالياء معناه بروج عليك نفقة وتوابه وبيرح اسم موضع بالمدينة
 وهو حائط كان لابي طلحة ويروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاسدي
 ان يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فمحت فلما جات اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل
 يقول لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتمها عمر وعنه حرة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله
 ابن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله
 قد كرمنا اعطاني الله تعالى فما كان شيء احب لي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى
 قال ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لتكتهنق عن عمر بن دينار قال لما تركت هذه الاية لن
 تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون جازيدين حارثة بن بفرير يقال لها سليل كان يجبهها الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال انضدق لهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان انضدق لها فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان تريد اوجد في نفسه فلما راي ذلك
 منه النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال اما ان الله قد قبلها وروى ان ابا ذر ثرله بضيف فقال
 للراعي ايئني بخير ابي فجا بئاً فمروله فقال للراعي خستني فقال الراعي وجدت خير
 الابل فحلبها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفري
 وقوله تعالى **ما تنفقوا من شيء** يعني من شيء كان من طيب يحبونه او خبيث تكرهونه
 فان الله به عليم اي يعلم ويجازيكم به قوله تعالى **كل الطعام** كان حلالا لبني اسرائيل الاما حرم

حرف

اسرائيل

اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي
 صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على صلة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والابل
 وانت تاكل ذلك كله فليست على صلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك كله حلالا
 لاهراميم قالوا كلما اخبره اليوم كان ذلك حراما على نوح واهراميم حتى انتهوا فافترسوا
 عز وجل كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الاما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل
 ان تنزل التوراة يعني ليس لامر على ما فانه عيبه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل
 كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من
 الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكل اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بلحضر التوراة وطلب ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فخرجوا عن ذلك
 واقتضوا وبان كنهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود
 انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر
 ان كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الاما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه
 كان حلالا لاهراميم واسماعيل واسحاق واولاده ففقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان
 النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من ندم الى هذا الوقت
 فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض
 انواع الطعام اثم حرم بسبب ناسيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة واعتصموا
 من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم
 بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله
 عليه وسلم لم كان جللا اميالم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس في التوراة
 علم ان الذي اخبره صلى الله عليه وسلم انه وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل
 الاما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا
 في الذي حرمه يعقوب على نفسه فغفل حرم لحوم الابل والبها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس
 ان عصاة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا
 اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انشدكم بالذي تقرأ التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب من من ضا شديدا فقال
 سقوه منه فذره لله نذر الله عافاه الله من سقوه ليجز من احب الطعام والشراب اليه
 وكان احب الطعام اليه كحان الابل واحب لشراب اليه البها فافعلوا اللهم نعم وقال
 ابن عباس في العروق وكان نسيب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان اصل وجعه فيمارى عن
 الضحك ان يعقوب كان قد نذر لله له اثني عشر ولدا واتي بيت المقدس صحيحا

في كل ما كان حلالا لبني اسرائيل

ان يذبح احد منهم وفي رواية اخرهم فسلطاه ملك من الملايكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي
فقل لك في الصراع ففاجبه فلم يصع احد مما صاح به فغرم الملك غزوة فغرض له عرف النساء
من ذلك ثم قال ما في لوشيت ان اصعدك لنفقت ولكن غزيتك هذه الغزوة لانك قد نزلت ان
انتي بيت المقدس صحيحا ذبحت خرولك فجعل الله لك بهذه الغزوة من ذلك فخرج فلما قدم
يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسب ما قاله الملك فانتاه الملك وقاله انما غزيتك
للمخرج وقد وفي نذر لك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في اخرى اقبل يعقوب
من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه
ملك في صورة رجل فقل يعقوب انه لص ففاجبه ان يصعد ففعل الملك فخذ يعقوب وصعد
الى السما ويعقوب ينظر فهاج به حرق النساء ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع
وبسيت وله ارقاي صياح فحلف يعقوب ليرثقاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق
فخرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها
وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له لا طبيا تجب كحان الا بل فخرم ما يعقوب
على نفسه وقيل انما حرم يعقوب بحوم البحر ونقبة الله تعالى وساله به ان يحرم ذلك
فخرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل
ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما على
بني اسرائيل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل ان تنزل التوراة كان كل انواع
الطعام كانت حلا لبني اسرائيل سوى ما حرم اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التوراة
فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا
الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتوحيهم اسرائيل
فانه قال انما كان في الله تعالى لا ياكله ولدى لم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال
الكلبي لم يحرم الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى
قبطم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الان قال ذلك جزينا هم ببغيتهم وانما الصادقون فكانت بنوا اسرائيل اذا اصابوا ذنباً
عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً او صبت عليهم رجوا وهو الموت وقال الضحاك
لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمته الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم ابتغاء
لايهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى **قل فأتوا بالتوراة**
يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة فانتموها اي فاقروها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم
ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتهم فلم يأتوا بها وخافوا الغضب ففعل الله تعالى في اقرى على الله

الكذب لا فتر الخلق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فتر الاديم
اي قطعه لان الكاذب يقطع من غير حقيقة له في الوجود **من بعد ذلك اي من بعد ظهور**
الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرماً قبله **فاوليك هم الظالمون** اي المحتجون
للعذاب لان كذبهم ظلم منهم لانفسهم ولما اصلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود
وتكذيب لهم حيث ارادوا براة ساحتهم فيما اتى عليهم مما نطق به القرآن من تقديم
مساويعهم التي كانوا يكتبونها **قل صدق الله** يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان ذلك
النوع من الطعام صار حراماً على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالاً له ففصح القول بالشيخ
وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان يحوم الا بل واليا فها كانت محلا
لابرايم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل
صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت محلا لبني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزا على
قبائح افعالهم فغيبه تزيين كذب اليهود والمعنى ثبت ناسه تعالى صادق فيما اترا اخبر
وانتم كاذبون يا معشر اليهود **فاتبوا املة ابراهيم حنيفا** اي اتبعوا ما يدهوكم اليه بمحمد
صلى الله عليه وسلم من املة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد
ومن امن معه واتماد عامه الى املة ابراهيم لانها املة محمد صلى الله عليه وسلم **وما كان من**
المشركين اي لم يدع مع الله المأولا عبيد سواه قوله عز وجل **ان اول بيت وضع للناس للذي**
بكة سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من
الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل
فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على املة ابراهيم فاكدتهم
الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى
في الآية المتقدمة **فاتبوا املة ابراهيم حنيفا** وكان من اعظم شعائر املة ابراهيم الحج
الى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت لينفع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت
وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء
سوا حصل عقيب شيء اخر ولم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعاً
للطاعات والعبادات وقبله للصلاوات وموضعاً للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات
وثواب الطاعات وكونه موضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العالم
فيه والبادي فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيته واضافه الى الناس
اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم
له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم
وقبله صلواتهم للذي بيكة قيل بيكة نفسها والعرب نقاب بين الباء والميم فيقولون قرية لارب

ولا زعم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان أحدهما
أنه من البكة الذي هو عبارة عن الرفح يقال بكة بكة إذا دفعه وزاحمه فلهذا قال
سعيد بن جبير سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول
محمد بن علي الباقر ومجاهد وقادة الوجه الثاني سميت بكة لأنها تبتك اغلاق الجارية
أي تدقها ولم يقصد هاجتار بسوا الاقصه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير
وأما مكة فسميت بذلك لقلة ما فيها من قول العرب ملك الفصيل ضرع أمه وأمنته
إذا مضى كما فيه من اللزوق قيل لأنها ملك الذنوب أي تزيلها وسميت أم رحم لأن
الرحمة تنزل بها والمخاطبة لأنها تحطم من استخف بجرمها ولأن الناس يحلم بعضهم
بعضاً من الرحمة وسميت أم القرى لأنها أصل كل بلدة ومن تحتها حيث لا رضى واختلف
العلماء في كون البيت وسميت وضع للناس على قولين أحدهما أنه أولية الوضع والبناء قال
مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض وفي رواية عنه إذا الله
خلق البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بالغ عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الأرض
عند خلق السموات والأرض خلقه قبل الأرض بالغ عام وكان زبدة بيضاء على وجه
الماء حيث لا رضى من تحتها وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقادة والسدي وقيل هو أول
بيت بنى على الأرض وروى عن علي بن الحسين بن علي أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً
وهو البيت المعروف بالملايكة أن يطوفوا به ثم أمر الملايكة الذين في الأرض أن يبنوا
بيتاً في الأرض على مثاله وقد عرفوا هذا البيت واسمه الفراح وأمر من في الأرض أن
يطوفوا به كما يطوف أهل السما ببيت المعمور وروى أن الملايكة نبوه قبل خلق
آدم بالغ عام وكانوا يحجون فلما حج آدم قال الملايكة برحمتك يا آدم لقد حججت هذا
البيت قبلك بالغ عام وقال ابن عباس أنه أول بيت بناه آدم في الأرض قيل إن آدم
لما اهبط إلى الأرض استوحش وشكى إلى جنته فأمروا الله تعالى ببناء الكعبة فيها
وكان فيها وبقى ذلك البناء إلى زمان نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت إلى السما
وبقي موضع البيت كحمة بيضاء إلى أن بعث الله إبراهيم عليه السلام فأمره ببنائه
القول الثاني أن المراد من الأولية كون هذا أول بيت وضع للناس بباركاً ويدر عليه
سياق الآية وهو قوله تعالى الذي بكة بباركاً وروى أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب
فقال لا تخبرني عن البيت هو أول بيت وضع في الأرض قال لا قد كان قبله بيوت
ولكنه أول بيت وضع للناس بباركاً وهدى وفيه مقام إبراهيم ومن دخله كان
أمناً وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطهر هو أول بيت وضع للعبادة
وقال الفخار هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس حج إليه وأول بيت

جعل قبله للناس عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد
وضع في الأرض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال
أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد أحييت ما أدركت الصلاة فصل زاد البخاري فإن
الفضل فيه **مباركاً** يعني ذا بركة وأصل البركة المعنى والزيادة وقيل هو ثبوتها خير
الأمم فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لأن الطاعات وسائر
العبادات تتضاعف وتزداد ثوابها عنده **ق** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد
الحرام **وهدى للعالمين** يعني أنه قبلة للمؤمنين لهتدوا به إلى جهة صلاتهم وقيل لأن
فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غير وقيل
هو هدى للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بان صلى الله عليه أو حجه فقد أوجبه الله تعالى له
الجنة برحمته قوله تعالى **فيه آيات بينات** أي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد
فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله مقام إبراهيم ومن دخله كان
أمناً وقيل الآيات غير هذه كونه منى ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا تطير
فوق الكعبة في المهرج بل تتحرف عنه إذا وصلت إليه بيناً وسلاماً ومنها أن الوحش لا تؤذى
بعضها بعضاً في الحرم حتى الكلاب لا يهجم الظبا ولا ينقضها ومنها أن الطير إذا مر منها
شئ استشقى بالكعبة ومنها أن جميل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده
جبار بسوا إلا أهلكه الله كما أهلك أصحاب القيل وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر
الأسود والملازم والحطيم وزمن ومشاعر الحج التي فيها كلها من الآيات ومنها أن الأمر
ببناء هذا البيت هو لأجليل والمهندس له جبريل والباني هو إبراهيم الخليل والمساعد
في بنائه هو إسماعيل فلهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى **مقام إبراهيم** يعني
الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي إبراهيم فانه من ذكره
المسح بالأيدي **ومن دخله كان آمناً** قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله أن أول بيت
وضع للناس موجود في جميع الحرم إذا المراد بقوله ومن دخله كان آمناً جميع الحرم ويدل
عليه أيضاً دعوة إبراهيم حيث قال رب جعل هذا البلد آمناً يعني من أن يهاج فيه
وكانت العرب يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم آمن من
القتل والغان وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى ولعمرى أنا
جعلنا حرمنا آمناً ويتخطف للناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عرفة
العصا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمناً وقيل هو خبر بمعنى الأمر بقدره ومن
دخله فأمناه وهو قول ابن عباس حتى ذهب إلى أن من وجب عليه القتل فمناً

من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته وتفقته من يلزمه نفقته فكسوم
وعز في ثلث كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد
في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخره او خرج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من رحلة
لا يلزمه الخروج معهم ويستترط ان يكون الطريق آمنا فلان كان فيه خوف من عدو مسلم او
كافر او رصدي يطلب الحفارة لا يلزمه ويستترط ان تكون المنازل المأمولة معمورة جيدة
فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرقا اهلها بجديا وغار مياهها فلا يلزمه
الخروج ولولم يجد الرحلة وهو قادر على المشي ولم يجد الزاد وهو قادر على الاكل
لا يلزمه الحج عنه من جعل وجدان الزاد والرحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان
يفعل ذلك ولا يلزمه الحج عنه ماله واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا
بنفسه بان كانه متاوبا به من لا يرحى بروه وله مال يمكنه ان يستاجر من الحج عنه فيجب
عليه ان يستاجر من الحج عنه وان لم يكن له مال وبذله وله او اجبى الطاعة في ان الحج عنه
لزومه الحج ان كان يعجز على صدقة لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعندنا حبيفة
لا يجب الحج ببذلة الطاعة لما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحاجته امرأة من خثعم تستغيبه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه الفضل الى الشق الاخر قالت
يا رسول الله ان فرغيت من عبادته في الحج ادر كنت ابي شيئا كبير الا يستطيع ان يثبت علي
الراحلة اف اخرج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن كفر بما الرزق الله من فرض حج بينه وبينه فان
الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجدنا الحج ثم مات ولم يحج فهو
كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك اربعة ارجل
تبليغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول الله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجهم الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نرفعه الا
من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجمر الخارفي يضعف في الحديث وقيل هو الذي
ان حج لم يره بره وان فقد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون
فنزلت والله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفر بانه فزلت ومن كفر
فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه متعلقة باقبلها وقيل ان كلاما مشافها
ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب**
قل للخطايا بعلما اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطايا
بجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفروا بآيات الله يعني الآيات الدالة

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفروا بآيات الله التي دلتكم على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم **وايه شئيد**
على ما تعلمون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قليا اهل الكتاب لم تصدقوا عن
سبيل الله من امن يعني لم تصدقوا عن دين الله من امن وكان صدقهم عن سبيل الله بالغا الشبه
والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم **تتغوز يا عوجا** يعني زينا
وميل عن الحق والعوج بالكسر الزينج والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فامتا
الشي الذي يرى كالحايطة والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والماء في قوله تتغوز يا عوجا على
السبيل والمعنى لم تطلبوا الزينج والميل بتسبيل الله بالغا الشبه في قلوبكم لضعفة **وانتم**
شبهة اقالا بن عباس يعني وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان
دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد
محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتذكير لم ذلك
انهم كانوا يجتهدون ويحذرون بالغا الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والنصيحة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى **وما الله بغافل عما تعملون** قوله عز وجل **يا ايها الذين**
امنوا ان تطيعوا امرى من الذين اتوا الكتاب لاية قاله زيد بن اسلم من ثمانين فيس اليهودي وكان
يشكك عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين في نفيهم من الاوس والخزرج ثم في مجلس يحدثون فيه
فقاطعت اراى من الغنم وصلاحي ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية
وقال قد اجتمع ملائكة قبيلة يمدد البلاد واسه ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرأ فامر شيا با من اليهود
كان معه فقال له اعد اليهم واجلس معهم ثم ذكر يوم يقاتل وما كان قبله وانشد لهم بعض ما كانوا
يتناولون فيه من الاشعار وكان يوم يقاتل يوما اقتسلت فيه الاوس والخزرج وكان الضغينة للاوس
على الخزرج ففعلوا قتلهم القوم عند ذلك فسانعوا وفساخوا حتى ثوابه جلان من الجحيم على الكعب
وما اوس بن قيس طي احدي كادته من الاوس وجار بن صخر احدي بني سلمة من الخزرج فقتلوا قتال العدا
لصاحبه ان شئتم والله مددناها الان جذعة وغضبا لفرقتان جميعا وفاقدا فعلنا السلاح السلاح
مؤعدكم الظاهر ومما حركه فخرجوا اليها وانفتحت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في
الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم في من معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال له
يا معشر المسلمين ابدعوا الجاهلية وانا بينكم اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم اصر
الجاهلية والفت بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله عرف القوم انها نعمة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر بن ابي راية يوما افتحوا لاولا وحسن اخرا من ذلك اليوم فارتد
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا امرى من الذين اتوا الكتاب يعني ثمانين اليهودي وصحابة

يردوكم بعدايمانكم كافرين والكفر يوجب الملاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان
الفتنة والحرب وسفك الدماء في الآخرة النار وكيف تكفروا **انتم تنصرون عليكم ايات الله وفيكم**
رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله تعالى محال فالمراد منه التعليل
وذلك لان تلاوة اياته صلى الله عليه وسلم في القرآن حاله حاله وكونه رسولا صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم
المصلحة لكم وذلك بمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر بعد علي هذا الوجه قال في هذه الآية علمان
بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما بنى الله فقد مضى واما كتاب الله فقد اتى الله
بين ظهركم رحمة منه ونعمة **عن زيد بن ارقم** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومنا فينا خطيبا
ما يدعي محبا بين مكة والمدينة فحمد الله واشفي عليه وعظ وذكر ثم قال ما بعد الاياها الناس
انما انابوا بوسكان يا بني رسول في فاجيبوا في تارك فيكم تغلبوا لما كتاب الله فيه المدي والنور
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال اهل بيتي اذكركم الله
في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي بقوله تعالى **ومن يعصم بالله** اي يتعصم بالله ويسمك به بينه
وطاعته واسئل العصاة الامتناع من الوقوع في افة وفيه حث لهم في الاتجا الى الله تعالى
في دفع شر الكفار عنهم **فقد هدى الى صراط مستقيم** اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المودي
الى الجنة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته** قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج
عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصالح بينهم فافتخر
بعد ذلك منهم رجلان وما نعلت من عثم من الاوس اسعد بن زارة من الخزرج فقال لادسي غلزية
ابن ثابت ذوالشهادتين وما نعلت غليل الملائكة وما نعلت من ثبات بن ارقم حتى الدور من اسعد بن
معاذ الذئلي هاجر عن الحسن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي من اربعة احكموا القرآن
اي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومن اسعد بن عباد خطيب الانصار وريثهم خري
الحديث بينهما فغضبوا واشدا الاشعار وتفاخر في الاوس والخزرج ومعهم السلاح فانام النبي
صلى الله عليه وسلم فاصالح بينهم وانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى قال مجاهد هو ان
تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا بالله بالقسط ولو على انفسكم
وابائكم وابنائكم ونحن انما لا يتقوا الله حق تقاته حق يحسن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب
تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا المقدر من هذه الآية هل هو
منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شوقا للمسلمين
وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى اناسخ وهو قوله تعالى في سورة التقاتل
فانقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن زيد والسدي والقول
الثاني انها محكمة غير منسوخة ومروا به عن ابن عباس ايضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف

يرجع الى معنى الآية فيقال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى
ويستحقه فخذوا بكتاب الله عن الوفا به فحصيله تمتنع ومن قال بالانها محكمة قال ان حق
تقاته ادا ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فانقوا الله ما استطعتم مفسر الحق تقاته
لانا سخطا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته
كما يجب ان يتقوا وذلك بان تجنب جميع محاصبه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى
هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنيان غير قاهر فيه لان التكليف
في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجبة على العبد حضورا وانغمر
الله عليه بالمال فاما عنه السهو فلا يجي عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا المشا
يجب عند العا والعبادة لاخذ السهو والنيان وقوله تعالى **ولا تموتن الا وانتم مسلمون**
لغز الله واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فانما
ورد عليكم الموت فقام على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام
فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادقكم وانتم على الاسلام لان ما كان يمكنهم الشك على الاسلام
خفي اذا اقام الموت فانهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم
وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مومنون مخلصون مفضون الى الله اموركم بحسن الظن به عز
وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون فقال لوان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا
معايشهم فكيف بمن يكون طعنا ما خرج الزمزمي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل
واعصوا اجل الله جميعا اي تسلكوا اجل الله والحبل هو السبل الذي يتوصل به الى البقية
وسمى الايمان جبلا لانه سبب يتوصل به الى الزوال والخوف وقيل جبل الله هو السبل الذي به
يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس معناه تسلكوا به من الله لانه سبب
يوصل اليه وقيل جبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث
زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا واني تارك فيكم تغلبوا لما كتاب الله
ما جبل الله من اتبعه كان على المدي ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو جبل الله المتيقن وهو النور المبين والشفا النافع
عصمة لمن تشكبه ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود ما هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة
فانما جبل الله الذي امر به وانما تذكره في الجماعة والطاعة خير مما تجتنب في الفرقة وقيل
جبل الله يعني بالمرء وطاعته **ولا تفرقوا** يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا
يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية من ارباب يعادى بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وقيل
معناه لا تخدثوا ما يكون عنده التفرق ونزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها فبقية النبي

عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فهو اعند وروى النبي
بسنده عن ابي هريرة انه سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضي لكم ثلاثا ويخطبكم ثلاثا
يرضوكم ان تقبوا ولا تشركوا به شيئا وان تقصصوا بحبل الله جميعا وان تبايعوا مني والى الله
امرهم ويخطبكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال اقرت له تعالى **وذكر وانتم الله عليكم اذ**
كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة اخوانا قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاختيار
كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعنا بينهما عداوة قبل ثم نظاوت تلك العداوة
والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطلق الله تعالى ذلك بالاسلام واتفق بينهم بينه
عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا
تسميه قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حلجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد بعث وامر بالبعث فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى
الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما الذي معك فلا يجله لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها
على فرضها عليه فقال ان هذا كلام حسن ومعني افضل من هذا فاذن له ان يترك الله عز وجل على نور
ومدى قنلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعده منه وقال ان هذا القول حق ثم انصرف
الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو لم يقدّم
ابو الحسن ابي بن ترفع ومعه قتيبة من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلقبسون الخلف
من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اقامهم وحل بينهم
وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال ان رسول الله بعثني اليه الى العباد
ادعونهم الى ان لا يشركوا بالله شيئا وانزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن
فقال اياس بن معاذ حدثنا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحسن حنفية من البعيا
فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعلنا نغير هذا فقصدت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث
اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي اتى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه
على القبائل من العجم يصنع في كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراهم
خير لوهم سنة ثمان مائة وعوف بن الحارث وهو ابن عوف ورافع بن مالك العجلاني
وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نائل وجابر بن عبد الله بن رضى الله عنهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا انفر من الخزرج قالوا من هو الذي قال انتم قالوا
تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم

ابو العيسر

في سنة ثمان مائة

القرآن قال وكان يصنع الله به في الاسلام ان يهود كان معهم بيلا دهم وكانوا اهل كتاب
وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبينا الا ان يبعثوا قدامنا
فما نه تتبعه وقتلكم معه قتل عاد وارم فلما اكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر
ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلون والله انه الذي نؤعدكم به يهود فلا
تسبكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم بينهم من
العداوة والشرا بينهم فغضب الله ان يجهم بك وسبقهم عليهم وندعهم الى امر فان جمعهم
الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعاهم الى بلادهم فلما
قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام حتى فشا بينهم فلم يبق
دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسود بن زرارة وعوف ومعوذ بن عفراء ورافع بن مالك العجلاني
وذكوان بن عبد القيس عباد بن الصامت ويزيد بن عتبة وعياض بن عباد وعقبة بن عامر
وقطبة بن عامر فجلسوا لخروجهم من ابي الهيثم بن اليتهم وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه
بالعقبة وبني العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لا يشركوا
بالله شيئا ولا يسرقوا ولا ينزلوا الية فان وقيتم فلكم الجنة وان غشيتكم شيئا من ذلك فاخذتم بحده
في الدنيا انو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان ساعدكم وان ساعدكم فلكم قالوا ذلك
قبل ان يفر من الحب قال فلما انصرفوا القوم فبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره
ان يزيهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسود
ابن زرارة ثم ان اسود بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظنر فجلسا في الحايط
واجتمع اليهما رجال من اهل المدينة فقال اسود بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذا الرجل الذي
انبادنا اليه فاصنعنا فان اذبحها فان اسود بن خالتي ولولا ذلك لكفتيك وكان سعد بن معاذ
واسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وما بعد مشركا فاخذ اسيد بن حضير حربة
ثم قبل الى مصعب واسعد وما جالسا في الحايط فلما رآه اسود بن زرارة قال للمصعب هذا
سيد قومك فاجاك فاصدق الله فيه قال مصعب اني مجلس كله فلما وقف عليه ما تشاء وقال
ما جابكما اليه فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا فاصنعنا
فصنع فانه رضيتا ما قبلته وانكرته كنعنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربة في جوفه
فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالوا والله لفرغنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم
في امرنا فبينما هم قال ما احسن هذا واجمل كيف تفضلون اذ اردتم ان تدخلوا في هذا
الدين قال لا تغفلوا وتعلموا نبيك وشهد شهادته الحق ثم يقبلكم كعمى فقاموا فغسل
وطهر ثوبه وشهد شهادته الحق ثم قال لا تزلوا ولا تفرقوا انا تبعكم انا تبعكم انا تبعكم انا تبعكم

وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربه فانصرف الى سعد وقومه ومعه جالوس في
ناديمهم فلما نظر سعد الى سيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به
من عنده ثم فلما وقف اسيد على النادى فقال له سعد ما فعلت قال قلت الرجلين فوالله ما رايت
هما باسا وقد نهيتهما ففقا لا لا تفعل الا ما احببت وقد حدثت ابني حارثة خرجوا الى
اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا
لله في ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغتيت شيئا فانصرف اليها فلما راها
مطمئنة عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منها فوقف عليها ما تشاء ثم قال لاسعد بن زرارة لو لا
ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذه امني فغضنا في دارنا ما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب
جاك والله سيد قومك ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعبا وتعود فتسمع فان
رضيت امر او رغبته فاقبله وانكرته عزنا عنك ما نكره فقال اسعد انصفت ثم ركز
الحربة وجلس ففرغ من عليه مصعبا الاسلام وقرأ عليه القرآن قال لا فرقنا والله الاسلام في
وجهه ونسبته ثم قال كيف تضمنون اذا سلمتم ودخلتم في يد الذين قال لا تقتلوا ونظروا بكم
ثم شهد شهادة الحق ثم قضى ركعتين فقام فاعطى وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وكبر ركعتين
ثم اخذ حربه واقبل عامدا الى نادى وقومه ومعه اسيد بن عفيف فلما راوه مقبلا قالوا لولا انك
لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عنده ثم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهر
كيف تقولون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وابينا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونساءكم علي
حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد الاشهر رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة
ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى امير المؤمنين سعد فقام عنده يدرع الناس الى
الاسلام حتى لم يتبق من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان
من دار امية بن يزيد وخطه ووايل ووافق وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسود الشاعر
وكانوا يسبقون منه ويطيعونه فوقفهم عن الاسلام حتى يهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ومضى بدم واحد والحمد لله قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج
معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة
فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبة من اوسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة
الثانية قال لعبد بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعا عبد الرحمن بن عمر بن حرام وابو جابر اجزاه وكانكم
من معنا من المشركين من قوتنا امرنا فكلنااه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وسيف
من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون خطيبا لنا رغدا او دعونا الى الاسلام فاسلم
فما جبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدوا بها العقبة وكان نقيبا فاستأذنتك

الليلة مع قومنا في رحا لنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفسا مستخفين لتسلل الفضا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومينا
امراتان من نساءنا نسيبة بنت كعب ام عمار احدى نساء بني النجار واسما بنت عمرو بن عامر بن
احد نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا معه عمه
العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ علي بن قومه الا انه احب ان يحضر امرنا اخيه بتوبته
فلما جلسنا الاول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخرج وكان العرب يسكنون هذه
الحق من الانصار والخرج خرجوا بها واوسها ان محمدنا حيث قد علمتم وقد منعنا من قومنا من هو
على مثل رايها ومو في عن من قومه ومنعة في بلده والله قد انا لا الانقطاع اليكم والحق
بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نقوه من خالفنا ثم وما تحلمتم به من ذلك
وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوا فانه في غرو منعة قال قلنا
قد سمعنا ما قلتم فتكلم يا رسول الله وقد لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلنا القرآن ودعا الى الله عز وجل ودع في الاسلام ثم قال يا ايها الذين آمنوا انتم تعلمون ان
تمنعون من انفسكم ونساءكم وابنائكم قالوا خذوا البرا من ربكم ثم قالوا الذي بعثك باحق
نبيا لنعلمك ما تمنع منه اذ امرنا فبايعنا يا رسول الله ففحق اهل الحب واهل الخلق وتودنا هاكا ببرا
عن كابرنا عرض القتول والبرايكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن اليتهم فقال يا رسول الله
ان يبيتا وبين الناس رجلا لا يعني عموه او انا فاطمونا فقل عيبنا ان فعلنا ذلك بغير اذنك الله ان
ترجع الى قومك وتدننا فبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والدم والمدم المدم
انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسلم من سلمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجوا الى منكم اثني عشر نقيبا كفلنا على قومهم بما فيهم ككفالة الخواريث لعيسى بن مريم
فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخرج وثلاثة من الاوس قال عامر بن عمر بن قسادة ان القوم لما
اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العاصم بن عباد بن فضالة الانصار يامعشر
الخرج مل ترون عليا بن ابي معون هذا الرجل انكم تبايعونوه على جرد لا حرم الاسود فان
كنتم ترون انكم اذا نكحت اموالكم مصيبة واسرا فكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي
في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه على منكم الاموال وقلنا لا نرا
تخذوه فهو والله خير في الدنيا والاخرة قالوا فانا خذوه على مصيبة الاموال وقلنا لا نرا
فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وينا قال الجنة قالوا البسط يدك فبسط يده فبايعوه واول
من ضرب على يده البراء بن معمر ثم تباع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صرخ الشيطان من براس العقبة بانفاد صوت سمعته قطيا افعال الجاحب هل لكم في منكم
والقبائل معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وعد الله هكذا

أربا لعقبة يعني شيطان العقبة اسم أي عدو الله أما والله لا فرغ ذلك ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انفضوا إلى رجالكم فيقال العباس بن عباد بن فضالة والذي بعثك
بالحق لين شيت لنميت على أهل مني بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نوم بذلك
ولكن أرجعوا إلى رجالكم قال فرجعنا إلى عصنا جعنا ففعلنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت
علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جيتهم صا جناهة
تستخرجوه من بيننا وناوتنا يعوه على جربنا وأنه والله ما حي من العرب بغض لنا أن
تنب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من بيننا من مشرك فوئنا نقر بخلقنا من الله
ما كان من هذا من شيء وما علمنا وقد قوالم يعلموا به وبعضنا ينظر إلى بعض وقام القوم
وفيهم الحرب بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديد أن قال فقلت له كلمة كافي
أريد أن أشرك القوم بها فيقالوا يا جابر أما تستطيع أن تتخذ وانت سيد من ساداتنا
مثل فعل هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرب فخلعها من رجله ورمى بها إلى وقال والله
لنعلنها قال أبو جابر ربه والله احفظت الفتى فاردد إليه نعليه قال قلت لا رد بها قال
والله صالح ليرصد قال لا أسلمه قال ثم انصرف الانصار إلى المدينة وقد شدوا القه
فلما قدموها ظهر الله الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فادوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا لله قد جعل لكم أخوانا ودارا آمنون فيها فأمم
بالمهجرة إلى المدينة والحقوا بأخوانهم من الانصار فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد
المخزومي ثم عامر بن سبيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أرسالا إلى المدينة ثم ما جرد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمع الله عز وجل
أهل المدينة أوسها وخرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبية عليه انصار الصلاة
والسلام وانزل الله عز وجل وأذكر يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام
اذ كنتم أعداء يعني قبل الاسلام قال فبين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه السلام
فاصبحتم بنعمته إخوانا يعني فصرتهم برحمته وبدينه الاسلام إخوانا في الدين والولاية
بعد العداوة **وكنتم** يعني يا معشر الاوس والخزرج **على شفاخرة من النار** يعني على طرف حرفة
مثل شفا البر ليس بينكم وبين الوقوع في النار إلا أن تموتوا على كفركم **فانقذكم منها** أي فخلصكم
بالإيمان من الوقوع في النار **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** قوله تعالى **ولكن منكم أمة**
يبدعون الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الأمر أي لتكن منكم
أمة دعاة إلى الخير منكم وقيل إن كلمة من في قوله منكم للتبيين والتعريض وذلك لأن الله عز
وجل أوجبلهم بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أمة في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمر بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بيده أو بلسانه أو بقلبه **م** عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك
أضعاف لثلاث فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير أمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ومن قال هذا القول يقول أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به
واحد سقط عن الباقيين وقيل إن من هذا التبعية وذلك لأن في الأمة من لا يقدر على
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن إدخال لفظ من في قوله ولتكن منكم
أمة وقيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالمعلماء ولاة الأمر فعلى هذا
يكون المعنى ليكن بعضكم أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر **م** عن النعمان بن بشير عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على غيبة
فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من
المأمر وأعلى من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوكم وما
أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الآية هو كل شيء
يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة أي
جماعة دعاة إلى الاسلام وإلى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة إلى
فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف
والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس والادب والخير ثم
اتبعه بنوعيه ثمانية في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنة
والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالشرع والعقل فيجوز قوله تعالى **وأولئك هم المفلحون** تنتم
تفسيره قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا** يعني لا تكونوا يا معشر المؤمنين
كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وبهم اليهود والنصارى في قول كثير المفسرين واختلفوا
أي في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكره للتأكيد وقيل تفرقوا
بسبب لعادى واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه
الآية هم أهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ان تفرقوا واختلفوا كما تفرقوا واختلف أهل الكتاب
وقال ابن عباس لما ربه المؤمنين بالجماعة ونهائهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنا هلك
من كان قبلهم بالمر والخصومة في الدين وقال بعضهم بهم المستعدة من هذه الأمة وقال أبو
إمامة هم المخزوميون قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على ورس الحروية على
درج جامع دمشق فذرفت عيناها ثم قال لا يهمل النار وكانوا مومنين فكروا بعد ما بهم
شبهت تحت أديم السما وخير قيل تحت أديم السما الذي قتلهم هو لا قلت قاتلناك ومعت
عيناك قال جمعة أم كانوا من أهل الاسلام فكروا بعد ما بهم ثم أخذ بيدي وقال إن ما فيهم

كثيرا وقد واثقه ثم قرأ بقوله ففكر وابتعدا يانهم ولا تكونوا كاذبا ثم قرأوا واختلفوا الى قوله
الفرم بعدا يانكم ورواه الزمعي عن ابي غسان قال قال ابو امامة روي عن ابي بصير عن ابي
دمشق فقال ابو امامة كذا يانهم النار شققتي تحت اديم السما خير قتلي من قتلوه ثم قرأ
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى اخر الآية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الامرة او مرتين او ثلاثا لم ارجع حتى يحد لي بها ما
حدتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى **من بعد ما جاءهم البينات** يعني الحجج الواضحات
فعلوها ثم خالفوها وانما قالوا جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التثنية من
الفعل في التقديم تشبيها بعلامه التثنية والجمع **واوليك لم عذاب عظيم** يعني هؤلاء
الذين كفروا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق
والخلاص عن الحق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شرا ففد فخلع
ربيعة الاسلام من عنقه اخرج ابو داود ودار بربيعة الاسلام عقدا لاسلام واصطلمه
ان الرمي جيل فيه عدة عري يشبه بها الغنم الواحدة من الرمي ربيعة وروى البخاري بسنده
عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره مجبوحه الجنة فليكن بالجماعة
فان الشيطان مع العدو ومن الاثنى ابعد مجبوحه الجنة وسطها والفرقة ما والوا قوله
تعالى **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يعني اذكر وايوم تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود
وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض
وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفيها من الوجوه وسوادها قولان احدهما
ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل
يقال لمن نال بغيته وظهر مطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ومن ناله مكروه
اسود وجهه وارتبه لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدكم بالانثى ظل
وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا ايضا من الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها
بها وذلك ان المؤمن اذا اورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشروا بالبه
ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه بياضا للورق واسرقته واستنارت وابتفت
صحيته واشرقته وسمي النورين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد
القيامة على ما قدم من خبيث وعمل سياف حزن واغم لعله بعدا بالله فاذا كان كذلك
وسم وجهه بسواد اللون كمودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب
نعود بفضل الله وسعته رحمة من الظلمات يوم القيمة والقول الثاني يانهم وجوه وسوادها
حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نوراً ويسود وجه الكافر ويكسى
ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيها والحكمة في بياض الوجه وسوادها ان اقل

الموقف اذا راوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد وجه الكافر
عرفوا انه من اهل السقاوة **فاما الذين اسودت وجوههم** **الفرم بعدا يانكم قد واثقوا**
ياكنتم تكفرون اي فيقال لهم الكفر والتميز للتوبيخ والتقريع فاني قلت كيف قال الفرمة بعد
ايانكم وبهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا وابتعدا يانهم قلت اختلف العلماء في
ذلك فروي عن ابي بن كعب انه قال لا يراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم التبريكم قالوا
ياي فامن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا
بالايمان باللسان وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة بن اهل الكتاب وذلك انهم اسوا الجحود صلى
الله عليه وسلم قبل مبعضه فلما بعثوا انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا عن ابي بكر الصديق
وبهم اهل الردة **ق** عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على احوص
وليرفعني الى رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لا يابوا ولم يخلجوا واني فاقول اي ربنا يحياي فيقال
انك لا تدري ما احده ثواب بعدك **ق** عن ابي بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على احوص
رجال مني صاحبني حتى اذا رفعوا الى اخلجوا واني فاقول اي ربنا يحياي فيقال اي
انك لا تدري ما احده ثواب بعدك **ق** في رواية فاقول سمعنا المن بعدك **ق** عن ابي بن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعد على يوم القيامة رمت من اصحابي وقال من امتي فيجاءون من الحق
فاقول يا ربنا يحياي فيقول انه لا علم لك يا احده ثواب بعدك انهم ارتدوا على اديارهم القهقري
وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وقتلهم وبهم الحواريين من بني بنيهم
انه كان في الجيوش الذين كانوا مع علي بن ابي طالب في قتالهم فقال علي ايها الناس اني سمعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي يقرن القرآن ليس قرآنكم الي قرآنهم بشي ولا هلاككم
الى صلاتهم بشي ولا صيامكم الى صيامهم بشي يقرن القرآن ان الله لم يحسن انهم لم يوبوا عليهم
لا تجاوز صلاتهم تراقيمهم يقرن من الاسلام كما يقرن السهم من الرمية وفي رواية سويد بن عقبة عنه
يقرن القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم كما يقرن من الدين كما يقرن السهم من الرمية فاني القيتهم يوم
فاقولهم فاني قتلهم اجر المني قتلهم عند الله يوم القيمة **ق** عن ابن عمر قال قلت لسهل بن خنيس
هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول واهوى بيده
الى العرق يخرج منه قوم يقرن القرآن لا يجاوز تراقيمهم يقرن من الاسلام مروق السهم من الرمية
وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية وكهولهم ومن قال بهذا القول يقول
كفرهم بعدا يانهم ما خرجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد **ق** عن ابي بن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما دروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي
كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الاعور سمعت علي
ابن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فايعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به

النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى بهم الذين كفروا بعد ما يأتهم
ورب الكعبة وقوله تعالى **وما الذين ابغضت وجوههم** يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل
ففي رحمة الله يعني في الجنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى
أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى **فيها خالدون** قيل إنما كرر
كلمة في لأن في كل واحدة معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون **ذلك**
الله يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت **فتلوها على كتاب الحق** أي بالمعنى الحق لأن المتلو
حق **وما الله يريد ظلماً للعالمين** يعني لا يعاقبه أحد بغير جرم واستحقاق للعقوبة وإنما ذكر الظلم
هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون أخيراً أنا وقومنا فيما وقعوا فيه بسبب فعلهم المنكرة وأنه لا يظلم أحد من خلقه **وهو**
ما في السموات وما في الأرض لما ذكر الله أنه لا يريد ظلماً للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم
وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالاً أو عزاً أو سلطاناً أو يتم نقضاً فيه بما يظلم غيره ولما
كان الله عز وجل مستغنياً عن ذلك وله صفة الكمال أخبر الله ما في السموات وما في الأرض وأن جميع
ما فيها ملكه وأهلها عبيده وإذا كان ذلك كذلك فكيف يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحداً
من خلقه لأنهم عبيده وفي نفسه ثم قال **والى الله ترجع الأمور** يعني وإلى الله مصير الأمور جميع
للخلائق المؤمنين والكافرين والطائعين والعاصين فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحد منهم
قوله عز وجل **كنتم خير أمة** سبب نزول هذه الآية أن مالك بن النضير والصيف وروى بن جرير عن اليهوديين
قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بكر وعمر وعمر بن الخطاب ما نزل الله هذه الآية وأختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى
خير من دينكم الذي تدعوننا إليه فأنزل الله هذه الآية وأختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى
لحدوثها والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان متناً قصة وهي عبارة
عن وجود الشيء في زمان ما مضى ولا يدل على انقطاع طاري بديل قوله وكان الله غفوراً رحيماً فاعلموا هذا
التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الأمم الماضية بانكم خير أمة
وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير أمة وقيل قوله
خير أمة تابع لقوله فاما الذين ابغضت وجوههم والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في
ديناكم خير أمة فلماذا استخفتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى
أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم أي صرتم خير أمة فاما المخاطبون هذه أممهم
فيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجر وأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله لثأل أنتم فكذلكنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثلاً ما صنعتم كان خير أمة أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف ونهونهم عن
المنكر وقال النخعي أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة العامة الذين أمر الله

عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري ذكر بعد قرني قرنين
أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون يذرون ولا يؤثرون
ويظهر فيهم السمن إذا في رواية ويحلفون ولا يستحلفون **ق** عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يخرج قوم نسب شهادتهم بينه
وبينه شهادة تؤول خير الناس قرني يعني أصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الأقران فكان
الزمان الذي يقرب فيه أهل ذلك الزمان في عالمهم ولحوالمهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل
ثمانون وقيل مائة سنة **ق** عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي
قلوا في أحد أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه النصف النصف وقال ابن عباس
في رواية عطا في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة
للخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الأمة ونظيره قوله كنتم
عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فإن كان ذلك خطاب مع الحاضر من يجب للفظ ولكنه عام في
حق الكل كما هنا عن ابن عباس عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فلا أنتم تمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى
أخرجها الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله
عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله عز وجل ومحمد صلى الله عليه وسلم **خ** عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الأمن أي قالوا ومن إلى قال ابن طاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد أدى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا الله أجمع امتي أقال
أمة محمد على ضلالة ويبدأ الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار أخرجها الترمذي عن أبي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا
الفتن والزلازل والقتل أخرجها أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله أخرجها الترمذي وروى عن ربيعة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا مثل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر
الأمم وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمتي الذي يدخلون الجنة عرضة
مسيرة الزالك المسرع المجد ثلاثاً ثم أنهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مراكبهم تزول قال الترمذي
سألت محمد بن أبي بكر عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال الخالد بن أبي بكر ما كبر عن سالم بن عبد الله
زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس في سائر الأواب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أمتي من يشفع في القبيات من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعقبة
ومنهم من يشفع للواحد أخرجها الترمذي **ح** عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليدخل الجنة من امتي سبعون الفا وسبعماية الف ساطين اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل
اولهم واخرهم الجنة وجوههم على صورة القميلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول وعدني من الجنة سبعون الفا احصا عليهم ولا عذاب و مع كل
الف سبعون الفا وثلاث خفيات من خفيات رضى اخرجهم الترمذي وروى البيهقي باسناد الشافعي
عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها
وحمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى **اخرج للناس** معناه كنتم خير الامم المحرجة للناس
في جميع الاعصار ومعنى اخرجت للناس حتى تميزت وعرفت وقبل معناه كنتم للناس خير
امة **اخرجت** عن ابي هريرة قال كنتم خيرة امتي اخرجت للناس قال خير الناس للناس فان آمن بهم
في السلاسل اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقية كنتم خيرة امتي للناس
وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم **تأمر** **ون بالمعروف** **وتنهون عن**
المنكر هذا كلام متناقض والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خيرة امتي كما تقولون بذكرهم
يطعم الناس ويكسهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمر
الناس بقول الله الا الله وتنهونهم عن الشرك **وتؤمنون بالله** اي وتصدقون بالله وتخلصون له
التوحيد والعبادة فان قلت لم قدر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر
مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت لا يان بالله امر مشترك
فيه جميع الامم الموحدة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
ساير الامم واذا كان كذلك كان الموتر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما
الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصح من الطاعات مقبول فثبت
ان الوجوب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف فانه من المنكر فلهذا السبب
حتى يثبت ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى **ولو امن اهل الكتاب**
يعني لو امن اليهود والنصارى محمد صلى الله عليه وسلم وبالله الذي جاء به **كان خيرا لهم**
يعني ما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب لرياسة واستباح العقار
ولو امنوا لخصصت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة منهم يعني من
اهل الكتاب **المؤمنون** يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنصارى واصحابه
الذين اسلموا من النصارى **واكرمهم القاسقون** اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عادلا
في دينه وما ولا مع كثرهم فاستقروا قوله تعالى **لن يضرركم الا اذى** سبب نزول هذه الآية ان
روسا اليهود وعمد والى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فاذا هم لاسلامهم فارتل
الله تعالى لن يضرركم الا اذى يعني لن يضرركم ايها المؤمنون هو لاد اليهود الا اذى يعني باللسان
من طعن في دينكم او تمديدا للناسية وتذكير في القلوب وكل ذلك بوجوب الاذى والتم وان

يقا تلومكم **الادبا** ويعني منهم من اتخذ وليا **ثم لا ينصرون** يعني لا يكون لهم النصرة عليكم
بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول
ويهددونهم ويؤخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدر ان يجاوزوا الاذى بالقول الى
غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة ولا تنقام منهم وان عاقبتهم الحذ لا والذ لا فقال
تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق
به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها
ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قائما ولا دليلا مقبلا بلهم مستغنيين
في جميع البلاد **ينما تفتقروا** اي حيث ما وجدوا وصودوا **الا يحيل من الله** يعني لا يعجز
من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة **وحيل من الناس** يعني المؤمنين بهذا الجزية والمحق
ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحيل من الناس وهو ذمة
الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لانهم هذه الواحدة وهي التجاؤم الى الذمة لما
قبلوه من هذا الجزية وانما سمي العهد جبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف **وباوا**
بغضب من الله اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من التوا وهو المكان
والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت
على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان
الله اخرج المسكنة عن الاستئنا وذلك يدل على انما باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية
فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة ما وان اليهودي يظهر من نفسه الفتن
وان كان غيبا **موسرا** **ذلك** **اشارة** الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوا بالغضب بانهم اي
بسبب انهم كانوا يقررون بايات الله وتفتقروا لانبياءه **غير حق ذلك** **باعتصوا** **وكانوا يعقدون**
اي ذلك الذي تزلزلهم بسبب عصيانهم وعز وجل واخذوا بهم كدوده قتلهم ما تزلزلهم عز وجل
ليسوا سوا **قال ابن عباس** لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن محمد صلى الله
عليه وسلم الا شرنا ولو لا ذلك ما تزلزلوا بآياتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سوا قولان
احدهما انه كلام تام بوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب لا يقدرون ذكرهم منهم المؤمنين واكثرهم
الفاسيقون ليسوا سوا فويل من غناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم الغاية بامر الله
الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سوا متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله **من اهل الكتاب**
امنه قايمة فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سوا من اهل الكتاب قايمة ومنهم امة مذمومة غير
قايمة فتذكر ذكر الآية الاخرى كتفاية كراحي ليعني في هذا اعلم مذهبكم لربنا ذكر احد الضدين
يعني عن ذكر الاخر **قال ابو ذؤيب** دعا في اليها للقلب في امرها مطيع فلا ادركا رثه طلائها
اراد ان غير رثه فاكفي بذكر احد الضدين من الاخر **قال النجاشي** لا خلجة الى امة الامة المذمومة

يلغ

لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكرهون ان ياتوا بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله
ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول امة غير قائمة وانما ائمة ابد كره فعل الاكثر منهم وما هو
الكفر والمناقاة ثم ذكر من كان مبينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا اهل الكتاب امة قائمة قال
ابن عباس قائمة اي مدينية قائمة على امر الله تعالى لم يضيغوه ولم يتركوه وقيل قائمة اي عادية وقيل
قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في الصلاة يتلون **يا قاسم** اي يتركون كتاب الله عز وجل **ناه**
الليل يعني ساعاته **وم** **يسجدون** يعني يصليون عبر السجود عن الصلاة لان الصلاة لا تكون في السجود
وقيل في صلاة التهجيد بالليل وقيل في صلاة العشاء لان اليهود لا يصليونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود
لخضوع والخشوع لان العرب يسمي الخشوع سجودا وقال عطاء في قوله ليسوا سوا اهل الكتاب امة
قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثني وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
على بن عيسى عليه السلام وصداقوا محمد صلى الله عليه وسلم واموا به وكانوا عدة نفر من الانصار منهم
اسعد بن زرارة والبراء بن معمر ومحمد بن مسلمة ومحمد بن مسلمة وابوقيس مربة بن افسس كانوا قبل الاسلام
موحدين فاستولوا من الجاهلية ويقيمون ما عرفوا من شرايع الخبيثية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبى صلى الله
عليه وسلم فاموا به وصداقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال **يومنون بالله**
واليوم الآخر وذلك لان ايمان اسلم الكتاب فيه شرك ويمضون اليوم الاخر بغير ما يصنفه المومنون
وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يومنون ببعض الانبياء ويكفرون
ببعض الايمان باليوم الآخر يستلزم اخذ من فعل المعاصي واليهود لا يجتزون منها فلم يحصل الايمان
الحقيقي باليوم الآخر **وايامهم والمعروف** **ويؤمنون** **عن المنكر** يعني غير ما ذهبن كما يذهب اليه بعض
بعضا وقيل هامر بالمعروف يعني بتوجيه الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤمنون عن المنكر يعني عن
الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم **ويسارعون في الخيرات** اي يسارعون اليها خوفا من الفوات
وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متساقلين
ولا كسالى **واولئك** اشارة الى الموصوفين ما وصفوا به **من الصالحين** اي من جملة الصالحين الذين صلحت
احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم والحقوا ثناء عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا
حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المتامات وقيل يحتمل ان يريد
بالصالحين المسلمين والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى **وما تفعلوا**
من خير فليتنظروا ثمره وقيل بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان اليهود
لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاجابهم الله انهم فازوا
بالدرجات العلاء وما فعلوا من خير يجازيهم به ولا يتبع خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل
فاعل للخير وفري على الناس على انما ابتدءوا الكلام ومو حطاب جميع المومنين ويدخل فيه مومنا اهل الكتاب
ايضا ومعنى الآية **وما تفعلوا** من خيرا ايها المومنون فليتنظروا ثمره اي فليتنظروا ثوابه ولن يخفوه وا

تتموه بل يشكركم ويجازيكم به والله عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بحصول الثواب ودلالة
على انه لا يغور عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا**
اولادهم من الله شيئا قال ابن عباس يريد مني قريظة والنضير وذلك لان رسالا اليهودي والوالي
تخصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم معاداة به تحصيل
الرياسة والاموال فقال الله عز وجل ان تغني عنهم اموالهم وقيل تزلنا في مشركي قريش فان ابا جهل
كان كثيرا لا تقاربا لاولاد وانفق ابوسفبيان ما لا كثير في يومئذ واحد على المشركين وقيل ان
الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللقطة عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اطلاق اللفظ على
عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم بالقدرة لو اقدموا بها من عذاب الله
ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة
بفد المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا يتفقه شي من ذلك
في الآخرة ولا يخلص له من عذاب الله وهو قوله **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
لا يخرجون منها ولا يفلحون بها قوله تعالى **مثل ما ينتفون في هذه الحياة الدنيا** قيل اراد
نفقة اي سفيان واصحابه بيدهم واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل انهم انتفقت اليه على علمهم وروايتهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصداقهم
في الدنيا وقيل اراد نفقات المرائي الذي لا يريد بان يتفق وجه الله وذلك لان اتفاق المال
اما ان يكون لمناقع الدنيا او لمناقع الآخرة فان كان لمناقع الدنيا لم يتفق له اثر في الآخرة
في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمناقع الآخرة كمن يصدق ويعمل اعمال البر فان كان
كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انتفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك
المرائي الذي لا يريد بان يتفق وجه الله فانه لا ينتفع بشفقة في الآخرة ثم ضرب لذلك
الاتفاق مثلا فقال تعالى **مثل ريح فيها صر فيه وجهان** اي وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين ان
الوجه الثاني ان الصرا هو السهم الحار الذي تفتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال في التباري من اصل اللغة وعلى
الوجهين فالنسيم صريح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيها برده فهو بارد او حرا فهو حار
ايضا **اصابت** يعني المريح التي فيها صر **حرا** اي زرع قوم **ظلموا** انفسهم يعني بالاعتبار
والمعامي ومعنى حق الله فيه **فاهلكته** يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات
الكفار في الدنيا ووقا الحاجة اليها كمثل زرع اصابت ريح باردة فاهلكته لوانا فارقته
فلم ينتفع به اصحابه فان قلت لغرض في تشبيه ما انتفقوا به لظلمهم وعدم الانتفاع به
بلحرف الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة المرح قلت ما هو التشبيه المركب
وهو ما حصل به التشبيه بين اهلين فعلى هذا انزال الاشكال وعن التشبيه ما حصلت

وقيل تجبونهم يعني تزيهونهم الاسلام وهو خير الاشيا ولا يجبرنكم لانهم يريدون لكم الكفر ومنه
شرا الاشيا لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تجبونهم لما اظهروا من الايمان انتم لا تعلمون
ما في قلوبهم ولا يجبرونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تجبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم
ولا يجبرونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم **وتؤمنون بالكتاب كله** يعني وهم لا يؤمنون انما ذكر الكتاب
يلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذمب به الى الجنس كقولهم كثرا له بهم في ايده الناس والمعنى
انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم **واذ القوم قالوا انما يعفان الذين**
وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذ القوم المومنين قالوا انما كايانكم وصدة فاكصدتكم
ومنه صفة المنافقين وقيل هم اليهود **واذ اخلاوا** اي خلا بعضهم الى بعض **عضوا عليكم الانامل**
من الغيظ الانامل جمع املة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظروا العداوة
وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من اسلامهم واجتماع كلمتهم واصلاح ذات بينهم وعقل انامل
عبارة عن شدة الغيظ ومنه ان يحاز الامثال وان لم يكن هناك عضو كما يقال عضه من الغيظ
والغضب **قل موفونوا بفيظكم** وهذا ما عايناهم ان يرداد غيظهم حتى يملكوها به وذلك لما يرون
من قوة الاسلام وعزة اهله ومآله في ذلك من الدن والحزى والمعنى بقوا الى الحماة بغيظكم
ان اسعيلهم بذات الصدور يعني به الخواطر القاينة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه
وبما تكونها حالة في القلب من نسبة اليه كفي عن يان ذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل
في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يرونه من عض الانامل غيظا اذا اخلاوا وانهم عليم بما هو
اخفى منه ومما يسيرونه في قلوبهم قوله عز وجل **ان نضيبكم** اي نضيبكم ايها المومنون واصل المس
باليه ثم سمي كل ما يصل الى شئ مما شاله على سبيل التشبيه كما يقال منه نضبت وفتيل اي صابة
المراد بالحننة منا منافع الدنيا مثل ظهوره على عدو واصابة غنمة منهم وتبائع الناس في الدخول
في دينكم وخصب معايشكم **نصوبهم** اي تخزئهم وتقمهم والسوء ضد الحسن **ان نضيبكم** اي نضيبكم
من اخفاق سريةكم واصابة عدو منكم او اخلاف يقع بينكم او حذر ونكبة ومكره بخصبكم
يفر حواياها اي يا اصابتكم من ذلك المكره **وان يضربوا** يعني على اذانهم وقيل وان يضربوا على طاعة
الله ومآيناكم فيها من شدة **وتتقوا** اي تحذروا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتوكلوا عليه
لا يضركم اي لا ينقصكم **كيدهم** اي عداوهم ومكرهم **شيئا** اي لانكم في رعاية الله وحفظه **ان الله مما**
يعلمون قرى بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتهم واذاكم في عاقبتهم عليه وقرى بالياء
على خطاياكم كاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه **محيط**
اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه قوله تعالى **واذ غدوق من اهلكت تبوء المومنين** **مقاعة**
للقتال قال الجمهور للمفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول لعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن
عجلان والزهرى وقتادة والسدي والربيع وابن الحنات وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب

ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جبر الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ هم متطابقون
ان تغشوا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم من منزله عابسة فشي على رجله الى احد فجعل يصيح اصحابه للقتال فبقوم القديح
قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبدا من بني ابي بن سلول لم يدعه قبلها قط
فاستشاره فقال عبده بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصابنا ولا دخلها علينا الا اصابنا متفكيف وانت فينا
فدعهم يا رسول الله فان اقاموا ابشر مجلسي اذ دخلوا فانكناهم الرجال في وجوههم وزيانهم
النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجوعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب ليلا يروننا قد جئنا
عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بترافا ولتها
خير اذ رايت في دباب سبي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
للمدينة فان رايت ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا ابشروا وادخلوا علينا المدينة
قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ان يدخلوا عليه لمدينة فيقاتلهم في
الانفة فقال رجال من المسلمين من فاتهم يوم بدر اكرمهم الله بالهامة يوم احدا خرج بنا الى
اغدينا فلم ير الوابر رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهم للقتال القوم حتى دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منزله ولبس لأمته فلما راوه قد لبس السلاح ندوا وقالوا ليس ما صنعنا نشير
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يا ايته فقاموا واغترروا اليه وقالوا يا رسول الله
اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لبني ابيليس لأمته فيفهم باحق نيا تل
وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعاء واخمس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
بعد ما صلى يا صحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار رفضي عليه ثم خرج
اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان
نزوله في جانب الوادي وجعل ظهروه واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا
عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبتوا في هذا المقام
فاذا غاب يومكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبر ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى عبد الله بن ابي بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولد ان
وعصا في ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظهر بعدوكم وقد وعدا صحابنا ان اعدائهم اذا غاب يومهم
انهم موافق اذ ايتهم اعدائهم فانهم موافق انتم فينبعوكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه
فلما اتفق الجحمان وكان عسكر المؤمنين الف والكان المشركون ثلاثة الاف فالتحق عبد الله بن ابي

ابن سلول بثلاثمائة من اصحابه من المتأقين وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة
من اصحابه فقامهم الله تعالى وفتنهم حتى هزموا المشركين فلما راى المؤمنون انزام المشركين طبعوا
في ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاراد الله ان يقطعهم عن هذا الفعل ليلاليد مواعلي مثل في مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تزع
الرعب من قلوب المشركين فذكر واخرجوا على المسلمين فانهم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطليحة وسعد وكثرت ربيعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسبح وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان في ذلك قوله تعالى واذا
غدت اي اذ كراذ غدت من اهلك يعني من منزل عابسة فغيبه منقبة عظيمة لعابسة رضى
الله عنها بقوله من اهلك فنصر الله تعالى على اهلها من اهلته بتولي المؤمنين في منزل المؤمنين فمقاعدة
للقتال اي مواضع وموطن للقتال وقيل تحت عسكر القتال الله يبيع يعني لا قواكم يعلم يعني
بنيائكم وما في ضمائركم قوله عز وجل اذ هم متطابقون متكلم ان تغشوا اي تحبوا وتضعفوا عن
القتال والطائفتان يتوسل من الخرج وينوحا رثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في سبع مائة وخمسين رجلا وكان
المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله بن ابي ثلث الناس ورجع في ثلاثمائة
وقال علي بن ابي طالب لا تدنا فتبعه ابو جابر السلمي وقال اشرككم الله في بنيكم وانفسكم
فقال عبد الله بن ابي بنو فاعلم قنالا لا تبعناكم وسمت الطائفتان بالانصار فمع عبد الله بن ابي
فصبرهم الله فثبتوا ومصنوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس انهم وان يرجعوا
ففرم الله لم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ هم متطابقون متكلم
ان تغشوا والله وليها اي ناصرها وحافظها ومنولى امرها بالتوفيق والعصمة فان قلت الامم الغرم
على فعل الشيء والاية تدل على ان الطائفتين غرمتا على الفشل وترك القتال معصية فكيف هما
الله تعالى بقوله والله وليها فثبت المم قد يراد به الغرم وقد يراد به حديث النقيض اذ كان كذلك
فحمل المم على حديث النقيض في هذه الآية اولى والله تعالى لا يواخذ عديث النقص ويعفده
قولا بن عثمان نعم انهم انهم انهم رجعوا فلما غرم الله لم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مده حمم الله بقوله والله وليها اي عن جابر قال فينا نزلنا اذ هم متطابقون متكلم ان
تغشوا والله وليها قال غر الطائفتان يتواحدت وينواسلت وما يسر في انهم لم تنزل فينا القول
الله والله وليها فغيبه الاستبصار ما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم اية ناطقة
مفصحة بان الله وليهم وان تلك الممة التي هموها ما اخرجهن عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى
وعلى الله فليتكلم المؤمنون التوكلم بكونك تتكلم من وكل امره الى غيره اذ اعتمر عليه في كفايته

والقيام به وقيل التوكل ما والعجز والاعتماد على الغير وقيل هو تقويف الامر الى الله تعالى
ثقة بحسن تدبيره فامره تعالى عباد الله المؤمنين لا يتوكلوا الا عليه ولا يفتنوا
امرهم الا اليه قوله عز وجل **ولقد نصركم الله بغير راسم موضع بين مكة والمدنية معروفا**
وقيل هو اسم لغير هناك وكانت البصرة قبلها لغيره فسميت بمكة والمدنية معروفا
عليهم بالتصديق يوم بدر **وانتم اذله** جمع ذليل وموجع قلة واراد به قلة العدد فان السامية
كانوا ثلثمائة ويضع عشرة وفي رواية وثلاثة عشر جلا والمراذلة لهم ضعف الحال وقلة
السلح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواحي
وكان اكثر منهم يقترب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد
وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم الف فرس وكان معهم
السلح والسوكة فتصر الله المؤمنين مع قلة على عدوهم مع كثرة **فانقوا الله** يعني في اليك
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **لعلكم تشكرون** يعني يتقواكم ما انعم الله به عليكم من
نصرته قوله تعالى **اذ تقول للمؤمنين ان يكفيناكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة**
منزلين يعني ان هذا الوعد بانزال الملائكة حصل يوم بدر ام يوم احد على
قول من احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امه الله بالف من الملائكة
مدين ثمان مائة وثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا بل ان نصيروا وثقوا
ويا توكم من فوزكم هذا ايمدكم ربكم بخمسة الاف نصيروا يوم بدر وانقوا فامدكم
الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقا تل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما
سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقا تلون انما يكونون عدا امددا وقال الحسن هو المنة
الاف مرداء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي يبع رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة
يوم بدر ان ذكر من جابر الجاهلي يري بان يمد المؤمنين فشق ذلك عليهم فانزل الله ان يكفيناكم
الى قوله مسوميت فيلج كثر المنية فجمع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمد الله ايضا بخمسة الاف
وكانوا قدامه وبالغ من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل احدى افراس فرسه عليه اداة الحرب واجه قتلهم هذا
القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية **ولقد نصركم الله بغير راسم** اذلة وظاهر هذا
يقضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ان يكفيناكم ان يمدكم ربكم الآية
ولان العدو والعدو كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني
ان هذا الوعد بامداد الملائكة كان يوم احد وهو قوله عكرمة والفحاح ومقاتل قال عكرمة
ان اسحاق لما كان احدهما على القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يري
وفي شام بينه كاهن رمى النبل اياه فشره وقال **ارم يا اسحاق ارم يا اسحاق** فترين فلما بلغت

المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف عن سعد بن ابي وقاص قال رايت على يمين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن شماله يوم احد جبريل عليه ما يشا بياض ثيابان عنه كاشه القفا اما رايتهما
قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واخرج لصحة هذا القول بان المدة كان يوم بدر بالف من
الملائكة كما نصر عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وخمسة الافها هاهنا وايضا فان
الكفار كانوا يوم بدر بالغوا وما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة
ويضع عشرة فانزل الله يوم بدر الغاض الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومه
للمسلمين والمنية للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الف واعد الكفار ثلثة الاف فاست
ان يكون المدة ويوميه المسلمين ثلثة الاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر
واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة
الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كثر الكفار قريش شق عليهم وعدوا
بان يمدوا بثلاثة الاف وخمسة لتقوي قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم
بدر بالغوا فانزل الله الغاض في يوم احد ثلثة الاف فانزل الله ثلثة الاف بان هذا الترتيب
حسن وبه ان يزيد ما شا في وقت شام وانما قال عكرمة في قوله بل ان نصيروا وثقوا وياتوكم
من فوزهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يبرزوا وقيل
لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامد الله بالملائكة حين حاصره وقريظة **وعن عائشة**
قالت لما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اياه جبريل فقال
قد وضعت السلام والله ما وضعتاه اخرج اليهم قال في ان قال هاهنا واسار الى بني قريظة
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم عن ابي في انظر الى الفارسا طعنا في رفاق بني فخم مركب
جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عكرمة بن ابي في ذلك الحين
قريظة والنضير ما شا الله فلم يفتح علينا فرجعنا واعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل وهو
يفعل امه اذ جاء جبريل عليه السلام فقالا وضعتا سلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرقه فلف بها اسما ولم يغسل ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة
والنضير فيوميه امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا ففخا بسيرا وقال ابن جرير الطبري
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ان يكفيناكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة في عدم ثلثة الاف من الملائكة امدد الله بهم وعدهم بخمسة
الاف ان يصبروا لاعدائهم وانقوا الله ولا دالة في الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا
بهم فقد يجوز ان الله امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك
وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدالة
على انهم لم يمدوا الا بنص منها بانهم امدوا ذلك انهم لم يمدوا ولم يبرزوا ولم يمدوا فان قلت

يحيى

رابعة والمستضعفين مكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كثي يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لا يحيا من العرب حتى انزل الله ليس لك
من الامر شي الاية سماهم في رواية يوشى اللهم العن علا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله
قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي شيخ وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكسرت ربا عيشته عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب ربا عيشته
وشح في راسه فجعل يسلط الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربا عيشته وما
يدعونه الى الله فاترا الله ليس لك من الامر شي وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم
بالاستيصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما وقف على عمة حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية
قال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في التزول على كلها ومعنى الآية ليس لك
من امر مصالح عبادي شي الا ما اوحى اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويديهم
فيسلموا او يهلكهم ويذبحهم ان اصر واعلى الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والله اعلم لان
تعالى اعلم بمصالحهم فزما تاج على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شي الا ما اوفق
امرنا انت عجم مبعوث لا تدارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على
قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقوله ليس لك من الامر شي كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه والفتحة يقطع طرفا من الذين كفروا او يكتنهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ليس لك من الامر شي بل الامر في ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم
من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيبسبهم فيتوب عليهم او
سيؤله منهم ولديكون سلبا براتقيا فلاجل هذا المعنى منع الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوتهم
صلى الله عليه وسلم بمجانة فلو دعاء عليهم بالهلاك اهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق
في علمه ابقائهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية مومنة صالحة ويهلك بعضهم
بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيجمل ان يكون المراد يعذبهم في الدنيا وموتهم بالقتل
والاسر في الآخرة وهو عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتفصيل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم
لا نعم ظالمون ثم قال تعالى والله ما في السموات وما في الارض وهذا تاكيد لما قبله من قوله ليس
لك من الامر شي والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس لك الا الله تعالى وليس احد
معه امر يغير من ليا بفضله ورحمته ويعذب من يشاء بعدله يحكم فيهم بايشا لا منازع له في حكمه
ولا مقارض له في فعله والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويفقه بالهم ورحمهم
بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل

الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه
النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا
الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال
وتأخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمدين
ما يود قال له صاحبه له نزع في المالا حتى تزيدك في الاجل فزما فعلوا ذلك مرارا فيصير له من
اضعافا مضاعفة فهو الله عز وجل عز ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته وانقوا الله يعني في امر
الربا فلا تأكلوا مما عليكم ثم يحسبون انهم يفتنون في الآخرة وقيل ان الفلاح يتوقع على التقوى
فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان الربا من الكبائر ولقد اعقبه بقوله وانقوا الله
التي اعدت للكافرين يعني وانقوا ايها المومنون ان يستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا
مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا
ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الآية اخوف آية
في القرآن حيث اوعده الله المومنين النار المعدة للكافرين انهم يتقوا ويحسبوا احارسة وقالوا لواء
في هذه الآية تقوية لرجاء المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها مقدة
للكافرين دون المومنين واطيعوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول
اي واطيعوا الرسول ايضا فاذا طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق في هذه الآية معانينة
للمومنين وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلمكم ثم حرموا اي لا تحرموا ولا تقربوا اذا
اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصيته رسول الله ليت بطاعة قوله عز وجل وساروا
الى المغفرة من ربكم يعني وبأدروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المأمورة
بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التذكير والمراد منه
المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة
لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى اد الفايض لان اللفظ مطابق
فيهم الكل وكذا وجد من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انهما
التذكير الاول يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات
ما هو الاخلاص وقيل الى الحق وقيل الى الجهاد ووجه اي وساروا الى الجنة وانما فصل بين المغفرة
والجنة لان المغفرة هي إزالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيما اشعار بان لا بد من
المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة
المودية الى الجنة عرضها اي عرض الجنة السموات والارض يعني كعرض السموات والارض لان تقوى
السموات والارض ليس عرض الجنة والمراد سعتها وانما حصل العرض للمبالغة لان الطول في العبادة
يكونا اكثر من العرض يقول هذا منته عرضها فيك بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسطة

فشهدت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقتا طبقتا وصل البعوض
بالبعض حتى يكون طبقتا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طوبى فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد
بالعن السعة كما تقول العرب بلاد عربية اي واسعة عظيمة فقال الشاعر كان بلاد الله وهي
عربية على الخائف المطلوب كفة حابل والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يبق ولم يبق
وما صاق عرضه وق جعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه
وسلم انك كتبت ته عوني الى الجنة عرضها السموات والارض فابن النار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبحان الله فان الليل اذا اجا النهار وفيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك
حاصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة
السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا
ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فابن النار فقال عمر اريتم اذا اجا الليل فابن يكون
النهار واذا اجا النهار فابن يكون الليل فقالوا له لئلا في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى
فان قلت قال الله تعالى في التوراة فكم وما توقعه وروى ابراهيم بن ابي ربيعة عن ابي ربيعة
اهل السنة انها في السموات واذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض
قلت المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات ونحو ذلك كما سئل انس بن مالك عن الجنة
ان في السموات مائة في الارض فقال اي ارض وسما تسع الجنة قيل له فابن في قال فوق السموات تحت
العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم العرش فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قادة
كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جنتهم تحت الارض من السبع وقيل ان باب الجنة
في السماء وعرضها عرض السموات والارض اعدت للمتقين اي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان
الجنة والنار مخلوقتان لان قوله تعالى الذين ينفقون في السر والنجوى يعني في السر والنجوى لا يكون
الاتفاق في كلتي الخاليتين في العنى والفقر والرخا والشدرة ولا في حال الفرح وسرور ولا في حال الحنة
وبلا وسوا كان الواحد منهم في عرس او في جسد فانه لا يدعوا الاحسان الى الناس فاوماذا كراهه
من اخلاقهم للمجنة الجنة السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك
الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعا ومواساة الفقر من المسلمين عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي اجاب الى الله من
عابد يجمل اخرجته الترمذي عن ابي هريرة قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخل
والمنفق كمثل جليل عليهما جنتان من جديدهما الى نزيهتهما فما المنفق فلا ينفق الا سبغت
او وقت على جلده حتى ينجى بانه وتنفقوا واما البخل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لرفق كل حكمة
مكاتها فهو يوسعها فلا تنسج الجنة الدرع من الحديد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا اتلفا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى انفق ينفق عليك وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل
دعاه خزانة الجنة اي قل لهم فقال ابو بكر بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لا رجوان تكون منهم قوله اي في معنى يا فلان وليس يترجمه والتوى الهلاك يعني ذلك الذي
لا ملاك عليه وقوله تعالى والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عنه امتلا نفوسهم منه والكظم
حبس الشيء عند امثاليه وكظم الغيظ هو ان يمتلي غيظا فيرويه في جوفه ولا يظهره بقوله لا فعل
وصبر عليه وسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم على الامم ما يردون غيظهم في جوفهم
وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سبيل من يغادى من اهل الجنة عن ابيمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفقه دعاه الله يوم القيامة على راس الخلائق
حتى يجزيه من اى كور يشاء اخرجته الترمذي وابوداود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة اما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروى عن عايشة
ان خادما لها غاظها فقالت له من الغيظ ما تركت لذي غيظ شقا والعافين عن الناس يعني اذا
جنى عليهم احدهم يواخذه فتكون الآية على العموم وقيل اراد بها الناس المالك لسواد بيتهم
فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن ظلمهم واسى عليهم وهو قريب من القول الاول والله بحسب
المحسن يعني ان تكون اللام للمحسن قتيلا وكل محسن ويجعل ان تكون له العدة فيكون اشارته الى اللزوم
في الآية والاحسان الى الغير اما ان يكون يا يعنى النفع اليه او بدفع الضر عنه وقيل الاحسان ان
تخفى من اسى اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعلم باحسانه كل احد
كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان
مذمة الحصل المذكور في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن لما كانت هذه الحاصل احسانا الى
الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان الجنة لله تعالى للعباد اعظم درجات الثواب
قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا من مسعود قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يرسو
الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبح كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة بابه اجدع انك اذ ذك افعل كذا انك كذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية وروى عطاء بن ابي رباح انها نزلت في نهبان التار اتمه امرأة حسنا تتنازع منه ثم افعالا بان
هذا الترمذي يحيد وفي البيت اجود منه فذهب لها الى بيته فتمها الى نفسه وقبلها فقلت له
اقول الله فتركها وندم على ذلك فاني النبي صلى الله عليه وسلم وذكرك ذلك فتركك هذه الآية وفي رواية
ابن صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين جليل احدهما انصاري والاخر ثقيفي فخرج
الثقيفي غزقا واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاستدعىهم ذات يوم كما فعلت المرأة ان اخذه

منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه
فلما رجع التفتي لم يستقبله الا نصارى فقال امرته عن حاله فقالت لا اكثر لاسيما في الاخران
مثله وذكر له الحالك الا نصارى يسبح في الجبال ثيابا مستغفرا فطلبه التفتي حتى وجده فاني
به الى ان يكره ان يجده عنده راحة وفرجا فقالت الانصاري هلكك وذكر القصة فقال ابو بكر
ويحك اما علمت ان الله يقارل الغارزى كما لا يقارل القيم ثم لقيت اعراسا مثل ذلك فاني التفتي
الله عليه ولم فقال له ما مثل ما قالتم فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة عتيت فعتة
فاحشة خاضعة عما ذل الله فيه والفا حشة ما عظم فجاءه من الاقوال والافعال واصل الفحش
التي خرج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله وظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون
الزنا مثل القتل والمعاينة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة
وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في الفحش وظلم النفس هي ذنب كان ذكره الله يعق ذكرها
وعبد الله وعقابه وان الله يسلم عن ذلك يوم العرض الا كبر وقيل ذكره واجلال الله الموجب
للمحاربة وقيل ذكره والله سبحانه عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبكم يعني لا تجعل
ذنوبهم قبا بامتها واقلموا عنها ناد من على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها ومنه شرط
صحة التوبة للقبولة ومن يغفر الذنوب لا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان
السايب من الذنوب عند من لا ذنب له وانه لا مفرغ للمذنبين لا الى فضل وكرمه واحسانه وعفوه
ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منها نه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو
القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولم يصروا على ما فعلوا
يعني لم يغفروا على الذنوب ولم يبتسوا عليها ولكن تابوا عنها وان تابوا استغفروا وقيل الاصرار
بموتك الاستغفار عن اي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد
في اليوم سبعين من اخرج ابوداود وقال حديث غريب وعنده عوف من لو دعا دلو فعمل ولم يعل
قال ابو جابر ومم يعملون انما معصية وقيل ومم يعملون ان الاصل من اذ قيل معناه ومم يعملون
ان الله يملك مغفرة المذنب وان لم رجا يغفرها وقيل ومم يعملون ان الله لا يتقاضي العفو
عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه ومم يعملون انهم ان استغفروا غفر لهم قال ثابت الساني
بلغني ان ابليس يكلم من نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها فصلى في فصل
الاستغفار عن علي بن ابي طالب في سنة امة انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم تفتي الله منه بما يشاء ان يتفتي واذا حدثني احد من اصحابه استغفرت فاذ احلف
لي صدقة وانه حديثي ابوبكر وصدقه ابوبكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم عبيد
موتن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ
هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم ذكره الله الى اخر الآية اخرج ابوداود

والترمذي

والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعود
وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقعاه ولم يرفعه ولا يعرف لاسيما الا هذا الحديث عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم ير الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل
هم فرجا وزنه من حيث لا يحتسب اخرج ابوداود ومن عن اي هرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لو لم تذرني بالذهب لذهب الله بكم وبما تقوم به بنون فيستغفرون
فيغفر لهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحيى عن ربه تبارك وتعالى قال ان ذنبا عبدة نبيا
فقال اللهم اغفر لي ذنبا تبارك وتعالى ان ذنبا عبدة نبيا علم ان له رجا يغفر الذنوب وبناؤه
بالذنوب ثم عاد فاذنبت فقال اي رجا يغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان ذنبا عبدة نبيا علم ان
له رجا يغفر الذنوب وبناؤه بالذنوب وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى الادري
اقال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا
ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو
انبتت نبقا لا رضى خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لا بينك وبين الله عاقبة مما اخرجك الترمذي
وقال حديث حسن عنان السحاب يغفر الذنوب وقيل هو ما عن ذلك منها اي ما ظهر
لك منها وقربك لارض بضم القاف وروي بكسر ها والضم شرو وهو ما يقارب ملاها عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واقرب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرج ابوداود والترمذي والطحاوي وقال
حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم عن اي الهرة اقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل ذنبي عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من ملك مشركا او مومن قتل مومنا متعذرا اخرج
ابوداود وقوله تعالى اولئك اشار الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية اخرجهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار وهو الاية ان المطلوب بالاية لتوبة من اذنب مما
الامن من العقاب والاية الاسارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ان يقال ان التوبة والاية الاسارة
بقوله وجنات تجري من تحتها الا انما راي ذلك لهم فلا يجوز ولا يجوز ان يكون من قبل اي في الجنات
ونعم اجر العاملين اي وهم نوابط لطيفة يعني الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلهم اياتي
قد انقضت من قبلهم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل
المهم على الدنيا وطلب لذتها والبقا فيها فانهم لم يتقوا الله ولم يوقوا من الله سنة الله الطرية
المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومما حاج اذا اتبعوه رضوا الله عنهم بذلك وقيل سنائي
شرايع وقيل سنائي ايام والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت وسلفت متى من فيمن كان قبلهم
من الامم الماضية الكافرة بامرنا الى واستدرك اي ايامهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجله لا يملك

فسير وافي الارض من دبر على سبيل الوجوب بل المقصود هو احوال الماضين بقوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فرج الله محمد صلى الله عليه وسلم في احوال الامم الماضية ليصير ذلك
داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا وله انما وفيه ايضا وجه للكافر من كرهه لانه
اذا قلتم احوال الكفار واملاكم صناد ذلك داعيا الى الايمان لان النظر الى اثار المنفعة من اثار
في النفس كما قيل ان اقامته لعلينا فانظروا بعدنا الى الاثار وفي هذه الآية تسليلا لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اجرهم في غزوة احد يقول فاما اهل الكفار حتى يبلغ الكتاب
اجله فيهم الذي اجلت لهم في هلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى
مذا يعني القرآن وقيل ما اشار الى ما تقدم من امره ونبيه ووعده ووعده بيان للناس يعني عامة
ومدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصته وقيل في الفرق بين البيان والمدى عظمة
لان العطف يقتضي المغايرة فاليان هو الالة التي تعينه الالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة
والمدى هو طريق الرشد المأمور بسلكه ومن طريق الفتن والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر
عما لا ينبغي في طريق الهدى فالخاصل ان البيان جنس تحت نوعان احدهما الكلام القاطع الذي لا ينبغي
في الدين وهو المدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خصص المتقين
بالمدى والموعظة لانهم هم المستمعون بما قد غروا ولا تخشوا ولا تخفوا ولا تخفوا في
يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشد ذلك
على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحقيقها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الهلاك على ما اصابهم
من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال
منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تخفوا
اي لا تتعففوا عن الجهاد ولا تخشوا على من قتل منكم لانهم في الجنة وانتم الاعلون يعني بالنصار
والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب
فاقبل خاله بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعاود عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا يقبلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب ثمر من المسلمين مائة تضعد والجبل وروا حنبل
للمشركين حتى نهرموا وعلو المسلمين الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون
لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون
على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرونهم وتسلون عليهم ان كنتم مؤمنين
اي اذ كنتم مؤمنين وقيل مؤمنين معناه ان كنتم مصدقين باننا صرنا ما هو الله تعالى فصدقوا بذلك
فانه حق وصدق قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه
واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم اسم الجراحة
والآية خطاب للمسلمين حين انهم فؤاد من احد مع الفرق والكاتب يقول ان يسسكم ايها المسلمون

فرج يوم احد فقد من القوم يعني الكفار فرج مثل ما يعني يوم بدر وقيل ان الكفار قد ناله
يوم احد مثل ما نالك من الجراح والقتل فقد قتل منهم ثيف وعشرون رجلا وكثرت
الجراحات فيهم وتلك الايام تدور بها بين الناس لمد اوله نقل الشيء من واحد الى اخر يقال
تد اوله الا يدى اذا انتقل من واحد الى اخر ويقال الدنيا تدور اي تنتقل من قوم الى اخر
ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا تدور ولين الناس فيوم ليو لا ويوم ليو لا فكانت
الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين ولم يبق
للمشركين من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين على البراء عازية
قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله
ابن جبير فقال ان ابريقونا غطفنا الطير فلا يترحوا مكانكم حتى ارسل اليكم وان ابريقونا
هزمت القوم واوطانا هم فلا يترحوا حتى ارسل اليكم فترحمهم فلما فانا والله رايتنا لنسبا
قد بدت خلاطين واسوقهم را فعات نياهم فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنمة اي قوم
الغنمة قد ظاهرا اصحابكم لما تنظروا فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنا قتلنا الناس فليصين من الغنمة فلما اتوهم صرفت
وجوههم فاقبلوا منهم من قتل ذلك قوله والرسول يدعوك في اخر الامر فلم يبق مع النبي صلى الله
عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا من سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اصاب من المشركين يوم بدر سبعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتلا فقال ابوسفيان في
القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال في القوم ابن ابي حنيفة
ثلاث مرات ثم قال في القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء قد
قتلوا فاما ملك عمر نفسه فقال كذبت واسد يا عدو اسنان الذين عذبت لاجيا كلمهم وقد بقي لك
ما يسوك فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثله لم امها ولم تشوي
ثم اخذ يرحل اهل هبل اهل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيبوه قالوا يا رسول الله
ما نقول قال قولوا الله اعلا واجل قال ابوسفيان ان لنا غزا ولا غزا لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولانا قال البغوي وقد روى هذا
المعنى عن ابن عباس في حديثه قال ابوسفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال
عمر لا سركت لا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله
وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لخطا الغنم امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله طيعم الله الذين امنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص
من يرد عن الدين اذ اصابته نكبة او شدة وقيل معناه وليعلم الله الذي امنوا بما يظهر من صبرهم
على جناد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وموطور الصبر جند هنا وقيل معناه

ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
ليقع ما علمه عينا ومصادره للناس المجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل
معناه ليعلم اوليا الله فاصناف علمهم الى نفسه تعالى وقيل معناه ليحكم الله بالامتنان بين
الومنين والمناقين فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ونجدة منكم
شهادة اي وليكرم قوما معكم بالشهادة من امره ان يكرم بها وذلك لان قوما من المسلمين قاتلهم يوم
يبرفقا فواتيمون لقا العدو وان يكون لهم يوم كيوم يبرفقا تلون فيه العدو وويلي شون فيه
الشهادة والشهادة جمع شهيد ومومن قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى
الشهيد فقيل الشهيد اي لقوله تعالى بل احيا عند ربهم فاراحم حيث حضرت دار السلام وشهدتها
وارواح غيرهم لا تشهد لها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموهم شهداء لانهم شهدون
يوم القيامة مع الانبياء والعديفين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالفضل من الامة
ولان من عليه لشهادة منصف عظيم ودرجة عالية واسلاحيها الظالمين يعني المشركين وقيل هم
الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المناقون الذين يظهرون الايمان بالسنة ويسرون
الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد ولا يحصى الله الذين آمنوا وويليها
من ذنوبهم ويبريها عنهم وحصل المحصل في اللغة السنية والازالة ويحق الكافر من اي يغنيهم
ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلهم الكافرون في هوشة ونظير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محترم
واستيفنا لم قوله عز وجل ام حسبكم اي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا
ايها المومنون ان قد خلوا الجنة فضلا لكم امتي وثوابي ولما يعلم الله ان من جاهدوا معكم قال
الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع الشيء على العلم والمرد وقوة على نفي المعلوم والتقدير
ام حسبتم ان قد خلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما
حصلت منه المطابقة لاجرم حسن اقامته كل واحد من مقام الاخر وقال الواحد في الشيء في الآية
وافتح على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الاجازة في انتاج جهاد لو كان يعلمه
والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي وجب عليكم فجزى الشيء على العلم للايجاز على سبيل التوسع
في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلاق قال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر
الصابر عزاي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلم غيبا وانما يجازيهم على علمهم وقال الطبري
يقول لما يقين لجهاد المومنين المجاهد منكم على ما امرت به ويعلم القتارى معنى في الحرب وعلى ما
تألم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكره وفي هذه الآية معاناة من انهم يوم احدثوا للعق
ام حسبتم ايها المومنون ان قد خلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا ويزلوا بمهم من عز وجل ويزلوا
على الم الجراح والضرب ويشتوا العدو من غير ان تسلكوا طريقهم وتضربوا صبرهم قوله تعالى ولقد
كنتم ممنون الموت من قبل ان تلقوه قال ابن عبيد وما اخبر الله عز وجل المومنين على لسان نبيه صلى الله عليه

وسلم ما فعل شهداء يوم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتموا ان لا يستشهدوا وفيه فليختر
باخوانهم فاراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان اقموا الامن شيئا الله منهم فانزل الله سورة الائمة
وقيل ان قوما من المسلمين كانوا يومئذ في ثيابهم يقاتلون فيه ويستشهدون وقاتلهم الله يوم احد ومعنى
قوله ممنون الموت اي تطلبون اسباب الموت وموت القتال والجهاد من قبل ان تلقوه يعني من قبل ان تلقوا
يوم احد فقتلهم الله يومئذ يعقروا يوم ما كنتم تمنون والها في رايتهم عابدة على الموت اي رايتهم اسباب
معانين له مشاهدين قتل من قتل من اخوانكم يرايتكم وانتم فظنتم في قوله تذكروا ان الله عز وجل
معناه فقتلهم الله يومئذ وانتم بصر كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رايتهم روية حقيقية
وقيل معناه وانتم تنظرون ما كنتم فلم انتم قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعية رجل وجعل
عبد الله بن جبير على الرجال وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل والنحو اعيا بالبل حتى
لا ياتوا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا نبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين
ما ثبتتم مكانكم وكانت قريش وعلى مبعثهم خالد بن الوليد وعلى مبعثهم عكرمة بن ابو جهل ومعهم
النسايض بن خالد بن نوفل وينشدون الاشعار فقاتلوا حتى حبيت احب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه على المشركين فمروهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ
هذا السيف يجفه ويضرب به العدو حتى يحرق فاخذه ابو جندب مالك بن خنيسه الانصاري فلما
اخذته اعمت بعامة حمرا وجعل يتجتر في مشيته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الحيا حسية
يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا واوا اصحابهم
ينهبون الغنيمة اقبلوا برية ونالوا من الغنيمة فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة
وراي ظهورهم خالصة صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمروهم وروى عبد الله
ابن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكمرا فقه وركب عيشته وشجته في وجهه فالتفت وتوق
عنه اصحابه ونقض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهريين
ورعين فجلس تحت طححة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجبه طححة
ووقفت هند والنسوة معها يشلقن بالقلبي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحيد عن الاذان
والانوف حتى اتحن من ذلك فلا يدوا عظمها وحشا وبرت عن كبد حرة ومعنى الله عنه وكان قد
قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسرها فلفظتها واقتل عبد الله بن قتيبة يرحبه
قتل النبي صلى الله عليه وسلم فبعثت مصعب بن عمير وموصا حبا راية رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فقتله ابن قتيبة ويروى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرج وقال اني قتل محمد
وصاح صاخر الا ان محمد اذ قتل ويقال ان الصاخر ابليلس للعير فانكنا الناس فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجوه حتى كثر

عنه المشركين ورجى سعد بن الخداج حتى اندقت سبته قوسه وفتر له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك اني واى وكاف ابو طلحة رجلا من ابيات شديدة التزمه كثير يومه قوسين او ثلاثة وكان الرجل يرمي معه جعبة النبل فيقول انظرها لاني طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنظر موضع نبله واصيبت به طلحة بن عبيد الله فبيست وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومه حتى وقعت على وجنته فرد هار رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاودت كاحس ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه اني بن خلف الجحفي ما يقول لا تجوت ان تجوت فقال القوم يا رسول الله لا يعطفت عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان اني قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلمها كل يوم فرق ذرة اقلك عليها فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انما اقلك اني شاة فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الخاوي بن الصمة ثم استقبله وطعته في عنقه وخدشه خدشه فذره عن فرسه وما وجع الحربة ثم يقول قلني محمد فاحمله اصحابه وقالوا ليس عليك بل فقال اني لو كانت هذه الطعنة برميعة ومض لقتلهم ليس قال اني اذا اقلك فلن يترك علي بعد تلك المقالة لقلق بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بوضع يقاتله سرف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شته غضب الله على من قتله في سبيل الله شته غضب الله على قوم اذموا وجهه بنى الله قالوا وفشا في الناس ان محمد صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لما اخذنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بآية نعم وقال الناس من المتألفين ان كان محمد قد قتل فالحقوا به فيكم الاول وقالوا اني بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رج محمد لم يقتل وما تضرعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اغفر ليك ما يقول هو لا يعني المسلمين وبرا اليك مما جابه هو لا يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ات رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة ومو يدعوا الناس قال من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بن مالك قال عرفت عينيه تزهت تحت المغفرة فاديت با على صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسار الى اني اسكت فاحازت اليه طائفة من اصحابه فلما هم النبي صلى الله عليه وسلم على الفراق قالوا يا نبي الله قد نياك باباينا وامهاتنا انا الخبز انك قد قتلنا فرعبت قلوبنا فولىنا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فيسبحوا محمد كما خلت الرسل من قبله فكما اني تباعهم بقوا متمسكين به منهم بعد خلو انبياءهم فعليكم ان تمسكوا به يديه بعد خلوهم لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحق لا في بين ظهري في قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه

معناه

معناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق جميع المحامدة لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسم المحمودة المحامدة وتعالى نساه محمدا واحدا وفي ذلك يقول حسان بن ثابت العريان الله ارسل عبيده نبيره هاته واهله اعلى واجده اغر عليه النبي حاتم من الله مشهور بلوح ويشهد وشوقه من اسمي محمدا وقد و العرش المحمودة وهذا محمد في عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يحو الله في الكفر وانا المفاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقبة والعاقبة الذي ليس بعده بنو وسماء روافيها عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لانفسه اسما فقالا انا محمد وانا احمد والمفتي وبنو لقبة وبنو الرحمة قوله المفتي هو اخر الانبياء الذي لا بنى بعده والرسول هو المرسل ويكون معنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** يعني استقبلون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجح الى ما كان عليه جمع وراءه وتكس على عقبه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب صنعنا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتبعهم بنبوا على دين انبيائهم بعد موتهم **ومن ينقلب على عقبيه** يعني ويرد عن دينه ويرجع الى الكفر **فلن ينظر الله بشا يعني يارثه لانه لان الله تعالى لا يضره كفر الكافر من لانه تعالى عنى عن العالمين وانا يضر المرشد والكافر نفسه **ويخرج الله** **الشاكرون** يعني الشاكرين على دينهم الذي لم ينقلوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى ويستيبك الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جابر عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله **ويخرج الله الشاكرون** قال الشاكرين على دينهم ايا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين اخيار الله وكان اشكرهم واحبهم الي الله قوله تعالى **وما كان لنفس ان توت الا بما رزق الله اي بامر الله وبفقهايه وقدر علمه وذلك ان** يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله وامره والمراد من الآية تحريم المسلمين على الجهاد وتجميعهم على قتل العدو باعلامهم بان الجهاد لا ينفذ وان الجهاد لا ينفذ مع المدة وروى ان الله لا يموت قبل اجله وان خاص الممالك واقتصر للغازي واذا جاء الاجل لم ينفذ مع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عنه غلبة العدو وتحليله منهم عند التقاعفهم عليه واسلام اصحابه له فاجابه الله تعالى من عدو سالما مسلما لم يضره شيء **كتابا موجلا** يعني موقالا اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس كتابا لا ينفذ احد على تغييره او تغييره او تأخيرها وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه جميع احوال جميع الخلق **ومن يرد ثوابا لذي نون** يعني من يرد بعد وطاعته الدنيا ويعمل لها نون فتمتها ما يكون جز العلة والمعنى نون فتمتها ما لاشا ما قد فاه له تركت في الذين تركوا المركز**

يوم احد وطلبوا الغنيمة **ومن روى اب لا خوة خوة منها** يعني من اراد بعمله
نوته ثوابه فيها فزكته في الدين بغير ما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم
ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان
الاصول في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزا الا
فيها وكذا من اراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها **في** عن عمر بن الخطاب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل
امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فمخرجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى دنيا يصيبها او امرأة تزوجها او في رايته ينكحها فمخرجته الى ما ما يحل اليه وروى البيهقي
بسند عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب
الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته
طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له
وقوله تعالى **ويذكر الشاكرين** يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يروا
بأعمالهم الا الله والدار الآخرة قوله عز وجل **وكاين من بني قتل معه** وقرئ قاتل
معه فمن قاتل بضم القاف قتل او جحد احدهما ان يكون القتل ارجعا على النبي وحده فعلى
هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه افعال تقدره قتل ومعه يهون كثير ويكون
معناه قتل جادا كما كان معه **ويؤن كثير** والمعنى ان كثير من الانبياء قتلوا والذين يثوابهم
قام ويؤن في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي
لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الرسل ويكون المراد البعض
ويكون قوله فما وهوا رجعا الى الباقين ومعنى وكاين من بني قتل وبعض من كان معه فما
ضعف لما قتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا
كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الرسل والنبي والمعنى وكاين من بني قتل من كان
معه وعلى دينه رسول كثير ومن قاتل معه رسول كثير والمعنى وكاين من بني قاتل معه
العدد الكثير من اصحابه فاصحابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهوا الى اصحابهم بل استمروا
على جهاد عدوهم لان الذي اصحابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة دينه
فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روى عن سبعة من خير
ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله رسول كثير قال ابن عباس جموع كثير وقيل الرسل والوف
وقيل الرسل الواحدة عشرة الف وقيل الف وقيل ربيون يعني فترعا علما وقيل الرسل يوم
الانبياء فما وهوا الى اصحابهم في سبيل الله اي تهاجروا عن الجهاد في سبيل الله لا اصحابهم
وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم لانهم لم يجرحوا وقيل الاصحاب **وما استكانوا**

يعني

يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امرهم وطاعة لبيهم وجاهد
عدوهم وهذا فتر بين ما اصحابهم يوم احد من الوهن والانتكاسا عند الاحباط بقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يفضوا بالنيابة
عبد الله بن ابي طالب لان من ابي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واصحابهم
لنقطة هذه الامنة بهم وترغبنا لئلا نكون امع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد **والله**
يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدايد في طلب الآخرة ولم ينظر الى الخ
والعجز فان الله يحبهم ومحبة الله للعبد عبارة عن اذاعة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له
وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى **وما كان قولهم** يعني قول الرسل **الا ان**
قال لهم نبا اغزونا يعني ما في جميع الذنوب الصغائر والكبائر **واسل فاني امرنا**
يعني وما اسرفنا في تخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف لا فراط في الشيء ومجازاة
الحديث فيكون المعنى اغزونا ففوتنا الصغائر منها والكبائر **وبثنا قدما منا** يعني لكي لا نزل عند
لنا العدو وذلك ليكوننا زالة الخوف والوعب من قلوبهم **وانصرنا على اعدائهم** لان النصر
على اعدائهم لا يكون الا من عند الله بغير الله تعالى انهم كانوا مستعدين عندنا العدو وبالعدا
والنصر وطول الاعاقة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقيد بهم في هذه المطيعة بحسنة
امة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقولوا فعلمكم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا **فانا لله**
ثوابا يعني النصر والغنيمة وقيل الاعدا والثناء الجليل وغفران الذنوب والخطايا **وحسن**
ثوابا يعني الجنة وما فيها من النعم المقيم وما خص ثواب الآخرة بالحسن تبينها على
جلالة وعظمته لانه غير زائل ولم يشك تنقيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه
سريع الزوال مع ما يشوبه من التغيص **والله يحب المحسنين** يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل
مولاه وهذا الغليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه حقيقة
لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بدينهم وكونهم مسلمين ساءل الله محسنين قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا**
ان نطيعوا الله يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم المؤمنين عند اللقاء
يوم احدى رجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان نطيعوهم فيما يامرونكم به من
ترك الجهاد **يردوكم على اعقابكم** يعني يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد
الايان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر **فستقبلوا خاسرين** يعني مقبوضين في الدنيا والآخرة
اما خسارة الدنيا فتو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسارة الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار
القرار **بل الله مولاكم** اي فيكم وناصركم وحافظكم فاستغثوا به **وبخير الناس** يعني ان
تعالى قاد على نصركم والمعنى انكم انما تظفوا الكفار لنصركم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر
انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل **سئلني**

قلوب لذين كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ذكروا موتهم وقالوا بئس ما صنعنا فقلنا هم حتى اذا لم يبق الا الشريبيده تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصروهم فلما عزموا على ذلك اتى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجفوا عما هم عليه فعلى هذا القول يكون الوجد بالقرع في قلوب الكفار محضاً يوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصاً لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه تعالى قال سنلقي في قلوب لذين كفروا الرعب منكم حتى تظهر ديتكم على ساير الاميان وقد فعل الله تعالى ذلك بفضلهم وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهراً على جميع الاديان والملا كما قال تعالى ليظهره على الدين كله **يا ايها الذين آمنوا** يعني انما كان القارع في قلوبهم بسبب اشراركم بالله كما ينزل به سلطاناً يعني حجة وبرهاناً وسميت الحجة سلطاناً لان السلطان شقيق من السيطر وهو ما يستصحب به وقيل سلطان القدرة والقوة وسميت الحجة سلطاناً لقولها على دفع الباطل و**يا ايها الذين آمنوا** يعني انما كان الكفار في الدنيا وهو القارع الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى وكما اومئنا ان اراى مسكنهم وبيس منى الظالمين الى المسكن الذي يشقرون فيه ويعتبرون فيه وكلما بين يستعمل في جميع المذام والمعنى وبيس مقام الظالمين الذين ظلموا انتقمهم بما كتبنا ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله تعالى **ولقد صدقكم الله** وعده قال محمد بن كعب لقرطبي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقدامهم ما اصحابهم قال ناس من الصحابة من اين امسنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله **ولقد صدقكم الله** وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابد او قيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فصبرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هموا **اذ تحسبونهم** يعني اذ تقتلون الكفار قتلاً ذريعاً وقيل معنى تحسبونهم تستأصرونهم بالقتل **يا ايها الذين آمنوا** وعده وقيل يقض الله وقدره حتى اذا قتلتم ونزلت عليكم في الامر وعصيتكم قالوا انما فيه تعذيبهم وتأخير تعذيبهم حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتكم قتلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر لان كان منكم الغش والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا قتلتم ونزلت عليكم في الامر وعصيتكم الله النصر ومعنى قتلتم ضعفتكم والغش الضعف مع جبر ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرأية التي كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نضع بمناها هنا وقد انهم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في تربيده وز العنة من كان معه فلما راي خالده بن الوليد وكرمه ابن جبير ذلك حكاها على الرأية التي ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الرجة دون ابيهم كانت صبياً وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا بالرجال

يقتلون

يقتلون على غير شعاع يضرب بعضهم بعضاً وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى بلقيس ان محمداً قتل وكان ذلك بسبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتكم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من بعد ما راكم ما تحبون** يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على الذهب ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احداً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد وترك هذه الآية ثم صرتم عنكم يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالزنية **ليستليكم** يعني ليمتحنكم وقيل ليزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وما واعلم فيتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا من يريد الآخرة **ولقد عفا عنكم ايها المخالفون** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبتا صلحكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله ذو فضل على المؤمنين** وهذا من اتمام نعمه على عباده المؤمنين ولانه نصرهم اولاً ثم عفا عن المؤمنين منهم ثانياً لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بعضه وكرمه ان سأل الله عما هم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكبرية وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل **اذ تصعدون** قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوهم لابد وان يتعلق بامر اقرب من ذلك الامر ما هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني ما يرتفع الحيل وقيل هو ابتداء الكلام لا يتعلق به بما قبله والمعنى اذ ذكروا اذ تصعدون قراءة الجهر ويرفع النواكس والعين من الاصعاد وهو الارتفاع في الارض والابعاد فيها وقيل الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتفاع من اسفل الى اعلا كالصعود في الليل على السلم ونحوه والمفسر في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الزينة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الحرب **ولا تلوون على احد** اي لا تغروروا ولا تفتخرون على احد ولا يلبثت بقلوبكم الى بعض من شدة الحرب **والرسول يبعثكم في اخاكم اي في اخركم** ومن وراءكم يقول اي معاد الله فان رسول الله من كراي رجع فلما حجة فاما بكم غايتم يعني فجازاكم لغراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وقلتم عن عدوكم غايتم فمضى العقوبة التي عاقبهم بها ثواباً على سبيل الجواز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب لاني خير وقد يحجز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثوابه اذ اجمع فاصل الثواب كلما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيراً او شراً فمضى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحاً ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر الخاف زيادة ان يكون عطاؤه اذ ادم سود او مجرد جرماء فجعل العطا مكان العقاب لان الاداء هو السود والقيود الثقال المحذرة هي السياط والابا في قوله

المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد
الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن الخدوص رضي الله عنهم اجمعين **اما استنزلهم الشيطان** اي طلب منهم
ثمايقا لاستنزلته اي طلبت ثمايقا وطلب حبلهم على الزلزال ومن الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة
في قلوبهم لانه لم يزل يبعثهم **بما يبعث ما كبر** اي يبعثهم في ما كبر عليه ولم يتركهم المراكز وقيل
استنزلهم الشيطان بهذا كبر خطايا سبقت لهم فكريهوا ان يقتلوا قبل اخلال التوبة منها وهذا
اختيار الزجاجة لانه قال لم يتولوا على حجة المعادة ولا على الفرائض من الرخف رغبة في الدنيا واما
ذكرهم الشيطان خطايا سبقت لهم فكريهوا المعادة الاعلى خالة يرضاهما **ولقد عفا الله عنهم**
يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقي الجمان فلم يقايمهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان
عوب في هزيمة يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفا عنه وقراءه الآية ان الله
عفو رحيم يعني من كتاب وانا جليل لا يجعل بالعقوبة ولم يتا صلهم بالقتل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عفا الله عن اي واصحابه **وقالوا لا** اي لا يكونوا كالذين كفروا
وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض لاجل التجارة وغيرها
او كانوا غنوا جمع غازي في غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض
فما نوا او كانوا غنوا فقتلوا وكانوا عندنا يعني مقربين ما كانوا وما قتلوا **يحيى الله ذلك** يعني قتلهم
وظنهم حية في قلوبهم يعني غما وتاسقا **والله يحيى ويميت** هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عدونا
ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان الحيي والميت هو الله فقد يحيى المسافر والمنازه
ويحيي المقيم والقاعد عن القدر وكما يشاء فيكيف ينفع الجاهل في البيت ويد يحيى احد من الموت
والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير او شر فيجازيكم به فاتوه ولا تكونوا
مثل المنافقين لان مقصودهم تغيير المومنين عن الجهاد بنولهم لو كانوا عدونا ما ماتوا وما قتلوا
فان الله هو الحيي الميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان اقام ببينته
عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المومنون من يريد الخروج الى الجهاد لا يخرج فتقتل فلان يموت في
الجهاد فيستوجب الثواب كان ذلك خيرا له من ان يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى
ولين قتلتم في سبيل الله ومم لمغفرة من الله ورحمة يعني في العاقبة ورحمة خير مما تجعون يعني من القيام
والعنى ولين تم عليكم ما تخافونه من القتل فيسبيل الله او الهلاك بالموكب فان ما تاتونونه من المغفرة
والرحمة بالموت والقتل فيسبيل الله خير مما تجعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا **ولين قتلتم**
قتلتم اي الله تحشرون يعني لا اله الا الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المشيب العظيم الثواب تحشرون
في الآخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعضهم مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا
من ناره الله ما يخاف واليه الاشارة بقوله لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنة انا الذي يجر
واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسم الجنة ومن عبد الله شوقا الى جنة الكرم لا يريد غيره

فقدرا

فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله
تعالى لا اله الا الله تحشرون قوله عز وجل **فما رحمة من الله لنت لهم** اي فبرحمته من الله وما صلة لنت
لهم اي سهل لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى
فما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرقوق والتلطيف لهم وان الله تعالى
التي في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم دأعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم **ولو كنت قنفا**
يعني جافيا **غليظ القلب** يعني قاسي القلب يسي الخلق قليل الاحتمال **لا تفضوا من حولك** اي لتزداد
عندك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك **فما عفا عنهم** يعني تجاوز عن ذلالتهم وما اتوا يوم
احد **واستغفر لهم** اي واسئل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما تخشع بك
واستغفر لهم فيما يخص بحق الله وذلك من تمام الشفاعة عليهم **وشاورهم في الامر** اي استخرج
اراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة تراه وتروى الى حى عليه وجوب طاعته على كافة
الخلق فيما احبوا او كرهوا فقل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله
فيه عمن وذلك في امر الحرب ونحو من امور الدنيا ليستظهر لرايهم فيما تشاورهم فيه وقيل المراد
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بشاورهم وتطبيبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب
لاصغابهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور وشؤ ذلك عليهم وقال الحسن قد
علم الله تعالى انهم ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستريح به من بعده من امته وقيل انما
امر بشاورهم ليعلم مقدار عقولهم وانما هم لا يستفيد منهم راي او روى بغوى بسنده عن عائشة
انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان
كل ما نزل فيه وحى من الله عز وجل لم يحجز له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور رفاة الامة
وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امور الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم
في امور الدين والدنيا فيما لم يتر على عليه فيه شئ لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى
بهروهم من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطب
من استغنى برأيه والله بقل العقل يومئذ من الذم وقال بعض الحكماء استنبط الصواب
بمثل المشاورة ومن فواید المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيستبين له الصواب
في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاخطاء بفنون المصالح ومنها انه اذا لم يخج امره
علم ان امتناع النجاش محض قد زل ولم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة وشاور
اذا شاورت كل مذهب لبيد خا حزم لترشد في الامر ولا تترك من يستبد برأيه فيعجز
او يستخرج من الفكر المرئ ان الله قال لعبد الله وشاورهم في الامر كما بلانكرو وقوله تعالى
فاذا عرفت مني المشاورة فتوكل على الله اي فاستغنى بالله في امورك كلها وتوكل ولا تعتمد

محم

يعينكم

الاعليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد فالمقصود لا يكون للعبادة على شيء
الا على الله تعالى في جميع امور وان المساودة لانتا في التوكل **ان الله يحب المتوكلين** يعني المتوكلين
عليه في جميع امورهم قوله تعالى **ان ينصركم الله** يعني ان ينصركم الله بنصره وينصركم من غيظكم كما
فعل يوم بدر **فلا غالب لكم** يعني من الناس لان الله هو المتولي بنصركم **وان يجزيكم** كما فعل يوم احد
فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم **في ذلك الذي ينصركم**
بغيره اي من بعد خذلانه **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه
ولا دافع لحكمه فيجوز ان يتوكل العبد في كل اموره على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل الاتقي
الله من اجل رزقه ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا تنقل لك شأنا سواه **م** عن عثمان بن
حصين قال قال بنى الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب
قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتون ولا يستر قوز ولا يبتطرون وعلى هم يتوكلون
تقام عكاسة من تحتهم فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال ات منهم فقام اخر
فقال يا بنى الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبعك بها عكاسة عن عمر بن الخطاب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تقدوا خاضا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **وما كان لبي ان**
يعزل الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما كان لبي ان يعزل في قطيفة مما اقتدت يوم بدر
فقال بعض القوم لعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فارتل الله الاية الى اخرها اخرجه
ابوداود والترمذي وقال حديث غريب وروى عن النخعي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلابع ففهم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقسم للطلابع فانزل الله تعالى وما كان لبي ان يعزل
وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما كان لبي ان يعزل يقول ما كان ما كان لبي ان يقسم
لطايفة من المسلمين ويترك طايفة ويجوز في القسم ولكن يقسم بالعدل ويحكم فيه بامر الله
ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يعزل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به
وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنایم احد حين ترك الرماة المركز للغيمة وقالوا اخشى ان يقول النبي
صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنایم عالم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا
في الغنایم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعدكم اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امره قالوا تركنا
بقية اخواننا ووقفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم اننا فعل فلا تقسم فانزل الله هذه الاية
وقال قتادة نزلت ابا نزلت في طايفة غلبت من اصحابه وقيل ان الاقوياء كانوا عليه يسلمون من المقيم
فانزل الله وما كان لبي ان يعزل يعني فيعزل قوما وينزع اخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال
محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لبي ان يقطع شيئا من
الوحي وعصبة اورهبة او مة اهنة والغلول هو الحيانة واصل ما اخذ الشيء في حقبة يقال فلان

يعزل

يقول قرى بفتح الياء وضم الغين اي وما كان لبي ان يخون لان النبوة والحيانة لا يجتمعان
لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا يليق به الحيانة لانها في نهاية
الدفاة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن
امته في شيء لان القنایم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي
صلى الله عليه وسلم من الغلول والحيانة فدفع ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه متعولة
معناه ما النبي ليعزل على تقي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لبي الغلول المراد ما على بني قن
فتنى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لبي الغلول واظلم محل لم يفعل وجبة هذه القراءة
انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الغزوات فينبغي ان الله تعالى لهذه الاية ان
هذه الخصلة لا تليق به وتفي عنه ذلك بقوله وما كان لبي ان يخون وما كان لبي ان يخون الله والثاني
ان يكون من الاعلال معناه وما كان لبي ان يخون اي ينسب الى الحيانة **ومن يكلمكم باغل يوم القيمة**
يعني بالشئ الذي غلبه بعينه يحمله على ظهوره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل بمثله
ذلك الشئ في النار ثم يقال له انزل فخذ فيتركه ليحمله على ظهره فاذا بلغ موطنه وقع ذلك الشئ في النار
فيكلمك ان يتركه ليه ليخرجه بفعله بذلك ما شاء الله تعالى وقيل معناه انه يات بانتم ما غلبه فيجازي به
يوم القيامة وهو قوله تعالى **ثم نزل في كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خير كان ذلك
المكسب وشره هو مجزى به يوم القيامة ويرى جزاء عمله **ومن يكلمكم باغل يوم القيمة**
في الجرا فيجازي كل على عمله **فصل** في ذكر احاديث وردت في الغلول وعيد الغال قد تقدم ان اصل
الغلول هو اخذ الشيء في خفية وانه الحيانة الا انه قد صار في العرب مخصوصا بالحيلة في الغيبة وهذا
ورده الاجاد **يث** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذاق يوم فذكر الغلول فغظه
وعظمهم حتى قال لا الغني احدكم يحكي يوم القيمة على رقبته بعيره رعا يقول يا رسول الله اغني عنى فاقول
لا املك لك شيئا ابلغك لا الغني احدكم يحكي يوم القيمة على رقبته فوسله حجة فيقول يا رسول الله
اغني فاقول لا املك لك من مسني ابلغك لا الغني احدكم يحكي يوم القيمة على رقبته ساة
لها فاقول يا رسول الله اغني فاقول لا املك لك من الله شيئا ابلغك لا الغني احدكم يحكي يوم القيمة
على رقبته فاقول يا رسول الله اغني فاقول لا املك لك شيئا ابلغك لا الغني احدكم يحكي يوم القيمة
يحكي يوم القيمة على رقبته رفاع فحق فيقول يا رسول الله اغني فاقول لا املك شيئا لا الغني احدكم
يحكي يوم القيمة على رقبته صا مستيقول يا رسول الله اغني فاقول لا املك لك شيئا ابلغك
لفظ مسلم الرغاموس البعير والنعاسوت الشاة والرقاع الثياب والعصاة الذهبية القصنة
وعن ابن جرير قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي خبيز ففتح الله علينا فلم نعلم ذهابا ولا ورقا
غنما المتاع والطعام والثياب ثم نزلت الى الوادي يعني وادي القرى فمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل في الغلول

الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والمدينة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جازي
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الغنائم الا سار
وقد امرنا ان نحرقهم بين ايديهم من الغنائم الا سار في غير ان ياخذوا الله اعلم ان يقتل منهم عدتهم فذكر
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشرين ناولا نأكل منها فداهم
فقتلهم يومئذ على قتال العدو وناوهم فقتل منهم يومئذ سبعون رجلا
لم يدر لم يقتلهم البغوي والسنة ما من جريح الطير وفد لك معقولة فلو لم يمت من عند الله
يعني ياخذكم القتل واختياركم القتل لانفسكم ان الله على كل شيء قدير يعني من يصرح بالطاعة
وترك نصرته مع مخالفة قوله وجعل اصحابه يعني من القتل والجرح والتمويه يومئذ
البحر ان يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم اوحى الله تعالى فبطلت
وقدره وحكمه وخبره بتسليمه للمؤمنين ما حصل لهم يوم اوحى الله تعالى في القتل والتمويه ولا يفتح
التسليم الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقتل الله وقدره ثم يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين لا يفهمون ان المؤمنين يشبهونهم على ما خالهم ويظهر اتفاق
المنافقين بقتلهم صبرهم على ما نزلهم فالله اعلم بالمعلوم والتقدير للتبيين الموحى من
المنافقين والتيميم واحد من الاخر والمنافقون يهود الذين اظهروا الايمان بلسانهم واخبروا خلافه
واستعانة من النفاق وهو السرب في الانقض النافق ومنه نفاق الذي يرجع لانه محمول في الارض
له بابان اذا طلب من احد مما خرج من الاخر وكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما الظاهر
الايمان بلسانه والاخر اخفاء الكفر بقلبه من ايها اطلب من الاخر وقيل لانه دخل في الايمان
من باب وخرج من باب اخر والاتفاق اسم اسلام لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام وقيل لم يخال
قالوا في سبيل الله او ادفعوا القتل لله عبيد الله بن ابي بن سلول المنافق واصحابه وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد في الف رجل حتى اذ كان بالسوية بين احد
والمدينة اختلعه الله بن ابي بن سلول بشفقة الناس وقال ما تدري على ما تقتل انفسنا
فرجع بمن معه من المنافقين فيمنعهم ابو جابر عبيد الله بن عمر بن الخطاب الانصاري الخوارجي
سليمه وناوهم فاقوموا ذكر الله ان تحذروا نبيكم عنده حضور عدوهم فذكر الله تعالى
وقيل لم يعني للمنافقين عبيد الله بن ابي واصحابه فقالوا قالوا في سبيل الله اي اهل دين
الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل مقناه فقالوا كرهوا مساواة المسلمين
انهم لم يقاتلوا الميكون ذلك دفعا وقبلا للعدو وقالوا يعني المنافقين لو تعلم قتالا لا تبغواكم
اي لو تعلم ان اليوم يجري فيه قتال لا تبغواكم ولم يرضعوا ولو علموا ما يقتلهم وقيل مقناه لو علموا
قتالا لا تبغواكم هم للكفر يعني المنافقين الى الكفر يومئذ اخرج منهم الى الايمان اي الى الايمان واما
قال تعالى يومئذ لا هم قبل ذلك اليوم لم يظهر باحاطة ظهوره من الممانعة والرجوع عن السبلين

ونولهم

وقولهم لو تعلم قتالا لا تبغواكم واما كانوا قبل ذلك يظهر من كلمة الاسلام ويظهر من الكفر
يقولون يا فوالله ما ليس بقتلهم يعني يظهر من بالسنة الايمان وليس هو في قلوبهم واما في
قلوبهم الكفر والتناق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص موافقة
القلب للسان على شيء واحد وهو التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لا حول
نزلت في عبيد الله بن ابي المنافق واصحابه وفي المراد باخوانهم قولنا لان احدهما ان المراد باخوانهم الذين
استشهدوا واما واحد فيكون اخوانهم في النسب في الذين في القول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقين
فعلى القول الاول يكون معنى الآية التي قالوا في اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا واما احدهما اعوانا
ما قتلوا الا انهم بعد ان قتلوا لا يجاطلون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية قالوا وهم عبيد الله
ابن ابي واصحابه لاخوانهم يعني في النفاق وفقهوا يعني عن الهوى ولو اطاعوا يعني هو الذي خرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لو اطاعوا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الانصراف عنه ما قتلوا ابو ميمنه فداهم فقالوا عليهم بقوله قل يعني قل لم يا محمد فادروا اي
فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني لئلا يفتن من القدر وفي الآية دليل على ان القتل
يؤتى باجله خلافا لما يزعم ان القتل قطع من المقتول اجله قوله عز وجل ولا تحببوا الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار وروى اكثر المفسرين انما نزلت في شهداء بدر واحد ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس بن عبد
الله صلى الله عليه وسلم قال لا اصحابه انما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارحم في جوف طير
خضر تردها لحنه تاكل من ثمارها وتاتي الى قنائه يل من ذنبه معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ما كلهم وشربهم ومقيمهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة لئلا يزهوا في الجنة
ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابليهم عنكم واتزل الله ولا تحببوا الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عندهم الى اخر الايات اخرج ابو داود ومروان عن مسروق قال سالت ابا عبد الله عن
هذه الآية ولا تحببوا الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عندهم روى عن مسروق قال سالت ابا عبد الله عن
قد سالت عن ذلك فقال ارحم في جوف طير خضر لها قنائه يل معلقة بالعرش تشرح من
الجنة حيث شئت ثم تاتي الى تلك الفتاة يل فاطم اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون
شقا قالوا اي شيء تشتهي ونحن نشرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك هم ثلاث مرات
فلما راوا انهم لم يتركوا من انيما التوا قالوا يا ربه ان ترد الينا ارواحنا في اجسادنا حتى
نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راوا ان ليس لهم حاجة ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق
سالت ابا عبد الله كذا جاء عبيد الله غير منسوب وقد نسيه بعض الناس فقال عبيد الله بن عمر
وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحديث في مسنده عبيد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث
مرفوع لقوله اما انما قد سالت عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على

ان الجنة مخلوقة الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت
ويومئذ هي اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تنفني بقنا الجسد وان الجن ينعم
ويجازى بالتواب وان المني يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو من هبل السنة
ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضراء يحجل الله ارواح الشهداء في اجواف طير خضراء وهذا ليس
بمعبد لاسيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب مع الارواح جزء من
الجسد تتبع فيه الروح وهو الذي تلبس به النعم وتيا لمر بالعذاب فقير مستحيل ان يصور الله تعالى
ذلك الجحر طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتاوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث
من يقول بالناسخ من البتة وتقول بان انتقال الارواح وبنعيمها في الصور احسان المرفعة وتغييرها
في الصور الفتيحة المسخرة وترعون ان هذا هو التواب العقاب وهذا ضلال ليرى قول سمخيف
وبدعة باطلة لما في هذا القول من لبطال ما جاء به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد
جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجع الله الى جسده يوم يبعثه يعني
حتى يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عز جابر قال لعيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا معه فقال انا اراك منكرا قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم احيا
وترك عيالا ودينا فقال لا ابشرك بالقياس اليه اباك قلت بلى قال ما كالم الله احيا اقطالا من
ورا حجاب وان احيا اياك وكله كناه وقال يا عبيد مني من علم اعطيك قال يا رب تخيلى فاقول
ثانية قال سبحانه ان قد سبق مني انهم لا يرجون فتزلة ولا تخبر الذين قتلوا في سبيل الله
الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهداء بدر معونة
وهي بدر بين مكة وعسفان وارض هذا قيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم
ابو بزرع غامر من مال بن جعفر ملاعبا لاستنقه وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واهدى له هدية فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل
هدية مشرك شرع من عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن
فلم يسلم ولم يبعده وقال يا محمد ان الذي قد عوالية حسن جميل فلو بعثت رجلا من اصحابك الى اهل الجنة
فدعوهم الى الله لرجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل الجنة
فقال ابو بزرع انما لهم جوارق بعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
المندبر بن عمر واخا بني ساعد في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان بيتا لاهل القرية المندبر
ابن الصلة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما بن الصلت ونافع بن زيد بن زرقا المندبر وعامر بن حميرة
مولي بني بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احدى اربعه اشهر فصاروا حتى تزلوا ببر معونة
وبني ارض بن ارض بن عامر وحره بن سليم فلما تزلوها قال بعضهم لبعض انكم يبلغ رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما فقال حرام بن ملحان انا نخرج بكتاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الما فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر
عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بدر
معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان
محمد عبده ورسوله فاموا بالله ورسوله فخرج اليهم رجل من كسر البيت برمح فضر به
به في جنبه حتى خرج من الساق الاخر فقال الله اكبر فزق ورب الكعبة ثم استصرخ عامر
ابن الطفيل مني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا تخف يا بزا
فقد عقد لهم عقدا او جوارا فاستصرخ عليهم قبايل بني سليم عصبية ورعلا ودكوان
فاجابوه فخرجوا حتى لقوا غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف
فقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتش بين القتلى فقتل
حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضري ورجل من الانصار احدثني عمر
ابن عوف فلم يبينها بمصايب اصحابها الا الطير يحوم على العسكر فقتلوا والله ان لهذا الطير
لسانا فاقبل لا ينظر اذا القوم في دما يصم واذا الخيل التي اصابتهم واقعة فقال الانصار
لعمرو بن امية ما ذا ترى قال الحق يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغيره فقال الانصار لكفى
لا ارفع عن موطن قتل فيه المندبر بن عمر ثم قاتل القوم حتى قتل واحد وعمر بن امية اسيرا
فلما اخبرهم انه من حضرة طلحة عامر بن الطفيل وجزنا صبيته واعتقه عن رغبة زعم انها
كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابني بكر او قد كنت لهذا كارهنا متخوفا فبلغ ذلك ابا بزا
فشق عليه احقار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجوار
وكان في من اصيب عامر بن فريزة مولد ابني بكر الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة
عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول عن الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض حتى
لايت السماء ونه قالوا ما هو عامر بن فريزة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي بزا ان عامر بن الطفيل احقر
فدعه ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخرج من فرسه قتل وذكر ابن الاثير الجزي
في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسما في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ان يضع ومانين سنة ولم يسلم وغاد من عنده فخرج له خراج في اصل
اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه في عن انس قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين رجلا واتيهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوعن خاله اخلاص سليم واسمه حرام في سبعين رجلا فلما قدموا قال لهم خالي اتدعكم فان
امنوني حتى ابغضهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فقدم فاموته فبينما
ما وجدتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اوتموا الى رجل منهم فطعنه فقتله فقال

الله الكبر فرت ورجل لحيته ثم ما لوالى بقية الصحابة فقلوبهم الامرجلا اعرج سعد بن جلال قال
هنا ما وراه اخر معه فاخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربه
فرضي عنهم وارضاهم فقال فكنا نقرأ اني بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضونا وارضانا ثم
نخرج بعد فدا عنهم ربي صبا حيا على رجل وذكوان وبنى عصبة الذين عصوا الله ورسوله
وفي رواية ان رجلا وذكوان وبنى كيسان استمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتهم سبعين
رجلا من الانصار كنا نسميهم القرا في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا
كانوا بغير معونة قتلواهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقتل عليهم شهرا
يدعوا في الصبح على احياء من العرب على رجل وذكوان وعصبة وبنى كيسان قال انس قرنا فيهم
قرنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضونا وارضانا ولمسلم قال احيانا من النبي
صلى الله عليه وسلم فسالوا ان ابعث معنار جالا يعلمونا القرآن السنة فبعث اليهم سبعين رجلا
من الانصار وذكروا ما تقدم وقيل ان اوليا الشهداء واهليهم كانوا اذا اصابهم بقة وجرحتوا
على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخا واباونا واباونا واخواننا في العتور فانزل الله هذه الآية
تطيبنا القلوب وننقيساعهم واخبار اعيان قتلاهم فقال تعالى ولا تحزن الذين قتلوا في
سبيل الله اي ولا تظن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظن
ظان بان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كما مات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله بل احياء
اي بليهم احياء لا يبدل على كون من قتل في سبيل الله حي قاتما ان يكون المراد انهم سبيرون
احياء في الآخرة او يكون المراد انهم احياء في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات
الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة وجوه في معنى احتمال الحياة ثم قال
بالوجه الاول وهو انهم سبيرون احياء في الآخرة قال معنى الآية بليهم احياء في الدين وهذا القول
ليس بصواب لان الله ثبت لهم الحياة في الحال بقوله بليهم احياء يعني في الحال ما يقبلون فيهم حيون
وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي الروح او للجسم والروح معاني اثبات الحياة
للروح دون الجسم قاله على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص
الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء اترك وتجد كل ليلة تحت العرش
اليوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قاله عليه سباق الآية وهو قوله عند
رهم برزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم برزقون وياكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد
لا يسكن في قبره ولا تاكله الارض كغيره وروى انه لما اراد معونة ان يجري الماء على قبر الشهداء
امر ان ينادى من كان له قتل فيلججه ويحمله من هذا الموضع قال جابر بن جابر اليهم فاخرجناهم
رطابا لا يدا فاصاب السحابة اصبع رجل منهم فانبثت دما وذكروا بقوى غير سبعة عن
عبيد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل انصر من احد على مصعب بن عمير

وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المومنين رجالا صفة قواما عاهد والله عليه
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد ان هو لا شهد عند الله يوم القيامة فانتم
وزورونهم ولما عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا
عليه وقوله عند رهم يعني في محل كرامته وفضلهم برزقون يعني من ثمار الجنة وتحتها
فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضل
في دار النعيم ويستبشرون اي يفرحون والاستبشار بهو الفرح والسرور الذي يحصل
للانسان عند البشارة بالذي لم يلحقوا بهم من خلوهم يعني من خواتم الذين تركوهم
احياء في الدنيا على منج الايمان والمهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا الحقوا بهم وقالوا من
الكرامة مثل ما قالوا انهم بذلك يستبشرون وقيل ان الشهداء اسالوا الله عز وجل ان يخر
اخواتهم ما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله عز وجل اني قد انزلت
على نبي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمد صلى الله
عليه وسلم قد اخبر اخواتكم بذلك فحوا به لان استبشروا الاخوة عليهم يعني في الآخرة
ولا هم يخربون يعني على ما قاله بعضهم من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل لما بين الله
تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذي لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون لانفسهم
ما رزقوا من النعيم والفضل قال استبشروا الاول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم
خاصة وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء
كذلك لا يضيع اجر المومنين ففضل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله عز وجل
هوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهاد
في سبيلي وايمان في نفسي يوق برسلي فوالذي نفسي بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الجاهل يوم
خرج منه نايلا ما نال من اجراء غنمة والذي نفسي بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الجاهل يوم
القيمة كهيئة حين يكلم لونه لوزدم وريحه ریح مسك والذي نفسي بيده لولا ان استق على
السلي ما قدرت خلافت سرية تروا في سبيل الله اية ولكن لا اجد سعة فاحلمهم ولا يجدون
سعة وشق عليهم ان يتخلقوا عني والذي نفسي بيده لو دعتنا ان اغزو في سبيل الله فاقتل
ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغدوة
في سبيل الله اورد وجه خير من الدنيا وما فيها في عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوطا احدكم من الجنة خير
من الدنيا وما عليها عن قتالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على
عمله الا المرابط في سبيل الله فانه يختم له في يوم القيمة ويوم من فتنه القبر اخرج ابو داود
والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواتقه

الحلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبل الحق بالمدينة فسطهم واعلمهم ان في جمع كثير
لا طاعة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها على يد سبيل بن عمرو بن عبد الله قال وجا
سهيل فقال له نعم يا ابا يزيد تضمن يا هذه القلائص وانطلق الى محمد وابسطه قال نعم قال
فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس تجهمون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم ان تريدون قالوا
واعدا ابا سفيان ان يلتقي بوسم بدر الصغرى فقال نعيم بيس الراي ايتهم انوكم في دياركم
وقراركم فلم يقلت منكم الا الشريد اقمه ووزان يخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عنده الموسم والله
لا يقلت منكم احد فكمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يخرجون لو وحدي فاما الجبان فانه يرجع واما السجاع فانه ياب
للقتل قالوا حسنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا
بدر الصغرى فحلقوا بيلقون المشركين فيها الوهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريه وزيه لك
ان يربوا المسلمين فيقول المؤمنون حسنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيد ريتنظرا باسفيان وقد انصرفا بوسفيان من حجة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه احد من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات وثققات فباعوا فاصابوا بالدرهم
درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين طامعين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى
اجابوا الله واطاعوا في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرع يعني من
بعد ما نالهم من الم ابراح **الذين احسنوا انهم واثقوا يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله**
عليه وسلم واجابوه الى الغزو واثقوا بمعصيته والتخلف عنه اجمع عظيم يعني لم نواب جزيل
وبه لكه قوله عز وجل **الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين**
من تقدم ذكرهم هم الذين استجابوا لله والرسول في الم ابراح بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود
الابحج فيكون اللفظ عامنا امر يري به الحامد انا لاجاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان
ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى
الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو قوله واذا قلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني ان المراد
بالناس الركيب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث ان المراد بالناس
النافقون وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم يجهمون لميعاد ابي سفيان فهو اصحابه
عن الخرج وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثرتكم فان خرجتم اليهم لم يبق منكم
احد ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه من رؤسا المشركين **فجمعوا لكم يعني لجمع الكثرة لان العرب**
تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا واخسوم اى تخالفوهم واحذروهم فانه لا طاعة لكم فزادهم
ايما يعني فزاد المسلمين ذلك التحدي تقديرا ونقيا وقوة في دينهم وثبوتها على نصره نبيهم صلى الله

عليه وسلم وفي هذه الاية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نصر على وقوع
الزيادة في الايمان **وقالوا حسنا الله اى كافينا الله** هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس
وحبك من غنى شبع ورى اى يكفينا الشبع والرى **ونعم الوكيل** يعني نعم الموكل اليه في الامور كلها
وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل وويل الرجل في ماله
هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل يا زنا القباد ومصلحهم وانه الذي
يستقل بامورهم كلها عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم لقوله حسنا الله ونعم الوكيل
قالها ابراهيم حين اتى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم قوله تعالى فانقلبوا الا فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا في فخر وخرج
لان الانقلاب يدل عليه **بنعمة من الله** اى بما فيتم بليق وعدا **وفضل اى تجارة ورجع** وبما اصابوا في
سوق بدر من الخرج وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة **لم يسهم** سواهم بصبهم
اذا ولا مكره من قتل وجراح واثقوا رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم
قالوا بل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجدهم وخرجهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم **والله ذو فضل عظيم** يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل
عليهم بالثقة التي اوجب في قلوبهم لمشركين حتى رجعوا فوله عز وجل **انما اذلكم الشيطان يخوف اولياءه**
يعني انا اذلكم المخوف والمضطرب هو الشيطان يخوف بالوسوسة بانى القذالك في افواههم ليرهبوا
المؤمنين ويخوفهم ويجنونهم وقوله يخوف اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بالوليايه
وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم ليخافوهم وقيل معناه يخوف المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين
واوليا الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واوليا الله هم المؤمنون الذين
لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم **فلا تخافوهم** اى لا تخافوا اوليا الشيطان
ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تتجنوا عنهم **واقفوا** اى في جهدهم وفي سماع رسولنا فيكم وناصركم **ان كنتم**
مؤمنين اى مصدقين بعدى اى متكلم لكم بالنصر والظفر قوله تعالى **ولا يحزنك الذين يسارعون**
في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون وروى عن اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام
واللغنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجميع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم
وقيل يسارعون في الكفر مظاهيرهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في تصرة
الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك متعذر عليهم **انهم لن يضروا الله شيئا** يعني يسارعون في الكفر اياهم
انفسهم به لك وقيل معناه لن يضروا اوليا الله شيئا يري الله **الا يجعل لهم خطا في الآخرة** يعني
لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فذلك خذلهم حتى يسارعوا في الكفر وفي الايتدليل على ان الخير
والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولم يرد عذاب عظيم يعني في الآخرة ان الذين
استروا الكفر بالايان يعني المنافقين امنوا ثم كذبوا والمعنى انهم استبدلوا الايمان بكافهم اعطوا

الايمان واخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطاشي واخذ غيره بدلا عنه **الحكم لن يفر والاشياء**
يعني بخلافهم في الكفر انما يعرفون انفسهم به الله فيل معناه لن يفر او ليا الله شيئا يريد الله الا
يجعل لهم حظا في الآخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلهذا لا يفر حتى يسألوا في الكفر
وفي الآية دليل على ان الخير والشر باادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة **ولم عذاب**
عظيم يعني عذاب الآخرة باستبدالم الكفر بالايمان واما صرنا انفسهم بذلك **ولم عذاب اليم**
يعني في الآخرة قوله عز وجل **والا تحسن الذين كفروا** قرى تحسن بالياء فقرأ بالياء معناه
ولا تحسن يا محمد لعلنا لا نكفر اذ لا نكفرهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسن الكفار لعلنا
لهم خير نزلت في مشرك مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير **انما على الاملا** الامهال
والناخير واصلة من اللق وهي المدة من الزمان والمعنى لا يظن الذين كفروا انهم انما نالنا ايامهم
بطول العمر الانساني الاجل **لم خير لانفسهم** ثم قال تعالى **انما على** انما نالهم وفروجه اجالهم
ليزدادوا انما ولم عذاب مهيمن يعني في الآخرة وروى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن بكر عن ابيه
قال قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نالنا خير قال من طالع عمره وحسن عمله قيل فالى الناس ثم قال من
طالع عمره وسأله وروى بن جرير الطبري بسنده وصححه الحاكم عن الاسود قال عبد الله بن مسعود
برقة ولا فاجرة الا الموت خير لها وقرأوا لا تحسن الذين كفروا انما على لم خير لانفسهم انما نالهم لم يزدادوا
انما وقرأوا من عند الله وما عند الله خير لا يراى الا بالانوار قال جماعة من اهل العلم انزل الله هذه الآية
في قوم كفار يدعون الحق بسب في علمهم انهم لا يؤمنون فقالوا انما على لم يزدادوا انما بمعاندتهم الحق فخلاصهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اذ اراد الله يعطى على المعاصي
فان ذلك استدرج من الله خلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هو لا قوم اعلم الله بعباده صلى الله
عليه وسلم انهم لا يؤمنون اذ ان نفاقهم يزيدهم كرا واما هذه الآية مجية ظاهرة على القدرية
حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويهلكهم ليزدادوا وكرا واما وعيا قوله تعالى **ما كان الله ليزد**
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف العلماء في سبب هذه الآية فقلا الكلبي
قال فرس يا محمد نزع من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان ولذا من اطاعك وبتوك
على دينك فهو في الجنة والله عتد راضا خيرا من يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فانزل الله هذه
الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عرضت على امتي في صورها في الطير كما عرضت
على آدم واعلمت من يؤمن في ومن يكفر فيبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء ثم انهم يعلمون
يؤمنون ومن يكفر ممن لم يخلو بعد وخن معة وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها القوام طعنوا في علي لانه لا يوفى عن شي فيايستم
ويبين الشاعة الا انبايكم به فقام عبد الله بن جندب السهمي فقال من اني يا رسول الله قال
حذاه فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبالا سلام دينا وبالعزاد انما وبك نبينا

فأعف عنا عما الله عندك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قبل انتم منتمون فكل انتم منتمون
ثم تراءى منتمون فأنزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمنين
والمنافقين فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايان المؤمنين
فاظهر الله نفاقهم يوم احدث انزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس
واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليدين المؤمنين على ما انتم عليه
يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين
والمعنى ما كان الله ليدينكم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من اخلاط المؤمنين بالمنافقين والقياس
بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن المخلص فيرا الله المؤمنين من المنافقين
يوم احدثا ظهر المنافقون النفاق وتعلموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز
يوم احدثا بالنا جميع في الخوف والقتل والمزمنة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه ونقد بيقه ولم يزل
ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالمهاد
والمجزة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليدين المؤمنين من الكفر والمنافقين واما حكام الناس المشرقا
والمعنى ما كان الله ليدين اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث
من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلا بكم وادحام نسايتكم من المؤمنين فحكم لاسل الايمان الجنة
ولاسل الشرك والنفاق النار **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** الخطاب في قوله ليطلعكم
لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عن يوم نريك ومن لا يوم من الغيب وما كان ليبيّن لكم ايها
الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر او منافق من ان لا يعلم الغيب احد غيره
وان سنة الله بشارته انه لا يطلع على غيبه احاد الناس فلا يسيل الى معرفة المؤمن من الكافر
او المنافق الا بالامتناعات بالافات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بشانه على ايمانه وقيل لزل
لنفاق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمد اعلى الغيب فيخبركم
بالمؤمن والكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعني ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء
فيطلعهم على ما يشاء من غيبه فاما **سورة** يعني انه لما قامت له لايل على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم ينقل الا الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما قال ورسوله على الجمع ولم يقل
ورسوله على التوجيه لقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولا نه اذا اقر جميع الرسل كان مقرا باحدهم
ومنه صفة المؤمنين لانهم امنوا بجميع الرسل **وان تمشوا وتتقوا يعني** وان تصدقوا واحببت برسالتى
واطعته على ما انا من غيبي واعلمته المناق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا بكم فيما امركم به وما كنتم
عنكم **اجر عظيم** يعني فلكم يا ايها انكم واتيايكم نواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل **ولا يحسبن**
الذين يخلون بنا انهم الله من فضله يعني ولا يحسبن الذين يخلون بالخل خير الم **مؤخر لهم** يعني
الخل بل يؤخرهم والخل هو امساك المستغنيات عما يحق حياهاه والخل هو الذي يتكبر من الخل

لا تطلعكم

والاية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايكم والشح فاما هذا من كان قبلكم بالشح ابرهم بالبخل فخلوا وامروهم بالنجور فنجروا اخرجه ابو
داود عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان
في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واختلف العلماء في ترك هذه الاية
فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية اني سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
هذه في الذين يخلون ان يودوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان كثر العلماء ذهبوا الى ان البخل
عبارة عن منع الواجب وان منع من التطوع لا يكون نجسا ويدل عليه ما لو عيدا الشدي في سياق الاية
وموقوله تعالى سيطوقون ما يخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس
في رواية عطية عنه وابن جرير عن مجاهد انما نزلت في احوال اليهود الذين كنوا صفة تحب
صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة
عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان بخل بعلمه وصح الطبري القول الاول لتأخره
وقوله سيطوقون ما يخلوا به يوم القيمة اي سيلنوزون ما يخلوا به الزكاة والطريق فان حثنا
الاية على منع الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق
في عتقه يوم القيمة تنسبه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة رضي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيمة
شجاع افرع له زيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهيمته يعني شديقه ثم يقول انا مالك انا اكره
ثم تلا ولا يجبر الذين يخلون بما اتاهم الله من فضله الاية اخرجه البخاري وقوله له زيبتان
قيل هما التكتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكشطان فاهما وقيل ما زينة نان
في شديقهما وقد جاء في الحديث تفسير لم يمتبه بانما شديقه وقيل انما مضعتان في اصل الحزن
وقيل ما عند منتهى الخير اسفل من الاذن وكله متقارب عن ابي ذر قال انتميت الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رايتي قال لي يا ابا عبد الله انما اكره
جلست فلم اتقار ان كنت فقلت يا رسول الله فداك اني وامر من قالهم الاكثرون اموالا الامن
قال هكذا وهكذا او هكذا امن بين يديه ومن خلعه وعن يمينه وعن شماله وقيل انما هم مام صاحب
ابل ولا يتردد عنهم لا يودون كما ينفق الاجام يوم القيمة اعظم ما كانت واسمه تنطج يرونها
ونقاء باخلافا كما نذرت اخرها كانت عليها اولها حتى يقضي بين الناس فيقسط لهم
وفرقة البخاري بعناه في موضعين وقيل في معنى الامة ان ياتوا بما يخلوا به من اموالهم
في الدنيا وان جعلنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكما انه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون
ما يخلوا به اي يخلون وزرعوته فيكون على طريق التمثيل كما يقال قل هذا الامر وجعلته في
عتقك وقيل بجعل في رقابهم طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول

انتقارب

الله صلى الله عليه وسلم من سبيل علمنا يعلمه فكتمه لهم بلحار من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي
داود من سبيل علم فكتمه الله بلحار من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما
سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضا عن ذلك بلحار
من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى **والله ميراث السموات والارض** يعني انه سبحانه وتعالى
الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويتبع املاكهم فيموتون بلحار من نار والمقصود من
الاية انه يبطل ملك جميع الناس ويقتل الملك لله سبحانه وتعالى وقيل في معنى الاية انه لا ينفقها
ما يتوارثه اهلها من مال العلم وغير ذلك قال هو لا يخلو بخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله
والله يخلون خير قرى يخلون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي بلغ في الوعيد
والمعنى والله بما يخلون يعني بخلهم من نعم الله يخلون خيرا فيجازيهم عليها وقرى بالياء على خطاب
الحاكم من قوله تعالى **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا** قال الحسن وقادة لما نزلت
منه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليه هو وان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنيا
وذكر الحسن ان القائل بهذه المقالة هو جدي من اخطب قال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق
كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى اليهود في قينقاع يدعونه الى الاسلام والى اقام الصلاة
وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدرهم فوجد ناسا كثيرا
قد اجتمعوا على فخار من عازروا وكان من علمائهم ومعه خبر اخبرني الله اسيع فقال ابو بكر لعفصا
انك اسد واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامرهم بصدق واقرضوا الله قرضا حسنا يدخل الجنة ويضاعف
لك الثواب فقال فخارون يا ابا بكر نرى ان ربنا يستقرض من اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني
فان كان ما تقول حقا فان الله اذ الفقير ونحن اغنيا فغضب ابو بكر وضرب وجه فخار من شدة غيظه
وقال الذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فخار الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنعت لي عما حبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال فوالله اعظم ما علم ان الله
فقير وانهم اغنيا فغضب الله وضربت وجهه فجرح ذلك فخار فانزل الله بقدره ان لا يكون نكيرا
لعفصا من رد اغنيا فغضب الله وضربت وجهه فجرح ذلك فخار فانزل الله بقدره ان لا يكون نكيرا
من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالة هذه فثبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا لاهذه المقالة
عن اعتقاد ذلك القول او قالوا استنواوا اليها كان هذه المقالة عظيمة الفخ لا تصد عن عاقل
وانما صدق عن كافر من رد في كرهه وضلاله **سكنى ما قالوا** يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا لان
ذلك كذب واقتراب المعنى سخط عليهم ما قالوا وقيل نسبت ذلك القول في صحايف اعمالهم
التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لم **وقل انما انبيا بغير حق**

اعتقادات

قبل معناه سنكتب ما قال هو لا اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فجازي كلا الفريقين يا يهو
اهله وانا نسبقت الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانا فعله اسلافهم
واوايلهم لانهم رضوا بفعلهم فقبل عليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم
ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابايهم الانبياء والفايدة في ضم قدام الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى
بالنقل اعلاما بذلك انما اخوان في العظم وان هذا القول ممتهم ليس بالواحد تكبوه من العظام وانهم
اصلا في الكفر والجمل والفضلا ولم في ذلك سابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجترار على مثل هذا
القول العظيم القوي والحق **وقول** يعني لولا الذين قالوا هذه المقالة **ذوقوا عذابكم** يعني من قتلهم
بان يقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذابكم كما اذقتم المسلمين الفصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب
المخرج من افعالكم حيث وصفتهم الله بالقرى واقدمتم على قتل الانبياء **ما قدمت ايديكم** انما ذكر الايدي على
سبيل المجاز لان القاعل هو الانسان لا اليد لان اليد لما كانت آلة الفعل حسنا والفعل اليها
ولان اكثر الاعمال تكون باليد فحصل كل عمل كالواقع باليد على سبيل التغليب **وان الله ليس مظالم للعبيد**
اي فيعذب بغير ذنب بل بغير ذنب وتعالى عما يشركون ومن العدا لا يفتاقيا للمسيح ويشبه الحسن قوله عز وجل
الذين قالوا ان الله عهد اليها قالوا ان الله لم يبعث في كعب بن الاشرف وما لك من الصبيح وذهب بن
يهود اوزيد بن النابغة وفتح من عازورا وحشي من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
ترعنا ان الله بعثك الينا رسولا واتزل عليك كتابا وان الله عهد اليها في التوراة ان لا تؤمن برسول
يرعنا من غير الله حتى ياتيها بقرآننا تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله الذي قال
يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد اليها يعني لم يبعثنا في كعب بن الاشرف **لوسول حتى ياتيها**
بقرآننا تاكله النار يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحد عن السدي انه قال ان الله تعالى
امر بنبي اسرائيل في التوراة من جاءكم بقرآن من الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقرآننا تاكله النار حتى
ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتيكم فامضوا بها فانما ياتيان بغير قرآن مراد غير الواحد عن عطاء كانت
هذه العادة باقية فيهم الى بعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت ونزلت وقيل ان ادعاء الشرط
كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتخفيفهم ويدل على ذلك ان المفسود في الدلالة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظهور المعجزة الخارقة للعادة معجزة التي بها النبي قبل منه وكان
دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب
على كافة الخلق اتباعه ونقد ديقه والقرآن كما يقترب به العبد الى الله عز وجل من اعمال
البر من سلكه صدقة ودخ وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة
والصلاة قربان يعني انها ما يقترب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبق اسرائيل
وكانوا اذا قربوا قربانا او عثما وغنما جمعوا ذلك وثاقا ربيضا من السما لا دخان لها ولعادوا بها
وحقيق فتاكل ذلك القران او الغنمة وتخرقه فيكون ذلك دليلا وعلاوة على القول واذ امر

بلغ

وجبات

يقول

يقول على حاله ولم تقبلنا روقا عظما كانت بنو اسرائيل يذبحون لله في اخذوا التوراة
واطابوا اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت
ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتقبلنا روقا عظما دوى وحفيف
ولادخان لها فتاكل ذلك القران ثم قال القران ثم قال الله عز وجل يحيا عن هذه الشهادة التي ذكرها هؤلاء
واقامة للحجة عليهم **قل** يعني قل يا محمد لولا اليهود **قد جاكم** يعني يا معشر اليهود **رسول من قبلي**
يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات يعني بالادلة الواضحات على صدقهم وبالله
قلتم يعني ما طلبوه من القران **فلم قلتموه** يعني فلم قلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل
زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانا خاطبهم بذلك اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا ضارين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في
دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقول ابايهم الانبياء مع اتيانهم بالقران
ثم قال تعالى **سلي النبي صلى الله عليه وسلم فان كذبك** يعني هو لا اليهود **قد كذب رسول من قبلك**
يعني مثل نوح وموود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل جاوا بالبينات يعني بالادلة الواضحات
والمعجزات الباهرات **والزبر** اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من
الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب له وفيه الحكمة وزبور الانه يترى يجر عن الباطل ويدعو الى الحق
والكتاب المنير اي الواضح المضي وانما عطف الكتاب المنير على الزبور لانه في فضلته وقيل الربا للزبور
الصحت وبالكاتب المنير التوراة والانجيل قوله تعالى **كل نفس ذائقة الموت** يعني ان كل نفس مخلوقة
ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزلت قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني
ادم فان ذلك الموت للحسن والاعظام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله ادم
عليه السلام اشكت الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها قودها ان يرد فيها ما اخذ منها
فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلبا حورا والولادة ان نفوس مخلوقة في الجنة
لا تدور في الموت فحكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قل لفظة كل لا تشقق الشئ والاحكام
بدليل قوله تعالى **وانيت من كل شئ ولم توف** ملك سليمان فتكون الآية من العام المحصور ويحتمل ان يكون
المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله **وانما توفون اجوركم** يعني توفون جزاء اعمالكم **يوم القيمة**
ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر **من خرج عن النار** وادخل الجنة **فقد فاز** يعني فاز بجوابه عن النار
وادخل الجنة فقد ظفر بالجنة وبجانب خوف **وما الحياة الدنيا الا متاع الزور** يعني ان العيش في هذه
الدنيا الفانية يذلل الانسان ما تشاء من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفها بمتاع الزور
لانها تفرغ من المحبوب وتخيّل للانسان انه يدوم وليس يدوم والمتاع كلما استمتع به الانسان من مال
وغيره وقيل المتاع كالناس والفرد في القصة ونحوه والفرد ما يفر الانسان مما لا يدوم وقيل الفرد
الباطل ومعنى الآية ان حصى منفعة الانسان في الدنيا كمنفعة هذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزل

عن قريب وقيل متاع مزرك يوشك ان يضحك ويترنح فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة
الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير من متاع الغرور لم يستغل بطلب الاخرة فاما من استغل
بطلب الاخرة فمات متاعه وبلاغ لما يوحى من متاع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل اعدوا لعبادى الشياطين ما لا يضرهم ولا تضرهم ولا تضرهم ولا تضرهم ولا تضرهم
ان شئتم فلا تعلم انفسكم ما اخفى الله من قرة عين غدا لا ترمي في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها واقروا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خوض من الدنيا وما فيها واقروا ان
شئتم في ذرعر عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الزور وقوله عز وجل
لتبلى الاموال لئلا تعلمن الله ما كنتم تبلىون فليؤتي المخرج ما يشاء الله ولا ياتى بخلق جديد
والاختبار طلبه لمعرفة ليعرف الجيد من الردى وذلك في وصفا له بحال لان الله تعالى عالم
بمخاتبة الاشياء قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد
معاملة المختبر في الاموال كما يعني بالابتلاء الاموال التي نقصان منها وقيل بآثارها فربما من الحقوق
وانفسكم يعني بالمصايب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعساير وخطب هذه الآية
المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدايد والمصايب ليصبروا على
ذلك حتى اذا القوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق من قصبة الشدة
بغته فينكروا ويشتمون منها ولتسمن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والذين اشركوا اذى كثيرا
قال عكرمة تركت في ابي بكر الصديق وفخا من عازورا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابنا
بكر الى فخاص سيد بن قينقاع فيسهره وكتب اليه مكة كتابا وقال لا يكره لانتقام على منى حتى
ترجع فجا ابوبكر وموتوش بالسيوف الى فخاص فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال فخاص قد احتاج
ربك حتى ينده فخرج ابوبكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتلن حتى
يشي حتى ترجع فقلت لاية وقال الزهري تركت هذه الآية في الحق النبي صلى الله عليه وسلم وكعب
ابن الاشرف اليهودي وذلك ان كان بجواب النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين
على قتالهم في شعره فعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن من لعن الله فانه قد
ادى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة الخباني فقلت قال عمر قال اية تله فلا قل قال لا فانه فقال له
وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصداقة وقد عانا فلما سمعه قالوا ايضا والله لثمنه
قالا فاقدا ببقائه ونكره الا ان ندهه حتى ننظر الى شئ يصير امره قالوا قد اردت ان تسلفني سلفا
قالا فانه منى فساكم قال انت اجل العرب نهنك شانا قال له تهنون ولا دم قال ليبت
ان احدا فيقال له منى وسقين منى ولكن نهنك اللامنة يعني السلاح قال نعم واعدته ان ياتي
بلحارث واني عيسى بن جبير وعباد بن بشر قالوا فانه عوه ليل اقترل اليهم قالت امرته اني لا اسمع
صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد وروى عن ابي نايبة ان الكرم لوى الى طعنة ليل الاجاب قال

في
وريشي

محمد اني اذا جاف سوف امده يد الى ارسه فاذا استمكنتم منه قد ونكم قال فلما ترنزل وهو متوخم
فقالوا بجعدتك ربح اليك قال نعم حتى فلانة اعطتسا العرب قال قتادة ان اسم من قال نعم
فسرقنا ونفتم ثم قال انا ذن لي ان عودا فاستمكن من ارسه ثم قال ونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه واذ اصحاب لسيروا المعازي فاختلف عليه سياهم فلم تقبل شيئا قال
محمد بن مسلمة فذكر معولا في سبي فاختدته وقد صاح عدرا منه صيحة لم يبق حولنا حصن الا واذت
عليه فار قال فوضعت في شدة ونه ثم تحاملت عليه حتى بلغت غائته ووقع عده والسوق صيب
الحارث بن اوس يرح في ارسه اصابه بعض اسيا فخرجنا وقد ابطا علينا اصاحنا الحارث
وترقه الدم فوق عناه ساعده حتى انا نايبتنا اثارنا فحملناه وجيتابه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخر الليل ومواقيم يصلي في سبنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف
وجيتا براسه اليه وتقل على جرح صا جانا فوجعنا ال اهلنا فاصبحنا وقد خافت اليهود وقتنا
بعده الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طغى به من رجال اليهود فقتلوه واتر الله عز وجل
في شان كعب بن الاشرف اليهودي لتبلىون في اموالكم وانفسكم ولتسمن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم
يعني اليهودي لتبلىون في اموالكم وانفسكم ولتسمن من الذين اتوا الكتاب من قبلكم
فغير وعظ اغنيا وما اسبه ذلك من اقترابهم وكذا هم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف
يحمي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يعني وان تصبروا واعلى اذانهم وتتقوا فيما لم يركبوه ونهاكم
عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكره والتقوى عبارة عن الاحترار عما لا ينبغي فان
ذلك من محرم الامور اي من صواب التدبير الذي لا شك ان الشدة فيه ولا ينبغي لها قل تركه واصله
من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعل لا محالة ولا تركه وقيل معناه فان
ذلك ما قد عزم عليكم فعله ايا الزمتكم الاخذ به قوله تعالى واذا اخذ الله اي واذا ذكر يا محمد وقتا اخذ
الله ميثاق الذين اتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلم خاصة وقيل المراد بالذين
اتوا الكتاب لعلوا والاجار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه
من الكتاب وهو قوله عز وجل ليبيننه للناس يعني ليبين ما في الكتاب ليعلم به الناس حتى يعلموه
وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشيروا للناس في هذه الكتابين من الاله لا يبل
الاله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه يعني لا يخفون ذلك عن الناس فينبذوا في الكتاب
وقيل الميثاق وراظهم اي فطر حوه وصنيعهم وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني الماكل
والرشي التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلةهم فليسوا ما يشرون فيهم الله تعالى على فعلهم ذلك وعلم
ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا لعلم اهل الكتاب ومن اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل
في علم هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب ومنوا التوراة وما شرف الكتب قال قتادة هذا

فقال الذي في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ذكر قوله فقال
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب بن مسعود وابو عبد الله قنانه هذا
في الصلاة يعني الذين يصومون قياما فان عجزوا فقفوا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون
الصلاة في حال من الاحوال بل يصومون في كل حال عن عمر بن حبيب قال كانت يوحنا سيرا فسالته
النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما قلنا لم نستطع فقاعة انا لم نستطع فعلى جنب
واخرجه الترمذي وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رحمه الله تعالى عنه
اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنبه يوحى برأسه ايما وقال ابو نيفة رحمه الله
بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة فقد وجبت الشافعي ظاهر الالية وهو قوله صلى الله عليه وسلم
وقوله صلى الله عليه وسلم لم يزل من حين خلقه لم يستطع فعلى جنب فليس على الجنب دوز غير ذوق
اكثر من ان يراه الله ولله ائمة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احد هذه الثلاث
حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يذكر الله عز وجل في كل احياؤه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فقد
مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لاية ذكر الله فيه كانت عليه من
الله ترة وما مشى احد مشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترمذي
وقيل من سأل النبي عنه وقوله تعالى وينفكرون في خلق السموات والارض اصل الفكر اعمال الخاطر في
الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وموقوفة مطروقة للعلم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة
بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكير الا في ما له صورة في القلب لهذا قيل تفكروا في الله ولا تفكروا
في الله اذا كان الله متروكا ان يوصف بصورة فذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق
السموات والارض وما ابدع فيها من عجائب مصنوعات وغرائب منتهى عناية الله لهم ذلك على الخلق
الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قاهرا مهابا حكما لان عظم ثوابه وافعاله يدل على
عظم خالفها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب
عن الفكر لان الفكر مستعمل في المعاني وموقوف الامور وبجانبها طلب الوصول الى حقيقتها وقيل
الفكرة تذهب للعقل وتحدث للقلب خشية كما يحدث الما للزرع النما وما جليت القلوب بمثل
الاحزان ولا استشارت بمثل الفكرة رينا اي يقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات
والارض قايدين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني جشا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيته
وكما قد ترك سبحانه تزيينا لك عن ان تخلو شيئا عشا لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني
انا قد صدقنا بوحدة انتك وان للجنة ونارا فقنا عذاب النار المقصود من قوله سبحانه انك
فقنا عذاب النار بقلوبهم عباده كيفيما له عا في امره ان يصفو فليقدم الشئ على الله ولا يبدل عليه
قوله سبحانه وبعد ذلك الشاياتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من قبل

النار فقد خربني اى هضته واذ للته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلفت في اخرايه
والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان ومولجيا المفراط فان قلت قد سكنت
المعزلة بهذه الالية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من
يدخل النار لا يكون يومئذ لقوله انك من تدخل النار فقد خربني والمومن لا يخزي قلت قد ذكر العا
في الجواب وجوها اخرها ما روى عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد خربني
قال من تخله وروى عن سعيه بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب
انما يصح على مذهب أهل السنة الذين يريدون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة
فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الناس تخلف في النار فهو داخل في قوله فقد خربني الوجه
الثاني في الجواب ان المدخلية النار مخزية في حال دخوله وان كانت عاقبة ان يخرج منها ومعنى
الاية على هذا فقد خربني بدخوله فيها وتغذيه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو
ابن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمة فانه يتسالى انا وعطا فسالته عن هذه الاية
ربنا انك من تدخل النار فقد خربني فقال نعم اخراجه جبريل اخرجته من النار ان دوزخ الخزي
مخرجا وهذا الوجه ملوا اختيارا بن جبريل الطبري لان من دخل النار فقد خزي بدخوله اياها
وانا اخرج منها وذلك الخزي هو هتك الخزي وفضيخته وقال ابن التباري حمل الاية على العموم
اولى من نقلها الى خصوص لادليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اسد المعاني وهو ان
الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكافر ومنها الاحمال يقال خزي
خراية اذا استحيى واذا عمل عملا يستحي منه ويحجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار
الحيا من الموتين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر بالهلاك بالخالود في النار وحاصل
منه الجواب ان لفظ الاخر مستعمل في التخييل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله
في طرفي النقي والاشياء على مصيب جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب
وهو انه لا يخاره النجس الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
لا يقتضي نفي الاخر مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخر اياها كما يكونوا مع النبي وهذا
النفي لا ينافيه اثبات الاخر في اجملة الاحوال فيحصل ذلك الاشياء في وقت اخر والله اعلم
قوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين الذين صنعوا العبادة في غير موضعها في انصار
يعني ينصرونهم يوم القيامة او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ربنا انتا سمعنا ناديا
ينادي بالايان قال ابن عباس وانك تفسر المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة
منه اقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله ودعنا الى الله ياذنه وقال محمد بن كعب القرظي
المنادي هو القرآن قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه من القول ان كل
احد يسمع القرآن ويؤمنه فاذا وقف الله تعالى بالايان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل

على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدة فصار كالداعي اليها واللام في الايمان
بمعنى اليعنى ببناء على الايمان **انما ابراهيم** فاما اي قصه قنار بنا فاعرفنا ان نوبنا اي كبار
ذنوبنا **وكنر عنا سيئاتنا** اي صغائر ذنوبنا وقيل ان العفر هو السور والتغطية وكذلك التكفير
فما بمعنى واحد وانما ذكرها للتاكيد لان الاحاح في الدعاء والبالغة فيه منه وباليه وقيل معناه
اعفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكنر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالفقران ما يزيل بالتوبة
من الذنوب وبالكفر ما يكفر بالطاعات **وتوقا مع الابرا** يعني في جملة ذنوبهم والابرار هم
الانبياء والصالحون والمعنى توقا على مثل اعمالهم حتى تكون في رجعتهم يوم القيامة وقيل توقا
في جملة اتباعهم واشياهم **ربنا واتنا ما وعدنا على سلك** يعني على السنة رسلك وقيل معناه
واتنا ما وعدتنا على ضد سلكك فان قلت كيف سالتوا الله اجاز ما وعد الله لا يختلف
الميعاد قلت معناه انهم لما طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب نجاح الميعاد
وقيل هو من باب اللجأ الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام
يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفون لم يقصدوا بذلك التذلل لهم بحجانه وتعالى انصرغ
اليه واللجأ اليه الذي هو سبب العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا من سيحى ثوابك وتوابعهم
ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاتهم لتلك الكرامة فسالوا ان يجعلهم
مستحقين لها وقيل انما سالوه لجعل ما وعدهم من النصر على الاعداء والواقعة علمنا انك
لا تخلق الميعاد ولكن لا نصبر لنا على حملك فجعل هلاكهم وانصرنا عليهم **ولا تخزنا يوم القيامة**
يعنى ولا تقللنا ولا تعضضنا ولا تقصصنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدنا على سلك
يدل على طلب الثواب متى حصل الثواب نرفع العقاب لا محالة فامعنى قوله ولا تخزنا يوم القيامة
وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المعصية من الية طلب التوفيق على الطاعة والعصية عن
فعل المعصية كما هم قالوا وقصا للطاعات واذا وقعنا لها فاصبرنا عن فعل ما يبطلها
وبوقصا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سبب لقوله
تعالى وبدل الله ما لم يكونوا يحسبون فانه وما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان
يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة فيوقف القليلة فسالوا
الله ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة **انك لا تخلق الميعاد** قوله تعالى **انما**
لم يرم يعني اجاب دعائهم واعطاهم ما سألوا اي وقال لهم اني لا اصنع عمل عاملا
يعنى لا احبط اعمالكم ايها المؤمنون بالانبياءكم عليها واجزيكم لها من ذكرها وانى لا اصنع
عمل عاملا ذكرها وانى عن امر سلة قالت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى كد
الناس في المعصية بشئ فانزل الله تعالى اني لا اصنع عمل عاملا منكم من ذكرا وانى بعضكم من بعض
الى والله عنده حسن الثواب اخرج به الترمذي وقوله تعالى **بعضكم من بعض** يعني في الدين والنصر

والموالاة وقيل كلكم من ادروحو او قيل معنى الكاف كما بعضكم كيعنى في الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعنى على خلق وسير في وقيل ان الرجال والنساء
في الطاعة على سكل واحد **فان من باجر واواجر جوامع** ديارهم واودوا في سبيل يعنى المهاجرين
الذين هجروا اوطانهم واهيلهم واذا هم للمشركون بسبيل سلامهم ومنايعتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرجوا منها جرحا الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى
في سبيل في طاعة وديني وانتقام مني في يوم المهاجرين الذين اخرجهم للمشركين من مكة فهاجر
طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد الهجرة
فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجرا الى الحبشة من المدينة
وقاتلوا وقتلوا يعني قاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار لا كفر عنهم سيئاتهم يعني
لا محو عنهم ذنوبهم ولا عقر لاهلهم **ولا دخلتم جنات تجري من تحتها الانهار** انما من عتد الله
يعنى ذلك الذي اعطاهم من كفاير سلباتهم وادخلهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم
والله عنده حسن الثواب وهذه انا كيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضل وكبره لانه
جواد كثرهم روي ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقرا المهاجرين الذين تنقوا بهم المكاره اذا امروا
سمعونوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم يقصده حتى يموت وهي في صدره فان
الله عز وجل يدعوا يوم القيمة الجنة ثباتي من خرفها وزيتها فيقول ابن عبادي الذي قاتلوا في سبيل
وقتلوا واودوا في سبيل وجهادوا في سبيل دخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب
وتاتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا والذين قبلنا من الذنوب والسيئات
الذين اشرتم علينا فيقول الرب عز وجل لا عبادي الذين قاتلوا في سبيل واودوا في سبيل
قد دخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليهم بما صبرتم فتعبر عني الدارقا لبعضهم
في هذه الايات تعلم من الله لعباده كيف يدعوا وكيف ينهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من
باب لا يتهاون اعلام ما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس
مرات ربنا نجاه الله عما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الايات وقال الحسن بن علي
عنهم نعم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبرنا انه استجاب لهم قوله عز وجل **لا يغرنك تقلب الذين**
كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في خاويل من الجيش يتجرون ويتنعمون
فقال بعض المؤمنين اني عدا الله فيما نرى من الجحور وخشيت الجحود فارتد الله هذه الآية لا يغرنك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم
لم يغتر فقط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضمهم في الارض
ونصرهم في البلاد للنجارات وطلبك لادباج والحاسب **مناع** قليل اي ذلك مناع قليل وبلغه

فانية ونعمة زائلة **ثم ما واهم** يعني مصيرهم في الآخرة **جهنم وبليس** هما ما دأى ويلى القراش
ي قوله تعالى **الذين اتقوا ربهم** فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب
ما نهاهم عنه من مقاصبه **ام جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** لا يترلاى جزا وثوابا
والترلاى ايها الضيق عند قدومه **من عند الله** يعني من فضل الله وكرمه واحسانه **وما**
عند الله يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع **خير للابرار** يعني ذلك الفضل
والنعمه التي اعد الله للمطيعين **الابرار** خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا
ومتاعها فانه قليل **ترايل** عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انا
في مشرتة وانه لعلني حصيرا بينه وبينه شي وحتت براسه وسادة من ادم حشرها ليلف وان
عند من جليله قرطا مصبورا وعند من سده اهب معلقة فرايت اثر الحصار في جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسري وقصيرتيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون
لما الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرة والعينة والمشارب لعلالي قوله عز وجل **وان**
من اهل الكتاب من يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس تلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه اضمحه ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات فاه جبريل عليه السلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحاكمه اخرجوا فاضلوا على
اخ لكم مات بغير اذنكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر من ر النجاشي
فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المناقبون انظر الى هذا يصلي على عبيدتي نصراني
لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية وقيل تلت في ربيع رجل من اهل عمار واسين في ثلاثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صلى الله عليه وسلم فامسوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ومعه قوم
وقيل تلت في عماره بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل تلت في جميع مواعي
امل الكتاب وهذا القول الاول لانه لما ذكر احوال الكفار وحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى
النار ذكر حال من من اهل الكتاب وان مصيره الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض
اليهود والنصارى امل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدة الله وما انزل اليكم
يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة
والانجيل والزبور **خاشعون** يعني خاضعين ومتواضعين غير مستكبرين **لا تشعروا بايات الله**
ثما قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يجرؤونها ولا يكتمون مفعه محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرئاسة
والسلك والشاكا يفعلون غيرهم من رسا اليهود اوليك اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب
لم اجرهم عند ربهم **ان الله يريد احسابهم** يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من اعمال
عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سميع احساب ياربها الذين آمنوا اصبروا يعني على دينكم الذي
انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا تغيروها واصل الصبر حبس النفس على مقتضيه شرع ولا اعتدوا الصبر

لفظ

لنقطع عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول
القضا وصبر في الرضى وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على اداء النماز وقيل على
تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلا وقيل على الحما وقيل اصبروا على
احكام الكتاب والسنة **وصابروا** يعني الكفار والاعداء وكما به وهم **ورابطوا** يعني وداوموا
على جهاد المشركين وابتنوا عليه واصل الماربة ان يربط هؤلاء خيولهم ويؤلا خيولهم بحيث يكون
كل من الحصين مستعدا القتال الاخر ثم قيل لكل مقبم شغل يدفع عن من وراءه رابطوا ان لم يكن له مركب
مربوط عن سهل من سعدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قال رباط يوم في سبيل الله والغدوة
لخير من الدنيا وما عليها والروحة بروحها العبد في سبيل الله او الغدق خير من الدنيا وما عليها
عن سلمان الخبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه
وانما ان في جري عليه الذي كان يعمل واجر عليه رزقه وان الثبات وقيل المراد بالرباط انتظار
الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو رباط فيه
ولكنه انتظار والصلاة خلفا الصلاة ويبدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذككم على ما يحو الله به لخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول
الله قال اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط فذلكم الرباط اخرجته مسلم **واتقوا الله لعلكم تفلحون** قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل
واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا التقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الآية
يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلاى وصابروا على غياى ورابطوا على مجاهدة اعدائ واتقوا محبة كوي
لعلكم تفلحون لعلنا وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على الباسا والعزاء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا
الله اذروا السما لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا على الدنيا ونجها رجا السلامة وصابروا عند
القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعينكم الله لعلكم
تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده وامر ان كتابه تفسير سورة النسا مكية وبى ما به خمس
وسبعون آية وثلاثة الاف وخمسون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا **بسم الله**
الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يا ايها الناس** خطاب للامة فهو كقوله يا بني ادم **اتقوا ربكم** اي اخذوا ربكم
ان تخالفوه فيما امركم به او تفكروا عنه ثم وصف نفسه بكلام الله تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة**
يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انت الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به
الذكر فهو كما قال بعضهم هو ابرك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكاكة انا قال ولدته اخرى
لثانيته خليفة **وخلق منها زوجا** يعني حواء ذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام التي عليه النعم
ثم خلق حواء من ضلعها اليسرى وهو قصير فلما استيقظا راها جالسة عند راسه فقالا لها مات
قال تارة قال ما خلقت قالت خلقت لتسكن الى في اليها والفرح لانهما خلقت منه واختلقت في اي وقت

في الدنيا والآخرة
والله اعلم بالصواب
والله اعلم بالصواب
والله اعلم بالصواب

خلقت حواء قال كعب لا حبار وروى ابن سحاق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود
وان عجلان لما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبقى منها يعني بشر واطار من ادم وحوار جالا
كثيرا ولما وصف الرجال بالكثره ونساء الان خال الرجال اتم واكمل وهذا كالتبعية على
ان اللاتي جال الرجال الظهور والاشتهار وبالنساء الاختفاء والاحوال **واقفوا** اسماء النبي تعالى
انما كرم ذكره التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والنساء بالله موكلون اسالك بالله واخلف عليك
بالله واستشعرك اليك بالله **والاحكام** قرى بفتح الميم ومعناه واقفوا الاحكام ان تقطعوها
وقرى بكسر الميم كقولك سالتك بالله وبالرحم وناسه بك بالله وبالرحم لان العرب كان من
عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم
واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يترحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية
دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك
ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله
الله ومن قطعني قطعني **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه
من رزقه وفيه ناس في اثره فليصل رحمه قوله ينسأ في اثره اي يوحى في اجله **ق** عن جابر بن مطعم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم
وعن الحسن قال من سالتك بالله فاعطه ومن سالتك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم
معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل شئت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه
ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صنعة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما
خلق في خلقه فينظر ويدخل عليه خلافا فيلزم الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من امر خلقه فينقله
ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى
واتوا اليكم اموالكم تزلت في رجل من عظماء كان معه مال كثير لا ينال خله يتيم كان في حجره فلما
بلغ اليتم طلب المال الذي له فتمعه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فركلت هذه الآية فلما سمها
العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول فاعوذ بالله من الحول والكبر ودفع الي اليتم ماله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويضع ربه هكذا فانه يجلب اياه يعني جنته فلما قبض
الصبي ماله انفقته في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت لاجر وبقي الوزر فقالوا كيف
بقي الوزر قال ثبت لاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى واتوا الاوليا والاوصيا
واليتم اجمع يتيم وهو الصبي الذي ماتت ابوه واليتيم في اللغة الاتقاد ومنه اليتيم لان لا
واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقا معني الاتقاد من الابالكن في العرف اختص اسم اليتيم
بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم
وسيل ان يجلس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قاله الاوش من الرشد وانما ساءم يتاي

ابن
ابن

بعد البلوغ على مقتضى اللغة اول قرب عمد هم باليتيم وان كان قد نزل عنهم بالبلوغ وقيل
المراد باليتامى الصغير الذي لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتم اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد
وقيل معناه واتوا اليتم الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح
ان المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا
تنبه لوائى ولا تشبهه لوان **الحديث الطيب** يعني بالحديث الذي هو حرام عليكم بالخلال اموالكم
واختلفوا في هذا التبدل فقال سعيد بن المسيب والحكمي والزهرى والسدى كان وليا
اليتامى ياخذ من الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فيما كان احدهم ياخذ
الشاة السمينه ويجعل مكانها المزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف يقول
شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبدلهم فهو اعنه وقال عطاء بن الرخ في مال اليتيم وهو
صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس يا به الحقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان املا
الجاهلية كانوا الا يورثوا النساء والصغار وانما كان ياخذ الميراث الا كابر من الرجال وقيل هو
اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فهو لغو ذلك **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** يعني
مع اموالكم وقيل معناه ولا تنضموا اموالكم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى عني عن اكل
مال اليتيم وادابه جميع التصرفات المملوكة للمالك وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصوداته
كان حوبا يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق امر عظيم والحول لا ثم قوله عز وجل وان خفتم
الاتسوطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اوليا اليتامى لاتعدوا فيهم اذا انكحتموه فانكحوا
غيرهم من الغريب **ق** عن عروة انه سأل عائشة عن قوله تعالى وان خفتم الاتسوطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اخي هي اليتيم تكون في
حجر ولها في رغبة في جمالها ومالهها وبريدان يتقصصا قها فتعوضا عن نكاحها لان يفسطوا
له في اكمال الصداق وامر وانكاح من سواها قال عائشة فاستفتي الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فاتزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان تنكحوا فيمن الله
لهم في هذه الآية ان اليتيم اذا كانت ذات جمال وماله غنوا في نكاحها ولم يحق لها بنسبها
في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والحال تزكوها والتمسوا غيرها من
النساء لانها يتركها خيرة غير غنوا عنها فليست لهم ان ينكحوها اذا رغبتوا فيها الا ان يعسوطا
لها ويعطوها خيرا الا وفي من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده
الايتم وفيه من يحل له نكاحها فيزوجها لاجل مالها وهي لا تجبه كراهية ان يدخل غريب
فيشاركه في مالها ثم يبني صحتها ويترحم لها الى موت فيرثها فاجاب الله ذلك عليهم
واتزل هذه الآية وقال عكرمة في روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشرة من
النساء او اكثر فاذا صار معدوما من موز نسائه مال الى مال يتيمة الذي في حجره فانفقته فقيل لم

والعني فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصدق المعين فومدين ذلك لكم فتقل العقل من النفوس
 الى اصحابها فخرجنا النفس منسرا فلا لك وحد النفس وقيل لقطه واحد ومعناه **كلمه يعق**
 ما وهبته لكم **هينكم** يا يعني طيبا سائعا وقيل المعنى الطيب المساع الذي لا ينقصه شئ والمراد محمود
 العاقبة وفي الآية دليل على باحة هبة الله لها واهلها وانما تلكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى **ولا**
توقوا السفها اموالكم اختلفوا في مولا السفها من هم فقيل هم النساء من اهل الرجل الذين يتولوا
 النساء اموالهم سواء كن أزواجا او بنات او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقولون لا ينفقون على النساء
 ما لا الذي هو قدامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هو المترك وابنتك السفية قال ابن عباس لا تنه
 الى ما لك الذي خولك الله وجعله لك معيشة ففقطيه مراتك وابنتك فيكونوا هم الذين يتولون
 عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك بالذواصل وحكن انت الذي تنفق عليهم في زرعهم وموتهم
 فقال الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفية مفسدة وان ولده سفية مفسدة لا ينبغي له ان يسلط
 واحدا منها على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير مولا البيتيم يكون عندك يقولون لا تنفياها
 وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف الاموال الى الاوليا لانهم قوامها وروها واصل السفه
 الخفة واستعمل في خفة النفس ليقض العقل في الامور الدنيوية والدنيوية والسفية المستحق
 للمجهول الذي يكون منه رافى ماله ومفسدة في دينه فلا يجوز لوليها ان يدفع اليه ماله وقيل ان
 السفه المذكور في هذه الآية ليس بوصفة ذم لولا وانما سموا السفه الخفة عقولهم ونقصان
 تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال لقوله تعالى ولا تولوا السفها يعني للجهاز بموضع الحق
 اموالكم **التي جعل الله لكم قياتا** يعني قوام معاشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معاشهم
 كن انت قيم اهلك تنفق عليهم ولا تقطع مالك امرتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
 ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة
 لان به قيام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارض قوم فيها اي اطعموهم **والكم**
 يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهي الله عن اتيا المال للسفية امران يجريان رزقه
 وكسوته وانما قال وارض قوم فيها ولم يقل منها لانه امراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من
 الله تعالى والعطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموقوف للمعلوم
 لوقت معلوم محدود **وقولوا لهم قولا معروفا** يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب
 ويزيل السفه وقيل معناه عدمهم عنه جملة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا منحت
 اعطيتك وان غنمت فغنمت لك حظا وقيل معناه الدعاء الى ان يرضى ان لم يكن
 ممن يجب عليك نفقة فقوله عافانا الله واباك بامر الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا
 نطيب به انفسهم وموان يقول الولي لليتيم السفية مالك عندي وانا امير عليه فاذا بلغت
 ومشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علمهم مع اطعامكم وكسوتكم ايامهم امر دينهم

وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل **وابتلوا اليتامى** الآية تزلت في ثابت بن قيس
 ابن رفاعه وفي عمه وذلك ان رفاعه مات وترك ابنة ثابته وموصفيا فاجعه الى النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال له ان اخي يتيم في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله
 هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحقوق اموالهم **حتى اذا بلغوا**
النكاح اي مبلغ الرجال والنساء فان استتم اي بصرتم وعرفتم منهم **رشد** اي يعني عقله وصلاحا
 في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلح **فصل** في احكام تتعلق بالبحر وفيه مسائل
 المسئلة الاولى لا يتلاخلف باختلاف احوال اليتامى فان كان من يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق
 يدفع اليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان من لا يتصرف في الاسواق فيختار
 بنفقه على اهله وعبيده واجرايه وتصرفه في احوال داره واختيار المرأة في امر بيتها وحفظ
 متاعها وغرلها واستغرها فاذا اراد ان يبيعها يبيعها بحسن تصرفه في الامور سرازا
 يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان يتحارب عليه عليه
 السفه حتى يولس منه الرشد المسئلة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل
 المميز اذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله لهذه الآية وذلك
 لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ
 والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للولي
 بالاذن لم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى
 الاذن لم في التصرف حال الصغر بل قوله فان استتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما
 تدفع اليهم بعد البلوغ واما الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر
 فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء ما هو اختبار عقله واستبرأ له في معرفة
 الصالح والمفسد المسئلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشتركان فيهما
 الرجال والنساء افا حدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان
 او جارية ويدين عليه ما روى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا
 ابن اربع عشرة سنة فرد في ثم عرضت عام الحندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجاز في اخراجه في
 الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة
 وبلوغ الغلام باستكمال ثمانية عشرة سنة والثاني الاختلاف هو ان قال المتي الى اق سوا انزل بالصلام
 اوجام فاذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم
 الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل عالم دينارا اما البنات الشعر الحسن حول
 الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المسلمين لما روى عن عبيدة بن جراح قال كنت من بني قريظة فكاونا
 بنظرة فمنا بنت لشعر قتل ومن لم يثبت لم يثبت فكنيت من لم يثبت وهل يكون ذلك علامة

المراد من الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للولي بالاذن لم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لم في التصرف حال الصغر بل قوله فان استتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما تدفع اليهم بعد البلوغ

على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني
لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لان يمكن الوقوف على مواليده اولاد المسلمين والجمع
الى قولنا بلوغا بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قولنا بلوغا بلوغا
فجعل الانبياء ما الذي هو امارته البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يخفى بالنسبة الى الحيض
والجبر فاذا احضنت الجارية بعد استكمال سنين حكم بلوغها وكذلك اولاد حكم
بلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسيلة الرابعة في بيان الرشد وهو
ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب القواحي والمعامي التي
تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون منه ربا او كسبا من غير ما له فيما لا
يكون فيه محرم دينيا وبنية ولا مشوبة اخرها ولا يحسن التصرف في بيعه والسر
فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه فيما له وبه
قال الكافي وقال ابو جعفر اذا كان مصلحا لماله من العتق والحجر وان كان مفسدا لماله ودينه واذا كان
مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران
حجة السافعي في استدانة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان اقمتم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم امر يدفع المالا بعد البلوغ وانما الرشد والفاسق لا يكون رشدا وبعد بلوغه خمس وعشرين
سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المالا اليه كما قبل بلوغه هذا
النسب المسيلة الخامسة اذا بلغ الصبي والجارية ووفى منه الرشد من العتق والحجر ودفع اليه
ماله سواء تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع اليها المالا لم تزوج فاذا
تزوج دفع اليها ماله ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب لميله السادسة
اذا بلغ الصبي رشدا او ز العتق والحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان منه الماله حجر عليه وان
كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستداهم اذا بلغ وهو كفاؤه
الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكمه الام اقوى من حكم الابتداع وعنده ان جنيته لا حجر على
الحجر العاقل البالغ بحال والده ليل على ابيات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن عروة
عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا بسبعة بشتير الف درهم فقال علي لا تبيع عثمان ولا جبر
عليك فاني ابن جعفر الزبير فاعلم بذلك فقال الزبير انما شريكك في بيعك فاني علي عثمان فقال
اجعل علي هذا فقال الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير ليدفعه وقوله تعالى
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا والخطاب الاوليا يعني ما يعسر الاوليا لا تأكلوا اموال
اليتامى غير حق وبدا ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدكم فتعطلون في انفاقها وتقولون
نتفق كما تشئ قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم ينقض على حال الاوليا وقسمهم فتمت
فقال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف فليستعفف من اكل مال اليتيم ولا يراه قليلا ولا كثيرا ومن كان

فقيرا

فقير يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه **فلياكل بالمعروف** روى ابو داود عن عمرو بن
شعب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شيء فاني
فقال كل من مال اليتيم غير مسرف ولا متبادر ولا متائل واختلف العلماء في حكم هذه الآية
فروى عن عمرو بن عباس وابن جبير وابو العالية وعبيدة السلماني وابو جهم ومجاهد
انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاة ذهب قوم الى
انه يلزمه القضاة اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض ان
يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاة وهو قول مجاهد وسعيد بن
جبير قال عمر بن الخطاب اني اترلت نفسي من مال الله تعالى بمزلة مال اليتيم ان استغنيت فلتعفت
وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسر قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما ياكله
كالا حرة له على عمله وهو قول الحسن والسبي والتخعي وقادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر
اليه كما يضطر الى الميتة ثم القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف
فقال عطاء وعكرمة ياكل ثيابا فاصابعه ولا ييسر ولا يكتفي منه ولا يلبس الكنان ولا الخلد
لكن ياكل ما يسه به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن كل من لم يخله ولبن وما شابه
بالمعروف ولا قصاص عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئا فان خذ وجب عليه رده
وقال الكلبي للمعروف مور كود لداية وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيئا وروى
ان رجلا قال لا نعيك في بيتي ما وان له ابلا افاشر من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تنبغي ضالة
ابله وتهاجر بها لها وتلط حوضها وتسقيها بوم وردها فاشرب غير مضرب ل ولا ناهك
في الخبز قال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه واجر عمله ولا قصاص عليه وهو قول عابدة
وجامعة من عمل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر يشاد
وليس بواجب امر الله تعالى الولي ما لا يشاد على دفع المالا الى اليتيم بعد البلوغ لئلا يلعنه
التممة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عند يمينه كان بعد من ان يدعي عدم القبض وظاهر
جذ لك امانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض وكفى بالله حسيبا يعني
محاسبا ومجازيا وشاهد به قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقران وللنساء
الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته يقال لها ام كح وله ثلاث بنات منها فقام
بجلائها ابن عم الميت ووصياء يقال لها مسودة وعرجة فاخذ ماله ولم يعطها امراته ولان الله شيئا
من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء الا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون
الرجال ويقولون لا نعطى الارث الا ما قاله جازا القينة وحكي اخوة ثبات ام كح امراة اوس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات واذا
امرته وليس عندي ما اتفق عليهن وقد ترك ابونا ما لا حشوا وهو عند مسودة وعرجة ولم يعطاني

واللبنانة منه نساء وبنات لا يطعن ولا يستغنى فداها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اريد ان يكون فرسا ولا يحجل ولا لا يسكن عنده وانا نزل الله عز وجل هذه الآية وبنيان الارث غير مختص بالرجال بل امر بشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني المذكور من اولاد الميت وعصبته نصيبا خط ما تركه الوالدان والاقرن يعني من الميراث وللنساء نصيب يعني وللانثى من اولاد الميت حظ مما تركه الوالدان والاقرن ما قل منه اكثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفرغا يعني معلوما والفرص ما فرضه الله تعالى وما واكده من الواجب فلما نزلت هذه الآية بمكة ولم يبين كرم الموصل نصيبا لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرجة لا يفرقان من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبنانة نصيبا مما ترك ولم يبين كرم حتى انظر ما يترك فيترك الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرجة ان ادعيا الى ام تحة الثمن مما تركه الى لبنانة الثمن ولما باقى المال قوله عز وجل واذا حضر الغنمة يعني فتمت الميراث فعلى هذه القول يكون الخطاب للوارثين او للوارثين يعني الراية الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وكما جنتهم فافترق قومهم منه اى فارفق الميراث من المال قبل الغنمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقالوا هذه الآية منسوخة بآية الموارث وهذا قبل نزول آية الموارث فلما نزلت آية الموارث جعلت لاهلها ونسخت هذه ومرواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقادة وقال قوم بى بحكمة غير منسوخة ومرواية اخرى عن ابن عباس وهو قولنا الى موسى الاشعرى والحسن والى العالية والشعب وعطاب بن الحريز كبراح وسعيد بن جبير ومجاهد والتخفي والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب ام نذوب على قولي احد مما انه واجب فقل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ من حصص الغنمة شيئا من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الولد صغيرا وجب على الولي ان ينفذ اليهم ويقول اني لا املك هذا المال وهو لهؤلاء الغنم قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعندوا اليهم فيقولوا الولي والوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان له من شيء لا عطيتمكم وان يكبروا فليس فوز حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فان كانت الورثة كبارا اتولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطوا اليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولادة الآية لكانت هذه اسمى في مال الحسن والتخفي هذا الرفع مختص بقسمة الاعيان فاذا الامر الى قسمة الارضين والرفيق وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولهم فافعلوا قولا يعطون الثابت والاواقي ورث الثياب والمتاع الذي يستجيب من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر نذوب واجتباب لا على سبيل الفرز والاجاب وهذا القول هو الامح

الذي عليه العمل اليوم واحتجوا بهذا القول بأنه لو كان له ولد آخر لم يكن له ولد آخر قالوا كما بين
سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا أن ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية أن المراد بالقبلة التي
فاذا حضر الوصية من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمره الموصي أن يجعل لهم نصيباً من
تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولاً معروفاً وهو أن لا يتبع العطية بالمن والذى قوله تعالى
وليخص الذين تركوا من خلفهم ذرية ضعفاً يعني أولاداً صغاراً خافوا عليهم يعني الفقير قيل هذا
خطاب للذين يحملون عند المريض وقد حضر الموت فيقولون له انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك
لا ينفون عنك شيئاً فدم لنفسك اعتق ونفدق واعط فلا يرز الوز به حتى يأتي على عامة ماله
فها هم الله عز ذلك وأمرهم بأن يأمروا بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف بالمعق
كما أنكم تذكرون بقا أولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاحشوا الله ولا تخموا المريض على أن
يجمع أولاده الضعفاً من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضى
لأخيك المسلم وكما أنه لو كان هذا القابل والموصي لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا
يدعم عالة يتكفون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل ما بال رجل يحضر الموت ويريد أن يوصي بشئ
فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وأمسك مالك لولده فيمنعه من الوصية لا قاربه المحتاجين
وقيل يحتمل أن تكون الآية خطاباً لمن قرأه لعله ويكون المقصود نهي عن تكثير الوصية لئلا يتقوى ورثته
فقرضاً ضاعاً بعد موته ثم إن كانت هذه الآية تزل قبل تعدية الثلث كان المراد منها أن يجعل
الوصية مستغرقة للتركة وإن كانت قد تزل بعد تعدية الثلث كان المراد منها أن يوصي بالثلث
أولاً قبل مناداة أخاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة أنهم وصوا بالقليل لاجل ذلك كانوا
يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث
كثيراً لأن تذر ورثتك أغنياهم من أن تدهم عالة يتكفون الناس يعني يسألونهم بأكرمهم وقيل ما هو
خطاب لوليا اليتامى والمعنى ليخص من يخاف على ولده من بعد موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف
الذي ذرية غيره إذا كان في حجره وللمقصود من الآية أن من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليت
أوصيه وليفعل به ما يجب أن يفعل ما ولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الأمر الذي تقدم ذكره
وليقولوا قولاً سديداً يعني عدلاً وصواباً فالقول السديد من الحاسن عند المريض ما وإن يأمروا بأن
يتصدق به من الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وإن لا يجحف في وصيته والقول السديد من
الأوصياء ولوليا اليتامى أن يعلمهم بما يملكون أولادهم ولا يوزوهم بقول لا فضل قوله عز وجل أن الذين
ياكلون أموال اليتامى ظلماً قل ألقوا ما تملك من حبان تملك في رجل من غطمان يقال له مرثد من زيد مال اليتيم
وكان اليتيم إن أخيه فأكله فاترك الله هذه الآية أن الذي ياكلون أموال اليتامى ظلماً يعني حراماً بغير حق
أنما ياكلون في بطونهم ناراً يعني سيأكلون يوم القيامة ناراً فسي الذي ياكلون ناراً بما يورث إليه أمرهم
يوم القيامة قال السدي يبعث كل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة وليب لنا يخرج من فيه من سكاكه

واذنيه وعينيه والنفه يعرفه من رآه بالكمال البتيم وفي حديث لى سعيد الخدرى قال حدثنا
البتيم صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسرى به قال نظرت فاذا انا بنوم لهم مشافركسافر الابل وقود وكل
هم من ياخذ مشافركهم يجعل في افواههم صخر من نار يخرج من اسافهم قلت يا جبريل من هو لا قال
هو لا اله الا انت يا كلون اموال اليتامى ظلما انما يا كلون في بطونهم نار او قبل انما ذكر الكلالا على سبل
القنيل والتوسع في الكلام والمراد ان الكلالا البتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الكلالا بالذكر
وان كان المراد سائر انواع الانلافات وجميع التصرفات الدنية المقتضية للمال لان الضرر يحصل بكل
ذلك للبتيم فغير عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك
رايت يعني ولعلت باذني **وسبيلون** يعني بالكل اموال اليتامى ظلما والسعي النار الموقدة هر
للمسترة ولما تزلت هذه الآية تقلد ذلك على الناس واحترزوا عن مخالطة اليتامى واهلهم بالكلية
فشق ذلك على اليتامى فقل قوله وان تخاطبوا فاحذروا انكم قد تفرقوا بعضكم من اقول وان تخاطبوا
ناسخ لهذه الآية وهذا غلط من توجهه لان هذه الآية تواردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا
لا يصير منسوخا لان الكلالا البتيم بغير حق من اعظم الاثام وان تخاطبوا فاحذروا فانها تارة
على سبل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب قوله تعالى **يوصيكم الله في**
اولادكم للمزكروا **الانبياء** اخلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مضى
فاذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود في ابوك ومما شيا في فوجدنا في اغني على قنصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم صبه ضوه على فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف
اصنع فيما لي كيف افقني في ما لي فلم يجبني بشي حتى تزلت اية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الكلاله
فكيف الميراث فزلت اية الفرائض وفي رواية اخرى فزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى
فلم ير على شيئا حتى تزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرج البخاري وسلم وقال
مقاتل والكلبي تزلت في ام كحة امرأة او من ثقات وبناته وقال عطاء تزلت تزلت في سعد بن الزبير
الغنيب استشهد يوم احد وترك امرأة وبنين واخا عن جابر رضى قال جات امرأة سعد بن الزبير
بابيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ها انا ابتاسع من الزبير
قتل ابوها معك يوم احد شهية او ان عمها اخذ مالها فلم يدع لها مالا ولا ينكحان الا ولما مال
قال يقضي الله في ذلك فزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمها فقتل اعط
ابنتي سعد الثلثين واعط امها الثلثين وما بقى فهو لك اخرج الزمذى وقال السدي كان اهل
لجاءه لية لا يورثون الجوازي ولا الضعفاء من العلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال
فما ت عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجات الورثة واخذوا ماله فشكت
امرته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقيل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة
نقدم فصولا تنظم احكام الفرائض واصول قواعدها فصل في الحديث على تعليم الفرائض علم

ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذكرا وفضلها ذكرا وهوركن من اركان
الشريعة وخرج من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكليفوا في
فروعها واصولها ويكني في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة
من محال قدسه وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيباروا ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرا وعلما الناس فاني مقبوض اخرج الزمذى وقال فيه
اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرى مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف
اشان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبر بما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا
الفرائض وعلوها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسب واول شي ينزع من امتي اخرج ابن ماجه والدارقطني
فصل في بيان احكام الفرائض اذ امات الميت ولمعاليه ابتهجيره من ماله ثم يقضاد يونه
ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من
الرجال عشرة الابن وان الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سوا كان لاب وام اولاد اولاد
واولاد الاخ للاب والام والاب وان سفل والعم للاب والام والاب وان سفلوا والزوج
والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدرة وان علت ولاخت
من كل الجهات والزوجة وللمتعة وستة من مولا لا يلحقهم حيل كحرمان بالغير وهم الابوان
والولدان والزوجان لانه ليس بينهما وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف فصنف
يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والخوانت والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث
بالتعصيب وهم البنوز الاخوة وبنوهم والاعام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض
اخرى وهم الاب والجد فيرث بالتعصيب اذ لم يكن للميت ولد فان كان له اب يرث الاب بالفرض
السدي وان كانت بنت ومث السدي بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع
المال اذا انفرد وياخذ ما فضل عن محاب الفرائض فصل في اسباب الارث ثلاثة نسب
ونكاح وولاد فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح ما وان يرث احد الزوجين من صاحبه
بسبب لنكاح والولاد ان المعتق ومعتبا انه يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف
الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا
مع اختلاف مللهم واديا نعم لان الكفر كله مله واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكنف
يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والمجوسي من الهندوسي واليهودي
والاراعي واحد واسحاق لما روي عن جابر انه روى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل
مليتين اخرج الزمذى وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمر بن القامران ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم قال لا يتوارث اهل مليتين شي اخرج ابو داود وحمله الاخرين على الاسلام والكنف لان الكفر

عند سبعة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين اثنين والرق يمنع
الارثان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقفل يمنع الارث عما كان القفل او خطا لما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرج الزمدي وقال هذا حديث لا يصح
والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان
القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعفي الموت وهو ان يخفى موت المتوارث في ذلك بان عرفا
او انعدم عليه ما بنا فلم يدر ما سبق موته فلا يرث احدهما الاخر بل يكون ميراثا لكل واحد منهما
لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته فصحت والسهام المحدودة في الفرع ايضا المذكورة في
كتاب مد عمر وجل ستة النصف والربع والثلث والثلثان والثلث والسدس فان النصف من
خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب وبنت الابن عند عدم
بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذ لم يكن ولد للاب وام وفرض الاخت للاب
عند عدم الشقيقة والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثلث فرض الزوجة
مع الولد والثلثان فرض الشقيقتين فصلا او لثبات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين
فصلا للاب والام والاب والابن الثلث فرض ثلاثة فرض من لامر اذ لم يكن للميت ولد ولا اثنان من
الاخوة والاخوات الا في مسلك واحد مما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فالف للام فيها ثلث
الباقى بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الابن فصلا عما من اولاد الام ذكرهم وانما فيه
سواء فرض للجد مع الاخوة اذ لم يكن في المسئلة صاحب فرض فكان الثلث خيرا للجد من القاسمة
مع الاخوة والسدس فرض من سبعة فرض الاب اذ كان للميت ولد وفرض الام اذ كان للميت ولد او
ولدا اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجدة اذ كان للميت ولد ومع الاخوة اذ كان في
المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من القاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدة وفرض
الواحد من اولاد الام ذكر او انا وفي فرض بنات الابن مع بنت الصلب تكمل الثلث وفرض
الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكمل الثلثين عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحق الزايف باهلها فما بقي فهو لولي رجل ذكر عن ابن عباس قال كان ابا الولد الوصية
للولي فلنفسه من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد
منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج النصف فضل رقي عن زيد
ابن ثابت قال ولد لابنا بمنزلة الابن اذ لم يكن دون ابن ذكرهم ذكرهم وانما هم كانوا هم
يرثون كما يرثون كما يحجوز ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن اذ كان
للبنات النصف والابن الباقي لقوله صلى الله عليه وسلم لم يبقوا الغرايض باهلها فما بقي فهو لولي
رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجج حجتان حجب نقصان
وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فتقوان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف

الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات
يحجوزن للام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فتقوان الام تسقط الجدة
واولاد الام ومنهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا واولاد ولد الابن واولاد
الاب والام ومنهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الاب وان سفلوا ولا يسقط
بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي بن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي
واحمد واولاد الاب يسقطون بولاد الثلاثة وبالاخ للاب والام وذمتهم قوم الى الاخوة جميعا
يسقطون للجد كما يسقطون للاب وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ بن ابي الدرداء وعائشة
وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرن من العصبات يسقط الابعدهم فاقروهم
الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب
والام اطلاق يشتركان في الميراث فان لم يكن جده فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنوا الاخوة يقدم
اقربهم سواء كان لاب وام فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اول ثم العم لاب ثم بنوه هم
على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجدة على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات
النسب وعلى الميت ولا فاليراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور
بعضهم لاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو ماتت عن ابن وبنت وعن
اخ واخت لاب وام اولاد يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت
وكذلك لابن الابن يعصب عن في درجة من الاناث ومن فوقه اذ لم يات من الثلث شيئا حتى لو مات
عن بنت وبنت ابن للبنتين الثلثان ولاشيء للبنت الابن فان كان في درجة ابن ابن واسفل منها
ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام والاخت تكون مع البنت
عصبة حتى لو ماتت عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو ماتت
عن بنت واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن جابر
قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللأخت النصف وايتا نسوة
فينا يعني فصيل ابن مسعود واخير يقول ابى موسى فقال ابن مسعود فقلت اذا ومات
من المتهين ثم قال لا افيق فيها يقضار رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف والابنة الامن
السدس تكمل الثلثين وما بقي فللاخت فما خير ابو موسى يقول ابن مسعود فقال لاناث الوفا لمخام
هذا الخبر فيكم اخرج البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي بعد اليكم ويفرض
عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذ اتمم الوصية من الله ايحباب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث
الاولاد لان تعاقبهم بالانسان بولده اسد من تعاقبه بغيره فلهذا اقدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل
حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعف سهم الانثى للذكر كسهم الانثى للسهم فلو
حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل العرض كالابوين اخذوا فرضهم وما بقي بعد ذلك كان بين

الاولا لذلك مثل حظ الانثيين فان كان يعني المذكور من الاولاد نسبا فوق اثنين فلان ثلثا
ما ترك يعني بنتين فصاعدا واجمعت الائمة على ان للبنتين الثلثان الا ما روي عن ابن عباس انه
ذهب الى نظام الانية وقال الثلثان فرض الثلث من البنات لان الله تعالى قال فان كان من فوق
اثنين فجعل الثلثين للنساء اذ رزق على اثنتين وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة
واجبت عنده بوجوه فيها محجة منها هي انكم سورا ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت
واحدة فكلها للنصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول النصف نصيب للبنتين
الوجه الثاني ان في الانية قدما وناحية فالتقديرات فان كانا اثنتين فهو كقولنا فافترقوا فافترقا
يعني فافترقا فافترقا وانما سمي الاثنتين نسبا لفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنتين جماعة ليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء النجوم انما اعطينا البنتين الثلثين بتاويل القرآن
لان الله تعالى جعل للبنات الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فكلها النصف وجعل
للأخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل
للأخت الثلثين بقوله وان كانتا اثنتان فلهما الثلثان فلما جعل للأخت الثلثين علمنا ان البنتين
الثلثين في نسابة الاختير الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن
الزبيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنات واحدة فلهما النصف
يعني فرضا لها ولا بوي يعني ابوي الميت كناية عن غير مكره ونما والدها لكل واحد منها السدس
ما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وله الابن لكل واحد منها سدس الميراث
واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا ماتت الميت وترك ابوي وله اذكارا واحدا كان او
اكثر وترك بنات فان للام السدس بالفرض وللأب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له
السدس بالفرض والسدس بالنقصيب هو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض
والباقي بالنقصيب فان لم يكن له ولد يعني للميت وورثها بواحدة فلهما الثلث يعني ان الميت اذا
مات عن ابوين وليس وارث سواهما فان لام تاخذ الثلث بالفرض وبأخذ الاب باقى الميراث
والنقصيب فيكون الى ابينها اثلا لذلك مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين
فيعرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة فان كان له يعني للميت اخوة يعني ذكورا او
اناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان
الثلاثة يجوزون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا تجب لام
من الثلث الى السدس واختلفوا في اخوين لا كثر من الصباية ان الاخوين يجزيان الام من
الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعمر بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تجب الاخوة
الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يرزقان الام من
الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال

عثمانا يعني ان قومك حجبوها باخوين ولا يستطيع نقض امر قد كان قبلي وانما شاهدنا
الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي
ابي بكر الباقى وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فمما جمعة لان اقل الجمع
ضم شي الى شي وقال ابن البناى التنسية عند العرب والجمع ومشهور في كلامهم اتباع الجمع
على التنسية فمن ذلك قوله تعالى وكما حكمهم شاهد من وهداودوسيلمان ومنه قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما يريد قلوبكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول الجمهور والعلماء وهو الاصح
انما حجب العلماء الامم بالاخوين ليل اتفقوا عليه ويوان لفظ الاخوة ينطلق على الاخوين فان اراد
وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الامم من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون
شيئا البتة بل يأخذوا بالباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو
خمس اسداس للاب سدس بالفرضية والباقي بالنقصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة
الامم من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بنسبهم وينفق عليهم دون الام
من بعد وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه الانصبا والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين
وانقاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الية في اللفظ لاني الحكم لان لفظه او
لا يوجب الترتيب وانما هي لاحد الشئ كما انه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى
الاخر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انكم تقررون الوصية قبل الدين وبما سوا الله صلى
الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر
عنه لان الدين حق الميت والوصية حقه ومما تقدم ان على حق الوصية قوله تعالى اباؤكم
وابناؤكم لانه روي عنهم اقرب لكم نفعا قبل هذا الكلام معتضين بذكر الوارثين انصبا بهم
ويترفع قوله فريضة من الله ولا تعلق لعناء بمعنى الانية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان
الله عز وجل يسمع الوصيتين بعضهم في بعض فاطعكم الله تعالى من الاباء والابنا ارفعكم درجة
فان كان الولد ارفع من ولده رفع الله ابيه ولده وان كان الولد ارفع من والديه رفع الله اليه
والديه لتقر به لئلا عينهم فقال تعالى لا تدركون اباؤكم اقرب لكم نفعا لان احدا لا يعرف منفعة
صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اليها وقيل ان هذا كلام معتضين بها
ومعناه متعلق بمعنى الانية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لانه روي عنهم اقرب لكم نفعا
اي لا تعلمون اباؤكم في الدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم
من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله تعالى مواله يدبر امرهم على ما فيه المصلحة
لهم فابتغوه ولو ذلك اليكم تعلموا اباؤكم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث
ومستحق من يستحق الميراث فريضة من الله يعني ما قدر من الميراث لاهلها فريضة واجبة
ان الله كان عليهما حكيم يعني كان عالما بالاشياء قبل خلقها حكيمافيا قد روي عن ابن عباس وفرض من ميراث

الاحكام وقيل معناه كان عليا مخلقه قبل ان يخلقهم حكما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم
يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله
تعالى كان عليا بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم
لما شددوا علما وحكما ومنفعة وتفضلوا فقبل لهم ان اسكان ذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم
الثالث قال الخليل اخبر عن الله عز وجل مثل هذه الاشياء كما اخبر بالاحكام والاستقبال لان صفات
الله لا يجوز عليها الزوال والتقلب قوله عز وجل **ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان**
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها او دين وهذا ميراث الزوج من الزوجات
وقال تعالى يا ميراث الزوجات من الارواح **ولهن** يعني للزوجات الربع مما تركن ان لم يكن لهن ولد فان
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها او دين كما جعل الله في الموجب النسبي
خط الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب النسبي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة
من النساء لها الربع والتمزك وكذلك لو كن زوجات فانهن يشتركن في الربع والتمزك واسم الولد
يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وقوله الابن وقوله البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من
الزوجة او من غيرها قوله تعالى **وان كان رجل يورثك لالة او امره تغدير لالة** وان كان رجل او
امره يورثك لالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لاله ولا
والدري السعدي قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال ساقول فيها قول لا يري فان كان صوابا
فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما اختلف عمر قال اني
لا استحي من الله ان ارد شيئا قال ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحمد بن حنبل
عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان استنطاق الكلالة من كل
الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلاله من هذا
الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطة بالراس
فمنع الوالد والولد من القرابة انما سمو الكلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة
الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وقوله البعض من البعض فهو كالمشي الواحد
الذي يترايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام
والعمات وغيرهم فانما يحصل بينهم اتصال واحاطة بالنسب اليه فثبت بذلك ان الكلالة
عبارة عن من عد الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لاله وبه قال
طاووس واحتج لهذا القول بقوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان امره ذلك ليس له ولد وبه قال
عند عامة العلماء ما خذ من حديث جابر بن عبد الله ان الامة تركت فيه ولم يكن له يوم ترواها
اب ولا ابن لان بانه قتل يوم واحد واية الكلالة تركت في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم
فصار شأن جابر فانما المراد الامة في اخر السورة لترواها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم

لن منهم من قال اسم للبيت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه
ما ت عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسب وقيل هو اسم للحج من الورثة وهو قول
ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد
ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاله من لاله
فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد بغيره غير الوالد والولد وان كان المراد
الوارثين فم غير الوالد والولد وقال ابن زييد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحج والميت كلهم
كلالة بهذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الحارث سأل رجل عتبة عن الكلالة
فقال لا تجوز من هذا ايضا لاني عن الكلالة وما اعضل صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا اعضلت هم الكلالة في عن عمر قال ثلاث ودعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمده
الينا فنه عنده انتمى اليه لجه والكلالة وابواب من ابواب لربنا وهذا طرف حديث في ذكر الحج
ق عن معمر بن زكريا طمحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لادع بعدى شيئا اسمعته
من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في
شيء ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يا عمر لا يكفيك اية الصيف
التي في اخر سورة النساء اني اعش قضى فيها بقضية يقضى بها من قر القرآن ومن لا يتقرا
القرآن لقط مسلم قوله لا يكفيك اية الصيف المراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة اثنتي
احدا في النساء وفي التي في اول سورة النساء والاية الاخرى في الصيف وفي التي في اخر السورة
وفيها من البيان ما ليس في اية النساء لذلك احاله عليها وقوله عز وجل **ولله اخ واخت فلكم واحد**
منهما السدس المراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء فمراد من اخي قاصوله اخ واخت
من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورثك لالة او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر
الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا السمين
ثم اخبروا عنه ما وكان في الحكم ستوانا اضافوا احد ما الى الاخر وما اضافوا اليها فهو كقوله
تعالى واستعينا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جرح فان في معنى
واحد جاز اسنادا للتفسير الى ما امر به ويجوز اسناده اليها ايضا فان كانا اكثر من ذلك فم شركا
في الثلث وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم
وانشاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الامة التي انزل الله في اول سورة النساء
من شأن ان يرضوا لها في الولد والوالد والام والاية الثانية في الزوج والزوج والام والام
والاية الثالثة التي ختم بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي
ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اول الاحكام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **من بعد**
وصية يوصي بها او دين تقدم تفسيره وفي شيء من الاحكام يذكر معنا وذلك ان ظاهر الامة يدل على جواز

الوصية بكل المال وسبعينه وفي معنى الآية ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امر مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له اني اريد ان يوصي فيه ان بيتي ليلتين وفي رواية ثلاث ليا لالا ووصيته مكتوبة عنده قالنا فممن سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرث على ليلة من من سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين في ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تخصيص هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر رثلك غنيا خير من ان تذرهم عالة يتكفون الناس اخرجاه في الصحيحين في هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان نقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روى عن عمر بن خزيمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني انا الله عز وجل اعطيت كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجاه الترمذي والنسائي عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجاه ابو داود وقوله تعالى **غير مضار** يعني غير مدخل للضر على الورثة بحاوية الثلث في الوصية وهو ان يوصي بالكر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر ما له او اكثر ما له لا جني ويترك ورثته عن اى هبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعبد المرأة بطاعة الله ستيرة ثم يخبرها الموت فيضار ان الوصية فيجلبها النار ثم قرأ يومئذ من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجاه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره له الضر في الحياة وعند الموت فتوى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبار لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبار واعلم ان الاولى بالناس ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحيث لك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشي لقوله صلى الله عليه وسلم لم يسعدن احد قاص انك ان تذر رثلك غنيا خير من ان تذرهم عالة يتكفون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحبل مال وجعل لورثة وحاجتهم بعده في العلة والكثرة **وصية من الله** اى فرصة من الله وقيل عهد من الله اليكم فيما يحب لكم من ميراث من مات منكم **والله اعلم** يعني انه تعالى عالم بمصالح عباده ومضارهم وما يفرق عليهم من الاحكام وقيل عليهم من يجوز في وصيته ومن لا يجوز حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عن من جاز في وصيته وقال ابو سلمان الخطابي حليم ذو الصبر والافاة الذي لا يستغفر غضب ولا يستغفر جهل جاهل والحليم هو الصبور مع القدر المتأني الذي لا يعمل بالعقوبة قوله عز وجل **لا تجدوا الله** يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في حال التماس الوصايا والانكحة والوارث وانما سماها واحدة لان الشرايع كاحدود الضرورية للمكلفين فلا يجوز لهم

ان تجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما احده الله من فرايضه **ومن يطع الله ورسوله** يعني في شأن المواريث ورضي ما قسم الله له وحكم عليه **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار** خالدين فيها وذلك الفوز العظيم **ومن يعص الله ورسوله** يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمته الله ورسوله **ويتعده حده** يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى به **يدخله نار** خاله ايتها **وله عذاب مهين** فان قلت كيف قطع للعاصي بالخالود في النار في هذه الآية ومن فيها دليل للمعزلة على قولهم ان العصاة والغشاق من اهل الايمان يخلد ونج النار قلت قال الصحاح المعصية من الشك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمته الله ويتعدى ما قال الله يدخله نار او قال الكلبي يكفر بقسمته المواريث ويتعده حده وما الله استخلا اذا ثبت لك فمن حكم الله ولم يرض بقسمته الله كغربة لك او اذ كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتقبل موته وان مات وهو مصر على ذلك كان يخلد في النار بقره فلا دليل في الآية للمعزلة والله اعلم قوله تعالى **واللاني جمع** التي وموكلية يجبر بها عن الموت خاصة **يا نبي الفاحشة** يعني يفعل الفاحشة يقال انيت ما قبيحا اذا فعلته **والفاحشة** في اللغة الفعل القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم فحشه في النفس ويقبح ذكره في الامة حتى يبلغ الغاية في جبهه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولله اجمعوا على ان الفاحشة ما هان في الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة فحشه من **نسايبكم** قيل من الزنا وجات وقيل المراد من جنس النساء **فاستشهدوا** واعلم ان **اربعة منكم** يعني من المسلمين وبهذا خطاب للزوج اى اطلبوا اربعة من الشهود ليشهدوا عليهم وقيل هو خطاب للحكام اى سمعوا شهادة اربعة عليهم ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة شرايبكم بعدد ذنوبهم فان شهدوا يعني الشهود بالزنا فامسكوا **في البيوت** اى فاجسروا في البيوت والحكمة في جسد الزنا ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا جئت في البيت لم تقدر على الزنا حتى يتوافر **ما الموت** يعني يتوافر ملائكة الموت حتى عند انقضاء اجالها لا يحيل الله **ان سبيلا** وسد الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت جئت في البيت حتى يموت ثم نسخ المجلس للحدود وجعل الله **ان سبيلا** من عبادة بن الصامت قال كان مني صلى الله عليه وسلم لما ازل عليه كرب لذلك وتزبد وجهه فآثر الله عليه ذات يوم ففقي كذلك فلما شري عنه قال اخذ وعني قد جعل الله **ان سبيلا** البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة واليب باليب جلد مائة والرجم فصل اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها ما هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا اعلى من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة التور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحد يفسوخ بآية الجلد

هذا الحديث يدل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان نقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روى عن عمر بن خزيمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني انا الله عز وجل اعطيت كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجاه الترمذي والنسائي عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجاه ابو داود وقوله تعالى غير مضار يعني غير مدخل للضر على الورثة بحاوية الثلث في الوصية وهو ان يوصي بالكر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر ما له او اكثر ما له لا جني ويترك ورثته عن اى هبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعبد المرأة بطاعة الله ستيرة ثم يخبرها الموت فيضار ان الوصية فيجلبها النار ثم قرأ يومئذ من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجاه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره له الضر في الحياة وعند الموت فتوى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبار لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبار واعلم ان الاولى بالناس ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحيث لك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشي لقوله صلى الله عليه وسلم لم يسعدن احد قاص انك ان تذر رثلك غنيا خير من ان تذرهم عالة يتكفون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحبل مال وجعل لورثة وحاجتهم بعده في العلة والكثرة وصية من الله اى فرصة من الله وقيل عهد من الله اليكم فيما يحب لكم من ميراث من مات منكم والله اعلم يعني انه تعالى عالم بمصالح عباده ومضارهم وما يفرق عليهم من الاحكام وقيل عليهم من يجوز في وصيته ومن لا يجوز حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عن من جاز في وصيته وقال ابو سلمان الخطابي حليم ذو الصبر والافاة الذي لا يستغفر غضب ولا يستغفر جهل جاهل والحليم هو الصبور مع القدر المتأني الذي لا يعمل بالعقوبة قوله عز وجل لا تجدوا الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في حال التماس الوصايا والانكحة والوارث وانما سماها واحدة لان الشرايع كاحدود الضرورية للمكلفين فلا يجوز لهم

وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله
تعالى فامسكوا من في البيوت حتى يتوفوا من الموت او يجعل الله لن سبيلا يدل على مساكن في
البيوت ممدودة الى غاية ان يجعل الله لن سبيلا وان ذلك السيل كان مجالا فلما قال صلى الله عليه
وسلم خذوا عني قد جعل الله لن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجمل لانها
لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورحم المحسن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ
والعقل والحريية والاصابة في نكاح صحيح وهو اليق والعتق في جلد البنت ورحم قدس
طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري في استحاق نكاح
وهو ادواهل الظاهر وروى عن علي بن ابي طالب انه جلد شرحة المداينة يوم الخميس ورحمها
يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورحمها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جاهد
العلماء الواجب على المحسن الزاني الرحمة وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رحم ما غفر والغامضة
ولم يجلدها واما تزويج البكر الزاني ونفيه سنة فذهب الشافعي وجماعة العلماء وقال ابو حنيفة
وحامد لا يقضي بالتزويج الا ان يراد ملكا لم يزوجوا وقال مالك والاوزاعي لا تنكح على النكاح ويرى
شد عن علي بن ابي طالب ان المرأة عورة وفيها تنصيص لها وتعرض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماعة
العلماء ما روي حديث عيادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغيب
وروي ما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزوج وبكر ضرب وبكر ضرب وبكر ضرب وبكر ضرب
وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تفسيره قولان فان قلنا انه يزوج فغيره قولان صحيحا انه
يؤرب نصف سنة قياسا على جلد الزاني مجنونا او غير بالغ فلاحده عليه قوله عز وجل
واللذان فهو تثنية الذي **كاتبنا** اي كاتبنا الفاحشة حكم يعني من جازاكم وضايم وقيل ممنا
البكر للذان لم يحصنا وما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه
للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو الاثر في الرجال لان المرأة
انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطع ما دة المعصية واما
الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح نفسه واكتساب قوت
عيله فجعلت عقوبة الرجل الزاني لاذية بالقول والفعل هادوما يعنى غير مهابا بالقول
باللسان وهو ان يقال له اما حققت الله اما استحييت من الله حيث زنت وقال ابن عباس
سبوا واشموا في رواية عنه قال ابو بكر بن ابي ربيعة يودي بالقيير ويضرب بالنعال
فان تابا يعنى من الفاحشة **واصلح** اي عمل فيما ياتي **فاعرضوا عنها** اي اتركوها ولا تودوها
ان الله كان نوابا **رحمها** يعني انه تعالى يعود على عبده بغضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا
الحكم كان في بدء الاسلام كان خذ الزاني لاذي بالقول ويخ والقيير بالقول باللسان فلما ارتك
الحد ووثقت الاحكام نسخ ذلك لاذي بالآية التي في سورة التور وهو قوله تعالى الزانية

والزاني

والزاني فاجلده واكل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهاراة في دين الله الآية فثبت
للجلد على البكر بنصر الكتاب وثبتا لرحم على الشيب المحسن بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم ما غفر والغامضة ولم يجلدها
الحكم المسام واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رحم يهوديين زنيا
وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا يرحم على اليهودي لان المشرك ليس بمحسن واجيب
عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى **انما التوبة على الله**
يعنى التوبة التي يقبلها الله فتكون على معنى عند وقيل على معنى من ادى من الله وقال ابن المظاني
ان الله عز وجل وعد بقول التوبة من المؤمنين قوله كتبهم على نفسه الرحمة واذا وعد
الله شيئا انجزه ميعاده وعدوق فيه فغنى قوله على الله او جب على نفسه من غير ليجاب
احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد **لله** يعني **لله** يعني الدنوب والمعاصي سميت
سوا السوء عاقبتها اذ لم يثبت منها بجها لة قال قتادة اجمع اصحابا بنى صلى الله عليه وسلم
على ان كل شئ عصي الله به فهو حكمة لة **فما كانا** وغيره وكل من عصي الله فهو جاهل
وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالة عمل السوء فكل من عصي الله سمي جاهلا
وسمي فضله جهالة واما سمي من عصي الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالتوب
والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بعد الاقرار وقيل معنى الجهالة ان ياتي
الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجعل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو خيال
اللذة الغانية على اللذة الباقية ثم **يتوبون من قريب** يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب
بركان قريب لئلا يعيد فيهم مرة المصير وقيل التوب ان يتوب في صحة قبل مرضونه وقيل
قبل موته وقيل قبل معاناة ملك الموت ومعاناة احوال الموت واما سميت هذه اللذة
قريبة لان كل ما موته فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان
الانسان يتوقع في كل ساعة وكحطة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغها خروجه التمدد في الغرغرة ان يجعل المشرك
في قم المريض فيرده في الخلق ولا يوصل اليه ولا يمد يده على بلعه وذلك عند بلوغ الروح
الى الخلق وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبدا لك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال
الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لا ارتفع في مكان لا ازال اغفر لهم ما تنفرون في وقيل في
معنى الآية ان التوب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها **فاذنبك**
يتوب الله عليهم يعني يقبل توبتهم **وكا** **الله** **عليها** **حكمة** قال ابن عباس علم نافي قلوة التوب
من الضدين والتبين فحكم بالتوبة قبل الموت ولم يقدر رفاقا وقيل معنى الآية علم انه

انما ياتي بذلك المعصية لا سبيلا الشهوة واليهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وانما
عن قريب قوله عز وجل **وليت التوبة للذين يعملون السيئات** قال ابن عباس يريد الشرك وقال
ابو العالية وسعيد بن جبيرة المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال
ولا الذي يموتون وهم كفار حتى اذا حضروا **هم الموت** يعني وقع في الذلوع وعان حلا بكة الموت
وبه حالة السوق حين تنشق الروح للخروج من جسده **قال الى نبت** لان قال المحققون
قرطباط لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها
الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا اياته وهو قوله تعالى حتى اذا ذكره
الفرق قال امتنا لا اله الا الذي امننت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الا قد عصيت قتل
وكتبت من المفسدين وبه لعل في ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم انما هم لما راوا باسنا فان
قلت قد تعلقت الوعدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهلوا
امرهم الى انفقنا اجمالهم حصلوا على عذاب لاخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله
اولئك عندنا لم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبرنا لا توبة لهم عند معاذة الموت والما به
قلت ليس الامر على ما زعموا فقد شرد عن ابن عباس في قوله وليت التوبة للذين يعملون
السيات يريد الشرك وقال سعيد بن جبيرة نزلت الآية الاولى في المؤمنين يعني قوله انما
التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليت التوبة والآخرى في الكافرين يعني
قوله ولا الذي يموتون وهم كفار اذا كانت الآية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه
لحملها على المؤمنين وعلى لغة رافضة تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس
في قوله وليت التوبة للذين يعملون السيات الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغير
ان يشرك به ويغير ما دوز ذلك لمن يشاء فحم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارحبا
امل التوحيد الى مشيتم ولم يوسم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة
في حق المؤمنين وقوله تعالى **ولا الذي يموتون وهم كفار** معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم
وانما لم تقبل توبتهم في الاخرة لرفع التكليف في الاخرة ومعانية ما وعدوا به من العقاب
اولئك اغتدنا لهم عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساكر نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا
مات الرجل وخلف امراته جا ابنه من غيرها او قريبه من ذوى عصبته فالتقوا بغير صداق
للك المرأة او على خباياها صارا حق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء تزوجها بغير صداق
الا الصداق الاول الذي اصدقها الميث وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان
شاء عضلها ومنعها من الزواج بصنارها بذلك لتفقد منه ما ورثت من الميت وموت
في غيرها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولزوجه ثوبه كانتا حق بنفسها

وكانوا على ذلك حتى توفي ابو فيس بن الاسلت الانصارى وترك امراته كبشنة بنت معن
الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه فيس بن ابي فيس فخرج ثوبه
عليها فوثر نكاحها ثم تركها فلم ينق عليها يصنارها به ذلك لتفقد منه فانت كبشنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا فيس توفي وورث نكاحي ابنه
فلا هو ينق علي ولا هو يدخل بي ولا يحل لي سيلي فقال لقد في بيتك حتى ياتي امراسه فبك
فاتر لا الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساكرها يعني من ميراث نكاح
النسا وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات **ولا تفضلوهن** من الاموات
من الزواج واصل الفصل المنع **لننسى بعض ما يتصور** يعني لتفقد تفقد بعض ما لها
قيل هو خطاب للزواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له امرأة وهو كاره لها ولعصبتها
ولها عليه مهر فصنارها لتفقد منه وتروا له ما ساق اليها من المهر فبني الله عز ذلك وقيل كان
الرجل يطلب امراته ثم راجعها ثم بطلت يصنارها به ذلك فتتوا عن ذلك وقيل هو خطاب
لاوليا الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى **لان ياتي بفاحشة مبينة** يعني فتح
يحل لكم صلاتهم من تقته منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشور وسئل الخاق
وايذا الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا انشزت او زنت حل للزوج
ان يسا لها الخلع وقيل كانت المرأة اذا اصابته فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها
فلمح الله ذلك بالكود **دعاشه** من المعروف وقيل هو راجع الى الكلام الذي قبله وللعني واتوا
الناسد فالحق بخلة وعاشه من المعروف وللعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والبيت
والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك فانكرهم هو من يعني فان كرهتم عشر لقن
وصحبتهم واشرتم فرائضهم **فعلوا** نكر هو اشيا ويجعل الله فيم خير اكبر قال ابن عباس ما رزق
منها ولد اصلحا فحفل الله في ولده ها خير اكبر انقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة
وقيل في الآية تدب الى مساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كرهه صحبتها وتحمل ذلك الكره
طلباً للثواب وانفق عليها واحسن وصحبتهما الحق الشا الجليل في الدنيا والثواب الجليل
في العقبى وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فرائضهم فاحفل الله في تلك
المفارقة لخير اكبر وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج غيرا خيرا منه
قوله عز وجل **وان اردتم استبدال الزوج مكان زوج** الخطاب للرجال وامر د بالزوج الزوجه قال
المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشور والزنا
ينبغي هذه الآية تحريم المضارة اذ لم يكن من قبلها نشور ولا زنا ونهى عن حمل الرجل حق المرأة
اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها واتين **احدا من قطار** يعني وان كان ذلك الصداق لا كثيرا
وفي الآية دليل على جواز المبالاة في المهور روي عن علي بن ابي طالب في مهور نسائه فماتت

امراة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلك الآية فقال كل الناس انفسه من عمر
وفي رواية امراة اصابتها امير اخا ورجع عن كراهة المغالاة وقد تعالى الناس في صدقات النساء
حتى بلغوا الالف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها **فلا تأخذوا منه شيئا** يعني من القنطار
الذي يتيمون لوجعلتم ذلك القدر من صدقاتها فلا تأخذوا منه شيئا وذلك ان سوا العشرة
اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وامر بالطلاق للمرأة فلا يحل له ان
ياخذ شيئا من صدقاتها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك **اتأخذونه** استفهام بمعنى التوبيخ
ههنا اي في ظلمها وقيادها **واما مبيتا** يعني اتأخذونه مبيتا مبيتا اي في بيتها فلا تفعلوا مثل هذه
الفعل مع ظهور نية في الشرع والفعل ثم قال تعالى **وكيف تأخذونه** كلمة تعجب والمعنى اي وجه
تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقلة ان يسترد شيئا بذهله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو
ما وليتمها من معنى التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى **وقد افقوا**
بعضكم الى بعض اصل الافضا في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين
في معنى الافضا في هذه الآية قولان احدهما انه كناية عن الحجاج وما قول ابن عباس من مجاهد والله
واختيار الزجاج وان رقتية ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان
يرجع بنصف المهر وان خلاها والقول الثاني في معنى الافضا هو ان يخلوها وان لم يجامعها وقال
الكبي لافضا ان يكون معها في كفاف واحدا جامعها ولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الغرا
ومذهبنا في حيفته لان الخلق الصحيح عنده ثم المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** قيل هو
قوله تعالى قد عند القدر من جنتها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من اسك بمعروف او تسريح
يا حسان وقيل هو كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي يستحل بها فروج النساء
ويذكر على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وموانه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن
بأمانته الله واتحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء** قال المفسرون
كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج ابايهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روي انه لما توفي ابو قيس
فكان من هلاله لانصارا خطيبا يعقيل امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من هلاله فوملكن
اني رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فانت فاختبرتها فتراد الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء **الا ما قد سلف** يعني الاما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معقود عند الله كان فاحشة
انما سماء فاحشة لان درجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماء
الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي **ومقتضى** اي يورث المقتضى من الله وهو الله المقتضى وغاية
الحزب والشكر **وسا سبيلا** اي وليس ذلك طريقا لانه يودي الى مقتضى الله والعرب يسمون ولد الرجل
من امراة ابيه مقتىا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو عبيط بن ربيعة وبنو المغيرة بن عبد الله عن ابي
ابن عازب قاله في خالي وعنه لما قيل ان تزني قال اجبتني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه

انته براسه قوله عز وجل **حرمت عليكم امهاتكم** بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء
بسبب الوصلة اما بسبب ونسب عز ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم فزا
حرمت عليكم امهاتكم الآية فجعل المحرمات من النساء ينزل الكتاب ربعة عشر صنفاما المحرمات
بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما يزيدت لها التوكيد والام
هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة مرجع النسب اليها من جهة الابلية من جهة الام
بدرجة او بدرجة واحدة ومن جميع الجهات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجهات **وبناتكم** والبنات
عبارة عن كل انثى مرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجة واحدة بافان كينت البنت وان سقطت
وكذا ابنتا ابن **واخوانكم** جمع اخوت ومع عبارة عن كل امراة شاركتك في اصلك في خليفه الاصول
من الاب والام ومن الاب والام **وعما نكح** جمع عمة وهي كل امراة شاركتك بالاب في اصله ومن
جميع اخوات الاب واخوات ابايهم وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اختا في الاب
وخالاتكم جمع خالة وهي كل امراة شاركتك الام في اصلها في خليفه جميع اخوات الام واخوات
امهاتكم وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اختا ام الاب **وبنات الاخ** وبنات الاخ
وهي عبارة عن كل امراة لا خليك او لا خليك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخوة في خليفه
جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سقطت فبعضه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنسب
الكتاب وعلمته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله واولاده واولاد فصوله واولاد فصوله من كل اصل بعده
اصلها الاصول من الامهات والجدات والفصول من البنات وبنات الاولاد وفصول اولادهم واولاد فصولهم
الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واولاد فصولهم من كل اصل بعده اصلهن من البنات والخالات
وان علون قال العلماء كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمة موبدة لا تحل بوجه من
الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالنسب من سبع الاول والثاني المحرمات بالضعاف وذلك في قوله
تعالى **وامهاتكم اللائي ارضعنكم** واخوانكم من الرضا عنه كل انثى انشبت باللبن اليها في ثديها
وبنتها اختك وانما نظر الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنسبه
بذلك انه تعالى اجري الرضا عن مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يحرم من الرضا ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمة انما لا تحل يا يحرم من الرضا ما يحرم من النسب انها ابنة
اخي من الرضا فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضا عنه وانما سمي الله بالامهات
امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه
جميع احكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب علي كل واحد منهما نفقة الاخر وقيل ذلك
من الاحكام وانما ثبتت حرمة الرضا عن بشرط واحد هو ان يكون الرضا عن الصبي في حال الصغر وذلك
لما فيها استنب من ولادة لقوله تعالى والوالدة التي يرضعن اولادكم حولين كاملين وقوله تعالى وهما له

في عامين عن امر سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتنق
الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجته الترمذي عن ابن مسعود قال لا مضاعة الا ما كان
في الحولين اخرجته مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال رسول الله
ابن مسعود لا رضاع الا ما شدة اللحم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله جلد
وفضاله ثلاثون شهرا وعمله الجهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخله فيه
واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد حليب من ثديين متفرقات روي ذلك عن عائشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تحرم للمصاة ولا المصتان اخرجته مسلم عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تحرم الا ملاحظة ولا الاملاجات وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا بني امه
هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا من عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلوا
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما
نسخ تلاوته ونسخ حكمه وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو فوق
ابن عباس وابن عمر قال سعيدين السلب واليه ذهب لثوري والاوزاعي ومالك والشافعي والبارك
وابو حنيفة واحدا في الرواية عنه والرواية الاخرى كذب السلفا في واجه مذهب
الجمهور بطريق الالية لانه عمل بمجموع القرآن وظاهره لم يذكره او اجابا لسافعي ومن واقفه
في هذه المسئلة بان السنة مبينة للقرآن ومفسرة له وقوله تعالى **وامهات نسايكم** يعني انه
اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصيلة وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في
النسب والرضاع ايضا ومنه ما كثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة
حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها او لم يدخل بها وذهب جميع من الصحابة الى ان ام
المراة اما تحرم بالدخول بانبتها وهو قول علي بن زيد بن ثابت وابن عمر بن الزبير وجابر واثار الرواية
والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويروى عن علي بن زيد عن عمر بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمارج رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح انتها
وان لم يكن دخل بها فليست كابتها واما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل
اخرجه الترمذي وقوله تعالى **وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فان لم**
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم الربايب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل اخر سميت ربيبة
لربيبتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل نكاح امراته
وبنات اولاده وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارقت زوجته قبل
الدخول لها وامانت قبل دخوله لها جازله ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان
الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى **وحلائل انبياءكم**

يعني

يعني ازواج انبياءكم واحدا حليلا والرجل حليل سمي بذلك لان كل واحد منها يحل لصاحبه
وقيل لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في امر واحد وقيل لان كل واحد منها يحل لمرصاحبه من
الحل يفتح الحوا وحلتها نه يحرم على الرجل ازواج انبيائه وابنا اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة
وذلك بنفس العقد **الذين من صلابكم** اما قال من صلابكم احراز عن النبي ليعلم ان زوجة النبي
لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنهى الله ذلك وقال تعالى
ادعواهم لابائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة نريد من خارجة وكان قد تبناه فقال
للمشركون تنزوج زوجة ابنته فانزل الله تعالى **واما جعل ادعيائكم ابنائكم** وقال تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله تعالى **وان تحبوا بنات الاخيار** يعني لا يجوز للرجل
ان يجمع بين الاختيارين في نكاح واحد سواء كانت اخوة بينهما بنسب ورضاع والجمع بين الاختيارين
يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج
احدا الاختيارين ثم تزوج الاخرى بعد ها فها هنا يحكم بطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى
طلاقا يبيح لغيره نكاح اختها الوجه الثاني ان من صور الجمع بين الاختيارين وهو ان يجمع بينهما بملك
اليمن فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطى فاذا وطى احدهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاول ببيع
او هبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختيارين وهو ان يتزوج احدهما ويشترى
الاخرى فيملكها بملك اليمن فذهب بعض العلماء الى لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي
تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه ومنه ما ذهبوا الى جوازها والقول
الاول صحيح واولها روي في نسخة بن زوييل ان رجلا سأل عثمان بن عفان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع
بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقى
رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال ما انا فلو كان لي من الامر شيء اجد
احدا افضل لذلك لاجعلته نكالا قال ابن مهدي رآه علي بن خطيب قال ما لك انه بلغه عن الزبير بن
العوام مثل ذلك اخرجته مالك في الموطا وقوله تعالى **الاما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو
عنه بدليل قوله تعالى **ان الله كان عفوا رحما** وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان النكحة الكفارة كانت
مباحة فلو اسلم من اختين قيل له اختراهما شئت ويدل عليه ما روي عن الفخاكي بن فهد عن ابيه قال
قلت لرسول الله اني اسلمت تحت اختي قال طلق ايها شئت اخرجته ابو داود وفروغ تتعلق بكم
الاية الاولى لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها اخرجها في الصحيحين
قال بعض الحكماء في حدة ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة او لبن وكان ذلك ينسب لغير المرأة لم يجز
لك نكاحها لم يجر ذلك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية
نسقا والمحرمات بالنسب ستمائة اصناف ومن الامهات والاختان على الله ذكره

وصفت بحرم بالمصاهرة ومن أم المرأة وحليلة الابن وزوج الابنة قد تقدم ذكره وصنف
بحرم بالمصاهرة ومن أم المرأة وحليلة الابن وزوج الابنة وقد تقدم ذكره في قوله ولا
تتزوجوا ما تنكح اباؤكم من النساء الآية والربايب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين
الفرع الثالث التحريم الخاص بسبب المصاهرة وانما يحصل بنكاح صحيح فالزنا بامارة
لم تحرم عليه امها ولا بنتها لو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المهر فيهما على ابناء
الزنا ولا ابناءيه انما تتعلق المحرمه بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق
ويجب عليها العدة وليجوز به الولد وهذا قول علي وابن عباس به قال سعيد بن المسيب
وعروة بن الزبير والزمري وابو الهيثم والشافعي وفتحها اهل الحجاز وذهب قوم الى ان
الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمار بن حصين وابو هريرة وبه قال جابر بن زيد
والحنابلة والعراق ولوليس امرأة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالحول
في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس المرأة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة
فيه قولان اصحهما انه ثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا تثبت
كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصات** يعني وحرمت المحصات من النساء واصل الاحتصان
في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحتصان على المرأة ذات الزوج وللمرة
والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحتصان في قوله والمحصات ذوات الزوج من النساء
فلا تحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي الشافعية من النساء التي حرمت بسبب
قالا بوسعيد الخدرى ثلثت هذه الآية في نكاحها جاز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن
ازواج فتروجن ببعض المسلمين ثم يقدر من أزواجهن ما جاز فيهم المسلمين عن نكاحهن ثم استئنا
فقال تعالى **الاما ملكتكم** يا أيها الذين آمنوا يعني السبايا اللاتي سيذنبن منهن نكاح في دار الحرب فيحل ما كان حراما
بعد الاستبصار ان السبي يرتفع به النكاح بينهما وبين زوجها قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى وطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكتبوا لهن
فانزل الله هذه الآية وقال ابو سعيد اذ اباغ الحامية الزوجة فتقع القرعة بينهما وبين زوجها
وتكون بهما طلاقا فيحل للمشتري وطيبها وقال عطاء امراد بعوله الاما ملكتكم ايما نكاحا كانت
في نكاح عبده فيجوز له ان يتزوجها منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرام ومعناه ان
ما فوق الأربع منهن فانه عليهن حرام الاما ملكتكم ايما نكاحا فانه لا عدد عليهن في الجوار ولا حصر
كتاب الله عليكم يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزوايا كتاب الله
وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حل لكم كتابا
واحل لكم ما وراذلكم يعني واحل الله لكم ما سوى ذلك الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه
الآية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الاصناف المحرمات لكن قد دللنا في السورة بتحريم

اصناف اخر سوى ما ذكر من ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك
المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المقتدة فلا تحل
للزواج حتى تقضي عدتها ومن ذلك من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامانة والقادر
على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بامانة ومن ذلك ان كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج
بخامسة ومن ذلك الملاعبة فانها محرمة على الملاعبة بالتأنيبه فلهذا اصناف من المحرمات سوى
ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراذلكم ويرد بلفظ العموم لكن العموم قد دلل
التخصيص فيكون عام مخصوص وقوله تعالى **ان يتفقوا باموالكم** فيه اشارة بقدره واحل لكم ما
وراذلكم ان يتفقوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصدقات او تشتروا بمن في الآية دليل على ان
الصداق لا يتعد برئتي فيجوز على القليل والكثير لا يطلق قوله تعالى ان يتفقوا باموالكم **محصرين**
يعني متزوجين وقيل فتعفي عن **غير مسافحين** يعني غير زنا وبالسفاح الفجور واصله من السخ
وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزنا لا غرض له الا صلب النطفة فقط وقوله تعالى **فما**
استمتعتم به منهن قد اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد ما استمتعتم به فربما يقع به فربما يقع
من النساء بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع **فانما**
اجور منهن يعني مورثات وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المتاع ليس بيد الاعيان كما سمي بدل المتاع الدار
والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المنقعة وهو ان تنكح امرأة الى مدة معلومة بشئ
معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق وتسمى حراما وليس بينهما ميراث وكان هذا
في ابتد الاسلام ثم نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المنقعة وحرمها من سيرة من بعده
لكن في انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع
من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فيحل سبيله ولا تاخذوا
مما اتيمون من شيا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المنقعة حرام والآية
منسوخة واختلفوا في نكاحها فقيل نكح بالسنة وهو ما تقدم من حديث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منقعة النساء يوم خيبر وعن اكل
حوم الجمل الانثى وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومنه ما لا ينبغي ان السنة
لا تنسخ القرآن فعلى هذا فيلزم انما نسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم
حافظون الاعلى اوجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين والمنكحة في المنقعة ليست بزوجة
ولا ملك يميز واختلفت الروايات عن ابن عباس في المنقعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص
في المنقعة قال عماره سالت ابن عباس عن المنقعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا اسفاح ولا نكاح
قلت فما هي قال منقعة كما قال الله تعالى قلت هل للعامة قال نعم حيضة قلت هل يتولم قال لا
وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار في قتياب بن عباس بالمنقعة فقالوا قاتلهم الله انما اقيمت بانكاحها

على الاطلاق لكني قلت انما تحصل المضطر كما تحل الميتة له وروى انه مرجع عنه وقال
يخرجها روى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن فاعصوا ما رزقنا منهن
بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر عن الخطاب
صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس انما يكون من هذه المتعة وقد نهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها الا اجدر جلا نكحها الامر حتمه بالحجارة وقال هدم للمتعة النكاح والطلاق والعدة
والبراءة قال الشافعي لا علم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو
عبيد المسلمون اليوم مجموع على ان متعة النكاح مستحبة بالخير من نكحها الكتاب والسنة هذا
قوله اصل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحابنا لا يروى عنه الا انه لا رخصة فيها
لمضطر ولا غيره قال ابن الجوزي في تفسيره قد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية
نكاح المتعة ثم نسخ ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف
لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم هو منع منها وحرمها فكان قوله منسوخا
بقوله واما الآية فانهما لم تنسخ جوار المتعة لانه تعالى قال فيها ان يتنصوا باموالكم محصنين
غير منسا فخير في ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن
فما نكحتموه على الشريطة التي حرمت وهو قوله محصنين غير منسا فخير اي عاقد من الزوج وقال
ابن جرير الطبري كادى النكاح في ذلك بالصواب تاويل من تأوله فاما نكحتموه منهن فاجابهم بان
فانهم اجور من القيام بالحجة بنكحهم الله متعة النساء على ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **فرضية**
يعني لازمة واجبة **ولاجناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة** اختلفوا فيه فمن حل
ما قبله على نكاح المتعة قال المراد انما اذا تعدا عقد الى اجل على ما لا فائدة من الاجل فان شئت
المرأة تزوجت في الاجل ونزول الرجل في الاجل وان لم يراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا
ثم نسخ وحرم ومن حل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم
فيما تراضيتن به يعني من الابرار المروا لاقتداء ولا غيباض وقال لان جناح معناه اجناح عليكم
ان تنكح المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة القلم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه
ان الله كان عليا يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناحكم وغيرها من سائر اموركم حكما يعني فيما
دبر لكم من التدبير فيما يامركم به او ينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلا ولا يفسد في قدر
الصدوق وما يستحب منه اعلم انه لا تعدى الاكثر الصدوق لقوله تعالى وانتم احكام من قضاة
فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يفي في حقه قال عمر الخطاب رضي الله تعالى عنه الا تأخذوا
في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان ولاكم به بنى الله صلى الله
عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نساياه ولا نكح شيئا من بناته على اكثر
من اثني عشر وفيه اخرجته الترمذي ولا يروى عن ابي حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سالته عيشة زوج

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن كان صدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صدوقه لا رواجه
ثنتي عشر وفيه ونش قالت انه يرى ما النش قلت لا قالت نصفه وقيمة ذلك خمسين درهما
واختلف العلماء في اقل الصدوق فذهب جماعة الى انه لا تعدى لاقبله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا
او مباحا جاز ان يكون صدوقا وهو قولهم ببيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد وسحاق وقال قوم
ينقدرون الصدوق بنصاب ليرة وهو قول مالك والشافعي غير ان نصاب ليرة عند مالك
ثلاثة دراهم وعند الشافعي عشرة دراهم والشافعي لا ينفق على الزنا لا ينفق على غيره من سبل
ابن سعد قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي
لك فظن اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فيها وصوبه ثم طأها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم سئل فلما رأت المرأة انه لم يقف فيها شيئا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول
الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجها فقال هل عندك من شيء قال لا والله يا رسول الله قال
اذ سبلى اهلك فانظر هل تجد شيئا قد هب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر لو خاتما من حديد قد هب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله
ولا خاتما من حديد ولكن اراى هذا قال سبل ما له مرد اقلها نصفه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تصنع يا ابرار ان ليس له ان ليس له ان ليس له ان ليس له ان ليس له ان ليس له ان ليس له
الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم مولى فامر به فذبح فلما جازاه ما ملك
من القرآن سورة كذا وسورة كذا عدد ما قال لقرا من عن طهر قلبك قال نعم قال اذهب فمعه
ملككم بما ملككم من القرآن اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحديث في هذا الحديث دليل على
انه لا تعدى لاقبل الصدوق لانه قال التمس شيئا فخذ ايدي على جوارتي شيئا كان من المال ثم قال ولو
خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل الشافعي وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل نكاحه كقران
صدوقا وهو قول الشافعي ومنه اصحاب الراي عز جابر بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال
من اعطاني صدوق امرأة ملاك فيه سويا او مرقا فقد استحل اخرجها بودا ود عن عبد الله بن
عامر عن ابيه ان امرأة من بني قريظة تزوجت على نكاح فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارصيت من نفسك وما لك بنعلين قال نعم فاجازها اخرجته الترمذي وقال عمر الخطاب
ثلاث قبضات من زينة من رقبته عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما
سمى الفناحولا لانه ينال به المراد ما لا ينال بالقدرة الطول هناك كناية عما يصرف الى المهر والتمتع
ان ينكح المحصنات يعني المملوكات فما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المومن فان الانسان
لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه من قياتكم المومنات المعنى من لم يقد على مهر الحرة المومن فليزوج
الامة المومن والقيقات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبدة فتى في الآية
دليل على انه لا يجوز للمهر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجدهم حرة لانه جرت العادة في

الاما بتخفيف مورث ونفقة وسبب ذلك استعفا الزوج عنه سادتهن الشرط الثاني هو
خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا
قوله ابن عباس وسعيد بن جبلة ووطاوس ومسروق ومكحول وعمرون بن دينار واليه ذهب
مالك والشافعي واحمد وروى عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزماري انهم
للزنا ينكح الامة وان كان موسرا ومومنا هي في حيفته الا ان يكون في نكاحه حرمة
والسبب في منع المهر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا
كانت لام مرفقة كان الولد مرفقا وذلك نقص في حق الحر في حق ولده ولا نكاح السيد اعظم
من حق الزوج فزنا اختاج الزوج اليها فلا يجدها سبيلا لان السيد حبسها لخدمته ولان
مهرها ملك السيد فلا نفقة له على بنته من زوجها ولا ان تهربه منه بخلاف الحرمة فلذلك السبب
منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان
في نكاحه حرمة وعند ابن حنيفة لا يجوز له ان كان تحت حرمة كما يقول في الحر في الامة دليل على انه
لا يجوز للمسلم حر كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من قين انكم المومنات فيبد جواز
نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها نوعان من النقص وهما الرق والحرمة بخلاف الامة لان
فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
يجوز التزوج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وعلى الامة الكتابية بملك المهر وقوله تعالى
واسمعوا ما ياما نكم قال الزجاج اى اعدوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهروا لله يتولى
السراير والخطاب وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بما ياما نكم
بعضكم من بعض يعني ان كل واحد منكم من بعض واحد فلا تستكفوا من نكاح الامة عند الضرورة وانما
قيل لهم ذلك لان العرب كانت تتخربا لانساب والاحساب ويسمون ابن الامة المجرب فاعلم الله
تعالى ان ذلك لا يمتنع اليه فلا يثبت اختلاكم سموخ وانفة من التزوج بالامة فانكم متساوون
في النسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم واحد وموا الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم
الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم
الكتابية فالتخوف انهم من اهل من يعني اخطبوا الاما الى ساداتهم واتفقوا على ان نكاح الامة
بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة **وانتم اجوزون**
يعني مهورهم بالمعروف يعني من غير مطلق ولا ضرر وقيل معناه وانتم من مهور امثالهم فاجعوا على
ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف اليها المهر الى الاما لانه ممنوع من محصنات يعني عفاف
غير مسلمات يعني غير زنيات ولا متخذه ان اخذ ان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك
في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل في من يصاحبه شهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعني جها
الذي يربها في السر والعلن للشافعية هي التي كل من دعاهما تبغته وذات اخه انى التي تخمض بواحه

ولا ترضى مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجويز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا
عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من مدين العنيتين بالركون على محرمهما معا فاذا **احصن**
قري بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقري احصن بضم الالف وكسر
الصاد ومعناه زوجن فان ابن يقاصحت يعني بزنا فعليه نصف ما على المحصنات من العذاب
يعني فكل الاما اللاتي زني بغير نصف ما على الحر لا يكره ان يزني من الجدة فيجعله العبد للزنا اذا زني
خمس جلد ولا فرق بين المملوك للتزوج وغير المملوك فانه يجلد خمسين ولا مرجم عليه هذا قول اكثر
العلماء وروى عن ابن عباس به قال طاووس بن كيسان لا حد على من لم يتزوج لانه ليس بحصن واجب عنه
بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزوج قليل المراد منه ان التزوج شرط
لوجوب الحد عليه بل المراد منه التسمية على ان المملوك وان كان محصنا فلا مرجم عليه انا حده
الجلد بخلاف الحر فاما الامة ثابت لهذه الامة ويكفي ان يجلد بالاجرم ثابت بالحدوث وهو
ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امرأة احكم قنين فزناها
فيلجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فثربها
فليس بها ولو جعل من شعره اخرجاه في الصحيتين فتولده ولا يثرب عليها ولا يبرها ولا يثرب كل اثنتي
والثقييب والاستقصا في اليوم قال الشيخ محي الدين النواوي وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب
ليس بواجب عنه فاو عند الجمهور قاله اودواهل الظاهر وهو واجب وفيه جواب عن سجع الثمين
بالثمن المتيقرو وهذا البيع المأمور به بغير رضا حبة ان يبيع حبة المشتري لانه عيب والاختار بالبيع
واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لاجد المسلم فليجاب بقوله لا تستعفف عنه المشتري بان
يعتق بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او زوجها او غير ذلك والله اعلم بذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى في ذلك من خاف ان تجله شدة الشوق والغلبة
وشدة الشوق على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعنت به من الشقة ومي شدة الفروية فاباح الله
تعالى نكاح الامة بثلاث شرطية عدم القدرة على نكاح الحر وخوف العنت وكون الامة مومنة
وان تصبروا يعني عن نكاح الامة متعففين **خير لكم** يعني كمالا يكون الولد عبدا رقيقا والله
عفو رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون
اليه قوله تعالى يريد الله ليشين لكم اللام في قوله ليشين معناه ان يزين فيقول معناه يريد ان يزينه الايات
من اجل ان يزين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومقتضى اموركم وقيل يزين لكم ما يقر بكم منه وقيل يبين
ان الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم الى رشدهم **سترا ليعرف من قبلكم** اي شرايع من قبلكم في تحريم
الامهات والبنات والاخوات فانه كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه
مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويرشدكم الى الملة الحنيفية ومي ملة ابراهيم عليه السلام
وتوب عليكم يعني وتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية التوكيد عليكم

الى طاعته وقيل لما بين لنا المصالح والمضارح وارشدنا الى طاعته فزما وقع منا تقصير ونقص
في ما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال وينوب عليكم والله عليم يعني بمصالح عبادته في امر
دينهم ودنياهم **حكم** يعني فيما دبر من امورهم والله يريد ان ينوب عليكم قال ابن عباس معناه
يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يملككم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر
لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في ديني فتوبت عليكم ويغفر لكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات قيل لهم اليهود والنصارى وقيل لهم اليهود خاصة لانهم يقولون ان كل بيت
الاخت من الاب حلال وقيل لهم الجحش الذين يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلهذا حرم من الله
قالوا انكم تخلون بنت الخالة وبنت الخالة العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكم تحلون الاخوات
فتركت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون ان يكونوا مثلهم ان يقولوا يعني عن الحق مقصدا ليل
بالمعصية ميلا عظيما يعني باننا نكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم يعني يسهل عليكم
احكام الشرائع فهو عام في كل احكام الشرائع وجميع ما يليه لنا ويسهل علينا احسانا
منه النيا وتفضلا ولطفنا ولم يثقل التكليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو قوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفة السهلة السيرة وقوله تعالى **وخالق**
الانسان ضعیفا يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه اضغفه بسبيله
هو هو فهو ضعيف الغم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء
مميز فله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل** يعني بالحرام الذي
لا يحل في الشرع كالربا والتمار والغصب والسرقة والحياة وشهادة الزور واخذ المال
باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيهها على غيره من جميع
النقصات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل
مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو اتفاقه في المخاصي واما اكل مال غيره
فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى **الا ان**
تكون تجارة عن تراض منكم هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال
بالباطل فكان الاها هنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض من يعني بطيبة نفس كل واحد منكم
وقيل هو ان يخبر كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلما الجار مال يتربح
لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباع الرجلان فكل واحد منهما الجار
مالم يتفرقا وكانا جميعا او يخيرا احدهما الاخر فان خيرا احدهما الاخر فبايعا على ذلك فقد
وجب البيع وان تفرقا بعد ان تباعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخراجه
في الصحيحين وقوله تعالى **ولا تقتلوا انفسكم** اي ولا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم

لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة ومح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة
الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا اني للانسان عن
قتل نفسه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تروى من جمل فقتل
نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسب ما فقتل نفسه فانه
في يد من يحسبه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بخديعة فخره في يده
يتوجى بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتروى هو الوقوع من موضع
عال الى اسفل وقوله يتوجى يقال وجانه بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجاها اي يضربها بنفسه
ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل خارج فقتل نفسه فقال الله تبارك
وتعالى ابدني عبيدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح
فخرج فاخذ سكيناً فخر بها يده فمارقا الدم حتى مات فقال الله تعالى ابدني عبيدي بنفسه حرمت
عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يقتل شيئا يستحق به القتل مثل ان يقتل
فيقتل به فيكون هو الذي تسب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل
وقيل معناه ولا تملكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربا ادى الى قتل انفسكم **كان ان الله كان بكم رحما** يعني انه
تعالى من رحمته بكم بها كم عن كل شيء فتسجون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل
بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة وكان بكم يا امة محمد رحما حيث لم يكلدكم تلك التكليف المشقة
الصعبة **ومن يفعل ذلك** يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب
الذكور مات وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانها مذكرة في الآية واحدة
وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا **عذوا فاقول** يعني تجاؤز الحد فيبيع
الشيء في غير موضعه فذلك قبيح بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل جرم وهو القصاص وكذلك
قد يكون اخذ المال كحق فلهذا السبب فيه بالوعيد وما كان على وجه العدوان وهو قوله تعالى
فسوف نصليبه فاولا اى ندخله في الاخرة نار ايصلي فيها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لانه
تعالى قادر على ما يريد وقوله تعالى **ان تحبوا كباير ما تهنون** عنده اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه
جانبا والكبر ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقيل ذكر التقدير نذكر الاحاديث
الواردة في الكباير فمن ذلك ما روي عن ابن عباس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا
انبيكم با كبر الكباير ثلثا قلنا بلى يا رسول الله فقال لا شر لك بالله وعقوق الوالدين لا وسفاهة
الزور وقول الزور وكان متكيا فجلس فاذ له بكبرها حتى قلنا ليه سكت اخراجه في الصحيحين
ق عن ابن عمر قال قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكباير فقال الشرايب وعقوق
الوالدين وقتل النفس وقال لا انبيكم با كبر الكباير قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما مان

قال الشريك بالله والسحر قتل النفس التي حرم الله الا باحق والكل مال النبي والربا والتواهم
الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل الله نه او هو خلقك قلت ذلك لعظيم ثم اى
قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزا في حليلة جارك عن عبد الله بن عمر
ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبار الاشراك بالله وعقوق الوالد بن قتل النفس التي
الغوس في رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم ولم فقال يا رسول الله الكبار قال الاشراك
بالله قال نعم ما اقال اليميز الغوس قلت وما اليميز الغوس قال الذي يقطع به مال امرئ مسلم
يمين وهو فيها كاذب وعنه ابن مسعود صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبار شتم الرجل والديه قالوا
وهل شتم الرجل والديه قال نعم شتم رجل ابا الرجل وامه فيلج باه وامه وفي رواية من كبر الكبار
ان يلحق الرجل والديه يود ذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود الكبار الاشراك بالله والامن من
مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن
الكبار اربع سمعته يقول الى السبع مائة اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب لانه لا كبيرة مع التقار
ولا صغيرة مع اصرار فقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة في عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله
لا يجده في النار من هذه الامة الامن كان مرجعا عن الاسلام او جاحدا فريضته او مكذبا بغير
وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنارا وعقيل ولفعة وعذاب فهو كبيرة وقال اسفيان الثوري
الكبار ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغار ما كان الله بينك وبين الله تعالى لان الله
كريم يغفر ويعفو واجمع لذلك بما روي عن الحسن بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات توبوا
المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مولى الكبار ذنوب هل اليه والسيات ذنوب اهل
السنة وقيل الكبار ذنوب لعهد والسيات الخطا والنيان وما اكره عليه وحديث النفس
المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبار ما نهى الله عنه من الذنوب والسيات مقدماتها
وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة والمسة والقبلة واشياء ذلك عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب علي بن ادم نصيبه من الزنا يدرى ذلك لا محالة العينان زناهما
النظر الاذنان زناهما الاستماع واللسان زناهما الكلام واليد زناهما البطش والرجل زناهما الخطا
القلب ينوي ويتمني ويصدق ذلك الفرج او يكذب لغفلا مسلم وقيل الكبار الاشراك بالله وما يورث اليه
وما دونه فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كباير وصغائر الى هذا
ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدليل الكتاب والسنة واذ ثبت انفسهم المعاصي الى
صغائر وكباير فقولنا ان تجتنبوا كباير ما تهون عنده وهي كل ذنب عظم فحجه وعظم عقوبته امان في
الدنيا بالحدود وما في الاخرة بالعدا بعليه **تكفر عنكم سيئاتكم** يعني سائر ما عليكم حتى تغفروا بغيره

يعمل لان اصل التكفير السترو والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبايرها
الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن من ذنوب ما لم تغش الكبار ومنه في رواية
اخرى ومنه مضانا الى رمضان مكرات لما بينهن اذا اجتنبوا الكبار اخرجهم مسلم وقوله تعالى
ونعظكم مدخلا كما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبوا الكبار واتقوا بالطاعات
ندخلكم مدخلا نكرمون فيه قوله عز وجل **ولا تتموا فضلا** الله به بعضكم على بعض اصل التمتي
ارادة الشئ وتشتي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وما لا يكون وقيل
التمني تقدير الشئ في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تحييز فطن وقد يكون عن مزية واكثر
التمني تصورا لاحقيقة له وقيل التمني عبادة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن
ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله
ولا تتموا فضلا الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل الله المسلمين والمسلمات وكانت امر
سلمة اول طعينة قد من المدينية مهاجرة اخرجها الترمذي وقال هذا حديث مرسلا وقيل لا جعل
الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت للساجدة حق واحوج الى الزيادة من الرجال
لان ضعفنا هم اقوى واقد على طلب الحاصل منا فانزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت قوله للذكر
مثل حظ الانثيين قال الرجال اننا نرجو ان يفضل على النساء في الحسنات في الاخرة فيكون لنا
اجرا على ضعف اجرائنا ففضلنا عليهم في الميراث وقال النساء اننا نرجو ان يكون الوزر علينا
نصف ما على الرجال كما ان الميراث لنصف من نصيبهم فتركت هذه الآية والتمني على قسمين
احدهما ان يتمي الانسان ان يحصل له ما لا يغيره مع من والى تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم
هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يغير نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحسد يقرض
على الله فيما يفعل ومنه اعتمد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا
اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمي مثل ما لغيره ولا يجب ان يزول
ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس مذموم ومن الناس من يمتنع منه ايضا قال لان
تلك النعمة وما كانت مفسدة في حقه في الدنيا والدين والآخر لا تتم مال فلان ولا مال فلان
ولا تدمر عمل هلاك في ذلك المال فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض
بقضايه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الاخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي
ومعادى وقوله للرجال **انصيب ما انصيبوا للنساء نصيب ما انصيبوا** قال ابن عباس يعني مما
ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتاب في الاجر
سواء يعني ان الرجال والنساء في الاخرة سواء لان الحسنات بعشر امثالها والسيات بمثلها يستوي في ذلك
الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء

نصيب مما اكتسب من طاعة الأزواج وحفظ الزوج **واسئلوا الله من فضله** قال ابن
عجلون يعني من زوجه وقيل من عبادته وهو سوال التوفيق للعبادة وقيل لما يأم به عبادة
بالمسئلة الاليعطيم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيئاً في الدعاء والطلب ولكن يطلب
من فضل الله ما يكون سبباً للصالح دينه ودنياه واخرته وقيل لما عني النساء ان يكن رجالاً
وان يكون لهم مثل الرجال فيها من الله عز ذلك وامر من ان يسأل من فضله فانه اعلم
بمصالح عباده **ان الله كان بكل شيء عليماً** يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحاً للشايلين فليقتصر
السائل على المحل في الطلب فان الله عليم بما يصلح له فلا ينبغي غير الذي قدر له قوله تعالى
ولكل يعني من الرجال والنساء جعلنا موالاً يعني ورثة من نبي عم وأخت وسائر العصباء
ما ترك يعني يرثون ما ترك الوالدان والاقربون من ميراثهم فعلي هذا الولدان والاقربون هم الذين يرثون
وقيل ان قوله موالاً ما ترك يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلي هذا
الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة من تركهم وهم والدهاء واقربوه
والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره **والذي عاقبت ايمانكم** وقرئ عاقبت بغير الف
مع التحفيف والمعاقبة المخالفة والمعاقبة والايان جمع يمين يحتفل ان يراد بها القسم
او اليه او ما جميعاً وذلك انهم كانوا اذا تخالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتخالفوا
على الوفا بالعهد والتمسك به لك العقد وكان الرجل يحلف الرجل في الجاهلية ويحلفه
فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وماري ثارك وحنني حريك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب
في اطلب بك وتعتقل عني واعتقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فيقال الاخر كان
الحكم ثابتاً في الجاهلية وابتدأ الاسلام فذلك قوله تعالى **فا توهم نصيبهم** يعني اعطوهم حظهم
من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله **واولوا الامر** كما يصح في كتاب الله وقال
ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين اخايتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار
لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون تلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا
موالاً ما ترك نسختها ثم قال **والذين عاقبت ايمانكم من النصارى والرعاة والنصيحة** وقد ذهب
الميراث فيوصي له وفي رواية اخرى عنه قال **والذين عاقبت ايمانكم** فتوهم نصيبهم كان للرجل
يخالف الرجل بين بينهما نسب فيرث احدهما الاخر فنسخ ذلك الانقلا فقالوا ولوا الامر حرام
بعضهم اولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون ما بين يدي هذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب
قوله ان الآية ليست بنسخة بل حكمها باق والمراد بقوله **والذين عاقبت ايمانكم** الحلفاء والاراد من
قوله **فا توهم نصيبهم** يعني من النصارى والنصيحة والموافاة والمصافاة وغو ذلك فعلي هذا
لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على
ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمية في حجر ابي بكر الصديق فقرأت والذين عاقبت ايمانكم فقالت

لا تقرأ والذين عاقبت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين اتى الاسلام فحلفت
ابوبكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يورثه نصيبه اخرجها داود وعلي هذا فلا
لنسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت للمعاونة في الجاهلية على النصر لغير الاسلام
لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلف
في الاسلام واما خلف كان في الجاهلية لم يزد في الاسلام الا سدة اخرجهم مسلم وقوله تعالى
ان الله كان على كل شيء شهيداً قال عطاء بن ريد انه لم يرغب عنه ما خلق وبرأ على هذا الشهيد
الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد السامع على الخلق يوم القيمة بكل ما علوه
فعل في هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطايعين وعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل
الرجال قوامون على النساء نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء في امراته جسيمة بنت مزاحم
من بني زهير ويقال المرأة بنت محمد بن مسلمة وذلك انهما اشترت عليه فلهما فانطلقا ابوها
معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشت كبريتي فلهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لنقتض من زوجهما فانصر فتبع ايهاا لنقتض منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولم ارجعوا هذا
جابر انا في فائز الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم امر دناء امر وامر الله امر
والذي امر الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى **الرجال قوامون على النساء** اسلطان على تاديب
النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امر الله عليهن في المرة ان تطيعن زوجها في طاعة الله والقيام
هو القيام بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة ويحكمه في حفظها ولما ثبت
الله القيام للرجال على النساء في السب في ذلك فقال تعالى **ما فضل الله بعضهم على بعض** يعني
ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والبر والولاية والشهادة والجهاد
والجمعة والجماعات والامانة ولان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع
نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والنصيب في الميراث
وبينه النكاح والطلاق والرجعة واليه الاسباب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء قال
تعالى **وما انفقوا من اموالهم** يعني وما اعطوا من مهر النساء والنفقة عليهن عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت امر احدا ان يسجد لاحد لامرته الزوجة ان يسجد
لزوجها اخرجها من ربه **والصلح الحائض** يعني المحسنات القاملات بالخير **قانتات** اي مطيعات
لان زواجهن وقيل مطيعات **سحا** قطاعات **للغيب** لغو جهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج
العار بسب زناها ويحقر به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ
ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها
بما يكره اخرجها النساء ورواه البيهقي بسند القلي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان مرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها ثم تلا الرجل قواموت علي النساء الآية وقوله تعالى **يا حفيظ الله** يعني يا حفيظ الله حفيظ
بمن لا زواج وامرهم بآداب المهر والنفقة التي هي في حقهن قال في هروية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما في الضلع اعلاه فاذا ذهبت
تقيم كسرتة وان تركت لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية ما حفظن من عيبيهن
وقفن لحفظ الغيب وقيل ما حفظن الله من حقهن فمن اعوج ما في اعوجهن حيث امرهم بالعدل
فيهن واسكنهن معروفا وتسخرن باحسان **واللا تخافون اي غفلون وقيل تظنون نشوزهن**
اي تعلمون واصل النشوز الارتجاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته
والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل والقول مثل ان كانت تلبسها اذ اعانها
وتخضع له اذ خاطبها والفعل مثل ان كانت تقول له اذ دخل عليها وتسارع الى امره اذ امرها
فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه ولم تجبه اذ ادعاه ولم تبادر الى امره اذ امرها
امرها ذلك على نسوزها على زوجها **فقطوهن** يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فقطوهن
بالخوف بالقول هو ان يقول لها اتق الله وخافيه فان في عليك حفا وارجع عما ت عليه
واعلم ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان امرت على ذلك فمجرها في المصير وهو قوله تعالى
وامجروهن في المضاجع يعني ان لم ينزجن عن ذلك بالقول فامجروهن في المضاجع قال ابن عباس
هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يغير رعاها الى فراش اخر **واضرهوهن** يعني ان لم ينزجن
بالمجران فاضر بهن يعني ضربا غير مبرح ولا شايين قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي
الضرب مباح وتركه افضل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكره وعطف ذكره في الحديث فقتلوا الافاستوصوا بالنساء
خير افا ناهي عن ان يحدنكم ليس بملك من شئ غير ذلك الا ان ياتيهن حشة مبنية فان فعلن
فامجروهن في المضاجع واضر بهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تتبعوا عليهن سبيلا اخرجه
الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي سيرة سبه للمرأة ودخولها تحت حكم زوجها
بالاسير والضرب المبرح السد بيد الشاق وقوله **فان اطعنكم فلا تتبعوا عليهن سبيلا** اي لا تطلبوا
عليهن طريقا تحتجون بها عليهن اذا حقن بواجب حقكم عن حكيم بن معوية عن ابيه قال قلت لرسول
الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسبت ولا تقرب
الوجه ولا تعقب ولا تبجل في البيت اخرجهما بوجاد وقوله لا تعقب اي لا تنقل فجل الله عن علي
ابن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امرأته جلده العبد ثم لعنه بجماعها
او قال يجمعها من اخر اليوم عن ابي بن عبد الله بن ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم لا تضربوا النساء فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يضربن النساء على ارجلهم فخص

في ضربهن

في ضربهن فاطاف بالرسول الله صلى الله عليه وسلم نساكثير فيكون زواجن ليس وليك بخياركم
اخرجه ابو داود ايا بن عبد الله هذا قد اختلف في محبته وقال البخاري لا يعرف له محبة قوله ذنون
يقال ذنوب المرأة على زوجها اذا شرفت واحترات عليه واطاف بالنساء اطاف به في هذه الاحاديث
دليل على ان الاول ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها التاديب فلا يضربها ضربا شديدا او ليكن
ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه يجمع الخاسر ولا يبلغ بالصفة
عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالشد يد واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة والتخفيف
بالبلغ شئ واحد في هذا الباب واختلف العلماء في البعضهم حكم الآية مروع على الترتيب فان ظاهر
اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعظمنا
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان انتهت بمجرها مضجعا فان انتهت مضجعا لم تقبض
بالضرب بعث احكم وقال اخر من هذا الترتيب خرج عن خوف النشوز اما عند تحقق النشوز
فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظمها عند خوف النشوز وهل له ان يجرها في احتمال ذلك
وله عند ظهور النشوز ان يعظمها وان يجرها ويضربها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال
الرجل فيمضرب امرأته اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
الرجل امرأته الى فراشه فابتان حتى فبات غضبان عليها لغتها الملايكة حتى تصبح وفي رواية ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل دخل بامرأته الى فراشه فبالي عليه
الا كان الذي في السما خطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا بانتم ما جرة فراش زوجها فلتب
الملايكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا
الرجل امرأته كاحاجة فلتانة وان كانت على السور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجة من المحررين لا تؤذي به
قاتلك الله فانما هو دخیل عندك يوشك ان يارقك اليك ولا علم سلة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايا امرأة ماتت وزوجها را من عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن
عن النشوز الى طاعتكم عندهم هذه التاديب فلا تتبعوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب
والمجران على سبيل التعنت والاية او قيل معناه ان يولي عنهن التعنت بالاذى والتوبيخ ولا يجرها
عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن **ان الله كان عليا كبيرا**
العلو في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي يعلى عن وصفه الواسع ومعرفته العارفين
العلو بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبر وهو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى
الموصوف بالجلال والعظمة والكبريا وكبر الشان الذي يفوق كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان
الله متعال ثامن ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال
عنهن فان الله على كبير قادر ان يمتص من ظلمهن من الرجال او قيل معناه ان الله مع عباده وكبريائه

يقبل ثوبه العاصو اذا تاب ويغفر له فاذا تاب المرأة من نسورها فالاولى بكم ان تعبلوا ثوبها
وقر كوا مقابقتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدركم على من تحت ايديكم فانتم اخيرا العفو
عن من جنى عليكم قوله **وان خفتم** يعني وان علمتم او بينتم وقيل معناه الظن اي ظنتم
شقاق بينهما يعني بين الزوجين واصبل الشقاق المخالفة وكل كل واحد من المتخالفين
في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما ليس
على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واستبد حالهما ولا يفعل
الزوج الصلح ولا الصلح ولا الفرقة وكذلك الزوج لا تودي للحق ولا الفدية وخرجنا الى العمل
قولا وفعلنا وقوله تعالى **فابعدوا احكاما من اهل و حكم من اهلها** اختلفوا في المخاطبين هذه ومن
الامور بسبعة الحكمين فيصل الخطاب بذلك هو الامام او نائبه لانه تنفيذ الاحكام الشرعية
اليه وقيل الخطاب بذلك لا احد من صاحي الامة لان قوله تعالى فابعدوا احكاما جمع وليس عمله
على البعض اولى من عمله على البقية فوجب عمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاجل الامة
سوا وجد الامام اولم يوجد فللمصالحين ان يبعثوا احكاما من اهلهم وحكاما من اهلها وايضا
فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما
شقاق فابعدوا حكمين حكم من اهلهم وحكاما من اهلها **ان يريد اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين
يقول الله بينهما يعني بالصلاح والافعة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه جاء رجل وامرأة ومع كل واحد منهما قيام من الناس فقال علي ما شان هذين قالوا وقع بينهما شقاق
قال علي فابعدوا حكمين حكم من اهلهم وحكاما من اهلها ثم قال الحكمين قد مر بان ما عليهما عليهما ان يريا ان
تجما جمعنا وان يريا ان تفرقا فقامت المرأة رضىت بكما بل الله بما على فيدولى وقال الرجل
اما الفرقة فلا قال علي كذبت والله حتى تفرق مثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحج ان يبعث
الحاكم عديلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من اهلهم وواحد من اهلها لان اقامتهما اعدل
من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبين جاز وفايدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما
بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال يعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة
ثم يمتان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق او طلاق او خلع والى كل واحد من الزوجين ومن يجوز
لما تنفذ امر يلزم الزوجين دونهما واذنما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل وينفذ حكم
للراة شي من مالها فلهذا في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاها وليس حكم الزوج ان يطلق
الابادة ولا حكم المرأة ان تجتمع بشي من مالها الا باذنها وهو مذهبنا في حنفية وواحد لان عليا
توقف جنس المرض الزوج وذلك حين قال ما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تفرق مثل ما اقرت به
فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على قراره ورضاه ومعنى قوله على الزوج كذبت اي لست بمنصف في دعواك
حيث لم تفرق مثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بيع الحكمين

دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه وحكم المرأة ان تجتمع دون رضاهما
اذا راي الصلح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وقومادهما وبه قال مالك
ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قوله على الزوج حتى تفرق رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما
رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له بنت
حيث نكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل في كتاب الله فان قوله تعالى يوفى الله بيمينها يشمل على
الفرق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الائم والوزير ويكون ذلك تارة بالفرق وتارة
بصلح حالهما في الوصل وقوله تعالى **ان الله كان عليما خيرا** يعني انه تعالى يعلم كيف يوفق بين المتخالفين
ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلخوا غير طريق الحق قوله عز وجل **وابعدوا**
الله يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل ياتي به العبد بجزء الله تعالى
ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا به شيئا** يعني واخلصوا له في العبادة
ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لانه من عبادة مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد
اشرك به ولا يكون مخلصا عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار
يقال له عذير فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلنا لا وسرله
اعلم قال اما حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب
من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا نبشر الناس قال لا تبشروهم فيسلكوا قوله هل تدري ما حق
الله على عباده معناه ما يستحقه ما اوجبه وجعله محتما عليهم ثم فسرد ذلك الحق بقوله
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله واما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه
عليهم لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان يكون قول الرجل لصاحبه حقا على واجب اي
مؤكد قيام به وقوله افلا نبشر الناس انما قال لا تبشروهم فيسلكوا لانه صلى الله عليه وسلم راي ذلك
اصح لهم واخرى ان لا يتكلموا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة
وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** فانه يرد واحسنا بالوالدين احسانا يعني رايها وعظما عليها
والما قرن الوالدين بعبادة وتوحيده لانه حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم
بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل ما رادهما والاتفاق عليهما بغير راد عن اي
هبة قال جابر بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من اخق الناس بحسن صحابي
قال امك قال ثم من قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم ابوك ثم ابوك ثم امك
فادناك قوله ثم ابوك فيه حذف تعديه ثم رايك مر عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رغم انتم رغم انتم قيل من يا رسول الله قال من ادرك والده عند الكبر واحد مما لم
يدخل الجنة وقوله تعالى **وبذي القربى والفقراء والمساكين** الى ذى القربى وهم ذوجه من قبل ابية وامه
ق عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه

الى اعماله الصالحة فاعطوه منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو
اعلم به لك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول الملائكة ضعوهما
لعبدى وادخلوه بعقل حتى الجنة ومصدق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما الى الجنة وان كان عبدا شقيفا قالت الملائكة
المنافيت حسنة وبقي طاب لبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سياتهم فاضيفوها
الى سيئاتهم فاما كتابنا الى النار اخرج البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوف على
واسنده ابن جرير والطبري عن ابن مسعود فعنى الآية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة
للخصم على خصمه بل ياخذ هاله منه ولا يظلم مثقال ذرة بتقوله بل يبيد عليها ويضاعفها لذلك
قوله عز وجل وان تلك حسنة يضاعفها اي يجعلها اصغافا كثيرة **ويؤت من له** نه يعنى من عهده
اجرا عظيما يعنى الجنة والمعنى يعطى من عهده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض
هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يدرى قد رده قوله تعالى **فكيف اذا**
حينئذ من كل امة بشهيد يعنى فكيف حال هؤلاء المشركين المنافيين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة
بشهادتين قال ابن جرير يزيدها بالمعنى انه يؤتى ببنى كل امة يشهد عليها ولها **وجنابك يا محمد**
على ولا شهيد اعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخو طوبوا ما عملوا عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال في اجب
ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النسا حتى اذا جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد وجنابك على هؤلاء شهداء قال حسبك لان قال قلت اليه فاذا عيناة نذر فان
زاد سلم شهيد اما مات فيهم او قال ما كنت فيهم شكا احد رواه وقوله تعالى يومئذ يعنى يوم
القيامة **يوداي يمتي الذي نكروا** يعنى محمد واولاد امة الله تعالى **وعصوا الرسول** يعنى فيما امرهم
به من توحيد الله عز وجل **لوفسوى هم الارض** يعنى لو صارت ارضها وسويت عليهم وقيل انهم
ود والذين يبعثوا لانهم كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تبارك وتعالى
للهايم والوحوش والطيور والسمك كوني ترابا فتستوى به الارض فعند ذلك تنمى الكافر لو كان ترابا
ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس في رواية عطاء ووالوفسوى هم الارض وانهم لم يكونوا
كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كتموا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتابان ما كتموا في
الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونفقه وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف
قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اخبرني في القرآن شيئا يختلف على قال اختلفت
عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا
فقال انهم لا اهل للاسلام دونهم وبه ظلم الجنة فيقول المشركون تعالى ما كنا مشركين
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيجتم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم

ما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذي نكروا وعصوا الرسول
لوفسوى هم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كان من عند الله وقال الحسن انما هو موطن
لا يتكلمون ولا تشع الا هم او في موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
وما كنا نعمل من سوء في موطن يعرفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن
لا يتسألون وفي موطن يسألون الرجعة واخر تلك المواطن ان تختم على افواههم وتكلم جوارحهم
فهو قوله تعالى لا يكتمون الله حديثا **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** **تعلموا**
ما تقولون جمع سكران سب نزول هذه الآية ما روى عن علي بن ابي طالب قال صنع لنا ابن عوف طعاما
فدعانا فاكلنا وسفانا خمر اقبل ان نجزم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني ففرت قلوبنا بها
الكافرون اعيد ما تعبوا ونحن نعيد ما تعبوا وقال تخطيط فترت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون اخرج الزمذى وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود والفظه
ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامسهم
على الخمر فقرأ قل يا ايها الكافرون فخطب فيها فترت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير والطبري عن ابن عباس ان رجلا من الانصار كان ياتون الصلاة وهم سكارى
قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فعلي
مذا فغضبوا بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين
والمعنى لا تقربوا الصلاة حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة
وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المعنات والمعنى لا تقربوا
مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المعنات جائز سابق ويروى عليه قوله تعالى الموضع صوامع
وبيع وصلوات المراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم
اضافة النبي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها في غير اوقات
الصلوات ثم تزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم
يعنى لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويروى عليه ما روى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا ذنبي احدكم وهو يصلي فيليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس
لا يدرى ما عمله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **والاجنباء**
يعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لانه اسم جرى مجرى المصدر الى ما والاجنب واصل الجنبية البعد سمي الذي يصابه الجنبية
جنبنا لانه يجنب للصلاة والمسجد وقيل المجانبية الناس حتى يقتل الاعرابى بسبيل القابر
ها هنا فاعل من العبور ومقطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الاخر واختلف العلماء في
معنى قوله الاعرابى بسبيل على قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قولنا

من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيدهم لجنابة ولا ما عندهم ولا امر لهم الا في المسجد فمن
لم العبور فيه فعلى هذا يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب
الا يجتمعون فيه اما الخروج منه والله خول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب اخراجه منه
او يكون لما في المسجد فيه خذل اليه او يكون طريقه عليه فيم فيه من غير اقامة وهذه اقوال ابن مسعود
وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والفضال وعطاء الخراساني والفتح والزهرى
واليه ذهب الشافعي واحدا القول الثاني ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافر من العتيق بوا
الصلاة وانتم جنب لا ان تكونوا مسافرين ولم تجزوا الى اقامتهم وانتم جنب من الصلاة حتى تغتسل
الا ان يكون في سفر ولا ما معه فيتميم ويصلي الى ان يجد الماء فيغتسل وهذه اقوال علي بن ابي طالب وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقادة فمن جعل عابري سبيل المسافر من جنب من العبور في المسجد وهو
مذهبنا في حنيفة وصحاح ابن جرير والطبري والواحد القول الاول انه يدل على منعه وحيثما احدهما
ان المسافر لجنب لا يصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج الى انما رشيدين
المادة ذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى انما رشي الوجه الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر
وعدم الماء جواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل عليه ان جميع
الفرق استحسنوا الوقف على قوله **حتى تغتسلوا** يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة
باق على جنب لا يغايته لا يغتسل **فصل** في احكام تتعلق بالآية اختلف العلماء في العبور
في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يتيمم للعبور
في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا لجنب فتنة اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز
لجنب المكث في المسجد كما راوى عن عائشة قالت جاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يوقا اصحابه شاردة في المسجد فقالوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزلهم من حصة فخرج اليهم بعد فقال
وهو اهل هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد كما يضرون ولا جنب اخرجه ابوداود
وجوز احد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال اكثر من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن
حديث عائشة بانه في بعض رواة مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبله اسناده واستدل
احمد بن حنبل به بما راوى عن عطاء بن ريار قال رايت رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجلسون في المسجد وهم جنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور
في مسنده واحتج لمذهبه بجمهور عموم الآية وبما راوى عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه
وسلم صرحته هذا المسجد فنادى باعلا صوته ان المسجد لا يجلس لجنب ولا خافض
اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقرأ القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة
ويدل على ذلك ايضا ما راوى عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي ثم يخرج

فيترا القرآن ويأكل من ثمر الجنة ولا يجرد ولا يحجره من القرآن شي لغير الجنابة اخرجه
ابوداود والنسائي والترمذي واللفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث
حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الخافض ولا النفسا
من القرآن شيئا اخرجه الله ارقطني ويحيط لغسل ما حده شين ما تزال المني وهو الماء الذي فوق
او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل يد على ذلك ما راوى عن عائشة قالت سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم
ولم يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعلمها غسل قال نعم اخرجه
ابوداود والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اجلس بين شعبها
الاربعة ثم جمد هافقد وجب الغسل لمراد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى **وان كنتم مرضى** جمع مرضى
وامراد به المرض الذي يضر معه اساس المائل الجدرى واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض
اعضائه جراحة وبه قروح يخلف من استعمال الماء الثلث وزيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع
وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للمرجح في الوجه واليد
لما راوى عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجل منا حجر فشججه في راسه ثم احتلم فقال اصحابه
هل تجدون في حصة في التيمم فقالوا لم نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فأت
فلما قد منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الاسالوا اذا لم
يعلموا فاشفا الغي السؤال انما كان يكتفيان بتيمم ويعصروا قال يعصب شك الراوى على جرحه
خرقة ثم مسح عليه وغسل ساير جسده اخرجه ابوداود والدارقطني ولم يجوز اصحابنا لمراري
الجمع بين التيمم والغسل قالوا اذا كان الكثر من اعضائه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه
وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم وقوله
او على سفر يعني او كنتم مسافرين وامراد به السير الطويل والفقر وعدم الماء فانه يتيمم ويكتفي
اعادة عليه لما راوى عن ابي رقية قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا
ذؤاب فيها فهدت الى الربرة فكانت بقبسني لجنابة فامكث احدى والت فانييت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذؤاب فمكثت فقال لكلك ابا ذؤاب لمك الويل قد عابا رية سودا فجات
بفس فيه ما فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكان في القيت عن جيل فقال سعيد
الطيب وضو المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فاسجد حله فان ذلك خير اخرجه ابوداود
والعسقيج من فخر يجعل فيه الماء للوضوء والغسل اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم
الماء في موضع لا يعدم فيه غايته فانه يتيمم ويصلي ثم يعيده اذا وجد الماء وقدر عليه وقال
الشافعي قال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يوجب الصلاة حتى يجد الماء وقوله
تعالى **وجا احد منكم من الغائط** الغائط المكان المظلم من الارض وجمعه الغيطان وكانت

عادة العرب بيان الغايط للحديث فكنوا به عن الحديث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غايطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن عين الناس فسمي الحديث بهذا الاسم
فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى **ولا تستم النساء** قرئ هنا وفي سورة المائدة
لا تستم النساء والمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين احدهما انه اجماع
قوله على ابن عباس والحسن ومجاهد وقادة ووجه هذا القول ان الله كنى باللمس عن اجماع لان
باللمس يوصل اليه قال ابن عباس سمع كرم يكنى عن اجماع باللامسة والقول الثاني ان المراد باللمس
منها التقاط البشرتين سواء كان اجماع او غير اجماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والفتح
ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس اليه فاما حمل على اجماع فمجاز والاصل حمل الكلام
على الحقيقة لا المجاز وما قرأه من قرأ **ولا تستم** واللامسة مفاعلة من اللمس لا يدعى الجماعة
ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النبوي عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها
مى ان تقول اذا المست تولى ولمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس
باليد واذا كانت مستعملة في غير الجماعة لم يدعى قوله تعالى **ولا تستم النساء** على صرح اجماع بل
حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد فصل في احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل
المسئلة الاولى اذا افشى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حاييل بينهما انتقض وضوءهما
وهو قول ابن مسعود وابن عمر به قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن
ابن عمر انه قال قبل الرجل المرأة وجسها بيده من اللامسة فمن قبل امرته او جسها بيده فعليه الوضوء
واخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد
واحمد واسحاق اذا كان اللمس من انتقض وضوءه وان لم يكن بشهوة فلا ويد عليه ما روى عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نساياه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال العرق وممن
منى الا انت فتمسكت اخرجته الترمذي وابوداود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت
قال الترمذي لانه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال
جيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو بئس الاشئ
وفيه ضعف من وجدها عروة هذه اللمسة عروة بن الزبير ابن اخت عائشة اما هو بئس مجهول
قال البيهقي يعرف بعروة المزني واما الحفوط عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل
وهو صائم كما رواه النخاعة عن عائشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض وضوءه باللمس الا ان
يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض حال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واجت
من لم يوجب الوضوء باللمس كما روى عن عائشة انها قالت كتبت انام يني يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجلاي في قبلة فاذا سجد غمز في فقبضت رجلي فاذا قام بسطتها والبيوت يومية
ليس فيها مضاميح اخرجاه في الصحيحين و اجاب من ادعى الوضوء باللمس عن هذا الحديث

بانه

بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حاييل المسئلة الثانية اختلاف قول الشافعي في لمس الحر كالام والبنت
والاخت واجنبية صغيرة فاصح القولين عنده انه لا ينتقض وضوءه والثاني انه ينتقض وضوءه
وما خذ القولين عندهما حايلا لشافعي الترددين والتعلق بعموم الآية في قوله **ولا تستم النساء** والنظر
الى المعنى في التفتق باللمس وهو تحريك الشهوة فان اخذنا بعموم الآية فينتقض وضوءه ليس المحارم
وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والمراد هو الذي لا فعل منه في المباشرة حيا كان
او امرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضوءه واللامس
والمراد بعموم الآية لانه لم يفرق بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه
ينتقض وضوءه اللامس من الملموس لما روى عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة من الغار ثم فالتفتت فوضعت يدي على خصص قدميه وهو ساجد وبها منصوبتان
وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احي
ثنا عليك انت كما اثبتت على نفسك اخرجته مسلم فلما انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع
الصلاة ولمس شعر امرأة او سنها او طرفها فلا وضوء عليه المسئلة الثالثة في الحديث وهو الخارج
من السيلين عينا كان كالبول والغايط او اثر الكالنج ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا يقع صلاة
ما لم يتوضأ او يقيم عند عدم الماء ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلاة احدكم اذا حدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل حضرة من ما الحديث يا ابا
هريرة قال قسا او ضرا اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السيلين كالقصد
والنجاسة والرغاف والقي ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خرج هذه الاشياء يروى ذلك
عن ابن عمر وابن عباس به قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي
لما روى عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يمسك الله عز وجل من لم يتوضأ ولم يمسك الله عز وجل
مخارجه اخرجته الترمذي وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن
المبارك وامحاجب الرازي واحمد واسحاق وانفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينتقض وضوءه
ويدل على انتفاء الوضوء من خروج هذه الاشياء ما روى عن عبد الله بن ابي طحمة عن ابي الدرداء ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال فوضوا قالوا بعد ان فلقيت نوبان في مسجد دمشق فذكر له ذلك فقال
صدقنا ما سمعنا له وضوءه اخرجته الترمذي وقالوا صح في هذا الباب السد الرابعة من افق
الوضوء والاعتقاد يجوز وانما ادوم لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد وكما
السنة فمن اثم فليست بها اخرجها ابوداود وابن ماجة ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعا مغفيا
بحال الحديث الى الارض ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرون النساء الاخرة حتى تتفق وسهم ثم يمسكون لا يتوضئون اخرجها ابوداود وذهب قوم
الى ان النوم لا ينتقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحاق والمزني وذهب

قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابى هريرة وعائشة وبه قال الحسن
واسحاق والشافعية ذهب قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء
عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحابه لما روى عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرح
مفاصله اخرج احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسيلة الخامسة من مناقض
الوضوء من الفرج من نفسه او غيره قد سب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر بن عمر
وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وطيحان بن يسار
واليه ذهب الاوزاعي والشافعية واحمد واسحاق غير ان الشافعية قال لا ينقض الوضوء اذا المسبطين
الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء يدل على ذلك ما روى عن سيرة بنت صفوان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرج الترمذي وقال حديث صحيح
ولا يداود والنسائي نحوه وعن ام حنيفة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من مس فرجه فليتنوضا اخرج ابن ماجه وصححه احمد وابودرعه وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من افطن بيده الى ذكره ليس وفه ستر فقه وجب عليه الوضوء اخرج احمد بن حنبل
وذنب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابى الدرداء وحذيفة
وبه قال الحسن والبيهقي واثري واثري واثري واصحابه الرازي واجتوا بما روى عن طلحة بن علي
قال قد منا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه رجل كانه يدري فقال يا بني الله ما ترى في
مس الرجل ذكره بعد ما توضا قال هل هو الا مصنفه او قال بضعه منه اخرج ابو داود والترمذي
والنسائي نحوه بمعناه واجاب من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الحج وهو بينى في المسجد وابو هريرة من اخرهم اسلاما
وقد روى انتفاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابى هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث
طلق بن علي يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله تعالى **فلم تحذوا**
فتيمموا صعيدا طيبا اعلم ان التيمم من خصا يص هذه الامة خصها الله به ليسهل عليهم
اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلنا على الناس ثلاث جعلت صفونا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا
وجعلت تربتها لنا طهورا اذ لم نجد لها اخرج مسلم وكان سبب هذا التيمم ما روى
عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء
او بدأت الجيش انقطع عقدي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه
وليسوا على ما وليس معهم ما فاتي الناس الى ابى بكر فقالوا لا ترى الى ما صنعت عائشة اقامت
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما قالت عائشة فعاثتني

ابوبكر وقال ما شا الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير
ما فاتنا السعير وجل اية التيمم فتمموا فقال اسيد بن حضير وهو واحد النقباء ماى اولك
بركتكم يا ابى بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا القدر فخرجه
في الصباح حتى نزلها بالبيداء المفايزة والفقر وكل صحابي بيده او جمعها بيده وذات الخش
اسم موضع وهو على يريه من المدينة وقولها فبعثنا البعير اى اثرناه قوله تعالى فلم نجد واما
هذا المعطوف على ما قبله وللعنى اوجا احد منكم من الغايط او لا ستم التماسا فطلبتم التماسا
لنتطهر به فلم نجد ويعنى فاعوزكم فلم نجدوه بشئ ولا بغيره من لان المحرف ما مور بالظهور
بالما فاذا اعوزه الماعد لعنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعية اذا دخل وقت الصلاة
طلب الماء فانه يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة
اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعية قوله تعالى
فلم نجد واما فعدم الوجوب مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على
انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع
وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال
تيممت فلانا اذا قصده ومرو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء الثانية الصلاة
واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات قال
ابن زيد الصعيد للمستوى من الارض وكذا قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا يشي فيها
وقال الفر الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود
بالصعدات قال الصعدات الطرف ما خوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض
البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا يتا الى كان في الموضع ترابا ولا لان
الصعيد ليس هو التراب بما هو وجه الارض ونقل الزبيدي عن الشافعية في تفسير الصعيد فقال
لا يقع الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطيخ الغليظة والرفيعة فلا يقع عليها اسم
الصعيد فان خالطه ترابا ومدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم
بنورة ولا كل ولا زبرنج كل هذا حجارة هذا كلام الشافعية في تفسير الصعيد وهو القوي في
اللفظ وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في ذلك الفر ابو عبيد في انه التراب جميع الاقوال في
الصعيد صحيحة في اللفظ لكن المراد بها هاهنا هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا
ما هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعية الى انه يختص بما يقع عليه
اسم التراب ما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض
مسجدا او تراه طهورا فخص التراب بالظهور ولان الله تعالى وصف للصعيد بالطيب

والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها به ليل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته
 فعلى هذا اما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فاسحوا
 بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب
 عليه وايضا فانه يقال للغير اصعب لانه ما خوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا
 يكون ذلك في الصخر وما شبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بالطين
 بكونه من جنس الارض كالرمل والحصى والنورة والتراب ونحو ذلك حتى لو ضرب
 يده على صخرة ملسا لا غير عليها مسح يسميه عندهم واحجج ابو حنيفة ومن وافقه
 بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو الغرض والصعيد اسم لما تصاعده من الارض فقوله
 تعالى فيتموا صعيدا طيبا اي تصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا الصعيد كافيا واجيب
 عنه بان تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا لما روي عن جابر
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت في الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان
 هذا يحمل بفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقتضي على
 المحمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدوخو
 ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما يتصاعده على الارض واجيب عنه بان تقدم
 من الدلالة وقوله تعالى **فاسحوا بوجوهكم وايديكم** الوجه المسوخ في التيمم
 وهو المحذور في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسح من اليد فذهب كثير اهل
 العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب في حنيفة والشافعي انه مسح الوجه
 واليد الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب وي مسح باجمعه
 ولا يجب ايضا التراب الى منابت الشجر ثم يضرب ضربة اخرى ويغفرها صابغ فيمسح
 يديه الى المرفقين ويده ليس ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربات
 ضربة للوجه وضربة لليدين واه اليه في لم ينعغه وروى الشافعي عن ابراهيم
 ابن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 يقول فسلطت عليه فلم يرد على حتى قام الى الجدار فحند بعضا كانت معه ثم وضع يديه
 على الجدار فمسح وجهه وذراعه ثم رجع على السلام هذا حديث منقطع لان الاعرج
 وهو عبد الرحمن بن هرم لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمع من عمير بن موسى بن عيسى
 عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير بن موسى بن عيسى قال دخلنا على ابي جهم
 ابن الحارث فقال ابو جهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو نير رجل فلقية رجل
 فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الجدار فمسح
 بوجهه ويديه ثم رجع عليه السلام ولا يداود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر فجلست

الى ابن عمر فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال امر رجل في سكة من سكاك
 المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غايطا وبول فسلم عليه الرجل
 فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يده على غايط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رجع عليه
 السلام وقال لم يمنعني ان امر عليك اولا الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه
 الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان اليه في اشار الى صحة اسناده وكيفية
 دليل على الحكيم يعني مسح الوجه واليد بضربتين وايضا المسح الى المرفقين وفيه
 دليل على ان التيمم لا يبيح ما لم يتعلق بالوجه واليد غير التراب لان النبي صلى الله عليه
 وسلم حث الجدار بالبعض ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حثه وذهب الزهري
 الى انه مسح اليه من الى المنكب ويده عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال مسحوا وهرم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضرى ابا نعمم الصعيد ثم مسحوا
 بوجوههم مسح واحد ثم عادوا فضرى ابا نعمم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بابه ثم
 كاهها الى المنالك والاباط ثم يطون ايديهم اخرجوا بوداود وذهب جماعة الى ان التيمم
 ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي بن عيسى وبه قال الشعبي وعطاء وحول
 واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحد واسحاق وداود والنظامي واجتروا بما روي عن عمار بن ياسر
 قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجتبت فلم اجد الما فتمسحت في الصعيد كما تمسح
 اله انة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بدينك
 هكذا ثم ضرب يده الى الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنها
 ووجهه وفي رواية ان يقول هكذا او ضرب يده الى الارض فتغص يده فمسح وجهه
 وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملة ان اليه اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض
 اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو الموقوف في حد السرة وقال ابو اسحاق
 الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكيف فمن ذهب الى ان المسوخ في التيمم هو الكف
 قال ان حده اليه هو الموقوف في حد السرة ومن ذهب الى ان المسوخ في التيمم الى المنالك
 والاباط نظر الى ان يمسح اليد بطولها على جميعها ومن ذهب الى ان المسوخ في التيمم الى المرفقين
 قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المفسولة في الوضوء هي المسوخة في التيمم فيجوز
 المطابق له في قوله تعالى فاسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله تعالى
 في اية الوضوء فاعسوا ووجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث
 عمار بن ابي ربيعة بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم فمسح
 واركان التيمم خمسة تراب طاهر خالص غير عيار يتعلق بالوجه واليد ويجوز باليد اذا

كان عليه غبارا الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكنه ولونمه
 غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجها الثالث نقل الزاب الى الوجه واليد
 الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة
 الفرض والنقل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضميرين والترتيب
 ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرضين
 واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبنو قيس والجمهور وقتاده واليه
 ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز
 تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلى به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو
 قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الرأي والتفقوا
 على انه يجوز ان يصلى بتيمم واحد ما شاء من المواضع قبل الفرض وبعد الى
 ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنباً ويشترط طلب الماء
 في السفر ان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحر او احوال دون نظرم
 نظر حوا اليه وان كان دون نظرم حايلاً قريب من نزل وجد ارا وحده عند لعمري لان الله
 تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا غصفاً فامسحوا بآثاره الا على الفرج والمعدة ولا يشترط طلب الماء
 حنيفة فان لا الماء لا يقدر عليه لما منع من عدد واوسع منه من الذهاب اليه
 او كان الماء في بيرو وليس معه الا الاستسقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلى ولا اعادة
 عليه والله اعلم وقوله تعالى **ان الله كان عفواً غفوراً** يعني متجاوزاً عن ذنوب عباده
 ويعفو ويصفح عنهم **غفوراً** استورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه
 تنبيه على ان الله اخصر لعباده امر العبادات ويسرها عليهم لان من كان من عادته
 انه يغفر الذنوب ويعفو عنها بان يرضخ للعاجزين كان اولى قوله عز وجل **المر**
نزل الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس
 نزلت في مرفعة بن ريد ومالك بن خنسم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لوبا السنتهم او عاباه فانزل الله المر ترعيني المر بئته علمك يا محمد
 الى هؤلاء الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يعني اعطوا حظاً من علم التوراة وذلك انهم
 عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها ذلك اني
 من النبي المتبعين وقيل انهم علموا التوراة ولم يوتوا العمل بها **استأذنوا الصلوة**
 يعني يوشرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لياخذوا بذلك الرشا وتخصل لهم
 الرئاسة واما ذكره بلفظ الشرا لانه استبدل الشئ بشئ وقيل فيه اضرار يعني
 يستبدلون الضلالة بالهدى **ويريدون** يعني اليهود **ان تصلوا السبيل** يعني

عن

عن السبيل والمعنى انهم يتواصلوا الى اضلال المؤمنين والتلبيس لكي يحينو اغل الاسلام
وايه اعلم باعداءكم يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنهه ما في قلوب اليهود من العداوة
 والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تصحقهم فانهم اعداؤكم **وكفى بالله ولياً** يعني متولياً
 امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضرم عداوة احد **وكفى بالله نصيراً** يعني فهو
 ينصركم عليه فتقوا بولايته ونصره قوله تعالى **من الذين ينادوا** قيل ينادون للذين اوتوا
 نصيباً من الكتاب والتقية بالمراد بالذين اوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا وقيل
 هو متعلق بما قبله والتقية بكونه نصيراً من الذين هادوا وقيل هو الله الكلام وفيه
 حذف تقديره من الذين هادوا وقوم **يجزون العلم** اي يربونه ويغيرونه ويبدلونه **عن يوسف**
 يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من النبوة وقال ابن عباس كانت اليهوديات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيجيبهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا
 خرجوا من عنده حرقوا كلامه وقيل المراد بالتحريف لغا الشبهة الباطلة والتأويل
 الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى الباطل **ويقولون سمعنا وعصينا**
 يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمعوا
 قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول
 عند اواستخفافوا **واسمع غير مسمع** هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في
 المدح اسمع غير مسمع مكرهاً واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا
 ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم
 لا سمعت وقيل معناها غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناها غير مسمع جواً
 يوافقك ولا كلاماً ترتضيه **واعنا** اي ويقولون اعنا يريدون به الاستهانة بالربوة
 وقيل معناها اعنا سمعك اي صرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا الخطاب
 به الانبياء انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتخمين والتبجيل **يا بالستم وطغنا**
في الدين اصله لوتيا لانه من لوت الشيء اذا قلته والمعنى انهم تغيثون الحق فيجعلونه
 باطلاً لان اعنا من المراجعة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لا صحابة انما نشتمه
 ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فظاهره الله تعالى على خبيث ضمائرهم ومما في قلوبهم من
 العداوة والبغضاء ثم قال تعالى **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا** يعني ولو انهم قالوا بذكر
 سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا **واسمع** يعني يدل قولهم لا سمعت **وانظرنا** يعني يدل قولهم
 لم اعنا اي نظرنا **الكان خيراً لهم** يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب **ولكن لعنهم الله**
 يعني طردهم وابعدهم من رحمة بكنهم يعني محمد صلى الله عليه وسلم **فلا يؤمنون الا قليلاً**
 يعني فلا يؤمن الا بقليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل ما هو



اعترفهم بان الله خلقهم ورتبهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتوا الكتاب خطاب
اليهود امنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن مسعود وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا
الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك واصر واعلمى الكفر
فاتر الله عز وجل هذه الآية وامرهم بالايان وقرب هذه الامم الوعيد الشديد فقال تعالى
من قبل ان نطس جوهها اصل الطس انزاله الاثربا المحو وذكرنا في المراء بالطس هاهنا
وجه واحد ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازة اما من حمله على الحقيقة فقال
ما هو محيط بصور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كحرف لبعير وقيل يعيها فيكون المراد بالوجه
اليعني فارد هاهنا على ادبارها يعني فيجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل نديرها
فجعل الوجوه الى الخلف والاقفا الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه
الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحشرات فعلى هذا يكون
هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة واما من حمل الطس على المجاز فقال المراد به تطسها عن
الدهى فتردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقبل المراد بالطس طس القلب والبصيرة
فتردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فلبسهم الصغار والذلة بعد الغر وقيل
المراد بالطس محو آثارهم من المدينة ورد بهم الى اذرعات وارجح ان من ارسل الشام من
حيث جاوا وهم اجلابني النضير فان قلت قد اوردتهم وهدم بطس الوجوه ان لم يمتوا
ولم يمتوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطس بتغيير الوجوه
ومحو خطيئتها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن
منهم ناس فرغ عن الباقي وروى ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جا الى النبي صلى الله
عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت رى ان اصل اليك حتى يحول وجهي
الى قفائي وكذلك اروي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر الخطأ باسلم
وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان
لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن منهم جمع كثير فمن النبي صلى الله عليه وسلم
كعب بن سلام واصحابه فغاث الشرط لغوات الشرط وقيل ان الطس باق في اليهود فيكون
فيهم طس ومسح قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطس و
باللعنة وهو قوله او تلعنهم كالعنا اصحابا لبست اي جعلهم قردة كما فعلنا باباويلهم وقيل
المراد من لغتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في تلعنهم نقود الى المخاطبة قوله ايها
الذين آمنوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرى
بهم وقد جعل ان يكون معناه من قبل ان نطس وجوهها وتلعن اصحابا لوجوه فجعل الكناية

في قوله ان تلعنهم من ذكر اصحابا لوجوه اذ كان في الكلام دلالة على قوله تعالى وكان
امر الله مفعولا يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا حكم ولا نافي لا امره
على معنى انه لا يمنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان ما امر الله مفعولا الامر
هنا في موضع المأمور سمي امرا لانه عن امره كان وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين
اتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء فعلى
هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي ليس مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت في
وحشي واصحابه وذلك لما قتل حنظلة ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكثروا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس بمنعنا عن الاسلام الا انا
سمعناك بكلمة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الا ايات وقد دعونا مع الله الها
اخر وقتلنا النفس التي حرم الله ونزينا فاولاهذه الايات لا يتعناك فزلت الامن تاي
وامن وعمل عملا صالحا الا يتين فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قدموا
كتبوا اليه ان هذا شرط شهيد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فزلت انا الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية
فزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لو حتى اخبرني كيف قتلت حنظلة فلما اخبره قال
وبك غيب وجهك عنى فلتحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين فزاد
فزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لشرك ما كان على شركه ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء
يعني ويغفر ما دونه الشرك لمن يشاء من اصحاب الاثوب والاثام ففي الآية دليل على ان صاحب
الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شاعفا عنه وادخله الجنة بفعله
وكرمه وان شاعز به بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد الغفر
لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو محله في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دونه ذلك لمن يشاء وفي الآية مرد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة
ان يغفر صاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حرج
عليه ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب
يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر

هو في النار فقال ابن عباس ان الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا قال
عمر بن الخطاب قال اني لا ارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كل ذلك لا يضر مع التوحيد ذنب
فكنت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن ارجب الى من هذه الآية ان الله لا يغير الا يشرك به
ويغير ما دوز ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **عز جابر قال** جابرا
اعز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموحيتان قال من مات لا يشرك بالله
شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار وقوله تعالى **ومن يشرك بالله يعني يحيل**
معه شريكا غيره **فقد افترى** اي اختلق **ثما عظيم** يعني ثما عظيم غير مغفورا ان مات عليه قوله
تعالى **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** تركوا في رجال من اليهود اتوا باطعنا لم الى النبي صلى الله عليه
ولم فقالوا يا محمد هل علي هو لا من ذنب قال لا قالوا وما نحن الا كهيبتهم ما علمناه بالهنا
يكفر عنا بالليل وما علمناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت
في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ايتا الله واجاوه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى والتركية هنا عبارة عن مدح الانسان بنفسه بالصالح والدين ومنه تركية الشاهد
حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم ما علم من اتقى ذلك لان التركية متعلقة
بالنقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقةها الا الله تعالى ولا تصلح التركية الا من عتد
الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله تركي من يشا ويبدل في هذه المعنى كل من تركي بنفسه
بصلاح او صفا بترك العلو بزيادة الطاعة والتقوى بزيادة الزلف عند الله وهذه
الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم ما علم من اتقى ومعنى يزكون
انفسهم يزعمون انهم اتركيا لانهم يروا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى **بل الله**
ترك من يشا فيجعل تركيا **ولا يظلمون قبيلا** يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك
التركية من غير ظلم وقيل معناها ان الذين تركوا الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل
المنقول فسمي ما يكون في شوائب النواة فتبلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تغلفه بترابها
من سح او غير ويضرب به المثل في الشيء الخفي الذي لا قيمة له **انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم**
انظريا محمد الى هؤلاء اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم انهم لا ذنوب لهم ويزكوا
انفسهم **وكفى به** اي بذلك الكذب **ثما بيضا** قوله عز وجل **الم تر الى الذين اتوا نصيبا**
من الكتاب يومنون بالحيث والطاغوت تركت في كعب بن الاشرف وسبعين كتابا في
اليهود قد موامكة بعد دفعة احد ليحا الفواقر يسا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفضلوا
العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن
منه واترك باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومنصاج
كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكدهم فان اكرم ان تخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنيين ففعلوا

ذلك فذلك قوله تعالى يومنون بالحيث والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة لمحي
منكم ثلاثون رجلا ومن ثلاثون رجلا فقلنا قكنا ذنبا بالكيفية فتعاهد رب هذا البيت
لنجهنم نعل على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرت في القرآن ونقلم
وعن اميوز لا نعلم فايها اهدى سبيلا عن ام محمد فقال لكعب عرض على دينكم فقال ابو سفيان تنح
للحجج الكوما ونسقيهم الماء وقرى الضيف ونفك العاني ونفل الرحم ونفريت ربنا ونظف
به وعن اهل الحرم ومحمد فاروق دين ابايه وقطع اللحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد
الحديث فقال لكعب نعم والله اهدى سبيلا ما عليه محمد فانزل الله الم تر عني يا محمد الى الذين
اتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يومنون بالحيث والطاغوت
يعني به سجودهم للصنم واختلاف العلماء فيها فقبل الحجة والطاغوت كل معبود دوز الله
تعالى وقيل ما صنفان كافا لقريش وما للذين سجدوا لليهود لما طابوا فاضاة قريش وقيل الحجة
اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام وكل صنم سيطان يعبد فيه يكلم الناس فيغيروا
بذلك وقيل الحجة الكامن والطاغوت الساهر عن قطن بن قيسصة عن ابيه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول العياقة والطيرة والطريق من الحجة اخرجه ابو داود وقال الطريق
الرجرج العياقة وقيل هو زجر الطيرة وذلك ان اهل الجاهلية كان احدثهم اذا خرج لامر حطرا
فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجح فهو عن ذلك والطريق ما
ضرب بالحجارة واخصى على طريق الكهانة فهو اعند الطيرة هو ان يتطير بالنسي فيرى الشئ
فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الدمل والتخريج الضمير
وقيل الحجة كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغى الانسان وقيل الحجة هي بن اخطب
والطاغوت كعب بن الاشرف اليهود يان وكانا طاغية اليهود **ويقولون** يعني كعب بن الاشرف
واصحابه **للهذين كبر** يعني كعب بن الاشرف **لا يعني انتم يا هؤلاء اهدى من الذين اتوا سبيلا**
يعني طريقا **اوليك الذين لعنهم الله** يعني كعب بن الاشرف واصحابه **ومن يلحق الله** يعني بطر
من رحمة قلني **تجدله نصيرا** يعني ينصره قوله تعالى **الم لهم نصيب من الملك** هذا استفهام
انكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولي بالملك والنبوة
فكيف نتبع العرب فالكلام الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يوتون الناس تغير هذا جواب
لجزا من تقديره وليس كانا لم نصيب وحظ من الملك فلا يوتون الناس منه تغير او صغهم
الله بالحق في هذه الآية وصغهم بالجهل في الآية المتقدمة وصغهم بالجسد في الآية الالية
وهذه الخصال كلها مذكورة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والفقير في النقطة
التي تكون على ظر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الخفي النافذ الذي لا قيمة
له قوله عز وجل **ام يحسدون الناس على ما اناهم الله من فضل** اصل الحسد تحنى والنعمة

عن من هو مستحق لها وما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصفه الله اليهود بشر
خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه
لفظ اجمع وهو واحد لا نه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصه الخير والبر كما لا يجتمع
مثل في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة واحدة يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد
بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمل على اجمع اولى والمراد
بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما اخل الله
له من النساء وكان له يومئذ تسعة نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغلته امر النبوة عن
الامتناع بامر النساء فاذنهم الله تعالى ورضي عنهم بقوله **فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب**
والحكمة يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثير من جعوانين
الملك والنبوة مثل اود و سليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمغنى
كيف تحسدون محمد صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب
والحكمة وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة **واتيناكم ملكا**
عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق اود
وسليمان بكثرة النساء فانه كان له اودمانية وسليمان الف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعماية سرية
ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسعة نسوة ولم يكن ذلك مستعدها في حقهم ولا
تقتضي نبوتهم يعني اليهود في **من به** ايما النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل الله كعبه الله
ابن سلام واصحابه **ومنهم من صد عنه** اي عرض عنه ولم يؤمن به **وكفى تجهيم سعيرا**
يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى **ان الله يكفر**
باياتنا سوف نصليهم **نارا** وهذا وعيد من الله عز وجل للذين قاموا على كفرهم وتكذيبهم
ما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمغنى ان الذين جحدوا
ما انزلت على رسول محمد من ايات الله تعالى توجدهم وصدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف
نصليهم **نارا** اي نه خلمهم نارا انشورهم فيها **كلما** **نضجت جلودهم** يعني احترقت **بده** **الانعام**
جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلود ابيقتا كما مثال القراطيس
وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر الخطاب فقال عمر للتاريخ عدها فاعادها وكان عنده
معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها بده في كل ساعة مائة من فقال عمر هكذا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي في سننه قال الحسن تاكلم النار في كل يوم سبعين الف مرة
وعن ابي هريرة رفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام لا يكمل الشراعه عنه
قال ابن عباس صلى الله عليه وسلم ضرب الكافر اوقا قال ناب الكافر مثل احد وخط جلد مائة
ملاحة فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة

وانما قال جلودا غيرها التبدل صفتها كما تقول صفت من خا تمي خاتما غيره فالثاني هو
الاول غير ان الصياغة به لث الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي
عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يصح
لحقه ويصل لها اليه وقيل المراد بالجلود السراويل وهو قوله سراويلهم من قطر ان المغنى
كلما نضجت سراويلهم واحترقت بده لنا سر سرييل من قطر ان غيرها لان الجلود لو احترقت
لفنت وفي قباها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون قنبا ولا يخفف عنهم من عذابها
ولان الجلد احدها جزا الجسم فثبت ان التبدل تمامه للسراويل وقيل بده الجلد من نفس الكافر
فيخرج من جلد اوقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلود الا تالم لتكون زيادة في عذابهم كلما
احترق جلد بده لهم جلد اخره وقوله تعالى **وقل العذاب** اي انما فعلنا بهم ذلك ليحذر وا
الم العذاب وكرهه وشدةه وانما التي يلفظ الله وق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي ناله
اخبارا بان احسانهم به في كل حال كاحسان الذي يؤتيه تجديد وجدان الله وق من غير نقصان
في الاحسان **ان الله كان غفرا** يعني في انتقامه من يقيم منه من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع
عليه احد **حكما** يعني في تدبيره وقضاياه وان لا يفعل الا ما هو الصواب **والذين امنوا**
وعملوا الصالحات **سند خلم** يعني سوف ندخلهم يوم القيمة **جنان تجري من تحتها**
الانهار **خاله** **ن فيها** يعني باقية فيها **ان الله** يعني ذلك الجلود بغير نهاية ولا انقطاع لهم فيها
يعني في الجنات **ازواج مطهرة** من الحيض والنفس وسائر اقدار الدنيا **وندخلهم ظللا**
يعني كنيما ذلك الظل لا ينسخه الشمس ولا يوزيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل يوظل الجنة
فان قلت اذ لم يكن في الجنة شمس يوزي حرها فما فايده وصفها بالظل الظليل قلت انما
خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من عظام
اسباب الراحة واللذات فهو كقوله ولهم من رزق فيها بكرة وعشا قوله عز وجل **ان الله يامرهم**
ان يودوا الاما **ثاني الى اهلها** قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد المطلب
وكان سادس الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اخلق عثمان باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقبل له انه مع عثمان فطلب
منه فابى قال ابو عثمان انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلو على اني طال بيده واخذ منه
المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج
سأله القيس ان يعطيه المفتاح الى عثمان ويعتد اليه ففعل ذلك فقال له عثمان كرهت
ثم جئت ترقي فقال له لئلا تزل الله عز وجل في شأنك فقرأنا وقرأ عليه لاية فقال عثمان اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه سبيبة
فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان

بن طلحة يوم الفتح وتبعه لفتح وقوله لو علم انه رسول الله لم امنعه المفتح نظر
والفتح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة ما جرى المدينة
في هذه المدينة سنة ثمان مائة خاله بن الوليد وبقية عمر بن الخطاب من عند النجاشي
فراقها وهاجر معها فلما رايه النبي صلى الله عليه وسلم قال ومنكم مكة بافلد كنهها يعني انهم
وجوه اسلم مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
فروه النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالة محلاة لا تزعجها منكم
الا ظالم ولم يذكره اسوال العباس السدانة واسماعيل وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر
قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مرفق اسامة على القصور ومعه بلال
وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان انا بالمفتح فجاه بالمفتح ففتح الباب
وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب يعطيه
اياها فقال العباس يا بني انت وامى اجمع لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه
العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاغاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاتك يا رسول الله
يامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الآية قد عاين عثمان ودفع اليه
ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله
عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ما يدلك على ذلك فاعلم ان هذا القول يكون الخطا
في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاوني الله عز وجل امره ان يفتح البيت
لاعثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلهما لولا
امور المسلمين من الاموال والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يامركم يا ولادة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتكم
عليه من امور عييتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعهوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع
الامانات ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيه خلة ذلك جميع الامانات
التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اشياء الاول رعاية الامانة في عبادة الله
عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء
حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات
القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه في سائر اعضائه
فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين
غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغل بسماع شيء من اللغو والفحش والاكاذيب

ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر
عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى اربابها الذي ائتموه عليه ولا يخفى
فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادا امانة الى من ائتمنك ولا تخن
من خانتك اخرجها ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل
والميزان فلا يطفف فيها ويدخل في ذلك ايضا عدل الامر والملوك في الرعية ونصح العلماء للامة
فكل هذه الاشياء من الامانات التي ائتم الله عز وجل اربابها الى اهلهما وروى البغوي بسنده عن ابن
قال قلت لابي حنيفة بن اسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا
تقالي **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** يعني وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس بالعدل
فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق من وجه عليه من وجهه واقتل العدل هو المساواة في الاشياء
فكل ما خرج عن الظلم والاعتدال سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاتل ان يسوي بين
الحضين بخمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع
منهما والحكم بلحق فيهما وعليهما وكما اصل الامر فيه ان يكون مقصود الحكم بحكمة ايصال
الحق الى مستحقه وان لا يخرج ذلك بغرض اخر **عن عبد الله بن عمر** عن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه
يمين اليه يزيد لوزنهم واهلهم وقا ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وان بعض الناس
الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرج الترمذي وقوله تعالى **ان الله تعالى اعظمكم**
اي نعم الشيء الذي يعظمكم به وهو ادا الامانات والحكم بالعدل ان اسكان سمعنا بصيرا
يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير لما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا ائتمت الامانة
فهو يصير فعلمكم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر**
منكم **وقال ابن عباس** قال تزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآية في عبد
الله عز وجل ان من قيس بن عدي السهمي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن
تزلت في خاله بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن
ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجا
خاله فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنتك وقد اسلم فقال خاله اتجير على وانا الامير
فتنازعوا وقد ساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير
فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد
وهو امثال الامر بطاعة الله عز وجل امثال امره فيما امره الانقياد لذلك الامر وطاعة الله
واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى اطيعوا

الرسول فاجبت طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في اولى
الامر ان يزل وجبت طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعني واطيعوا واولى الامر منكم قال
ابن عباس وجابر بن عبد الله والعلما الذين يعلمون الناس مقام دينهم وهو قول الحسن والحسين
ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامر والولاية ومي رواية ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب
حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان
ان يسمعوا ويطيعوا **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص
الامير فقد عصاني **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع
والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة **ح** عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي
كان من راسه زبجبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال يمينون بن مهران هم امر السرايا والبعوث
ومى رواية عن ابن عباس ايضا وجه هذا القول ان الالة تازلة فيهم وقال عكرمة اريد ابولي
الامر ابا بكر وعمر لما روى عن جديفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اراي
ما بكم فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر خيرا ثم روى عن جميع الصحابة لما
روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتدتم ثم اخرج
ابن جرير في كتابه وروى البغوي عنه عن الحسن بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي في امتي كالمخ في الطعام لا يفسد الطعام الا بالمخ قال الحسن فذهبنا
فكيف نصليح قال الطبري واولى الامر بالصواب قوله ان قال هم الامر والولاية فيما كانه عن
وجبت طاعة المسلمين مصلحة وقال الزجاج وجبة اولى الامر من يقوم بسلك المسلمين في امر
دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على
الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما يجب طاعة فيما وافق الحق
وقوله تعالى **فان تنازعتم في شئ** يعني اختلفتم في شئ من امر دينكم والتنازع اختلف الاراء
واصلها من انتزاع الحجة ومواز كل واحد من المتنازعين في شئ الحجة لنفسه **فردوه الى الله**
والرسول كرهوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسول الله
عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله
واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فانه لا يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يوجد في السنة فسيلا الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله
ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** يعني اهلوا ذلك
الذي امركم به ان كنتم تؤمنون بالله والى طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه

جزا الاعمال قال العلماء في الآية دليل على ان من لا يعقده وجوب طاعة الله وطاعة الرسول
ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا
بالله واليوم الآخر **ذلك خير** يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير **واحسن تأويل** يعني واجبة
وقيل معناه ذلك اشد لكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويل لا منكم له واعظم اجرا
قوله **قل للمؤمنين** **الذين نزلوا اليهم انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا**
الى الطائفت وقد امر ان يكونوا به قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له يسر كان بينه
وبين يهودي خصومة فقال لليهودي ننطق الى محمد وقال المنافق بل ننطق الى كعب بن الاشرف
وهو الذي سماه الطائفة فاني اليهودي اني كما صمد الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راي
المنافق ذلك اني معالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي
فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال لا نطابقنا الى عمر فأتيا عمر فقال لليهودي اختصمتا لنا وهذا
الى محمد ففطن عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه محاصي اليك فقال عمر للمنافق اكد لك قال نعم
فقال للمنافق اخرج اليك فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتم عليه ثم خرج فضربه
المنافق حتى برى وقال هكذا افضى بيني وبين من يقصا الله وقصا رسول فتركت هذه الآية وقال
جيرار ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان من اليهود قد اسلموا ووافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية فكانت قريظة حلفا للزجر والنضير حلفا للاوس
وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير فقتله واخذ دية مائة وسق من تمر
واذا قتل رجل من النضير رجلا من بني قريظة لم يقتله واعطى دية مائة وسق فلما جاء الله
بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا
في ذلك فقال بنو النضير كما وانتم قد اسلمتمنا على ان تقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة
وسق وديتكم ستون وسقا ففتح نبطكم ذلك فقال الزجر هذا شئ كنتم فعلتموه في الجاهلية
لكنكم كنتم وقتلتنا فقتلتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا تقتلوا منكم علينا فقالا للمنافقون
منهم ننطق الى اني بركة الكاهن الاسمي وقال المسلمون من الزقنين بل ننطق الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاني المنافقون وانطلقوا الى اني بركة الكاهن ليحكم بينهم فقال طهوا اللعنة يعني
للخلف فقالوا لك عشرة اوسق فقال لابل مائة وسق يعني فابوا ان يعطوا الا عشرة اوسق واني
ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل آية القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين نزعوا من امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك الآية والرحم بضم الزاي وفتحها القيان واكثر ما يستعمل الزعم
بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا قيل انهم مظنة الكذب
والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وطاهر لا يبرأ على انها نازلة في
الذين نزعوا من امنوا اهل الكتاب ويبرأ عليه قوله **ما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون**

ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس ساء ما اعد الله طاغوتا لا فراطه في
الطغيان وعدا وقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد
امر ان يكفر وابه يعني بالطاغوت لان الكفر به ايمان بالله عز وجل **ويريد الشيطان ان يضلهم**
يعني عن طريق الهدى والحق ضلالا بعيدا واذا قيل لم يعني للمنافقين تعالوا الى الله والى
الرسول يعني هلموا الى حكم الله الذي انزل في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به راي المنافقين
يصعدون عنكم صعدا يعني يعرضون عنكم وعن حكمه اعراضا والى عرض المنافقين
عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق العزخ
ولا يقبل الشئ قول عز وجل **فكيف اذا اصابكم مصيبة يعني فكيف حاله هو المنافقين وكيف**
يصنعون اذا اصابكم مصيبة يعني يصنعون عجزا عنها بما قد مت ايدهم يعني يصيبهم عقوبة بسبب
ما قد مت ايدهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء نصيحتهم
ورضايتهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر
لذلك المناق وقيل هي كل مصيبة تصيب للمنافقين في الدنيا والاخرة ثم جاء **وك** يعني المنافقين
حين يصيبهم المصائب يعتذرون اليك **يخلفون بالله ان امرنا اي ما امرنا بما كنا لغيره**
الا احسنا يعني في التحاكم الى غيرك لاساءة ونوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك
في حكمك وقيل كما اوليا المناق الذي قتله عمر يطالبون دينه وقالوا ما امرنا بما كنا لغيره
الا ان يحسن الى اصحابنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به
من قتل منا حينما فاهم بل الله دم ذلك المناق **وليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من**
النفاق فاعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم وعظم يعني بالسكان والراد
به زجرهم بالوعظ عن النفاق والكذب والتجسس عنهم بعد اذ اخبرهم **وقل لهم في انفسهم**
قول لا يبلغا يعني بليغا يورث في قلوبهم موقعه وهو التحفيف بالله عز وجل وقيل هو ان
يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهروا ما في قلوبكم من النفاق
قتلتم لانه هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في
انفسهم اذا خلوت بهم قول لا يبلغا الى غلظ عليهم في القول لخاليتهم ليس معهم غيرهم سارا
لهم بالصيحة لانها في السراخج وقيل هذا الاعراض من منسوخ بآية القتال وعدكم العلم
في هذا البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايضا للمعنى الى التلميح في احسن صورة من اللفظ وقيل
البلاغة حسن العبارة ومع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الاجازة مع الافهام وحسن
القصص من غير افتخار وقيل احسن الكلام ما قللت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير
الكلام ما تسوق اوله الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سبق
لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد

بالقول

بالقول البليغ في الآية ان يكون حسن اللفاظ وحسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب
والاعتذار والانهاد والوعيد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظيم
وقعه في القلوب وارتقى المقوس **وما ارسلنا من رسول الا ليظاع باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت**
طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامره وقيل معناه بعلم الله وقضائه او طاعته
تكون باذن الله لانه اذن في فية فتكون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعته الله ومعصيته
معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم
وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعته على من ارسلتك اليهم وفيه تقي وتخ وتوزيع
للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنوا بحكم الطاغوت ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليها **جاءوا**
يعني جاءوا كالتاسين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متصليين مما اتركوا من مخالفة
فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالاخلاص والغواني الاعتذار اليك من ايديك
برد حكمك والتحاكم الى غيرك واستغفروا الرسول يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره
وانما قالوا استغفروا الرسول ولم يقلوا استغفرت لهم اجلا لالرسول صلى الله عليه وسلم
وتجسيمه وقطيما لاستغفاره وانهم اذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالة وجعله
سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السعد
الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجود الله تعالى اياهم يعني لو انهم
تأبوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويغفر عنهم ورحمهم
قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا تنصرون الاية في الزبير بن
ابن العوام وجل من الانصار رفق عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاضع الزبير
عند النبي صلى الله عليه وسلم في شرح الحرة التي يسقون لها النخل فقال الانصار اري سرح
الماير فان عليه فاختصا عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للزبير استوي الزبير ثم ارسل الى جارك فغضب لانصارى ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك
تقتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسقيا زبير ثم احبس الماشي رجوع
الى الحرة فقال الزبير والله اني لاحب هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم اراد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حثية للزبير
حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير ان يراى امراد فيه سعة له
وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه في صرح الحكم قال الزبير والله ما احب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية

وقوله اختصا في شرح الحجة السراج مسابيل الى الحق تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحد
شرح به يسكنون الارض والحرارة الارض المثلثة بالحجارة السود وقوله قتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني تغير وجهه وقوله قلما احفظ اي اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله حتى يرجع الى الجدار هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعب له اي استوفى له حقه في صريح
الحكم وهو ان من كان امره ما قرب الى قم الوادي فهو الى ما بال وادي وحقه تمام السقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما اني خصه بذلك ولم يعترف
بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام
وحمل خصه على الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تتعلق بما قبلها قال البغوي
وروي انها اخر جازم على المقداد فقال الحق كان القضا قال الانصاري لان عمته ولوى شد قد
تعلق له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هو لا يشهد وزانه رسول الله ثم يتهمة مؤنه
في قضاي قضى بينهم وامر الله لعدا ذنبنا ذنبكم في حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه
فقال فاقبلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين العنا في طاعة ربنا فقال ثابت بن
قيس بن شماس اما والله انا لم اعلم مني الصدوق لو امر في محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد
والشعبى تزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطلغوت وعلى هذا
القول تكون الآية متصلة بما قبلها فقول فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لامزيدة لما قبله
معنى القسم وقيل ان الامر لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم بخالفون
حكم ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموا فيما بينكم يعني فيما
اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما البس عليهم يقال ساجره في الامر اذا نازعه
فيه واصله الله اخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلفوا **لا يجدوا**
في انفسهم حرجا مما قضيت يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكك ما قضيت بل يرضون بقضائك
ويسلموا تسلما يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شئ من امرك وقيل معناه
فيسلموا ما تاروا فيه لحكمك قوله تعالى **ولو انا كتبنا عليهم** يعني فرطنا وارحنا عليهم
الضمير في عليهم يعود الى المنافقين وقيل يعود الضمير على العاقبة فيدخل فيه المنافق وغيره
ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من ديارهم
ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعلوا الا القليل منهم تزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
ان رجلا من اليهود قال الله لتوكتبنا الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله
وقيل لما تزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو لم نالفعلنا ولمحمد الذي عاونا فبلغ ذلك
الذي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال ان

الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني ما سمعته والمعنى انا
ما كتبنا عليهم الاطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج
عن الدور والوطن ما كان فعله الا نقر يسير منهم وتولى الا قليل منهم بالنصب وقد يراه الا ان
يكون قلة منهم **ولو انهم فعلوا ما يوعدون** يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه **لكان خيرا لهم** يعني في الدنيا والاخرة وانما سمي ذلك التكليف
وعظا لان امر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والعيد والثواب والعقاب وما كان
كذلك ليسي وعظا **وانه تبيننا** يعني تحقيقا وبصديقا لا يماهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات
ايماهم وقصد بقرهم **واذا لا يتبيننا من لدنا اجرا عظيما** يعني ثوابا وافرا جزيل واذا اجاب رسول
مقدم كانه فيلماذا يكون من هذا الخير والتبني قال هو ان نوبتهم من لدنا اجرا عظيما **ولهديناهم**
صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولا مرشدنا هم الى من مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه
ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يرضى عليه المؤمنون
الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم ولا تترك الصراط المستقيم بعده لانه هو المودى الى الجنة
قوله عز وجل **ومن يطع الله والرسول فلنكون له من الاجر العظيم** الآية تزلت في ثوبان
مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شهيدا لمحمد صلى الله عليه وسلم قليل الصديقين عنه
فاناه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف لحن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك يا ثوبان قال يا رسول الله ما لي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة
شديدة حتى القالك ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانني
وان دخلت الجنة كنت في منزلة مني ادى من منزلة مني وان لم ادخل الجنة لا اراك ابد افلئت هذا
الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرك
العلي ونحن اسفل منك فكيف نراك فامر الله هذه الاية ومن يطع الله يعني في اداء العرايين
واجتناب النواهي والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سننها فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا ويدخلون الجنة في الاخرة **من يمينهم** يعني ان المطيعين
مع النبيين في الجنة لا تقوتهم روية الانبياء في الجنة ومجاالتهم لا انهم يكونون في درجاتهم في الجنة
لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين القاضل والمفضول **والصديقين** الصديقين الصادقة
فيعمل من الصدق والصدق هو اتباع الرسل الذين يتبعونهم على منهاجهم بعدد حتى يحقوا بهم
وقيل الصدق هو الذي صدق بكرا الذي حتى لا يخاطبه فيه شك والمراد بالصدق يقين في هذه
الاية اقاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بكرا فانه هو الذي سمي بالصدق في هذه
الاية وهو افضل اتباع الرسل **والشهداء** هم الذين شهدوا في بسل الله وقيل هم
الذين شهدوا يوم احد **والصالحين** جمع صالح وهو الذي استوى سريره وعلا نيته

في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنيب هنا محبة
صلى الله عليه وسلم وبالصدق يعني اليك وبالشهادة اعترافا وعلى بالصالحين سائر الصحابة
وحسن اوليك رفيقا يعني المشاورة اليهم وهم النبيون والصدقيون والشهداء والصالحون وفيه معنى
التعجب كانه قال وما احسن اوليك رفيقا يعني في السنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتقاء ذلك
وتعجبته وانما واحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه
وحسن كل واحد من اوليك رفيقا عن نيل من جلاسا لابي النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال
متي الساعة قال وما اعدت لها قال لا نبي الا انا جلاسه ورسوله فقال انت مع من احببت
قال اني في اقر جاني فرحنا بقوله النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال اني انا احب
النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجوا ان يكون معهم يحي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفه لثواب **الفصل في سبيل الله** يعني الذي اعطى الله المطيعين
من الاجر العظيم **وكفى بالله عليما** يعني يحضر امر طاعه وقيل معناه وكفى بالله علما بعباده فهو
يوفهم بطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله
تعالى ورحمته ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل
احد امنكم عمل الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتعدى الله منه بعضا ورجمه
لفظ البخاري وسلم نحو قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم** الحذر احتراز عن خوف والمعنى
احذروا واحذروا من عدوكم ولا تمكثوهم من انفسكم وقيل المراد بلذرها هذا السلاح يعني خذوا
سلاحكم وعدكم لقتال عدوكم وانما سمي سلاح حذرا لان به يتقوى ويحذر وقيل معناه احذروا
عدوكم ولقائل ان يقول اذا كان العدو وكانا فيا يتوقع الحذر فاجب بعبادته لما كان الكفر بعبادته
الله وقد كان الامر اخذ الحذر من قضا الله وقدره **فانفروا ثباتا** اي اخروا سرايا متفرقين سرية
بعذرية **وانفروا جميعا** يعني او اخروا جواكلهم مع بنيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان
منكم من السبيطين تزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنة والنسب
واظهار كلمة الاسلام لاني حقيقة الايمان والمعنى وان منكم من لي تارخه وليتأقلا عن الجهاد
وهو عبد الله بن ابي اسلول المنافق وكان من اسل المنافقين **فان اصابتكم مصيبة** اي قتل وهزيمة
قال يعني هذا المنافق **فانتم الله على** يعني بالعبود اذ لم ان معكم يعني مع المؤمنين شبيهة اي معنى
حاضر الواقعة فصيبني بها اصابهم **ولين اصابتكم فضل من الله** اي فتح وغنية ليقولن يعني هذا
المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة ايمه مودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم
وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر **اليتنى كنت معهم** في تلك الفترة التي غم فيها
المؤمنون **فاقر فور اعظيما** اي فاخذ نصيبا واقر من الغنية قوله عز وجل **فليقاتل في سبيل الله**
هذا خطاب للمنافق اي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المحضين

اي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله **الذين يثرون الحياة الدنيا بالآخرة** اي يبيعون ثباتا شريفا
بمعنى بعت لانه استبدل العوض بموضع والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون
حياتهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطلاعة وقيل معناه فليقاتل
في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا بخيرات الآخرة وثوابها على الدنيا القانية
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يفتل اي فيقتل او يفتل يعني يظفر بعدد من الكفار **فسوف نؤتيه**
يعني في كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيها **اجر عظيم** يعني ثوابا وافرا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج له الاجهاد في سبيله وايمان به وتقدير
برسلي فهو على ضمان ان يدخل الجنة او امرجه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر وغنية لفظ
مسلم قوله تعالى **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله
لاستفاد المؤمنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب للمعني
لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاد **والستضعيف**
من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد امة قومنا من المسلمين استضعفوا فنجسوا وعذبوا
وقيل كان هؤلاء بكفة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا في قتلهم واقتلوا
من المؤمنين عذب بينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بركة قوة
يتسعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** وفي خلاص
المستضعفين قال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم عن ايديهم
في قوله **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** والمستضعفين الآية قال كنت ناويا من المستضعفين
وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس لا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
قال كنت ناويا من عذر الله اقام من الولدان واي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث
ابن عباس يكون معنى المستضعفين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن
عذبهم في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو العبي الصغار **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه**
القرية يعني مكة **الظالم اهلها** يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم
عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الحج من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل
فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك **واجعل لنا من لدنك وليا** يعني وليا
يلينا **واجعل لنا من لدنك نصيرا** يعني ينصرا ونصيرنا ونصيرنا من العداستجاب الله دعائهم وجعل لهم من لدن
خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين
يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينظر المظلمين على
الظالمين ياخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل **الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله** يعني في طاعة
الله واعلا كلمة وابتغاء مرضاته **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** يعني في طاعة الشيطان

فما لمواوليا الشيطان اي قاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان
كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جملة الاحتيال يعني بكيد ما كاد المؤمنون به من تحزبه
اوليا الكفار يوم يدر كونه ضعيفا لانه خذل اوليا ملايكة قد نزلت يوم بدر وكان
النصر لوليا الله وحزبه على اوليا الشيطان وحزبه وادخل كان في قوله كان منعينا التاكيد
ضعف كيد الشيطان قوله تعالى **لم نزل اليك بقيل لم كفوا ايديكم واقموا الصلاة واتوا الزكاة** قال
الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري المقداد بن اسود الكندي قد اشتهر بنظفون كجحي
وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا
بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ايدنا في قتالهم فانهم قد اذونا قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانهم امرتوا بالصلاة والزكاة واتوا الزكاة يعني قبل الصم
كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا اما اذ من من الصلاة والزكاة وفيه دليل على اذ فرض الصلاة والزكاة
كان قبل فرض الجهاد فلما كتب عليهم القتال اذ فرض عليهم جهاد المشركين امروا بالمخرج الى بدر اذا
فروا منهم يعني اذا اجتمعوا من الذين قالوا ان يقرض عليهم الجهاد **يخون الناس** يعني يخافون مشركي مكة كخبة
اسد اسد خيبة او بمعنى الواو يعني واشد خيبة وقالوا لم ينالنا كسب علينا القتال يعني لم فرضت
عليك الجهاد لولا اخرتها الى اجل قريب يعني هلا تركنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت باجافا والفا
لهذا القول لم لنا ففوز لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك
خونا وجنا لا اعتقاد انهم تابوا من هذا القول قل اي قل لم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان
منفعةها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زایل والاخرة يعني وثواب لاخرة خير لمن اتقى اتقى
المرء ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم **ولا تظلمون قبيلا** اي ولا تسفون من اجوركم قدر قيل
عن المستور بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما الدنيا في الاخرة الامثل ما يجعل
احدكم اصبعه هذه واشد يعني بالسبابة في العلم فيلنظرون رجوع قوله عز وجل **ايما تكونوا ايديكم**
للموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتال احدكم لو اوعده انما ماتوا وما قاتلوا فرد الله عليهم
بمكة لا لاية وقيل نزلت في الذين قالوا لم ينالنا كسب علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى **بينما**
تكونوا يدرككم الموت يعني يتربكم الموت فينبغي تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم
من الموت كان القتال في سبيل الله وجهادا عطاء افضل من الموت على الفرائس لان الجهاد موت
محصل به سعادة الاخرة ثم يبين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينبغي منه شي بقوله **ولكنكم**
في روج مسيد والروح في كلام العرب الحصون والقلاع والمسيحة المروعة المطولة وراي
الطليعة بالسيد وهو الحصون **ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** تزلنا في المنافقين
واليهود وذلك ان الله يتكلم في اخير اركانهم عندهم مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
فلما ظهر تفاوق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقالا المنافقون

رايه

عليكم

واليهود كما انك تعرف النقص في ثمارها وثمرتها من قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى
وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب الثمار وخص في السعي يقولوا هذه من عند
الله يعني من قبل الله **وان تصبهم سيئة** اي جذب في الثمار وغلا في السعي يقولوا هذه من عندك
يعني من شوم محمد واصحابه وقيل للام بالحسنة الظفر والقيمة يوم بدر وبالسيرة القتل والقيمة
يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملت عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا الخبر اعني
المنافقين خاصة قل اي قل لم يا محمد **كل من عند الله** يعني احسنة والسيرة والطيب والمحب
والقيمة والمهنية والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيرة فابتلاء منه
قال هؤلاء القوم اي قاتلان هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا **الا يكادون**
ينقمون حديا يعني لا ينفون معاني القرآن وان الاشيا كلها من عند الله عز وجل خير ما وشرها
قوله تعالى **ما اصابك من حسنة** يعني من خير ونبذة **فمن الله** يعني من فضل الله عليك يتفضل به
احسانا منه اليك **وما اصابك من سيئة** يعني من سوء ومكروه ومشتة واذي **فمن نفسك**
يعني من قبل نفسك وبديك كسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي الخطاب بهذا الكلام
قولان احدهما انه عام وتقدم ما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم يروى ان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وقد عصاه من غير ان يتعبه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت وبدل على
ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خا طيه وحده ثم
جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله من نفسك اي عقوبة بذنبك يا ابن آدم كذا قاله
قناة وقال الكلبي ما اصابك من خير فانه هذا لك واعانك عليه وما اصابك من شر فانه
فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا في السيرة
عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله **وما اصابك من سيئة** من نفسك ولا متعلق لم يلائم
ليس المراد من لاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيرة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة
والسيئة في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقا
في الطاعة والمعصية اصابع لانيقال اعينها ويقال في النعم والمحن اصابع بدليل انه لم يذكر عليه
نوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى واذا جاءكم الحسنة قالوا الناهضة وان تصبهم سيئة يطيروا
بوسع ومن معه ولما ذكر الله حسنة الكسب وسبابة وعد عليها بالثواب والعقاب فقالا فقال
من جاب الحسنة فله عشر مثاها ومن جاب السيئة فلا يجزيه الا مثلها فبطل هذا قول القدرية
وقال بعضهم لو كانت لاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبحت من حسنة وما اصبحت
من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابي خيرا ومكروا وصبحت حسنة
او سيئة وقيل في معنى لاية ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر في اساي من فضل الله

وما اصابك من سية اى قتل وهزيمة يوم واحد فمن نفسك ويعني فيه نوبيا صاحبك ومخالفته
ايالك فان قلت كيف وجه الحكم بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من
سية فمن نفسك فاضافة السية الى فعل العبد في هذه الآية قلت اما اضافة الاشيا كلها
الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو الخالق وموجد ما واما
اضافة السية الى فعل العبد فعلى المجاز وقد مر وما اصابك من سية فمن الله يدب نفسك
عقوبة لك وقيل اضافة السية الى فعل العبد على سبيل الادب فهو قوله تعالى واذا امرت
فهو يبين فاضافة الامر الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الامر هو الله تعالى
وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه افعال وقدرته وقاخير تقديره قال هو لا يقوم لا يكادون
يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من الله وما اصابك من سية فمن نفسك قل كل من عند
الله وقال ابن النباري في معنى الآية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سية فالله
راجعا الى الله تعالى قوله تعالى **وارسلناك للناس رسولا** يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس
رسولا لتبلغهم رسالتى وما امره انك بعد ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض
اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم **وكفى بالله شهيدا** يعني على امره انك
كافقا ينبغي لحدان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على سبيلك
ما امرت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنه والسية من الله قوله عز وجل
من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني
فقد اطاع الله ومن اوجني فقد اوج الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا نتجده رجا
كما اتخذ النصارى عيسى ابن مريم رجا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امر به وينهى عنه
فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امرها وقال الحسن
بكل طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله عليه وسلم طاعة الله عليه وسلم طاعة الله عليه وسلم
ان كل امر فيه فرضه الله تعالى في كتابه كالحج والصلاة والنكاح والطلاق والطلاق والطلاق
لما كانا كيف ناتيها ولا كانا يكتنا اذ شئ من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم
هذه الملة من الشريعة كانت طاعته على حقيقة طاعة الله **ومن تولي** اي عصى عن طاعته
فما امرناك عليهم حفيظا يعني حافظا تحفظ عليهم اعمالهم كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان
هذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى **ويقولون طاعة** تزلت في المنافقين
وذلك لان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اما بقلوبهم وصداقهم
بامر الطاعة اي امرنا وشا طاعة فاذا امرنا **وامرنا** اي خرجنا من عندك بيت طاعة منهم
غير الذي يقول التبيين كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر ميت اذ بريل وقيل يدل فديت
والعنى انهم قالوا قدروا الامر بالليل غير الذي اعطوا بالها من الطاعة وقيل معنى بيت غير

من حسنة

وبدر طائفة منهم غير الذي يقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبيين معنى الله
وانما خص طائفة من المنافقين بالتبيين في قوله منهم وكلمة من التبيين لانه تعالى علم ان منهم
من يتقى على كبره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصير على النفاق بالذكر وقيل ان
طائفة منهم اجتمعوا في الليل ويتوادل القول لخصهم بالذكر **والله يكتاي** يثبت ويحفظ
عليهم **يليبسون** يعني ما يزرورون ويضمرون وتقدر وزن وقال ابن عباس يكتي ما يستر من النفاق
فاعرض عنهم اي لا تعانهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلمهم وضلائلهم فان انتقم
منهم وقيل لا تخبر باسمهم **ونوكل على الله** اي فوض امرنا الى الله في شأنهم فان الله يكتيك امرهم
وينتقم لك منهم **وكفى بالله** يعني ناصر لك عليهم قوله عز وجل **افلا يتدرون القرآن** اصل التدبر
النظر في كواكب الامور والتفكر في اديارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشئ اي نظرت
في حقيقته ومعنى تدبر القرآن تامل مغايبه والتفكير في حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس
افلا يتدرون القرآن في تفكره في قوله فيرون بقصد يقصده لبعض وما فيه من الوعظ والذكر والامر
والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احب بالقرآن والله يرفه على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم واجته في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته الذي يخرج للايقن عن ايمان
عمله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال
للمنافقين وما يخفونه من مكبرهم وكبيرهم فيقتضيه بذلك وغير ذلك من الاخبار على احوال الاولين
واخبارهم وما ياتي في المستقبل من امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن
الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى **لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا**
قال ابن عباس يعني تضافا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف
وقيل معناه لو جدها في احباده عن الغيب ما يكون وما قد كانا خلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه
الا الله واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا من حيث البلاغة والقصاحة والمعنى لو كان من عند
مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود كبريا فاسد فلما
كان القرآن جميعه على هاج واحد في القصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى اولا
تفكرون في القرآن فيعرفون بعدم التناقض فيه وصديق ما يخبره عن الغيوب انه كلام الله عز وجل
وانما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف
علم انه من عند الله **وامرنا** اي لا يقدر عليه غير عاقل لا يعلمه سواه قوله تعالى **واذا جاءكم امر**
من الامم والمخوف اذا عوا به وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعث والسرايا فاذا غلبوا
او غلبوا ابادر المنافقون يستنجرون عن حالهم ثم يشيعونه ويخبرون به قيل ان يتحدث به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الآية واذا جاءكم يعني

المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والذريعة
اذعوا به اي افسوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه
واظهره قال الشاعر اذاع به في الناس حتى كانه بعليانا را وقد بثتوب **ولو مردوه**
يعني الامر الذي تخدثوا به **الى الرسول** يعني نعم لم يجد ثوابه حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الذي يتخذه به ويظهره **والى اول الامر منهم** يعني ذوى العقول والراى والبصر بالامور منهم
وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امر السرايا والبعوث وانما قال منهم على حب
الظاهر ولاى المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال **الى اول الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه**
منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجارهم ومعرفةهم بامور الحرب ومكايدها وهم
العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكون من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الما الذي يخرج من البئر
اول ما تحضر واستنباطه استخراجها فاستخرجها لما يخرجها الرجل بفضل ذكائه وصفاذ هنته
وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعرض ويمن يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخراجها
باجتهاده ونهه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب
والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليها ومعنى الآية ولوان هو لا المنافقين هو
والذيعين مرد والامر من الامن والخوف الى الرسول والى اول الامر وطلبوا معرفة الحال في من جنتهم
لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اول بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله عز وجل
ولو لا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولو لا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم واتزال القرآن
ورحمته بالتوفيق والمداينة لا تبغى الشيطان يعني لا يقتصر على الكفر والفسادة الا قليلا اختلف
العلماء في هذا الاستثناء والمداينة هو ارجع فيقول هو ارجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير
واذا جاءهم امر من الامن والخوف اذعوا به الا قليلا فخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة
لانهم لم يذيعوا ما علموا من السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو ارجع الى
الاستنباطين وهو قول الحسن وقادة واختاره ابن قتيبة وتقدم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
الا قليلا فعلى هذا القولين في الآية لغة ثم وتأخير وقيل انه ارجع الى اتباع الشيطان وهو قول
الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اول من صرفه الى الشيء
البعيد وتقدم له ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لا تبغى الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا
واهتموا قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واتزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل وقس من ساعدة الايادي قوله تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك** تركت في مواعدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعداه منكم
بدر الصغرى بعد حربه في ذي القعدة فلما بلغ الميقات دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس الى الخروج فكمهم بعضهم فاتزال الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد

العدو والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلفا لا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك
بل جاهد في سبيل الله ولو وحده فانك ناصرك بالجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو
لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين الفا الى بدر الصغرى
فكفاه الله القتال ورجعوا سالمين وعانته من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن اشجع الناس
واعلم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لامر
به ذلك ولقد اقدمه ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا ان كانا
فخرج على الخرج الى قتالهم ولو وحده **وخرج المؤمنين** يعني حضهم على الجهاد ورجعهم في الثواب
وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحب لا التعنيف **هم على الله ان يكف باس الذين كفروا**
يعني لعل الله ان يجمع باس الكفار وشده ثم وقد فعل وذلك ان اباسفيان بن عمار قال فلم يخرج الى الله
واسه اشد باسا اي اعظم صولة **واشد تنكيلا** يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ما خوف من الشفع وهو ان يصير الانسان
بنفسه شفعا لصاحبه كحاجة حق يجتمع معه على المسئلة الى الشفع الى الله فعلى هذا قيل ان
المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليحلبه بشفاعته نفعا او يخلصه
من بلا يتزله وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصير شفعا لغيره يحاسب
يا محمدا فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله
وكرامته **ومن يشفع شفاعة سيئة** قيل هي التهمة ونقل الحديث لا ينفع الدعاء بين الناس وقيل
اراد بالشفاعة السيئة دعا اليهود على المسلمين وقيل معناه ومن يشفع كرهه يقال المؤمنين
يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من زهرها **وكان الله على كل شيء مقبلا** قال ابن عباس
يعني مقبلا ومجازا واوقات على الشيء قد رعبه قال الشاعر وذى ضعف كفت الودعة
وكت على اسائه مقبلا يعني قام راعا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء
ق عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجا رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال
اشفعوا تخرجوا ويقتضي الله على لسان رسوله ما شأوا في رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على
جلسائه فقال اشفعوا تخرجوا وذكره قوله عز وجل **واذا جئتم بخبرة فحوا باحسن منها** القية
تعمل من حي واصلا من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب
الحياة في الدنيا وفي الآخرة والتحية ان يقال حيالك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم جعل دعا
وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بد ذلك بالسلام وهو المأدب في الآية
يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوا باحسن ما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حيالك
الله لانه اتم واحمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة

كانت حياته مذبذبة منقصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ
السلام **اوردها يعني اورده واعليه كما سلم عليكم ان الله كان على كل شئ حسيبا يعني محاسبا مجازيا**
والمعنى انه تعالى على كل شئ من مرض السلام بمثل او باحسن منه مجازي عليه **فصل في فضل السلام**
والحق عليه **عن عبد الله بن عمرو بن العاص** انه جالس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام خير
قال **تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** قوله اي الاسلام خير معناه اي خصال
الاسلام خير **عن ابي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا ولا ادلكم على شئ اذ افعلتموه تحاببتم افسوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افسوا السلام واطعموا الطعام وصلوا
الاحرام وصلوا والناس نياما تدخلوا الجنة بسلام **اخرجه الترمذي** وقال حديث صحيح **عن ابي امامة**
قال لما نبينا صلى الله عليه وسلم ان قشي السلام اخرجته ابي ناجة **فصل في طعام تغلق بالسلام**
وفيه مسائل المسئلة الاولى في كيفية السلام **عن ابي هريرة** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله
تعالى آدم قال اذهب فسلم على اوليك ثم من الملائكة جلوس فاستمع ما يحونك فانهما تحتك وبحيتة
ذرتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله وبركاته **ورحمته الله** وقال العلماء يستحب
للمسلم ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا
ويقول الميمم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن ابن عباس
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عشر ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشر ثم جاء اخر فقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون **اخرجه الترمذي** وابوداود وقال الترمذي
حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول الميمم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فيريده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيريده عليه مثل ولا يرد عليه ويلا جلا
سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال انزع على السلام انتهى الى البركة
ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشير طان يكون الرد على الفور فان افترق
ثم لم يجد جوابا وكان ثابتا ترك الرد المسئلة الثانية في حكم السلام الابنة ابا السلام سنة مستحبة
ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانا جماعة فسلم واحد منهم كفي عن جميعهم ولو سلم كلهم
كان افضل واخلاقا لفاضل حسين من اصحابه لسا في ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر
لان تسميتا لقاطن سنة على الكفاية اي معنا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت ومجلس او
مسجد وجعل عليه ان يسلم على الحاضر بقوله صلى الله عليه وسلم افسوا السلام والامر للوجوب
او يكون ذلك سنة متاكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او تياكده استجابة امتا
الرد على المسلم فقد اجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا جئتم بخير فاحسبوا احسن منها

اوردها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم
عليه واحد او جليل رد عليه واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد
منهم سقط فرض الرد عن الباقي وان تركوه كلهم اثنوا عن علي بن ابي طالب رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجزي عن الجماعة اذ امر وان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم **اخرجه ابو داود**
للمسئلة الثالثة في ادخال السلام السنة ان يسلم الركيب على الماشي والماشي على القاعد والقليل
على الكثير والصغير على الكبير **عن ابي هريرة** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الركيب
على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على
الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا اتلا في رجلان فليبتدي بالسلام هو الافضل
لما روى عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولي الناس بالله عز
وجل من بدأهم بالسلام اخرجهم ابوداود **اخرجه الترمذي** ولقطة قال قيل يا رسول الله
الرجلان يلتقيان ايما يباي بالسلام قال اولهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان
يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذ امر جماعة صبيان صفار ان يسلم عليهم لما روى
عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل اخرجاه
في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم
واما السلام على النساء فان كن جمعا جالسا في موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن
اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روى عن اسماء بنت زيد قالت مر علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا **اخرجه ابو داود** وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء فعودن فالتوى بيده بالسليم قال الترمذي
حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد
في عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يجاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد
في عليه وحكم التسامع النساء حكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعضهم في المسئلة
الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها من ذلك الذي يبول ويتغوط او جامع ويخوذ ذلك لا يسلم
عليه ولو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم فلم يرد عليه **اخرجه مسلم** قال الترمذي ما يكره هذا اذا كان على الغايط او البول ويكون
التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا مترين في الميا لم يسلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على
النائم والناعس والمصلي والمودن في حال الاذان والثاني في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره
الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس ساموروز بالانصاف للخطبة ويكره ان يبدأ
المتبع بالتسليم عليه وكذا للمعلن بنفسه وكذا للظلمة وخوم فلا يسلم على هؤلاء المسئلة
الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلماء فيه فذهب كثيرهم الى انه

صدورهم فلا تسلموهم وقيل يحتمل ان يكون عطفًا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهوم ومعنى حصرت
اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون لا يريدون قتالهم لانهم
اقرارهم ومن يؤامدح كافر عاهدوا ان لا يقتلوا المسلمين وقاهده واقربسا ان لا يقتلوهوم
ان يقتلوهوم يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم **او يقتلوهوم** يعني من
امن منهم وقيل معناه انهم لا يقتلوهوم مع قومهم ولا يقتلوهوم قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم
لذلك عن قتالكم والمقاتلة معكم ومن قوم هلالا الاسلام وينوبكم عن الله عن قتال هؤلاء المرتدين
اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حق الله وذلك ان
الله تعالى وجب قتال الكفار الامن كان معاهدا او لجا الى معاهدا وترك القتال لانه لا يجوز
قتل هؤلاء وعلى هذا القول بالفتح لانهم لان الكافر وان ترك القتال افتتاله جازرو قال
جماعة من المفسرين معاهدة المشركين ومواد عنهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك
لان الله تعالى اعز الاسلام واهله امرنا لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل **ولو شا**
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوهوم يعني كراه الله تعالى منته على المسلمين بقتل باس المعاهد من وذلك لما
التى الرعب في قلوبهم وكفرهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا متوقفة قلوبهم على قتال المسلمين
ولكن قد ذاب الرعب في قلوبهم وكفرهم عن المسلمين **فان اعزوهوم** يعني فان اعزوهوم عن قتالكم فلم يقتلوهوم
ويقال فلم يقتلوهوم يوم فتح مكة مع قومهم **والفوا اليكم السلام** يعني الانقياد والصلح فافتادوا وسلموا
فاجل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ بآية القتال
وسمى قوله اقتلوهوم المشركين حيث وجد نومهم قال بعضهم بي غير منسوخة لاننا اذا احلناهم على
المعاهد من فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل **سجدوا وخبر** قال ابن عباس
وعطفان كانا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول
له قومه بماذا انت فيقول انت بهذا القرد والعقرب والخنفسا واذا الفوا اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس
انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة **يريدون ان يامتوكم** يعني يريدون باظهار
الايان لكم ان يامتوكم فلا تسمع منوالم **ويا منوا قومهم** يعني باظهار الكفر الم لا تسمع منوالم **كلما رءوا**
الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك **او كسوا فيها** رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على
روهم فيه فان لم يقتلوهوم يعني فان لم يقتلوهوم حتى يسروا اليكم ويلقوا اليكم السلام اي
ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم **فخذوهم** يعني اسرواقتلوهوم حيث تقتلوهوم يعني حيث
ادر كتموهم **واوليكم** يعني اهل هذه الفتنة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة
بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة مظهر عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر وقوله تعالى

سورة الاحزاب

وما كان لوم من ان يقتل مومنا الا خطا الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك لانه اتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا
الى المدينة وتحصن في اطعم من اطعمها والاطعم الحصن فخرجت معه لذل لجر عاشه يد او قالت
لابنيها الحارث واني جعلت من هشام ومما اخو عياش بن ابي ربيعة لاهله لا يظلمني سقف
ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجنا في طلبه وخرج معهم الحارث بن زيد بن ابي انيسة
حتى اتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الاطعم فقتلوا انزل فان امك لم يوروا بالسقف بعد ذلك فقتلت
لانا كل ولا تخرج حتى ترجع اليها والله الله علينا ان لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين ذيلك فلما ذكرا
له جرح امه واوثقوا له الكهد بالله تزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بشقه وجلده كل
واحد منهم مائة جلدة ثم قد موافق على امه فلما اتاها قالت والله لا احللك من وثاقك حتى تكف بالذي
امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس فاسسا الله فاعطاها هرا الذي اراد واقتناه الحارث بن زيد
قتال با عياش ان هذا الذي كنت عليه لن كان هدى لقد تركت الهدى ولين كان ضلالة لقد كنت عليها
فغضب عياش من مقاتله وقال والله لا التا الخاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاج
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم الحارث بن زيد بعد وهاجرو ليس عياش حاضرا يومئذ لم
يشعر باسلامه فبينما عياش يسير يظهر قبا اذ لقي الحارث فقتله قتال بال الناس فحك يا عياش في شيء صنعت
انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امري وامر
الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلت فقتل ما كان لوم من ان يقتل مومنا الا خطا
ومعنى الآية وما كان لوم من ان يقتل مومنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان
له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فغضب عياش من قتله لوم من كل وجه وقوله تعالى الخطا استنا
منقطع معناه لكن ان وقع خطا فحرم برقة وقيل معناه ما كان لوم من ان يقتل مومنا البتة الا ان
يجتنب المومن كفارة خطا يعنا ذكر من بعد والخطا فعل الشيء من غير قصد وتقدر من قتل مومنا
خطا فحرم برقة مومنة يعني فعليه عتاق برقة مومنة كفارة ودية مسلمة الى اهله اي وعليه
دية كاملة مسلمة الى اهل القيتل الذي يرثونه **الا ان يصدقوا يعني** الا ان يصدق اهل القيتل على
القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدوكم ومومن فحرم برقة مومنة
اراد انما اذا كان رجلا مسلما في دار الحرب وهو من قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية
عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسيه قوم كفار
واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهو من حرب المسلمين فغيب الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث
ان يرثه من قوم كفار حرب المسلمين فكان في الكفارة فحرم برقة مومنة لان الله لم يكن بين قومه
وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وحق برقة
مومنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فحرم فدية الدية والكفارة فمن لم يجد الرقة

عنه

فصيام شهر رجب من غير اي فعل عليه صيام شهر رجب من غير اي فعل عليه صيام شهر رجب من غير اي فعل عليه
ذلك توبة لقاتل الخطا وكان الله عليه يعني من قتل خطا احكاما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة
فصل في احكام تتعلق بالالاية وفيه مسائل المسئلة الاولى ان يتيقن مقتل القاتل قال الشافعي
القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان ما يتصل غالبا
فيقتل به فغيبه العضا من عنده وجود التكليف ودية حالة مغفلة في ما لا القاتل واما شبه العمد
فهو ان يقصد ضرب انسان ما لا يقتل مثله غالبا مثل ان يضربه بعصى خفيفة او رماء بحجر
صغير فمات فلاقتل عليه ويجب عليه دية مغفلة على عاقلة موجلة الى ثلاث سنين
واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا اخر فاصابه فمات منه فلاقتل عليه
عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلة موجلة الى ثلاث سنين ومن مور قتل الخطا ايضا
ان يقصد رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان فيضرب مشركا بان كان عليه
لباس المشرك او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسئلة الثانية
في حكم الدية ودية الحر المسلم ما يمتد من الابل فاذا عمدت الابل فتيقن قيمتها من الدرهم والدينار
في قول وفي قول بدينار وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويهمل في ذلك ما روي عن عبد الله
ابن عمر بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مائة دينار او ثمانية الاف
درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومية على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلفت
عقبة بن خطيبا فقال ان الابل قد غلت فغرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل
الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البصرة مائة الف دينار واثنى عشر الف درهم وهو قول عمرو بن
الزبير والحسن البصري في ما قال مالك والشافعي ذهب قوم الى انها ما ينتمى الابل والف دينار او عشرة
الف درهم وهو قول سفيان الثوري وصحابي لم يرد دية المرأة نصف دية الذكر للرواية
اهل الذم والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فثلث ثمان مائة درهم
وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعااهدة مثل دية
المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب البراء وقال قوم دية الذمي
نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وذهب قال مالك والاصل في ذلك ما روي عن عمر بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعااهدة نصف دية الحر
اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين
وهم اليهود والنصارى اخرجهم الشافعي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم لحاج
عن هذه الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفع من عروية المسلم ولم ترفع دية الذمي

فتقر على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية في قتل العمد وشبه العمد مغفلة فتجب
ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وامر بوعون خلفه في بطون لها اولادها وهذا قول عمر بن زيد
ابن ثابت وذهب قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤوا قتلوا وان شاؤوا الدية
وسي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وامر بوعون خلفه وما موطأ عليه فهو لم وذلك لثبته
العقل اخرجهم الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عتبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال لا وار قتل العمد بالسوط
والعصا والحجر ما يمتد من الابل امر بوعون ثنية الى ايامها كالم خلفه وفي رواية اخرى ان كل قتيل
خطا العمد وشبه العمد قتل بالسوط والعصا ما يمتد من الابل فيها امر بوعون في بطون لها اولادها اخرجهم
النسائي وذهب قوم الى ان الدية للمغلطة اربع وخمسون وعشرون بنت خمار وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة هذا قول الزهري وروى عنه واليه ذهب
مالك واحمد واصحاب طبرستان واما دية الخطا مخففة وهي احدى اقسام الدية لا تنافي فيها خلفوا
في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشر بنت خمار وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وروى عنه قال مالك
والشافعي وابو ابي قحافة بن الليث بنات الخمار يروى ذلك عن ابن مسعود وذهب قال احمد واصحاب الرأي
والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الخاني منها شيء
لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضاء الاطراف حكمها ميسر في كتب لقعة
ودية اعضا المرأة على النصف من دية اعضا الرجل واسد اعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة
والكفارة اعتاق رقبة موفقة وتجب في ما لا القاتل سوا كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او
امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهر رجب من غير اي فعل عليه
او قار على تحصيلها بوجود الفمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من سكن وخوم
فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيلها فعليه صوم
شهر رجب من غير اي فعل عليه صيام شهر رجب من غير اي فعل عليه صيام شهر رجب من غير اي فعل عليه
عليه استيناف الشهرين وان لم يطر يوما منعدا في خلال الشهرين او نسي البنية او نوى صوما اخر وجب
فيه فممن من قال يتقطع التتابع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي واطراف الشافعي
لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا يتقطع التتابع وعليه ما بيني وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن والنفعي ولو جازعت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا يتقطع التتابع فاذا
طهرت بنت لانه امر كسبه الله على النساء لا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فقل ينتقل عنه
الى الاطعام فيطعم مائتين مسكينا فقبحه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كالمارة الظاهر

والثاني لا يقتل الا بالله لم يذكر له به لا فقال صيغ شهر من متابعين توبة من الله فنفى عن الموت
وجعل ذلك عقوبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل **ومن يقتل مؤمنا متعدا** انزلت في مقيس بن
ضبابة الكندي وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشام قتيلا في بني النجار فأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فاستأذنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من بني النجار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمركم ان علمتم قاتلي هشام بن ضبابة ان ذنبه فغوه الى اخيه مقيس فقتلوه
منه وان لم تملوه او دفعوا اليه دينه فابلقهم الفريز لك فقالوا سمعنا وطاعة لله ورسوله فافعل
له قاتلوا نودي اليه فقتلوا ما من الا بالافاضة فامر جعفر بن محمد بن عيسى في الشيطان مقيس
فوسوس اليه فقال له قتل دية اخيك فتكون عليك سبعة اقل الفريز الذي قد يكون قتيلا
نفسه فضل الدية فتقتل الفريز فريما به فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيقه ارجعا
الى مكة كافر وقال في ذلك **قتلت به فريزا واحلت عقله سراة بني النجار ارباب قارع**
وادركت ثاري واضطجت موضه وكنت الى الصلح اول راجع
قتلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعدا يصح قاصد القتل **فجراوه جحيم خالدا فيها** يعني بكرة وازناده
ومالذي استشهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن من امنه من اهلها قتل وهو متغافل
يا شاد الكعبة **وعظم الله عليه** يعني لاجل كبره وقله الموت متعدا **ولعنه** يعني وطروعه عن رحمة
واعده عذابا عظيما اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة ام لا وهل هي قتل مؤمنا
متعدا او توبته ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس اني قتل مؤمنا متعدا لمن توبة قال لا
تتوب عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها الاخر ولا يقولون النفس التي حرم الله
الا بلحق الاخر الا يتقوا الله اية ملكية تحتها اية مبنية ومن قتل مؤمنا متعدا فجراوه جحيم
وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المؤمن فرجعت الى ابن عباس فقال انزلت في اخر ما نزل
فلم يستحسنها شي وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع
الله الها الاخر الى قوله ما نافعنا المشركون وما يصح عننا الاسلام وقد عد لنا باس وقد قتلنا
النفس التي حرم الله واتينا القوم احق فانزل الله الامتناب وامر وعمل عملا صلحا الى اخر الآية
زاد في رواية ما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال اني انك انما تحك
فقال ابن عباس كانت الوعيدية فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما ترداد الآية وعن
خاتبة بن زيد قال سمعت ابا عبد الله بن ابي طالب يقول انزلت هذه الآية ومن قتل مؤمنا متعدا فجراوه
جحيم خالدا فيها بعد النبي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها الاخر ولا يقولون النفس
التي حرم الله الا بلحق بعبادة او دوا الفساق فيمراة النساء في رواية له
ثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها

اخر عشرين لينا قبلنا سبعة اشهر ثم نزلت العنقطة بعد الآية فتسخت الآية واراد باللفظ
منه الآية التي في سورة النساء واللياسة الفرقان وذبح لا كثر من علماء السلف والخلف
الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها النبي في الفرقان وليس هذا
القول بالقول لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء المتقدمة لا ينسخ المتأخر وذبح جمهور من قال
بالنسخ الى ان ناسخها الآية التي في النساء ايضا وقوله تعالى ان الله لا يغير ان يشاء ويغير ما دون
ذلك ليسوا واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين
بان هذه الآية خير عن وقوع العذاب لم ينسخ ذلك لانه كونه في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار
وليس سلمنا انه يدخله النسخ لكن الجمع بين الايتين يمكن بحيث لا يتحقق بينهما نقارن ذلك بان يحمل
مطلق اية النساء على مقيد اية الفرقان فيكون المعنى فجراوه جحيم الامتناب وقال بعضهم ما ورد
عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الجزع عن القتل فهو كما روي عن سفيان
ابن عيينة انه قال ان الله يقتل بقاء الله لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجا قايما يقال الملك توبة
وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبة تقتل وهو قول اهل السنة
ويده عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى اني اعفوا من تابوا من ذنوبهم او عمل صالحا ثم
اخذوا قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فاروي عن جابر بن عبد الرحمن قال انا عاصم
ابن النضر صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله قالوا الموحيات قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجاه مسلم في عن عبادته من القصاص قال فسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال يا ايها الذين آمنوا لا تشركوا بالله شيئا ولا تشركوا ولا تشركوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتون بهتان فقتلوه
بين ايديكم وارجلكم ولا تقصوني في معروف فمن وفي متم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك
فستراه عليه فامره الى الله ان ساعا عند وان ساعا غيبه فبايعناه على ذلك ففصل وقيل قلعة
المعتولة والوعيدية بهذه الآية لعنه مذهبهم على ان القاصم يخلد في النار واجاب علماء السنة
بان الآية نازلة في كافر قتل مسلما ومقيس بن ضبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل
الوعيدية لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مؤمن كان كافرا او مؤمنا في النار
كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعدا فجراوه جحيم قال اي جراوه فان شأله ان
يجاور عن جزائه فعلا اخرجاه ابودود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأييد بل المعناه دوا الخلود
التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للذي لم يخول ذلك لظول مكث بالالدوام بقاها واذا ذكر
الخلود في حق الكفار فانه يذكر التأييد كقوله خالدها فيها اذ اقرن الخلود بهذه اللفظة
علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود للمدة كقوله في الآية ان الله
تعالى يعرج قاتل المؤمن عدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرج منها بفضل رحمة وكرمه

فانه قد ثبت في احاديث الشناعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قتال الوثنيين
عدا عداونا اذا اتاب قبلت بوقته بدليل قوله تعالى وفيقر نادون ذلكم جيتا ولا ان الكفر انظم من
من هذا القول اذا كانت توبته الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله تعالى قل الذين كفروا الذين هم ايقن
لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلا تقبل من القاتل ولا واسم علم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فقتلوا الآية قال ابن عباس تزلت في رجل من بني مرة
ابن عوف يقال له مرد ابن فريك وكان من اهل فندك لم يسلم من قومه غيره فهاست له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تزيدهم وكان على السرية رجل يقال له عالى بن فندك الليثي فهاست له واقام
ذلك الرجل المسلم فلما راي الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فلجأه غنمه الى الجبل وصعد هو
الجبل فلما تلاحت الخيل سمعهم يكرهون ففرغ منهم من الجبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
وتزلوا وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقتلوا اسامة بن زيد بسيفه فقتله واثاق غنمه
ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه ما كان فوجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقلتموه ارادة ما معه
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة يا رسول الله انظر
لي فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فهازل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكرهها حتى ودعت اني اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اعتق ربيعة وروى ابو طيبان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح
فقال فلا شققت عن قلبه حتى قتل قالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل
من بني سليم على ثغر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا
انما سلم عليكم ليتعود منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاقوا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني سافرتم
للمجاهد فقتلوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملت قبل الاقدام عليه وقرئ فقتلوا من
التبث وهو خلاف العجلة والمعنى فقتلوا وتبينوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا
حقيقة الامر الذي تقدمون عليه **ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام يعني النجاة** يعني لا تقولوا
لن جياكر لهذه النجاة انه انما قالها نفوذ افتقدوا عليه بالسيف لتأخذوا ما له ولكن
كنوا عندهم اقبلا وامتد ما اظهروه لهم وقرئ السلام بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام
والانقياد اي من استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام
والسلام بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم **لست مؤمنا** يعني لست من اهل الايمان
فقتلوه بذلك قال العلماء اذا راي الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعرا الاسلام
يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لم اذا رايتهم مسجدا او سمعتم مودعا فلا
تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن
لا يحكم بايمانه لانه يدعي ان الذي هو عليه ايمان لو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله
بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبين من دينه الذي كان عليه ويعتق انه دين باطل وذلك لان
بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الله الى العرب خاصة لانه رسول الى كافة فاذا اعترف ان محمدا
رسول الله الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من اليهود والنصارى باطلا صح اسلامه وحكم بصحة
قوله تعالى **تنبهون عن الحياة الدنيا** يعني تظنون الغيبة التي هي حطام من حطام الدنيا سرب
النقاد والذهاب وعرض الدنيا ما فيها ومتاعها **فقتلوا كفرة** اي غنم كثيرة من
زينة غنمكم وما يغنمكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعز به وقيل معناه فقتلوا الله
نواب كثير من قتل المؤمنين **كذلك كنتم من قبل** يعني كما كان هذا الذي اليكم السلام قتلتم له
لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يراى الله دينه كنتم تستحقون انتم بدينكم
كما استحق هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تاملون
في قومتكم بهذه الكلمة فلا تحذروا من قتلها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين
في الله عليكم يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم
باعتان الاسلام بعد الاختصاص وقيل من عليكم بالتوبة **فقتلوا** اي ولا تجلوا يقتلوا مؤمنين وثوابه
للامر بالبين ان الله كان بآمنهم خير اي فلا تسفها ونوا في القتل وكونوا محترمين من ذلك هو
مخاطبة في قوله عز وجل **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في**
سبيل الله باموالهم وانفسهم الآية عن زيد بن ثابت قال املى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاء ابن ابي بكر
وهو يميلها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع للمجاهدين اهدت وكان اعني فابتر الله عز وجل
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه علي فخذى فقتلت علي حتى خفت ان قرص فخذى ثم سري عنه
فاتزل الله عز وجل غير اولى الضرر عن البراء بن عازب لما تزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين وعاروا
الله صلى الله عليه وسلم ولم يزد في الفجا بكفت فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضارته فقلت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر وفي رواية اخرى قال لما تزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال
البي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلا تاجاه ومعه الدواة والروح والكتف فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم
فقال يا رسول الله انا ضرب فزت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون
هدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن ابي في كتابه جامع الاصول واصنافها
الى البخاري وسلم ولم اجد لها في كتابي جامع بين الصحيحين للحديث وفي هذه الآية فضل المجاهد

في سبيل الله والحد عليه قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون
عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير اولي
الزمانه والضعف في البدن والبصر فانهم يساؤون المجاهدين لان العدو راقد منهم عن الجهاد عن
جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلدني
رجلا لا ماسرهم مسيرا ولا قطعهم واديا لا كاذبا معكم حبسهم المرض خرج عن شق الجهاد من
غرة قبولك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقوالنا خلفت بالمدنية ما سلكنا سبعا ولا
واديا الا وهم معنا حبسهم العذر عن ان يعلو قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر
والخارجون اليها وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين بما عملوا وانفسهم على القاعد من درجة**
يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس ان القاعد غير هذا اولي الضرر فضل الله المجاهدين على
اولي الضرر درجة لان المجاهد ياتر الجهاد بنفسه وماله مع القية واولو الضرر كانت لهم
نية ولم ياتر الجهاد فلو اذن المجاهد درجة **وكلا يعني المجاهدين والقاعد من درجة**
يعني الجنة بايانهم **وفضل الله المجاهدين** يعني في سبيل الله على القاعد من درجة لانهم
ولا ضررا جارا عظيم يعني ثوابا جزيل لا يفسد ذلك الاجر العظيم فقال تعالى **درجات منه**
قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والجرة في الآخرة درجة والمجاهد في الجهاد درجة والقتل
في الجهاد درجة وقال ابن عباس ما بال درجات من سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة
حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الاكتام
وقال ابن عباس درجات سبعون درجة ما بين كل درجة من درجات الجهاد من الجواد المضم سبعون
مر عن ابن عباس الخدر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رغب بالله ربا وبالا سلام دينيا
فكبره رسولا وجبت له الجنة ففجعت لها ابو سعيد فقال اعد لها على يا رسول الله فاعادها
عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجة من درجات الجهاد من الجواد المضم سبعون
قال وماني يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله خرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا
على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا ولا يشتر الناس
بقولك فقال لان الجنة مائة درجة اعاد الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجة من درجات الجهاد من الجواد المضم سبعون
السيا والارض فاذا سلم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوق
عرش الرحمن ومنه تنجز بها الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر
في هذه الآية درجات ثمانية والحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فتفضل المجاهدين
على القاعد من غير ضرر ولا عذر فقبلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة
الاولى درجة للدم والنقطة والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم

قوله تعالى

درجات الجنة سبعون درجة ما بين كل درجة من درجات الجهاد من الجواد المضم سبعون

قوله تعالى **وخفوة** يعني لذنوبهم يستورها ويخفي عنها **ورحمة** يعني رافة بهم وكان الله غفورا
يعني لذنوب عباده المؤمنين **رحما** يعني بهم تفضل عليهم بخفوة ورحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايا عبدي من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله استغفره من الله
ضمنت له ارجيته ارجعته بما اصاب من اجر او غيبة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجته النسيان
فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض غير وفرض كفاية فرض العقال يدخل العدو ارقوم من
المؤمنين ويلازمهم فيجب على كل مكلف من الرجال ان لا يترك الجهاد ولا يترك من اهل تلك البلدة الخروج
الى حدودهم دفاعا عن انفسهم وعن اهلهم وجيرانهم وسواي ذلك الملاحم والعبد والفتي والفقير فيجب
على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن ترك الجهاد فيجب
مساعدة من على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمتروكين فلا فرض
على الابد من لا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الموضع من الكفاية الفقراء والعبيد واولاد
كان الكفار قارون في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يفرقهم فيها اما بنفسه او بغيره
حتى لا يبطل الجهاد والاختيار يطبق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقع عند من لا يفرق
عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والثواب بقوله وكلا وعلاسه الحسن ولو كان فرضا
على الكفاية لاستحق القاعد وزعم الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى **ان الذين توفاهم**
الملائكة ظالمي انفسهم الآية تزلت في اناس كلوا بالا سلام ولم يهاجروا منهم قيسن في القاب من المعيرة
وقيسن من الوليد من المعيرة واسبأها فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار
فاتر الله هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم
يلون قيسن ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قيسن ارواح الكفار وقيل المراد به ملك الموت وحده وانما
فكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يجاء طبا لواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان احدهما
انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الذين انبأ
الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان
الله لم يعقل الاسلام من احده بعد بلعة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجروا اليه ثم نسخ ذلك
بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحسن بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحبة
وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وكثير سوادهم حتى قبلوا معهم فضربت
الملائكة وجوههم وادبارهم قالوا فيم كنتم سوال توحي وتقرع يعني قالت الملائكة لهؤلاء
الذين قبلوا في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين وفي فريق المشركين فاعتدروا بالضعف عن مقاومة
المشركين وهو قوله تعالى اخبار عنهم قالوا كنا مستضعفين يفتونا جزي في الارض يعني في ارض
مكة قالوا يعني قال لهم الملائكة انكم كنتم ارض الله واسعة فهاجروا فيها يعني الى المدينة وتخرجوا
من بين ايدي المشركين فاذكروا الله في قلوبهم كنتم مستضعفين واعلمنا بكم ثم قالوا يعني من هذه الضعفة

قوله تعالى

ما واهم يعني من طهرهم **جهم** وسات مصير يعني مصيرهم الى جهم ثم استثنى اهل
العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى لا **الستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون**
حيلة يعني لا قوة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يفتنون سبيلا يعني ولا
يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة **فاولئك** يعني المستضعفين اهل الاعذار عسى الله ان
يعفو عنهم يعني ينجيهم عنهم بفضلهم واحسانه وعسى من الله واجل لا نه اطاع وترج واسد تعالى
اذا اطع عبدا او صله اليه **وكان الله عفوا غفورا** قال ابن عباس كنت انا وامي من عذر الله يعني من المستضعفين
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعولهم لا المستضعفين في الصلاة **ق** عن ابي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم اخي الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياض بن سبيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشد دوطائك على مضالمهم اجعلها عليهم سيرا كسرى
يوسف قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الارض مزاكيرا وسعة** قال الزجاج معنى
مزاكيرا مهاجرا يعني يجرى في الارض مهاجرا لان المهاجر لقومه والمزاكير لهم بمنزلة واحدة وان اختلف
المعقلان وهو ما خوذ من الرغام وهو التراب يقال غم انه اذا الصق بالتراب وذلك لان التراب
عضو شريف والتراب ذليل خفيف فجعلا قولهم رغم انهم كناية عن جعلهم لاله وتعالى راغمت
فلانا بمعنى يجرى به ونعا دنيته ولم ابالا انه رغم انهم ويقوى ذلك قول بعض اهل اللغة والمخرج
عن بلاد العدو ورغم انهم وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر عن قومه خرج مزاكيرا لهم مفاصبا لهم
ومناططا وقال الفرما المزاكير المضطرب والمذهب في الارض والشد الزجاج في المعنى الى بلد غير داني
المحل بعيد المزاكير والمضطرب فكل هذا يكون معنى الآية يجرد هباية هباية ما اراى ما يكرهه
هذا قول اهل اللغة في معنى المزاكير وقال ابن عباس يجرى في الارض الى مزاكيرا وقال الجاهل
يجرد مزاكيرا يكرهه وقيل مجردا متقلبا يتقلب اليه وقيل المزاكير والمهاجرة واحد يقال راغمت
قومي هاجرة ثم وسميت المهاجرة مزاكيرا لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق
وقيل مجرد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل مجرد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس
لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ثعلبة شيخ كبير مر به فقال له جندع بن مرة فقال واسه
ما انا من استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولى من المال ما يسلفني الى المدينة وابعد منها والله
لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرج حتى اتوا به السعيم فادركه الموت فصنق
بيمينه ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك يا يعلى على ما يبعك رسولك ثم مات فبلغ خبره
اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو في المدينة لكانتم واوفى اجر او فحك المشركون
وقالوا اما ادرك ما طلبنا قال لا والله عز وجل **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدرك الموت**
يعني قبل بلوغه الى مهاجرة **فقد وقع اجره على الله** يعني فقد وجب جرحه على الله بما يجابه
على نفسه بحكم الوعد والفضل والكفر لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم

الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا
وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتى به لتمام الاجر فلا والقول الاول اصح
لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصد هجرا ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل
له ثواب الهجرة كاملا فكذا ذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا
وكان الله غفورا رحاما يعني ويعفو الله له ما كان منه من التقصير قبل الهجرة الى ان يخرج مهاجرا
قوله عز وجل **واذا ضربتم في الارض** يعني اذا سافرت فيها **فليس عليكم جناح** اي حرج واثم **ان تقصروا**
من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين ذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل العصر
في اللغة التصغير وقيل موضع الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي العصر بالتقصير ولم اراه لاحد من اهل
التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها وبعض اركانها
ترخيصا ولهذه السبب ذكره في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية في لقاحه ما ان الله قد
الركعات ومورد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المأمن من القصر داخل القصر في ادائها
وهو ان يكتفي بالايام والاشان عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من
في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبيين وذلك بوجوب جواز الاقتصار على بعض
الصلاة فثبت به ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى **ان خفتم ان يفتنكم**
يعني يفتنكم ويقتلكم في الصلاة **الذين كفروا** ذهب اود الظاهر الى ان جواز القصر مخصوص بحال
الخوف واستدل على صحته بعبارة بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولا عدم الشرط
يقضي عدم الشرط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه
يقضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذم من هو اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز
ويدل عليه ما روى عن علي بن ابي طالب قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجمت بما عجمت منه فسالته رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة بقصد الله بها عليكم فاقبلوا صدقة اخبره مسلم وعز عبد الله
ابن خال له بن سبابة قال لا ينكر كيف تقصر الصلاة وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح ان
تقصر من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقاموا تحت ضلالا فعلمنا فكان فيما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نقتل ركعتين
في السفر اخرجنا النساء وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة فاجاز
الامر لعمارة بن قيس بن كعبين اخرجهم الترمذي والنسائي واجابهم عن قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم ان
ان يقصر من الشرط ولا يلزم ان عند عدم الشرط يلزم عدم الشرط فقوله تعالى ان خفتم
يقضي ان عند عدم الشرط لا يحصل قصر الصلاة اذا كان كذلك كانت الآية ساكنة عن حال
الامن فثبت ان الركعتين في حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وفي الخبر

متنع انما التمتع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا
الحكم ثابتا في حال الاخر والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما تركت الآية على غالب
اسفار النبي صلى الله عليه وسلم والتمسها لم تخل عن خوف العدو وكذا الله عز وجل هذا الشرط من حيث
انه هو الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان الكافر يكافوا لكم عدوا مبينا اي ظاهرا والعداوة
قلعتي بهذا ارضعت لكم في قصر الصلاة ليلا يجدا والى قتلهم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا
ولم يقل اعدا لانه يستوي فيه الواحد والجمع فصل في احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل
المسئلة الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جازيا بجماع الامة وانما اختلفوا
في جواز الاتمام في حال السفر فذهب كثير العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلى
وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك والى حنيفة
وبدع على ذلك ما روى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين نعم اتمها في الحضر
واقرب صلاة السفر على الركعتين الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها
ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرب صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر لخرجه في العجيجين
وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن زيار وقاسم
والبيهقي الشافعي واحمد ومي راية عن مالك ايضا وبدا على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي
عن عائشة قالت كل ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قصر اثم وعن عائشة انها اعتمدت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله يا ابن ابي
قحط وايمت وافطرت وصمت قال احتسبا عايته وما عاب على اخرجته النساء فظاهر
القرآن يدل على ذلك لانه تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولقطة الاجناح
انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين
بان معناه فرضت ركعتين الا في زيد في صلاة الحضر كعتان على سبيل التتم واقرب صلاة
السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب لمصير اليه ليكن الجمع
بين الاحاديث ودلائل الشرع المسئلة الثانية اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين
هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة للمسافر ركعة
تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدق وابو حنيفة
فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب
عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب
الشافعي واحمد المسئلة الثالثة مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل
سفر مباح بشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية
وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك المسئلة الرابعة اختلف العلماء في مساقاة القصر فقال داود ومالك

الظاهر يجوز القصر في قصر السفر وطوله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال
لجابر بن زيد ان قصر بركة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير ولا في السفر
في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاول اعني مسير يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقولان
ويفطران في مسيره اربعة برد ومن سته عشرة فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق وقوله
الحسن والثوري قريب من ذلك فانما قال مسيره يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيره لياليتين
قاصرتين ستة عشرة فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل
سته الاف ذراع والذراع اربع وعشرون اصبعام مترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات
معتدلات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل الكوفة ولا قصر في اقل من ثلاثة ايام
فصل وقيل في قوله تعالى ان ختمتم ان نقيتكم الذين كفروا كلام متصلا بما بعده منفصلا عما
قبله وان ختمتم روي عن ابني ابي جابر لا يضار ان قال تعلق قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة هذا التقدير ثم بعد حوله الى الوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فتركت
ختمتم ان نقيتكم الذين كفروا وان الكافر يكافوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم لآية ومثل هذا
في القرآن كآية الحج والخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر اخر هو في الظاهر كالمقتضى وهو منفصل
عنه قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقم الصلاة الاية يروى عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قلموا الى الظاهر يصيرون جميعا نه موان لا كانوا كبوا
عليهم فقال بعضهم لبعض دعوا ما فان لم بعد ما صلاة بني احبا اليهم من ايامهم وامهاتهم يعني
صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلواهم قتل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف
وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقم الصلاة فغلبه صلاة الخوف وروى عن ابني عباس
الزرق في سبب قول هذه الآية قلا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خاله
ابن الوليد فضلبنا الظاهر فقال المشركون لقد اصبننا غرة وفي رواية غفلة لوجهنا عليهم وهم في
الصلاة فتركت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت معهم القتال فاقم الصلاة فليقم طائفة
منهم معك يعني اذا حل وقت الصلاة واقترب اصحابك فاجعلهم فرقتين فليقف فرقة منهم
معك فتصلي بهم ولياخذوا اسلحتهم اختلفوا في هؤلاء الذين لم يمسك الله باخذ السلاح فقيل
اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما
ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يوفى به من الى جنبه كالسيف والخنجر
وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل يركبه
ونقله عن الصلاة كالترسل للكير او يوفى من الى جنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل اراد بهم الطائفة
الذين بقوا في وجه العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون المراد بالفرقتين

بجمل السلاح لان ذلك اقرب للاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا من وراءكم يعني صلوا الذين
معاكم وفرغوا من الصلاة فليكونوا من وراءكم يعني فليصبروا الى مكان الذين هم في وجه العدو والحرب
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معكم
يعني يصلوا معكم الركعة الثانية التي بقيت عليكم وينو بنية صلاة ثم وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم يعني انه تعالى جعل الحذر وهو التحرز والنيقظة يستعملها القاري في دفع العدو
فلهذا جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر
والاسلحة قلت لان العدو ولا يلبيته المسلمين في اول الصلاة بل يظنون انهم قايمين في الحاربة
والمقاتلة فاذا اقاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ يستفرون
الفرقة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار
مع اخذ الاسلحة **ووالذين كفروا يعني من الكفار الوثغفون** يعني لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم
وامنعتمكم يعني حواجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتصبرون عنها فيميلون عليكم **ميلة واحدة**
يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حمله واحدة وانتم مشغولون بصلاتكم عن اسلحتكم وامنعتمكم
فيصبرون منكم عن فيقتلونكم **فصل** في احكام تتعلق بالاية وصفة الخوف وفيه مسائل
المسئلة الاولى قال ابو يوسف واكثر من زيادة من اصحابنا في حنيفة صلاة الخوف كانت خامسة
بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزي من اصحابنا لما نفي كانت ثابتة
ثم نضحت واحتجوا بالصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بما قال
تعالى واذا كنت فيهم فانت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامته الصلاة مشروطة
بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولا نكلمة اذا تعبد الشرط ذهب
جمهور الفقهاء ان هذه الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم هذه الآية وجب
ان يثبت في حق غيره من امته لقوله صلى الله عليه وسلم لم يحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق
غيره من امته لقوله تعالى فانتهوا ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتوني صلى لان ذلك
اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة
الحرب وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن ايمان صلاها
باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت
فيهم فانت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد حوّل به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر
امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يردن فخصه
صلى الله عليه وسلم لم يحكم دون امته كقوله تعالى خالصته لك وتطير قوله واذا كنت فيهم خلا
من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن جده من الآية
كان كذلك قوله تعالى واذا كنت فيهم واجيب عن لقطة اذا بان مقتضاها التوبة عند

البوت واما العدم عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف
انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واسكال متباينة فيجري في ذلك كله
ما هو الاحوط للصلاة وابلغ في المراساة فمع اختلاف صورها متفقة المعنى في انواع
صلاة الخوف ما اذا كان العدو وفي غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرتين فتعق فرقة
تجاه العدو وتحرس ويصلي بالفرقة الاخرى ركعة فاذا اقام الى الثانية اتوا لانفسهم
وذهبوا الى وجاه العدو وتحرس وتاتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي هم الركعة
الثانية ويثبت جالساً في التشهد حتى يتيوا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك
ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوان عن من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع
صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبتت
قائماً واتوا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى هم الركعة
التي بقيت من صلاته ثم ثبتت جالساً فاتوا لانفسهم ثم يسلم بهم اخراجهم في الصحيحين
الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حمزة وقد اخبرناه من رواية اخرى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحو وهذا هو مختار الشافعي لانه اسد موافقة
لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معكم وهذا يدل على ان
الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معكم ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة
الثالثة حصلت مع الامام وكولها احوط لا مراعاة من حيث لا يذكر فيها العمل من المحي
والذهاب وكولها احوط لا للحرب والمراساة من حيث نداء الم يكنون في الصلاة كانت
امكن المراساة وتذكروا الغروا للمربي ان احاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة تضي مع الامام
ركعة ثم تذهب الى وجه العدو وتحرس وهم على صلاتهم ثم تاتي الطائفة الثانية فتضي مع الامام
الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة
الاولى الى موضع الامام فتضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتي الطائفة الثانية الى
موضع الامام فتضي فيه صلاتها فيرى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب حنيفة ويذكر
على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فذكر فضلي خلفه
طائفة منا وطائفة مواجهة العدو وفرح بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد
سجدة ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو وقصوا ما كانوا هم وجات الطائفة الاخرى
فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم فصل فيهم ركعة وسجدت ثم سلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتي واربع سجعات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان
منهم لنفسه ركعة وسجدت اخرجته النساء قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم
يسمع هذا منه والذي اخبرناه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف

يا حدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا
في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاؤك فضلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة ثم قضى هو لا ركعة وهو لا ركعة وفي رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة راوا العدو وفضلوا الذين
معه ركعة وجاءت الاخرى فضلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وهذه
الرواية المخرجة في الصحيحين اخذها الاوزاعي والشهاب لما تولى وهو جابر عنده لكان في
ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح
والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهم في حكم من خلف
الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيها يقضى كالمتأخر
في حكم صلاة المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه
الصلاة ما روى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
للكوف فصفنا صفين رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فذكر النبي
صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا
جميعا ثم اخذ رب السجود والصف الذي يليه وقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي
صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه اخذ الصف الموخر بالسجود وقاموا
ثم تقدم الصف الموخر و تاخر الصف المتقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا
ثم رفع راسه من الركوع وركعنا جميعا ثم اخذ رب السجود والصف الذي يليه الذي كان
موخر في الركعة الاولى فقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود
والصف الذي يليه اخذ الصف الموخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم
وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هو لا يامرهم اخرجهم مسلم تمامه واخرج البخاري
طفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزاة السابقة غزوة ذات الرقاع
وبهذا الحديث خذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة
اذا استند الحرب والتحم القتا اصلوا رجالا وركبا يامونون بالركوع والسجود الى اي جهة
كانت هذا مذهب الشافعي ومذهبنا في حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا
فصنوا ما فافهم من الصلاة والصلاة الخوف صور اخرجه كورة في كتب لفقه وليس هذا
موضعها والله اعلم وقوله تعالى **واجتاح عليكم** اي ولا اثم ولا حرج عليكم **ان كان بكم اذى من**
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر
وحال المرض لان السلاح ثقيل حمله في هاتين الحالتين **وحذا حذرهم** يعني رتبوا عدوكم ولا
تفعلوا عنه امرهم الله بالتخفظ والتعذر والاحتياط كيلا يجزي الله عنهم قال ابن عباس ثلاث في

النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني عار قد لروا لا يرون من العدو
احد افوض الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا حتى قطع الوادي
والسائر ثم بالمطر فقال الوادي خال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه
فجلس تحت شجرة فبصر به عورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم يقتله ثم اخذ
من الجبل معه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد
سل السيف من غده وقال يا محمد من يمنعك مني الان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم
قال اللهم اكفني عورث بن الحارث بما شئت فاهوى عورث بالسيف ليضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من رجة زلها فبدر السيف من يده فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا عورث من يمنعك مني الان فقال لا احد فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين
عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال عورث لانت خير مني
قال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا الحق بذلك منك فرجع عورث الى اصحابه فقالوا له ويلك
يا عورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضر به فوالله ما اذكرى
من زحكي بين كفتي فخررت لوجهي فذكر له حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سكن
الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه
الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن
ابن عوف جريحا ان تضعوا اسلحتكم وحذا حذرهم يعني من عدوكم **ان الله اعد للكاثرين**
عذابا مهينا يعني لهما بوز فيه قوله عز وجل **فاذا قضيت الصلاة** يعني فاذا فرغتم من صلاة
الخوف **فاذكروا الله** يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واشوا على الله في جميع اموركم
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فان ما اتم عليكم من خوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل
والتضرع اليه عن عافية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكركم في كل احبائه
وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا الله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض
وعلى جنوبكم يعني في حال الزمات والجراح **فاذا اطأتم** يعني فاذا اتمتم وسكنت قلوبكم
واصل الطمانينة سكوت القلب **فاقيموا الصلاة** يعني فامتروها اربعا فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا اصرتم مقيمين في اوطانكم فاقموا الصلاة قائما اربعا
من غير قصر وقيل معناه فاقموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة سكوت القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا**
موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقوفة في اوقات محدودة
فلا يجوز اخراجها عن وقتها على حال من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر

اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى **ولا تقفوا في ابتغاء القوم** سب ترول هذه الآية
ان باسفيان واصحابه لما خرجوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في انارهم فشكوا
من الم المراحات فقال الله تعالى **ولا تمنوا ابغى ولا تضعفوا ولا تنوا في ابتغاء القوم**
يعني في طلب في سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى
ان تكونوا للمؤمنين فاعلموا بالمؤمنين يعني ان حصول الام قد مشترك بينكم وبينهم وليس
ما تكابدونه من الوجع والم اجماع محتقبا بكم بل هم كذلك فلا يمكن الالم ما تقال من
قتالكم فكيف يكون ما نعالكم عن قتالكم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولي بالمعبد
منهم لانكم مقررون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشاركين لا يفرزون بذلك كل فانتم
ايها المؤمنون اولي بالمهاد منهم وهو قوله تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون ويعفون عما لم**
من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقبل ترجون النصر والظفر في الدنيا واطهار دينكم
على الاديان كلها **وكان الله عليا حكيم** يعني انه تعالى لا يامركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم
قوله عز وجل **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس تزلت هذه الآية في رجل من
الانصار يقال له طعة بن ابيرق من بني ظفر من الحارث سرقة رعا من جاره يقال قتادة
ابن النعمان وكاننا لدرع في جراب فيه دفتق فجعل الدفتق ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى
الى اذنه ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيدا السبي فالتفت للدرع عند طعة
فخلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد انبأ اثر الدفتق حتى
دخل جاره فلما حلف تركوه واستبعوا اثره قتلوا ميترا اليهودي فاخذوه منه فقال
اليهودي دفعها الى طعة بن ابيرق فزاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البيهقي
وجانبوا ظفر قوم طعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوا ان يجادل عن صاحبهم
طعة فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجانب اليهودي وان يقطع يده فاتزل الله هذه الآية
انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفضل
لتحكم بين الناس **الا الله** يعني بما علمك الله وادعى اليك وانما سمي العلم اليقيني روية
لانه جرى مجرى الروية في قوة الظهور وروى عن عمر بن الخطاب قال لا يعوتن احكم قضيت بما
اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الانبياء صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهدهم رايه لان الراي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يوريه اياه وان راى احدا
يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون لت هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه **ولا تكن** يعني يا محمد **للخائنين خصيما** يعني ولا تكن
لاجل الخائنين وهم قوم طعة تخاصم عنهم وتجادل عن طعة مدافعا عنه ومعيناه
واستغفر الله يعني ما سمت به من معاتبة اليهود وقيل من جدالك عن طعة **ان الله كان**

عفورا يعني لذنب عباده يستترها عليهم ويغفرها لهم **عفا** يعني بعباده المؤمنين
فصل وقد عرفت هذه الآية من يرى جواز صدق النبي من الانبياء وقالوا ولم
يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تسكوا من وجوه
احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله **ولا تكن للخائنين**
خصيما ولم يخاصم عن طعة لما سألته قوم طعة ان يذب عنه وان يلجئ الرقة باليهودي
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما ياتي به من الوحي السماوي والامر
الالهي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعة كذاب وان اليهودي
برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعة وهم بذلك سبيته في الظاهر
من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذه القدر الوجه الثاني ان قوم طعة لما شهدوا عنده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه ولم ما يوحي لفتح في شهادتهم وهو بان يعفى على اليهودي بالسرقة فلما اطلعت
الله على كذب قوم طعة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطا في نفسه فامره الله
بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امر بالاستغفار
لقوم طعة لذنبهم عن طعة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد
سبق قبل النبوة وان يكون لذنب من الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم
اعلى الدرجات ومنصبه اعلى المناصب فلهذا رخصته وشرف منصبه وماله نبوته بالله
عز وجل فما يقع منه على وجه التاويل والسبوا وامر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة
الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنة الابرا رسيات المقربين وذلك بالنسبة
الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى **ولا تجادل عن الذين انفسهم** يعني ولا تجادل
يا محمد عن الذين يظنون انفسهم بالحياة وهم طعة ومن عاونته وذنب عنه من قومه وانما
سماهم خائنين لان من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب واخرها من
الثواب وانما قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا
تخاصم خائنا ولا تجادل عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا** يعني خوانا لسرقة الدرع انما
برميه اليهودي وهو يري وانما قال تعالى **خوانا** انما على المباينة لانه تعالى علم من طعة
الاقرار في الخيانة وركوب لما ثم ويد على ذلك انه لما تزل فيه القرآن كقوله مرتد اغر فيه
ثم دعا على الحجاج بن علاط فقتل عليه بيته فسقط عليه حجر من الحايط فلما اصبحوا اخبروا
من مكة فلقى ركبهم فسلم فقال ابن سبيل ومقطع به فخلوه حتى اذا جن عليه الليل عدا
عليهم فسرقتهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فاذا كره فزوه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه
حاله كان كثير الخيانة والا فلهذا وصفه الله تعالى بالمباينة في الحياة والام قال

بعضهم اذا عرفت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمر انه امر بقطع يده
سارق خجالت امه بتك وتقول هذه اول سرقة سرقتها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت
ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل **لا يستخفون من الناس** يعني يستخفون من الله يعني لا يستخفون
يريد بذلك بني ظفر الكارث ومن قوم طعمة بن ابيرق **ولا يستخفون من الله** يعني لا يستخفون
من الله ولا يستخفون منه واصل الاحقا الاستتار وانما فسر الاحتيا بالاحتيا على المعنى
لان الاحتيا من الناس بوجوب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم بالعلم والقدرة
لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وتكفي بذلك زجر الانسان عن
ارتكاب الانوبة **لا يبيتون ما لا يرضى من القول** يعني يبيتون ويقررون ويترورون في اذهانهم
واصل التبيت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قوم طعمة ويقبل بينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي
لاندها فرفلهم يرضى الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هو به
وكان الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط
بهم لا يخفى عليه خافية **ها انتم هولاء** ها للتنبه يعني يا هولاء الذين هو خطاب لقوم من
المؤمنين كانوا يوزعون طعمة وقومه **جادلتم عنهم** يعني خاسمتم عنهم بسبب انهم كانوا
يزرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدل الشدة الغل لان كل واحد من المتخاصمين يريد ان
يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هو انكم خاسمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة
الدنيا وقبل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هو انكم خاسمتم
عن طعمة في الحياة الدنيا **من جادل الله عنهم يوم القيامة** يعني اذا اخذه بعذابه فهو استغفار
بمعنى التوبخ والتفريع **ام من يكون عليهم وكيل** يعني حافظا ومحاسبين من باس الله اذا
نزل به قوله تعالى **ومن يعمل سواا ويظلم نفسه** تزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة
وعرضها عليه وقيل تزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسمى ومنه نيب
لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سواا يستوبد غيره كما فعل
طعمة بالسرقه من قتادة وانما خص ما تبعه الى الغير باسم السواا لان ذلك يكون في الاكثر
ايضا لا للضم الى الغير ويظلم نفسه يعني فيما يخترع به من الحلف الكاذب وهو ذلك وقيل
معناه ومن يعمل سواا في حيا او يظلم نفسه بزمية البري وقيل السواا ما يات به
الانسان والظلم هو الشك فيما دونه **ثم يستغفر الله** يعني من ذنوبه **يجد الله عفوكم رحيمًا**
في هذه الآية دليل على حكمي احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبار والصغار
لان قوله ومن يعمل سواا ويظلم نفسه عم الكل الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف
وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الامر على الذنوب **من يكسب ثمًا**

يعني ومن يعمل ذنبا يات به **فانما يكسبه على نفسه** يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب
عبارة عما يقيد جرم منفعته او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذي ارتكبته
انما عادت مضرتك عليك فاني مقرر عن الضر والنفع فاكثرت من الاستغفار ولا تبتأس من قبول
التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الآية تزلت في طعمة ايضا **وكان الله عليما** يعني ببارق
الدرع **حكما** يعني اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقامه على
التوبة حكما يقتضي حكمته ان يتجا وزعن الثياب ويقفله ويقبل توبته **ومن يكسب خطيئة**
او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغائر من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة الذنب
المختص بها على والاثم الذنب الممتد الى الغير وقيل الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو بزمية
الكاذبة **ثم يرم به برئيا** يعني ثم يقذف باجنابه بريامنه وهو نسبة السرقه الى اليهودي
ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فيكف وحده الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه
ثم يرم باحد هذين المذنبين برئيا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكثرت بلجدهما عن الاخر وقيل
انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكرة وقيل ان الضمير يعود الى الكسب
ومعناه ثم يرم بما كسب برئيا **فقد احمل لهما** انما البهتان من البهتان وهو الكذب الذي يتخير
في عظه **وانما بيننا** يعني ذنبا بيننا لانه بكسب لاثم ثم ورميه البري باهت فقد جمع بين الامر
قوله عز وجل **ولو لا فضل الله عليكم ورحمته** وهذه الآية متعلقة بقضته طعمة بن ابيرق
وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولو لا فضل
الله عليكم يعني يا محمد بالنسبة ورحمته يعني بالعصبة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم
فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم **لمت طائفة منهم** يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة **ان يضلوك**
يعني عن الحق بالحق ونوحى طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليكم الامر
حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم
ان يدفع عنه ويتبره عن السرقه ويرم بها اليهودي **وما يضلون الا انفسهم** يعني ان وبال
ذلك يرجع اليهم بسبب نقاوتهم على الامر وبشهادتهم له انه بري ففهم لما قدموا على ذلك جمع
وباله عليهم **وما يضرونك من شيء** يعني انهم وان سعوا في القايك في الباطل فانت ما وفتت
فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما
يضرونك من شيء في المستقبل فوعده اساداته العصبة وان لا يضروه احد **وانزل الله عليك الكتاب**
يعني القرآن **والحكمة** يعني القضاية ووجب لها بنا الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالفاياك
في الشبهات **وعلمك ما لم تكن تعلم** يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب
ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعتك على ضمائر القلوب وعلمك احوال
المنافقين وكبد هم ما لم تكن تعلم **وكان فضل الله عليك عظيما** يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد

عظيما فاشكره علي ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما اترك عليك من كتابه
وحكمته وعصمك من جاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضلته وشملك باحسانه
وكما لا غايه من امره ذلك لسوق في هذه الاية تنبيه من الله عز وجل للنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
علي ما احباه من الطافه وما سئل من فضله واحسانه ليقوم بواجبه قوله تعالى **الاخير**
في كثير من خواصهم يعني من يخوي قوم طعمه وقيل في عامة في جميع ما يتناهي الناس به والخوي هو
الاسرار في التدبير وقيل الخوي ما قد بدت به قومه سرا كان وجهه او ناجيته سار رجة
واصله ما يخوف في نجوة من الارض وقيل اصله من النجا والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتلجؤ
فيه **الامر بصدقة** يعني الا في خوي من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناهي فيه الناس
ويخوضون فيه من احد شيئا لا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استئنا منقطع تقديره لكن من
امر بصدقة وحسن عليها **او معروف** يعني وامر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها
معروف لان العقول تعرفها **او اصلاح بين الناس** يعني لاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين لتبرأ
الي ما كانا فيه من اللفة والاجتماع علي ما اذن الله فيه وامره علي ان لا يرد اقل قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم **الاخيركم** بافضل من درجة الصيام والعلا والصدقة قالوا بلي قال اصلاح
ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجها الترمذي وابوداود وقال الترمذي
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تخلو الشعر ولكن تخلو الدين
خ عن سهل بن سعد ان اهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم **ق** عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يبيع بين اثنين او قال بين الناس فيقول خير الوصيني
خير اذ مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب
والاصلاح بين الناس وحديث الرجل ورجله وحديث المرأة وزوجها **ومن يفعل ذلك** يعني الاشيا
التي **كل ابتغاهم منا** الله يعني طلب منها لان الانسان اذا فعل ذلك خالفه الله لوجه الله نفعه
وان فعله رياء وسمعه لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث **فسوف**
نؤتيه يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاهم منا الله **اعظيما** لاحد له لان الله سماه عظيما
واذا كان كذلك فلا يعلم قدر الا الله عز وجل قوله عز وجل **ومن يشاقق الرسول** ترك في طعمه ايضا
وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف علي نفسه القطع والفضيحة هرب الي مكة كافر
مرتد اعز الدين فانزل الله عز وجل فيه **ومن يشاقق الرسول** يعني يخالفه في التوحيد والايمان
واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الاخر **من بعد ما تبين له الهدى**
اي وضح له التوحيد والهدى وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له ما اترك
فيه واظهر من سرقة ما يده له علي صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم

واظهر

واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني ويتبع غير طريق المؤمنين
وتكاسم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان **فوله ما تولى** اي اكلمه في الآخرة الي ما تولى في الدنيا
وتتركه وما اختاره لنفسه **ونفسه جهنم** يعني ونلزم جهنم واصله من العباد وهو لزوم
النار وقت لا سعة فاما **وسات مصير** يعني وليس المرجع الي النار مرة وكان الشاق في سبيل عن
اية من كتاب الله تدل علي ان الاجماع حجة فقر القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الاية
وي قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين هو مفارقة
الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجب وذلك لان
الله تعالى الحق الوحيد يعني يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت لهذا ان
اجماع الامة حجة قوله تعالى **ان الله لا يغفر لشركه** به تزلت في طعمة بن ابي وقيل الكونه
مات مشركا وقال ابن عباس تزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جالي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبلي الله اني شيخ ممتهك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراحة علي الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز
الله هربا وانني لنادم تائب مستغفر فما حالني عند الله فانزل الله عز وجل هذه الاية ان الله
لا يغفر لشركه به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذ اقام صاحبها عليه لانه قد
ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته وصح ايمانه وعقرت ذنوبه كلها التي عملها
في حال الشرك **ويغفر ما دونه** ذلك يعني ما دونه من الشرك **المن يشاقق** يعني لمن يشاقق اهل التوحيد قال
العلماء لما اخبروا الله انه يغفر الشرك بالايان والوحي علمنا انه يغفر ما دونه من الشرك بالتوبة وهذه
المسئلة فمن لم يرب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة والصغيرة من
غير توبة فهو في خطر المسئلة ان ساقطه واخذه الجنة بفضل رحمة وان ساعذ به
ثم يدخله الجنة بعد ذلك **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** يعني فقد ذهب عن طريق
الهدى وحرى الخير كله اذ اقامت علي شركه فان قلت لم كبرت هذه الاية بلفظ واحد في متعين
من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التاكيد والاول لان الاية المتقدمة تزلت
في سبب وتزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الايات المتقدمة تزلت في سبب سرقة طعمة
ابن ابيرق وتزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته علي الشرك قوله عز وجل **ان يدعون من**
دونه الا انا تزلت في اهل مكة يعني ما يعبدهون من دونه الا الله الا انا لان كل من عبده شيئا
فقد دعاه كاجته وفي قوله انا اقول احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاثان
فيقولون الملائكة والغرب ومناة قال الحسن كما فوايقولون لصلهم كل قبيلة انثى بي فلان والقول
الثاني انا ما يعني امواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والحطب بي انا قال الزجاج والولت
كلما يخبر عنها كما يخبر عن الموت يقول هذه الحجر يخبرني وهذه الدهرهم تنفقي ولان الانثى تزل

درجة من الذكرو والميتا نزل درجة من الحي كما ان الموت اتر من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى
على ايجادات القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولهم بنات الله **وان يدعون اي ويايرون**
الاسيطافا مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويكرها بالسنة والكنمة ويكلمهم
فلهذا قال الله تعالى والي يدعون الاسيطافا مريدا وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على
عبادة لقا فاطاعوه فحلفت طاعتهم له عبادة والمريد والمارده هو المتمرد الخارج عن
الطاعة **لعنه الله** اي بعده الله وطرده من رحمة **وقال** يعني ابليس **لا تحزن من عبادة كنيصا مفروضا**
يعني خطا مقدر امعولوا فكلوا اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع
وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه **ولا ضلهم** عن طريق الحق والمراد به
الذين هم الوسوسة والافليس اليه من الاضلال شي قال بعضهم لو كان الضلالة الى ابليس لاضل جميع
الخلق **ولا مئمنهم** قال ابن عباس يريد استوفيل لقوته وتأخيرها وقال الكلبي امينهم انه لاجنة
ولا نار ولا بعث وقيل امينهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل انهم لم يركبوا لاهوا الاثام
الداعية الى العصيان وقيل امينهم طول البقاء الى الدنيا وبعثهم باليومئذ وها على الآخرة **ولا امرهم**
فليستكن اذان الانعام يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحير وذلك لانهم كانوا يشقون اذن
الثاثة اذ اولدت خسة ابطن وجال الحاسي ذكر او حرما على انفسهم الاستماع لها ولا يردونها
عن ما ولا امرى وسولهم ابليس ان هذه اقربة **ولا امرهم فليغيرن خلق الله** قال ابن عباس يعني دين
الله وتغيير دين الله هو تحيل الحرام وتخريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطر التي
فطر الخلق عليها يريد عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه وقيل يحيل ان يحل هذا التغيير على تغيير احوال الخلق بظواهر الخلق مثل التوشم ووصل
الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواسمات والمستوشمات والمنصافات
والمتفجمات الحسنات المغيرات خلق الله اخرجها من رواية ابن مسعود ولما عن اسماء قالت لعن
النبى صلى الله عليه وسلم الواسلة والمستوشمة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاص وقطع الاذان
حتى ان بعض العلماء حجه وكره ان يخصص الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غضا ظاهرا
عن سعد بن ابى وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون البتل لاختصنا
البتل هو ترك النكاح والاختصاص للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاص ويقول ان فيه
ثما الخلق اخرجها مالك في الموطا ومعناه في ترك الاختصاصا الخلق يعني زيادهم وقال ابن زيد
هو التخت وهو ان يتبسه الرجل بالنساء في حركاته وكلامه من لباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير الخلق
هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكثر خبره على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم
والنار والاحجار لمنفعة الناس فبعدوها من دوزانه **ومن يتخذ الشيطان وليا من دوزانه** يعني
يتخذها يطيعه فيما يامره به وقيل الولي من الولاية وهو الناصر **فقد خسر خسرنا مبينا** لان طاعة

الشيطان توصله الى نار جهنم ومن غاية الخسران تبقى الآية سوالا ان السؤال الاول قال لا تحزن
من عبادة كنيصا مفروضا والنصيب لمفروض هو الشئ المقدر القليل وقال في موضع اخر
لا تحزن من ربه الا قليلا وقال لا غوئهم اجمعين لا عبادة منهم المخلصين وهذا استثناء القليل
من الكثير فكيف وجه الجمع فاجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المؤمنين
في العدد لكن اقل من المؤمنين في الفضل والشر وعملوا الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا
اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشر والسود والغلبة في الدنيا وعملوا الدرجة
في الآخرة واشد بعثهم في هذا المعنى فقال وهم لا قبل اذا بعد عسيرة **ولا اكثر من اذا بعد**
السود **وقيل** ان ابليس لما نيل من ادم ما اراد ورأى الجنة والنار علم ان لهذه ما هلا ولهذه املا
فقال لا تحزن من عبادة كنيصا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني من ان ابليس
العلم بالعواقب حتى يقول ولا ضلهم ولا غوئهم ولم يره وقال في الاحرف ولا تجد اكثرهم شاكرا
وقال في بني اسرائيل لا تحزن من ربه الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن
انه يقع منهم هذه الامور التي يريد هانهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فابتغوا الوجه الثاني قال ابن ابي رباري المعنى لاجتهادهم ولا حرص في ذلك
لانه كان يعلم الغيب لوجه الثالث قال الماوردي من الجائر ان يكون قد علم ذلك من الملائكة فخير
من الله تعالى ان اكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى **يعدهم** يعني الشيطان يعد حربه واوليا
ويعينهم فوعده وبمئته ايام ما يوقع في قلبك لانه من طول الامر ويذل ما المراد من الدنيا
ومن يعينها ولذا امتداد ذلك غرور فحب على العاقل ان لا يلتفت الى شئ منها فترى عالم بطل عمره ولم
يحصل له ما اراد منها ولين طال عمره وحصل مقصوده فالتفت وراه ينقص عليه ما هو فيه وقيل يعينهم
ويعينهم بان لاجنة ولا نار ولا بعث فاجتهادوا في تحصيل اللذات الدنيوية **وما بعد لهم الشيطان**
الاعرور يعني ياطلوا ضللا لا اوليك يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا **ما واهم جهنم** يعني
مهمهم ومستمرهم جهنم **ولا يجدون عنها يعني** عن جهنم **محيضا** يعني منرا ومعد لا يعني لا يعرفون
عنها الى غيرها ولا به لهم من ردها والخلد فيها لا ذكر وعبد الكفار اتبعه بوعده للمؤمنين فقالوا
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المسالك والنفق
خالدين فيها يعني في الجنات **لا يعني** بلا انتهاء ولا غاية ولا يد عبادة عن مد الزمان الممتد الى الابد
له ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الانهية لانه لا يقال ابد كذا كما يقال من كذا او في قوله خالدين فيها ابد
دليل على ان الخلود لا يفيد التاييد والروام لانه لو افاد ذلك لم يكرر وهو خلاف الاصل
فعلم بذلك ان الخلود عبادة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد
بماله وام الذي لا ينقطع وقوله تعالى **وعدهم** حقا يعني وعد الله الذي ذكره حقا **ومن**
اصدق من الله قولا يعني ليسوا حاد صدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى

ليس بامانكم ولا امان في اهل الكتاب الامنية فعوله من التنية والتمني بعد يرشي في النفس
وتصوره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من معنى الشيء اذا وقع في نفسه والاد
وفي الخطاب بقوله ليس بامانكم ولا امان في اهل الكتاب قولنا احدهما انه خطاب للمسلمين
واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبينا
وكتابتنا قبل كتابكم ففخنا ولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابتنا يقضى على
الكتب وقدامنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا ففخنا ولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب
لمشركي مكة في قولهم لا نبغث ولا نخاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن نؤمن بالنار الا
ايامنا معدودة والمعنى ليس لامرنا الا ما في الامر بالعدل الصالح **من يعمل سوا حيز به** قال الفخا
يقول ليس لكم ما تميتم وليس لاهل الكتاب ما تنصروا ولكن من عمل سوا يعني شركا فاما عليه حيز به
النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على التغير والكبر والجرى
المؤمن بسعي عمله يوم القيمة ولكن يجزي يا حسن عمله ويحيا وزر عيشته ويدا على صحة هذا
القول سياق القول وهو قوله **ولا يجعل له من دونه وليا ولا نصيرا** وهذا هو الكافر فاما المؤمن
فله ولى ونصير وقال اخر من هذه الآية في حق كل من عمل سوا من مسلم وكافر قال ابن عباس
عامة في حق كل من عمل سوا حيز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب لله عليه وقال ابن عباس
في رواية الى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين شقة شديدة وقالوا رسول
الله واياله لم يعمل سوا غيرك فكيف حيز اقاله ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر
حسان ومن جوزى بالشدة فقضت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسان فويل للغيت
احاده اعشاره واما ما كان خيرا في الآخرة فيقابل من حسنة وبياتة فيلحق مكان كل حسنة
حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله ويدا على صحة هذا القول
ما روى عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا حيز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فغى كل ما يقابل به المسلم كفارة حتى التكتة بكتها الشدة
يشاكه الخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركت
من يعمل سوا حيز به ولا يجعل له من دونه وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
الا فزيك اية انزلت على قلبك بلى رسول الله فافترقنا فلا اعلم الا الى وجدت انفسا مائى ظاهري
فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله يا ابي انى
وايتا لم يجعل سوا وانا المجزى بوزياعنا لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر
والمؤمنون فتجوزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الاخر فجمع ذلك
لهم حتى يجازوا به يوم القيمة اخرجهم الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي اسناده مقال
وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجعل له من دونه وليا

ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة
في حق الكفار قلنا ويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوا من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد
من دونه يوم القيامة ولا نصير فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وسفاعة الشافعين
تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله وقوله تعالى **من يعمل من الصالحات من ذكر او انثى**
وهو مؤمن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوا حيز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سوا فترلت هذه الآية
قال الضمير من بين الله تعالى فضيلة المؤمنين على غيرهم ولقطة من في قوله من الصالحات
للتبعض لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعدل فاذا عمل بعضها التحق الثواب
قوله وليك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا التفسير في ظاهر النواة ومنها ثبت النحلة قال ابن عباس
يريد لا ينقصون قدره من التواء فهدا على سبيل المبالغة في ثنى الظلم ووعده بتوفية جزا اعمالهم من غير
نقصان قوله عز وجل **من احسن دينا من اسلم وجهه لله وهو محسن** لما بين الله تعالى ان الجنة لمن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى **من احسن دينا يعنى ومن احسن**
دينا والدين هو المستعمل على ظاهر كمال العبودية والخضوع والافتقار لله عز وجل وهو الدين
الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد واليه
الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضوع له في سره وعلايته وقيل معناه اخلاص
طاعته وقيل فوض امره لله الامر الثاني من بينا الى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو
محسن يعنى في عمله الله فيه دخل فيه فعل الحسان والمفروضات والطاعات وترك السيئات
وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال بعض
العلماء وانما صاد دين الاسلام احسن الايمان لان فيه طاعة الله ورضاه وبما احسن الاعمال وانما
خصل الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد لوجه الله وخضع له فقد
انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له **وانتج حلة ابراهيم عليه السلام حنيطنا**
يعنى صلبا مخلقا والمحنق لما بيل ومعناه المايل عن الايمان كلها الى الاسلام لان ما سواه من الايمان
باطل وحنيطنا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتابع كما تقول رايته ركبنا قال ابن
عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناساك الحج والحضانة ونحو ذلك
فان قلنا ان ظاهر هذه الآية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام
وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس لامر كذا لنا الجواب قلت ان شرع ابراهيم
وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمد صلى
الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم عليه السلام لانها داخله في ملة
محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى **وانتج حلة**
ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعى الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان

مقبولاً عند جميع الأمم فإن العرب كانوا يفتخرون بالانتساب إليه وكذلك اليهود والنصارى
فاذا ثبت هذا وإن شئت كان مقبولاً عند الأمم وإن شئت محمد صلى الله عليه وسلم وملة يوشع إبراهيم
وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملة وقال **ولقد اتخذا إبراهيم**
خليلاً يعني صديقاً والملة صفة المودة وقيل الخلّة الافتقار والافتقار فخليل الله المتقطع اليته
وسمى إبراهيم خليلاً لأنه انقطع إلى الله في كل حال وقيل الخلّة الاختصاص والاصطفاء وسمى إبراهيم
خليلاً لأنه والى الله وعادى في الله وقيل لأنه تخلق بخلق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل
المحب الذي ليس في محبة خلد وسمى إبراهيم خليل الله لأنه أجد محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل
وانشد في معنى الخليلية التي هي بمعنى المحبة قد تخللت مسلكاً الروح مني وبه سمي الخليل خليل الله
وقيل الخليل من الخلّة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيها وسمى
إبراهيم خليل الله لأنه جعل فقره وفاقته وحاجته إلى الله عز وجل وخلّة الله للعبد هي
تمكنه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر حاله ونصره والثناء عليه فقد اتفق الله عز وجل
على إبراهيم عليه السلام وجعله أماناً للناس فيقدي به واختلفوا في السبيل الذي من أجل
اتخذه الله إبراهيم خليل الله فقال ابن عباس كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان
مترلاً على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصابه الناس شدة فخط قصده الناس
باب إبراهيم يطلبون من الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث إبراهيم
غلاماً إلى خليله بمصر فقال لخليله لعلنا إبراهيم لو كان إبراهيم إنما يريد الطعام لنفسه
احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من المدة فجمع غلمان إبراهيم بغير
طعام ثم أيسطوا من الرسل سلة فقالوا لرجلنا من هذه البطيخ ليرى الناس أننا قد جئنا بميرة
فأنا نستحي أن نمنعهم وأبنا فارتفعت فلو من ذلك الرجل الغراب الذي معهم ثم اتوا إلى إبراهيم
صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولما كان الناس يباه فقلبت عيناه فنام
واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء العلمان قالوا بل قالت فجاؤا
بشيء قالوا نعم فقامت إلى الغراب ففتحتها فإذا هي ملأاً باجود دقيق يكون خوارق فامرت
لخازن أن يخبزوا وأطعموا الناس واستيقظ إبراهيم فوجد ربح الطعام فقال يا سارة من أين
لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيم حيناً اتخذ الله
خليلاً وقيل لما أراد الملكوت السموات والأرض فوجد فيهم من كان فيهم من عبادة الشمس والنجوم والأوثان وبذل نفسه للآل في النيران وبذل ولده للبركان
وقال للضيفان اتخذ الله خليلاً وجعله أماناً للناس فيقدي به وجعل النبوة فيه وفي
ذريته وقيل إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الأصنام وعادى قومه في الله عز وجل
اتخذ الله خليلاً وقيل لما دخل عليه الملايكة فظنهم ضيفاً فقرح عليهم عجلاً مشوياً وقال كلوا

على شريطة تسموا الله في أوله وتحمده في آخره فقال خير بل أنت خليل الله فمن يومئذ سمي
إبراهيم خليل الله عز وجل قال جابر بن عبد الله قال صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إبراهيم خليل الله فضيل وقد اتخذ الله محمداً
صلى الله عليه وسلم خليلاً كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذاً خليلاً غيري لكانت آباءكم وآبائكم وآبائكم
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً لكانت آباءكم وآبائكم وآبائكم
وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً أخرجه مسلم فقد ثبت بعد من الحديث من الخلّة للنبي
صلى الله عليه وسلم ونزاد على إبراهيم عليه السلام بالمحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وجيبه
فقد جاني حديث عن علي بن عبد الله بن أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أوافق أبا جيب الله ولا أخو جيب الله
باطوانه قوله تعالى **وما في السموات وما في الأرض** قالوا أهل المعاني لما دعى الله الخلق إلى طاعته
وعبادته والانقياد لأمره بين سعة ملكه ليرغب الخلق إليه بالطاعة له وإنما قال إني في السموات
وما في الأرض ولم يقل من لأنه ذهب بدمه هباً كجنى والذي يعتدل إذا ذكر وأريد بلجنى كسر
بلفظة ما وكان الله بكل شيء محيطاً يعني عالمه عالم الحاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشبه
عنه نوع العلم وقيل يجوز أن يكون معناه محيطاً بالقدرة عليه قوله عز وجل **ويستفتونك في**
النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أمية وقد قدمت قصته في أول السورة
وقالت عائشة هي البيعة تكون في حجر رجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذلت جمال
وما لا يقل من سنة صداقها وإذا كانت غير مرغوب فيها لقله المال والحال تركها وفي رواية
قالت هي البيعة تكون في حجر رجل وقد شركته في ماله فيرغب فيها فلا يزوجها له ما منها ويكره أن
يزوجها غيره فيه خل عليه ويشركه في ماله فيجسها حتى تموت فهاهم الله عز وجل وأمر هذه الآية
فقال ليستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى
ويظهر ما استكلم من الأحكام الشرعية وكشف وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه
هو ميراث النساء وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء والأصغار من الأولاد فلما نزلت الآية
الميراث قالوا يا رسول الله كيف نورث المرأة والصغير فاجابهم الله بهذه الآية قل الله
يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وحالهن **وما يتلى عليكم في الكتاب**
يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى إن الله يفتيكم في النساء إنما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم والحال في اللوح
المحفوظ وإن العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الأمور عند الله تعالى التي تحب
مراعاتها وإن المخد لها ظالم في **باب النساء** يعني ما فيهن من اليتامى وقيل في اليتامى أولاد
النساء الآية نزلت في يتامى أمية **اللاتي لا توفين ما كتب لهن** يعني ما فيهن من الميراث

وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث النكاح الصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب
لن من الصداق **وترغبون ان تنكحوا** يعني وترغبون في نكاح من لهن وجه لهن باقل من صدقهن
وقبل معناه وترغبون عن نكاح من لهن وجه واما منهن وتكوهن غيبة في اموالهن **وعن عايشة**
قالت هذه البيعة تكون في حجر ولها في جملها وما لها ويريد ان يتقصصه انفا
فهو عن نكاح من الا ان يقسطوا له في المال الصداق وامر بانكاح من سواهن قال عايشة
فاستفتي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النساء
قوله وترغبون ان تنكحوا فيمن لهن ان البيعة اذ كانت في جملها وما لهن عن نكاحها
ولم يجمعوها يستنها في كمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال واجمال تركوها
والمستوا غيرهما قال في كفاية زوجها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذ رغبتا اليها الا
ان يقسطوا لها او يعطوها حقها الا في من الصداق وقوله تعالى **المستضعفين من الولدان** يعني
ونقيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان يعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية
كانوا لا يورثون الصغار ايضا فقام الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقوقهم من الميراث **وان تنكحوا**
النساء بالقسط يعني بالعدل في مهرهن وموارثهن **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما**
يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى **وان امرأة خافت من بعلها نشورا او اعراضا** عن عايشة في قوله تعالى
وان امرأة خافت من بعلها نشورا او اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يشكر منها فيريد
طلاقا وتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيرها فانت في حل من النفقة علي
والنفقة في ذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في
عمة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رابع بن خديج تزوجها
ومى شابة فلما كبرت تزوج عليها المرأة اخرى شابة وانزلها عليها وجفي الاولى فانت ابنة محمد
ابن مسلمة تشكون زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد
كبرت وله منها اولاد فامره ان يطلقها وتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولادي
واقسم كل شهر ان شئت وان شئت فلا تقسم فقال ان كان يصلح ذلك فهو اجد لي فاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر الله فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل
ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعها
من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسلي الزوج بعلا لانه سيده المرأة نشورا يعني بغضا
وقيل هو ترك مضاجعتها واصل من النشور وهو التمتع من الارض والنشور قد يكون من الزوجين
وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشور الزوج هو ان يكره من المرأة وهو قوله تعالى واعراضا
يعني بوجهه عنها ويعني في وجهها او يترك مضاجعتها او يسي عشقها او يشتغل بغيرها وقيل
المراد من النشور اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الارض من سكوت عن الخير والشر الا اذا

بل يعرف عنها بوجهه او يشتغل بغيرها **فلا جناح عليهما** يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج
والمرأة **ان يصالحا** من الصالحة وقرى ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح **بينهما صلحا** يعني
في العشرة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا امر بادن
ان تزوج امرأة شابة جميلة او نزلها عليك في العشرة لئلا ولها اذ ان رضيت فاقمى وان كبرت
ذلك فارتكك وخليت سبيلك فان رضيت به لك كانت في المحنة ولا تجبر على ذلك وان لم
ترض به ونحوها كان على الزوج ان يوفيقها من القسم والنفقة او يهرجها باحسان وان اسكتها
ووفيقها مع الكراهة كان هو المحسن قال ابن عباس فان صاكنة على بعض ختم من العشرة
والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها **والصلح خير** يعني اقامتها
بعد تحبيره اياها والصلح احول على بعض ختم من القسم والنفقة خير من الغرة عن ابن عباس
قال خيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل
يومي لعائشة ففعل فتركت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فاصطلحا
عليه من شيء فخرجوا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة **واحضرت الانفس الشح** اقيم الخ والحقبة
للص على منع الخير وانما قال الانفس الشح لانه كالامر اللازم للتقوى لا تقام طوعة عليه ومعنى
الآية ان كل واحد من الزوجين يسبح بنصيبه من الاخر فلا تسمع على مكانها من زوجها والرجل يسبح
عليها بنفسه اذا كان غيرهما اجل ليه منها **وان تحسنا او تنفروا** هذا خطاب للزوج يعني
وان تحسنا ايها الزوج الصالحة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندهم وقيل معناه
وان تحسنا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والمولى عليها **فان الله كان بما تعملون خبيرا** يعني
فيجازيكم بما عملتم قوله عز وجل **ولن نستطيعوا ان نفعه لو ابين النساء يعني ولن نفعه روا ان نسوا بين**
النساء في الحب وميل القلب لذل كما لا قدر من عليه وليس من كسبكم **ولو حرصتم** يعني على العدل
والنسوية بينهم وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك **فلا تميلوا كل الميل** يعني الى التي تحبون في القسم
والنفقة والمعنى انكم لستم متهمين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدركم
ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فليمد يده اليهما في يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه
الترمذي ومعنى آي دود من كانت له امرأتان قال الى احدهما جا يوم القيامة وشقه ما يمل
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا
تلمني فيما املك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى **قد روي**
كالملقة يعني قد روي الاخرى التي لا تملكونها كالمسوحة لا ايتما ولا ذات بعل كالتى للعاق لا هو
في السماء ولا على الارض وقيل معناه قد رويها كالمسحوبة لا يملقها فتزوج ولا يذات بعل فحين

اليها وان **تضلكوا** يعني بالعدل في القسم **وتتقوا** يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا رحيما
لما حصل من الميل الى بعض من دون بعض **حيما** يعني بكم حيث لم يكلفكم الا لا تقدر وزن عليه **وان تتفرقا**
يعني ان لم يصطالحا واختار الفرقه **يعني الله كلاً من سعة** يعني من فضله وزنه وللغنى
يعني الزوج بامارة اخرى والامارة زوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يجب المرأة بما يجب ويوسع
عليها وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق **وكان الله واسعا** يعني واسع الفضل
والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذي وسع جميع مخلوقاته
غناه **حيما** يعني فيما امر به ونهى عنه فحصل فيما يتعلق بحكم الآية وجملة ان الرجل اذا كان
تحت امر تان واكثر يجب عليه التسوية بينهما في القسم فان ترك التسوية بينهما في فعل القسم
عصى الله عز وجل في ذلك وعليه العنقا للمظالمه والتسوية شرط في البتة اما في الجراح فلا
لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب ليس ذلك اليه ولو كان في فكاحه حرة وانه قسم الحرة
ليلتحق بالامانة لينة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمت كن عنده فانه يخص الجديدة بان
يبني عندها سبع ليال اذا كانت جديدة بكرة وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم ان
يتناف القسم ويسوي بينهما ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمت ويدل على ذلك
ما روي ابو قتادة عن النبي قال من استأذنا زوج البكر على الثيب قام عندها بغير قسم واذا
تزوج الثيب قام عندها ثلاثا وقسم وقال ابو قتادة لو شئت لقلت ان استأذنا زوج البكر على الثيب
صلى الله عليه وسلم اخراجه في الفحيحين واذا استأذنا الرجل الى سعة حاجة جاز له ان يجمل معه
بعض نسائه بشرط ان يفرغ بينهما ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان
طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافر ويذكر على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفر افرغ بين نسائه فابتن خرج سهمها خرج بها معه خروجه
البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر بقله وجب عليه اخذ نسائه معه قوله تعالى **وسما في**
السموات وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يقضي من سمته
وقضاه اشار الى ما بوجوب الرحمة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا يقضي خراجه
ولقد وصينا الذين اتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة **واباكر**
يعني ووصيناكم يا اهل القرآن في كتابكم **ان تقوا الله** اي بان تقوا الله وموان توحده وتطيعوه
وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر يتقوى الله شرعية قديمة اوصى الله بها جميع الامم
السالفة في كتبهم **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا واما او صاكر به **فان الله ما في السموات وما في الارض**
يعني فان الله ملائكة في السموات والارض هم اطوع له منهم وقيل معناه انه تعالى خالق السموات
والارض وما فيهن وما لهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان
يتقيه ويرجوه **وكان الله غنيا** يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم **حمدا** يعني

محمدا اعلى نعمه عليهم **وسما في السموات وما في الارض** وكفى بالله وكيفا قال ابن عباس يعني شيئا
على ان له فيه عبيدا وقيل معناه وكفى بالله وانفا ومجيرا فان قلت ما القابدة في تكرير قوله
تعالى **وما في السموات وما في الارض** قلت القابدة في ذلك ان لكل اية معنى يختص به اما الآية
الاولى فمعناها فان الله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
وقيل لما قال تعالى **وان يتفرقا** يعني الله كلاً من سعة بين ان له ما في السموات وما في الارض
وانه قادر على اغنا جميع المخلوق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال **وان تكفروا**
فان الله ما في السموات وما في الارض والمراد منه انه تعالى منزله عن طاعات المطيعين وعن ذنوب
المرتدين وانه لا يرد ادجلا له بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات
وما في الارض قال بعد ذلك **وكان الله غنيا** حمدا فالمراد منه انه تعالى هو الغنى وله الملك والعلو
منها تطالبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى **وما في**
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيفا اي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المال الذي
السموات والارض وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان
التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل **ان يشاء يهلككم ايها الناس** قال ابن عباس يريد المشركين
والمناقرين **ويأت باخر** يعني بغيركم هو خير منكم واطوع له ففيه تهديده للكفار والمعنى انه يهلككم
ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا برسله **وكان الله على ذلك قديرا** يعني وكان الله
على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا يليق في القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده لم يزل ولا يزال
موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء قوله تعالى **من كان يريد ثواب الدنيا** يعني من كان يريد بعمله ثوابا
من الدنيا تزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرضون باذن الله خالقهم ولا يقرضون بالعبث يوم القيمة
فكانوا يقرضون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل تزلت في المناقضة لانهم
كانوا لا يصدقون يوم القيمة وانما كانوا يطلبون بها دماءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاجل الدنيا وموئلا ثوبه من الغنية **فعند الله ثواب الدنيا والاخرة** يعني ان الذين يطلبون
باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنية مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب
الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عاقلين لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب
الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اقام الله منها ما اراد ومنه عنده من ثوابها
ما اراد وليس له ثواب في الاخرة يحجز به ومن اراد بعمله وجهه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة يوتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير من الدنيا **وكان الله سميعا** يعني لا يوالى
وما يبرئ من طلب ثواب الدنيا بصيرا **اي** يعني بنيائهم وما في قلوبهم وقيل بصيرا اي يطلب الدنيا
بعمله ومن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهد الله قال الذي**
ان تقيرا وغنيا اختصا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صفوه مع الفقير يري ان الغني لا يظلم الغني

اوليا من **الزكوة** وكان الله شاكر **اعني** شاكرا عباده المؤمنين موقيا اجورهم والشكر لله
الرضي بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل امر الله عباده بالشكر
سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة قالوا من الشاكر في صفة الله تعالى كونه شاكرا على الشكر
عليما يعني بحق شكره وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا**
من ظلم قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من
القول البقيع الامن ظلم قيل هو استغناء متصل والمعنى الاجهر من ظلم وقيل هو استغناء منقطع
ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المسورة
المكتوبة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة
لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول ليرقمني او غصب بخودك وان سوتم جازا لان يسيتم
بمثل ولا يزيده شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المستبان ما قال لا فعل في الاول وفي رواية فعل في الباء من سبها حتى يقيد المظلوم بحجة
مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعوا ظلم من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صدره وخبره
وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي
حتى اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحو من هذا وقيل تركت الآية في الضيف اذا تزل بقوم
فلم يقره ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال المجاهد هو الرجل يزل بالرجل فلا
يجس من ضيافته فيخرج من عنده فيقول لسا ضيافته في وقال مقاتل تزلت في اني بكر الله في ذلك
ان رجلا قال امه والبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم ردد عليه فقام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقبله شيئا حتى اذا ردت عليه قت قال ان
ملكنا كان يجيب عنك فلما ردت عليه ذهب الملك وجا الشيطان فتمت وتزلت منه الآية **وكان**
الله سميعا يعني لدها المظلوم **عليما** بما في قلبه فليست الله ولا يقول الحق قوله تعالى **ان تبدوا خيرا**
قال ابن عباس يريد من اعمال البر الصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا
خيرا به لا من السوء **او تخفوه** يعني تخفوا الخير فلم تطهروه وقيل معناه ان تبدوا خيرا فتمتعوا
بما كتبت لكم عمر او انهم ما ولم يعملوا كتب له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخير التي كتبت
مخصوصة في فستين احدا يصعد في النية مع الحق والثاني تخلق مع الخلق فالذي يتخلق بالخلق ينحصر
في تسمين ايضا وبما ايضا لا تنفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوا
او دفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله **ونفوس عن سوء** فيه خل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر
وجميع دفع الضرر وقيل المراد باختار المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فقط وبما الفقر جهر او تخفوا
فقط وبما السر او نفوسا عن مظلمة **فان الله كان عفوا غفيرا** يعني لم يزل اعفو مع قدرته على الانتقام
فاعفوا انتم عن ظلمكم واقفة وابسة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة لانه اهل للتجاوز والعفو

اوليا من **الزكوة** وكان الله شاكر **اعني** شاكرا عباده المؤمنين موقيا اجورهم والشكر لله
الرضي بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل امر الله عباده بالشكر
سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة قالوا من الشاكر في صفة الله تعالى كونه شاكرا على الشكر
عليما يعني بحق شكره وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا**
من ظلم قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من
القول البقيع الامن ظلم قيل هو استغناء متصل والمعنى الاجهر من ظلم وقيل هو استغناء منقطع
ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المسورة
المكتوبة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة
لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول ليرقمني او غصب بخودك وان سوتم جازا لان يسيتم
بمثل ولا يزيده شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المستبان ما قال لا فعل في الاول وفي رواية فعل في الباء من سبها حتى يقيد المظلوم بحجة
مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعوا ظلم من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صدره وخبره
وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي
حتى اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحو من هذا وقيل تركت الآية في الضيف اذا تزل بقوم
فلم يقره ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال المجاهد هو الرجل يزل بالرجل فلا
يجس من ضيافته فيخرج من عنده فيقول لسا ضيافته في وقال مقاتل تزلت في اني بكر الله في ذلك
ان رجلا قال امه والبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم ردد عليه فقام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقبله شيئا حتى اذا ردت عليه قت قال ان
ملكنا كان يجيب عنك فلما ردت عليه ذهب الملك وجا الشيطان فتمت وتزلت منه الآية **وكان**
الله سميعا يعني لدها المظلوم **عليما** بما في قلبه فليست الله ولا يقول الحق قوله تعالى **ان تبدوا خيرا**
قال ابن عباس يريد من اعمال البر الصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا
خيرا به لا من السوء **او تخفوه** يعني تخفوا الخير فلم تطهروه وقيل معناه ان تبدوا خيرا فتمتعوا
بما كتبت لكم عمر او انهم ما ولم يعملوا كتب له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخير التي كتبت
مخصوصة في فستين احدا يصعد في النية مع الحق والثاني تخلق مع الخلق فالذي يتخلق بالخلق ينحصر
في تسمين ايضا وبما ايضا لا تنفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوا
او دفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله **ونفوس عن سوء** فيه خل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر
وجميع دفع الضرر وقيل المراد باختار المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فقط وبما الفقر جهر او تخفوا
فقط وبما السر او نفوسا عن مظلمة **فان الله كان عفوا غفيرا** يعني لم يزل اعفو مع قدرته على الانتقام
فاعفوا انتم عن ظلمكم واقفة وابسة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة لانه اهل للتجاوز والعفو

عنكم وقيل معناه ان الله كان غفورا لغيره فانه اعلى اوصاف الثواب ليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون
باسمهم **ورسلهم** تزلزلت في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله
عليه وسلم اجتمعوا في القرآن وقيل تزلزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى
وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلمهم جميعا **ويريدون**
ان يفرقوا بين اسمهم ورسلهم يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان باسمهم والايمان برسلهم ولا يصح الايمان
باسمهم الكذابين ببعضهم **ويقولون** نؤمن ببعض ونكفر ببعض **يريدون ان يتخذوا بين ذلك**
سبيلا يعني بين الايمان ببعضهم ونكفر ببعض يتخذون سبيلا يميزون بين الله وبين رسله
اولئك يعني من هذه صفتهم **لما كانوا** **وحيثما** يعني في حيثما كانوا **احقوا** تركوا الكفر لئلا يتقوهم
متوهم ان الايمان ببعض الرسل ينزل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلم
لان الدليل الذي يدل على نيق البعض هو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت
النبوة وقد وجدت المعجزة بجميع الانبياء فلم لا يمان بجميعهم **واعتدنا** يعني وحيثما **للكافرين**
غذا **قام** يعني يهاون فيه **والذين امنوا باسمهم ورسلهم** يعني والذين صدقوا بوجه انية الله ونبوة
جميع انبيائه وان جميع ما جاوا به من عند الله حق وصدق **ولم يفرقوا بين احد منهم** يعني من الرسل
بل امنوا بجميعهم وهم المؤمنون **اولئك** يعني من هذه صفتهم **سوف نوفيهم** **اجورهم** يعني جزا ايمانهم
باسمهم بجميع كتبهم **ورسلهم** **وكان الله غفورا رحاما** يعني انه تعالى لما وعدهم بالتوابع اخبرهم انه تجاوز
عز سياتهم وبقدر هالم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بحمد صلى الله
عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى **سبيلك اهل الكتاب** يعني يا اهل
يا محمد اصل الكتاب هم اليهود وذلك لان كعب بن الاشرف وفتحاه من عازر ورامن اليهود قال الرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فانا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل
سألوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان تترك عليهم كتابا من السماء** **مختصا بهم** وقيل قالوا انه ان تترك عليهم
كتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سوال
تفت واقتراحا لسؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا يترك الايات على اقتراح العباد ولان
معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من ايات التفت
وقوله تعالى **فقد سألوا موسى البر من ذلك** يعني لعظم من الذي سألوا يا محمد فقيه تسمية النبي
صلى الله عليه وسلم وتوحيج وتقرع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسألوا التفت
والمعنى لا يعطن عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترأهم على الله تعالى انيتهم
بكتاب من السماء امنوا بك ولما اسد السؤال الى اليهود اذ تركوا في من النبي صلى الله عليه وسلم
وان وجد هذا السؤال ان اياهم الذي تركوا في ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبيهم
ولم يميز بسؤالهم ومشاكلهم في التفت **فقالوا** يعني اسلاف هؤلاء اليهود **ما الله جحشرة**

يعني

يعني عيانا والمعنى انما يشهده جهره وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى على اللام
الى الجبل ففعلوا ذلك وقد تقدمت لتفص في سورة بني اسرائيل البقرة **فاخذتم الصافات** **نظمهم**
يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الروية **ثم اتخذوا العجل** يعني العاوسم الذي خلقهم موسى مع اخيه
هارون حين خرج الى ميقات ربه **من بعد ما جاءتهم البينات** يعني الدلالات الواضحات الدالة
على صدق موسى وبني العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة **فغفونا عن ذلك**
يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذه تسمية النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يظلمون منك يا محمد ان تترك عليهم كتابا من السماء يظلمونك
عنادا ولجأنا في قد تزلزلت التوراة جملة واحدة على موسى وانيتهم من المعجزات الباهرة
والايات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الروية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل
ذلك يدل على جهلهم وانهم يحبون على اللجاج والعناد وفي قوله **فغفونا عن ذلك** استدعالي
التوبة والمعنى ان اذ ليك ان تراجروا ما قابوا غفونا عنهم فتوبوا انتم بغفوا عنهم **وانيتنا**
موسى سلطا فامينا يعني حجة واضحة تدل على صدق موسى المعجزات الباهرة التي اعطاها
الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل **ورفضا فوهم الطور عيشا** يعني ورفضنا فوهمهم
لجبل المسمى بالطور سببا خذميتا ثم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بها
فيها فرفع الله فوهمهم الطور حتى اظلم لهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق **وقلنا لهم** يعني
والطور يظلمهم **ادخلوا الباب سجدة** **اخافوا ودخلوا** وهم يرفضون على استاهم **وقلنا لهم لا تعذروا**
في السبب يعني وقلنا لهم لا تجاوروا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم وذلك لانهم كانوا يصطادوا
السماك في يوم السبت فجاءوا ووافعته واداموا فيه وقيل المراد به الذي عن العمل والكم
في يوم السبت **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** يعني واخذنا منهم موكة الله يد اياهم يعلمون بما امرهم
الله به وان ينهوا عما لقاهم عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى **فما نقضهم ميثاقهم**
يعني فنبقضهم وما زبيدة للتوكيد والمعنى فليسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وبخطنا عليهم
وقلنا لهم ما فعلنا **وكفرهم بايات الله** **فبحجودهم بايات الله الدالة على صدق انبيائه** **وقلنا لهم**
الانبياء يعني بعد قيام الحق والاله لاله على صحة نبوتهم **بغير حق** يعني بغير استحقاق لذلك القتل
وقلنا لهم قلوبنا غلف يعني وبقولهم على قلوبنا غطية وخشاق فمى لا نفقه ما نقول
جمع غلف وقيل مومج غلاف يعني قلوبنا اوعيت لعلنا فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه
فرد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليهم كفرة** يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم **قلنا**
يومنون **القليل** يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل الايونون
قليل ولا كثير وقيل المراد بالقليل هو عهد الله بسلام واصحابه الذين امنوا من اليهود وقوله
تعالى **وكفرهم** وقوله **على كفرهم** **بعضنا** **اعطينا** **ما جئنا** **مونا** بالزنا وذلك لانهم انكروا قدر الله تعالى على

خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله تعالى كافر فالله يقول وبكرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى
والله يقول على من هم همتانا عظيما مورسهم اياها بالزنا وانما سناه همتانا عظيما لانه
قد ظهر عند ولادتهم من المعجزات ما يدل على برائتهم من ذلك فلهذا السبب وصف الله قوت
اليهود على من هم بالبيان العظيم قوله عز وجل **وقولهم قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله**
ادعنا اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا
وبرر عليهم بقوله **وما قتلوه وما صلبوه** وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود
فيكون المعنى انه رسول الله على نبيه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك
ان الله يدركهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن فقالهم جنة عما كانوا يكرهونه
من القول القبيح وقوله تعالى **ولكن شبه لهم** يعني النبي عيسى عليه السلام حتى قتل وصلب وثلث
العلماء في صفة الشبيه الذي شبهه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن
عنه من شبهه انه قال اني اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الخواريص في بيت فاخطوا
بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم سمعوا يا بني
لنا عيسى ولتقتلكم جميعا فقال عيسى لصحابه من يشترى نفسه منك اليوم باخنة فقال رجل منهم
انا اخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صورته الله على صورة عيسى فاخذه وقتلوه وصلبوه
فمن شر شبه لم وطنوا لهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى
من يومه ذلك وفي رواية اخرى عن وهب بن عيسى عليه السلام قال لا يصح لي ان يكون في احدكم قتل
ان يصيح اليك ثلاث مرات وليس يعني بدراهم سيرة وليا كل مني فخرجوا وفرقوا وكانت
اليهود تطالبه فاخذه وشمعون احد الخواريص فقالوا هذا من اصحاب عيسى فخرجوا وقالوا انا بصا
فتركوه ثم اخذوا اخر فجددوا له كذا فلما اصبح اتى بعض الخواريص الى اليهود وكان منا فقتلوا
ما جعلوا في ان ذلكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما ثم عليه فالتى الله شبه عيسى عليه
المنافق الذي دل عليه فاخذه وقتلوه وصلبوه وهو يظنون انه عيسى وقال قادة ان اعداء
الله اليهود ذنبوا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان بني الله عيسى بن مريم عليه السلام قال
لا يصح به ايك يتخذ على شبهي وله اخنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا بني الله فاخذه ذلك
الرجل فقتل وصلب ورفع الله عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا
عليه رقبيا يحفظه فالتى الله شبه عيسى عليه السلام فقتل وصلب ورفع الله
عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري في اول الاقوال ابا الهيثم ما ذكرنا عن وهب بن شبه
من ان شبه عيسى عليه السلام التي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وهم من غير
مسئلة عيسى اياهم ذلك ليخبر الله بذلك اليهود وشقته به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكره
ارادوه به من قتل وغيره وليست اية من المراتب ابتلاه من عباده ومجمل ان يكون النبي شبيهه

على بعض اصحابه بعد ما تفر عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذه وقتل وصلب
وطن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفى امر عيسى
عليهم وكان حقيقة ذلك الامر عند الله عز وجل فلهذا قال تعالى **وما قتلوه وما صلبوه ولكن**
شبه لهم وان الذي اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وعلم اليهود **سلك منه** يعني من قتل ذلك
ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان في الله الذي المشبه على وجه ذلك الشخص بوجهه
فلما قتلوه نظروا الى جسده فراوه غير جسده عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره
فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليهم
رجل منهم ليخرجهم اليهم فالتى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذه وقتل ورفع الله عز وجل
عيسى الى السماء وفقدوا صلابهم فقالوا ان كذا قتلنا المسيح فان صاخبنا وان كذا قتلنا صاحبنا
فان عيسى في هذا موافق لهم فيه وقيل ان الذي اختلفوا فيه هو المتصاري فبعضهم يقول
ان القتل وقع على ناسوق عيسى وولاهونه وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم
يقول انهم قتلوا عيسى وبعضهم يقول انهم قتلوا عيسى وبعضهم يقول انهم قتلوا عيسى
به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوه على شكله منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو
عيسى ام غيره **الا اتباع الظن** يعني لكن يتبعوا الظن في قتله طنا منهم انه عيسى لا على علم حقيقة
وما قتلوه يقينا قال ابن عباس يعني لم يقتلوا عيسى يقينا فلهذا القول تكون الها في قتلوه
عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من شبه
في قتله فهو كقول الرب قتله علما وقتله يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشئ
يكون عن قهر واستيلاء وعلمة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم يقتل عيسى علما كاملا تاما
انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن له ذلك حقيقة وقيل ان الها في قتلوه عائدة على عيسى
والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعدة بغيره
وما قتلوه بل شبه الله اليه يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه
اليه وظهره من الذي كفر واخلصه من راده بسوء وقد تقدم كيف كان في سورة ال
عمران في كفاية وقوله تعالى **وكان الله عز وجل** يعني في اشداده على من يشا من عباده **حكما** يعني
في اجماع عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عز وجل يعني من الله فسلط عليهم
نيطون من اشبيس ابوس الروي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكما حكما باللعنة والعقوب
على اليهود حيث اذعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وان من اهل الكتاب** يعني وما من احد
من اهل الكتاب **الا يومئذ يبعث عيسى عليه السلام** والله عبد الله ورسوله ووجهه وكلمته هذا قول
ابن عباس في تفسيره وقال عكرمة في قوله **الا يومئذ يبعث عيسى عليه السلام** وهذا القول
لا وجد له لانه لم يجر النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول

الاكثر اولاً انه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى **بقوله** اختلاف المفسرون
في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من
احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الخسرة
حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في الياس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق
او تروى من شانه او سقط عليه جدار او اكله سبع او ما قد فحاة ففعل له ارايت ان خرم فوق
بيت قال يتكلم في الهوى ففعل له ارايت ان ضربت عنقه قال يلجج لسانه وقال شهر جوش
ان اليهودي اذا حضر الموت ضربت اللابكة وجهه وود بره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبياً
فكرت به فيقول امنا ثم بعد الله وسوله ويقول للنصارى اتاك عيسى نبياً فرمتم الله واني
الله فيقول امنا ثم بعد الله واهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وهب
جاعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السما في اخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء
اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصاري واحد يعبد غير الله الا امن بعيسى ثم بعد الله
وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله ان عيسى بيده ليسكن ان يزل اهلهم ابنهم حكما معسقا فيكسر الصليب فيقبل الخنزير ويضع
الخزيرة ويغسل المالح حتى لا يقبله احد في الدنيا وخي تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا
وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم وان اهل الكتاب لا يؤمنون به قبل موته الاية
وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم لي زلزل ابنهم حكما عاد لا فيكسر الصليب
وليقبل الخنزير وليضع الخزيرة وليترك القلاص فلا يصعب عليه ولثة هين الشح والتمتع
والتماسه وليدعوز الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل
على ان عيسى يزلزل في اخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا يزلزل نبيا
برسالته مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واما ما من ائمتهم لقوله
صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني بكسره حقيقة وسيطر ما نزع النصارى من تعظيمه
وكذا لا قلة الخنزير وقوله ويضع الخزيرة يعني لا يقبلها من يد لها من اليهود والنصارى ولا يقبل
من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذه اخلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي
اذا بدل الجزية وجب قبولها منه ولم يحز قسمة ولا اجباره على الاسلام والنجاة من هذا الحكم
ليس تتم الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بشئحه وليل الناس صوة عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه ما هو الميز للفسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اعلت ان

الامتاع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واسم اعلم
قال الزجاج هذا القول بعينه يعني قوله من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى ما يكون عند نزوله
في اخر الزمان قال لعمرو قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قالوا الذين يتقون
يومئذ يعني عند نزوله شذمة قليلة منهم واجاب صاحب هذا القول يعني الذين يقولون
ان ايمان اهل الكتاب بعيسى ما يكون عند نزوله في اخر الزمان لا يتكران هذا على العموم ولكن
المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويرون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى
الاية وما من احد من اهل الكتاب درك ذلك الوقت الا امن بعيسى عند نزوله من السما وصححه
الطبري هذا القول قال عكرمة في معنى الاية وان من اهل الكتاب لا يؤمن بعيسى عليه السلام
قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصاري حتى يؤمن بحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الخسرة
حين لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى **ويوم القيمة يكون عليهم شريعة** اي يعني يكون عيسى عليه السلام
شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه رباً واشركوا به
ويشهد على يهودا انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه رباً واشركوا به
قد بلغ رسالة ربه واقرب على نفسه بالعبودية بقوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا** وايضا فبب
ظلم منهم **حرما عليهم طبقات احلت لهم** يعني ما حرمتنا عليهم الطبقات التي كانت حلالا لهم
الابنظام عظيم ابر تكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقصهم الميثاق وما عده عليهم من
انواع الكفر والكباير العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم اننا ناس جبرة
وكعبادتهم العجل فبب هذه الامور حرمت عليهم طبقات كانت حلالا عليهم وهي
ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لاية قال الطبري في معنى
الاية حرمتنا على اليهود الذين نقصوا ميثاقهم الذي وانعزلوا بهم وكفوا بايات الله وقولوا اتيناكم
وقالوا البهتان على من هم وفعلوا ما وصفتهم الله به في كتابه طبقات من المالك وغيرها التي كانت لهم
حلالا لعقوبة لم ينظمها الذي اخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقبوا قوم بظلم
ظلموه وبغي يغوه حرمت عليهم اشياء يبيعهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن جوزي عن مقاتل
قال كان الله حرم على اهل التوراة ان يأكلوا الزوا والهام ان يأكلوا اموال الناس ظلموا فاكلوا
الزوا واكلوا اموال الناس ظلموا بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم
فحرم الله عليهم عقوبة لم ياذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لاية قال الواحدي
فاما وجه تحريم الطبقات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيئا
انتهى اليه فتركته ولقد انصت لواحدى فيما قال فان هذه الاية في غاية الاشكال وبشأنه ان الله
تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الاية ما تقدم ذكره
وكما هو ذنوب في المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم

ما حرم من الطيبات التي كانت حلالا لم عقوبة لم على ما يقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو
ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام في الحديث في تفسير هذه الآية
ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسير الاجل فقال العلم ان انواع الذنوب محصورة في نوعين
الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق قاله الاشارة بقوله **ويصد من عن سبيل الله**
كثيرا واخذ من الربا وقد نفوا عنه ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طيب المال فتارة يحصلونه
بطريق الرابح انهم قد نفوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشى وهو المأذون به **والعلم انهم اتوا**
الناس بالباطل فلهذا الاربعه على الذنوب لذي شد عليهم بسببها في الدنيا وفي الآخرة
اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المأذون
بقوله تعالى **واعنه الكافرين منهم عذابا أليما** قال المفسرون انما قال الله عز وجل لان الله اعلم ان
قومهم سيؤمنون فيؤمنون من العذاب قوله تعالى **لكن الذين لا يخشون في العلم منهم** يعني من اليهود
ومنا استثنى استثنى بسبب عز وجل من امن من اهل الكتاب من تقدم وصغرهم وصغرهم في
الايات التي تقدمت فيهم فيما تقدم حال كون كفار اليهود واليهود منهم وبني هذه الآية
حال من هداه له دينه منهم وارشده للعلم بما علم فقال **لكن الذين لا يخشون في العلم** ولكن هنا
بمعنى الاستدراك والاستثناء والراشخون في العلم الثابتون في العلم المباليغون فيه اولوا البقا
الساقية والعقول الصافية ومن علمه بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم
رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فاصلم ذلك الى الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم **والمؤمنون**
يعني بالله ورسوله **يومنون يا اترل اليك** يعني بالقران الذي اترل اليك **وقا اترل من قبلك** يعني
يومنون بكتاب الله الذي اترلها اسع على انبيائه من قبلك يا محمد وفي الماد بالمؤمنين هاهنا
قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الذين لا يخشون في العلم منهم ومن المؤمنين والقول
الثاني انهم هم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون الله الكلام متانف
يومنون يا اترل اليك يعني انهم يصيدون بالقران الذي اترل اليك يا محمد وما اترل من قبلك
والمغني الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكى عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط
من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف بحاستغنه
العرب بالمشاهدة فقبل له لا تغيره فقال لا معنى فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ولا ذهب
عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره
واجبت عما روى عن عثمان وعائشة وابان بن عثمان بان هذا بسبب جدا لان الذين جمعوا
القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله تحايل
غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن ابي رباري ما روى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل
ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسد المصاحف غير ولان القران منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكيف يمكن بثبوت الحق فيه وقال الراشدي في الكشاف لا يلتفت الى ما روي عن قوم
كنا في خط المصحف وهذا التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب يسويه ولم يعرف ما كتب
العرب وما لم في النصيب على الاختصاص والمذبح من لا فتان وهو باب واسع قد ذكره يسويه
على صله وشواهد ورعا جني عليه ان السابقت الا ولين كما في البعد منه في الفيرة على الاسلام
وذلك لما عر عنه من ان يتركوا في كتاب الله وجل لمة ليسد هامن بعدهم وخرقاير فوه من
يلحقهم ثم اختلف العلماء في المعية الصلاة انهم الراشخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما
انهم هم وانما نصب على المذبح والمعنى ذكر المعية الصلاة ومن المؤمنين الزكاة قالوا والعرب
تعمل ذلك في صفة النبي الواحد ونسبه اذا تقاطعت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله
واوسطه احيانا فربما جوا باخرا الى العراب وله ورعا جوا العراب فربما خالفوا بين اعراب اوله
اجر وذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية لا يبعدن قومي الذين هم
سم الفداء واف المحرور النازل من كل معتزل والطيبون مقاعد الارز وهذا على معنى اذكر
النازلين ومنهم الطيبون ومنهم المعنى تقول ارجا في قومك المطمئنين ومنهم المعشور والقول الثاني
ان القيمة الصلاة غير الراشخون في العلم وموضع والمقيم الصلاة خفف بالعطف على قوله
تعالى يا اترل اليك وما اترل من قبلك وبالمعنى الصلاة وانما الانبياء لانهم لم يخلعوا احد
منهم من قامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وفي صحيح البخاري
القول الاول واختاره صحيح الطبري والقول الثاني واختاره وقوله تعالى **والمؤمنون الزكاة** عطفت
على والمؤمنون لانه من صفتهم **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** يعني والصدقة يومئذ الله بالبعث
بعد الموت وبالثواب والعقاب **اولئك** يعني من هذه الاوصاف صفتهم **سنوتهم اجر عظيم** يعني
سنعتهم على ما كان من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل **انا**
اوجينا اليك اوجينا الى نوح واليسع من بعده قال ابن عباس قال سكن وعدي بن زيد يا محمد
ما علم ان الله اترل على بشر مني بعد موسى فاترل هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن
سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترل عليهم كتابا من السما جلة واحدة فلجابه عن رجل عن
سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوجينا اليك يا محمد كما اوجينا الى نوح واليسع من بعده والمعنى
انكم يا معشر اليهود ترون نبوة نوح وجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثني عشر نبيا
والمعنى ان استغنى اوجي الى هؤلاء الانبياء وانتم يا معشر اليهود معتزون بذيالك وما اترل الله على
احد من هؤلاء المذكورين كتابا جلة واحدة مثل ما اترل على موسى فلما لم يكن عدم اترل الكتاب
جلة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قاده في نبوته فذلك لم يكن اترل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
قاده في نبوته بل اترل عليه كما اترل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام
لانه اول نبي بعث بشريعة واول تدبر على الشرك واول اسعز وجل عليه عشر صحايف وكان اول

من عذبت امة لردم دعوتهم واهلك الله اهل الارض بدعايه وكان بالبشر كاد عليه السلام
وكان الهول الانبياء عاشر الف سنة لم تنقص قوتهم ولم ييب ولم ينقص له من صبره على اذى
قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملته بقوله تعالى الانبياء من بعده ثم خص جماعة
من الانبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال **واوحينا الي ابراهيم واسماعيل ويعقوب**
والاسباط ام اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر **وعيسى وابوب ويوشع وهارون وسليمان واثينا**
داود ويزور يعني واثينا داود وكتابا من بوز يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم الكتاب الذي
اترا على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بكونها تنبيح وتنبه
وتجيد وشاع على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية وتيرا الزبور
وتقوم علماني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقولون خلق الله الناس والسايطان
خلف الجن ونحو الكواب التي في الجبال فيقضي بيديهم وترفعها للطير على رؤس الناس فيستمعون
لقرأة داود ويستمعون منها فلما قارف الذنب الزمعة ذلك فويل له كان ذلك ان الطاعة وهذا
ذل المعصية **وقال موسى** لا شعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يورثني المارحة
وانا استمعت لقرآنك لقد علمت من راي من من امير الاديان داود قال الحمد لله الذي افاض في قلبي من نور
الله لو علمت انك استمعت لقرآنك بحسن تالك بحسن التفسير بحسن الصوت بالقرأة قال بعض العلماء وانما
لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الآية لان اسما انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من
ذكر من الانبياء في الآية انهم يترا على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام
قوله تعالى **وسلا قد قصصناهم عليك من قبل** لما تزلت هذه الآية قالوا يا موسى لم يذكر
فاتر الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى ووحينا الي رسول قد قصصناهم عليك
من قبل يعني سمياهم في القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وكان عليهم قومه **ورسلا**
لم نقصصهم عليك اي لم نضمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين يؤمنون بالله بذكرهم
من الانبياء على تفصيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى **وكلم الله موسى تكليما** يعني مخاطبة
مخاطبة من غير واسطة لان تكليمه كان بالصدر ريد على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع
كلام الله بلا شك لان افعال الجاز لا توكل بالمصادف فلا يقال له لا يطيق سقراط ارادة وهذا
رد على من يقول ان الله تعالى خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقالوا ان الله تعالى
كلما يوصل الى الانسان كلاما بآي طريق وصل لكن لا يحققه بالصدر فاذا حقق بالصدر لم يكن
الاحقيقة الكلام قد اقول تعالى **تكليما** على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة
روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمة
باللسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا اقوم حتى كلمة
بلسانه اخر الالفة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تكن شيئا

قال

قال موسى يرب هل في خلقك شيء ليس به كلامك قال لا واقرب خلقي شيئا بكلامي اشد ما يبع
الناس من الصلوة قال بعض العلماء كان الله تعالى اخبر موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك
قادحا في نبوة غيره من الانبياء فذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل
عليه كتابه متفرقا من الانبياء فوله عز وجل **سلا مبشرين ومنذرين** يعني انا ووحينا اليك كما ووحينا
الى نوح واليسير من بعده ومن اوليك النبيين سلا الى خلق مبشرين من اطاعني واتبع امرى وصدق
رسلي بالثواب المرفوع في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امرى وكذب رسلي باللعاب لا ليم
في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود وانزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من
بعثة الرسل وارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايان به والاستغفار لعباده وانذار
من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نحو ما تنفرقة بل
انزاله متفرقا اولى وذلك ان المتقوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من
العبادات ولم تالها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكليفات ما حصل في بعض نفوس
العباد تنور من تارة التكليف وتشف عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى **واذ تنقوا الجبل**
فوقهم كانه طلة وظنوا انه واقع بهم خروا واخا اثينا كرموق واذا ذكر وانما فيه فلم يقبلوا احكام
التوراة الابعدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نحو ما تنفرقة اولى وقوله تعالى **لا يكون**
لناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لا ياتيح الناس على الله
في ترك التوحيد والطاعة بعد ارسال الرسل فيقولوا ما ارسلت اليك رسولا وانزلت علينا كتابا
ففيه دليل على انه لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى **وما كنا معذرين حتى نبعث**
رسولا وفيه دليل على ان الله تعالى لا يبعث الرسل الا بعد ان يبعث الله تعالى الانبياء لان قوله لا يكون
لناس على الله حجة بعد الرسل يعني ان الرسل يكون لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات
فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي
النظر فيها موصل الى معرفة وحدانيته كما قيل وفي كل شيء لاية تدل على انه واحد قلت
الرسول مبهور من قاء العقل والحقالة وباعثون الخلق على النظر في تلك الاليل التي تدل على
وحدايته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وساطة بين الله وخلقهم ومبينون احكام
الله التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم وعن المغيرة بن شعبه قال قال سعد بن
عبادة لو رايت رجلا مع امر في ارضه بالسيف غير مصحح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالا لا يجوز من غير سعد والله لا ما اغير منه والله اغير مني ومن اجل غير الله حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احدا حيا لله لعذره من الله من اجل ذلك بعث الله رسله المبشرين ولا
احدا حيا لله لمدحه من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا تخشع

اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المسلمين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى **وكان الله عزيزا**
يعني في انتقامه من خالف امره وصلى رسوله **حكما** يعني في امره بالعدل والعدل تعالى **لكن الله يشهد**
بما انزل اليك قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني
واسه اعلم انكم لتعلمن في رسول الله فقالوا ما تعلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن
ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اننا سألنا عنك اليهود
وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل **لكن الله يشهد بما انزل اليك**
يعني ان محمد ك هولا اليهود يا محمد وكروا يا اوجينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقد
كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووجه المعنى ان اليهود
وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بان الله انزل عليك وشهادة الله ما عرفت
بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرين
عن معارضته والاثبات بمثل ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة يكون للدعي صاذا فالجور
قال الله تعالى **لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة** بواسطة هذا القرآن الذي انزل عليه **انزل بعلمه**
يعني انه تعالى لما قال **لكن الله يشهد بما انزل اليك** بين صفة ذلك الا انزال وهو انه تعالى انزل بعلم
تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزل وهو عالم بانك اهل لانزال عليك انك صليته لاجل عباده
وقيل معناه ما انزل ما علم من مصالح عباده في انزال عليك **والملائكة يشهدون** يعني يشهدون بان
الله انزل عليك ويشهدون بنصرتك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء
شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بما انزل بعلمه فكذلك الملائكة يشهدون بذلك
وكفى بالله شهيدي يعني وحيدك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدي وان لم يشهد معه احد غيره
ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب بله فان الله يشهد له وملائكة كذلك قوله
عز وجل **ان الذين كفروا** يعني محمد وابنه محمد صلى الله عليه وسلم ومن اليهود **ومعدوا عن سبيل الله**
يعني منعوا غيرهم عن الايمان بدينهم صنفين صنفهم وقالوا الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد
صلى الله عليه وسلم سولا لاتي بكتاب من السماء جلة واحدة كما في موسى بالثور **قد ضلوا ضلالا بعيدا**
يعني عن طريق الهدى **ان الذين كفروا وظلموا** يعني كفروا بالله وظلموا محمد صلى الله عليه وسلم بكفائهم عن الله
وظلموا غيرهم بالقائل الشبهات في قلوبهم لم يكن الله ليختمهم يعني لم يعلم منهم انهم يفتنون على الكفر
وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفتحهم في الدنيا وليقايهم عليها بالقتل
والسبي والجلاد في الآخرة بانك اوهو قوله **ولا يلهيهم** طريقا يعني يخون فيها من النار وقيل ولا
لهيهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون **الاطرقت جهنم** يعني لكه تعالى بيوم
الاطرقت يودي الى جهنم ويواليهم ودينه لما سبق في علمه انهم اهل لذلك **خالدين فيها** يعني في جهنم
ابد وكان ذلك على الله ليسيرامعناه هي قوله تعالى **يا ايها الناس هذا خطا بعام** يدخل فيه جميع

الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب للمسلمين العرب **قد جاءكم**
الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم **بالحق** يعني بدين الاسلام الذي لم تضاه الله لعباده وقيل جاء
بالحق الذي هو الحق من ربكم **فامنوا خيرا لكم** يعني فامنوا بالجاهل به محمد صلى الله عليه وسلم
يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم **فان الله تعالى في السموات والارض**
يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك
لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء **وان الله يعلم ما يكون منكم** لا يخفى عليه شيء من
اعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله **حكما** يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل
يا اهل الكتاب تزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود
فيما تقدم من الايات اتبع ذلك باطلا ما يعتقده النصارى واصنافا للنصارى اربعة
اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمقرسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا اني
عيسى ابن الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المقرسية نال ثلاثة وقيل انهم
يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحاله
فيه فتعده يره عندهم لاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتيه والوهيية
فناسوتيه من قبل الام والوهيية من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان
الذي اظهر هذا النصارى جمل من اليهود يتاله بولص تنصرون في هذا في دين النصارى ليصلهم
بذلك وشتا في قصته في سورة التوبة ان شأ الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل
الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم علوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في
التقصير في امره حتى خطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغيره شدة وغلت النصارى
في رفع عيسى عن منزلته ومقدار حيث جعلوه الها فقال الله تعالى من اعليهم جميعا يا اهل
الكتاب **لا تقولوا في دينكم** واصل القول مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في
امر عيسى ولا تخطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق ذلك ومنزلته **ولا تقولوا على الله**
يعني لا تقولوا ان له شريكا ولدا وقيل معناه لا تصنفوا بالجلود والاتحاد في دين الانسان وتزهوا
الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله تعالى من القول في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام
فقال تعالى **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب
غير هذا وانه رسول الله في زعم غيرهم اقد كفوا شركا **وكنتم** هي قوله تعالى كن فكان بشرى غير
اب ولا واسطة **انتم** يعني ارضها الى مريم **روح منه** يعني انه كساها ارواح التي خلقها
الله وانما اضافته الى نفسه على سبيل التثنية والتكريم كما يقال بيتا لله وناقه الله وهذه صفة

من الله يعني انه هو تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفع خيريل عليه السلام في جيب دمع مريم فحك
بأذن الله واما انما في نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق الارواح
البشر جعلها في صلابة من عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه
ارسل بروحه مع خيريل المزمع فتخرج في جيبه روعا فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح
والروح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفع خيريل عليه السلام وقوله منه يعني ان
ذلك النفع كان بامر الله واذنه وقيل ادخل النكوة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح
واي روح من الارواح الشريفة القدسية التالية المطهرة وقوله منه انما في نفسه بللفت الروح الى
نفسه لاجل الشرف والتكريم **ق** عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخل الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى
فامنوا بالله ورسوله يعني فاضد قوايا اهل الكتاب بوحداية الله وانه لا اول له ولا اول له وهذه قوارسله
فيلجأوا كرمه ولا يتجملوه الهاء وهو قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الاله ثلاثة
وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهرة ثلاثة اقانيم
وذلك انهم ائبنوا انا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات للولول في عيسى
وفي مريم فائبنوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذه اهو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى **ولا تقولوا ثلاثة**
انتم اخبركم يعني يكن الانتها عن هذا القول خير لكم من القول بالتثليث ثم تراه الله تعالى نفسه
عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى **انا الله اله واحد** ثم تراه نفسه عن الولد فقال سبحانه **ان**
يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزم من الاب ويتعالى الله عن التجزية وعن صفات
الحدوث له **ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيها عبيده
وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيها فاما عبيده وملكه واذ كانا عبيده بزله فكيف يقبل مع هذا
ان يكون له ولد اوزوجة تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا وهذا بيان لما تراه عاتسب اليه من
الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزاء منه
لان التجزية انما تصح في الاجسام والله تعالى متزه عن صفات الاجسام والاعراض **وكفى بالله**
وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل المخلوق محتاجون اليه
وقرأ اليه وهو غني عنهم قوله تعالى **لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله** وذلك ان ربه عجز ان
قالوا يا محمد انك تغيب صاحبنا فتقول انتم عبيد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعباد
على عيسى ان يكون عبدا لله فترك لن يستنكف المسيح يعني لن ياتف ولم يتعظم ولا استكفا للاستكبار
مع الانفة يقال انكفت من كذا واستنكفت منه اي اقبلت منه واصلت من كفت الشيء تخيته وتكفت
الدمع اذا تخيته باصبعك من خذك والمعنى لن يقيض ولم يتسع ولن ياتف المسيح ان يكون عبدا لله

ولا الملايكة المقربون يعني ولن يستنكف الملايكة المقربون وهم حملة العرش والكرسيون وانما قلنا
الملايكة مثل خيريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة
خلقته وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رآوا منه خوارق العادات من اجا
الموتى وابرا الاكله والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت
لنصارى بان عيسى مع شرف قدس وكرامة لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملايكة المقربون
فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول
بتفضيل الملايكة على البشر وجهه انه ليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملايكة ولا يرتقى الا من
الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر
بل قاله ردا على من يقول ان الملايكة بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح
ابن الله وقاله ايضا رد على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملايكة يعني كما ان المسيح عبدا لله
فكذلك الملايكة عبيد الله وقوله تعالى **ومن يستنكف عن عبادة الله ويستكبر** يعني ومن يتعظم عن عبادة
الله ويانف من الله للاله والمضوع بالطاعة من جميع خلقه **فيسخرهم الله جميعا** يعني فيسخرهم
يوم القيمة لوجههم الذي فعلوا حيث لا يمكن ان ينفعهم شيئا **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات**
فيؤفيهم اجرهم يعني يؤفيهم جزا اعمالهم الصالحة **وزيدهم من فضلهم** يعني وزيدهم على اعطائهم
من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا غير ذوات ولا ادنى سمعت ولا خطرت
على قلب بشر **واما الذين استنكفوا واستكبروا** يعني الذين اتقوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى
فيؤفيهم عذابا اليما ولا يجدون له من دونه يعني من سوى الله لا ينفعهم وليا يعني ينجيهم من
من عذابه **ولا نصير** يعني ولا ناصرا لنصيرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بتي في الآية سؤال وهو ان
التفضيل غير مطابق للمفضل لان التفضيل اشتل على ذكره في قوله فاما الذين
امنوا فيؤفيهم اجرهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفضل اشتل على ذكره في قوله
وهو قوله ومن يستنكف عن عبادة الله ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك
جمع الامام للخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وجملة من خرج عليه فكله وصحة ذلك بجهين
احدهما انما حذف ذكر احدى الفريقين لانه التفضيل عليه لان ذكر احدهما يد على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم ما ينفعهم فكان دالا في جملة التكيل بهم فكانه
قال ومن يستنكف عن عبادة الله ويستكبر فيسخرهم الله بالحق والنعمة اذا والاجر والمطيعين
العاملين لله تعالى قوله عز وجل **يا ايها الناس خطا بكم في كافة** **فاجابكم به هاهنا** يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم وما جابه من البينات من ربه عز وجل وانما ساه به هاهنا لما معه من المعجزات
البارزة التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على قامة الحق وابطال الباطل والبنى صلي
الله عليه وسلم كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عن جميع الخلق **وانزلنا**

واترنا اليكم نوراً اميماً يعني القرآن وانما سماه نوراً لان به تبيين الاحكام كما تبين الاشياء بالنور
بعد الظلام ولا نه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نور الهدى المعنى **فاما الذين امنوا**
بالله يعني صدقوا بوحداية الله وبما ارسل من رسول واترنا من كتاب **واعتصموا به** يعني بالله
فان تبينهم على الايمان ويصومهم عن جميع الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وثقوا بالقرآن
وهو القرآن الذي اترله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **فيسد ظلمهم في رحمة** يعني يسد ظلمهم في
رحمة التي يحيمهم بها من ايم عذبه قال ابن عباس في الرحمة الجنة **وفضل** يعني ما يفضل به عليهم
بعد ادخالهم الجنة ما لا غير ذلك ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **وبه يوم اليه صراطا**
مستقيماً يعني ويوفقهم لاصابة فضل الله الذي يفضل به عليهم ويسد دهم لسوء ما منحهم من انعم
عليه من اهل طاعته وبر شيعته الذين لا يقناه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى
يستغفونك قل الله يفتيككم في الكلالة تزلنا في جابر بن عبد الله الانصاري في عن جابر بن عبد الله
قال سمعت فاتا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر يعمدان في ما شين فاعني على فتوحنا النبي
صلى الله عليه وسلم ثم صلب على من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
كيف صنع فينا كيف اقضي فينا فلم يرد علي شي حتى تزلنا اية الميراث يستغفونك قل الله
يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلاله فترلت اية الميراث قال سمعته
فقلت الحمد لله المستغفونك قل الله يفتيككم في الكلالة قال هكذا التزلنا وفي رواية التزنا
وكان في سبع اخوات حتى تزلنا اية الميراث يستغفونك قل الله يفتيككم في الكلالة ولا يرد
قال استكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفتح في وجهي
فافقت فقلت يا رسول الله الاوصي لاهل البيت قال الحسن قلت بالشرط قال الحسن ثم خرج
وتركتي فقال يا جابر لا اراك ميتاً من وجهك هذا وان الله قد اترل قبيلتي لاهل بيتك فجعل لهم
الثلاثين قال فكان جابر يقول تزلنا هذه في يستغفونك قل الله يفتيككم في الكلالة وروى الطبري
عن قتادة ان الصحابة اهتموا شأن الكلالة فقالوا بنى الله صلى الله عليه وسلم فاتر الله هذه الآية
وروى عن ابن سيرين قالت تزلنا يستغفونك قل الله يفتيككم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم
في مسير له والى جنبه حذيفة ثم نزل اليما في بلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها
حذيفة عن ابن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة عنها ورجاه ان
يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان تفنت ان ما رثك تحملي ان
احدك فيها ما لم احدك يومئذ فقال عمر لم ارم هذا رجلاً لله واما التفسير فتقوله تعالى
يستغفونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيككم في الكلالة يعني
ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من الكلالة وقد تقدم في اول السور الكلام على معنى الكلالة
من حيث الاستسقاء وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على الوارث

من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد
الاولاد وقوله تعالى **انما واهلك** يعني مات سمي الموت هلاكاً لانه اعدام في الحقيقة **ليس ولد**
يعني ولا والد فالمتي يذكر احد من الاخر ويذكر على المحذوف في السؤال عن الغيب انما كان في
الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد **وله اخت** يعني ولدت له الجاهل بالاخت وازاد
بالاخت من ابيه وامه او من ابيه **فلا نصف ما ترك** يعني فلا اخت الميت نصف تركته وهو
فرصتها اذا انفردت وبقي المال للميت لما اذا لم يكن للميت عصبه وهذا مذهب نزيه
ابن ثابت وبه قال الشافعي وعنه حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليه فان كان
للميت بنت اخذت النصف بالفرز وتأخذ الاخت النصف الباقي بالمعصية لا بالفرز
لان الاخوات مع البنات عصبه وقوله تعالى **وهو يرثها ان لم يكن لها ولد** يعني ان الاخت اذا
ماتت وتركها من الاب والامر او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم
يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبيات واستغفروا جميع المال اما الاخ من الام
فانه صاحب فرز لا يستغرق في جميع المال وقد تقدم بيان **فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان**
ما تركا اراد اثنتين فصاعداً وموان مات وترك اخوات فلهن الثلثان ما ترك الميت
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كان الميت وكون من الاخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل نصيب الانثيين من اخواته **الاناث يبين الله لكم ان تضلوا** يعني يبين
الله لكم هذه الغرائب والاحكام ليلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله لاهل بيته
ليجتنبوها **والله بكل شيء عليم** يعني من مضاعف عبادته التي حكم بها من قسمه الموارث وبيان
الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء في عن البر ابن عازب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ترك تامة سورة التوبة وان اخراية تزلنا اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخراية تزلنا يستغفونك
وروى عن ابن عباس ان اخراية تزلنا اية الربا واخر سورة تزلنا اذا جاز الله والفتح وروى عنه
ان اخراية تزلنا اتقوا يومئذ ترجعون فيه الى الله ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد
تزلنا سورة النصر بسنة وتزل بعد سورة براءة وفي اخر سورة تزلنا كاملة فعاش بعدها
سنة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الحججة التي امره الله عليها قبل حجة الوداع في رهاط يودع
في النار يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم امره النبي صلى
الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامر ان يؤخذ زبارة قال ابو هريرة فاذا في اهل مني براءة
الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل
حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم تزلنا في طريق حجة الوداع يستغفونك قل الله يفتيككم في
الكلالة فسميت اية الصيف ثم تزلنا وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فاعاش بعدها

احدى ثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله عاشر النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما احدى وعشرين يوما اخر لنفسه سورة النساء واسم علم براه واسم
كنايه بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة المائدة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بمرقة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف يعرفه
فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن تروا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم يخص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور
القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها وان يحرم
حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك
الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان يجوز
الظلم في شئ من جميع شهور السنة وانما افرد الاربعة الاشهر للحرم بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل
انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم يزل في غيرها من سور
القرآن قال البيهقي روى مسلمة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم يزل في غيرها من سور
غيرها من قوله والمنطقة والموقوفة والمتروكة والتطيحة وما اكل السم الا ما ذكيت وما
ذبح على النصب وانما قسموا بالارام وما علمتم من الجوارح مكلية وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم والمحرمات من الذين اوتوا الكتاب وتام بيان الطاهر في قوله اذا قمتم الى الصلاه
والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من جيرة ولا سبيته ولا وسيلة
ولا حرام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر المحكم الموت بسم الله الرحمن الرحيم قوله غير
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يعني اليهود قال جماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي
لله تعالى فيها فقال ابن جرير هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب
المنقولة او فوا بالعقود التي عهدتكم فيها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايان به وقيل هو
خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعهود التي كانت في الجاهلية كان يبايع بعضهم بعضا على التمسك
والمواظبة على من حاربوا بغيره او بغناه بتسوية ذلك هو معنى الخلف الذي كانوا يبايعونه بينهم
قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحذروا عقدا
في الاسلام وقيل بل العقود المذكورة هي التي يتعاقد بها الناس فيما بينهم ويتبادفونها وما
يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد
البيع وعقد الشركة نراد بعضهم وعقد الخلف قال الطبري في الاقوال عندنا بالصواب
ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعهود الله التي اوجبا عليكم وعقدها فيما احل
وحرم عليكم والزمكم فوضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول الصواب لان الله تعالى

270
اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى **احلت لكم بهيمة الانعام** وهذه لفظا للموت
خاصة بالبهيمة اسم اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التفاريف باعد السباع والفضولي
من الوجوه وانما سميت بهيمة لانها البهت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو
بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الخافر في قول جميع اهل
اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم
والمرغ على هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة
الانعام وحشها كالظبا وبقر الحش وحمار الحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام
ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردوا فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم
من البهائم فلما قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس في الاجتهاد التي توجد ميتة
في بطون امهاتها اذ بحثت ونحت ذهابا كثر العلماء الى تحليله وهو من هبل الساقع ويدل عليه
ما روى عن ابن سبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الخنزير كاته ذكاة اما خبز الزمزي
واينما جده وفي رواية اخرى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكاة ذكاة البقرة والشاة ونحو
في بطنها الخنزير لتقية امرنا كله قال كلوه ان شئتم فان ذكاة ذكاة امه وروى الطبري عن
ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال اعطيت العوفي قلت ان خرج ميتا
اكله قال نعم هو ميتة له دينها وكبها وعن ابن عباس قال الخنزير من بهيمة الانعام وعنه ان
بقرة خرجت فوجه في بطنها خنزير فاخذ ابن عباس يذبح الخنزير وقال هذا من بهيمة الانعام
وشرط بعضهم الاسعار وتام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاة اذا لم تخلقه ونبت
شعره ومثله عن سبيد عن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الخنزير اذا خرج ميتا بعد
ذكاة الام وقوله تعالى **الا يتلى عليكم** يعني في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة الى اخر الآية فهذا من المتلوه علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام غير
على الصيد وانتم حرم يعني احللت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظبا والبقر والمغير محل
صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للحرم ان يقتل صيده في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد**
يعني ان الله يفتي في خلقه ما يشاء من تحليلها اذ تحليله وتحريمها اذ تحريمه وفرض ما يشاء ان
يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه ما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا مما**
اخذ الله في الخطم واسم شرح بن هدير مبيعة البكرية المذبة وحده وخلق خيله خارج المذبة
ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعون الناس فقال الى شهادة
ان لا اله الا الله واثبات الزكاة فقال حسن الا الى امر الا اقطع امرادونهم ولعلي
اسلم واتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل ان يدخل عليكم رجل
من سبيته يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شرح قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تعد دخل بوجه كافر وخرج

بقفا غادر وما الرجل بمسلم فربما شرح من شرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول
قد لنها الليل سوا وخطم ليس راعي ابل ولا غنم ولا يجزا على ظهرهم باتوا نياما وان بعد
لم يسم بات يقاسمها غلام كالذلم صدى الساقين مسوح الغدة فقيعوه فلم يدركوا فلما كان العام
القبال خرج شرح حاجا في حجاج بكرى وايل من اليمامة ومع تجارة عظيمة وقد قد الهدى فقال
السامون يارسول الله هذا الخطم قد خرج حاجا فحل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد قد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا كنا نفعله في الجاهلية فاني النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تملوا شعائر الله قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان المشركون يحجون
ويبدون فاما المشركون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر بالله ايا المشعة
واشعارها ان تظعن في صفحة سنام البعير جديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بالهدى
هدى وهو سنة في الابل والبقر والغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت قلت لابي
بن النبي صلى الله عليه وسلم ثمر اشعرها وقلدها ثمر بعث لها الى البيت فامر الله شي كان له
حلا لا اخرجاه في العجوة عن ابن عباس رضي الله عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم
ثمر دعا باقية فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلمت له مرغها وقلدها ثمر فركب
راحلة فلما استوت به على البعير اهل بالحج وعنه اى حنيعة لا يجوز اشعار الهدى بل قال
يكبر ذلك وقال ابن عباس في معنى الآية لا تملوا شعائر الله هي ان يقيموا ثمرهم وقيل شعائر
الله شرايع الله ومعاليم دينه والمعنى لا تملوا شيئا من فرائضه التي اقرنت عليكم واجتباب
نواهيها التي نهي عنها **والا شهر الحرام** اي لا تملوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي
كانت العرب تظلمه وتحرم القتال في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده
والمراد بالشهر الحرام هنا والقعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر
الحرام للنسب قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول في قد احللت كذا وحرمت
كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي في تفسير النسخ في سورة براءة **ولا الهدى ولا القلا**
الهدى ما يهدي الى بيت الله من غير اريقة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلايد
جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلايد قال الشاعر
حلقت برب مكة والمصلى ولعنق هدي من قلادات فعلى هذا القول انما عطف القلايد على الله
مبالغة في التوسية لها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى وخموصا
القلادات منها وقيل المراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج
من الحرم قله وانقسموا وابلهم من الحاشية الحرام وكانوا يأمرون به ذلك فلا يتعز لهم احد فنهى الله
المؤمنين عن ذلك الفعل فنهى الله عن استغلال الحرم من سائر الحرم **ولا امير البيت الحرام** يعني
ولا تستحلوا القامدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها **لا يتفقون** يعني يطهرون

فضلا

فضلا من نهم يعني الرزق والارباح في التجارة **ورضوا** يعني وبطلون برضى الله عنهم برغمهم لان
الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه
وقيل ان المشركين كانوا يبقضون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا يبالون فلا يبعد ان يحصل
لهم بسبب ذلك العقبه نوع من الخير وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلبسون في
حجهم ما يصلح لهم دينيا ومعاشرهم فيها وقيل ابتغاء الفضل به للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء
الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا فصار اختلاف علماء النسخ والمنسوخ
في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى هاهنا لان قوله لا تملوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام في الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث
وجدتمهم وقوله تعالى ولا امير البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك
منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدى
والقلايد كافر وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقادة واكثر المفسرين قال السعدي
من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا امير البيت الحرام تحتها اية براءة
اقتلوا المشركين حيث وجدتمهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال
ابن عباس ما كانا المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمتنعوا احدا ان
يحج البيت او يتعزوا له من مؤمن او كافر فنهى الله بعد هذا انما المشركون يحجون فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك سوى القلايد التي كانت الجاهلية
يتخذونها من الحاشية الحرام قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة
وان هذه الآية محكمة قال ما نذهبنا الى ان تحيف من يقصد بيته من اهل شريقتنا في الشهر
الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذلة كقضايا وتفضيلا وحرمة علينا احدا الهدى
من المبهين ومرفعة عن بلوغ محله وحرمة علينا القلايد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا
غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد امل
قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه
جميع لحاشية الحرم يكن ذلك امانا له من القتل اذ لم يكن قد قد مر له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا
على منع من يقصد البيت الحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى **واذا احللتكم** يعني من احرامكم **فاصطادوا** هذا امر
اباحه لان الله حرّم الصيد على الحرم حاله احرامه بقوله غير محلي الصيد وانتم حرّموا باحله
اذ احل من احرامه بقوله واذا احللتكم فاصطادوا وانما قلنا انه امر باحله لانه ليس واجب على الحرم
اذ احل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانكسروا في الارض معناه انه
قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يحرمكم** قال ابن عباس لا يحل لكم وقيل معناه لا يكسبكم

ولا يدعوكم شتان قوم يعني بقوم وعداؤهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن المسجد الحرام والمعني
لا يجعلنكم عداوة قوم على الاعتدال ان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة
قصة الجديبية فكان الصدق قد تقدم ان نقتله وايضا بالقتل واخذ المال ونقا ونوا على البر والتقوى
يعني ليعني بعضكم بعضا على ما يكسب لبر والتقوى قال ابن عباس متابعة السنة ولا تقا ونوا على
الاثم والعدوان يعني ولا يبين بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل
الاثم المعاصي والعدوان البدع عن الناس من سعيان قال سالت رسولا الله صلى الله عليه وسلم عن البر
والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله
اي واحذروا الله ان تقعدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب
يعني من خالف امر فيه وعيده وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم
وحكم الخنزير لما ينزل الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بيمة الانعام بقوله احلت لكم
بيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما تبلى عليكم فذكر ذلك المتعنى منه
بقوله حرمت عليكم الميتة فكان ما فارقته الروح ما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب
تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان جفت فيه احتبس ذلك الدم وبقي في
العرق ففسده ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية
تجمل الدم في المصارين وتسويه وتاكله فحرم الله ذلك كله وحكم الخنزير واما اذ به جميع اجرائه
واعصاياه واما خص اللحم بالذكاة لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة
احكام هذه الثلاثة استيا واما استثناء الشارب من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكلب
والطحال وذكرنا الدليل على باحة ذلك واختلف العلماء في ذلك وقوله تعالى وما اهل الفيل
به يعني ما ذكر على نحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اهل
عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمتخلفة
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخفون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك
والمتخلفة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسجد دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب
احد والمتخلفة تموت بسبب الحق والموقوفة يعني المقتولة بالخنث وكانت العرب في
الجاهلية يضررون الشاة بالعصى حتى تموت ويأكلوها فحرم الله ذلك والمتروكة يعني التي تتردى
من مكان عال فتتوت او في بئر فتتوت والتردى هو السقوط من سطح او من جبل ونحو هذه المتردية
تلقح الميتة فيجهر اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه ميتة او تروى ذلك السبيد من جبل
او من مكان عال فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى او بالسهم والبطيخة يعني التي
تنظمها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك في عهد الله تعالى لانها في حكم الميتة
فاما الهاتفي هذه الكلمات التي تقدمت اعني المتخفة والموقوفة والمتردية والبطيخة فانما دخلت لانها

صفات لموصوف مونت وبني الشاة كما قال حرمت عليكم المتخفة والموقوفة والمتردية
وخصت الشاة لانها من اكلها الناس والكلام انما يخرج على الاعمال الغلب ثم يلحق
بغيره فان قلت لم اثبت لها في النيطحة مع الهاتفي الاصل متطوعة فقد لولها الى
النيطحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاتفي محذوفة تقول كف خضيب وعين كيل يعني كف
مخضوبة وعين كحول قلت انما تحذف الهاتفي الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف
تقدمها فاذ لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وصفتها بوضع الموصوف تقول كفت قبيلة بني
فلان بالها لانك لم ته دخل الهاتفي تعرف ارجل هوام امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاتفي النيطحة
لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد ناتي فعيلة بالها وهي في
تاويل لمفعول لها يخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النطق نحو النيطحة والذبيحة
والنسيمة واكلة السبع ومريت بقبيلة بني فلان وقوله تعالى وما اكل السبع قال قتادة كان
اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله او اكل منه كلوا ما بلغ منه خمره الله تعالى والسبع
اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيقتل بنابه كالاسد والذئب
والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع قد تقدم
فلا حكم له انما الحكم للباقي منه الاما ذكيت يعني الاما ذكيتوه وقد بقيت فيه حياة مستقرة
من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية
من قوله تعالى والمتخفة الى وما اكل السبع وهذا قول علي بن ابي طالب ولا يرضى عن ابن عباس وقادة
وقال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادرىكم من هذا اكله وفيه روح فاذا جرح فهو حلال وقال الكلبي
هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية اذنا الهاتفي اكلها اكل اهل العلم
من المفسرين ان ذكيت فكانت بان يوجد له عني يطرف او ذئب يتحرك فاكله جاز قال ابن عباس اذا
طفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذا جرح فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع
اذا جرح فاخرج الحشوة اقطع الجوف قطعاً يوشى معه الحياة فلا ذكاة له ذلك وان كان به حركة
ورق لانه قد صار الى حالة لا يوشى في حياته الذبح وهو مذهب مالك والشافعية والزجاج وابن ابي نبار
لان معنى الذكاة ان يلجمها وفيها بقية تشبه معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبذج
لوجود الحياة فيه قبل ذلك فهو كالحيث واصل الذكاة في اللغة تارة الشئ فالتارة من الذكاة
تمام قطع الاوداج وانما روى عن ابي خنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اكلتموه وذكرا اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر وسأحدكم عن ذلك اما السن
فعظم واما الظفر فمذي الحبيسة اخبرناه في الصحيحين وقل الذبح في الحيوان المقدر وعليه
قطع المري والمخقوم واكله قطع الوجين مع ذلك والمخقوم بعد الغم وهو من صنع النفس
والمري يحرق الطعام والودجان عرقان فيطغان عند الذبح واما الهاتفي فكل ما اكله الدم وفري

الاوداج من جديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من بني النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله
نظال وماذج **على النصيب** يعني وحرمت ما ذبح على النصيب والنصيب يحتمل ان يكون جمعا واحدا نصيب
وان يكون واحدا وجمعه نصاب وهو الشيء المنسوب قيل كان حول الكعبة ثمانية وستون حجرا
منسوبة كان اهل الجاهلية يبيعونها ويحرقونها وليست هذه الحجارة يا صنم
انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس عن الاصنام المنسوبة والمعنى وماذج على اسم
النصب والاصل النصيب فهو حرام **وان تصنفوا بالانزال** يعني وحرر عليكم الاستقسام
بالانزال ومعنى طلبنا لتقسم والحكم من الانزال **روى القلاح** وكان نزلهم سبعة قراح مستوية
مكتوب على واحد منها امر في زني وعلى واحد لها في زني وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى
واحد ملصوق وعلى واحد العقل وعلى واحد عقل اي ليس عليه شيء لو كانت العرب في الجاهلية اذا
ارادوا سفر او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او قتل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور
العظام جاورا الى هبل وكان اعظم صنم لهم يربون بها وجاوا بما يدعونهم واعطوها ما جابوا له
حتى يحيلها لهم فان خرج امر في ديني فقلوا ذلك الامر وان خرج لقائي في ديني لم يفعلوا واذلوا على
نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلقا فيهم وان خرج ملصوقا كان
على خاله وان اختلفوا في العقل وهو الهبة فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج العقل
اجالوا فاني انا حتى يخرج المكتوب عليه منها بم الله عز ذلك حرمة وسماه صنفا وقيل الانزال
كتاب فارس والروم التي كانوا يتقارون بها وقيل كانت الانزال للعرب والكعاب للجموع والازد
وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها عن طين بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للقيافة والطاين والطريق من البيت اخرجوا ابوداود وقال الطرق الرخيصة والقيافة للخطا
وقيل للقيافة زجر الطير والطريق لضرب الحصا والبيت كلما عبد من دوز الله وقيل للبيت الكاهن
وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن واستقسم
بالانزال او تطير طيرة شره عن سفره لم ينظر الى له حرافة الملح يوم القيمة وقوله تعالى **اذ لكم فسق**
يعني ما ذكر من هذه الحرافات في هذه الآية لان المعنى حرر عليكم تناولها او كذا فان فسق الفسق
ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة غايده على الاستقسام بالانزال والاول **امح اليوم يبيس**
الذي ذكره وامر دينكم يعني يبيسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا
يطهرون في اذيعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي ظر
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعنده ذلك يبيس الكفار من بطلان دين الاسلام
وقيل ان ذلك هو يوم عرفته فتركت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد
يوما بعينه وانما المعنى لان يبيس الذين كفروا من دينكم فهو كما يقول اليوم قد كبرت تربية الان قد
كبرت وتقول فلان كان زورنا وهو اليوم يحقوه لم يرد يوما بعينه يعني وهو لان يحضروا ولم يقبضه

اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا فيوم نسا ويوم نسا اراد قران علينا وزمان لنا
ولم يقصد ليوم واحد معين **فلا تخشوا** يعني فلا تخافوا الكفار اياها المؤمنين ان يظفروا على
دينكم فقد نزل اخوف عنكم باظهار دينكم **واخشوا** اي وخافوا مخالفة امرى وخلصوا الحجة
الى قوله عز وجل **اليوم اكملت لكم دينكم** تركت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفته
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العنبا فكا وثا عصدا لناقته تنطق وبركت
لنقل الوحى وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة **ق** عن طارق بن شهاب قال جازل
من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرأوها علينا تركت معشر
اليهود لا تتخذنا ذلك اليوم عيدا اقال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ومرضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر لا في العلم اليوم الذي تركت فيه والمكان الذي تركت فيه تركت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة لسائر العالمين ذلك اليوم كان عيدنا وعن
ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ومرضيت لكم الاسلام دينا وعنده
يؤدى فقال لو تركت هذه الامة علينا لا تخدناها عيدا فقال ابن عباس فانما تركت في يوم
عيدنا في يوم الجمعة ويوم عرفته اخرجنا لرمذي قال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان
يلحق لك اليوم خمسة اعياد يوم الجمعة ويوم عرفته وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للنجوس
ولم يجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما تركت هذه الآية بكى
عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال بكى انى انا كما في زيادة من ديننا فاما
اذا اكمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاش بعدها احدى وعشرين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الاول
وقيل لاثني عشر ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم يعني بالزرايع والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه
الاية حلال ولا حرام ولا شئ من الزرايع هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيده بن جبير وقتادة
معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا المؤمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان واعتكم من عدوكم بان كفيتم ما كنتم تخافونه وقيل
الحال الذي لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل الحالك
الذي لهذه الامة انهم امنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا الغير هذه الامة وقال ابن الانباري
اليوم اكملت شرايع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتبعه
خلقه بالشئ في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقت وكذا الثاني
الثاني تاما في وقت ثم يترك القابل عنه عشرة كاملة ومعلوم ان العشر من الحرام والشرائع
التي بقدها الله عز وجل لها عبادته في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التبعه

لها فكل الله عز وجل الشرايع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الذين كان
ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام محمد بن الرضا عن الفضالة اخذ ما كان ناقصا
البقرة بل كان انما كانا الشرايع النازلة من عند الله كافيته في ذلك الوقت لا انما كانا
في اول وقت البقرة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا يصالح فيه لاجرم كان ينبغي بعد
الثبوت وكان ينبغي بعد التحتم واما في اخر زمان البقرة فانزل شريعة كاملة وحكم بها الى يوم
القيامة فالشرع ابد اكان كاملا الا ان الاول محال الى يوم زمان مخصوص وانما في اليوم القيام
فلجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **وانتم عليكم نهي** يعني بالمال الدين
والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال بن عباس حكم لم يدخل الجنة وقيل معناه انه تعالى اخبر
لهم ما وعدهم في قوله ولا تقم نهي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وجنوا مطهينين
انما يحاط بهم احدا من المشركين **ورضيت لكم الاسلام دينا** يعني واخبرت لكم الاسلام دينا من دين
الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام لامري والانتقاد لطاعتي فباشرة لكم من الغايين
والاحكام والحدود وما كالم الذي اتممته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم
ترت هذه الآية وان كان الله تعالى لم ينزل رايها به من الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية
لان لم ينزل يصرف بنبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى
مرتبة اعلى منها حتى اتمم لهم شرايع الدين ومقاله وبلغهم اقصى درجاته ومرتبه ثم انزل عليهم
هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال انتم اليوم
عليه فالزموه ولا تقار قوة روي البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال جابر بن عبد الله عز وجل هذا دين ارتضيت لنفسي ولن يصليح لالاخا وحسن الخلق
فاكرهوه بها ما يحبونها وروي الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه مثل لاهل كل دين دينه يوم
القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعد بهم باخير حتى يحى الاسلام فيقول يا ايها الناس السلام
وانا الاسلام فيقولوا يا ايها اليوم اقبلوا بك اليوم اخرجى وقوله تعالى **من اضطر في مخمصة غير متجانف**
لا اثم هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطامع التي حرمها الله تعالى ومصلحة بها والمعنى ان هذه
المخيمات وان كانت مخمصة الا انها قد حلت في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى انكم فتشوا في سائر
اعتراض وقع بين الكلايين والفرق من منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه
الحيثيات من جهة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرص عند الله ومعنى الآية
من اضطر لا يجدوا صيب بالضر الذي لا يمكنه مع الاعتصاع من اكل الميتة وهو قوله تعالى
في مخمصة يعني في مجاعة والمخمة خلوا البطن من الغدة عند الجوع غير متجانف لانتم
يعني غير مائل الى اثم او مخمصة اليه والمعنى من اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فلياكل
غير متجانف لانتم وموان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراقي وقيل معناه غير متدبر من المعصية في

مقصد وهو قول فقهاء الحجاز **فان الله غفور رحيم** يعني لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار
قوله تعالى **يسئلونك ماذا احل لهم** روي الطبري بسنده عن ابي رافع قال قال جابر بن عبد الله رضي الله
عليه وسلم يستاذن عليه فاذا نزل فلم يدخل فقال قد نالك يا رسول الله قال اجل ولكن لا نكنا لا نكنا
يتنا فيه كلب قال ابو رافع فامر فان اقبل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهت الى امرة عندها
كلية ينزع عليها فتركته مرجحة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني
بقبله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل
لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل الله عز وجل يسئلونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكليين وروي عن عكرمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عامم وسعد بن
ابي حنيفة وعزم بن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فترلت
يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكليين قال ابن الجوزي
واخرج حديثا في رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينفع بها او نهي عن مساك ما لا تنفع فيه منها **عن ابي هريرة**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب
حرس او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى كلبا ليس بكلي صيد ولا
ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية
في عدي بن حاتم وزيد بن المهمل الطائيين وهونريد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم نريد الخير قالوا يا رسول الله انا قوم نصيب الكلاب وبالبها فماذا يحل لنا فترلت
هذه الآية قال البغوي وهذا القول اصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى
يسالونك يعني يسال الله يا محمد ما الذي احل لهم اكل من المطامع والمأكلا كانهم لما نزل
عليهم من خبايا المأكلا تلاسا لوه عما احل لهم **قل احل لكم الطيبات** يعني قل لهم يا محمد احل لكم
الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيعه اليد وتنسذه
من غير ان يورده تحريمه نص من كتاب وسنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستذابة اهل
المروة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم من يستطيئون كل جمع الحيوانات
فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبث غير مستطاب
فصار هذه الآية الذرية نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى **وما علمتم من الجوارح**
مكليين يعني واحل صيده ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لانه لا
الباقى عليه ولا نهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح على ابد الكلام
خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير افتراء والجوارح جمع

جارتها وهي الكواكب من السباع والطير كالنهد والتمر والكلب وكالبازي والصقر والقطا
والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليل سميت جوارح من الجرح لانها تخرج الصيد
عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواكب من جرح واجرح
اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوها السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما هم
بالها زاي اكتسبتم مكلين يعني مكلين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل ما هو
مودب الجوارح ومعلمها وانما استعمل هذا الاسم من الكلب لانها اكثر احتياجا الي
التعليم من غيرها من الجوارح **تغلبون** يعني تغلبون الجوارح الاصطبياد **ما علمكم الله**
يعني من العلم الذي علمكم الله ففي هذه الآية دليل على انه لا يجوز صيد جوارحه ما لم تكن
معلمة وصنعة التعليم هو ان الرجل يعلم جوارحه الصيد وذلك بان يوجدها في امور
منها انه اذا ارسلت على الصيد استرسلت واذا ازجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت
ولم تاكل منه شيئا ومنها ان لا تنفر منه اذا اراد ان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع
الجوارح فاذا وجد ذلك منهم لم اراد ان كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا
جرحت بارسال صاحبها **ق** عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا
قوم بصيد هذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك
عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا
لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتل فلا تاكل فاما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي
رواية فانك لا تدري يا باقر وسألته عن صيد المعمر فقال اذا اصبت بحده فكل واذا
اصابته بعمره فقتل فانه وقيد فلا تاكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين
ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع في الماء فلا تاكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب
الصيد واكملت منه شيئا فذهب كثير اهل العلم الى تحريمه يروى ذلك عن ابن عباس وهو
قول عطاء وطاوس والسعي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي وهو صحيح قول الشافعي
وبديل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تاكل فاما امسك على نفسه وخص بعضهم في
اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لما روى
عن ابى ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرج به ابوداود اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت
صيدا او المعلم اذا جرح بغير ارسال صاحبها فاحذر وقتل فانه لا يحل الا ان يدر كنه حيا
فيذبحه فيحل **ق** عن ابى ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل الكتاب فاكل
في انيتهم وبارض صيدا صيدا بغيري وبكلبي الذي ليس بعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال
اما ما ذكرت من انيتهم اهل الكتاب فان وجدتم غيرهما فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاعلموا

29
وكلوا فيها وما صدقت بموتك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدقت بكلمك المعلم فذكرت
اسم الله فكل وما صدقت بكلمك غير المعلم فذكرت ذكاته فكل وقوله تعالى **فكلوا مما امسكن**
عليكم دخلت من في قوله ما للتبعية لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم ومن الغرث
والدم وقيل من زراية فهو كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر **واذكروا اسم الله عليه** قال يعني اذا ارسلت
جارك فقل بسم الله وان نيت فلا جرح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله عليه فكل فقل هذا يكون الصياد عليه عايدا الى ما علم من الجوارح اي سموا
الله عليه عند ارساله وقيل الصياد عايدا الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ذكرتم
ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الصياد عايدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فقل هذا
تكون المسئلة شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبحة وعند الاكل شيئا في بيان هذه المسئلة
في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما كرم يذكركم اسم الله عليه **وانفقوا** الله يعني واحذروا مخالفة
الله فيما احل لكم وحره عليكم **واعلموا ان الله سريع الحساب** يعني اذا احاسب عباده يوم القيمة
ففيه تخويف من مخالفة امره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل **اليوم احل لكم الطيبات** انما كرم
احلال الطيبات للتاكيد كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالت عنها ويحتمل ان يراد باليوم
اليوم الذي ارسلت فيه هذه الآية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يبطل الذنوب وكما
ذنبكم اليوم احل لكم انكم فيكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه قال تعالى اليوم احل لكم انيتهم
عليكم نفق فين انهم كمال الدين واتم النعمة فذكر انتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد
باليوم يوم معين وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة وقوله تعالى
وقطع الله الذي بينكم وبين الذين كفروا من كل باب يعني ذبايح اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن دخل في
دينهم من شايء اللحم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وهم من كفر من العرب من بني ثعلبة فلا تحل ذبائحهم روى عن ابى طالب
قال لا تاكلوا من ذبايح بني ثعلبة فانه لم يمسكوا بشي من النصارية الا بغير الحذر
وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي انه من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه
لا تحل ذبائحهم وسئل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا بأس به فقرأوا من يتولاهم
منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري
والحماد وحماد وهو مذهب في حنيفة ومالك واحمد والرواية الاخرى
مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركي العرب
وبعد ان الاقسام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بقطعهم الذبايح والكتاب ذبايحهم
خامسة لان ما سوي الذبايح من محلة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا
ينبغي لتخصيصها باهل الكتاب فابده ولا في ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبايح

فحل هذه الآية عليه اولى لان ساير الطعام لا يختلف من قوله من كتابي وغيره انا تختلف
الذكاة فلم يخص اهل الكتاب بالذكاة على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء
لوجح يهودي ونصراني على غير اسم الله فقالوا لا يحل ذلك وهو قوله بغيره وذبح اكثر
اهل العلم الى انه يحل سبل الشعي وعطاف النصراني يذبح باسم المسيح فقال لا يحل فان الله
قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذ ذبح اليهودي والنصراني وذكر في اسم الله
وانت تسبح ملائكة او اذ اغلبت عندك فكل فقد احل الله لك وقد روى في هذه الآية ائمتنا
اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا مباحا في قولنا تعالى ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون اسم الله عند الذبح
فيحل امرهم على هذا فان يتقوا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم
حل لكم يعني ان ذبايحهم حلالة وهذا يدل على انهم مخلصون بغير تقينا وقال الزجاج طعامكم
لكم ان تطعموهم من طعامكم فحل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التكليف يعود الى طعامنا اياهم لا اليهم
لانه لا يمنع ان يجزاهم تعالى ان تطعمهم من ذبايحهم وقيل ان الثانية في ذكر ذلك ان اباحة المأكلة
غير حاصلة من الجائز اباحة الذبايح كانت حاصلة في الجائز لا جزم ذكر الله ذلك لنفسها على
التبيين في النوعين ثم قال تعالى والمحصنات من المؤمنات قال مجاهد عن الربيع في هذا القول لا يحل
الامة المؤمنة في هذا التكليف ومن اجاز ذكاهن اجاز به بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة
وقال ابن عباس المحصنات العفيفات وعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا
التكليف واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت ثوبها ورجع طارق بن شهاب انه جاز ايراد
انه تزوج احد فقالت انا خشي ان افسدك اني قد بغيت فاني عرفت ذلك له منها فقال
ليس قد تابت قال بل قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهو الربيع والعفاف
ليحث المؤمنين على تحبير النساء ليكون الولد كرم الاصل من الطرفين وقوله تعالى والمحصنات من
او قوا الكتاب من قبلكم يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن
عباس يعني احل من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والفقهاء يدرى العفاف من اهل
الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب المشافعية والاذاجع
في حقها نوعان من نقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن رافق مجوز التزوج بالامة الكتابية
وهو مذهب باقي اهل حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه السيلة فذهب
جمهور الفقهاء الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى حتى ان عثمان بن عفان تزوج
نايلة بنت النخعي فنهت علي بن ابي طالب عن نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى
عن ابن عمر كراهية ذلك وحج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن وكان يقول لا علم
شركا اعظم من قولها ان زناها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركا حتى يؤمنن بانعام

خص هذه الآية فباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل
الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن مجوز التزوج بالذميات والحيات من اهل الكتاب
لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء بان
ذلك مخصوص بالذميات وروى الحريات من اهل الكتاب قال ابن عباس من سوا اهل الكتاب
من نكح الذميات من لا يحل لنا وقرا قائلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن
عن يده وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة وروى اهل الحديث من اهل الكتاب وقوله اذ التبتون
اجوزهن يعني مهورهن وهو العوض الذي يبدله الزوج للمرأة محصنين غير مسافحين يعني
متصفين بالتزويج غير ان ينزلوا متحدين يعني لا متفردين بغيرية واحدة وقد
خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صدقية يفرجها وحده حرم الله الجماع على
جهة المساح وهو الزنا واتخاذ الصدق وهو الاخذان واحله على جهة الاحصان
وهو التزويج بعقد صحيح من يكفر بالايمان يعني ومن تجردنا امر الله به من توجيهه ونسوة
محمد صلى الله عليه وسلم وما جابه من عند الله فقد حبط عمله يعني فقد بطل ثواب عمله
الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر
بدرج الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين
قالوا كيف تزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله نكاح
الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضى اعمالنا لم يبع المؤمنين تزوجنا فانزل الله
هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل
الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باها خضعوا بايهم ونكاح نساءهم الا ان ذلك غير
حاصل لهم في الاخرة لان كل من كفر بالله او محمد بنوه محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله
وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او محمد بنوه
انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك
وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وان قبل الموت قبلت ثوبته ورجع ايمانه قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة يعني اذا ارعتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام
اذا التجرت فالتجرت في البراءة اذا ارتق التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل
صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب اهل الظاهر ومذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم
الى انه يحترق عدة صلوات يؤمنون واحدا واجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى
الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لانه لا لمة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القرآن

وهو كثير جدا ولا ينبغي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا
أحدث حتى يتوضأ أخرجه في الصحيحين وقيل في معنى الآية إذا انتمت إلى الصلاة من
النوم وقيل هو لم يندب ندب من قام إلى الصلاة أن يجدها طاهرة وإن كان على ظهر
ويدل عليه ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب له عشر
حسان أخرجه الترمذي وقيل هذا إلهام من الله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر
عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج يوما من مكة فقدم إليه طعام فقالوا لا تأكله حتى يتوضأ فقال
أنا امرأت بالوضوء إذا فتنا إلى الصلاة أخرجه مسلم والقول الأول هو المختار في معنى
الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية أربعة الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى
فاغسلوا وجوهكم واستند إلى الشافعي على وجوب لينة عند غسل الوجه لهذه الآية
وحجته أن الوضوء ما موربه وكل ما موربه يجب أن يكون منبوا وما روى في الصحيحين من حديث
عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى والوضوء
من الأعمال فيجب أن يكون منبوا وإنما قلنا أن الوضوء ما موربه وأنه من أعمال الدين لقوله تعالى
وما أمر إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والأخلاص عباءة عن النبي الخاصة وتو كانت
النية الخاصة معتبرين كان أصل النية في جميع الأعمال التي يتبرع بها إلى الله تعالى معتبرا
واستند إلى أبو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال إن النية ليست
شرطا لصحة الوضوء لأن الله تعالى أوجب غسل الأعضاء الأربعة في هذه الآية ولم
يوجب النية فيها فأوجب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ والنسخ الرافع
بغير الواحد وبالقيا من غير جاز وأوجب عندنا ما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة
القرآن وهو قوله وما أمر إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما أحد الوجه فمن
منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً لأنه مأخوذ من
المواجئة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب أيضاً الماء إلى ما تحت الحاجبين
وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنقة وإن كانت كثة وأما اللحية
فإن كانت كثة لا تترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية
للحقيقة وهل يجب مراراً على طاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما
وبه قال أبو حنيفة لا يجب لأن الشعر النازل عن جذع الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس
في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن جذع الوجه والعنق الذي يجب مراراً على
ظاهره لأن الوجه مأخوذ من المواجئة فيه دخل جميع اللحية في حكم الوجه المعروف الثاني

قوله تعالى **وايديكم إلى المرافق** يعني والمساواة أيديكم إلى المرافق والمرقوب الكبر من الانشقاق
أعلى الذراع واستقل العضد وذو هبهم هو العمل إلى وجوبه خال المرفقين في الغسل
ونقل عن مالك والسعي وهو فروا إلى بكر بن داود الظاهر أنه لا يجب إدخال المرفقين في الغسل
واختاره ابن جبر الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاعلموا وجوبكم
وايديكم إلى المرافق فقال الذي أخرجه أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجته أصحاب
هذا القول أن كلمة إلى لا تفهم المقابلة وما يجعل غاية الحكم يكون خارجاً عنه كما في قوله تعالى
ثم أمروا الصيام إلى الليل ولأن الحد لا يدخل في الحد وقد فوجئنا لا يجب غسل المرفقين
في الوضوء وحجته أنهم وإن حرف إلى هنا معنى مع منتهى قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى
أموالهم أي مع أموالهم وبعضهم من السنة ما صح من حديث أبي هريرة أنه توضأ فغسل وجهه
فأسبغ الوضوء ثم غسل يديه اليمنى حتى أشبع في العضد ثم يديه اليسرى حتى أشبع في العضد
ثم قال هكذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قواماً وكواكب عن الحجة المتقدمة أن
الحد إذا كان من جنس الحد ودخل فيه كما في هذه الآية لأن المرفق من جنس اليد وإذا لم يكن من
جنس الحد لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أمروا الصيام إلى الليل لأن النهار من غير جنس
الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى **واستحيوا** استحيوا العلماء في الله الذي
يجب مسحه من الرأس مفتاحاً لما لا يجب مسحه جميعه وهو إحدى الروايتين عن أحمد والرواية
الأخرى عنه أنه يجب مسحه أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسحه ربعه في رواية أخرى عنه أنه
يجب مسحه ثلثه بل لا بأس بربع منه وقال الشافعي الواجب مسحه ما ينطق عليه اسم المسح والمراد
الضامن المسح بالرأس وما مسحه بعضه ومستوعبه بالمسح كله ما ملق بالمسح بالرأس فأخذ
بأنه لا الاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي ما يليق فأوجب مسحه ما يقع عليه
اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبه أن النبي صلى الله
عليه وسلم توضأ فمسح بياضته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقد التفت إليه ربع الرأس
الوقوف الرابع قوله تعالى **ولعلكم** **إلى الكعبين** اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح
أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلتان وسجستان فروى ذلك عن قتادة ما يضاف
عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل إنما نزل
فيها المسح وعن السعي أنه قال إنما أمر بالمسح على الرجلين لا نزل فيهما كان عليه الغسل فجعل عليه
اليتمم فما عليه المسح أنه لم يورد هذا كناية من السبعة أن الواجب في الرجلين المسح وقال
جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ثم بعدهم والائمة الأربعة والجمهور أن فرض الرجلين هو
الغسل وقال داود الظاهري يجب مسح بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جبر الطبري
المكلف بخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف الخلاف في معنى هذه الآية فقرأنا

واثر عام والكساي وحفص عن عام وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من الموضع
الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم الى الكعبين وامسحوا
برؤسكم قال صاحب هذه القراءة اما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه
ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر عن عام وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهرا
لانه عطفا على المغسول الوجوب غسول الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف
واما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي
الكسري عطفا على المسح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف
الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى تومنت لها وهات ما التمسح به الصلاة بمعنى
اتوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى يمسح بها مع الغسل
فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل مسحان الا ان مسح الراس
اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين
لان التحديدا ناجيا في المغسول ولم يجر في المسح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم
الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الروس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه
قد يتسقى بالشيء على غيره والحكم فيها مختلف كما قال الشاعر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا اسينا
ورحما والمعنى وحاملا رحا لان الرح لا يتقلده وكذلك قول الآخر علقها بتنا وتابا ردا
يعني وسقيتها ما جارد او كذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر
الغسل وعطفت الارجل على الروس في الظاهر الكفا بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من
مفهوم الآية والا حاديث الصحيح الواردة بغسل الرجلين في الوضوء واما من جعل كسر اللام
في الارجل على مجاوزة اللفظ دون الحكم واستدل بقوله محمد بن حبيب وقال الحارث بن
الحجر لا للنصب ولما اخذ اعراب لعن المجاورة فليكن جيب لان الكسر على المجاورة انما يجزى
لاجل الضرورة في الشعر او يضار اليه حيث يحصل الامن من اليا س لان الحرب لا يكون نقلا للنصب
بل بالحجر ولان الكسر باجوار انما يكون بدون حرف العطف فاما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب
وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق
والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان
يم العظامان الناشران عند مفصل الشاق والقدم هذه اقوال جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة
وشدق الشيعة ومن قال اسم الرجلين فقالوا الكعب عيان عن عظم مستدير على ظهر القدم
ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكره لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان
ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعبين كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل

كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه
الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين
وقد مر استدلال السافعي لهذه الاية على وجوب لينة في الوضوء فصار فرضا خامسا
وذمك السافعي ومالك واحمد الى وجوب لترتيب في الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء في الوضوء
على التوالى كما ذكر الله تعالى في هذه الاية فيغسل اول وجهه ثم يديه ثم مسح راسه ثم
يغسل رجله فصارت لترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير
واجب حتى السافعي على وجوب لترتيب هذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم يغسل
اليدين ثم مسح الرأس ثم يغسل الرجلين فوجب ان يقع الغسل ترتيبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث حجة الوداع ايدوا بايدي الله وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا
والمرق فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء
ما وردت الامر بية كما ورد في نفس لم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا منكسا او غير
مرتب فثبت ان ترتيبه في الوضوء كما امر الله ونقل عنه في هذه الاية واجب واجتهد ابو حنيفة
لمذهبه لهذه الاية ايضا وذلك ان الواو توجب لترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار
ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه بان لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه توضا الامر بيا كما ذكره في كتابنا ما يؤخذ من السنة فصلا في ذكر الاحاديث التي
وردت في صفة الوضوء وفصله عن حمران بن عوف عن عثمان بن عفان ان عثمان دعا ابانا فافرح على كعبيه
ثلاث مرات فغسلها ثم ادخل بيته في الاثنا فتمضمض واستنشق ثم غسل رجله ثلاثا الى الكعبين
ثم قال اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو وضوءي هذا ثم قال من توضا نحو وضوءي هذا
ثم صلى ركعتين لا يجدر فيها لنفسه غفرله ما تقدم من ذنبه عن عبد الله بن زيد عن عام
الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا ابانا فاكفاه على يديه ثلاثا
ثم ادخل بيديه فاستخرجها فتمضمض واستنشق من كل واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل بيده
فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين ثم ادخل بيده فاستخرجها فغسل يديه الى
المرفقين مسح براسه فاقبل يديه وادبر ثم غسل رجله الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم زاد في روايته بعد قوله فاقبل يديه وادبر فاجتمع براسه ثم
ذهب بها الى قفاه ثم رد بها حتى جمع الى مكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال انا ناعلى كرم الله
وجهه وقد صلى فدعا بطهور فغسل ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاني تافيه
ما وطئت فافرح من الاناء على عبيته فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فتمضمض
ونثر من كل واحد منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يديه اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل
يده في الاناء مسح براسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال لسان

وعليهم بالصدق والعدل ولا يجزئكم شئ من قوم ولا يجلدكم بغض قوم **علي ان لا تلهوا على ترك**
العدا فيهم لعداؤهم **اعدلوا امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصدوق والعدو وما**
اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى **وانتقوا الله ان الله خير بما تعملون** يعني انه تعالى خير
جميع اعمالكم مطيع عليها وخير من عدل من لم يعد له قوله تعالى **وعدا الله الذين امنوا وعملوا الصالحات**
يعني عملوا بما وافقهم الله به ووافوا بالعهود التي عاهدكم عليها **لهم مغفرة واجر عظيم** هذا بيان
للوعد كانه لما قدم ذكر الوعد فبين ان شئ هذا الوعد فبين ان الله تعالى لهم مغفرة واجر عظيم واذ اعلم
انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** يعني والذين كفروا وكذبوا
الله تعالى ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بايات به المرسل من عنده **اولئك** يعني من هذه
صفته **اصحاب الجحيم** هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكافر لان المضاحجة
تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازمة له قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا**
اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالرفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم الله بها
عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرتم لها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى **اذ هم قوم ان يبسطوا**
اليكم ايديهم يعني بالقتل والبطش بكم فصرهم عنكم وحال بينهم وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف
اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى بنبيه صلى الله
عليه وسلم بذكرها والشكر عليها وقال قتادة تزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يبطن تحت حنظل من اعدائهم وبنوا ثعلبة وبنو الحارث بن يقطين ورسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه
اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله بنبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك واتر الصلاة الحرف فقال
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان فخرج فقال جابر بن المشركين هل لكم ان اقتل
محمدا قالوا وكيف تقتله قال اقلك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتي النبي صلى الله عليه وسلم النبي
صلى الله عليه وسلم متقبلا بسيفه فقال يا محمد ارحني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يرف السيف
وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فهدده اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم فاعده السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد عكرمة
والطبي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر من عمر الساعدي وهو احد النقبالية العقبية
في ثلاثين اربابا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا علي بن ابي طالب
على بير معونة ومضى من مياها بني عامر فاقبلوا فقتلوا المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب
ضالة لهم احد هم عمرو بن امية الضمر فلم يرهم الا والطير تحوم في السما يسقط من بين ضايقها
علق الدم فقال احد الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى بسيد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا فبين
فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السما وفتح عينيه وقال الله اكبر الجحمة ورب العالمين ورجع صاحبا
فلقي رجلا من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومها موادة فانتسب الى بني عامر

فقتلها ما وقدم قوما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطه وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على
كعب بن الاشرف فبينما النضير يستعينهم في عقابها وكافل قد عاهدوا النبي صلى الله عليه
وسلم على ترك القتال وعلي ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يقتل منهم دية جليلين
فقالوا نعم يا ابا القاسم قد انقانا نيتنا وسالتنا حاجة اجلس حتى نطعمك
ونعطيك الذي سالت اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجلس بعضهم
اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الا ان تظن منكم على هذا البيت
في طرح عليه صخرة فيرجمنا منه فقال عمر بن الخطاب انما فعه الى رحا عظيمة ليطرحها
على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده وترجى جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
به ذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقال وخرج معه علي بن ابي طالب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تخرج مكانك حتى تخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك
منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تاهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة
وانزل الله عز وجل هذه الآية **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان**
يبسطوا اليكم ايديهم يقال يبسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا هداه الى المبطوش به
ليقتله **فكيف ايديهم عنكم** يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم **وانتقوا الله** يعني فيما امركم به
وتفكروا عنه **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** امر الله المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده
جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما قال ايدي
اليهود عنهم لما ارادوا ان يقتلواهم وهذه القصة اول باب القرب لانه عقب لاية بذر
اليهود وذكروا فيهم افعالهم وجنائيتهم وذلك قوله تعالى **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل**
لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وكما ارادوا به من كيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى
الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما في التوراة من
الاحكام والتكاليف **وبعضنا منهم انى عشر نقيبا** اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن
عباس النقيب الضمير وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل
هو الباحث عن القوم وعن احوالهم ذكر القصة في ذلك قال اصحابنا لا خيار
والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان
يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة
فاني قد كتبته لكم دارا وقرارا فخرج اليها واجاهد من فيها من العدو فاني ناصر لكم عليهم
وخذ من قومتكم اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيل على قومه بالوفاء منهم على امر وا

فاختار موسى النقباء وسار بين بني اسرائيل حتى قربوا من ارض مصر الى مدينة الجبارين فبعث هو النقباء
يخبرون الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عروج وعناق وهما من امة
وهي احدى بنات ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلاثة وثلاثون
ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله على ما ورد في
الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان يحجز بالحجاب ويشرب من مياهه ويتناول الحوت
من قعر البحر ويؤويه في غير الشمس ويرى ان الماء يطبق ما على الارض من جبل وغيره ما يبلغ كبري
عروج وقال النوح عليه السلام احملني معك في سفينةك فقال نوح اخرج عنى يا عبد الله
فاني لم اؤمر بك وعاش عروج ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام
وذلك انه قد صخر من الجبل على قدمه عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه
ليطعن بها عليهم فبعث الله المردة فنقب الصخرة وقومها بمنقاره فوفقت في غمته فصرخته
واقبل موسى عليه وهو مصروع فقتله قال فلما التقى عروج النقباء فاخذهم وجعلهم في حجره
وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى ارضه وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون
قتلنا وطردهم يزيروننا وقال الا اطمعنهم برجلي فقالت امرته بل اخل عنهم حتى يخبروا قوتهم
بارا واوقبل انه جعلهم في كهف واتى بهم الى الملك فنذرهم بيديه فقال لهم الملك ارجعوا الى
قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنود من العنود اجملة لا خمسة انفسهم بينهم
في خشية ويدخل في سطر الرمانه اذا ترع جها خمسة انفس فرجع النقباء وقال بعضهم
لبعض يا قوم انكم اذا اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم جمعوا عن بني اسرائيل موسى ولا يقاتلونهم
معكم انتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رايتم فيريان زايما فاخذ
بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فصار جمعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل
رجل منهم سبطه بما راى الامر جلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانها وفيما
بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثناهم اثني
عشر نبييا **وقال الله فيهم** فيه حذف تعديره وقال للنقباء اني معكم يعني بالنقباء للمعونة
وقيل هو خطاب لقائمة بني اسرائيل والقول الاول اول لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان
عوده الى النقباء اولى ثم اتيه الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل **لن اتم الصلاة** وهذه
جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لن اتم الصلاة **وايتيم الزكاة**
وامتكم برسل وعزمتهم **واقرضتم الله قرضا حسنا** وجزا الشرط قوله تعالى لا كفر عنكم
سياكم فذلك اشارته الى ازالة العقاب وقوله تعالى ولا دخلكم جنات تجري من تحتها **الانهار**
اشارة الى ايفاء الثواب ومعنى الآية لن اتم الصلاة المكتوبة وايتيم الزكاة المفروقة وامتكم
برسل يعني بجميع رسلي وانما اخبر ذكر الايمان بالرسول لان اليهود كانوا يمتنعون عن اتمام الصلاة وايتيم

الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم اني ايتيم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان
بجميع الرسل وقوله تعالى وعزمتهم يعني ونصرتهم واصل التعزيز في اللغة الردف في عزمتهم
نصرتهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه وقرت بهم وعظمتهم والقول الاول واقرضتم
الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير
هذا القرض بالزكاة فان قلت فكيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقرضوا حسنا
لان مصدر اقرضتم الاقرض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدره من معناه لا من لفظه وذلك
ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله قرضا حسنا ونظير ذلك قوله
تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه انبتكم نباتا وقوله تعالى لا كفر عنكم سياكم
يعني اذ افعلتم ساير الامور بكم لا يحون عنكم سياكم واغفرها لكم ولا دخلكم جنات تجري
من تحتها **الانهار** **فمن كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد اخذ العهد والميثاق **فقد ضل سبيل** يعني
فقد اخطا الطريق المستقيمة وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى
فما نقصهم ميثاقهم اي بسبب نقصهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعنده بان
كذبوا الرسل الذين جاءوا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونذوا كتابه وضيعوا اقرضته
لغناهم يعني جازيناهم على ذلك بان ابدناهم وطردهناهم عن رحمتنا واصل اللفظة لا يباد
عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني غليظة قاسية لا تليق لان القسوة خلاف اللين
والرقة وقيل معناه ان قلوبهم لم يلبث خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والشقاق
يجرفون الكالم عن مواضعه يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تديلهم صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونفته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني اللفاظ ليسوا بالاول
ونسوا حظا مما ذكرناهم يعني ونسوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه
عليه وسلم وبيان نفته وصفته **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** قال ابن عباس يعني على معصية
منهم وكان خيانتهم نقض العهد ومظاهرهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يقتله وسبوه وخوها من خياناتهم التي ظهرت **الا قليلا منهم** يعني انهم لم يجرفوا ولم
ينقضوا العهد وهم عبد الله من سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب **فانصفهم** واصلح
اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصحح
عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي
في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد فهدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
على ذلك وانزل هذه الآية ولم ينسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدره فاعفوا ثم ينسوخ
حربا ولم يمتنعوا من اد الجني والصفار وعلى هذا القول لا لغا غير منسوخة يكون معنى الآية

بل انتم بغير حق خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كساير بني ادم محزونون
بالاساة والاحسان وقوله تعالى **يغير لمن يشاء** يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية
ويغيب من يشاء يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيقول
ويميت من يشاء على كثره فيغيبه **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** يعني انه تعالى
ملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والعذاب
لن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان ملك السموات والارض يستحيل ان يكون
له شبيه من خلقه او شريك في ملكه **والله المصير** يعني والى الله مرجع العباد في الآخرة
فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل**
قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عباد وعقبة بن وهب لليهود يامعشر اليهود
اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل بعثته وتضعفونه
لنا بصفته فقال ارفع حرميله ووهب من يهودا ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب
بعد موسى ولا امرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل
قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر هذه الفترة فروى عن سلمان
قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة اخرج البخاري وقال قتادة
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وقاسا الله من ذلك وعنه
انما هي خمماية سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمماية سنة واربعون سنة
وقال الصالح اربع مائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة
من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم
خمماية سنة وستون سنة وهي الفترة وكان بعد عيسى ربعة من الرسل فذلك
قوله عز وجل اذا مرسلنا اليهم انبياء فكذبوا فما قرنا بنات قال والرابع لا ادري من هو فكان
تلك السبعمائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائر هافرة قال ابو سليمان الهمشي والرابع
والله اعلم خالده بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بني ضبيعة فونه قال لانام
فخر اليه بن الرازي والغايدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عنه فترة الرسل كان التحريف
والتغير كان قد طرق الى الشرايع المتقدمة لتقدم عهدا وطول انما لها وسبب ذلك
اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عندنا ظاهرا في عراض الخلق عن العبادة
لانهم ان يقولوا الهنا عرنا انه لا يد من عبادة ذلك ولكننا عرنا كيف نعبدك فبعث الله
وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم انزاله لهذا الغدر فذلك قوله عز وجل **ان تقولوا ما جانا**
من بشير ولا نذير يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير في

هذا الوقت فقد جاءكم بشير ونذير يعني قد ارسل اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لان الله ارسل الله
والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل **وان قال**
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا
ايادي الله عندهم وايامه التي انعم فيها عليهم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم قديم تهادى هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوا اختيارهم لا تقسم شدة
مخالفتهم لانبياهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه ولايه لديهم وسلبا بذلك نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم عما ترويه من مقاساتهم ومخالفتهم في ذات الله عز وجل **اذ جعل فيكم انبياء**
يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل وايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا
نعمة الله عليكم ان فضلكم بان جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى
من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرائيل هم من اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليهما السلام وهو لا شك لانهم من الكابرا لانبيا وارلا يعقوب وهم لا يسط على قول
الاكثر بن موسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده
في بني اسرائيل انبيا فانه لم يبعث في امته ما يبعث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا
عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم **وجعلكم ملوكا** يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد
ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا
اول من ملك للخدم ولم يكن من قديم خدم وروى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحد منهم خادم وامرأة ودابة يكت ملكا ذكره اليعقوبي وغيره
وسلار رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال السا من قعر المهاجر فقال له عبد الله الملك امرأة
تاوي اليها قال نعم قال الله سكن تسكنه قال نعم قلانت من الاغنيا قال فان له خادما قال
فانت من الملوك وقال الصالح كانت منارلم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكرا وسعيا
وفيما جاز فهو ملك **وانا لكم ماله يومئذ احد من العالمين** يعني من عالمي زمانكم يذكركم ما انعم الله
به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال التي والسلوى عليهم واخراج المأم من البحر لهم
وتطليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله **يا قوم ادخلوا الارض**
المقدسة لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم طهرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا
للانبياء والومنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل البنان
فقبل له انظر في ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لا تشكك لغيرك في الارض هي الطور وما حوله
وقيل هي اتيحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال الكلبي لا جازوت
في كتاب الله المثل لان الشام كثر الله من أرضه ولها اكثر عبادة **التي كتب الله لكم** يعني كتب الله لكم في

اللوح المحفوظ انما لكم مساكن وقيل قري من عليكم دخولها ولم يكن بسكنها وقيل وهبها
لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة
عليهم وكيف اجتمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله لهم فلهذا لم يرد
بشوم تردم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص
فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرأمر على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يونا دخلها
وكان من خطوب هذا الخطاب الوجه الثالث ان هذه الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم
يوجد المشروط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربع سنين فلما
مضت الاربعون دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى **ولا تردوا علي**
ادباركم يعني ولا ترجعوا القمري مرقه بن علي عتايكم الى ابراهيم ولكن امضوا الامر الذي امركم
به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به **فستلبوا خاسرين** يعني فترجعوا خاسرين لانكم ردتم امر الله
قوله عز وجل **قالوا** يعني قوم موسى **يا موسى** **ان فيها يعني في الارض المقدسة قوما جبارين**
يعني قوما عاين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بالقائم ومما اوليك القوم جبارين لشدة بطشهم
وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واسكال هائلة وهم من العالقة بقية قوم عاد
واصل الجبار في صفة الانسان فعلم من خيره على الامر بمعني اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر
الناس على ما يريد وقيل انه ما خوذ من قولهم تحلة جبان اذا كانت طويلة تر فقل لا تقبل الايدي
اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبها بالجبار من النمل **وانا اني ندخلها** يعني
ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها **حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من الارض**
المقدسة وانما قالوا ذلك استيغابا لخروج الجبارين من ارضهم **فان ادخلون** يعني اليها قال العلماء
بالاجار اذا التقيا لما خرجوا يجتمعون لا جبار لموسى عليه السلام خبر القوم وما عاين منهم
قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجسوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان التقيا
الاثنى عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رايتهم فلما رجعوا
واخبروا موسى امرهم ان لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فحالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل
من النقباء سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب فانما كما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بشوا
اسرايل وفساد ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا امتنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله
ارضهم فتكون خساونا واولادنا واولادنا واولادنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه
تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك ومما ايا لانصراف الى مصر خسر
موسى وهارون وسليمان وخزق يوشع وكالب لبائها ومما اللذان اخبر الله عنها بقوله تعالى
قاله جبارين من الذين يخافون يعني يخافون الله ويهابونه **انعم الله عليهم** يعني بالهداية والوقاية بالعهد
ادخلوا اهلهم لباب يعني قال الرجلان ومما يوشع بن نون وكالب بن يونا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين

باب مدنيستهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله وعدكم بالنصر وانما الله منكم وعده
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يعني يقول الرجلان لقوم موسى تقوا بالله فانه معكم ولهم حكم
ان كنتم مصدقين وان الله ناصرهم ولا يهولونكم عظم اجسامهم فانما قدر بنامهم فكانت اجسامهم
عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قل ذلك امراد بنو اسرائيل ان رجسوا بالحجارة وعصوا امرهم
بقالوا ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى **قالوا يا موسى اننا لن ندخلها اية ايعني قال قوم موسى لموسى انا**
لن ندخل مدينة الجبارين اية ايعني مدة حياتنا ماداموا فيها ايعني مقيمين فيها فاذنبت ذنوبك
فقالا انا هاهنا قاعدون انما قالوا هذه المقالة لانهم ههنا يهود التجسم وكانوا يجوزون
الذهب والمحي على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذه على
وجه الذهب من مكان الى مكان لا يمكن الا وكثر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه
نبيه موسى فوثنوا وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعني اذ هبنت وربك يبعث
لكم لقوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انهم ادبوا بقولهم وربك اخاه هارون
لانه كان اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك لاجل انهم باس الله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى
وما فاءه رواله حق قد **ج** عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهرا الا ان يكون
انما صاحبه اجل الى ما عداه اية التي صلى الله عليه ولم ومويعه على المشركين يوم بدر فقال
يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ولكن امض وخنز مولا فكان سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية اخرى ان
عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرق
وجهه وسرقته تعالى **قال** يعني موسى عليه السلام **رب ايا رب في لا املك الا نفسي واخي** يعني
انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك الا نفسي ونفسي اخي لانه كان
يطيعه واذا كان له لك فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معني في
طاعته يوشع بن نون وكالب بن يونا لا اختصا من هارون به ولمزيد الاعتناء باخيه ومجتمعا ان
يكون معني واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخي في الدين فعلى هذا الاحتمال
يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال **فافرقي بيننا وبين القوم الفاسقين** ايا افضل وقيل احكم
بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لما راى بني
اسرايل وما فعلوه من مخالفة امرهم الله وهم يوشع وكالب غضب موسى لذلك وعالجه
فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام **فقال** عز وجل **فانها محرمة عليهم** يعني فان الارض
المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابد ابد لم يرد تخريم تعبدا وانما
امرهم تخريم منع فادعى الله تعالى الى موسى في حلفه لحرمة عليهم دخول الارض المقدسة غير بعيد
يوشع وكالب ولا يتهمهم في هذه البرية اربع سنين ولا يقين جيعهم في هذه العترة انا ابناؤهم

الذين لم يظفروا لهم في خلقهم فلهذا قال تعالى فانها بعني الارض المقدسة بحرمته
عليه فلهذا كان اهل العلم يسمونها بغير اسم ولا يحرمونها ولا يحرمونها ان يكون بحرمته
فان كان يكون له تعالى ان يكون في تلك المكانة في الحديقة والبلدية عقابا لهم
على سوء صنيعهم **في سنة** فمن قال ان الكلام من عنده فلهذا قالها بحرمته عليهم قال
اربعة سنين **يتبينون في الارض** واما الحرمه فلهذا موبده حتى يموتوا ويخلوها ابناءهم
وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمه عليهم اربع سنين ثم يدخلونها ويخرجونهم
وقوله تعالى يتبينون في الارض يعني يتجرون فيها يقال تاه بينه اذا خبر واخلفوا
في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقبل مقدار ست فراسخ وقيل ست فراسخ في اثني عشر
فرسخا وقيل ست فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القورستانه الف مقاتل وكانوا رجلون
وليسرون يومهم اجمع فاذا اتموا اذ اتموا في الموضع الذي دخلوا فيه وكان ذلك النبه
عقوبة لئلا يتركوا اهلها موسى وهارون ويوسع وكالب فان الله تعالى سهل عليهم واعلمهم
عليه كماله على ابراهيم الناز وجعله ابراهيم اسلافا فان قلت كيف يعقل ان هذا الجمع
العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربع سنين بحيث لم يخرج منه احد قلت
هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في الزمان الانبياء غير مستبعد فان الله
على كل شيء قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتجريم العبادة هذه الاشكال الاحتمال ان الله حرم
عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالبقاء اربع سنين في المسكن والمخيم جزاء لهم على سوء
صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل في النبه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم
فاثر الله عليهم للذي والساوى واعطوا من السورة ما هي قائمه لهم فينشوا الناس منهم فيكون
معهم على مقدار ههنا وسال موسى ربه ان يعيهم فاني بحرا يبيض من جبل الطور فكان اذا
ترادى به بعضاه فخرج منه اثنا عشر عيا الكلب منهم غير واحد من الله عليهم الغمام يظلم
في النيه ومات في النيه كل من دخله من جاوز عشر سنين غير يوسع بن نون وكالب بن يرفنا
ولم يدخل ارجا من قال انهم دخلوا ابا او اخلفوا في ان موسى مات في النيه مخرج منه فقيل
ان موسى وهارون ماتا في النيه جميعا قصه وفاة موسى وهارون عليها السلام فاما
هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى ان يتوف هارون
فات به جبل كذا وكذا افا نطق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا شجرة لم يبرمها واذا
بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رايحة طيبة فلما راي هارون ذلك البيت اعجبه
وقال يا موسى اني احب ان اقام على هذا السرير قال نعم قال اني اخاف ان ياتي رب هذا
البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكنيك رب هذا البيت فثم قال يا موسى فثم اتفق
فان جازي هذا البيت غضبه على عليك جميعا فلما انا ما اخذ هارون الموت فلما وجدته

قال يا موسى خذ عنتي فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السماء وهارون عليه و
الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هارون معه فقال بنو اسرائيل لموسى هارون
فقتله لجننا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افتروني قتل فلما اكبر واعليه قام
موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل ففتر السرير وعليه هارون ففتر الى الله وموئين
السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعد موسى وهارون الى الجبل
فمات هارون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وادوه فامر الله الملايكه فحملوه
حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملايكه بموته فصدقه بنو اسرائيل انه مات وبرا الله موسى
مما قالوه ثم ان الملايكه حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبر احد الا الرخم فحمله الله اضم
ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام فذكره الله
الموت واعطاه فاراد الله ان يحيل له الموت فبما يوسع بن نون كان موسى يغدو ويروح اليه
ويقول له يا نبي الله ما احببت اليك فيقول له يوسع يا نبي الله لم اصحبك كذا وكذا سنة
فهل كنت اسال عن شيء مما احببت اليك حتى تكون انت الذي تبدي به وتذكره في ولايته كوله
شيئا فلما راي موسى ذلك كره الحياة واحب الموت **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه منك فقعا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلني الى عبد
لا يرمد الموت فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما عطف
بيده من شعرة سنة قال اي ربه ثم ما اذ قال ثم الموت قال لا فاضل الله ان يدينه من الارض
المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لا ريتكم في ربه الى جانب
الطريق عند الكسب الا حرم في روايته لمسلم قال جامع الملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال
فلطم موسى عين ملك الموت فقعاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محي الدين النواوي
قال المازني قد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر بقصده قالوا كيف يجوز على موسى
فقا عين ملك الموت واجاب لعلماء عنه باجوبة احدها انه لا يستع ان يكون الله قد اذن لموسى
في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحا للملطوم والله يفعل في خلقه ما يشاء ويختم بما اراد
الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك الموت من عند الله وطم ان رجل قصده يريد نفسه قد افعة
عنها فافتت المدافعة الى فقي عينه لانه قصدها بالحق قال الشيخ وهذه اجواب لا تمام اي بكر
ان خزيمة وغيره من المتقدمين ولخاره المازني والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث بقرح
بانه قصده فقعا عينه فان قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فلو كان قد
اتاه في المرة الثانية بعلاقة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى والله اعلم واما
سؤال موسى الا دنا من الارض المقدسة فلهذا فضلها وفضل من لها من المذ فويني من الانبياء
وغيرهم وفيه دليل على استجاب الله في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والعربين

مدا في القتال حتى قال بعض العلماء وانا سال موسى اذنا ولم يسال بعض بيت المقدس ولا تخاف
ان يكون قبره مشهورا عند ربهم فيقتلوه الناس وانه اعلم قال ذهب من منه حجج موسى ليعنى
حاجته في ربه من الملايكة يحرقون قبره الميراثا فاحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنقر
والبحر فقال لهم ملايكة الله ان تحرقوا هذا القبر فقالوا العبد كرم على ربه فقال ان هذه العبد من الله
بمنزلة ما ربيته كما ليوم قط فقال الملايكة يا صني الله عبد يكون لك القدودت قالوا فانزلنا فاضطجع
فيه وتوجه الى ربك فتراد واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس سله تنفس فقبض الله
روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اناة بنفاحه من الجنة فقبضها فقبض
روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام
وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرائيل فاجتبرهم ان الله تعالى
قد امر بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه يوشع الى اريحا ومدينة الجبارين
ومعه ثابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع ففتحوا في
القرى وفتح الشعب شجرة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزمهم ومجئوا عليهم يقتلهم فكانت العصاة من بني اسرائيل يجمعون على عقوق الرجل
من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فقبضت منهم ثمانية وكادت
الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس ان في طاعة الله
وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف والقران يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول
السبت فرد الله عليه الشمس وزجيد في النهار ساعة حتى قتلهم جميعا وتبع ملوك الشام
فاستباح منهم احد وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل
وفرقت اعماله نواحيها وجمع الغنائم فجات النار كلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليأمنوا
من كل قبيلة رجل ففعلوا فلفقت يده رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاءوا براس ثور من ذهب
مكلا بالياقوت والجوهر قد غلده رجل منهم فجعله في القران معه فجات النار فاكلت الرجل
والقران وفي الحديث الصحيح ما يد على صخرة وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم غزاني من الانبياء فقال القوم لا يتبعني رجل ملك يضع امره وهو يريه ان
يبنى بها ولما يبنى بها ولا احد يبنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى عتقا او خلفات وهو
ينتظر لادها ففقر افرانا من القرية صلاة او قربان من ذلك فقال للشمس انك مامون وانا مامور
اللهم احبسها عليا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجات النار كلها فلم تطعمها فقال
ان فيكم غلولا فليأمنوا من كل قبيلة رجل ففعلت يده رجل بيده فقال ان فيكم الغلول فجاءوا براس
مثل راس ثور من الذهب فوضعها فجات النار فاكلتها زاد في رواية فلم تكل الغنائم لاحد قبلنا
فما حل الله لنا الغنائم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري وسلم شرح غريبه هذا

قوله لا يتبعني رجل ملك يضع امره البضع بضم الباء كناية عن فريخ المرأة ولما يبنى بها اي لم
يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها
على قال الشيخ محي الدين القاضى عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور منها قيل ردت
الى ارضها وقيل وقعت ولم ترد وقيل بطي حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قالوا وقال
ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
حبست له الشمس من ثلث ايام يوم الجمعة حين سفلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس
فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقاله وانه ثقاف والثانية صحيحة
ليلة الاسرا حين انظر العبد حين اخبر بوصفها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في
زيادته على سيرة ابن اسحاق وقال ذهب ثمانين سنة يوشع بن نون ودفن في جبل افرايم
وكان عمره مائة سنة وستة وعشرين سنة وكان تدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى
سبعًا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون
على مقدمته فسار اليهم من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى
واقام بها باسنا الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقوال لا اتفاق
العلماء الا على ما لا يخبر ان موسى عليه السلام هو قتل عوج بن عناق وهذا القول هو
اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم قال رب اني لا اهلك
الا نفسي واخي فقال الله عز وجل انما محزنة عليهم امر يعين سنة يتيهون في الارض فلما مضى
عليهم النبي ندم موسى واقام قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى
فمكثوا في البيت فلما خرجوا من دفع المني والسوى والبقول التي موسى وعوج قاتل موسى
في الساعرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طولها عشرة اذرع فاصاب كعب عوج
فقتله قال الطبري لو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في البيت لم يجزع بنو اسرائيل لانه
كان من اعظم الجبابرة وروي عن ثوب قال كان سراويل عوج ثمانية اذرع وقالوا ان اسفل العلم
باخبار الاولين مجمعون على ان يلعن بنو يعقوب اركان من اركان الجبابرة باله عا على موسى لانه كان يعلم
اسم الله الاعظم فدعا عليه موسى وسرد قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى وقوله
فلا تأس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخرج عن الطائفة وقيل لما ندم موسى
على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجاز ان يكون خطايا
لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يركبوا منهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل
واتل عليهم نبا ابني ادم بلقي يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني ادم وبما هابيل وقابيل في
قولهم والمفسر ونقل عن الحسن والحكم ان ابني ادم الذين قربا القران كانا ابني ادم لصليهما
وانما كانا جليلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه

من قبل ان يمتحنهم في الايمان فليعلموا ان الله تعالى لا يفتنهم الا بما يحبون ولا يفتنهم الا بما يحبون
فبعث الله عزرا نبيا في الايمان فالتفت اليه جميع بني اسرائيل فاجابهم قائلين نعم يا ربنا
بلحقوا اخبرهم خبرا ملبسا باحكي والصبر ولا تفر من عند الله وموافقا لما في الكتب المقدسة وهم يعلمون
صحته ومقصود هذه الاخبار هو تفتيح الحسد لان الشريك واهل الكتاب كانوا يحسدونهم ولهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم **اذ فرياقا فرياقا** الفرياق اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة
او نسك او غير ذلك مما يتقرب به ذكر قصة الفرياق وسبب وقصة قتل قابيل هابيل ذكر
اهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد لادم في كل بطن غلاما وبارية فكان جميع ما ولده
اربعين ولدا في عشر بطن اولهم قابيل وتوابعه اقلما واخبرهم عبد المغيث وتوابعه المغيث
ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولده وولده اربعين الفا وبلغوا
في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعد مبسطها الى الارض مائة سنة فولدت
قابيل وتوابعه اقلما في بطن هابيل وتوابعه ليود في بطن وقال محمد بن سحاق عن بعض اهل العلم
بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب خطيئة فحملت بقابيل واخوته
فلم تجد عليهم حجابا ولا وصفا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض
تغشاها فحملت هابيل وتوابعه فوجدت عليها الوحش والطير والدم وكان
ادم اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم تزوج ابنة
اخوته شاغرا غير توابعه التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نسا الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوته
هابيل فكان بينهما ستين فلما بلغوا امر ادم ان تزوج قابيل ليود اخا هابيل وزوج
هابيل اقلما اخا قابيل وكانت اقلما احسن من ليود اذ ذكر ادم ذلك لهما فزنى هابيل وخطا
قابيل وقال لي اخي وانا اخو بيا ونحن من اولاد ابنة ومما من اولاد الارض فقال ابو ادم انها
لا تحل لك فابى ان يقبل وقال ان الله لم يملك هذا وانا هو من رايك فقال لهما ادم قرا قرا يا
فايما تقبل قربانه فهو اخو بيا وكانا القريبان اذ كانت مبعولة نزلت من السماء ريشا
فاكلتها وان لم تكن مبعولة لم تنزل النار بل اكلها الطير والسباع فخرجوا من عند ادم ليعتق القريبان
وكان قابيل صاحب ريع فترقب صبرة من طعام ردي واضمر في نفسه ما ابا الى اتبعه مني ام لا
لا تزوج اخي احد غيري وكان هابيل صاحب عثم فهدى الى حسن كبش في غنمه فترقبه واصم
في نفسه رضي الله تعالى فوضعا قربانا على جبل فمرعا ادم فتركت النار من السماء فاكلت قربان
هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى **فقتل من احدهما** يعني هابيل **ولم يقتل من الاخر**
يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لحيته الى ان اتي ادم مكة لزيارة البيت
وعاب عنهم فاتي قابيل هابيل وهو في غنمه **قال لا تقتلك** قال هابيل ولم يقتلني قال قابيل
لان الله قيل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنزع اخي الحسن وانك اخاك الذميمة فيقتله الناس

انك خير مني ونفخر ولدك علي ولدي فقال هابيل وما ذني **انا يتقبل الله من المتقين** يعني ان
حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلهذا كان احدا من الرباين يقولون لا دون الاخر لان التقوى
من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاجبه على تقبل قربانه وتوعد به بالقتل قال
انما اوتيت من قبل نفسك لا تسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجاب جواب
مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطا ما للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فانه تعالى بين النبي صلى الله عليه
وسلم انه انما لم يقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبرا
عن هابيل **فمن بسطت الي يديك** يعني ان يمد يديك الى **القتل** **انا بسطت يدي اليك لاقتلك**
يعني يا اخا بسطت يدي اليك استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمنته يدك بالقتل وذلك ان
الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نكاح فلما اوقاها هذا كان كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل
رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه خرج عن قتل اخيه
فاستسلم له خوفا من الله وذلك قوله **اني اخاف الله** **رب العالمين** والمعنى اني اخاف الله بسط يدي
اليك بسطتها لقتلك انما يقضي على ذلك قوله عز وجل اخبرا عن هابيل **اني اريد ان تبوءا بي واني اريد ان تبوءا بي**
يعني ترجع باثم قتلتي الى ثم معا صيكا التي علمتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد وارادة
القتل والمعصية من الغير لا يجوز قلت اجابه ان لا يبارى عن هذه ابان قال ان قابيل قال لاجبه
هابيل لاقتلك وعظه هابيل وذكر الله واستغفنه وقال ان بسطت يدي اليك الاية فلم يرجع
فلما راه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرمي بها قال له هابيل عتد ذلك اني اريد ان
تبوءا بي واني اريد ان تبوءا بي اياك فقلت اني لا بقتل اياك فقلت اني اريد ان تبوءا بي اياك فقلت اني
قلتني فكان هذا عدلا من هابيل والى هذا السار الزجاج فقال معناه ان قتلتي فانا مريدك
فهذه الارادة من بسطت ان يكون قاتلا له والانسان اذا ائتمى ان يكون اثم دعه على قاتله لم يعلم على
ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوءا بي واني اريد ان تبوءا بي فحذف المضاف من
بابا ثم باعقاب ذلك الاثم ذكره الواحد وقال الزحري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه
لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للتوب فكانه صار
مريدا للقتل مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة **فكون من اصحاب النار** يعني الملازمين لها **وذلك اجر الظالمين**
يعني جهنم جزا من قتل اخاه فلما قال **فطوعت له نفسه قتل اخيه** يعني زينت له وتلذذت له
القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارا فاعل القتل فلما
يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فقله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى
فطوعت له نفسه قتل اخيه **فقتله** قال ابن جريح لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله
فتمثل له ابليس وقال خذ طيرا فوضع امره على حجر ثم رماه بحجر اخر وقابيل نظره فاعلم القتل
فرمى قابيل بلسان هابيل في حجر من هو مستسلم صلبه وقيل بل اغتاله وهو يام فقتله واختلف

في موضع قتله فقال ابن عباس علي جبل نود وقيل على عقبة جرد وقيل بالبصرة عند مسجد
الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى **فاصبح من الخاسرين** قال ابن عباس
خسر نياه واخرته اقام نياه فاسخط والده وبقي بلاخ واما اخرته فاسخط به وصار
الى النار عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل نفس ظلمتا
الا كان علي ابن ادم الاول كحل من دمه لانه اول من سب القتل قوله عز وجل **فبعث الله نوحا**
في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال اصحابنا لا خيار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعرس
ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني ادم على الارض فقصد السباع لتاكله فحمل قابيل
على ظهره في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح واخر فاما الله ان يرى
قابيل سنة في موتى بني ادم في الارض فبعث الله عزرا بن قار قاتلا فقتل احدهما الاخر فخرله
بمنقاره ورجليه حنيفة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى
فبعث الله عزرا بن قار في الارض يعني يجرها ويثير ترابها ليريه كيف يواري سوءة اخيه
يعني ليرى الله اول يرى الغراب قابيل كيف يواري ويستر حنيفة اخيه فلما راي ذلك قابيل
من فعل الغراب **قال يا ويلك اي الزمه الويل وحضره** وهي كلمة تحضر تلهف وتستعمل عند وقوع
الدهية العظيمة وذلك انه لما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب
علم ان الغراب يعلم سوءه اكثر علم الله وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جملته وقلة علم معرفته
فغند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتي وفيه اعتراف على نفسه بالحقاق العذاب
اعجزت ان اكون مثل هذه الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي واري الغراب **لاخر فواري سوءة اخي**
يعني فاسترجعته وعورته عن الاعين **فاصبح من النادمين** يعني على عمله على ظهره مدة سنة
لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم يتفكر بقتله وسخط عليه ابواه واخوانه فدم لاجل
ذلك لاجل انه جنى جناية واقترعه ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه توبة وخوف ولسفان
من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن خطيب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت
الارض من عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الماء فاداه الله تعالى ابن اخوه
هابيل قال ما ادرى ما كنت عليه قريبا فقال الله تعالى ان دم اخيك لينا ديتي من الارض فلم تلت اخاك
قال فاني ندمت ان قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابد او يروي
عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم مكة فاستاك الشجر وتغيرت لاطعه وجمعت
الفواكه واعترت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاني الهنت فوجد قابيل قد قتل
هابيل وقيل لما رجع ادم الى قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه ولا فقال لا قتلته ولذلك
اسود وجهه وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يفصحك وانه رثاه بشعر فقال
تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح للملح كل ذي طعم ولون وقل بياضة الوجه البصيح

ويروي عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبيا
كلهم في الذي عن الشعر سوا ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وموسى باي قالا ادم مرشيت قال
ليس يا بني انت وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل يتعلل حتى وصل الى
يعرب بن حطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربيت وكان يقول الشعر
فتطيرت المربية فرد المقدم الى الموحز والموحز الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ايات منها
ومما لا اجد بسكب مع وهابيل قصته الصريح ارى طول الحياة على غما فعل انا من حياتي
مستريح قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كاذب بحت واما الشعر الاول منقول من
وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام في الدين الرازي لقد صدق
صاحب الكتاب فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الكرامة لا يليق الا بالحق من المعاني فكيف يثبت
الى من جعل الله عليه حجة على الملائكة قال اصحابنا لا خيار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثين سنة
وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواشيتا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من
هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه
خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقتل لما ذهب طريدا ففرغا
مرعوبا لاثمن من رثاه فاخذ بيده اخيه اقيما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاته ابليس
وقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يبعدها فانصبت نار اكلت النار ولعلتك فباتت
النار نواول من عبد النار وكان قابيل لا يرميه احد الا رماء بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعني ومعه ابنه
فقال ابن الاعمي لابي هذابول قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمي لابي قتلته ياك قابيل
فرمى الاعمي يده ولطم راسه فمات فقال الاعمي بل لي قتلته لي برميته وقتلت ابني بلطتي فلما
مات قابيل عثلت احدى رجليه بنجده وعلق لها فمعلق بها الى يوم القيمة ووجد الى الشمس
حيث دانت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من تلح في الشتاء فهو يعذب بذلك
الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل الاثلاث المهر من الطبول والزمور والعباد والطباير
وانهم كانوا في الله وشربا بخمر وعبادة النار والقوا حشر حتى عرفهم الله تعالى جميعا بالطوفان
في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسبه الى يوم
القيمة قوله تعالى **من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الخاتمة
يقال اجل عليهم شر اي جنا عليهم شر **اكتبنا** اي فرضنا و**اجتنا على بني اسرائيل** فان قتلته من
اجل ذلك معناه من اجل ما من قصته قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل
لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب انقضاء بني اسرائيل قتلته قال
بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل
انه قتل هابيل ولم يواره ويروي عن افع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله غما

جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية شرح غريب
هذه الحديث وحكمه قولهم اننا كنا اهل ضرع يعني اهل ماضية وبادية نعيش بالدين ولما
من اهل المدينة والريف من الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارباب قوله استخرجوا المدينة
يعني اهلها لم توافقهم وكذا قوله فاجتروا المدينة وهو في معناه والزرع من الابل ما بين
الثلاثة الى العشرة والحرمة هي ارض ذات حجارة سود وبها اسم الارض بظاهر المدينة مروي
وقوله فمروا عينهم معناه انه حرم مساكنهم وكل ما فيها اعيانهم حتى ذهب بصرها وقوله
ومني عن الشاة المسلة ان يقطع اطراف الحيوان ويشوه خلقته ومثله القتل ان يقطع انفه
واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فيقتل مومن من مومن حتى لا يذبح
صلى الله عليه وسلم عن المسلة وقيل حكمه ثابت غير المسلم والمثله وقيل ان هذه الآية ناسخة
لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحمهم وقيل كان ذلك قبل ان يزل الحدود فلما تزلت الحدود
وجيل لاخذها والعلم بقتلها وقيل تزلت هذه الآية معاتبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى اما جزا الذين يحاربون الله
ورسوله واعلم ان المحاربة به غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين هم
المخالفون لغيره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حربا فيكون المعنى مخالفتي
الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني معناه يحاربون الله واوليائه رسول الله فهو من باب
حذف المصناف **ويستحقون في الارض فسادا** يعني عمل السلاح والمزج على الناس وقتل النفس واخذ
الاموال وقطع الطرق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذه الملة فقال قوم هم
الذين يقطعون الطرق ويحلقون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث
ابن سعد والسافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق
هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى **ان يقتلوا ويصلبوا**
او تقطع ايديهم واجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وللعلماء في لفظة او المدة كونه في هذه الآية
قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب
والتميمي ومجاهد وموان الامام مخير في امر المحاربين فاني شاقل وان شاقص وان شاقص وان
سافعي من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية
الثانية عن ابن عباس مروي قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فتسبب هذه العقوبة على
ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا
وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال لم يقتلوا وقطعت ايديهم
واجلهم من خلاف واذا اخافوا السيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا المال لا تنفوا من الارض وهذا قول
قنادة والاوزاعي والسافعي واصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصليب فيقتل بصلب جبان ثم يلحق

في بطنه برمح حتى يموت قال السافعي يقتل اولاد ويصلب عليه ثم يصلب انما يجمع بين القتل والصليب
اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق فيمر الناس ليكون ذلك نذرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه
المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المدة كونه في الآية فقتل ان الامام يطالبهم في كل بلد وجدة
نواحيه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطالبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن
عباس والليث السافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان
المحبوس لا يرى احد من اجهائه ولا يستفح ببلد الله الدنيا وطيبها فانما نفي من الارض في الحقيقة
الامن تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب ول من جلس في السجن يعني
من هذه الآية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انقه الى بلد اخر فيؤذيهم ثم قال تعالى **ذلك**
يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود **يعني للمحاربين خزي في الدنيا** اي عذاب وموان وقضخنة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين تزلت الآية فيهم فاما من اخرج حكم
الآية على المحاربين من المسلمين فينبغي العذاب لعظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته
في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان ساعدته بجنايته
ثم يدخل الجنة وان شاعنا عنه وادخله الجنة هذه مدة سبيل سنة وقوله تعالى **الا الذين**
تابوا من قبل ان يقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم وجرهم من الله ورسوله ومن السعي في الارض
بالفساد من قبل ان يقدروا عليهم يعني فلا يسبل لكم بشي من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة
فاعلموا ان الله غفور يعني لمن تاب عن الشرك **رحيم** يعني به اذا جمع عما يستخط الله عز وجل وهذا قول
معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستسناة المشرك المحارب الذي اصاب قبل الفداء عليه
سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية وانه لا يطالب بشي مما اصاب
من مال او دم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة للكفار راحة من الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم
ليكون ذلك داء اعيانهم الى الدخول في الاسلام فمما احكم المشرك المحارب اذا امن واصبح وكذلك
لو امن بعد الفداء عليه لم يطالب بشي بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستامن قبل الفداء
عليه فقال السدي هو الكافر اذا امن لم يطالب بشي الا اذا اصابه عنده مال بعينه فانه يرد
على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي وروى ان مالك قال يؤخذ بالدم اذا طالب به ولبه
فاما ما اصاب من الدماء والاموال ولم يطالبها اولياؤها فلا يبتعها لاما لم يشي من ذلك وهذا
حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب من قبل ان يقد عليه فامنه
عليه على نفسه وكذا لجارجل من ادى الى موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان
بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذه مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المراد في
حارثة بن زيد وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقد علي فقام
ابو موسى وقال هذا فلان المراد وانه كان قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه

قد تاب من قبل ان يغدر عليه فلا يتضرر له احد الا يخبر وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته
قبل القدر عليه حدسه ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني ادم من قضاير ومظالم في مال
او غيره واما اذا تاب بعد القدر عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود
قال الشافعي فيحمل ان يسقط كل حدسه عز وجل يا توبته قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله**
اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما
يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكليف محصورة في نوعين لثالثهما احد النوعين ترك
المنهيات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فصلة من وصل اليها اذا اتقى
اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لم اليك وسيلة اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تحبوا
الى الله عز وجل **وجاهدوا في سبيله** اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغوا اليه صيانة **لعلكم تفلحون**
يعني لكي تسعدوا وبالخلاص في ختمه لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكره والقوم بكل
محبوب قوله عز وجل **الذين كفروا والذين كفروا في الارض جميعا ومثلهم عظيم واهب من عذاب**
يوم القيامة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا وادنيا اخرى مثلها مع ما ثم في نفسه
من العذاب يوم القيمة لم يقبل منه ذلك القدر **ولم عذابا لهم** والمقصود من هذا ان العذاب لا يزوم
للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه **ق** عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لا هو ن اهل النار عذابا لو كانت تلك الدنيا كلها اكنتم مقتدرين
بها فيقول نعم فيقول امرت منكم ابسر من هذا وانت في صليك ما را لا تشرك بي ولا ادخلت
النار وادخلت الجنة فابيت لا الشرك هذا القطع مسلم وفي رواية البخاري قال عيا بالكا في يوم
القيمة فيقتله ارايت لو كان لك من الارض ذهب اكنتم تقدر به فيقول نعم فيقال له لقد كنت
سئلت ما هو اسير من ذلك ان لا تشرك بي **ريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها** في جهنم
احدها انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبون منه ولكن لا يستطيعون ذلك قبل اذ احلهم لمحب
النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدر الله عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار
بقولهم **ولم عذاب عظيم** يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل اليه قوله عز وجل
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن السائب زلت في طعة بن ابيرق وقد مضت فمضته
في سورة النساء واما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه لستق السمع
مستخفيا والسارق هنام فوج بالابتداء لانه لم يقصد واحد ابعينه انما هو كقولك من سرق
فاقطع يده والمراد باليد المدة كونه في الالة اليمين قاله الحسن والسعي والسدي وكذا لك سورة
عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايديهم وانما قال ايديهم ولم يقل يديها لانه اراد يمينيه من هذا ايدينا
من هذه فجمع لانه ليس للانسان اليمين واحدة وكل شيء من موجد من اعضا الانسان اذ كرم صافا
الى اثنين فضا عدا اجمع والراد باليد هنا الجارحة وحدها عندهم هو اهل اللغة من ذوال الاصابع

الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى **جزاها كسبا** يعني ذلك القطع جزا على
فعلهم **نكالا من الله** يعني عقوبة من الله **والله عز وجل** يعني في انتقامه من عصاه **حكيم** يعني فيما اوجبه
من قطع يدا السارق فقتل في بيان حكم الآية وفيه مسأيل المسئلة الاولى اقتضت هذه وجوب
القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة **ق** عن عائشة ان قرئنا اهرام
شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قالوا ومن يجترئ عليه
الا اسامة بن زيد رجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكله اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تشفع في حد من حد ود الله ثم قام فاخطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم اهلهم
كانوا اذا سرق فيهم السرقة تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قاموا عليه كره وايم الله لو ان
فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت اني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
سارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلى به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النساء
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق سارقا يبرق البسطة فمقطعه يده
ويسرق الجبل فمقطعه يده قال الاعشى يرونه بيض الحديده وان من الجبال ما يساوي دراهم ارجة
البحاري ولم اما السارق الذي يحبس عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتجريم السرقة فلو كان
حديث عمده بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة الثانية اختلف العلماء
في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب كثير العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او ربع
منا عا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعثمان وعلي بن ابي طالب وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي
والشافعي ويده عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يدا السارق
الا في ربع دينار فصاعدا اخرجه في الصحيحين وذهب مالك واحمد والشافعي الى انه ثلاثة دراهم
او قيمتها لما روى عن عمر بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مخرج قيمته ثلاثة دراهم اخرجه
الجماعة المحدثون ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي يقطع به اليه خمسة دراهم وبه قال ابن
ابى ليلى لما روى عن انس قال قطع ابوبكر في مخرج قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى صح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار
او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روى
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطع في مخرج قيمته دينار او عشرة دراهم
اخرجه ابو داود واذ اسرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من
الكوع ولا يجزى لقطع بسرقته ما وز النصاب وقال ابن عباس في الزبير والحسن القدر غير
معتبر فيجب لقطع في القليل والكثير وكذا المز غير معتبر ايضا عندهم فاليه ذهب ابو داود
الطحايري واحتجوا به يوم الالة فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول
القليل والكثير وسواء سرقة من حرز او غير حرز المسئلة الثالثة الحرز هو ما جعل للسكنى

وحفظ الاموال كالدور والمضارب والنجيم التي تسكنها الناس ويحفظون امنهم فيها
فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسوا سرق من ذلك وهو مفتوح الباب ومغلق
فاما ما كان في غيرنا ولا خبته فانه ليس بحرزا لان يكون عنده من يحفظه واما بنات القبور
فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والنوري والاوزاعي وابو حنيفة
لا قطع عليه وان سرق شيئا من غير حرز كمن يستاق لاحارسل او حيوان في بربه ولا راعي له
او متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمر بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر للعاق فقال من اصاب بغيره من ذي حاجة غير متخذ خبثه
فلا شيء عليه خرجه الترمذي وابوداود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة
مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد ان يورثه الحرز فيبلغ ثم المحجتي عليه فعليه القطع
ومن سرق وزاد ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة قوله غير متخذ خبثه بلحا المجهه وبعد
بامو حدة من تحت ثم نور وهو ما يجعله الانسان في حصنه وقيل هو ما ياخره في خبثه ثوبه
وهو ذيله او سفله والحرز موضع الثمر الذي يحفظ فيه مثل البيدر المحنطة وروى مالك في
الموطا عن ابن ابي حنيفة المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر مغلق ولا في حريسة
الجبل فاذا اواه المراح والجورن فالقطع فما بلغ من المحجتي هكذا رواه مالك منقطعاً وهو رواية
من حديث عبد الله بن عمر المتقدم فان هذه الرواية عن ابن ابي حنيفة عن عمر بن شعيب عن ابي عزيه
وجهه هو عبد الله بن عمر بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلم من يحمل الحريسة السرقه
نفسه بايقا لحرز من حريسة اذ اسرق ومنهم من يجعلها الحريسة ومعنى الحديث انه ليس فيما حرس
في الجبل اذ اسرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يديرها الليل قبل ان تنقل
الى ماواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تاروا اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على خاين ولا متهم ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي المسيلة الرابعة
اذ اسرق طالا له فيه شبهة كالوله يسرق من مال والده او والديه يسرق من مال ابنته او العبد يسرق
من مال سيده او السربك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد من هؤلاء في المسئلة الخامسة اذا
سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واذا
فيها اذ اسرق مرة ثالثة قد سبأ كثرتم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله
اليمنى ثم اذ اسرق بعد ذلك يعزله ويحبس حتى تظهر ثوبته يروي هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه
قال مالك والشافعي لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطع
يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي غير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت
يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس روى عن علي انه قال لا في استحي لا ادع له يد استحي بها
ولا جلايشي لها وهذا قول الشعبي والشافعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحابنا لراي قوله تعالى **فان تاب**

من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقه **واصلح** يعني واصلاح العمل في المستقبل **فان استيب**
عليه يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه **ان الله غفور** يعني لمن تاب **حرم** به نفسا وهذه التوبة
مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء لان الحد جزا
على الجنابة ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبة الذم على ما مضى والغرم على تركه في المستقبل
عن ابي امية الخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اني يلبس قد اعترف اذ اعترف ولم يوجد معه متاع
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخطاك سرفت قال بلي فاعاد عليه مرتين او ثلاثا لاكل ذلك
يعترف فامر به فقطع ثم جرى به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليا خرجه ابوداود
والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال
النوري واصحابنا لراي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده على صاحبه وقطع
يده لان القطع حق الله والغرم حق الادعي فلا يمنع احد مما بالآخر والله اعلم قوله عز وجل **الم نعلم**
ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللارابه جميع الناس وقيل بمعناه
الم نعلم ايها الناس فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر
امرنا في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيها وما لك لا يمنع عليه شي مما اراده فيها لان ذلك
كله في ملكه واليه امره **يعذب من يشاء** ويقدر **من يشاء** قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويقدر من
يشاء الكبير وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويقدر
لن يشاءتهم بالتوبة عليه فينتقم من الهلكة والعذاب وانما قدم الله تعذيبه على المغفرة لانه في مقابلة
قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فافتحه للعدوية والمغزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع
ووجوب العذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضتان الى المشيئة والوجوب
ينافي ذلك وجواب خروجه اني اخبر ان الله ملك السموات والارض والمالك له ان يصرف في
ملكه كيف شاو اراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى
قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسفاده واستغاده من الملكة
من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى **يا ايها الرسول** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو خطاب تشريفي وتكريمي وتعليمي وقد خاطبه الله تعالى عز وجل يا ايها النبي في مواضع كثيرة
من كتابه وبيها الرسول في مواضع من هذا وما والاخر قوله تعالى **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك**
من ربك وقوله **لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يعني لا تمنم بوالاة الكفار ولا بتبائهم فان ما شرك
عليهم وكافيك منهم **من الذين قالوا انما بافواهم ولم يؤمن بقلوبهم** يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان
بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين **ومن الذين هادوا** اي وطائفة من اليهود قال الزجاج هذا
يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله **ومن الذين هادوا** واسم ابتدء الكلام بقوله **سماعون للكذب**

ويكون قد ير الكلام لا يجوز لك الذين ليسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف
الكل يكونهم ساعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام ثم عنده قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابنته فقال
تعالى من الذين هادوا وسماعون للكذب ومن الذين هادوا وقوم ساعون للكذب والمعنى انهم
قابلون للكذب ليسمعوا الكذب من رؤسائهم ويقتلون منهم والسبع يستعمل والمراد منه القبول
كما يقال لا تسع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه ساعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا
يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون عن عهده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا
ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى **ساعون** يعني يفرق بينه وبينهم جواسيس وعيون **للقوم** **اخرين**
وهم اهل خيبر لم ياتوا يعني اهل خيبر لم ياتوا ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر القصة في ذلك
قال علماء التفسير ان رجلا وامراة من اشرف يهود خيبر زنيا وكانا محضين وكانهما ارحم عندهم
في حكم التوراة فكرهت اليهود رجما لهما لما افعلوا ان هذه الرجل يسيرون يعنون محمد صلى الله
عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم من قريظة فاتفقوا انهم جيرانه وصلح
معه فليسألوه عن ذلك ففعلوا به ما فعلوا به مستخفين وقالوا لهم اسلموا محمد عن الزانية اذ الحصا
ما حدهما فان لم يكره يبلدهما فاقبلوا منه وان اكره بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم
الزانية فقدم الرمي حتى تزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل
ومعه في بلد مو قد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنجبان
لسألوه لنا عن قضايه في ذلك فقالت لهم يتوا قريظة والنضير اذ او اسياكم كبريا تكمهون
ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصبيح
وكانت بن الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانية والزانية
اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترزق بقضاي قالوا نعم فترجل جبريل عليه السلام
باية الرجم فاخبرهم به ذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل
بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه لم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون سبا امرد
ابيض اعور ليكن ذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاني رجل موفيك فقالوا نعم اعلم يهودي
يقع على وجه الارض يا انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء
قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي قال كذلك يقولون
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود يجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينصرون يا شدة بك يا الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخر حكم من مصدر
وفلق البحر واخراكم واخر قال فرعون بالذي ظلم عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل
عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحض فقال ابن صوريا اللهم نعم
والذي ذكرتيه لولا حسنة ان ينزل علينا العذاب لكذب او غيرت ما اعترفت لانا ولكن كيف ياتي

في كتابكم يا محمد قالوا لا شهداء بيننا من هراطعد ولانه ادخله فيها كما يدخل الميل في المحلاة وجب
عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا
اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف قمنا عليه لحد فذكر الزنا في سفرنا حتى زنا
ابن عم ملك لنا فلم نرجمه فزنا رجل اخر في اسيرة من قومه فامر د الملك رجمه فقام قومه دونه
وقالوا والله لا نرجمه حتى ترجم فلانا لان عمر الملك فقلنا نعالوا فنجتمع فلنضع شيئا دون
الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعا الجلد والتخيم وهو ان يجلد اربع جلدات بجمل
مطلي بقارص ثم تسود وجوهها ثم يحمل على حمارين وجوهها من قبل بر الحمار ويطاف بهما
فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا يا اسرع ما اخبرت به وما كنت لنا
انينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا وكهنا ان نقتابك فقال لهم ابن صوريا ان قد شهد في
بالتوراة ولولا حسنة ان ينزل علينا العذاب ما اخبرناكم ان النبي صلى الله عليه وسلم بهما فزنا
عند باب المسجده فقال اللهم اني اول من اجبا امرك اذ امانوه فانزل الله هذه الآية في عمر
قال اني اليهود جاءوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قالوا نقتحمهم ويجلدون
فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فانوا بالتوراة فتشروها فوضع احد يده على اية
الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا اية الرجم
فقال لصادق يا محمد فيها اية الرجم فانها النبي صلى الله عليه وسلم فزنا فقالوا لرجل ارحمني على
المرأة يقيمها الحجارة وفي رواية اخرى لما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل ينادي من اليهود قد زنيا
فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نقتحم وجوهها ونحرقهما قال فانوا بالتوراة فانلوها ان كنتم
صادقون في ما بها فقال الرجل من يرضون الاعور اقر اقر حتى انتهى الى موضع من موضع يده عليها
فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا اية الرجم تلوح فقال يا محمد ان في هذا الرجم ولكننا نكتمه بيننا
فامرهم اقرحوا فرائيه بجمل في رواية اخرى فزنا فامرهم اقرحوا فزنا فامرهم اقرحوا فزنا فامرهم اقرحوا فزنا
عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي مخم مجلود فدعاهم فقال هكذا اتخذون جد الزاني
في كتابكم قالوا نعم فدعاهم جلا من علمهم فقال انشدك يا الله الذي انزل التوراة على موسى هكذا اتخذون
حد الزاني في كتابكم قالوا لا ولولا انك نشدت في هذا لم اخبرك بحديث الرجم ولكنه كثر في اشراقنا
فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف قمنا عليه لحد فقلنا نعالوا فنجتمع على
شي نقيم على الشريف والوضيع فنجعلنا التخيم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اول من اجبا امرك اذ امانوه فامر به فزنا فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون الكفر الى قوله ان وتيتهم هذا فخذوه يقولوا يتوا محمد فان لم يكره بالتخيم والجلد فخذوه وان

افعالكم بالرحم فاحذروا فان الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في
الكفار كلها التحميم هو تشويد الوجه بالحميم وهو الحميم وقوله وما تجدون في التوراة حذرا في
قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لاثبات
باعتقاده في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في
ايديهم ولم يغيروه كما غيروا اشياء منها واخبروه بذلك من اسلم من اهل الكتاب وموعد الله من سلام
كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله تعالى **يجزفون الكلم**
يعني يغيرون حذره والله الذي اوجبه عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم
وقال الحسن انهم يغيرون كما يسمونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري
يجزفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة التامعني **من يعصوا الله** يعني من بعد ان وضع الله
موضعهم وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يجزفون الكلم
من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يجزفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما
فرق وذلك انا اذا فسرنا يجزفون الكلم عن مواضعه بالتاء يلائم الباطل فيكون معنى قوله يجزفون
الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التاء ويلائم الفاسدة لتلك المقصود وليس فيه بيان انهم يجزفون
تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يجزفون الكلم من بعد مواضعه فميدللة على انهم جعلوا بين
الامر وبين معنى انهم كانوا يذكرون التاء ويلائم الفاسدة وكانوا يجزفون اللفظة من الكتاب ففي بيان
قوله يجزفون الكلم عن مواضعه اشارته الى التاء ويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارته الى الخرجه
من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود **ان اتيتم هذا فخذوه** يعني ان اتيتم هذا فخذوه
والتحميم فاقبلوا منه **وان لم توفوا هذا فاحذروا** يعني وان لم توفوا هذا فاحذروا وان
تقبلوا **ومن يرد الله فنته** يعني كفره وضلالته **فلن تلك من الله** يعني فلن تقدر على دفع امر الله
خيرا **وليك الذل** لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه فلم يرد الله
ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله لم يرد اسلام الكافر وان لم يطهر قلبه من الشرك والشرك
ولو فقد ذلك لامن وهذه الآية من اشد الايات على القدرية **لم في الدنيا اخرى** يعني لما فتنوا اليهود
اما اخرى لما فتنوا الغضبىة وهما استارهم باظهار تفاقمهم وكبرهم واما اخرى اليهود فافادة
الجريه والقتل والسي والاحلام من ارض الحجاز الى غيرها **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** يعني للثلود
في النار لما فتنوا اليهود قوله عز وجل **سما عوز للكذب كالون للسحت** ترك في حكمهم اليهود مثل
كعب بن الاشرف ونظريه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشايم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدكم
برشوة جعلها في كفه ثم يراها ياها ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الخصة فيسمع الكذب وياكل
الرشوة وهي السحت كما اصل السحت الاستيصال يقال سحتت اذا استاصلته وسميت الرشوة في الحكم

سحتا لا يفتا صلا دين المرتضى والسحت كل حرام يحل عليه شدة الشر وهو يرجع الى الحرم الخسيس
الذي لا يكون له بركة ولا اخذه مرفعة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة
كذلك فلذلك حرم الرشوة على الحاكم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الرشي والمرتشي
في الحكم اخرجوه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال الحسن اخذ ذلك في الحكم اذا
رشيته ليعتقك باطلا او يبطل عندك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعته
ليؤد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهد اليه فقبل فهو سحت فقبله يا ابا عبد الله حرام ما كنا
ندري ذلك الا اخذ على الحكم فقال اخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل **فان جاءوك من اليهود فاحكم بينهم واعرض عنهم وان تعرض عنهم**
فليعرضوا شيئا اخبر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شأكم وان شأكم قال الحسن
ومجاهد السدي تركت في اليهود بين الذين يثابوا وقال قتادة تركت في رجلين من قريظة والنضير
قبل احدهما الاخر قال ابن زيد كان جدي بن اخطب قد جعل للنضير دينين وللقرظي دينه لانه
كان من بني النضير وقالت قريظة لا نرضى بحكم جدي ونحاكم الى محمد فارتل الله هذه بخير نبيه صلى
الله عليه وسلم في الحكم فقبل اخذ على التفسير في حكم هذه الآية على قولي احدهما انها منسوخة
وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان يحير فان شأكم بينهم
وان شأكم عرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلنرجع الحكم ونراك
التخير وهذا القول روي عن ابن عباس وعطاء بن جاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني
انها محكمة وحكام المسلمين يلجأوا اذا ترفعوا اليهم ان شأوا احكم بينهم وان شأوا عرض عنهم
وهذا القول روي عن الحسن والشعبى والتخمي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين لا يثيب
اما قوله فاحكم بينهم او عرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم
بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا احكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي وهو مذهب
الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا احتاكم اليه لان في اعضا
حكم الاسلام صفارا المعاهد وان الذين هم مع المسلمين عند الامة فليسوا واجب
على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الآية مخصوص بالمعاهدة
واما اذا احتاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم ان يفتي
الحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** يعني بالعدل والاحتياط
ان الله يحب المقسطين يعني العادلين فيما ولو اوحوا فيه **م** عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن النبي الحزم وكلما يدبر بين
الذين يعدلون في حكمهم واهليهم ومما ولو اوهدها من احاديث الصفات في العلم ان قال فيه وفي
امثاله فمنها ولا تتكلم في قاييلها ولا تفرق معناها لكن تفقه ان ظاهرها غير مراد وانها معني

يليق باسمه هذا مذهب جماعة السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول
يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن النبي للحالة الحسنة
والمرتبة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى النبي وهذه الى اليسار قالوا
والنبي ما اخذته من النبي وقوله وكلنا يدعيه بين يمين علي انه ليس المراد بالدين الجارحه تعالى الله
عن ذلك فانها مستحيلة في حق سبحانه وتعالى وقوله وما اولوا بفخ الوأوصم اللام المحففة
هكذا ذكره الشيخ يحيى الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفصل
لمن عدل في نقله من الاحكام واسم الله تعالى **وكيف يحكمونك** وعندهم التوراة هذا تعجب من
الله تعالى بالنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حكمهم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركم بقوله لك
الحكم مع اعتقادهم محبة وديارهم الى حكم من يجدون في نصوصه طلبا للخصلة لا جرم ان الله اظهر
جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين شرعا وضوا عن حكمه وفي هذه
الاية تعريض لليهود والمعنى وكيف يحكمونك حكما بينهم فيرون حكمك وعندهم التوراة
فيما حكم الله يعني الرجم الذي تكلموا اليك من اجله **فترى قولهم** يعني تفرع من قولهم
المواقف في كتابهم **وما اوليك** يعني اليهود **بالموقف** يعني بكما هم كما يزعجون فيقول معناه وما اوليك
بالمصدر في قولهم عز وجل **انا انزلنا التوراة فيها مبادئ ونور** سببت نزول هذه الاية استقنا اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانها والهدى هو البيان لان التوراة مبينة
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للبهات الموضع للسلامة
والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول
على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد **يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا** والادباء النبيين
الذين يعترفوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب
انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا الى انقاد والامر به والعمل بكما به وهذا على سبيل
المدح لهم وفيه تعريض لليهود لانهم بعد اعترافهم بالاسلام الذي يهودون الانبياء عليهم السلام وقال الحسن
والزهرى وعكرمة وقتادة والسدي يحتل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا محمد صلى الله عليه وسلم
وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على
اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن ابي نباري هذا من دعوى اليهود والنصارى لان
الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين الله مقتادين لآمره
ونهيهم للذين هادوا ويعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم وبحكمهم على احكامها كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكمهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم موافقهم على ارادته الجليد
وقال الزجاج وجاز ان يكون المعنى على التقدير والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونورا
لله في هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا **والرأيون** الاحبار اما الرأيون فتقدم تفسيره في سورة

العران اما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحدة خبر يفتح الحاء
وكسرها لغتان وقال الفرغاني انما من خبر بكر الحارثي انا سمي به مكان الخبر الذي يكتب به وذلك لان
صاحب كتاب وقال ابو عبيد انما هو خبر يفتح الحاء والخبر العالم لما سمي من ان علمونه في قلوبنا من
واقف اللطيفة التي يعتد بها وجمعة اخبار ومنه كيب الاحبار وقيل الخبر الافر المستحسن ومنه
الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب جبر وسيره اي حاله ونها وموانا سمي العالم خبر لما عليه
من اشراف العلم وهل فرق بين الرأيين والاحبار ام لا وفيه خلاف فقيل لا فرق والرأيانيون
والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الرأيون اعلام جهة من الاحبار لان الله قد مرهم
في الذكر على الاحبار وقيل الرأيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الرأيون
علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى لاية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها
الرأيون والاحبار وقوله تعالى **استحفظوا من كتاب الله** يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل
هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوا ولا يصنعوا احكامه وشرائعه وقد
اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من دون الجهل في هذا وان يحفظوا كتابه في صدورهم
ويدينون به بالسنة لئلا ينسوه وان لا يصنعوا احكامه ولا يهلوا شرائعه فاذا افعلوا ذلك كانوا
قائمين بحفظه **وكان في علمه شهد** يعني ان هؤلاء النبيين والرأيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله
ويعلمون انهم حق وصدق وان من عند الله فلا تخشوا الناس **واخشون** هذا خطاب للحكام اليهود الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احد من الناس في اظهار رخصة محمد صلى الله عليه
وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كل ذلك **ولا تشعروا اني انا انا انا انا** يعني لا تشعروا لو ايات
الله واحكامه ثنائيا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والحج والاعمال في هذا من المعنى كما هيتمكم
عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذا قالوا لكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والمجاهرة
الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون** يعني ان اليهود لما انكروا
حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فمضوا كافرين وعلى الاطلاق موسى
والتوراة ومحمد والقرآن واختلف العلماء في ثلث هذه الايات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الايات تزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم
وان ارتكب جريمة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والصحاحان واية اخرى في قوله
ما روى عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار
كلها اخرج مسلم وعنه ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون
هذه الثلاث ايات في اليهود خاصة فربطها والتفسير اخرج اليهود اود وقال مجاهد في هذه الايات

الثلاث من ترك الحكم بما امر الله من الكتاب سنة فهو كافر وظالم وفاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما
انزل الله جاحدا به فحكمه كفر ومن قوته ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس وايضا واختيار
الزجاج لانه قال من ترك من احكام الله التي لم ينزلها على الانبياء باطل فهو كافر وقال طائفة ومثلت
لا بن عباس كافر من لم يحكم بما انزل الله فقال بكفر وليس بكفر يقتل على الله كمن كفر بالله وما لا يملكه وكفته
ورده واليوم الآخر وهو هذا اما روي عن عطاء قال هو كافر ومن كفر وقال ابن مسعود واخصم للخصم
هذه الايات الثلاث غلبة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتكب من هذه الحكم حكم بغير حكم الله
فقد كفر وظلم وقبض واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا الفهم علم نص حكم الله
نعمهم معيانا على حكم بغير ما امرنا من حكم على النفس واخطا في التاويل ولا يخرجه هذا الوعيد
والله اعلم بمراده قوله تعالى **وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس** يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة
ان يقتلوا النفس بالقتل وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى احكم في التوراة ان على الرائي الحصان
الرجم واخبر ان اليهود بدلوه بغيره واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس بالنفس ولنهو اليهود
غير ولعه الحكم وبه لونه ففعلوا بنى الضمير على معنى قرينة فكان بنوا الضمير اذ اقتلوا من
قرينة اذ واليهم بقتل لونه واذا اقتلوا قرينة من بنى الضمير اذ واليهم لانه كاملة فغيروا
حكم الله الذي امره في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس **والعين**
بالعين والالفة بالالفة والاذن بالاذن والن بالسن والجرح قصاص قال القاسم بن الجهم فيقولون
القتيل بالنفس فيقتل العينية والعين بمعنى الالفة ان النفس تقتل بالنفس تقتل بمذاقها والالفة
ومن هذا المشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقتل مسلم بكافر ولا حديثا اخر جاء في الصحيحين وقوله تعالى **والعين بالعين حتى تقتلها والالفة**
بالالفة يعني يخرج بنو الاذن بالاذن يعني يقطع لها والسن بالسن يعني يقطع لها واتاساير
الاطراف والاعضا فيجرح فيها القصاص كذا قوله تعالى والجرح قصاص يعني فيما يمكن ان يقتل
منه وهذه التميم بعد التخصيص لانه تعالى ذكر النفس والعين والالفة والاذن فخص هذه
الاربعة بالالفة كذا قوله تعالى والجرح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتل منه كاليد والرجل
والاذن والانيب وغيرها واسما لا يمكن القصاص فيه كرمس فيحرق او كسر فيعظم او جرح في البطن
يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيها الارشط حكومية واعلم ان هذه الالفة على هذه الحكم
كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا لم نزلنا الا ما نزل من قبلنا من قبلنا من قبلنا
ومن انكره قال القائل يستحججه علينا وامر هذه السبيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وامر بعد البعثة
هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء فيقتل على اصحابه في حنيفته وبعض اصحاب المشافعي
وعن احمد في اخبر الراوي عن جده انه كان متعبدا بما صح من شرع من قبله بطريق الوحي اليه لامن
جبهة كتبه المبدلة وتقل اربابها واختار ابن الحاجب عن الشافعي عن هذا المذهب وهو انه صلى الله

عليه ولم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من احكامه الباقية قبل شريعة لكنه
لم يغير فيه الوحي وهو الحق والالفة من المذراع معني لا يترك احد كونه النبي صلى الله عليه وسلم كان
متعبدا بعد البعثة بما اوحى الله تعالى اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة
الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الامري من المتأخرين واجمع الاولون لصحة هذه من ان الاجماع
منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس لانه مع انه من شريعة من
تقدمه لانه ذكر في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدا ومن شريعة من قبلنا لما صح هذا
الاستدلال بقوله تعالى **فمن نضد به** يعني بالقصاص فلم يقتض من الحاشي **فهو كفارة له** في قوله تعالى
احد بما ان الحاشي له كفاية عن الجرح وولي القتل وذلك ان الجرح وولي القتل اذ القصاص بالقتل
كان ذلك كفارة له نوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب والحسن بن علي بن ابي نجر
عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصيب بسيف من جسده
فيقتل به الا رفعه الله به درجة وحط عنه خطيئة اخرجه الترمذي وعن النبي قال ما رايته
رسولا الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شيء فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود
والنسائي والقول الثاني ان التوراة في قوله له يعوذا الى الجراح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا
عن الجاني كان ذلك العفو كفارة له ذب الجاني لا يواخذه به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد
ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما جرح الحاشي فعلى الله تعالى قوله تعالى **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك**
هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل قوله تعالى **وقضينا على ابراهيم** يعني وقضينا
على ابراهيم والذين اسلموا **بعيسى ان يرمي مصدقا لما بين يديه من التوراة** يعني ان عيسى عليه السلام
كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها
فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها وابتداه **الاجيل فيه هدي** وهو يعني فيه
هدي من الجاهل والضمير على البصيرة **ومصدق لما بين يديه من التوراة** هذا ليس تكريرا الاول
لان في الاول اخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الاجيل
مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين لانه ليس تكرار **وهدي** ومعطية **للمتقين** انا قال
وسمي مرة اخرى لان الاجيل يتضمن البشارة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون سبيلا لاستدراك الناس
الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الاجيل معطية لما فيه من الواعظ البليغة والزواجر
والامثال ولما حصل المتقين بالذكراهم هم الذين يستغفرون المواعظ قوله تعالى **وليجزم اهل الاجيل**
بما انزل الله فيه قال اهل المعاني قوله وليجزم تجزم وحينئذ ان يكون المعنى وقلنا ليحكم الله
الاجيل فيكون هذا اخبارا عما في من عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تقرر الاجيل حذف
القول لان ما فيه من قوله وكتبنا وقضينا به عليهم وحذف القول كثيرا والوجه الثاني ان يكون قوله
وليجزم الله فيه انصارا ليحكم بما في كتابهم وهو الاجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز

برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قومك يرجعون
عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحكمهم ويحيونهم وذكر
صاحب الكشاف ان احدي عشرة فرقة من العرب تردت ثلاث فرقتين في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم بنو امية وبنو ميمونة والجار وموالا السود العبيس وكانوا هاهنا تنبوا باليمن واستولوا على
بلادهم واخرج عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاوية بن جندب
والي سادات اليمن فاملكه استغفار علي بن ابي طالب في بيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم المسلمون بقتله ليلته قتل فرس المسلمون به لئلا يفتنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القدر والقي
خير قتله في اربعين اول وبنوا حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب تنبوا وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض بفسقها الي وفسقها الي
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب ما بعد فان الارض بفسقها
يومها من نبيها من عباده والعاقبة للمتقين وسناتي قصته قتله فيما بعد وبنوا اسد وهم قوم
طليحة من خويلد تنبوا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاله بن الوليد فقاتله فانهم ربه
القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق
وهم فرقة قوم عيينة بن حصن الغزاري وغطفان قوم فرقة بن سلمة الغساني وبنو اسلم قوم
الغداة بن عبد ياليل وبنو اربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض يميم قوم سجاح بنت المذمر
المنشبية التي رجت نفسها من مسيلة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن
وايل قوم الحظم بن يزيد فكتب اليهم امهم علي بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة قارنت في
خلافة عمر بن الخطاب وهم عسان قوم جيلة بن الازهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى **فسوق ياتي**
الله بقوم يحكمهم ويحيونهم فقال علي بن ابي طالب والحسن قتادة هم ابو بكر الصديق واصحابه الذين
قاتلوا اهل الردة وما نفع الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض امرته عامه العرب كان قد
تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين بنو بني عبد القيس فانهم تنبوا على الاسلام
ونصر الله بهم الذين لم يأتوا من امة من العرب ومنعوا الزكاة فعم ابو بكر يقاتلهم وكره ذلك
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان قاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه واجته وحسابه
على الله فقال ابو بكر واسله قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال الله لومعوني
عناقا وقال علقالا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعها قال انس بن مالك
كرهت الصلاة قتالنا نفعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة قتلهم ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجد
بدا من الخروج على ربه قال انس مسعود كرهنا ذلك في الاصل ثم حمدناه عليه في الاصل وقال ابو بكر
ابن عباس سمعت ابا حنيفة يقول ما ولد بعد النبي من افضل من ابي بكر الصديق لانه قد قام مقام نبي من الانبياء

في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب والشراة
المعاق ونزل يابي بكر ما لوتزل بالرجال الراسيات لها منها وبعث ابو بكر الصديق خاله بن الوليد
في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلة الكذاب فاملك الله تعالى مسيلة
على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتل خير الناس في الجالية
ومر الناس في الاسلام اراد به لك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس في حال
اسلامه قتل مسيلة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم الماد بقوله تعالى يحكمهم ويحيونهم لا يشعرون
قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال سالت هذه الامة فسوف ياتي
الله بقوم يحكمهم ويحيونهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري
اخرجه الحاكم في المستدرک وقيل هم اهل اليمن **ف** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا كره اهل اليمن هم ارق افيده واليتقلوا بالايان والحقه يمانية وقال السدي تلت في الانصار
لانهم هم الذين نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء اهل اليمن
الفان من النخخ وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جسدوا في سبيل الله يوم
القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الامة اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على
وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الامة معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى فقلت
قلبي مع رضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا المحبة الله العبد انعامه عليه وتوفيقة
وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء
مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتجنب اليه ما يوجب له اللزوم له جعلا الله
من محبتهم ويجوونه بمنه وكرمه وقوله تعالى **اذلة على المؤمنين** **عنه على الكافرين** وهذه من صفات الذين
اصطفاهم الله ووصفهم بقوله يحكمهم ويحيونهم يعني انهم اقرار حلالا لمد دينهم واخوانهم من المؤمنين
ولم يرد ذلك المعنى بل المراد لان جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم وحسنهم ولين جانبهم اشد
اقويا غلظا على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المؤمنين يعني اهل رقة على اهل
دينهم اعنة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده
وكالعبد لسيدهم وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبار اثنى الله
على هؤلاء المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذ القوم ويعنفون بالكافرين اذ القوم وقيل ان ذلك
منا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال من حيز المؤمنين مستغفر عليهم على وجه التدلل والواضع
وانما في الغلظة على حتى تدل على علو منصبهم وفضلهم وشرهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم
بل ذلك التدلل لاجل انهم ممنوا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا السياق الامة
وهو قوله **عنه على الكافرين** يعني انهم اشد اقويا في انفسهم وعلى اعدائهم **بجاهد** **ون في سبيل الله**
يعني انهم ينصرون دين الله ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون عذلا عادلا في نصرهم للدين وذلك ان

المتافقين كانوا يرقبون الكفار ويخافون لومهم فينبئ الله في هذه الآية ان من كان قويا في اليه ثباته
لا يخاف في نفسه له في الله بيده اولبسا نه لومة لايم وهذه صفة المؤمنين المخلصين انما بهم
الله تعالى في عبادة من الصلوات قال يا يغترب رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يتنازع الامر اهله وعلى ان يقولوا الحق انما كانا لا نخاف في الله
لومة لايم ثم قال تعالى **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** الله اسارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم
يختار الله ويترجأ بهم المؤمنين وشدهم على الكافرين وانهم يجاسدونه في سبيل الله ولا يخافون
لومة لايم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم **واسمع عليهم** يعني انه تعالى
واسمع العقل عليهم من سيخنة قوله تعالى **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** قال ابن عباس تزلت
مذمة الآية في عبادة من الصلوات حين تبرأ من موالاة اليهود قال انتم ولي الله ورسوله والمؤمنين يعني
اصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله تزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد رسول الله ان قومنا قرظية والنضير قد هجرنا وفارقونا
واستوالنا لا يجالسونا فتركت هذه الآية فقرأها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن
سلام رضىنا بالله ربنا ورسوله وبالمؤمنين اوليا وقيل لايتعامه في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين
بعضهم اوليا لبعض فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم الكفرون** صفة
لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين لا يؤتون
انهم مؤمنين الا انهم لم يكونوا يؤتون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم
يقيمون الصلاة يعني بانهم ركعها وسجدوها في موافقتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة المالك
اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى **وهم الكفرون** فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع
منها الخضوع والاعتق اذا المؤمنين يصيرون ركوز ومنهم منقادون وخاضعون وامر الله ونواهيهم
الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر
تسريعا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية تزلت ومن ركوع وقيل تزلت هذه في شخص معين وهو على
ابن ابي طالب قال السدي مر على سابل وموركع في المسجد فاعطاهما فاعطاهما فعلى هذا قال العلماء العهد
القديم في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد رافق وقت تزلتها صدقة على من ابي
طالب وموركع ويدعى ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر
عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا منكم فقال المؤمنون فقلت زنا سائلون موسى على
فقال فعلى من لا تسمى او قوله تعالى **ومن يتولا الله ورسوله والذين آمنوا** يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله
ونصر رسول المؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن باي بعدهم **فان حزب الله** يعني انصار
دين الله **هم الغالبون** لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على اية
وهم القوم الذين يجمعون لاهل حوزة يعني انهم قولة عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اتخذوا**

دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن الثابت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام
نرفنا فقا وكان رجال من المسلمين يؤذونهما فانزل الله هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
هو اظهروا دينكم للاسلام بالنسبة قولوا وهم مع ذلك يسيطون الكفر ويبررونه **عن الذين اتقوا الكتاب**
من قبلكم يعني اليهود والكفار يعني عبدة الاصنام وانما افضل بين اهل الكتاب وبين الكفار
وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وكفر من كفر اهل
الكتاب اوليا يعني لا يتخذوهم اوليا والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر
المؤمنين اوليا هزوا وسخرية فلا يتخذوهم انتم اوليا وانصارا **واتقوا الله ان كنتم مؤمنين**
يعني مؤمنين حقا لان المؤمن باي موالاة اعداء الله عز وجل قوله تعالى **ولما نادى اليهم الى الصلاة**
اتخذوها هزوا ولعبا قال الكلبي كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة
وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا الا قاموا وصلوا الا صلوا ويحكون على طعن
الاستهزاء فانزل الله هذه الآية وقال السدي تزلت هذه الآية في رجل من النصاري كان
بالمدنية فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول حرق الكاذب فدخل خادما فاقبله ينادي وهو واهله يتامر فطارت منها شرارة
فاحرق البيت واحرق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان هكروا
المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم يسمع
بمثل فيما مضى من الامر قبلك فان كنت تدعى النبوة فقد خالفنا الانبياء قبلك ولو كان فيه خير
لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فافزع هذا الصوت وما السجدة الام
فانزل الله عز وجل ومن احسن قوله من دعا الى الله الى الله الآية وانزلوا اذا نادى اليهم الى الصلاة اتخذوها هزوا
ولعبا **ذلك بالهم قوم لا يفقهون** يعني ان هزؤهم ولعبهم من افعال السفها والجهال الذين لا عقل
لهم قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد هؤلاء اليهود
والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا **اهل تسعون** من اهل الكفر من اتقوا الله وعلموا انهم
انما بالله وملائكته والنبيا وما اتر من قبل وهذا على سبيل التبع من فعل اهل الكتاب والمعنى هل
تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وما اتر الانبياء وما اتر على جميع الانبياء من قبل وهذه البص
ما ينكر وينعم منه وهذا كما قال بعضهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم من قلوبهم قراع الكتاب
يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذه البص عيب بل هو عيب عظيم لم قال ابن عباس في رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصور اليهود فيهم ابوياسر بن خطبة رافع بن ابي رافع وعازور وزيد وخالد وازار بن الحارث
واشيع فسالوه عن من يؤمن به من الرسل فقال او من ياتى الله وما اتر الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب الى قوله ونحله مسلمون الآية فلما ذكر عيسى بن مريم عليه السلام قالوا يا الله لا يؤمن من بيننا
فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل خطا في الدنيا والاخرة منهم ولا دنيا سرا

من دينكم فارتد الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنفون منا الا انما بناه وما انزلنا وما انزل
من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنفوه علينا **وانى اكثركم فاستقروا** يعني انكم
انما كنتم ايماننا ونعمته عليكم باننا على الحق نصيب **فستقروا** واقامتمكم على الدين الباطل
لجلى لرياسة واخذ الاموال الباطل ولما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من هو من ربه
قوله عز وجل **قل اهل انبيكم بشر من ذلك** هذه اجواب لليهود جوفوا لمانع فدينا من دينكم
والمعنى قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة من اخباركم بشر من ذلك الذي ذكرتم
ونقم علينا من انما بناه وبما انزل علينا **مثنوية عند الله** يعني جزا فان قلت المثنوية مختصة
بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جات في الازالة قلت وضعت المثنوية موضع العقوبة
على طريق قوله خية بينهم ضرب جميع ومنه قوله تعالى فيشرهم بعد ايليم والحق قل اهل انبيكم
بشر من اهل ذلك الذين مثنوية فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الذين يحكمون عليهم بالشر
لانه تعالى بشر من ذلك ومعلوم ان الشر ليس كذلك فاجابة قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب
قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الذين شرفيل لم هي ان لا مركبة ذلك لكن **لغنه**
الله وغضبه عليه ومعنى صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لغنه الله معناه هل انبيكم من لغنه الله
او من لغنه الله ومعنى لغنه الله بعده وطرد عن رحمة وغضبه عليه يعني واستقم منه لان الغضب
ارادة الانتقام من العقاب **وجعل منهم الفرقة والخنازير** يعني من اليهود من لغنه الله وغضبه عليه
ومنهم من جعلهم فرقة وخنازير قال ابن عباس ان السخينة كلاما في اصحاب السبت فسيبهم سخا فرقة
ومساخهم سخا خنازير وقيل ان مسخ الفرقة فكان في اصحاب السبت فسيبهم سخا فرقة
في الذين كفروا وبعد نزول المائدة في من عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود
وقالوا لهم يا اخوان الفرقة والخنازير واقتضوا بذلك **وعبد الطاغوت** يعني وجعل منهم عبدة
الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سواه والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو
الكهان والاحبار وجملة ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت **اولئك**
يعني الملعونين والمغضوب عليهم والمسيحيين **شرهم كانا** يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به
اهل قهقرى بابل لكناية وقيل اراد ان مكانهم شر ولا مكان شر شرهم **واضل عن سبيل السبيل**
يعني واخطا عن قصد طريق الهدى قوله تعالى **طواجاوكم قالوا** المنا قال قتادة نزلت في اناس من
اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحذروا انهم مومنون من انهم من الذين جابتهم فتكون
بضلالهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاحذروا سبيل الله صلى الله
عليه وسلم بحالهم وشانهم **وقد دخلوا بالكفر** يعني قد خرجوا به يعني انهم دخلوا الكفر من خارج كما دخلوا
كافرين لم يتبعوا قولهم من الايمان ثم كفروا في حالتي الدخول والخروج **واسم اعلم بما يكتمون**
يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل **ونرى كثيرا منهم** الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم يعني وري

يا محمد كثيرا من اليهود كلمة من محتمل ان تكون للتبصيص ولعل ان هذه الاقوال المذكورة في هذه
الآية ما كان ينبغيها كل اليهود فلهذا قال تعالى ونرى كثيرا منهم **يسارعون** والمسارة في السراية
اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وفي
العجلة وتعالى في السرية الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون **في الامم والعذر ان**
واكلهم السم لغاية وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم يحقون فيها والامر اسم
جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيه فدخل تحت العذر وان اكل السم فلهذا كداسه العذر وان اكل
السم بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعذر انما زادوا فيها والسم تحت
ما هو الرشي وما كانوا ياكلونه من غير وجهه **ليبين ما كانوا يعملون** يعني ليبين العمل كان هؤلاء
اليهود يعملون وهو مسارعون الى الاثم والعذر وان اكلهم السم تحت قوله تعالى **ولا يعني هلا**
وهي هنا بمعنى التخصيص والتوزيع **بينهم الربانيون والاحبار** قال الحسن الربانيون علماء الهل
الاجيال والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيرهم كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم **الام**
يعني الكذب **واكلهم السم** والمعنى هلا في الاحبار والربانيون اليهود عن قولهم **الام** واكلهم السم
ليبين ما كانوا يصنعون يعني الاحبار والربانيون اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل
على ان ترك النبي عن المنكر بمنزلة تركه لان الله تعالى ذم الذين يفتنون في هذه الآية قال ابن عباس ما في
القران اشد نهي من هذه الآية وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها قوله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الآية في فتحنا صليبي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط
على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس اموالا واخصهم بها حية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم
وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فغسل ذلك قال فتحنا صليبي الله مغلولة يعني
محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا فانسوا الله تعالى الى الجحش والقبض تعالى الله عن
قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فتحاص ولم ينههم ببيعة اليهود ورضوا بقوله
لاجر من الله تعالى اشركم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبار عنهم وقالت اليهود يد الله
مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكوفة عن عذابنا فليبين بعدنا الاية ر
ما يبره قسمة وذلك قد مر ما عدا ابونا العجل والقول الاول اصح لقوله ينطقون يسا واعلم ان غل
اليهود بسطها مجاز عن الغل والجلود بدليل قوله تعالى انبياءه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسيل الى الله لكل الاعمال لاسيما له دفع المال والفاقة واسأله
فاطلقوا اسم السب على المسيب واسند الجود والجل الى اليد مجازا فليل للجل والكرم فياخذ اليه
ومبسوط اليد وقيل للجل مقبوض اليد وقوله تعالى **غلنا يديهم لغنا** **يا ابا** **الوا** يعني امسكت
ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج فرد الله تعالى عليهم فقالوا الجواد الكرم
وسم الجواد يديهم في المأولة المسئلة وقيل هذا دعا على اليهود علنا الله كيف ندعو عليهم

وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى من امو من الغل خفيفة الى شدة تايد بهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزالهم على هذا القول ومعنى لغوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا ان لغتهم انهم مسحوا في الدنيا فرة وخازن بر وضربت عليهم الذلة والمسكنة والحزينة وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى **بل يدها مبسوطة** ان يعني ان الله تعالى جواد كريم **ينفق كيف يشاء** وهذا جواب لليهود وورد عليهم عما افتروه واخفقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا به الجواب على قدر كلامهم ولما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يدها صفة من صفاته ذات كماله والسمع والبصر والوجه فيجب على الايمان بها والتسليم وزعمها كجاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلق بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يميني الرحمن وكنتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واسل النواويل فانهم قالوا اليه تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال فلان يحسن يداشكره عليه وثالثها القدرة قال الله تعالى اولى الايدي والاعين انفسه وذوى القوى والقوى يقال لا يدين لك بعد الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيفة في يده فلان في ملكه ومنه قول تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فتستقيم في صفة الله عز وجل لان العقل ادعى انه يمنع ان يكون يده عبارة عن جسم مخصوص وعصوم مركب من الاجزاء والابصار تعالى الله عن الجسم والكمية والتشبيه علوا كبيرا فان منع بذلك ان يكون يده الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرها اليدها لم تحصل لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليده في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وما هنا اشكال لان احدهما ان اليده اذا ضربت القيا بمعنى القدرة فقدر الله واحدة ونص القرآن ناطق بآيات اليده في قوله بل يدها مبسوطة طنان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قوام يده الله مغلوله كناية عن الجمل اجيبوا على وفق كلامهم فقال يدها مبسوطة ان اي ليس لارها وصفه من الجمل بل هو جواد كثر على سبيل الكمال فان من عظمي يده فقد اعطى على كل الوجوه الاشكال الثاني ان اليده اذا ضربت النعمة فقل القرآن ناطق بآيات اليده نعم الله غير محصور ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان نعمه الله لا تحصى واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يرد تحت كل يده واحد من الجنسين انواع كثيرة لانهاية لها مثل نعمة الدنيا وندوة الدين وندوة الظاهر وندوة الباطن وندوة النفع وندوة الدفع فالمراد بالتثنية للتثنية في وصف النعمة اجاب صاحب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن خصوصية ادم به ذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتعلقون في نعمة فما خص ادم ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي ومن خلقه علم بذلك اختصاصه ونسب فيه على غيره وقتل الاخام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قوله ان اليده صفة قائمة بآيات الله وهي صفة

سوي القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفا هذا اخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم يرد تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا شئ لا يودي الا عن اثنين باعيانها وذات الجمع ولا يودي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ايا اكثر الدرمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدرمين في ايديهم لان الدرمين اذا شئ لا يودي في كلام العرب الا عن اثنين باعيانها ولكن الواحد يودي عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدرمين في ايديهم لان الواحد يودي عن جميع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليده صفة الله تعالى يلقى بحالها لئلا يتجاذبه كما تقول المجسمه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى ينفق كيف يشاء يعني انه عز وجل جواد كريم فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعل **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اتفقوا عليكم وقال ابداهه تعالى ملا لا يغيثها نفقة سحابة الليل والنهار ارايت ما اتفقتم من خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء بيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احد احوال الصفات فيجب الايمان به واماره كما جاء من غير تشبيه ولا تشبيه وقوله تعالى **وليزين كثيرا** منهم ما **انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** يعني كما نزلت عليك آية من القرآن كفر بها فاذ اجاولة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه **والقياب بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة** يعني القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل التي في ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متقادين متباعضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود حيرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فربا كالمملكة والسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يرموا به قلت هذه البدع التي حدثت في المسلمين لما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين ما في الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصل بينهم فمن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **كلما اوقدوا نار المحرط طفاها الله** يعني كلما افسدوا اليهود وخالقوا حكم الله بيعت الله عليهم من مملكتهم فافسدوا فبعت عليهم تحت نصر الباطل ثم افسدوا فبعت الله عليهم طيطوس الروح ثم افسدوا فسلط الله عليهم الجوس وهم الذين افسدوا واولوا يده الله مغلوله فبعت الله المسلمين فلانزل اليهود في ذلة ابد وقال مجاهد معنى الآية كلما كروا وكروا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم ولم اطفاء الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شئ لفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا نار في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله واخذناهم واطفا حصارهم وقذف في قلوبهم الرعب

وقرأهم ونصرنييه ودينه **وسيعون في الارض فساده** يعني ويحتدرون في دفع الاسلام ومحو
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالذكور الكيد والحيل ليس يقدرون على ذلك
والله لا يحب المنفذين يعني ان الله لا يحب من كان مذهبه صفة فالقتادة لا تلقى اليهودي بله الا
وجدتهم من اهل الناس فيها وهم انفس خلق الله اليه قوله تعالى **ولو ان اهل الكتاب امنوا يعني محمد صلى**
الله عليه وسلم وصده فقه فيما جابه **وانفوا** يعني اليهودية والنصرانية **لكفرنا عنهم سيئاتهم** يعني محونا
عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله **ولا دخلنا بهم جنات النعيم** يعني مع
المسلمين يوم القيامة **ولو انهم اقاموا التوارة والابجيل** يعني اقاموا احكامها يحدوهم وعملوا بما
فيها من الوفا باليهود والنصديق محمد صلى الله عليه وسلم لان نعمته وصفته موجودان فيها فان قلت
كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة والابجيل مع انهما استخاروا ولا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة
ما فيها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في
القرآن وقوله تعالى **وما انزل اليهم من امر** فيه قولان احدهما ان المراد بكتب انبياءهم القديمة مثل كتاب
سفيان وكتاب مريميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة
هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من امرهم هو القرآن لانهم
ماوروزنا لا يمان به فكانه نزل اليهم من امرهم **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** يعني ان اليهود اصرروا
على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ونبذوا على يهوديتهم وكفرهم اصنامهم الله بالحق والشدة حتى بلغوا
الي حيث قالوا يا الله مغفولة فاحبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلب
تلك الشدة بالحضبة السعة وموقوله **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** قال ابن عباس معناه لا تركت
عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم **منهم من مقتصد** اي عاولة
والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصلة من القصد لان من عرف مقتضوا طلبة
من غير احواج عنه والمراد بالامتنان مقتصد من امن من اسفل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه
والنجاشي واممهم الذي نزلوا **وكثير منهم** يعني من اسفل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف
ورؤسا اليهود **ساعا يعلون** يعني يبسحوا يعلون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس علموا بالبين
مع التذكير بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** الآية
روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم صانع ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه
فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام
فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان تتخذ حناثا كما اتخذ النصارى عيسى
حناثا فلما راي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم
يا اسفل الكتاب لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسلك في بعض الاحايين عز الحث على الجهاد ولما علم من كرامية بعضهم

له فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والعصا وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية
يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهدا به ولا تترافق احدا ولا تترك شيئا مما انزل
اليك من ربك وان اخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى
واذ لم تفعل فابلق رسالته وقرى رسالته قال ابن عباس يعني ان كنت اية ما انزل اليك من ربك
لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان ممن لم يبلغ شيئا مما انزل الله اليه
وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك شيئا مما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت ومن
حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما انزل اليه فقد كذب ثم قرئت بالها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى **والله يعصمك من الناس**
يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد نجا ربه وكسرت
رباعيته يوم احد وقد اذى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من
الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدرون عليه حاد امرا به بالقتل ويدل على صحة ذلك
ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقط لمعه فادركته القابلة في واد كبير العضاة فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتورق الناس
ليستطون بالشجر فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق لثامه ونمى معه نومة
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدعونا واذا عنده اعلى فقال ان هذا اختطوا على سبيلي
وانا فاني فاستيقظت ومو في يدي صلتا فقال من يمنعك مني فقل الله فلا قال ولم يقا به
وجلس في رواية اخرى قال جابر كرام رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على
شجرة ظليده تركناها للثني صلى الله عليه وسلم فاجعل من الشركين وسيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهذه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في روايته له ان اسم ذلك الرطل
غورث لحدث **وعن عائشة** قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة ليلة
فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فقالتم فمينا نحن كذلك سمعنا خبطة السلام
فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جابلك فقال وقع في
نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحيت احرسه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلتي نزلت والله يعصمك من
الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال للم ايا الناس انهم فوافقه
عصمى الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية
نزلت بعد ما سجد ربه في يوم احد لان سورة المائدة من اخر القرآن نزولا وقوله **والله لا يعدي**
القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه

ان الله لا يوقر المرسل من جاد عن سبيل الحق وجار عن فقد السبيل ومحمد ما جيت به من
عند الله ولم ينسب الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واجبه قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب لستم**
على شيء يعني قلوبكم لا يمدح لاهول اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم
على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا ما جاكم به عيسى
يا معشر النصارى فاني قد احدثتم وغيركم قال ابن عباس جاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن
خارثة وسلام منكم ومالك بن الصبيح ومالك بن حرملة وقالوا يا محمد انك تنزعنا عن اهل مكة
ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهدنا بها فحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلى ولكنكم احدثتم ومحمد ثم ما فيها مما اخذ عليكم من الشقاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبشروه للناس
فانا بري من جديكم قالوا فانا اخذنا في ايدينا فاننا على الحق والهدى ولا نموت لك ولا نتبعك
فانزل الله عز وجل **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم**
من ربكم الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها وهو الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم **وليزيدن كثير منهم ما انزل اليكم من ربكم**
طغيانا وكرا وقوله تعالى **فلا تأس على القوم الكافرين** يعني فلا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود والنصارى
محمد وانبتوك ولم يؤمنوا بك فاما يهود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل **ان الذين آمنوا**
والذين هادوا والصابغون والنصارى لما ينزل الله عز وجل ان اصل الكتاب ليسوا على شيء مما لم
يؤمنوا بين في هذه الاية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة
ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا برصائه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم لاننا لا نعلم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله
تعالى **والصابغون** فظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابغين وكذا اقراة ابن زكعي بن مسعود
وقراة الجهم بن ارفع ومنه هب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابغون بالابتداء على نية التاخير
كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والصابغون كذلك فخره والفايدة في ذكر عظمهم على من قبلهم هي ان
الصابغين اشك الفرق المذكورين في هذه الاية فضلا لكانه قالوا هؤلاء الفرق اذا آمنوا واتوا
بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابغون فافهم اذا آمنوا كانوا ايضا كذلك وانما سألوا صابغين
لانهم صيبوا عن الايمان كلها بمعنى خرجوا لانهم صيبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم
ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال تعالى في اول الاية **الذين آمنوا** ثم
قال في آخر الآية **من امن بما فائدة هذا التكرار قلت** فائدة ان المنافقين كانوا يظهرون
ويزعمون انهم مومنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المومنين فيكون معنى ان الذين آمنوا
بالسنة لا يقولونهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن لغافه منهم وقيل فائدة

اخرى هي ان الايمان يدخل تحت اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الآخر فائدة
التكرار التنبيه على اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله **من امن بالله** حذف توبه من
امن بالله **واليوم الآخر** منهم وانا حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين **وعمل صالحا**
يعني ومنهم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يرايه وجهه الله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**
يعني في الآخرة قوله عز وجل **لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل** يعني اخذنا اليهود عليهم في التوراة بان
يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والابتعاد عما نهيناهم عنه **وارسلنا اليهم رسلا**
يعني لبيان الشرائع والاحكام **كلما جاءهم رسول بما لا ينهون انفسهم** يعني بما يخالف هواهم ويضاد
شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع **فريقا كذبوا** يعني من الرسل الذين جاءتهم **وفريقا**
تقوا يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قبلوا زكريا ويحيى
عليهما السلام واما فعلوا ذلك نفقنا للميثاق وجراة على الله عز وجل ومخالفة لأمه قوله تعالى
وحسبوا يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقبلوا الانبياء **الان يكون فتنة** يعني ان لا يفتنهم الله
ولا يبتليهم بذلك الذي فعلوا واما جعلهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان
كل رسول جاءهم بفرع اخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان يكون
فعلهم ذلك فتنة يبتلوا بها وقيل انما وقعوا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يهفون
عنهم العذاب في الآخرة **فهموا يعني** انهم عموما عن الحق فلم يبصروا ومواعيده فلم يسموه
وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق
الى قلوبهم وسبب ذلك جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا
العمى والصمم عبادة تم العجل تأجيل الله عليهم **فهم تأجل الله عليهم** يعني لما تابوا من عبادة العجل تأجل الله
عليهم **ثم عموا** يعني بذلك في زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا وقبلوا زكريا ويحيى
وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تأجل الله عليهم يعني بعبدة عيسى عليه السلام
ثم عموا وهو يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم **كثير منهم** من اليهود لان بعضهم امن بمحمد
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه **والله بصير ما يعملون** يعني من قبل الانبياء وتكذيب
الرسول قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** لما حكى الله عن اليهود ما حكاها من
نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما
هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** وهذا قول
اليهودية والمسيحية من النصارى لانهم يقولون انهم ولدت الهة لا نعم يقولون ان الهه حذات
عيسى واتخذ الله نصارا لما اتى الله عن ذلك علوا كبيرا **وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي**
وربكم يعني وقد كان قال المسيح هذا النبي اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذه التنبية على ما هو الحق
القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والافراز

بسمه بالذوقية وان لا يدل الحدوث ظاهرة عليه **انه من بشر** **باسم الله** **فقد حرم الله عليه الجنة** يعني انه
من جعل له شركا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه **وما واه النار** يعني وانه
يصير الى النار في الآخرة **وما للظالمين يعني** وما للمركبين الذين ظلموا انفسهم بالشرك **من انصارت**
يعني ما لهم من انصارت نصرتهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى **لقد كفر الذين قالوا**
ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول القويسيه والسنطوجيه من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقتان
احدهما ومقول المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومعه عيسى الهة ثلاثة وان الهة كثيرة
مشركة بينهم وان كل واحد منهم اله وحينئذ قوله تعالى ليس الله انت قلت للمسلمين اتخذوا مني
الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه انما يريد ان الله احد ثلاثة الهة او واحد
من ثلاثة الهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة
الهة لانه ما من اثنين الا واسد ثالثهما بالغلم ويدل عليه قوله ما يكون من تحوى ثلاثة الهة
رايعهم ولا خمسة الا موسادهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره ما ظنك باثنين الله
ثالثهما والطريق الثاني ان المعك من كلوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقسام
اب و ابن روح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس تشرق من الشرق والشمس والحرارة
وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان
الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الابن اله والابن اله
والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببطلان بطلان الله فان الثلاثة
لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة اشده فسادا ولا اظهر بطلانا من
مقالة النصارى وعلى هذا الذي اخبر الله عنهم في قوله **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة**
فقد امعن مذهم وان لم يصحوا بان الله واحد من الاقسام اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم
بعد هذا هو اله واحد فيه منافقة لما قالوا اوله فاما بيان فساد قول النصارى فمر الله
عز وجل عليهم فقال تعالى **وما من اله الا اله واحد** يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف
بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد له ولا له ولا صاحبه له الا الله تعالى **وان لم**
ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة **ليمن الله من كفر وانهم**
عذابهم يعني ليصيب الله الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الذي ليس من عذاب
جميع في الآخرة وانما قال تعالى انهم لعلمه السابق انهم النصارى من سيئون ويخلص ويترك هذا
القول ويعلم انه فاسد ثم ندب ساير النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى
افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث **ويستغفرونه** وهذا استغفارهم بمعنى الاعتراف بتوبوا
الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب **الله يغفرون** يعني لمن استغفروه ويات
اليه **حرم به** وسائر خلقه قوله عز وجل **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل** يعني المسيح

رسول من الله عز وجل ليس به اله كما ان الرسل اله من كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عيسى عليه
السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما اتى الذين قبله بالمعجزات الدالة على صدقه **وامه صدقته**
يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صدقته لانها صدقت بايات ربه وكبر وقوله تعالى
كانا يا كلان الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالحيدة المسيح يعني ان المسيح وامه
مريم كانا بشرين يا كلان الطعام ويعيشان به كساير بني آدم فكيف يكون الهان من حجاج الى الطعام
ولا يعيشن الابن وقيل معناه انه لو كان الهان كما تزعمون له دفع عن نفسه
وقيل هذا كناية عن الحدوث وذلك ان من كل وشرب فلا بد له من الغايط والبول ومن كانت هذه
صغته فكيف يكون الهان وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان حجاج الى قامة ليل عليه
مفرقا الى النظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي نظريا محمد **كيف بنين لهم الايات** يعني الدالة على
بطلان قولهم **ثم انظر اني يوفون** اي كيف يبرفون عن استماع الحق وقوله تعالى **قل ان الله**
من دون الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهؤلاء النصارى انهم يدعون من دون الله
ما لا يملك لكم ضررا ولا نفعا يعني لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله من البلياء والمصائب
في الانفس والاموال ولا يفيدهم من ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق
فان الضر والنفع هو الله تعالى لا من تعبدون من دون الله ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون
اله **والله هو السميع العليم** يعني انه تعالى سميع لا قواكم وكفركم عليم بما في ضمائركم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب لا تقولوا في دينكم الفلو مجازة الحد وذلك ان الحق يبرح في الافراط والتفريط
فجائزة الحد والمقصود مذكور في الدين **غير الحق** يعني لا تقولوا في دينكم غلو باطلا غير الحق وذلك
انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في
عيسى عليه السلام اما غلوا ليهود فيا المقصود في حقه حتى نسبوه الى غير مشهدة واما غلوا النصارى
فبجائزة الحد في حقه حتى جعلوه الههم وكلا الفلوس مذموم **ولا تتبعوا اهل اقوم قد ضلوا**
قل **الاهوى جمع هوى** وهو مائة عوسهوه النقص اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في
القران الا ذمه وقال ابو عبيد لم يجد الهوى بوضع الاموضع الشر لانه لا يقال فلان هوى الهوى
انما يقال يحب بخير ويريد به والخطاب في قوله تعالى ولا تتبعوا اهل اقوم لليهود والنصارى الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة بالهوى
وهو المراء يقول اهل اقوم قد ضلوا فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة **واضلوا كثيرا** يعني من
اتبعم على ضلالتهم واهولهم **وصلوا عن سوا السبل** يعني واخطوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى
لعل الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في
السبت واضطاء والحيثان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فسخوا قردة
وساتي قستهم في سورة الاعراف **وعيسى ابن مريم** يعني وعلى لسان عيسى بن مريم وبما كفارا اصحاب

لما بدت لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير
فتخو اخنازير وستانى فضتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بابائهم ويقولون
نحن من اولاد الانبياء فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على لسان الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود
وعيسى بن مريم عليهما السلام ولعنهما من كفر به **ذلك بما عصوا وكانوا يعتد** **ون** يعني ذلك اللعن
نسيب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداف فقال تعالى **كانوا لا يتقوا الله** **عن متكر**
فعلوه اذ لا يهابون الله بعضهم بعضا عن المتكر وقيل معناه لا يتقوا من عقاب الله متكر فعلوه ولا عن
الاصرار فيه **ليبين ما كانوا يفعلون** اللام في لبيان لا الفسر اي افسر لبيان ما كانوا يفعلون
يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما دخل النفس على بني اسرائيل ان كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذه النفس ادع ما تضع
فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمتعه ذلك ان يكون اكله وشربه وقبضه
فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لغير الذي كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتد **ون** كانوا لا يتقوا من عقاب الله متكر فعلوه لبيان
ما كانوا يفعلون ترى كثير منهم يتولون الذين كفروا باليس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاستقوا
ثم قال كلا والله لتأتين بالمرء وف وتسبون عن المتكر ثم اخذ على يد الناطم اولنا طرته على
الحق اطرا او ليقتصر على الحق فقرأه في رواية اوليقر من الله على قلوب بعضهم ببعض ثم يلعنكم
كالحق اخرجهم ابوداود واخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت
بنو اسرائيل في المعاصي لعنهم علماء ومم فلم يثبتوا فجاء السوء في مجالسهم وواكلهم وشاربهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتد **ون** فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال لا والذي نفسي بيده حتى
تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله اكله وشربه هلوا كالا
والمسارب والمقاعد فغير معنى فاعل وقوله لتأطروهم الاطرا العطف يعني لتقطقنه
ولتروته الى الحق الذي خالفه والقصر القصر على الشيء قوله عز وجل **كثير منهم** يعني من
اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه **يتولون الذين كفروا** يعني يتولون المشركين من اهل مكة
وذلك حين خرجوا اليهم ليحييوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه
ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود **ليبين ما قدمت لهم انفسهم** اي يبين ما قدمت لهم
العمل المعادهم في الآخرة **ان سخط الله عليهم** يعني ما فعلوا من موالات الكفار وفي العذاب
ثم خالدون يعني في الآخرة ولو كانوا يؤمنون بالله والبي يومئذ ولو كان هؤلاء الذين يتولون
الكفار يؤمنون بالله ولقد قورن محمد صلى الله عليه وسلم وانه بني معوننا الى كافة الخلق
وما انزل اليه يعني ويؤمنون بالقرآن الذي انزل اليه من ربه **ما اتخذوا** **وما اتوا** يعني ما اتخذوا

الكفار انصارا واعوانا من دون المؤمنين **ولكن كثيرا منهم فاستقروا** يعني ولكن اكثرهم خارجون
عن طاعة الله ولهم وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه **فجاء**
اسد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين كفروا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله
يا محمد انك لتجدن اسد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصديقك اليهود والذين كفروا وصرف الله
شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرا المشركين عداوة الاصنام في العداوة
للمؤمنين وذلك حسد منهم للمؤمنين **ولتجدن قريتهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري**
ووصف لغير عريكة النصاري وسهولة قبول الحق وقال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم
ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او باي نوع من
المكر والكيد والحيل ومذهب النصاري خلافا لليهود فان الاية في مذهبهم حرام فخصم الفرق
بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحكم الشديدة على الدنيا وطلب الرياسة
ومن كان كذلك كان شديدا للعداوة لغيره واما النصاري فان فيهم من هو معرض عن الدنيا وله اتاها
وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يجد احدا ولا يعاديه بل يكون البركة في طلب الحق
فلما قال تعالى **ذلك بان منهم** يعني من النصاري **تسييسون** **رهبانا وانهم لا يستكبرون**
ولم يرويه كل النصاري فان معظم النصاري في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية تزلت فيمن امن من
النصارى مثل النجاشي واصحابه والنفس والتسييس سم ربي النصاري واجمع تسييسين وقال
قطرب النفس والتسييس العالم بلغة الروم وهذا ما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية
واما الرهبان فهو جمع راسب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهبانين ومن سكان الصوامع فان قلت كيف
مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم
بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذه القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من
امن منهم محمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالنفسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامروا به وتبعوه فان قلت كفر النصاري اسد واغلظ من كفر اليهود واوضح لان النصاري ينادون
في الاطيات فيدعون الله ولله واليهود انما ينادون في الشوات فيقولون بعض النسيين ويكفرون
ببعضهم والا والاقبح فلم ذم اليهود ومدح النصاري قلت انما مدحهم في مقابلة ذم وليس هو
مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصاري فلذلك ذم اليهود
ومدح النصاري الذين آمنوا منهم واختلف العلماء في من تزلت هذه الاية فقيل تزلت في النجاشي ملك
الحبشة واسمه اصحبه واصحابه الذين اسلموا معه ذكر بقية الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية قال
ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن قريتهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري قالوا ان
قريشا ائتمت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوشى كل قبيلة على من امن منهم فاذا هم وعزوبهم فاقترب من
اقترب منهم وعصم الله من شاتمهم ومنع الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان طاب لبيحاراي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما تزل باصحابه ولم يقدر ان ينعمهم من المشركين ولم يوم بعد ما جاء امره فاجابه
بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى
يصل الله للمسلمين فخرجوا الى الحبشة فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه اربع سنين وثمان مائة وثمان
رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف
وابو حذيفة بن عتبة وامرأة سميلة بنت سهل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته
ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأة ليلابنت الى حنة وحاطب بن عمرو وسهيل
ابن عيسى فخرجوا الى الحبشة واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة
الخامسة من بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى فخرج بعدهم جعفر بن ابى طالب
وتابع المسلمين فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النساء
والصبيا فلما علمت قريش بذلك وجدوا عمر بن العاص وصاحبه يهداها الى الحبشة وبطارقة ليرد
اليهم فدخل اليهم وروى الله اليها الملك انه قد خرج فيها رجل سفه عقول قريش واحلام باورع انه
نبي والله قد بعث اليك رهطا من احبابه ليعبدوا عليك فومك فاجابنا ان ناتيك ونخبرك خيرا
وان قومهم يسالونك ان تردهم اليهم فقال حتى يسالم فامرهم فاحضروا فلما اتوا باب الحبشة قالوا
تسافروا وليا الله فقالوا لا نزال نوالهم فخرجنا باوليا الله فلما دخلوا عليه لموافقا للرهط من المشركين
ايها الملك لا ترونا بعد فانا انهم لم يحسبوا بيمينك التي تحيا لها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحبوا
بيمينتي فقالوا لا فاجيبناك بيمينتي اهل الجنة ويمينتي الملايكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في
عيسى واه فقال جعفر بن ابى طالب يقول بعبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه المقام الى مريم
العدا ويقول في مريم ايها العذر البشور قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال واسنار اخصاكم
على ما قال عيسى قد مر هذا العود فكم المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما انزل
على صاحبكم قالوا نعم قال افروا ففروا جعفر سون منهم وهذا لك قميص سون في مهبان وشاير النساء
فمروا بما فرأوا فاجتمعوا في موضع مما عرفوا من الحق فالتوا الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لم يثبتكروا الى اهل الحبشة فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذموا فانتم سيوم
بارضى يعني انتم ممنون فخرج عمر وصاحبه خايبين واقام المسلمون عنده النجاشي بخير دار وخير
جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقرأه واه واذل في سنة ست
من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن لبيبة الغنوي ان يزوج له ام حبيبة
بناتى في سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة
الى ام حبيبة تخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسمعت بذلك واعطت الجارية
اوصافها كانت لها واذلت كماله بن سبيبة في ذلك ما قال النجاشي رسول الله صلى الله عليه وسلم على طه
مبلغه اربعة مائة دينار كان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي واقفا اليها جميع الصدقات

على يد جاريته ابرهة فلما اجابها بالدناير وهبتها منها خمسين دينار فام تأخذها وقالت
ان الملك امرني ان لا اخذ منك شيئا وقالت انما صاحبة ذهب الملك ونيابة وقد مدت محمد
صلى الله عليه وسلم وامنته فخرجت اليك ان تعرفني على السلام قالت نعم وقالت قد علمت الملك
ان لي بغيري الملك ما عجز عن من نفي وعجز فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عجزا فلا يتركه
قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خيبر
اليه من قديم من الحبشة واثبت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني
عن النجاشي ففكرت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها القلام واول
اسمها وجل على اسمها محمد بن حنيفة وبنو النجاشي فمات منهم من موته في بيبي باسفيان وذلك بتخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولا يبلغ اباسفيان في رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ام حبيبة
قال الله الخلل لا يدرى لعله ويعتد النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى الحبشة صلى الله
عليه وسلم ابرهة ازمى في سيرة جلاله واصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اهدى اليك ولله صادقا
مصدقاً وقد اتيك وبما بينك وبينك جعفر واسلمت له رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازمى
وان سببته اتيك بيمينتي فقلت والاسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في الرجعة حتى اذا
كانوا في وسط البحر غرقوا واتي جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جعفر ووافي مع
جعفر وبلغوا من رجلا عليهم الشيا ليعرف منهم اثنان ومن رجلا من الحبشة واثمانية من
الاسلام فمروا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتوا في ارض الحبشة في القوم حين سمعوا القرآن
واستأوا وقالوا ما اسبى هذه ابدا كان يترك على عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل فيهم هذه الآية
ولنجدين افروهم مودة لله في الدنيا والآخرة يعني وفد النجاشي الذين قد موامع جعفر
ومعه السبعون وكانوا من اصحابه القوم ومعهم ثلث في ثمانين رجلا من بني ارم من بني
الحارث بن كعب واثني وثلاثين من الحبشة واثمانية وميرون من اهل الشاه وقالوا قد زلت
في ناس من اهل المكابكة كانوا على شريعة النجاشي فاجابه عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه
وله وسلم وصدقه فماتوا في الحبشة فماتوا في قومه مودة لله في الدنيا والآخرة الذين قالوا
انا نصارى في الدنيا منكم فماتوا في الحبشة فماتوا في قومه مودة لله في الدنيا والآخرة الذين قالوا
والامم ان الحق قول الله عز وجل **ما تزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم** واذ اسمعوا للمؤمن الذي انزل الى
الرسول يريد محمد صلى الله عليه وسلم **ما تزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم** يقال لافانك المتلاخي يخرج منه
ما فيه وصغرهم الله تعالى بسبل الله مع عبد الملك واذ القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يري
النجاشي واصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابى طالب سون منهم فماتوا في الحبشة حتى فرغ جعفر من
القرآن **ما عرفت الحق** يعني الذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم **ما تزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم** يعني القسيسين
والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر بن النجاشي **المن** يعني القرآن وهذا الحق **فاكتبنا**

مع الناس في يوم مع امه محمد صلى الله عليه وسلم الذي يشهدون بما كفى وقالوا لا نؤمن بالله
وما جانا من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهم قومهم
على ترك دينهم وقيل ان اليهود غيرهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب
ومعنى الآية وما لنا لا نؤمن بوحدة الله وما جانا من الحق من عنده على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظم يعني وترجوا بذلك الايمان ان يجلنا ربنا مع العوالم
الصالحين يعني مع امه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاما بغير الله فما قالوا يقين بالوجه
الذي قالوا وانما خلقوا التواب وهو قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار يخرج من تحتها
لانه قد سبق وصيغهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو للقرن والبا للوقت ان حقيقة
الاخلاص واستكابة القلب والقول اذا اقرن بالمعقبة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه
بالثواب وقال ابن عباس ما قالوا يزيد ما سألوا يعني قوله فاكتمنا مع الشاهدين
تعالى في يوم المعية في الجنات وذلك جزاء المحسنين يعني المؤمنين الموحدين المخلصين
في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني هذا الكتاب وما
اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن قام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول به ليكون بينه
الوعيد لمن كفر في الجحيم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علماء
التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر للناس يومئذ وصف القيامه فرق الناس فيكونوا جميع
عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون اجمع وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن
مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والنفق ابن الاسود وحمزة
الفارسي ومعتز بن مقرن وشاور ورواهما واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا السج وحبسوا
من اكرمهم ويصوموا الدهر ويتوبوا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا
يتربوا النساء ولا الطيب ويسكنوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتي ابراهيم
ابن مظعون فلم يخشاه فقال لامرأته احمي ما بلغني عن زوجك واصحابه فكونت ان تكذب
وكرمته ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فصدق فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتي بمواصياهم العشرة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انكم اتفقتم على كذا وكذا فافعلوا
بلي يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امر بربك ثم قال
صلى الله عليه وسلم ان لا تنفسم عليكم حقا فتصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم ونام وصوم
وافطر واكل اللحم والدم والى النساء من غيب عن سنتي فليس مني ففرح الناس وخطبهم
فقال يا ايها الذين امنوا لا تحرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا

فيسين من مباحا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصلوات وان سباحة
امتي الصوم وورعها ينتمى للجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمر واقيموا الصلاة
وانوا الزكاة وهو موارمضان واستقيموا يستقيم لكم فانما ملك من كان قبلكم بالشديد
شدد واعلى انفسهم فشدد الله عليهم كذلك بقايمانهم في الديارات والمواضع فانزل الله
عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات
الذنيات التي تشبهها بالانفس ويمثل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة
فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة بنبيه صلى الله عليه وسلم لم تحرموا عليه من
ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يحتجب طيبات المباحات فان اعتقد تحريم شيء احله الله
فقد كفر بما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير
اضرار بالانفس لا تقوت حق الغير ففضيلة لا تمنع منها بل مأمور بها وقوله تعالى ولا تقعدوا
يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تحبوا انفسكم فسمي جيب المذاكير اعتدا
وقيل معناه ولا تقعدوا واما لاسراف في الطيبات ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين للحلال الى
الحرام وقوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعني وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذي
رزقكم واجله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اجزته من وجهه
والطيب ما عدا ما عدا ما الحرام كالطير والثراب وما لا يندى فمكرهه الاعلى وجهه القدوي
عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبحت اللحم انتشرت
للنساء واخذتني شهوة فخرمت على اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم ولا تقعدوا وان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجوه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والحل
وله عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحمر فرفع اليه الذراع وكان يجمع فنهش منها
قالت عائشة ما كان الذراع احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا
غبا وكان يجمع اليه الذراع لانه اعجبه بالنقيح اخرجوه الترمذي ايضا وقوله تعالى واتقوا الله
الذي انتم به مومنون هذا تأكيد للوصية بما امر الله به وزاد تأكيد بقوله الذي انتم به مومنون
لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل
قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قاله وكلوا مما رزقكم الله واذا
يتكفل برزق عبده وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرم على الدنيا وان يعول على ما وعد الله ويتكفل به
فانه تعالى اكرم من ان يكلف الوعد والله اعلم قوله تعالى لا يؤخذكم الله باللعن في ايمانكم قال ابن
عباس لما تركت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف مضى
بآيات التي خلقنا عليها وكانوا قد خلقوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية ليؤخذكم

انه باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة قوله تعالى **ولكن**
يواخذكم باعقبة الايمان يعني ولكن يواخذكم بما تقدمتم وقصدتم به اليمين ومنه قول العززدق
ولست بما خوذ بلغو تقول اذا لم تعد عاقبات الغريم وفي الآية حذف تقديره ولكن يواخذكم
بما عقدتم اذ اخذتم فحذف هذا لانه معلوم عند السامع **فكفارة** يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتم
اذا حلفتم **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** يعني من اقصد ذلك لان من الناس من
يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقرع عليهم فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالوسط
في القيمة فلا يكون عاليا من غلا الموجود ولا خسيسا لئلا يردى الموجود بل الوسط في القيمة
وقيل اراد بالوسط الافضل قال ابن عيسى كل شيء في كتاب الله تعالى اوسط فهو افضل فعلى هذا
يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضل **او كسوة** هو معطوف على كل اوسط اي كما
تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكله ككسوتهم من اوسط الكسوة **او تحرير رقبة**
يعني عتق رقبة والمراد به جملة الشخص فصلا في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان
الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا
في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم كل مسكين من اطعام عبد النبي صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلاث بالبعدي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول
ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وليم بن زيار
وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وبروي عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين
مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الخنطة نصف
صاع واذا اطعم من غير ما مضى وهو قول الشعبي والتميمي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال
احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدان من البر ونصف صاع من غيرهما مثل التمر والشعير ومن
شرط الاطعام فليكن الطعام للمساكين فلو عساهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزه ذلك
ولا يجزه اخراج القيمة في الكفارة كاله راسم والدانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج
الدينق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى
مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب
قوم الى انه يكسوا كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل
او عمامة او كسا ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب
الشافعي وقال مالك يجب ان يكسوا كل مسكين ما يجزئ فيه الصلاة فيكسوا الرجل ثوبا والمرأة ثوبين
درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبان والمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو الذي يجزئ في الصلاة وقال
ابن عمر يجب قميص وازار وبرد او قال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب
وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوبين كالمخضعة النوع الثالث من الكفارات العتق

اعناق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعناق الرقبة
الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل لانه قتل الرقبة فيه بالايان وكفارة القتل
ومذهب الشافعي ان المطلق يحل على المقيد ولا يجوز اعناق المقيد في الكفارة بالاجماع ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتب او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق
او اشترى قريبيه الذي يفتق عليه فكله لا يجزئ في اعناق الكفارة وجوز اصحاب الرأي عتق
المكاتب في الكفارة اذ لم يود من نجوم الكتابة شيئا وجوز واعتق القريب في الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يعز بالعلم فلا يجزئ مقطوع اليد والرجل ولا الاعمي ولا الرنق
والمجنون المطبق ويجوز عتق الاعمى والاصم ومقطوع الاذن والناق لان هذه العيوب كلها
لا تضر بالعلم وعند ابو حنيفة كل عيب يفتق جثسا من المنفعة يمنع الجواز فجوز عتق مقطوع
احد اليدين ولم يجوز عتق مقطوع الاذن في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو
قوله **فمن لم يجد** يعني الكفارة **فصيام ثلاثة ايام** يعني فاذا عجز عن كفارة اليمين عن الاطعام
او الكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى **فصيام ثلاثة ايام** يعني فليصيام
ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوته عياله ليومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة
مساكين لزومه الكفارة بالاطعام والى لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة
يجوز له الصيام اذ لم يكن عنده من المال ما يحب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عاقما وقال
الحسن اذ لم يجد راسم من صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوبه لتتابع
في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب المتتابع فيه قياتا على كفارة الظهار
والعتق وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقنادة وهو مذهبنا في حنيفة واحد
واصح قول الشافعي والقول الثاني انه لا يجب المتتابع في كفارة اليمين فان شاتبع وان شافق وان شاق
افضل وبه قال الحسن ومالك وهو القول الثاني للشافعي المسئلة الثانية كلة او للتخير بين
الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان شاء عتق فبها اخذ المتكفر فقد
اصاب وخارج عن العدة المسئلة الثالثة لا يجزئ صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر
محتاج فلو صرف الى ذمي او عبدا وعني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الامة
وانفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الامة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تعيم الكفارة
على الخنثى فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من حلف على بين فرائ غيرها خير امنها فليكن عن يمينه وليفعل ما يوافق اخراجه الترمذي
ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن من سمة لا تنال
الامارة فانك ان انتك عن مسئلة وكلت اليها وان انتك عن غير مسئلة اعنت عليها واذا
حلفت على عيني فرائ غيرها خير امنها فانك الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر

وابن عباس وعائشة ربه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان
الشافعي قال ذكره بالصوم قبل الحنف فانه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنف وقوله **ذلك**
اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز **كفارة ايمانكم اذا**
خلفتم يعني وحشتكم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحلف بعد اليمين وفيه اشارة
الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنف كما تقدم **واحفظوا ايمانكم** يعني
قللوا ايمانكم ففعلوا به عن كثرة الخلف ومنه قول الشاعر قليل الاياحافا ليمنة ومعناه
بانه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنف اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التذكير
وهذا اذا لم يحلف على ترك منه وجب وفعل فكمروا فان حلف على ذلك فلا فضل بل الاولى ان يحلف
نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله
لا احلف على ميت فارى غيرها خيرا منها الا كبرت عن يميني وانيت لذي هو خير اخرجه في الصحيحين
وقوله تعالى **ذلك لئلا يبذل الله لكم ايمانكم** يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا احثتم له لا يبذل لكم
جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني نعمه التي انعم بها عليكم ان يزيلكم اياته
ومعالم شريعته قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس مما انزل**
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندكم فيزيل الله في هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في
جملة الطيبات المحلات بل هما من جملة المحرمات والخمر كلما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد
تقدم تفسيرها في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويزجون
عندها والازلام هي القمار التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك في الرجز في اللغة
الشي المستعرة وهو المتعذر **من عمل الشيطان** يعني من تزيينه واغوايه ودعايه اياكم اليها وليس
للراد القامر عمل بيديه **فاجنبوه** يعني كونيوا حايثا منه والضمير في قوله فاجنبوه عايد الى
الرجس لانه اسم جامع لكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجنبوه **لعلكم تفلحون**
يعني لكي تدركو الفلاح اذا اجنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى **انما يريد الشيطان**
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة
ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفا فزلت الآية التي في سورة البقرة وبيان ذلك
عن الخمر والميسر قل فيهما التوكيد الآية فدعا عمر فقريبت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفا
فزلت التي في سورة النساء يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقد عجزتم فريبت عليه
ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفا فزلت التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر قوله فهل انتم متتهون قد عجزتم فريبت عليه فقال انتم ايضا انتم ايضا
اخرجه الترمذي من طريقين وقال في رواية ابي ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والشافعي

وروي مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعا ما فشرنا وذلك قبل
ان تحرم الخمر حتى انفسنا فتفاخرت الانصار وقرش فقالوا لانصار عن افضل منكم فقال
سعد بن ابى قاص المهاجر وخير منكم فاخذ رجل من الانصار كحبا فجعل يضرب به الف سعد ففرزه
فاتي سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا اتقوا الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم متتهون وقال ابن عباس تزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار فشر بواخي لما ملوا
عنت بعضهم ببعض فلما صحى جعل الرجل يرى الاثر بوجهه وكبته فيقول فهل في هذا اخي فلان
وكانوا اخوان ليس في قلوبهم صفاء فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر ابليس وقوله فهل انتم متتهون واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يريد ان يترككم الشيطان شربا تحموا القمار بالقمار وهو الميسر
ويحس ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر والميسر واما العداوة
والبغضاء بسبب شرب الخمر لانهما يزيل العقل ساءلها فيحكم بالفحش ومهما افشى ذلك الى الفتنة
وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في
الجاهلية يقيم على اهله وماله فيتم فيقعد حزينا سلييا ينظر الى ماله في يد غيره فويرث
ذلك العداوة والبغضاء فتعالى الله عن ذلك وقد علم بان يصلح خلقه فظاهريه ذلك
ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا
وفيها مفاسد تتعلق بامر الآخرة وقوله تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** لان شرب الخمر
يسفل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة
فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم اورد الخمر والميسر في هذه
الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين يدل على قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود بغيرهم
عن شرب الخمر واللعب بالمقار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر
والميسر فلما كان المقصود من الآية التذكير عن شرب الخمر والميسر لاجرم اورد ما بالذكرة في اخر الآية
واسم اعلم وقوله تعالى **فهل انتم متتهون** لفظه استهزاء ومعناه الامر انتم واهل بيوتكم واهل ابلان
ما ينهيه لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر فيهما الخطاب لانه قيل قد تلى عليكم فيه من انواع
الصوارف والموانع فهل انتم متتهون مع هذه الامور انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توقظوا
ولم تنبهوا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى ذم الخمر والميسر بعبادة الاصنام
وعدا انواع المفاسد الحاصلة بها ووعدها بالفلاح عند اجتنابها ثم قال في اخر الآية فهل
انتم متتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شرابا سكر
فهو حرام اخرجه في الصحيحين فزاد الترمذي وابوداود ما سكر الفرق منه فلا الكفر منه حرام
الفرق بالتحريم انا سبعة عشر طلعا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر

لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان ما دلم يقبل صلاة اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فان عاد في الرابعة لم يقبل الله صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسماه
من نهر الجبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الجبال قال صديقه اهل النار اخرجته الترمذي
وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر
وسائرهم وسمايتهم وبياعهم ومبتاعهم وعاصرهم ومعتصرهم وحاملهم والمحمولة اليه
اخرجه ابوداود وقوله عز وجل **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** يعني فيما امركم به او نهاكم
عنه **واحذروا** يعني واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او
نهاكم عنه **فان توليتم** يعني فان عرضتم عما امركم به ونهاكم عنه **فاعلموا انما على رءسنا البلاغ
البيان** وهذا وعيد وتهديد لمن عرض عن امر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم
واعراضكم قد استحققت العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح**
فيما طعموا الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر
فما تراءوا لهم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين كانوا وهم يشربون
قالوا فتركت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجته الترمذي
وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين كانوا وهم يشربون الخمر
لما تراءوا لهم الخمر فتركت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجته
الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر والكلوا من الثمار في وقت لا يلهو قبل التحريم
قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خيرا ولا مالا ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت الناسواكم
وان شئت لم اطعم ثقاخا ولا بردا المتعاق والماء والبرد النوم **اذما اتقوا** يعني اذما اتقوا
الشرك وقيل اتقوا ما حرم عليهم **وامنوا** يعني باسور الله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من
عمل الصالحات **ثم اتقوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولي اخبارا
عن حال من مات وهو يشرب الخمر قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم
امر وابتاعها والايان تحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** يعني العمل
وقيل المراد بالاتقوا الاول فعل التقوى والثاني في الله اومته عليه وبالثالث اتقوا الظلم مع ضم
الاحسان اليه ثم قال تعالى **واستقيموا** يعني انه تعالى يحيل لتقربنا اليه بالايمان والاعمال
الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ناسا ومدح لم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه
القيامات من اشرف الدرجات واعلاها **عن عبد الله بن مسعود** قال لما نزلت هذه الآية ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي

انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين
امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ايبسوا** **من الصيد**
تفشي من الحصر من كثرتها فتموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه الآية بالها الذين
امنوا ايبسوا من الصيد يعني ايبسوا من الصيد الذي لا يلبسوا من الصيد الذي لا يلبسوا
يعاملكم معاملة المحتبر يعني من الصيد الذي لا يلبس من الصيد الذي لا يلبس من الصيد الذي لا يلبس
حالة الاحرام ووزن الاحلال وقيل ليعلم انه ليس بقنينة من القنن العظام التي تزلعه ما اقام
الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا ما قال لا يلبس من القنن العظام التي تزلعه ما اقام
كما ابتلي اصحابا لست من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل يفضلكم وكبره عصم الله محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتناء ولم يعصم اصحاب البيت فمخافة وخطا زير
وقوله تعالى **تساله ايديكم** يعني الفرخ والبيضة وما لا يقدر ان يغيب من صغار الصيد **ورما حكم** يعني كبار
الصيد مثل حمير الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تساله ايديكم **ورما حكم** هو الضعيف من
الصيد وصدقه يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاءوا لوه بايديهم فهاهم الله ان يربوه
ليعلم الله اي ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه عالم لم ينزل وللعقبة يعاملكم معاملة المحتبر وقيل
معناه ليظهر للعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المصنف والتقدير ليعلم
اوليا الله **من يخاف بالغييب** يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيئا **في اعتدى بغيره**
ذلك يعني فساد في حالة الاحرام بعد النسي **فله عذابا ليم** يعني في له نيا قال ابن عباس هو ان يوسع
ظهره ويطنه جلد وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا
وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد**
وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم حرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم
يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل ما مراد ان بالاية فلا يجوز قتل الصيد
للحرم ولا في الحرم تركت هذه الآية في اي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا
الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التفرغ له مادام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان
متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا
اولم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سباعا او ذرا او نحو ذلك واستثنى الشافعي خمس فواسق
فاجاز قتلها في غير الحرم قال ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم
في قتلها جناح الغراب والحداة والعقرب والغارة والكلبة لعقور وفي رواية خمس لا جناح على من
قتلها من الحرم والاحرام **ق** عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم
يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والغارة والكلبة لعقور وسلم خمس فواسق يقتلن في الحرم والحرم

وذكر نحوه وفي رواية النسي قال خمس يقتل من الحرم الحية والعقرب والغارة والغراب والكلب
العقور قال ابن عبيدة الكلب العقور كل سبع ضاري يعثر وقاس الشافعي عليه جميع ما لا يؤكل لحمه
قال لان الحديث يشتمل على الحيوان بعضها سباع ضاريه وبعضها مأموم قاتله وبعضها طير لا تدخل في
معنى السباع ولا في معنى المأموم وانما هو حيوان مستحب اللحم وتحريم الاكل جمع الكل فاعتبره ورتب
عليه الحكم وذهب أصحاب الرأي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث
وقاسوا عليها الذبيح فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى **ومن قتل منكم متعمدا** قال مجاهد والحسن وابن
زيد ما ولا يبيح قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه جزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذكر الاحرام
فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والحكماء عليه بالجزا وان تعمد القتل
مع ذكر الاحرام وهذا مذهب علمه الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرعي فاصابه
فهو كالعدو في وجوب الجزاء وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزمري تزل التران بالعدو حوت
السنه في الخطا يعني المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء قال سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا من هذا
قول شاذ لا يوجب جزاء **فجزا مثل ما قتل من النعم** يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه
واحد واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام بالقيمة فالذي عليه جمهور العلماء من الصحابة في عدم
ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ولما لا يمثل بالقيمة وقال ابو حنيفة المثل
الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة ومنه النزاع
فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورتين فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد
لا يجوز حمله الاعلى معني واحد واجبت عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها بما قصي
الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بالضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار
المماثلة بالخلقة اذا الصحابة حكموا في بلدان شتى وانما اختلفت بالمثل من النعم فحكموا في المغارة ببدنة
ومع لا شاري بدنه وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقره وكذا في الضبع بكبش فلهذا اعلى نعم
انما نظر الى ما يقرب من الصيد منها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي
شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سحلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمام وكل ما عدا هذا
كالنواخذ والقرى وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير فغيبه القيمة في المكان الذي اصيب
فيه وروى عن عثمان بن عفان انما حكم في حمام اللحم بشاة وروى عن عمر بن الخطاب في الضبع بكبش
وفي التران بعنزة وفي الارنب عناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى **يحكم به ذوا عدل منكم** يعني يحكم
بالخبر في قتل الصيد رجلا ان صاحبان عدلان من اهل ملتهكم ودينكم وبينكما يكونا قاضيين فيظن ان
الى شبه الاشياء من النعم فيمكن ان يكونا اميين من مهران جاعرا الى ان يكونا قاضيين فقالوا انما
من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابن عمر فقال لا اعرفني اني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال
ابوبكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاو منكم صاحب جفا اذا اتفقتا على شيء من اناك

به وقوله تعالى **هديا بالغ الكعبة** يعني الى الكعبة هديا شاق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة
لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما الهدى بالكعبة كل اللحم لا الذبح لا يقع في الكعبة
وعندها ملاصقتها لها انما يقع في الحرم وهو اللاد بالبلوغ فيخرج الهدى بمكة ويتصدق به على
مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة انه ان يتصدق به حيث شاء او وصل الهدى
الكعبة او كفارة **طعام مساكين وعدل الله صياها** ذمب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة
او في هذه الآية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحابنا في حنيفة انها للترتيب وماروايتان عن ابن عباس
قالا الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاذج المثل من النعم وتصدق به
على مساكين الحرم وان شاقوم المثل دراهم والدرهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان
شاقام عن كل واحد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد
روايتان بالقولين اصل هذه المسئلة ان الصوم مقدرا بطعام اليوم فقتل الشافعي مقدرا بالمد وعند
ابي حنيفة مقدرا بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا يقع فيه المساكين وذمب جمهور الفقهاء
الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء القاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله
اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ما شاء وقال محمد بن
الحسن من اصحابنا في حنيفة التخيير الى الحكيم لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان
كلمة اول الترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معه اصنام وقال مالك
ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة
لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاقف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاق الى الطعام
فيصدق به وان شاقام عن كل نصف صاع من براوصاع من غيره يوما واختلفوا في موضع
التقوم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بمن مكة
لانه يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره** يعني جزا ذنبه والوئال في اللغة المني الثقيل الذي
يخاف ضربه يقال مرعى بيل اذا كان فيه وخائفة وانما سمي الله بذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقیل
على النفس لانه فيه تنقيص للمال وهو ثقیل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقیل على النفس لانه
فيه انكاس البدن **عفا الله عما سلف** يعني قبل التخيير **ومن عاد** يعني الى قتل الصيد مرة ثانية **فينقم**
الله منه يعني في الآخرة والاستقام لمبالغة في العقوبة وهذا الوجه لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية
والثالثة فاذا انكر من الحرم قتل الصيد تكرره عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن
عباس والتخمي والي داود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لان الله وعده
بالاستقام منه قال ابن عباس اذا قتل الحرم صيدا متعمدا سئل هل قتلت قبله شيئا من الصيد فان قال
نعم لم يحكم عليه ويقال اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقبل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد
ذلك لم يحكم عليه ولكن يلاظره ويصدر ضراوة ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

في صيد وج وهو واد بالطايف **والله عز وجل** **والله عز وجل** يعني من عصاه واذا التفت المحرم شيئا
من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير وز الحام فبقيته القيمة فيقوم بشر
يشترى بغيره طعاما ويتصدق به على مجاور الحرم ويصوم عن كل يوم ما قوله تعالى **احل لكم صيد**
البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه
فاختلفوا فيه فقيل هو ما قد فده البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي
وقادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه ما حله يروى ذلك عن سفيان بن عيينة وسعيد بن المسيب
والسدي يروى عن ابن عباس ومجاهد كالفولين وجملته حيوان الماء على قشر سمك وغير سمك فاما
السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطاهر
ماؤه الحلي ميتته اخرجه ابوداود والترمذي والنسائي والفرق بين الموت بسبب وبغير سبب
فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب ومات السمك فقتل في قشره يعيش في البحر
والبر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلها وقال سفيان بن عيينة لا يكون بالسرطان يابس واختلفوا في
المراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للحرم ونهت جميعهم والعلما الى انه من صيد البر وانما لا يحل
للحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة ثمرة وعنه وعن
ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع
والتمساح قال لان التمساح يقتل ويأكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذو هب
جماعة الى انما له نظير في البر يوكل فيوكل نظيره من حيوان البر مثل بقرة الماء ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل
نظير من البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله قوله تعالى **متاعا لكم وللسارة** يعني ينتفع به
المقيمون والمساكرون فيتمردون منه وقوله **وعلم عليكم صيد البر ما دام حيا** ذكره الله عز وجل تحريم
الصيد على الحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة واحدة في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد
وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا من الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم
عليكم صيد البر ما دام حيا كذا في التلخيص تحريم قتل الصيد على الحرم واختلف العلماء في جواز
الحرم ان ياكل من صيد صاده غيره فذهب قوم انه لا يحل ذلك ليجاز يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول طائفة وسال اليه ذهب الثوري واحتج على ذلك بما يروى عن الصعيب بن جاثمة الليثي
انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا وبودان فرده عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما راي ما في وجهه من الكراهة قال انما نرده عليك الا انما حرم اخرجاه في الصحيحين
وذهب جميعهم والعلما الى انه يجوز للحرم ان ياكل اللحم الصيد اذ لم يصده بنفسه ولا صيده له
ولا باشر ولا غان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وقيل عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير
وهو من مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الري يدل عليه ما روى عن ابي قتادة الانصاري
قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل لي في طريق مكة ورسول الله صلى

الله عليه وسلم اما هذا والقوم محرمون وانا غير محرم عام للخديبية فابصر واحار وحيا وانا شغل
اخضت فعلا فلم يوذ ثوبوا حيواني بصرة فالتقت فابصرته فقلت اني انظر من فاسرجه ثم ركبته
ونيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعنيك عليه فغضبت
فقلت فاخذت ما في ركبتي فشدت على الحمار ففقرته ثم جيت به وقد مات فوقوا فيه يا كوث
ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وحيات العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالته عن ذلك فقال اهل معكم منه شيء فقلت نعم فتاولة العفنة فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي
رواية فقال للمصطفى صلى الله عليه وسلم هل منكم احد لم ياكلها او اشار اليها قالوا لا قال
كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب صاحب هذا المذهب عن حديث الصعيب بن
جاثمة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والحرم لا ياكل ما صيد لاجله
وانفقوا الله يعني فلا تستعملوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم خذتم بقوله **الذي اليه تحضرون**
يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل **جعل الله الكعبة البيت الحرام** جعل بمعنى صير
وقيل معناه بين وحكم قال مجاهد سمي البيت الكعبة لتربيهه وقيل لارتقا عه عن الارض وسمى
البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمة وحرم ان يقاد عنده وان يتخلل خلاه
وان يعرضه شجرة واراد بالبيت الحرام جميع الحرم من حيث حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
خطب يوم فتح مكة فقال لا هذا البيت حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة
الله الى يوم القيمة لا يعضده سوكة ولا ينفر صيده ولا يلبس قط لقطته الا من عرفها ولا يتخلل خلاه
وقوله تعالى **قيام للناس** اصله قواما لانه سيب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم
اما في امر الدنيا فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يحيي اليه امر كل شئ ويأمر
فيه من النهي والقارة فلو لم يخلق الرجل قاتل ابيه وابنه في الحرم لم يحج واما في الاخرة فان البيت
جعل لقيام الناس عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا للعلو الدرجات
وتكثير الخطيات وزيادة الكرامات والنبويات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا للحصول هذه
الاسباب كانت سببا لقيام الناس **والشهر الحرام** يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر
الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب لغز يعني وكذلك جعل
الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض
وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم اسكوا عن القتال القارة فيها وكانوا يامنون في الاشهر الحرم فكانت
سببا لقيام مصالح الناس **والهدى القلايد** يعني وكذلك جعل الهدى والقلايد سببا لقيام
مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على انفسهم بذلك وكذلك
كانوا يامنون اذا اقلدوا انفسهم من كبح شجر الحرم فلا يتعد من احد **ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في**

صحاب السبايل التي تروى فيها أقدم العلماء وروية ذلك قولهم في هذه الرواية التي تروى فيها
عن شرا المسائل التي يخطوونها العلماء عن سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى منكم
الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه فمما قد عفا عنه فلا تذكروا
وعن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تذكروا
حد فدا فلا تعده ولا تحرمه شيئا ولا تذكروا ما تركت أمي من غير شيئا فلا تذكروا هذا
الحديث في آخره في جامع الأصول لم يذكر في الكتابين ثم قال تعالى **قد سألنا قوم من قبلكم**
أن يبعثوا إماما يأمرهم بقول الله ونهيه ثم قال تعالى **فأوحينا إلىهم أن يذكروا**
كافرون وقوم من بني نوح قالوا أرفعناهم من هذا السؤال والاباء عليهم وقوم عيسى بن مريم
المسيحية عليهم ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى **ولا تأكلوا مما قد عفا عنه**
أنتم أيضا فقلتم **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله**
ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
فقلتم **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله**
في الجاهلية أدخلوا في هذا فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
فلا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
ولم يحرروا من هذا فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
الرجال الذين يذكرون أن الله عز وجل قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
للرجال الخاصة فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
أما تأسيب فلم يتركوا من هذا ولم يتركوا من هذا ولم يتركوا من هذا ولم يتركوا من هذا
ثم قالوا **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله** ثم قال **يا أبا عبد الله**
وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا عرف من أفعاله ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
مريض أو قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
بمنزلة الجبر أو من قبل الله عز وجل فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
دعوه وأكل ما عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
أخاهما واستجروا الله فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
إذا أتى من صلبه عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
لكل الرجل والكتاب **يا أيها الذين آمنوا** ثم قال **يا أيها الذين آمنوا** ثم قال **يا أيها الذين آمنوا**
النساء والسانية كانوا يحسبون أن الله عز وجل قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
عليه ولم يأتهم من هذا فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
الله عليه ولم يأتهم من هذا فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه

قالت

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأتهم من هذا فذكرنا ما قد عفا عنه ولا تأكلوا مما قد عفا عنه
وهو أول من سبيل السوايب العقوب بغير القات وسكون الضاد المهملة المعاكسة أهل الجاهلية
تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك كله بقوله جل جلاله
الله من عباده ولا سبابة ولا وصيلة ولا حاكم يعني ما يحرم من عباده ولا سبابة ولا وصيلة
من وصيلة ولا حاكم ولا ذن فيه ولا أمر به ولكنكم أنتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم **عن ابن**
مسعود أن أهل الأسلا لا يسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى **ولكن الذين كفروا**
يفترون على الله الكذب يعني يقولون أن الله أمرنا **والذين كفروا لا يفقهون** أمر الله بالاتباع يعني لا تقبل
أن هذا كذب وافتراء من الرسل على الله عز وجل وإذا قيل **لم يقل الله** والرسول يعني إذا قيل
لولا الذين يجروا البحار وفعلوا هذه الأشياء يعني فلو أن الله كذبنا عليه فقالوا **يا أيها الذين آمنوا**
يعني في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابا يعني لكم كذبا ما تقصونه
إلى الله وبين لكم الشرايع والأحكام وأن الذي تفعلونه ليس بشي **قالوا حسنا ما وجدنا عليه إماما**
يعني قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحو ذلك قال الله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا**
يعتدوا يعني أنما يصح الاقتداء بالعلماء المهتدين الذي يبين قوله على الحجة والبرهان والدليل وأن إمام
ما كانوا كذلك فلا يصح اقتداءهم **قوله عز وجل** **يا أيها الذين آمنوا** يعني **يا أيها الذين آمنوا**
إذا هتد بآية قال بعض العلماء أمر من الله ومعناه احتفظوا أنفسكم من ملائسة التوب والاعتذار
على المعاصي لأننا إذا قلنا عليك زيد معناه الزم زيد أو قيل معناه عليكم أنفسكم فاصطحبوا وأعملوا
في خلاصهم من عذاب الله عز وجل ونظروا لما فيه من نفعهم من الله عز وجل لا يضركم من ضل إذا هتدتم يعني
لا يضركم كسر من كسر إذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير
ومجاهد تركت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل
الكتاب فخذوا منه الجزية وأتركوهم وقيل لما قيل للجزية من أهل الكتاب قال بعض الكفار كيف يقبل
الجزية من بعض دون بعض فتركت هذه الآية وقيل لأن المؤمنين كانوا يثبت عليهم بقا الكفار على كفرهم
فقبل لهم عليكم أنفسكم فاجتهدوا في صلاحهم لا يضركم من ضل لأنهم لا يضلون ولا يضلون ولا يضلون
أنتم مهتدون فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل
على ذلك والذي عليه أكثر الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون موقفا على ما هو واجب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فثبت بدليل الكتاب والسنة **عن قيس بن الحارث** عن أبي بكر الصديق
أنه قال يا أيها الناس أنتم ترون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتدتم وأن
سمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن ينجسهم
الله من بعد ما يخرجهم من ديارهم وقال حديث حسن صحيح وأخرج ابن جرير وابن أبي عمير وابن أبي عمير
يعمل فيهم بالمعاصي ثم بعد ذلك على زفيره ولا يغيرون إلا يوشك أن ينجسهم الله بعبادته وقال قوم

في معنى الآية عليكم انفسكم اذا لم تعلموا منكم بالعرف والنجمة عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مررا
بالمعروف وانواع المنكر ما قبل منكم فان من عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل من آي قد
مضى تاويله قبل ان ينزل من آي وقع تاويله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آي قد وقع تاويله بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبيروا من آي يقع تاويله في آخر الزمان ومن آي يقع تاويله يوم القيمة ومن آي
ذكر من الحجاج والجنة والنار فاذلعت قلوبكم واحواكم واحدة لم تلبسوا شيئا ولم يبق بعنكم باس
بعض قمار بالمعروف والنجمة عن المنكر فاذلعت قلوبكم واحواكم والبسم شيئا واذ بعنكم باس
بعض قمار نفسه فبعض ذلك جانا ويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلت في هذه الايام فلم تأسر
ولم تنه قال الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهدى ثم فقال ابن عمر نهاليت لي ولا
لاصلي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وانت الغائب
ولكن بهذه الآية لا قوم يحشون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية السلمي قال ان النبي ابا
ثعلبة الخنسي قتل لمكيف فبعض هذه الآية قال ابي ثعلبة قتل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهدى ثم قال اما والله لقد سالت عنها خيرا سالت عن رسول الله صلى الله عليه
ولم فقال ايمر بالمعروف ونها عن المنكر حتى اذا رايت شحاطا عا وهوى متبعا ودينا مورة واعيا
كل ذي لري براه عليك بخاتمة نفسك ودع العوام فان من ورايك ايام الصبر فمن صبر فيه فبقى على
الحمل فاحمل فيه مثل اجر خمسين رجلا منا ومنهم قال لا اجر خمسين منكم لخرجه الترمذي قال حديث
حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل او
هلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهدى ثم يقول اذا اما العبد اطاعني
في امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن يحيى قال دخل
علي شاب من اصحاب لاهو فذكر شيئا من امره فقال له صفوان لا ادلك على خاصية الله التي خض فيها
اولياء يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهدى ثم وقال الحسن لم يكن مومن فينا
مضى ولا مومن فيما بيني والا والجانبة منافق بكرة عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كثر به الله وحاد
عن قصد السبل من اهل الكتاب اذا اهدى ثم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في اهل الكتاب
وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سمعت اباك وصلى الله عليه وسلم فعلت وفعلت وكان ينبغي لك
ان تصبر ثم وتعمل وتعمل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهدى ثم قال الطبري واول هذه الاقوال الواصح الناو بيات عندنا في هذه الآية ما روي عن ابي بكر
الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما امر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم
لان الله تعالى يقول وقوا على البر والتقوى ومن للتقوى البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية او كدابة في وجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضهم بعضا

بان برغبته في الخيرات وينبذ عن العتاج والمكر وهات والذي يوكده ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم
اي احفظوا انفسكم وهذا امر بان يحفظ انفسا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واسم اعلم فقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم** يعني في الآخرة الطابع والعاين والصال والمتهدي
فبينكم بما كنتم تقولون يعني فيجب عليكم باعمالكم وبخبركم عليه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا** **مادة**
بينكم سبب نزول هذه الآية ما روي انهم نزلوا من الدار وعدي بن زيد اخراجا من المدينة في تجارة
الى الشام ومانضرا بنان ومعهما مولى عمر بن الخطاب وكان مسلما فلما قد سوا الشام مر من يد بل
فكتب كتابا فيه جميع ما سمع من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبه بذلك فلما استد وجبه
اوصل الى يمين وعدي بن زيد فقامت معه الى اهلها اذ رجعا الى المدينة وماتت يد بل فقتلتها
متاعه فوجد فيه انا من فضة منقوشا بالذهب فيه ثمانية مثقال فقيهاه ثم انما قضيا حاجتها
وانصرفا الى المدينة فدفع المتاع الى اهل الميت فمشتوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان
معه فجا اهل الميت يمين وعدي بن زيد فقالوا هل يا ع صاحبنا شيئا من متاعه قال لا قالوا فكل
اجر تجارة قال لا قالوا فكل طالع من فضة فالتقوا على نفسه شيئا قال لا فقالوا انا وجدنا في متاعه
صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقتلنا انا من فضة موهبا بالذهب فيه ثمانية مثقال فقتل
قالا ما ندري ما اوصل اليها شي ولم نرا ان ندفع اليكم فدفعناه وماتنا علم بالانا فاختصموا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فاتر الله تعالى هذه الآية هذا قول المفسر بن زوي
الترمذي عن ابن عباس عن يمين الدار في هذه الآية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر
احدكم الموت قال يري الناس منها غيري وغير عدي بن زيد او كانا نضرب نيزع فجلنا الى الشام تجارة
قبل الاسلام فاتي الشام تجارته ووقد عليها مولى لبي سهر يقال له يد بل بنى من تجارة ومعه جام
من فضة يريد به الملك وهم عظم تجارته فمن فاصلي اليها وامر بها ان يبلغا ما ترك اهلها قال يمين ولما مات
اخلفا ذلك للجام فبعناه بالف درهم ثم اقلعنا انا وعدي فلما اتينا اهلنا دفعنا اليهم ما كان معنا
وفقدوا الجام فالتوا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع اليها غيره قال يمين فلما است بعد قدوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قامت من ذلك فاتيته اهلها فاحبرتهم بالخبر واديت اليهم خمسمائة
درهم واخبرتهم ان عند صاحبنا مثلها فانوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البيعة فلم يجدوا
فامرهم ان يستخفوه بما يعظم به على اهل بيته فحلف فاتر الله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان تردايمان بعد ايمانهم فقام عمر بن الخطاب وجعل الخلفا
فقرعنا خمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس سنده صحيح قال الترمذي
وقد روي عن ابن عباس عن يمين الدار في هذه الآية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
مع يمين الدار وعدي بن زيد انما السهم يرضى فيها مسلم فلما قد ما تركته فقدوا جاما من فضة
مخوصا بالذهب فاحلفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بركة فقيل اشترينا من يمين

وعدي فقار رجلان من اوليا السهمي فخلعا باسلفاء تانا احق من شهد تانا وان الجار لمصاحبه
قال فيهم تزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا شهداء بينكم اخرجوا الذين في قلوبهم
حزن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا شهداء بينكم يعني ليس شهداء بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع النزاع
والشاجرا اذا حضر احدكم الموت يعني اذا قارب وقت حضور الموت **فجاء الوصية** **انما** لفظه خبر
ومعناه الامر يعني ليس شهداء ثنائ منكم عند حضور الموت وارادتم الوصية **واعدل** **انتم** يعني من
اهل دينكم وملتكم يامعشر المؤمنين فاختلوا في هذه الاشياء فليس لها الشاهد ان الله ان يشهد ان
على وصية المرحون فيلزم الوصيان لان الآية تزلت فيها ولا تعلق قال فيقتسمان بالله والشاهد
لا يلزمه يمين وجعل الوصية اثنتين كذا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت
وصية فلان بمعنى حضرت **واخران من غيركم** يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وايضا
الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جرير والبخاري والشافعي وابن سيرين وسرخ واكثر المفسرين
وقيل معناه من غير شريعتكم وقيلتكم ومن مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم
النجفي وجماعة من منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابد انهم لم يثبت بقوله والشاهد
شبه من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة
لا تجوز بطريق الاول وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وايضا موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب وابن جرير وابن سيرين وبنو قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدون
على وصية وموت في ارض عربية فليشهد كافر من ارضهم او من ارض كنانة لان هذه اموست من ورة
قال شيخ من كان ارض عربية لم يجد مسلما يشهد وصية فليشهد كافر من ارضهم او من ارض كنانة لان هذه
الكتاب او من حدة الاوان شهداء تم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال
الا على وصية في سفر لا يجد مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بنفقاه هذه
ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدم الكوفة
فاتيا ابا موسى الاشعري فاخبراه وقد ماتت ركة ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي
كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلف بها بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا
كتما ولا غير او ايها الوصية الرجل وتركته فامضى شهاده ابراهيم واد وقال قوم في قوله ذوا
عدلانكم يعني من عشرينكم وحيكم واخران من غيركم من غير عشرينكم وحيكم وان لا يثقلها في
المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا ذهب
الشافعي ومالك والداوي حنيفة غير ان باحنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض
واخرج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن وتزولا وليس فيها منسوخ
واخرج من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الآية يا ايها الذين امنوا

فمخر لهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم واخران من غيركم
فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين لان الآية دالة على وجوب الحلف على مدين الشاهد من
واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميتا فكان في ارض عربية
ولم يجد مسلما يشهد على وصيته فناع ماله ورعا كان عليه ديون وعده وديعة
فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى شهادة من حضره من اهل الذمة وغيرهم
من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي لا يجد له اكل الميتة في حالة
الاضطرار والضرورات قد يباح شيئا من المحظورات واجتمع من منع ذلك بان الله تعالى قال
من ترضون من الشهداء الكفار ليسوا منكم ولا عدولاً فشهدوا كما ترون غير مقبولة في حال من
الاحوال وقوله تعالى **انتم ضربتم في الارض** يعني انتم سافرت في الارض **فاصابكم مصيبة**
الموت يعني تزلتكم اسباب الموت فاصيتم اليها وادعوا عليها فاحكم فيها ان يوقعوها **من بعد الصلاة** يعني من
انتم ما بعض الرثة وادعوا عليها حياة فاحكم فيها ان يوقعوها **من بعد الصلاة** يعني من
بعد صلاة العصر لان جميع اهل الايمان يعطون ذلك الوقت ويتجنبون فيه اللطف والكاذب
وقيل من بعد صلاة اسل ديننا لانها اذا كانا كافرين لا يجزئان صلاة العصر **فيقتسمان بالله**
يعني فيقسمان بالله قال الشافعي الايمان تعلق في الدماء والطلاق والعناق والمال اذا بلغ ما يقي
درهم بالزمان والمكان فيختلف بعد صلاة العصر ان كان يمين بين المركز والمقام وان كانت
بالمدينة ففته المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف المساجد واعظمها
ان انتم يعني ان شككتكم ايها الورثة في قول الشاهد من وصية فاحلفوا بها ومنه اذا كانا كافرين
اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تخليف الشاهد المسلم غير مشروع **لا تشعري به** يعني لا يبيع
عده الله بشي من الدنيا ولا يخلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او حق بخوده **ولو كان ذاق رجب**
ولو كان اليهود ذاق رايه منا وانما خضع لقرابة الذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم **ولا نكتهم**
شهادة الله انما اضاف للشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها **انا انما الامين** يعني
ان كتمنا الشهادة او خافيناها ولما تزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ودعاها وعديا وحلفها عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انما لم يخوضا شيئا دفع اليها حلفنا على
ذلك فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الانا بعد ذلك قال ابن عباس وجد الانا بركة
فقالوا اشتريناها من يمين وعدى وقيل لما طال المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاقوموا في الله
فقالا اننا كنا اشتريناها من فقلنا انما لم نؤمر ان نأخذها من سبيلنا من سبيلنا فقلنا اننا لم يكن عندنا
بينة فكنرنا ان نترككم به فكنتم اهله لذلك فرقموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان عثر** يعني فان
اطلع وظهر والعثور المخرج على امر لم يحجم عليه عين وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه فقبل له
قد عثر عليه **على انما استحق** يعني الوطينين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان

الوصيين خافا استوجيا الام بسبب خيانتها وايما الكاذبة **فاخران** يعني من اوليا الميت
واقربا به **يقومان مقامهما** يعني مقام الوصيين في الدين **من الذين يستحق عليهم** يعني من الذين
استحق عليهم الاسم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الخالفين وكان كذبهما يقوم انما
اخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته **الاوليان** يعني بالميت وهم اهل الميت وعشيرته
فيصحبان بالله يعني فيصحبان بالله **تتأخرون من شهادتهما** يعني ان ايماننا الحق واصدق
من ايماننا **وما اعندنا** يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا الحق من شهادتهما **انا انا انا الظالمين**
ولما تركت هذه الاية فامر عمر بن العاص والطلب بالحق داعية السرميان وسما من اسلم الميت
تخلعا بالله بعد العصر ودفع الامنا اليهما وانما دعت اليهم على اوليا الميت لان الوصيين ادعيا
ان الميت باعما الاما وانكر ذلك الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت
وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة مررت اليهم عليه ولما اسلم عليهم الدار بعد هذه الفتنة
كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذنا لانا فاما انتم انتم الله واستغفروا وقوله **ذلك الذي**
ان يا نواب الشهاد على وجهها يعني ذلك الذي حكما به من الدين على اوليا الميت بعد ايمانهم
او في اي جدر واحري ان يا نواب الشهاد على وجهها يعني ان يا نواب الوصيان وسائر الناس بالشهادة
على وجهها فلا يخونوا فيها **او يخافوا ان ترد ايمانهم** يعني واقربا من يخاف الوصيان ان
ترد الايمان على اوليا الميت فيخلعوا على خيانتهم وكذبهم فيقتضوا ويترخوا فربما لا يخلعوا كاذبين
اذا خافوا هذه الحكم **ولتقوا الله** يعني وخافوا الله ان يخلعوا ايماننا كاذبة او تخونوا امانة **واسمعوا**
يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا مع لاجابة **واسمعوا** يعني
واسمعوا لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله وخاف امانته
او خلف ايماننا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القرآن من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم
باسرار كتابه قوله عز وجل **يوم يجمع الله الرسل** قال الزجاج هي متصلة بما قبلها فانه يريد ما اتوا الله
يوم يجمع الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة
في ذلك اليوم ويوم يوم القيمة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله
الرسل وذلك يوم القيمة **فيقول بما اذللتم** يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ما اذللتم ايمانكم
وما الذي مرج عليكم قوتكم حق وعزومتهم في دار الدنيا الى توحيدى وطاعتي وفائدة هذا السؤال
توبيخ ائم الانبياء الذين كذبوا يوم **قالوا** يعني الرسل **لا علم لنا** قال ابن عباس ومعناه لا علم لنا كعلمك
فيهم لانك تعلم ما انزلوا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فاعلم انهم انما قد علموا ما ابلغ
فعلهم بهذا القول ما انزلوا العلم عن انفسهم وان كانوا على علم صارا كالا علم عند علم الله وقال
في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم ان الله علم به وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم
لنا بوجه الحكمة عن سوادك ايماننا علم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم

لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واوقالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم
ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روى عن انس بن مالك رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يردن
على الحوض رجال ممن صا حبني اذ رفقوا الى اخلا الجواد وفي فلا قولنا اي صاحبنا فيقال انك لا تدري
ما احدثوا بعدك انما في رواية فاقول سبحان من بعد ابعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين
ان للقيامة اهلها الاول لانهم ترونها في القلوب عز مواضعها فيفزعون من مولاهم ذلك ويدخلون الجواب
ثم اذا اثابت اليهم عقولهم يشهدون على ائمتهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله قال في حق الانبياء
لا يخفى لهم الزرع الاكبر وذكر الامم في الذين وجها اخر وموان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله
تعالى عالم لا يحيل وحكيم لا يسهو وعادل لا يظلم علما ان قولهم لا يفيد جبرا ولا يدفع شرا وان الاله
في السكوت وفي تقوية الامر الى الله وعده فقالوا لا علم لنا **انك انت علام الغيوب** يعني انك تعلم
ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا تخفى
عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس يخفى عليه خافية وبها فعلان بنا التكذيب ولت
العالم باصناف المعلومات على ثبوتها ليس يخفى عليه خافية وبها فعلان بنا التكذيب ولت
الاية على جواز اطلاق العلم على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق فيه وقوله تعالى **ذوال الله على**
ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلي الله عليه وسلم لما اذ اجتمع ولما كان المراد
بقوله للرسول ما اذ اجتمع توبخ الامم المكذبة ومن ترمد منهم على الله وكان الله لا يسمع احيا جاوا فقارا
الى التوبخ والعلامة النصارى الذين ترمعون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم
انما كان طعنهم على انبيائهم بالتكذيب لهم وطعنهم مولا النصارى تقديرا الى جلال الله تعالى حيث
وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولادة قد كفي هذه الاية من اخراج نعمة على عيسى عليه
السلام التي لا يعلم انه عبد وليس ياله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على فتح
مقاتلتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحق عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة
ما خطبه عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالانبياء على القطع ومعناه
اذا اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على
سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظ واحد
والمراد به اجمع لان الله تعالى اعدد نعمة عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها **وعلى ذلك**
يعني نعمته على مريم انما تعالى انبتها ناقحنا وطهرها واصطفها على سائر العالمين فخر
ذكر نعمة على عيسى عليه السلام فقال تعالى **اذ يدرك بروج القدس** يعني يحير على السلام الى الله
مولاه تعالى في فناءه اليه على سبيل التشریف والتعظيم كاصنافه بيت الله وناقة الله وقيل
الروح القدس الروح الطهر لان الارواح تختلف بالاممية فبها روح طاهرة مقدسة

نورانية ومنا روح خبيثة كدرة ظلمانية فخلق الله علي بالروح المقدسة الطاهرة والنورانية
للشركة **فكلم الناس في المائدة** يعني تكلمهم طغلا في حال الصغر **وكتبا** يعني في حال الكهولة من غير
ان يتجاوزوا ذلك ليمدوا الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة لم تحصل لاحد قبله
قال ابن عسلى رسل الله عليه السلام وموازين لا يتزن سنة فكت في رسالة ثلاثين شهرا مشر
رفعه اليه **واذ علمت الكتاب والحكمة** يعني الكتاب وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار
العلوم **والنورانية والابحار** اي وعلمت النورانية التي ازلها على موسى والابحار التي ازلها عليك
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير يعني واذ جعل من الطين كصورة الطير **بأذن في قنق**
فيما ذكر معناها وفي سورة الاعراف فيه فالصغير في قوله فيها يعود الى الهيبة ويجعلها مصدرا
كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النسخ لا يكون في الهيبة انما يكون في المبدأ والهيبة ويجوز ان
يعود الصغر الى الطير لا نهامونته قال الله تعالى ولم يروا الى الطير فوقهم صفات واما الصغر
المذكور في الاعراف في قوله فيه يعود الى الكافة يعني في ذلك الشيء المماثل لمية الطير **فكروا طيرا**
بأذن فاما كرم قوله بأذن في تأكيده الكون في الخلق واثباته ان الله تعالى وتعالى خلقه لا بقدره عيسى
وتخليقه لان الخلق لا يخلق شيئا انما خلق الله تعالى لخالقها سواء وانما كان
الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى **وتري للاسماء والارض**
بأذن يعني وتشتي لاهم وهو الاعلى مطوس البصر والارض معروف ظاهر **واذ تخرج الموتى** يعني من
قبورهم اجابا **بأذن** بفعل ذلك كله بدعايك والفاعل لهذه الاشياء في الحقيقة هو الله تعالى لانه
هو المبرى للاسم والارض وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات
لعيسى عليه السلام وقعت بأذن الله وقدرته وقوله تعالى **واذ كففت بنى اسرائيل عنك** يعني واذ كر
فتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جيتهم بالبينات
يعني بالادلة الواضحات والمعجزات الباهرة التي ذكر في هذه الآية وذلك ان عيسى لما اتى بهذه
المعجزات العجيبة الباهرة فصد اليهود فتمت فخلصهم منهم ورفعهم الى السماء فقال **الذين كفروا**
منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات **ان هذا الاسحريين**
يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل **واذا وجهت الى الخواص** يعني اليهم وقذفت في
قلوبهم فهو وجهي الهام كما ارجى الى ام موسى والى الخواص يوم يوم اصحاب عيسى وخواصه **انما**
يروي يعني عيسى عليه السلام **قالوا امنوا واشهد باننا مسلمون** لما وفهم الله تعالى الايمان
قالوا امنوا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الاتساق
والخضوع في الظاهر والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بطوايعهم قوله تعالى **اذ قال الخواص**
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزلنا من السماء يعني ان يبعثنا من السماء الى الارض
انهم شكوا في قدرة الله عز وجل لكنه كما يقول الرجل الصالح هل يستطيع ان تقوم معي علمه

بانه يقد على القيام وانما قصد بقوله هل يستطيع هل يسهل عليك وهل تحق ان
تقوم معي فكذلك المعنى الآية لان الخواص كانوا مومنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين
بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليجعل لهم مزيدا لطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن
ليطين قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة توفى مزيدا لطمانينة في القلب ولهذا
السبب قالوا ويطين قلوبنا وقال بعضهم هو على طامره وقال غلط القوم وقالوا ذلك
قبل احكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرافا لواء هذه المقالة فوداه عليهم عند غلظهم
بقوله اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرته عز وجل والقول الاول اصح
وقيل في معنى الآية هل يقبل ربك دعاك وهل يعطيك باجابة دعايك وسوالك انزال المائدة
فقد ورد في بعض الآثار من طاع الله اطاعه **ان ينزل علينا مائدة من السماء** المائدة الخوان الذي
عليه الطعام ولا يسمى مائدة اذ لم يكن عليه طعام وانما يسمى الخوان وطبق واصلا من ماد يميده
اذ تحرك كما يقال مائدة من الطعام **قال** يعني عيسى للخواص **ان كنتم مومنين**
يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مومنين لانه سوايقت وقيل امرهم بالمعنى ليجعل لهم هذا
السؤال ومعنى ان كنتم مومنين فصدقوا فلا تشكوا في قدرته الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله
ان سألوه شيئا لم يباله احد من الامم قبلكم فها هم عن اقتراح الايات بعد الايمان **قالوا نريد ان**
نأكل منها يعني قال الخواص يحيين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لاننا كل
منها فان الجوع قد علينا وقيل معناه نريد ان نأكل للثبوت بها لا الكفاية **ونظروا قلوبنا** يعني
وستكن قلوبنا ونستيقن قدرته الله عز وجل لانا وان علمنا قدرته الله بالدليل فاذا شهدنا
نزول المائدة انزلنا اذ اليقين وقويت الطمانينة **ونعلم ان قد صدقتا** يعني وترداد اليانا وتبيننا
بانك هو الله وتكون عليه **من الشاهد** يعني الله بالوحدانية وذلك بالرسالة والنبوة وقيل معناه
ونكون لك من الشاهد من عند بنى اسرائيل اذ اجبت اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا
ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتهم ذلك وافطرتهم فلا تسألوا الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا
ذلك وسألوا نزول المائدة ففعله ذلك **قال عيسى ابن مريم** قيل انه اغتسل وليس المسحوقين ركعتين
وطا طاراسه وبكى ثم دعا فقال اللهم **ربنا اترك علينا مائدة من السماء تكون لنا عيد الاول والاخر**
يعني عايده من اسبانيا وحجة وبرهاننا والعيد يوم السرور واصلة من عباد يعود اذ ارجع والمعنى
ننخذ ذلك اليوم الذي ينزل فيه المائدة عيدا نعطيه ونفعل فيه نحن ومن يحى من بعدنا فترلت
في يوم الاحد فاتخذته النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ياكلونها اول الناس كما ياكل اخرهم
واية منك اي وتكون المائدة دالة على قدرتك ووجدانيتك وحجة لصدق رسولك **واذ من قنق**
اي ازر قنقا ذلك من عندك وقيل ازر قنقا الشكر على هذه النعمة **وانت خير الرازيين** يعني وانت خير من
نفضل وازرق **قال الله عز وجل** يحيا عيسى **ان من قنق** اي عيسى **عليكم** يعني المائدة **فمن يكفر بعد منكم** يعني

بعد نزول المائدة فاني اعذبه عذابا يعني جنتا من العذاب لا اعذبه احد من العالمين يعني
من عالمي زمانهم فجدوا وكذا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون
هذا العذاب مجعلا في الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا في الآخرة قال عبد الله بن عمر ان أشد الناس
عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة والفرعون وخنزير العلماء في نزول
المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لم يعذبهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول
المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريد هاقما تنزل عليهم فعلى هذا القول
يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سألتم نزولها والعجيب الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين
انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزلها ولا خلف في خبره
ووعده ولم يروى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من
السماء خروا سجدا وامروا ان لا يخونوا ولا يهروا ولا يفرحوا ولا يفرحوا ولا يفرحوا ولا يفرحوا
قردة وخنازير اخرج الترمذي وقال قد روى عن عمار بن ياسر عن عمار بن ياسر قال ان
عيسى بن عيسى عليه السلام قال لم صنواوا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما يستعملكم يعطيكم
فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى اننا عملنا عملا لا أحد ففعلنا عمل لا طعنا وسألوا المائدة
فأقبلت الملائكة بأبدة يحملونها عليها سبع عشرة رغبة وسبعة احوات حتى ومنعوا بها بين ايديهم
فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الخواريون المائدة ليس عيسى
عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية فتركت سفرة حمراء خضراء
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقعة حتى سقطت بين
ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم يروا مثله ولم يجدوا ترجحا اطيب من رحمة فقال عيسى عليه السلام
ليقيم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسمى الله فقال سمعون الصغار اسألوا ربنا ان يات اولي بذلك
منافقهم عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء شديدا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هي سمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلول ورسول نبيل من
الاسم وعندها راسها ملح وعندها ذنبها خل وحولها من الزمان بقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال سمعون يا روح الله ان طعام الدنيا هذا امر من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما
تروى من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شئ افعله الله بالقدرة العالقة كلوا مما سألتم
يهدكم الله وزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان اكل
منها ياكل كل منها من سألها فخافوا ان ياكلوا منها فدخلوا اهل الناقة والمرز والبرص والجذام
والمقعدين فقال كلوا من نزل الله لكم المعنا وغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل

وامرأة من فقير ومريض ومزمن ومبتلى وصدر راعها ومم شبا عا واذا السمكة بحالها خبز تركت
ثم طارت للمائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها مريض او مزمن او مبتلى
الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها فكفت اربعين صبيا حاترا نزل حتى اذا نزلت
اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ياكلون منها ولا تزال منصوبة
يوكل منها حتى يفي الفى فاذا الفى طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غصبا
يومئذ تنزل ويومئذ لا تنزل فاحسوا عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل ما يدق في رزقي للفقراء
دون الاغنياء فقطم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشكوا الناس فيها وقالوا تنزل المائدة هاتين
من السما فاحسوا عز وجل الى عيسى عليه السلام في شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبه عذابا
لا اعذبه احد من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان نقدهم فانهم عذابك وان تقفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا بائنا البليتهم مع شياهم على فرسهم
ثم اجسجوا خنازير يسمعون في الطرقات ياكلون الغدرة من الكناسات والحشوش فلما راي
الناس ذلك فرغوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكيت وجمعت
تطيف به وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشربون ويوسمهم ولا يقدر روز على الكلام فقاموا
ثلاثة ايام ثم ملكوا قال لعبد تزلت المائدة منكوسة بظلمتها الملائكة بين السماء والارض
عليها كل شئ الا اللحم وقال ابن عباس نزل على المائدة كل شئ الا الخنزير واللحم وقال الكلبي كان عليها
حرر وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله افروضة من شعيرة جنتنا وكان القوم ياكلون ويخرجون
ثم يحيى اخرون فيما كلون حتى اكلوا باجمهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيتا
حيث كانوا كالحق السورى يبنى امرايل وقال الكلبي ومما نزل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها
ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجوا الى قراهم ونزل الحديث فمسخ من لم يشهد منهم وقالوا
ويحك انما سمعنا عيسى عليه السلام يقول انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فمسخوا خنازير
ليس فيهم حبي ولا امرأة فمسخوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك
كل مسموح قوله عز وجل واذا قال الله يا عيسى بن مريم اني قد جعلت للناس اخذ ذري والى الذين من ذري الله
الاية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال الصديقال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام
حين رفعه الى السماء ليل ان حرفا اذ يكون للمافق وقال سائر المفسرين انما يقول الله هذا القول
يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك في يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وذلك في يوم القيمة واجيب عن حرفا ذباها قد يحيى معنى اذ القول ولو ترى
اذ فرغوا وقالوا لا جزه ثم جز الله عن اذ جزه جنة عدن في السموات العلى ولفظ الاية في
قوله انت قلت للناس لفظ استنهام ومعناه الانكار والتعجب لم يزد على ذلك على عيسى عليه السلام
من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقبله فان قلت اذ كان عيسى عليه السلام لم يقبل هذه المقالة

فما وجد هذا السؤال مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تبيننا بحجة على
قومه والكذاب لم في ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به كما يقولون القائل لاخر فقلت كذا او يعلم انه
لم يفعل وانما اراد تعظيم ذلك الفصل فتفي عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لم الامسا
امرته ان اعبدوا الله وربيكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما ادعت فيه النصارى
فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية منكم فكيف قال الله وربي والهي من دون الله قلت
ان النصارى لما ادعت في عيسى اناله وراوا انهم ولدته لم تتم هذه المقالة على سبيل
التبعية وقوله تعالى اخبرنا عن عيسى عليه السلام **قال سبحانه** يعني تترجم لك عن النصارى
وبراءة لك من العيوب قال الموروق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله انت
قلت للناس اتخذوني والهي من دون الله ارفعتم مقامه وانفجرت من اصل كل شعرة
من جسده عين من دم وقال مجيب الله تعالى سبحانه **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي** كيف
اقول هذا الكلام ولست لياهل ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليها وما بين الله ليس له
ان يقول منه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله شرع في بيان هل وقع ذلك منه
ام لا فقال **ان كنت قلته فقد علمته** اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار للسكينة
لعظمة الله تعالى وتوضيح الامر الى علمه ثم قال **تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسي** يعني تعلم
ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في عيسى ولا اعلم ما في عيسى وقيل معناه تعلم
ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون مني في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم
ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والتعجب عبارة عن جملة
الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرى وقيل معناه
تعلم معلومى ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذه الكلام على طريق المسئلة والمطابقة وهو من
فصيح الكلام ثم قال **انك انت علام الغيوب** معنى تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم
من قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسي انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبرنا عن عيسى
ما قلت لهم الا امرته يعني ما قلت لهم الا قولا امرته **ان اعبدوا الله** يعني قلت لهم اعبدوا الله
وربي وربيكم يعني وحده ولا تشركوا به شيئا وكتب عليهم **شهادتهم** انما دعت فيهم يعني وكنت الشاهد ما
يفعلون واحصره مادمت مقبلا فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السماء المراد به وفاة
الرفع لا الموت **كنت انت الرقيب عليهم** يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب
الحافظ لله لا يغيب عنه شيء **وانت على كل شيء شهيد** يعني انت شاهد مقالي الى قلته الم وان
الشهادة عليهم بعد ما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهادة هنا بمعنى الشاهد
ما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهادة هنا بمعنى العلم يعني انت العالم بكل شيء فلا يرب عن
علمك شيء قوله عز وجل اخبرنا عن عيسى عليه السلام **ان تعبدوا** يعني ان تعبدوا بعبادة الله في قوله هذه

المقالة بان تتم على كثرهم **فانهم عبادك** لا يقيدون على دفع ضررتكم ولا جلب نفع لانفسهم
وانت لعادل فيهم لانك اوجنت لهم طريق الحق فزجروا عنه وكفروا **وان تغفر لهم** يعني لمن تاب
من كفره منهم بان تدم به الى الايمان فان ذلك يغفلك ورحمتك **فانك انت الغفور** يعني في الانتقام
ممن تريد الانتقام منه لا يمنع عليك ما تريد **الحكيم** في افعالهم كلها وهذا التقدير انما يصح
على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز وجل العيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم
القيامة وما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة في قوله وان تغفر لهم
فانك انت الغفور الحكيم اسكال وهو انه كيف يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لم مع علمه ان
الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاسكال ان جوده احدها انه ليس هذا على
طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله
وتفويضه الى امره فيهم لانه الغفور في ملكه الحكيم في قوله ويجوز في حكمه وسعة مغفرته ورحمته
انه يغفر للكثير لكنه تعالى اخبرنا لا يغفر ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني
يقول معناه ان تقدمهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم وقاب ورجع
عن كفره الوجه الثالث قال ابن السكيت لما قال الله لعيسى انت قلت للناس اتخذوني والهي من دون الله
من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكمت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب
فيحوز ان يسأل الله المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه **عن عبد الله بن عمر بن الخطاب** ان النبي صلى
الله عليه وسلم تلا قوله عز وجل في ابراهيم ربه ان من اضلن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الامة وقال
عيسى ان تقدمهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امي امي
وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا حبيب اذ سب الى محمد وريك اعلم نفسك ما يبكيك فانه جبريل عليه
السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا حبيب اذ سب الى محمد
فقتل انا ستر ضيقك في امك ولا تسوك عن آتي خزان رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر حتى اصبح باية
والاية ان تقدمهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الحكيم اخبره النساى قوله عز وجل
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور المفسرين على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى
ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء فاقدم من صدقهم في الدنيا
يتبين بغير يوم القيامة والمراد بالصادقين الذين آمنوا بالكفار لا ينفعهم صدقهم يوم
القيامة قال قتادة مستكمان يخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول انا فضل الله عنه
ما قلت لهم الا امرته به الاية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فصدق صدقه واما التكلم الاخر
فابليس فيسبهم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر لاية فصدقه وعدوا الله فيما قال ولم ينفعه
صدق وقال عطاء هذا يوم من ايام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول
الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول واقول ذهب السدي حيث يقول

ان هذه الحاخاطبة حوت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السما والوجه ما ذهب اليه الجمهور
ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صفة ثم فقال تعالى **لصم جنات تجري من تحتها الانهار**
خاله فيها ابنة افهذ السادة الى ما يحصل لهم من الثواب الذي لا يقطع له ولا انتم
رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له **ورضوا عنه** يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته
ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم **الفوز العظيم** يعني انهم فازوا بالجنة ورضوانه عنهم ورجوا
من الناس **ملك السموات والارض وما فيها** عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه المقاري
يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لما قالت المقاري من
العبية المسيح لان المسيح واحد من جملة من في السموات والارض فما عبيده وفي ملكه وقيل ما هو
جواب لسائل يضمن في الكلام كانه لما وعد الصادق في الثواب لعظيم فقيل من يعطيهم ذلك
قال الذي له ملك السموات والارض **وهو على كل شيء قدير** والله اعلم باسرار كتابه تصدير سورة
الانعام فصحت في ذكر ترويضها روى مجاهد عن ابن عباس في سورة الانعام ما تزل بكه وهذا
قول الحسن وقادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال تزلت سورة الانعام
جملة ليلا بكه وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال اي ملكية تزلت جملة واحدة
وتزلت ليلا وكسوها من ليلتهم غيرت يات منها فانها مدينيات وهي قوله تعالى قل انما امرت
ربكم عليكم الى اخر الملائكة يات وقوله تعالى وما قدر والله حق قل هذه الآية وقوله تعالى ومن اظلم
من اقرى على الله كذبا او قال الحق الى اخر الايتين فذكر مقائل نحو هذا واذ ايتي في قوله تعالى
والذين اتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناكم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون انساب الاية وروى عن ابن عباس في قوله انما قال لا يملك الايتين تزلت بالمدنية قوله
وما قدر والله حق قدر وقوله وهو الذي انشا جنات معروشات الاية ولما تزلت سورة الانعام
ومعها سبعون الف ملك قد سد وما بين التافيت لم تزل بالتيه والتخيد قال النبي صلى الله عليه
وسلم سبحان ذي العظيم سبحان ذي العظيم وخروا سجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا
من قول سورة الانعام صلى الله عليه عليك سبعون الف ملك ليل وفناره ذكره بغير سند بسبب الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال كعب** الاحبار بهذه الآية
اول اية في التوراة واخر اية في التوراة قوله تعالى قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية
عنه اذا خراية في التوراة اخر سورة مود قال ابن عباس في فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وحتمهم بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
العالمين وفي قوله الحمد لله ثلثا العبادة كيف يحمده وانه اي قولوا الحمد لله وقال اسلم المعاني لفظه
خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان
من حيث انه جمع الامر على قول قيل احمدوا الله لم يجمع الامر فيكون قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى

الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق
السموات والارض وانما خصها بالحمد لانه اعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السابغ عجمه
ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع **وجعل الظلمات والنور**
لجعلنا معنى الخلق اي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور
النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل
الجنة والنار قال قتادة خلق السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى
عن عبد الله بن عمر بن القاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقا في ظلمة ثم انفق عليهم من
نوره فمن اتاه به ذلك النور اسدى من احطاه من ذلك كره البغوي يعني من لم يلهي من كرهوا به **بهم**
بعد لون يعني الذي كرهوا به بعد ما البيان بهم يتركون واصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم
يعملون ما به غير الله ويعملون له عدلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقوالهم بان الله خلق السموات
والارض وقال السفيين شبل البا في قوله بهم بمعنى عن ايهم يعملون ويخفون من العبدون عن
الشيء وقيل جولد في قوله من الذي كرهوا به على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على
الكنار العدل به وعلى تعجب المؤمنين من ذلك ومثاله ان يقول الرجل كرمك واجنت اليك وانت
تسكون في تحج احسان اليك فيقول ذلك منك اعليه ومعجبا من فعل قوله تعالى **هو الذي خلقكم من طين** يعني
انه تعالى خلق آدم من طين انه خاطب ربه بذلك لانه اسلمهم وهم من نسكه وذلك لما انكر المشركون
البعث وقالوا من يحيى العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية انه تعالى خلقهم من طين وهو القدر على
اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق آدم بعث جبريل الى الارض لانه
يقبض منها فقال لا يقبل في اعدو باس منك ان يقبض مني فرجع ولم ياخذ منها شيئا فقال يا رب
عادت بك فبعث الله ميكائيل فاستغاث فرجع فبعث الله ملك الموت فغاث منه فقال وانا اعود
باسه ان اخاف امره واخذ من وجه الارض فخطط الحمر والسود والبيضا فلهذا اختلفت ألوان بني آدم
ثم عجبها بالما العذب والمخول فلذلك اختلفت خلقتهم ثم قال الله ملك الموت رجم جبريل وميكائيل
الارض ولم ترحمها لاجرم اجعل ارواح من اخلق من هذه الطين بيدك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء
بنوا آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود ويغزل ذلك والسبل والحرب والحبيب والطيب
اخرجه ابوداود والترمذي اما قوله تعالى **ثم قضي اجله** اي **اجل مسمى عنده** فاختلص المعنى في ذلك
فقال الحسن وقادة والفتحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت
الموت الى المبعث وهو البرزخ وروى نحوه ذلك عن ابن عباس قال الكلا احد اعلان اجل الى الموت واجل
من الموت الى المبعث فان كان الرجل يرا تقيا ومولا للرحم زيد له من اجل المبعث في اجل العمر وان كان
فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل المبعث وذلك قوله تعالى **ثم قضي اجله** ولا ينقص

من ثم في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والجل الثاني اجل الآخرة
وقيل الاجل هو الوقت المحدد فاجل كل انسان مقدر معلوم عنده لا يزيد ولا ينقص والاجل
الثاني هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم عنده لا يعلم الا هو وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه
مترقني اجلا يعني النور يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عند مواعيل
الوقت وقيل ساء واحدا ومعناه ثم قضى اجلا يعني قد مره لا عاركم تنهون اليها واجل مسمى عنده
يعني ان ذلك الاجل مسمى عنده لا يعلم الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع
عليه غيره ثم انتم تموتون يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي
الارض يعني وهو الله السموات والارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال
محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه
تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو
المتردد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيها والمراد بالسرا مخفية الانسان في ضميره
فهو من اعمال القلوب وبالجملة ما ينظره الانسان فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفي عليه
خافية في السموات ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من خير او شر يقي في الآية سؤال وهو
ان الكسب ما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسرا ومن اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر
فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فعوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف
الشيء على نفسه وذلك عبرة بما في ذلك واجبت عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون
على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على الكتب
فتوحيها قال هذا المالك فلان اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشيء
على نفسه ذكره الامام فخر الدين وحاشا قلوبهم يعني لا بد من اية من آيات ربهم يعني من المعجزات
الباهرة التي تجاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد
بالآيات آيات القرآن الا كما هو اعلمهم معصين يعني الا كما هو اعلمهم معصين فكذا بوا
بالحق يعني بآيات القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وما الى به من المعجزات لما جاءهم يعني لما
جاءهم الحق من عندهم كذبوا به فسوف ياتهم انما كانوا لا يبصرون يعني فسوف ياتي اخبار
استنراهم اذا عذبوا في الآخرة قوله تعالى المبر والخطاب لكفار مكة يعني اولم ير هو لا مكة من آيات
ثم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون
الخالية والقرن لامة من الناس واهل كل زمان قرن سواء ذلك لا قدر انهم في الوجود في ذلك الزمان
وقيل مسمى قرنا لانه زمان زمان امة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقولنا ثمانون سنة وقيل
ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة
الاصح لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن مسعود المازي انك تعيش قرنا فعاشر مائة سنة

فعل هذا القول المراد بالقرن اهل الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني اصحابه وتابعيه وتابعي التابعين مكنائهم في الارض ما لم يكن
لهم يعني اعطيتهم ما لم يظفكم يا اهل مكة وقيل امددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة
في الارزاق مثل ما اعطى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وارسلنا السماء عليهم مدررا فمفعال من
الدر يعني وارسلنا المطر متابعيا في اوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لتزوله منها
وجعلنا الانهار تجري من تحتهم يعني وجعلنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين
فاهلكناهم بنوهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم وانسانا من بعدهم قرنا آخرين يعني خلقنا
من بعد ملأ اولئك القرن اهل قرن اخرين في هذه الآية ما يوجب الاعتبار والعظة بحال من معنى
من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الانباج اهلكناهم
لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو اصنف منهم واقل عددا وهدوا وهذا يوجب الاعتبار
والانتباه من نوع العقلة ورقدة للمهالة قوله عز وجل والوتر لنا عليك كتابا في قرطاس لانه قال
الكلبي ومقاتل تزلت في المقعر من الحرف وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد ان نوح من
لك حتى تاتيها بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه به من عند الله وانما امرسوله
فانزل الله تعالى هذه الآية ولو انزلنا عليك كتابا يعني من عندى في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس
وهو الكاغذ والصحيفة التي يكتب فيها فامسوه يا ايديهم يعني فمساها بيدهم وانما ذكر
المسح ولم يذكر المعاقبة لانه ابلغ في ايقاع العلم بالشيء من الرواية لان المرسيات قد يدخلها الخيال
كالسحر ونحوه بخلاف المسح قال الذين كفروا ان هذا الاسحريين يعني لو انزلنا عليهم كتابا كما انزلنا
امنا به ولما انزلنا الاسحريين كما قالوا في انشقاق القمر انه لا ينفع معهم شي لما سبق فنهى عن علي
هم وقالوا يعني مشركي مكة لولا يعني هلا انزل عليه يعني على محمد ذلك يعني نزوله عيانا ولو انزلنا ملكا
لقضى الامر يعني لفرغ من الامر ولو جلا لعذاب وهو سنة الكفار انهم متى اقترحوا اية فارتدت ثم
لم يؤمنوا استوجوا العذاب واستواصلوا به ثم لا ينتظرون يعني ثم انهم لا يملكون ولا يؤخرون طرفه
عزير بل يحجل لهم العذاب ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني لو انزلنا اليهم ملكا لجعلناه
في صورة رجل ذلك لان البشر لا يستطيعون ان ينتظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها
ولو نظر الى الملك داخل لصق عند رويته وتلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة الانس كما جاء
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام
في صورة جليلين وكذلك الى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهم السلام ولما راي النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورته التي خلق عليها صعد لذلك وعشى عليه وقوله تعالى وللبينا عليهم ما يليبسون
يقال لبست الامر على القوم اذا سبهم الله عليهم وجعلت مشكلا وليس عليه الامراة اخلطت عليه
حتى لا يعرف جمته ومعنى الآية وخلقنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا الملك هو

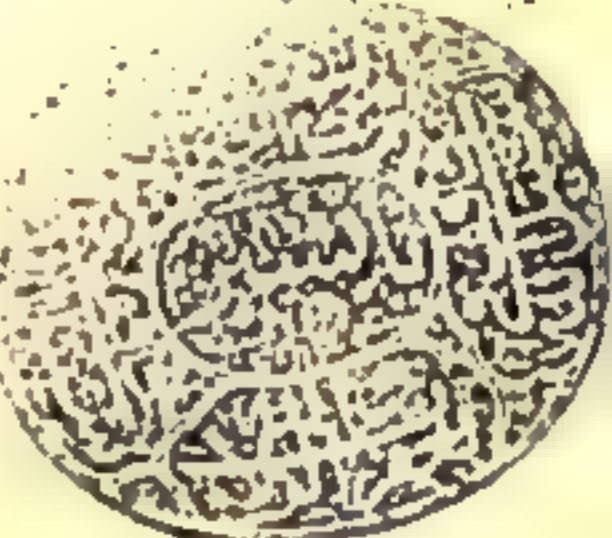
امر ادم وقيل في معنى الآية انما اذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود السبله بجانبه انما لا يرفع
برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى مثل فعلهم في التبليغ وانما كان تبليغا
لانهم يظنون انه ملك وليس ملكا او يظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تبليغا
لانهم ليسوا على ضعفهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولوراوا الملك رجلا
للمتهم من اللبس مثل الحق لضعفائهم فيكون اللبس نعمة من الله وعقوبة لم على ما كان منهم
من التخلط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل **ولقد استهزئ برسلكم قبل ان يبعثكم**
استهزئوا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته له عما كان من تكذيب
المشركين لايه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله **فخافوا** وقيل
احاطوا وقيل حل بالذين **سخرهم ما كانوا به يستهزئون** والمعنى فترك العذاب بهم ووجع عليهم
من النعمة والعذاب جزا استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين الذين فعلوا انبيسهم بما فعل
من كان قبلهم بانبيائهم فيتركهم مثل ما تركهم **قل سبيروا في الارض** موسيرا لا اذمار **ثم انظروا فاعلى**
القول الاول يكون النظر فكله وعبره وموالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراح
بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرور المسالفة وهو قوله
تعالى **كيف كان عاقبة المكذبين** يعني كيف كان جزا المكذبين وكيف اوردتهم الكفر والتكذيب
الهلاك فحذر كفار مكة عذابهم لآلهم الخالية قوله عز وجل **قل اني ما في السموات والارض قل الله** هذا
سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العاديين برهم من ملك ما في السموات والارض
فانما اجابواك والا فاحبرهم ان ذلك الله الذي امر كل شئ وملك كل شئ واستعبد كل شئ للاصنام
التي تعبدونها انتم فانها موات لا تملك شيئا ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بكواب عقيب
السؤال ليكون ابلغ في التاكيد واكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتعرفه في سائر مخلوقاته
اردفه بكلام رحمة واحسانه اليهم فقال تعالى **كتب على نفسه الرحمة** يعني انه تعالى اوجب وقفي
على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمؤمنين عنه الى الاقبال عليه واخبارا بانه رحيم بعباده
وانه لا يعجز بالبعقوبة بل يقبل التوبة والالاباة بمن تاج واناب **ق** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتنى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية البخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان
رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لما ان الله لما خلق الخلق وعنده مسلم
لما فتنى الله الخلق كتب في كتاب كنهه على نفسه فهو موضع عنده زاد البخاري على العرش ثم شمر
استغاث ان رحمتي تغلب غضبي **ق** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله
الرحمة مائة جزءا مائة عنده تسعة وتسعون وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزئية **حرم**
الخلق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان يصيبه زاد البخاري في روايته له ولو يعلم الكافر

بكل الذي عند الله من الرحمة لم يبين من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن
من العذاب ولمسلم ان الله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والموام فيها
يتقاطفون ولها ثمار حموز وبها تقطف الوحش على ولدها واخر الله تسقا وتسعين رحمة يرحم
الله بها عباده يوم القيمة **ق** عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض
رحمة فيها تقطف الودة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فلا كان يوم القيمة
اكملها بهذه الرحمة **ق** عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذ المرأة من السبي تسعي
قد تحلب ثديها بما وجدت صبيا في السبي اخذته والرفقة ليطبها فارفعت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ومي تقدر على ان لا تطرحه فقلنا
لا والله فقال الله ارحم عباده من هذه المرأة بولدها وقوله تعالى **ليجمعنكم** لام القسم
تقديره والله ليجمعنكم **الي يوم القيمة** يعني في يوم القيمة **لا ريب فيه** اي لا شك فيه ان ذات
الذين خسروا انفسهم يعني بالترك بالله او بقوا انفسهم وغبنوها باحتادهم الاصنام فقصوا
انفسهم لخطيئتهم عقابه فكانوا كمن خسروا اصل الخسارة الذين خسروا اصل الخسارة
غيرت بيعة **فهم لا يؤمنون** يعني لما سبق عليهم من النقص بالخسرة هو الذي جعلهم على الانتع
وله ما سكن في الليل والنهار يعني ما استقر وقيل له بما سكن وما تحرك فاكتمى به كراحمه عن
الاخر وقيل انما حصل لشكونه بالذكرة لاني النعمة فيه اكثر وقال ابن جرير كلما طلعت عليه الشمس غرت
فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات
والطيور وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيدها المحرر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله
تعالى لا لغيره **وهو السميع** لا قولهم واصواتهم **العليم** بسرايرهم واحواطم قوله
عز وجل **قل اغير الله اخذ وليا** قال مقاتل لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الي بن ابيه فانزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد يا غير الله اخذ وليا يعني ربا
ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استغفارهم ومعناه لانك راى اخذ غير الله وليا
فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض ومبدعها ومبدعها **وهو يطعم**
ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالنعناع للخلق
وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لا احتياجهم اليه وهو
لا يطعم لا يستغنايه سبحانه وتعالى عن الاطعام ومن كان كذلك وجب ان يتخذ ربا
وناصرا ووليا ومعبودا **قل اني امرت ان اكون اول من اسلم** يعني من هذه الامة
والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته
ولا تكون من المشركين يعني وقيل لي يا محمد لا تكون من المشركين **قل اني اخاف**

ان عصبنت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عوك الى عبادة
غيري اني امرت ان يكون اول من اسلم ولحقاني عن عبادة شئ سواه واتى لخاف ان عصبنت ربي
فعبدت شئ سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيمة **من يجره عنه** يعني العذاب
يومه يعني يوم القيمة **فقد رحمة** يعني بان اجاه من العذاب ومن اجاه من العذاب فقد رحمة
واناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط
بل تحصل له الرحمة مع صرف العذاب عنه **وذلك الفوز المبين** يعني ان صرف العذاب وحصول
الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى **وان يحبسك الله بضر** يعني بشدة وبليته والعزم
جامع لما ينال الانسان من الم ومكره وغير ذلك مما هو في معناه **فلا كما شق له الامور** يعني فلا
يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل **وان يحبسك بخير** يعني بغاية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال
الانسان من لذة وفرح وسرور ومخوذلك **فهو على كل شئ قدير** يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه
الاية خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يسبك
بضر وهو القادر على دفع عنتك وهو القادر على ايقال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله
فاتخذ وليا وناصرا ومعيضا وهذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد
والمعنى وان يحبسك الله بضر ايها الانسان فلا كما شق لك الضر الامور وان يحبسك بخير
ايها الانسان فهو على كل شئ قدير من دفع الضر وابصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله يحفظه
تجاهك اذا سالت فاسال الله وادع استغث فاستغث بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفكوك بشئ لم ينفكوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ
قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخرجته الترمذي اذ فيه رزق يعرف الى الله
في الخاير فكيف في الشدة وفيه وان استطعت ان تعلم بينه وبينك في اليفيق فافعل فان لم تستطع فان
في الصبر على ما تكره خير اكبر واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جلت في هذا ومثله بطوله في مسند احمد بن حنبل قوله
عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب لعباده القاهر لم وهم متهورون تحت قدرته
وهو القاهر والقهار ومعناه الذي يبدى خلقه بابر يد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويشغل ويغمر
ويجزى ويفتروم ويت ويدخله فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والمخرج من تحت قهره
وتدبيره وهذا معنى القاهر في صفة الله عز وجل لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شئ اذاده ومعنى فوق
عباده من ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والله ليل باعلام به من لا قد ار
والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شئ فهو مستعقل عليه بالقهر والظلمة
وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف

نفسه قهره اياهم ومن صفة كل قاهر شئ ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله
القالب عباده الله للالم العالي عليهم بتدبيره اياهم فهو فوقهم قهره اياهم ولم دونه
وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء التي تروى عن الله عز وجل **وهو الحكيم** يعني في امره
وتدبير عباده **الخبير** يعني باعماله وما يصلحهم قوله تعالى **قل اي شئ اكبر شهادته** قال
الكلوا قاي اسلم مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انما نشهد انك رسول الله
فانما لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فرموا انه ليس بك عندهم
ذكرنا ان الله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحذرون نبوتك من
قوتك اي شئ اكبر شهادته يعني اعظم شهادته فانهم اجابوك والافل انت يا محمد الله شهيد **بينك**
وبينكم قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شئ اكبر شهادته ثم امره ان يجبرهم فيقول
الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولون والحاصل انهم طلبوا
شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فينبى الله تعالى بهذه الاية ان اكبر الاشياء شهادة هو الله
تعالى ثم بين ان يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله **واوحى الى هذا القرآن لانه ركم** به يعني ان الله عز
وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الى هذه القران **مومجة** لانه انتم الفقهاء البلغاء واصحاب
اللسان وقد عجزتم عن معارضة فكان معجزا واذا كان معجزا كان تروا على شهادته من الله باني روجه
وهو المراد بقوله لانه ركم به يعني اوحى الى هذا القرآن لاختوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل
ومن بلغ يعني وانتم من بلغه القرآن من ياتي بعد الى يوم القيمة من العرب والعجم وغيرهم ومن سائر
الامم فكل من بلغ اليه القرآن سمعه فالنبى صلى الله عليه وسلم قد بره قال محمد بن كعب القرظي من بلغه
القران فكانما راى النبى صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انش من مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكراخياري دعوتهم الى الله عز وجل **خ** عن عبد الله بن عمر بن الخطاب
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب على
متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالبلاغ ما جابه صلى الله
عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج المخرج الضيق والاثم
ومعنى الحديث انهم ما قلتم عن بني اسرائيل فانهم كانوا في حال الكفر والظلم واوسع وليس
منه اية اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى
البلاغ وان لم يتحقق ذلك ينقل لانه امر قد نقه رابعة المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله امر ارسع منا شيئا فبلغه فاسمع فرب مبلغ او عي له
من سامع اخرجته الترمذي وله عن يزيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله امر ارسع منا شيئا فبلغه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه
ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال الترمذي ورسع عنكم ورسع من يسع منكم

اخرجه ابوداود وموقوفه تعالى **انتم لتشهدون** مع الله الهة اخرى يعني قلوبهم لمولا
المشركين الذين يمشون واتخذوا الهة غيركم انكم ايها المشركون لتشهدون مع الله الهة اخرى
يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قالوا اخرى لان الجمع بالحقة الثانية كما قال تعالى الله لا اله الا هو
لكنني فاما بالقرآن الاول ولم يقل الاول والا لوليت **قل لا اشهد** يعني قل يا محمد لمولا المشركين
لا اشهد باشهادهم ويري ان مع الله المتبدل الحمد ذلك وانكره **قل انما هو الله واحد** يعني قل انما
الله واحد واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد **واني بري مما تشركون** يعني وانما بري من
كل شيء يعبدونه سوى الله وفي هذه الآية دليل على بيان التوحيد بسع وجلا وباطال كل معبود
سواه لان كلمة انما تنفي المحصور لفظا الواحد صريح في التوحيد وتفي الشريك فثبت بذلك
ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحق لمن
اسلم ان ياتي بالشهادتين وتبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى **واني بري مما تشركون**
قوله عز وجل **الذين انبأهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم** المراد بالذين انبأهم الكتاب
علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالتك عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم
ذكر وانكروا موقفه فينزل الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية
انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة
الذين انبأهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر
لقد عرفت حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني يا بني فقال عمر
وكيف ذاك قال اشهد انه رسول الله حق ولا اراهي ما يصنع النساء وقوله تعالى **اليه نخصم والنهم**
يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها وابقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي
الذين خصموا انفسهم قولنا ان احدهما انه صفة للذين لا يؤمنون ويكون المقصود من ذلك وعيد العامة من
الذين يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويحجرون بنوته وهم كفار اصل الكتابين **لنخصم لا يومنون**
يعني به والقول الثاني انه كلام مرسل لا يتعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وذكرنا في معنى الخصم ان احدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم
بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم
منزلا في الجنة ومثلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمؤمنين منزلا للنفار التي في الجنة
وجعل للكناف من النار التي في النار فلهذا قالوا لخصم لا يومنون **من اظلم ممن افترى على الله**
كذبا يعني ومن اسد عنادا وخطا فعلا واعظم كفر من اخلاق على الله كذبا فزعموا انه شريك خلقه
والله اعلم من ذلك كما قال المشركون من عبدة الاصنام او ادعي ان له صاحبة وله اخا قاله



النضاري **او كذب بآياته** يعني كذب بحججه واعلام ادلته التي اعطاها له كما كذب اليهود
بمعجزات الانبياء وقيل معناه او كذب بما يلقا القرآن الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم **انه**
لا يفتح الظالمون يعني انه لا يفتح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه لما طردوا يومئذ
جميعا اي اذكر يومئذ عبادي من المعبودين وهو يوم القيامة **نمر بقول الله اني**
شركا وكبر الى من كنتم ترمون يعني انما تشفع لكم عندهم بكم قوله عز وجل **فمن لم يكن**
فمنهم يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة المحرقة فلما كان سوالهم محجة لظاهر
ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله **فمن لم يكن** فتنة بمعنى لطيف وذلك ان الرجل
يقع في محبوب ثم يضييه فيه محنة فيستأمن من محبوبه فيقال لم تكن فتنة الا انك المحبوب
فذلك الكفار فتنوا بحجة الاصنام ثم لما راوا العذاب تبرأوا منها يقولون لا اله الا الله
ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبرأوا منها وموقوفه تعالى **الا ان قالوا والله ربنا**
ما كنا مشركين ذلك اذا شاهدوا يوم القيمة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم
لبعض فقالوا انكم الشرك لعلنا نجتمع لعل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيجمع على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **افظنركم كذبا**
على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل في حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على
انفسهم يعني اعتدائهم بالباطل وتبرئهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم
الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله **وصل عنهم** يعني نزل
عنهم وذمهم **كانوا يفترون** يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصم
فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى **ومنهم من يستمع اليك** الآية قال الكلبي اجمع ابو
سفيان مخزوم حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وامية والي باخلف والحرف بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للفقهاء انما
قيل ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين ثم ما كنت
احدكم عن القرون الماضية وكان النصر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبار ما قتل ابو حيان
ان لا يرى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل لا لا تقر بشي من هذا وفي رواية الموقر انهم علينا
من هذا فانزل الله ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقرائك يا محمد **وجعلنا على قلوبهم**
كنة يعني اعطيتهم جميعا **ان لا يفقهوه** يعني لا يفقهوه وكراهية ان يفقهوه **وفي اذا انهم** يعني
وجعلنا في اذا انهم صمما وتفلاد في مداد ليل على ان الله تعالى يقبل لتكليف فيشرح بعضها للهدي
ولا يمان فيقبله ويجعل بعضها في كنة فلا تفقه كلام الله عز وجل ولا يؤمن به **ولكن يروا كل آية**
يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك **لا يومنون** اي لا يصدقونها ولا يقررونها ولا يقررونها
دالة على صدقك **حي اذ لجأوا الى مجادلونك** يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القرآن ناجاوك

ليجاد لونك ونجاصمورك لاليوم نوافها **يقولون ان هذا الذي امرنا الله ان نؤمن به**
الاول يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم واساطيرهم كقصة
والاساطير جمع اسطورة واسطوره وقيل واحدها سطر واسطر جمع اساطير جمع
فعلية هذا القول قابل لمعاني القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم
والعلوم النافعة وما لا يغيب قايده ولجيت عنه ما نمن انما نسبوا القرآن الى اساطير الاولين
بمعنى انه ليس يوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجرمة كما نروي اخبار الاولين وقيل في معنى
اساطير الاولين انهم انزهات وهي عند العرب طرق غامضة ومثلكم وعرفتموه بقرآنكم
قايدهم اخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكك الذي لا يعرف
فجعلت الترهات مثالا لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التي لا اصل لها قوله
عز وجل **وهم يهتدون عنه** يعني يهتدون الناس على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **وساؤن عنه**
يعني ويتبعونه عنده بانفسهم تزلت في كفار مكة كانوا يهتدون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وعن الاجتماع به ويهتدون عن استماع القرآن وكانوا يهتدون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتدون عن ابي النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعونه
منهم ويناديون بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعده حتى روي انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا
له خذنا من اصحابنا وجها وادفع اليه محمد افقارنا انصتروا فادفع اليكم ابني محمد
لنقلوه وانكم انتم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب اليه في ايامه فقال لا تعيرني
فريش لا قربت بها عينك ولكن اذهب عنك ما حبيت وقال في ذلك اياتنا والله لن يصيبنا
اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامر الله ما عليك غفصاة وابشروا
بما لا منكم عيوننا ومعوقتي وعرفت انك ناصي ولقد صدقت وكنت انت امينا وعرضت
دينا قد علمت باننا من خير اعيان البرية ديننا لولا اللات او حذر ربيته لو جدتني سحيا
بذاك امينا وقوله تعالى **وان يهلكوا الا انفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الاعلهم
وكنا يشعرون يعني بذلك قوله تعالى **ولو ترى اذ وقفوا على النار** يعني في النار فوضع على موضع
في قوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب محذوف
والعني ولو ترى الكفار الذين يهتدون عنك ويناديون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امر عجيبا
وموقفا قطيعا **افقاروا** يعني الكفار **يا ليتنا نرى** يعني الى الدنيا **ولا نكذب بايات ربنا ونكون من**
المؤمنين يتوانون في رد الطاعة ليامرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يذكروا بايات ربهم فردد الله عز وجل
عليهم ذلك فقال تعالى **يا ليتنا نرى** **ما كنا نؤمن** يعني ليس الامر كما قالوا لو وردوا الى الدنيا
لاؤمنوا بل ظهروا ما كانوا يرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهروا ما كانوا يخشون
من قولهم والله ربنا ما كنا متبرزين فاخفوا شركهم وكنتم فاطهروا الله عليهم حتى شهدتهم عليهم

جوارحم بما كنتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا
تكون الآية في المناقشين **ولورود العباد والمخفوا عنه** **والنهم لكاذبون** يعني
في قولهم لو وردنا الى الدنيا لنكذب بايات ربنا وكننا من المؤمنين **وقالوا ان هي الا**
حياتنا الدنيا وما نحن بمؤمنين وهذا اخبر عن منكري البعث وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيمة واهوالها وما اعد الله في الآخرة من
الثواب للمؤمنين والمطيعين وما اعد الله من العقاب للمكافدين والعاصين قالوا يعني الكفار
ان هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمؤمنين
يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه اخبر من الله عن هؤلاء الكفار
الذين وقفوا على النفاق والهم لو وردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمؤمنين قوله عز وجل **ولو ترى اذ وقفوا على النار** يعني على حكمهم وظهور قضيتهم
ومسائلهم وقال مقاتل عرضوا على الله عز وجل **يا ليتنا نرى** اي يقول الله لهم
يوم القيامة اليس هذا البعث والنشور بعد الموت الذي كنتم تنكرون في الدنيا
وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور **حقا قالوا بل نحن ربنا يعني الله عز وجل**
كاذبون وروى جابر بن عبد الله بن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقفوا على النار
الله اليس هذا الحق يعني البعث حق اجابوا بقولهم لم يردنا قال ابن عباس
للقائمة مواقف فوقف موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا متبرزين وفي
موقف يعترفون بما كانوا ينكرون وفي الدنيا **قالوا قد رآنا العذاب** اي يقول الله
لهم ذلك والخبرة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى ولما اخصل لفظ الذوق العذاب
للمؤمنين في كل حال يجدون العذاب والذين في الدنيا في منزلة الاحسان **ما كنتم**
تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفرهم وجحودكم للبعث بعد الموت قوله تعالى
قد حسرت الذين كذبوا بآيات الله يعني حسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير
الى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الحسرة ان هوفت الثواب العظيم في دار النعيم
المقيم وحصول العذاب الاليم في دارات الجحيم **حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة**
يعني جاءتهم الساعة فجاءت وسميت الساعة فجاءة لانها تأتي الناس بغتة في ساعة
لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها
لان حساب الخلائق يوم القيمة يكون في ساعة او اقل من ذلك **قالوا يعني منكري**
البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني
يا زلما متنا وحسرة التلوه على الشئ القاتل وذكره على وجه المند المبالغ فيه
والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع لهم من الحسرة **على ما فرطنا** يعني قصرنا

ونصر المصلح كما قالوا لقد سبقت كلنا العبادنا المصلحين انهم لم المنصورون وان خذنا لهم
الغالبون وقوله تعالى كتب الله علينا اننا ورسلي لا خلف فيما وعد الله به **ولقد جال من بنا المصلح**
يعني ولقد ازلت عليك في القرآن من اخبار المصلحين ما فيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش
من بنا صلة كما قولنا صابنا من مطر قال غيره بل هي التبعيض لان الواصل للمرسل صلى الله عليه
ولم يقسم بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من نقصنا عليك ومنهم من لم نقصنا عليك
قوله تعالى **وان كان كبر عليك اعراضهم** ذكر ان الجوزي في سب زول هذه الاية ان الحارث بن عاصم
ابن مولى الله صلى الله عليه وسلم في قوم من قريش فقال ليتنا بآية كما كانت الانبياء في قومها بالآيات
فان فعلنا مثيلها فزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم
عليك يا محمد اعراضهم هو لا المصير كبر عندك وعن قصد يترك والايان بك وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرم على ايمان قوم الله الحصر وكان اذا سألوا آية احب ان يريهم الله ذلك طعنا في
ايمانهم فقال الله عز وجل **فان استطعت ان تبني عني تظلمت في الارض يعني مريا**
والثقف مريب في الارض يخلص منه الى مكان اخر **واستطعت ان تبني عني تظلمت في الارض يعني مريا**
وهو مستور من السلامة **فما يقم بآية** يعني بالآية التي سألوه عنها ومعنى الاية وان كان كبر عظم
عليك اعراضهم قومك عن الايمان بك فان قدر ان تذهب في الارض او تصعد الى السماء فانهم بآية
تدلم على صدقك فافعل وانما حذر جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا
ان يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم طمأنينة عن ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به
وسيد عليه قوله تعالى **ولو شا الله لجمعهم على الهدى** خبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم
انما تركوا الايمان طمأنينة عند الله وقيلوا على الكفر شبهة الله تعالى فادفعها فيهم وانه لو شاء
الله لجمعهم على الهدى **فلا تكون من الجاهل** يعني بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وانه يورثك
بعضهم دون بعض وقيل معناه ولا يشك فيهم ولا يتركهم ولا يخرجهم من ايمانهم عند فقار
حال الجاهل الذين لا صبر لهم وانما افاه عن هذه الحالة وعظما له الخطاب بتبعيد الله عن هذه
الحالة قوله عز وجل **انما يستجيب الذين يسمعون** يعني المؤمنين الذين فتح الله اذانهم فسمعوا منهم
يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه ويتقون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله
والذين يسمعون الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون **سبعهم الله** يعني يوم القيمة **ثم اليه**
يرجعون فيجزئهم باعمالهم **وقالوا انهم يسمعون ولا يسمعون** يعني لا يسمعون ولا يسمعون
يعني الملك يشهدهم بالنبوة وقيل المراد من الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزة الانبياء **فلا يعني**
قلوبهم يا محمد **فلا يعني** اي في ذلك يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما يطلبوه وانزال ما اقترحوه
من الآيات والمعجزة الباهرة **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني ما اذا علمهم في انزالها من العذاب
الى يوم يوفى بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لا يعلمون

وجه المصلحة في انزالها وقوله تعالى **وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحه الا امثالكم**
قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الخالقتين اما ان يدب على الارض او يطير
في الهواء حتى الحقوا حيوانا بالما بالما لان الجنان تسبح في الماء كما ان الطير يسبح في الهواء وانما
خلق ما في الارض بالذكور وما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا فهو كمثل الاجنح بالثامه
اظهره اولى ما لا يشاهد فانما ذكر الجناح في قوله بجناحه للتأكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت
ببصيرتي امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنعة تعرف باسمها يربدان كل جنس من الجنان
امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمها مثل بني ادريس بنون باسمهم كما يقال
الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روي عن عبد الله بن معقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لمرت يقتلها فاقبلوا منها كل اسود بهم اخرج ابو
داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير امثالكم انما هذا
المماثلة لم يحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فاما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه
هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وبصلي له كما انكم تعرفون
الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل
انها فيهم بعضها عن بعض وبالف بعضا بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا وانهم
بعضهم عن بعض وقيل امثالكم في طلب الرزق وتوفي اليها لك ومعرفة الذكر لاني وقيل امثالكم
في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتضوا من القرآن وهو قوله تعالى **ما فرطنا في**
الكتاب من شيء يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب
القرآن يعني ان القرآن يشمل على جميع الاحوال **ثم الى ربهم يرجعون** يعني الدواب والطير قال
ابن عباس حشرها موثقا وقال صهريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب
والطير وكل شيء في اخذ الجاهل من القرآن ثم يقول كوفي **ثم اقام** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لتودن المخلوق الى اهله يوم القيمة حتى يقبض الله الشاة الخلق من الشاة القرنا قوله عز وجل
والذين كفروا بآياتنا يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلت على حق حبه **صم**
يعني عن سماع الحق **ويكلمهم** يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم
ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم **في الظلمات** يعني في ظلمة الكفر حايرون
مترددون فيها لا يهتدون سبيلا من سبيل الله **فصل في معنى الايمان** **والمشاهدة على صراط مستقيم**
يعني ومن يشاء الله جعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهدى والمصلح هو الله تعالى من احب
هدايتهم وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل الله لانه
تعالى هو الفاعل المختار لا يبال عما يتفعل به من ليل الون قوله تعالى **قل انا انتمكم** يعني قلوبكم هو الله
الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وبجده واعاينهم من الاصنام اخبروني بقول المرسل اني لم يمتني

يا محمد لهؤلاء المشركين لا أقول لكم **عندي خوارق** من الله تزلزلت جبالا وتحو أعلاما من الله
تعالى لا يقول لهم إنما بعثت بشيرا ونذيرا **أقولا** لكم عندي خوارق من الله جمع خوارق وهو ما لم يكن
الذي يخرج من الشيء خوارق الشيء أحرازه بحيث لا تتأله لا يدري والمعنى ليس عندي خوارق من الله
فأعطيكم منها ما تريدون لأنهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم أن كنت مرسل من الله فاطلب
منه أن يوسع علينا عيشنا ويعني فقرنا فإخبرنا ذلك بعبارة الله تعالى لا يدري **ولا أعلم الغيب**
يعني فأخبركم بما مضى وما سيقتع في المستقبل وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في
المستقبل حتى نستقبل بحسب المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله **ولا أعلم الغيب** فأخبركم بما
تريدون **ولا أقول لكم** وذلك لأنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتبرج
المنافاجا بهم بقوله **ولا أقول لكم** أني ملك لا تأخذ بالملك يتقدم على ما لا يقدر عليه البشر ويتأمر ما
لا يشاهدون فليست أقوله شيئا من ذلك **ولا أعلم الغيب** فتذكرون قولي وتجدون أمره وانما نفي عن
نفسه الشريفة هذه الاشياء فاعلموا الله تعالى واعترفوا له بالعبودية وان لا يقتحروا عليه المراتب
العظام **ان انتم الاما برحمتي** يعني ما أخبركم الا بوحى من الله اترلعلى ومعنى الآية ان النبى صلى
الله عليه وسلم اعلم من ان لا يملك خوارق من الله التي منها يزعمون ويعطى وان لا يعلم الغيب فيجربها كان
وما سيكون **ولا أعلم الغيب** حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه
عز وجل لما أخبر عنه من غيب يوحى اليه ويظاهره الآية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم
ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيها انما كانت بوحى من الله **اليد قل هل**
يسئروا الا على بصيرة يعني المؤمن والكافر والصالح والمنكر في العالم والمجاهل **افلا تتفكرون**
يعني انهم لا يستويان قوله عز وجل **وانذره** يعني وخوف بالقرآن والانداز اعلام مع تحريف الدين
يخافون ان يحشروا الى ربهم قال ابن عباس يريد المؤمنين لا تخافون يوم القيمة وما فيه من شدة
الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكافر في ما خفي ليدخل
يخافون الحشر بالذكور وعزيرهم وان كان اتاده صلى الله عليه وسلم بجميع الخلق لان الحجة عليهم
او كد من غيرهم لا عتارهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يصدقون وصحة ذلك
قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانداز جميع الخلق فيه دخل فيه كل من معترف بالحشر
وكل كافر منكر له لانه ليدخل جهنم لا يوحى اليه حشره واعتد وقوعه او كان يشك فيه ولا يدعو
النبى صلى الله عليه وسلم وانذاره بجميع الخلق **ليس من دونه** يعني من دونه الله والى قريب منهم
ولا تشفع يعني يشفع لهم وهذا ايضا شكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما الاطام من منجيم **ولا تشفع** يطاع وان فسرنا
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المؤمنين فيفسد الاشكال لانه قد ثبت بصحة النقل شفا
نبينا صلى الله عليه وسلم للمؤمنين من الله وكذلك الشفع الملائكة والانبيا والمؤمنون بعضهم لبعض

والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله عز وجل لقوله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وان كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولا تشفع يعني حتى ياذن
لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمؤمنين من دونه **لهم** يعني بالشفاعة **لهم** يعني بالشفاعة
تعالى **ولا تشفع** يعني بالشفاعة **لهم** يعني بالشفاعة **لهم** يعني بالشفاعة **لهم** يعني بالشفاعة
تزلزلت هذه الآية جاء الاقرب من جابس التيمي وعيسى بن جعفر القرظي وسائر المولفة قلوبهم فوجدوا
النبى صلى الله عليه وسلم قاعا مانع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفا المؤمنين فلما راوهم
حولهم حقرهم فافوه فقالوا يا رسول الله لو جئت في صدر المسجد فنبئت عننا هؤلاء وارواح جبابهم
وكان عليهم جباب صوفها راحة ليس عليهم غيرها لاجل السالك واخذنا منك فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان نجعل لنا منك مجلسا نترجم به
العرب ففضلنا فان قوتهم والعرب قاتلتك فنتسجى ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبيد فاذا نحن جياك
فانهم عننا فاذا نحن فرغنا فاقدمهم ان شئت قال نعم قالوا فاكبت لنا عليك بذلك كتابا قال
فاني بالصيغة ودعا عليا ليكتب قال ونحن نقعد في ناحية اذ تل جبريل عليه السلام بقوله
ولا تقدر ان يزعمون يعجز بالقدرة والعنى يريدون وجهة الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
قال النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة من يده فودعنا فانيته وهو يقول سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة فكما انتفعوا به فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعونهم بالهداة والعنى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفه
مقنابهم ذلك ونه ثوانه حتى كادت ركبنا غرس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها
قمنا وتركنا حتى يقوم وقال لنا الحمد لله العلم يمتنى حتى امرنا ان اصبر ونفسي مع قوم من امم
معكم الحياء ومعكم الحماة وروى عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم
اطرأ هؤلاء لا يجيزون علينا قالوا وكننا ناوا بن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان استسيما
فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنا الله ان يقع فحدث نفسه فارتد الله عز وجل ولا
نظر الذي يدعونهم بالهداة والعنى يريدون وجهه ما خرجهم سلم وقال الكلبي قالوا له
يعني اشرف قريش اجعل لنا يوما ولم يومنا قال لا افعل قالوا فاجعل المسجد واحدا واقتل
عليها وولطهرك اليهم فانزل الله هذه الآية قال مجاهد قال قرئ في لولا بلال وازام عبده
يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود من ملأ من قريش بالنبى
صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفا المسلمين فقالوا يا محمد
رضيت ان هؤلاء من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من نبينا نحن نكون قبعا هؤلاء اطردهم
فلعلك ان طردهم ان ننبئك فزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في اشرف بني عبد مناف من هل الكفر الى طالب عمر النبى صلى

الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك محمد ابصر دعته فوالله لو اننا فانا
عبيدنا وعتقنا لو اننا كان اعظم في صدورنا وانا وادنى لنا عتايانا ونصه
له فاني ابوطالب ابني صلى الله عليه وسلم لم يخذله بالذي كلموه به فقال عمر الخطاب لو فعلت
ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله عز وجل هذه الآية
وانه ربهم الذي يخافون ان يحشرهم الى قوله اليس الله با علم بالشاكرين فاجابهم
فاخذهم من مقالته قلت بين هذه الرواية والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن
الارث فرق كثير وبعد عظيم وهو اسلام سلمان وكان بالمدينة وكان اسلام المؤلفه
قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي
وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابى قحطبان المخرج في صحيح مسلم عن الشريكين
قالوا النبي صلى الله عليه وسلم اطعم هو لا يعني صنعنا المسلمين والله اعلم واما معنى الآية فقوله
ولا تطرد الذين يريدونهم بالغداة والعشي للخطاب فيه النبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد
مولانا الصنعنا عندك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم وصنعتهم فقال تعالى الذين
يريدونهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يبعدهم عن الغداة والعشي بعد صلاة
الصبح وصلاة العصر ويريدونهم ان المراد منه الصلوات الخمس اخاذ ذكر هذين
الوقتين تنبيهها على شرفها ولا تهم مواظبتهم عليها مع بقية الصلاة ولان الصلاة تشمل
على القراءة والدعاء والذكر فغير بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح
مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدئ الناس القاضى فقال سعيد ما اسرع الناس الى
هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى يريدونهم بالغداة والعشي قال
او في هذا ما هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس اننا ساء من الفقراء
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس يؤمنونك واذ اهلينا فاخر
مولانا الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم
كانوا يذكرونهم ويدهونهم طر في النهار **يريدون وجوههم** يعني يطلبون بعبادتهم
وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يعني لا تكلف امرهم ولا يكلفوا امرك
وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم ونظرهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق جميع
للخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك **فقطرهم** فيكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن
مجلسك فقوله فقطرهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون
من الظالمين جواب النفي وهو قوله ولا تطرد الذين يريدونهم واجتنب الطاعون في عصمة
الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه

لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ولما هم عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله
فقطرهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم
ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستخفاف من فقرهم وانما كان هذا لهم للصحة
ومنى التلطف لظهور الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب والى وهو
اجتهاد منه فاعلم الله تعالى ان ما هو لا الفقراء والى من الفقر طردهم فقرهم منه وادفاهم واما
قوله فقطرهم فتكون من الظالمين ان الظالم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فليكون المعنى ان اولئك
الفقراء المضعفون يستحقون التقدير والتعظيم فلا يتم بطردهم عند فقيرهم في غير موضعه
فهم من باب ترك الافضل والاولى لغير باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل **وكذلك فتننا**
بعضهم ببعض يعني وكذلك استلبنا العتي بالفقير والفقير بالعتي والمزيف بالوضع والوضع
بالشريف فكل واحد مبتلى بغيره فكان ابتلا الاغنياء بالشرفا حسد من فقر الصعابة على كونه
يسبقوهم الى الاسلام ويقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك
فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم
فكان ذلك فتنة لهم **ليقولوا يعني الاغنياء والشرفا والروساء** **مولانا الله عليهم من بيننا** يعني من على
الفقراء والصنعنا بالاسلام ومقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار
على الله تعالى فاجابهم بقوله **اليس الله با علم بالشاكرين** يعني انه تعالى اعلم بخلقه واجوالهم
واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى **واذا جئتكم بالبينات فتكون من الذين**
قال عكرمة تركت في الذين نهي الله بنبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا رآهم بداهم بالسلام وقال عطاء بن رث في ابن عمر وعثمان بن عفان وبلال وسالم ابني
عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابى ارقم
وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاءهم من الخطاب
واجتمع من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير فقلت واذا جئتكم
الذين يؤمنون يا ايها الذين آمنوا فليعلموا انهم **كتب فيكم** يعني فرض دينكم وفتى بكم **على نفسهم**
الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارجم الاحمير **انه من عمل منكم** **سواء**
بجفالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطية فهو جاهل جاهل واختلفوا في سبب هذا
للجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما احتجته من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم
ان عاقبة ذلك التور والفعل القبيح مذمومة الا انه اثر الله العاجلة على الخير الكثير لاجل
ومن اثر القليل على الخير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجاهل نسب الى الجهل وان لم يكن
جاهلا **ثم تاب من بعده** يعني من ترك ما به ذلك السوء ورجع عنه **واصلح** يعني اصبح العزل في المستقبل
وقيل اخلاص توبته ونه عن فعله **فانه غفور** يعني من تاب من ذنوبه **رحيم** بهاده قال خاله

انهم يباركوا اذا دخلنا على ابي العالين قال واذا جالك الذين يسمون بياياتنا فقل سلاما
عليكم كتب عليكم على نفسه الرحمة الآية عن ابي سعيد الخدري قال جلست في عصاة من
منعنا المهاجرين وان بعضهم ليست بسبعين من العري وقاري بقر علينا اذ جازوا الى الله صلى الله
عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القاري ولم يبق الا ما كنتم
تصنعون قلنا يا رسول الله كان قاري لنا يقر علينا وكنا نضع الي كتابه سر وجعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر بنفسي معهم وحس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسطنا ليعده بنفسه فينا ثم قال سيده هكذا افعلتموا وبرزت وجوههم قال فما
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوا
يا معشر صابريك المهاجرين بالظور التام يوم القيمة ته خلون الجنة قبل اغيا الناس بغير يوم
وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابوداود وقوله عز وجل **وكذلك نفصل الآيات** يعني وكما فصلنا
لك يا محمد في هذه السورة ولا يلينا على صحة الترجمة وابطال ما علم عليه من الشك كذلك غير
وبين لك ادلة حجة وبراهيننا في تقرير كل حق يتكره اهل الباطل **والتفسير** قرى بالنا على
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد وتبين لك **سبيل الجرمين** يعني
طريق هؤلاء الجرمين وقرى بالنا على الغيبة ومعناه وليظهر وينفخ سبيل الجرمين يوم القيمة
اذا صاروا الى النار قوله عز وجل **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين **الى بيتنا** اي اعيدهم الذين تعرفون
من دون الله يعني بيتنا ان اعيدهم الا مصنام القعبور وهما انتم من دون الله وقيل تدعونها عند
شما يدعون من دون الله لان الجادات اخس من ان تعبد او تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى
ومثوله **قل لا ايسع امراكم** يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء **صلوات** اي اعيدهم ان عبيدهم
وما انا من المتدبرين يعني لوعبدتها **قل** يعني يا محمد لهؤلاء المشركين **اني على بينة من ربي** قال ابن
عبر يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى
اني على بيان وبصيرة على عبادة ربي **وكذبتم به** يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي
وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد
الشرك **ما عندي ما تستعجلون به** يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم
بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزا وكانوا يقولون يا محمد ايتنا بما تعدنا
يعني من نزول العذاب فامر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ما عندي ما تستعجلون به لان
انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا
يستعجلون بالآيات التي طليوها واقرحوها فاعلم الله ان ذلك لا عنده ليس عنده احد من
خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
ان الحكم الا لله يعني الحكم الذي يفصل بين الحق والباطل والثواب للعقاب للعاصي

اي ما الحكم الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بالزوال العذاب اذا شا
يقضي الحق قرى بالصاء المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرى يقضي بالنا
المعجزة من القضايا يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق **وما خير الفاضلين** يعني وهو خير من بين
وفضل وميز بين الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضاياه جور ولا حيف على احد من خلقه
قل لو ان عندى ما تستعجلون به يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشئ قبل
وقته فلهذا كانت العجلة مذمومة والامراع تقدم الشئ في وقته فلهذا كانت السرعة مذمومة
والمعنى قريبا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان عندى ما تستعجلون به
لم اعملكم ساعة ولكن الله جليل ذو الحكمة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى **القدر** **القدر** **القدر**
وبينكم يعني لا يفصل ما بيني وبينكم ولا تيسر ما تستعجلون به من العذاب **والله اعلم**
بالظالمين يعني انه اعلم بما يستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم
انه سيوم من بعض من كان يستعجل بالعذاب فلهذا اخبره عنهم وقال واسما علم
بالظالمين وباحوالهم قوله عز وجل **وعنده مفاتيح الغيب** المفاتيح التي يفتح بها للعلاقة
وجمع مفاتيح وبيتا فيه بكسر الميم وجمع مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت
اضيق من لا شئ في من المفتاح وجمع مفاتيح وقوله **وعنده مفاتيح الغيب** يحتمل ان يكون
المفاتيح المفاتيح التي يفتح بها الخزانة التي يكون المراد من الخزانة التي يفتح بها الخزانة التي يكون
للغيب مفاتيح على طريق الاستعداد لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزانة المستورق
منها بالاعلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذا لك هاهنا ان
الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغيب غير هذه المعنى
لهذه العبادة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزان الغيب والمراد من العدة
الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف قول المفسرين في قوله تعالى **وعنده مفاتيح الغيب**
لا يعلم الا الله فقول مفاتيح الغيب حميد ومي ياروي عن حماد بن عمار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يدري احد ما يكون في غد الا الله وما
يعلم احد ما يكون في الاخر الا الله ولا يعلم نفس ماذا تكتب عه او ما تدري بنفس
بأى من يموت ولا يدري احد متى يحل الموت وفي رواية اخرى لا يعلم ما تعطي الا رحام
الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى في المطر احد الا الله ولا يدري نفس باي ارض
توت الا الله ولا يعلم متى تأتي الساعة الا الله اخبرنا البخاري وقال الفخار ومقاتل
مفاتيح الغيب خزان الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب
والعقاب وقيل هو انقضاء الاجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتم
اعالم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون كيف يكون وما لا يكون ان يكون كيف يكون

وقال ابن مسعود اوتي نعيمكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس
انها غيب لغيب من الارض من الاقدار والاوراق **ويعلم ما في البر والبحر** قال مجاهد البر
للعنات والقفار والبحر القري والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه قال جمهور
المفسرين هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من
عجيب مصنوعاته وغرائب مبدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه **وما**
لنسطط من ورقه الا يعلم ما في الارض وما في الارض من ذلك وما يعلمه عدد ما يحفظ
من الورق وما في على الشجر من ذلك وما يعلمه كم انقلب طائر البط الى ان يسقط على الارض
ولا حجة في ظلمات الارض قيل هو الجب المعروف يكون في بطن الارض قيل ان بنيت وقيل
في الجب التي في الصخرة التي في اسفل الارضين **ولا يربط ولا يربط** قال ابن عباس يربط الربط لما
والياض البادية وقال عطاء بن ريد ما يربط وما لا يربط وقيل الربط الربط الحثي
والياض الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة
فان قلت ان جميع هذه الاشياء اخلت تحت قوله وعنده مفاتيح الغيب فلم اورد هذه الاشياء
بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من
بعض الاجمال ما يدل على التقصير في ذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها
فقد ذكر البر والبحر ما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقري والمفاوز والحيات
وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن ادراكها ذكر
بعد ذلك ما موافق من ذلك شامدا لكل احد لان الورقة الشاقطة والقاتية يراها كل احد
لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة
وهو الخلة ثم ذكر بعد ذلك ما لا يجمع الكل وهو الرطب واليابس وترى هذه الاشياء وان
لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظمته
وقدرة غالبته وعلم واسع فسبحان العليم الخبير وقوله تعالى **لا في كتاب مبين** فيه قولان
احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والقول الثاني ان المراد بالكتاب
المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان يخلق السموات
والارض وقاعدة احصا الاشياء كلها في هذا الكتاب تنفق للملايكه على انقاد علمه وانه
بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباد ما تدلوا فيقولون شيء مما يستعجزون لان من اثبت
ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب مع قوله تعالى
ومن الذي يتوفاهم بالليل اي يفيض ارواحهم اذ انهم بالليل ويقوم ما جرحتم ما كتبتم بالليل
ثم يبعثكم فيه اي يطلقكم فيه اي في النهار **ليقتضي اجل مسمى** يعني اجل الحياة الى الممات يوم
استيفاء العمر على التمام **ثم اليه ترجعون** في الآخرة **ثم يبعثكم** اي يبعثكم بالكم **ثم يبعثكم**

وهو القادر فوق عباده يعني وهو العال على عباده بقدرته لان كل من قهر شيئا عليه فهو مستعمل
عليه بالهز والقدر فهو كما يقال امر فلان فوق فلان يعني انه قد قهره واعلى عليه هذا المذهب
الثاويل في معنى لفظه فوق في قوله وهو القادر فوق عباده هو امامه حيا لمسلم في قوله
كما جات من غير تكليف ولا تاويل ولا اطلاق على حجة والظاهر هو ان القادر هو الله تعالى
واسم تعالى هو القادر الخافه ففقر كل شيء بضده فقهر الحيات بالموت والايجاد بالعدم والقي
بالقهر والنور بالظلمة وقوله تعالى **يرسل عليكم حفظة** يعني من جملته قهره لعباده ارسال
الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملايكه الذين يحفظون اعدا بني آدم من الخير والشر والطاعة
والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال فيكون مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن
شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين فاذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
اصبر لعله يتوب منها فاذا لم يتوب منها كتبها صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكه موكلين
بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملايكه موكلا يحفظ عليه قباله واقباله في صحايف
تنشره وتقرأ عليه يوم القيمة على راس الشهاد كان ذلك ان جره عن فعل القبيح وترك المعاصي
وقيل المراد بقوله يرسل عليكم حفظة هم الملايكه الذين يحفظون بني آدم ويحفظون اجسادهم
وقال قتادة حفظة يحفظون على بن آدم رزقه واجله وعلمه **حتى اذا جاء احدهم الموت** **توفية**
رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلف بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية اخرى
اصبر في الاقس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا
توفية رسلنا فكيف اجمع بين هذه الايات قلت وجه الجمع بين الايات ان المتوفى في الحقيقة
هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر به ملك الموت بقبض روحه وملك الموت اعوان من
الملايكه فيامرهم برفع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى قبضها ملك
الموت نفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفية رسلنا ملك الموت وحده وانما
ذكر بلفظ اجمع تقطعا له وقال مجاهد جعلت لادب ملك الموت مثل الطبقتين اولهن
حيث يساوجعت له اعوان يتبعون الا نفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ياتي من اسبب شمر
ولامد الا ملك الموت يطبق ثم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا اكرت عليه يدعوها
فتستجيب له قوله تعالى **وهم لا يفرطون** يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعون قوله
وجل ثم ردوا الى الله مولاهم **الحق** يعني ثم روي العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم الحق
لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالى ساطن والله مولاهم وسيدهم وقال لهم يا حي الاله الحكيم
يعني لا حكم الا الله وهو اسرع **الحاسبين** يعني انه تعالى اسرع من حاسب لانه لا يحتاج الى فكر ودرية
وعقديده فيحاسب خلقه بنفسه ولا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى **قل من**
ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني قل يا محمد لا اله الا الله لا يعبد الا الله لا اله الا الله

قوله تعالى **فلذا اذابت الذين يخوضون في آياتنا** الخطاب في واذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى اذا رايت يا محمد هو لا الشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الذي انزلناه اليك والوض
في اللغة هو الشروع في المساء والعبور فيه ويستعار في الاخذه في الحديث والشرح فيه يقال تخاضوا
في الحديث وتفاوضوا فيه لكن الكرماء يستعملون في الحديث على وجه اللبس والعبث وما يذم عليه
ومنه قوله تعالى وكنا نحن مع الخايعين في الخطاب في واذا رايت للكره من الناس والمعنى واذا
رايت ايها الانسان الذين يخوضون في آياتنا وذلك ان الشركين كانوا اذا اجالسوا المؤمنين وقعوا
في الاستهزاء بالقرآن ومن انزل عليه فنهام ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء فاعرض عنهم
يعني فارتكهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيري يعني حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء
واما ينسبك الشيطان يعني يتقدم معكم فلا تقعدوا معه **الذكرى** يعني اذا ذكرت فمعهم ولا تقعدوا
مع القوم الظالمين يعني مع الشركين قوله تعالى **وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء** قال ابن عباس
لما نزلت هذه الآية واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال السكوني كيف تقعد
في المسجد الحرام وتطوف بالبيت وهم يخوضون في آياتنا في رواية قال السكوني انما يخافون من شيء
ولا نهامهم فانزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون الشرك من حسابهم يعني من حساب الشركين
من شيء يعني ليس عليهم شيء من حسابهم والاثام **ولكن ذكرى** يعني ذكرى وذكرى وقيل معناه
ولكن عليك ان تذكرهم **لعلهم يتقون** يعني فقل ذلك لذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء فحصل
قال سعيد بن جبير وابن جرير هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وقوله تعالى
وقد نزل عليكم في الكتاب بان اذا سمعتم آيات الله يكفونها ويستعزوا بها الآية وذموا بحمور الى آياتها
محكمة لا تسخ فيها الا بها خبر والخبر لا يدخل النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يخص بحساب
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اياح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تفسد نسخة
قوله عز وجل **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا** الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذريته محمد هو لا
الشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو الاسلام
لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزوا به وجعل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لهوا ولعبا
وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعنوا ولعنوا وعناد سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم دينه
فاخذ كل قوم دينهم يعني عبادهم لعبا ولهوا بلعون ويلون في السبل فالانتم اتخذوا دينكم
صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عبادة الفطر وغيره والتمسوا يوم الجمعة **وعزائم الحياة الدنيا**
يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم عزائم الحيوة الدنيا وغلب جها على قلوبهم
فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذريته محمد الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا ولا يبالون بدينهم واستهزاهم وهذا يقضي الاعراض عنهم ثم شرح ذلك الاعراض
بآية السيف وهذا قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذري

ومن خلقت وخيه لوهو اقول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم
ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتحذير وبه عليه قوله تعالى **وتذكر به** يعني وذكر
بالقرآن وعظبه هو لا الشركين **ان تبسل بنفسك** اي لا تبسل بنفسك واصلا البسل في اللغة
التحريم ومنه النبي ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل بنفسك ما كتبت ترهقن
وتعيسن في جهم وقال الضحاك تخرق بالنار وقال ابن زبيرة تؤخذ يعني يا كتبت وقيل تقصع
والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعزائم بترامع الاسلام لكيلا يتلك نفس وترتفع في جهم
سبب الجنائيات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة **ليتس لها** يعني لتلك النفس
التي هلكت من دنسها **ولي اي قريب** اي ايها ولا شفيع يعني يشفع لها في الآخرة **وان تعدل**
كل عدل يعني وان تقعد بكل فداو العدل الفدا **اليؤخذ منها** يعني ذلك العدل وتلك الفدية
اولئك الذين اشاروا الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وعزائم الحياة الدنيا **اسلموا ما كتبوا**
يعني اسلموا الى الملك بسبب ما اكتسبوا الم شراب من جهم وعذاب اليم ما كانوا يكفرون
ذلك لم بسبب كفرهم قوله تعالى **قل ادعوا الى ديني** ادعوا يعني افيد من دنسهم يعني الاصنام التي لا تنفع
لهول الشركين الذين دعوا الى دين ابايك ادعوا يعني افيد من دنسهم يعني الاصنام التي لا تنفع
لهم عبادها ولا تقدر من ترك عبادتها **ونزد على اعقابنا** يعني ونزد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني
الى دين الاسلام والتوحيد **كالذي استهونوا الشياطين في الارض** يعني كالذي ذهبت به الشياطين
فالقنوه في مغوية من الارض وامسك من المعوى وهو القول من اعلا جبريل يقال حار فلان في الامر
اذا تردد فيه فلم يثبت الى الصواب فيه ولا المخرج منه **له اصحاب يدعونهم الى المدي** يعني لهذا
المخير الذي استهونوا الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم **ابيتنا** يعني يقولون له ايتنا وهذا
مثل صر به الله تعالى لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تنفع ولا تنفع ولن يدعو الى عبادة الله عز وجل
الذي يضر وينفع يقولون له ايتنا كمثل رجل في رفقة ضل به الفول والشيطان عن الطريق المستقيم
فجعل اصحابه من اهل رفقة يدعونهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الفيلان
يدعونهم اليهم لا يدري ان يذهب فان اجابا الفيلان مثل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى
وسلم **قل ان هدى الله** هو الهدى يعني ان طريق الله التي اوصلها لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو
الهدى والقرآن والاستقامة لعبادة الاصنام ففهمه زوج عن عبادة ما كانوا يقولون لا تقعد ذلك
فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره **وامرنا** يعني امرنا ان نسلم ونخلص العبادة **لرب العالمين**
لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره **وان اقبوا الصلاة** يعني وان اقبوا بالصلاة
والنقوى لان فيها ما يفرج اليه وهو الذي **يخسر** يعني في يوم القيمة فيخرجكم باعائكم قوله
عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض** يعني اظها بالحق فعلى هذا تكون الآية بمعنى
الامر وانما جعل صرقة ليل على هذا نيتة وقيل خلقتا كمال قدرته ومجول علمه واتقان صنعته

وكذلك الحق وقيل خلقها بكلام الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى
ليس مخلوقا لانه لا يخلق مخلوقا بخلق **ويوم يقول كن فيكون** وقيل انه راجع الى خلق
السماوات والارض والمعنى اذكر يوم قال للسماوات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة
ويدل على سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم تقول للخلق موتوا فموتوا وموتوا للحساب
فيقومون **ايما قوله الحق** يعني ان قول الله تبارك وتعالى للنبي الذي اراده كن فيكون هو صدق
وهو كان لا محالة **وله الملك يوم ينطق في الصور** انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له بحانه
وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا مانع له يومئذ يدعي الملك وانه المقدر
بالملك يومئذ وان كان يدعي الملك بالباطل من الجحارة والفرقة وسائر الملوك الذين
كانوا في الدنيا قد نزل ملكهم واعتز قوا بان الملك لله الواحد التبارك وانه لا مانع له وعلو ان
الذي كان يدعيونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء في الصور المذكورة في الآية
فقال قوم هو قرن ينطق فيه وهولغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة المنقوش
ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال اجابني ابي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينطق فيه اخرج ما بوداود والترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد انعم صاحب العرش العرش وحنا
جمهته واصغى سمعه ينظر ان يوم فكان ذلك ينقل على اصحابه فقالوا كيف تفعل يا رسول الله
او كيف تقول قال قولوا حسنا الله نعم الوكيل على الله توكلت ودمعا قال توكلنا على الله امرجه
الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنطق فيها احياءها بنفخ الروح فيها وهذا
قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في آية اخرى
ثم ننح في آخرة لا جماع اهل السنة ان المراد بالصور هو العرش الذي ينطق فيه اسرافيل
تختار نخبة المصنف ونخبة البعث للحساب وقوله تعالى **عالم الغيب الشهادة** يعني انه
تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهد منه لا يغيب عن علمه شيء **وهو اليكم يعني في**
جميع افعالهم ونه يدبر خلقه **الحج** يعني بذكر ما يقع لونه من خير او شر قوله عز وجل **واذا قال**
ابراهيم لابيه **واذا** اختلف العلماء في لفظ انهم يقولون محمد بن اسحاق والكلبي والضحك انهم
ابراهيم واسمهم وهو تادخ ضبط بعضهم بالحال الماهل وبعضهم بالحال المبهمة فعلى هذا
يكون لابي ابراهيم اسمان ازار وتاريخ مثل يعقوب واسرايل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون
اسمه الاصلي ازار ثم تادخ خلق له وبالعكس فانه سماه ازار وان كان عند السابيين والموحين
اسمه تادخ يعرف به ذلك وكان ازار هو سليمان بن كوني وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان
التهي اترسب وعيب ومغناه في كلامهم المعوج وقيل السخ الم وهو بالفارسية
وهذا على من ذهب من يجوز ان القرآن الفاظا قديمة فارسية وقيل هو المخطى فكان ابراهيم

عابه وذمه بسبب كفره وزنه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ان اسم صم
كان والده ابراهيم يعيبه وانما سماه بهذا الاسم لان من عيبه شيئا الوجه جعل اسم
ذلك المعبود او المحبوب سماه فهو كقوله يومئذ عواكل انا من بائعهم وقيل مغناه
واذا قال ابراهيم لابيه يا عابد ازار تخلف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والفتح
هو الاول ازار اسم لابي ابراهيم لان اسم تعالى سماه به وما قيل عن السابيين والموحين
ان اسمه تادخ فعبه نظرا لانهم انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واسم السابيين مثل الكتاب
ولا عبرة بتقلمهم وقد اخرج البخاري في انه من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يلقي ابراهيم عليه السلام اياه لئلا يوم القيامة وعلى وجه ازار فترة وغبرة الحديث فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم ازار ايضا ولم يقل اياه تادخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي ازار لا يادخ
واسم اعلم قوله تعالى **اتخذ اصناما لله** معناه اذكري ما محمد قول ابراهيم لابيه ازار اتخذ
اصناما لله بعبه هانم وزاد الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو المثال
الذي يتخذ من خشب وحجارة او ذهب فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا **اي**
اراك وقومك في ضلال مبين يعني يقول ابراهيم لابيه اراي اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام
معك ويتخذها الهة في ضلال مبين عن طريق الحق مبين يعني لمن ابصر ذلك فانه لا يشك ان هذه
الاصنام لا تقوى ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحااجة
لابيه وقومه لانهم كانوا يعبدون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضل فلانهم ذكر
الله فضة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل
وكذلك نرى ابراهيم ملك السموات والارض معناه وكما اربنا ابراهيم البصيرة في دينه والحق في
خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام من ربهم ملكوت السموات والارض
فالله السب عبر عن هذه الرواية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى
كان اراه اياه وقومه على غير الحق في الفهم فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات
والارض فثبت منه العبادة لهذه المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التام المبالغة
كالرهوت والرهوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات
والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على
صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من العجايب حتى رأى
مكانه في الجنة وذلك قوله وايضا اجره في الدنيا يعني اربنا مكانه في الجنة وكشف له عن
الارض حتى نظر الى اسفل الارضين وراى ما فيها من العجايب قال البغوي يروي عن سلمان
ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فذلك نمر ابصر اخر فدعا عليه فذلك نمر ابصر اخر فادان يدعو عليه فقال له

تبارك وتعالى بالبراهيم انك رجل مجاب له عوق فلا تدعو على عبادي فانما انا من عبيد على بلاد
خلا لا ما ان يتوب هلي فان يتوب عليه واما ان اخرج نسمة تبعني واما ان يبعث الى فان شئت غرت
وان شئت عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهم من ورايه وقال قتادة ملكوت السموات السموات
والارض والنجوم وملكوت الارض الجبال والسموات والبحار واختلفت في هذه الروايات كانت بعين
البصيرة ام بعين البصر على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فسق لبراهيم السموات
حتى رآى العرش وشو له الارض حتى رآى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الرواية كانت بعين
البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا
ان هذه الرواية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات
والارض وقوله تعالى **وليتكون من الوقتين** عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض ليست له وليكون من الوقتين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب الشامل
بعدن والاشبهة لان الانسان في اول الحال لا يتفكر عن شئته وشك فاذا كثرت الدلائل
وتوافقت صارت سببا لخصول اليقين والطا نية في القلب ونزلت الشبهة عند ذلك
قال ابن عباس في قوله وليكون من الوقتين جلي له الامر سره وعلا نيته فلم يخف عليه شئ
من اعمال الخلق فلما جعل بعض اصحابك له ذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده
الله كما كان قبل فغنى الآية على هذا القول وكذلك اربابه ملكوت السموات والارض ليكون
من يوفق علم كل شئ حسا وخبرا قوله تعالى **فلما احس عليه الليل** يقال جزا الليل واجزا اذا اظلم
وعطى كل شئ واجبه الليل وجز عليه اذا ستره بسواده **راى كوكبا قال هذا راي ذكر**
القصة في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسيرة ولد ابراهيم عليه السلام
في من مزمود بن كنان الملك وكان مزمودا من وقت التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومجتمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقالوا
راى مزمود في منامه كان كوكبا اذ اطلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففرع من
ذلك فرغاشه يد ادعوا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هذا مولود يولد في
ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه قالوا
فامر بذهاب كل غلام يولد في تلك السنة بناحية وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل
عشرة رجل يحفظهم فاذا خاضت المرأة حلي بينها وبين زوجها لا يسمون الا باسمه
في الخيض فاذا طهرت من الخيض احوالوا بينها قالوا فرجع انهم فوجدوا امره قد ظهرت من
الخيض فوافقها فحملت بابراهيم وقال محمد بن سحاق بعث مزمود الى كل امرأة حلي بعبودية فجسها
عنده الاما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بجمها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف حمل

في بطنها وقال السدي خرج مزمود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء خوفا من ذلك المولد
فكث بذلك ما شا الله ثم حدث له حاجة الى المدينة فلم يأت من عليها احد من قومه الا اذ
نبت اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي بك حاجة احب ان اوصيك بها ولم ابعثك
فيها الا لتقتي بك فاستمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال انا انا اسبح على دين من ذلك النافعا
بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال المولد دخلت على اهل فتطرت اليهم
فلما دخل على ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقفها فحملت من ساعها بابراهيم قال
ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لمزمود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه
الليلة فامر مزمود ببيع الغلام فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها الخاض خرجت هاربة
مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعت في مهد يابس ثم وضعت في خرفة
ووضعت في خلق ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق
ابو فاحذره من ذلك المكان وحفر له مرقبا في الزهر فواراه فيه وسد باب به بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن سحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت
ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصبحت من ثمانه ما يصيح بالمولود ثم سدت
عليه بابا المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتسقط ما فعل فتجده حيا وموميص
البحامه وقال البربر فرق قالت ام ابراهيم لا نظرك الى اصبا بعد فوجدته يمص من اصبع ما ومن اصبع
لبا ومن اصبع ثرا ومن اصبع عسلا وقال محمد بن سحاق كان ازرقة سأل ام ابراهيم عن جملتها
فما فعلت قالت ولدت خلا مافات فصدتها وسكت عنها وكان ابراهيم شبلي يوم كالشهر والشهر
كالسنة فلم يمك في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لاهم اخرجيني فاخرجته عشا
فتطرو وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني وزرقي واظمي وسقاني لرزي
الذي مالى له غيره ونظر في السماء راى كوكبا قال هذا راي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما
اقل قال الاحبا لا فلن فلما راى القمر بازا غا قال هذا راي واتبعه بصره يضطر حتى غاب ثم
طلعت الشمس قال هكذا الى اخره ثم رجع الى امه ازرقة واستقامت حجته وعرف ربه
وبرى من دين قومه الا انه لم يبايهم بذلك فلما رجعت له امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما
صنعه فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاثة
عشر سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم ومعه في السرب قال له من ربي
قالت انا قال من ربك قالت ابوك ازرقة قال من ربي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها
فقالت انا ربي الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قاله
فاناه ابو ازرقة فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال من ربي قال انا قال من ربي
قال مزمود قال من ربي مزمود فلطمه لطمه وقال اسكت فلما احس عليه الليل دان من باب السرب

شب

فقط من خلال الصخرة فابصر كوكبا قلا هذا الذي يقال انه قال لابوبه اخراجني فاخرجاه من
السرب جز غابت الشمس فنظرا ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فقال اياه ماسده فقال ابل
وخيل وغنم فقال ابراهيم ماله بله من ان يكون لها الها هو زناها وخالقها ثم نظر فاذا
الشمس قد طلعت ويقال انها الرمية وكانت تلك الليلة من اخر الشهر فباخر طلوع القمر رأى
الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جنى عليه الليل ستر بظلامه فزرى كوكبا قال هذا ذلك
ثم اختلف العلماء في وقت هذه البرية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ او بعده على
قوتين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفولته وذلك قبل قيام الحج عليه فلم يكن هذا القول
صحيحا من ابراهيم في هذا الوقت اعتبارا ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ
وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى
الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والظفر السليمة تفكر في نفسه
وقال لابد لهذا الخلق من خالق مبدئ له ومواله الخالق ثم نظر في حال تفكره فزرى الكوكب وقد اذن
فقال هذا الذي على ما سبق الى ومنه وذلك في حال طفولته وقبل استحكام النظر الى معرفة
الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحة بقوله لئن لم تهديني لآكونن
من القوم الضالين وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام
الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز
ان يكون من عز وجل رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو ما به عارضة له موحد له من
كل منفعة مفره ومن كل معبود سواه يرى وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره
واقامه ربه من قبل واداه ملكوت السموات والارض وما الى الكوكب قال معقدا هذا راى جاشا
ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان من قبله على واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني
الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الروية وهذا القول كان بعد ابراهيم او حين شرفه الله بالنبوة
وكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذه القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها
الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدبر قوم هذه القوم ويعرفهم جهلهم وخطاهم
في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فارام ابراهيم انه يعظم ما عظموه
فلما افل الكوكب والشمس انراهم النقص الداخل على النجوم بسبب العنوية والاقول لثبت خطأ
ما كانوا يعتقدون فيها من الالهة وهذا مثل الحواري الذي ورد على قوتر كما نرى يعتقدون ما فيها من
الالهة ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوتر كما نرى يعتقدون ما فيها من
حتى صاروا يصعدون عن رايهم في كثير من امورهم الى انهم لم يعدوا قبل انهم به فشاووه في امر
هذا الله وقال الراي عندي ان تدعو هذه الصنم حتى يكف عنا ما نزل بنا فا جتمعوا حول
الصنم فيقرعون اليه فلم يقر شيئا فلما يتبين لهم انه لا يتكلم ولا يسمع ولا يضردهم ان يدعوا الله

عز وجل ويسألوه ان يكشف عنهم ما تركهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يجذرون
فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو
استفهام انكار وتوبيخ لقومه فقد برهنا هذا الذي تزعجون واسقاط حرقا لاستفهام كثير
في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون والمعنى لهذا يكون ربنا ودلائل النقص
فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه فيقول
هذا الذي نزعكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعجون لما غاب فهو كقولك ذق انك انت الغرير
الكرم يعني عند نفسك وزعمك كما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهالك
الذي ظلمت عليه عاكف ابراهيم الهالك بزعمك الوجه الرابع ان في الآية اضمارة بقوله يقولون
هذا الذي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسما عيل بنا نقبل منا اي يقول ان ربنا نقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جنى عليه
الليل راى كوكبا والفا تقضى التقضيت فلهذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت
السموات والارض وبعد الايقان ومن كان لهذه المنزلة الرفيعة الشريفة لا يلبث بحاله ان يعبد
الكوكب ويتخذ هاربا فاما الجواب عن قوله لئن لم تهديني لآكونن من القوم الضالين
فان الانبياء عليهم السلام يزلوا بسا لوز الله التثبت ومنه قوله واجنبني وبنان نعبده
الاصنام اما قوله تعالى فلما افل يعني غاب والاقول عيوبة النيران قال يعني ابراهيم لا احب
الا فلير يعني لا احب ربيا غيب ويطلع لان امارات الحديث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما راى
الشمس غابت يعني طالعا منتقرا الصنم قال هذا ادى معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب فلما افل
يعني غاب قال لئن لم تهديني لآكونن من القوم الضالين يعني لئن لم يثبتني ربي على الهدى وليس
المراد انه لم يكن مهتد يا لان الانبياء يزلوا على الهداية من اول الفطرة وفي الآية دليل على ان الهداية
من الله لان ابراهيم عليه السلام اصاب الهداية الى الله تعالى فلما راى الشمس غابت يعني طالعة
قال هذا ادى يعني لهذا الطالع وانه اشار الى الضياء والنور لانه راى الشمس اضواء الكوكب
والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا التي بلفظ التذكير
هذا الكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يقوم اني بري ما تتركون
يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالليل القطع في هذه النجوم ليت بالهة ولا يضل للروية
تبرامها واظهر لقومه انه بري ما يتركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرام من شركهم اظهر ما هو عليه
من الدين والحق فقال الى وجهتي وجهي يعني اني صرفت عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فضل السموات
والارض يعني للذي خلقهما وابدعهما جنتا يعني ما يلاعن عبادة كل شيء الا الله تعالى واصل الخلق
الميل وهو ميل عن الطريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الخيف هو الذي يستقبل الكعبة

في صلاته **وما افان المشركين** بئر من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل **وحاجه قومه**
يعني وخاممه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيبا لمعتهم التي كانوا يعبدونها واظهر
التوحيد لله عز وجل خاممه قومه وجادلوه في ذلك **قال اتحاجوني في الله** يعني اتجادلونني في
توحيده **وقد هديني** يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيد الله ومعرفة الله البغوي ولما
رجع ابراهيم الى امه وصار من الشباب بحاله سقط عنه فيها طبع الذابحين وضمه انزل الى نفسه
جعل ازر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليسمعها فيذهبها ابراهيم وينادي من يشترى
ما يضره ولا ينفعه فلا يشترها احد فاذا ابارت عليه ذهب بها الى امر فضر بها في راسها وقال
اشترى استمر ابقومه وبما فيه من الضلالة حتى فشا استمر اوه بها في قومه واهل قريته حاجه
قومه يعني خاممه وجادلوه قومه في دينهم قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هديني يعني الى
التوحيد ومعرفة الله **ولا اخاف ما تشركون به** وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف ان تشرك
بشئ من خيل او جنون ليعبدك ياها فاجابهم بقوله **ولا اخاف ما تشركون به** لانها جادات لا تضر ولا
تنفع وانما يكون الخوف من يقدر على النفع والضر وهو قوله **الا ان يسار شيئا** يعني ان شيئا
رئي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان
قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكره نسوه الى الاصنام فتفي
هذه البهيمه بقوله **الا ان يسار شيئا وسع ربي كل شئ علما** يعني احاط علمه بكل شئ فلا
يخرج شئ عن علمه **افلا تدركون** يعني افلا تدركون ان هذه الاصنام مجادلات لا تنفع ولا تنفع
وان النافع والضرار هو الله الذي خلق السموات والارض ومن فيها **وكيف اخاف ما اشركتم**
يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها لانها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا يضر ولا ينفع **ولا**
تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وقد اشركتم بالله ومومن اعظم الذنوب
ما لم يترك به عليكم سلطا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان **فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم**
تقولون يعني من اولي بالعباد في يوم القيامة الواحد ام المشرك **الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**
وهذا افضل فقناه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيامة هم الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك وعزل عن مسعود قال لما تزل الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقلوا انما لا يظلم نفسه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك المسمع قول التمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال القمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم يعني لم يخلطوا ايمانهم بشئ من معاني الظلم وذلك بان تفعل بعض ما نهى الله عنه
او ترك ما امر الله به فعلى هذه القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم
دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود

ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله
شيئا كان عاقبته الامن من النار لقوله **اولئك** يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم **لهم**
الامن يوم القيمة من عذاب النار **ومهم منه ذنوب** يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى **وتلك حجتنا آتيناها**
ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حديث الكوكب والقمر والشمس
بالافواه وقيل لما قالوا لابراهيم انما نخاف عليك من الهتنا السبل اياها فقالوا فلما اتوا قول انتم
منها اذا سويت بين الصغير والكبير في العبادة ان يعصب لكبير عليهم وقيل انه خامم قومه
للمشركين فقالوا الفريقين احق بالامن من عبدة الهات واحد ام مخلصاله الذين والعبادة ام من عبدة
اربابا كثيرة فقالوا من عبدة الهات واحد ام مخلصاله الذين والعبادة ففقدوا على انفسهم
فكانت هذه حجة ابراهيم على قومه **نرفع درجات من نشاء** يعني بالعلم والنعيم والعقل والفضيلة
كما رفعنا درجات ابراهيم حين اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا
بالسنة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالشايع على الاعمال الصالحة **ان ربك حكيم عليم** يعني انه
تعالى حكيم في جميع احواله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل
ووهبنا له اسحاق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحج القاطعة
والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمة الله اياها وهذه الى عدد نعمة عليه
واحسانه اليه بان رفع درجاته في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى **وهبنا**
له يعني لابراهيم اسحاق ايمانا من صلبه ويعقوب يعني اسحاق وهو ولد الولد **كلا هدينا** يعني
هدينا جميعهم الى الرشاد ووقفناهم الى طريق الحق والصواب **ونوحا هدينا من قبل**
يعني من قبل ابراهيم امره نوحا ووقفناه للحق والصواب ومتا عليه بالهداية **ومن ذريته**
اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم **داود** وقيل
يرجع الى نوح وهو اختيار المفسر لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور لان الله تعالى ذكر في جملة
هذه الذرية لوطا وموذا بن ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت هذا انها الكناية ترجع الى نوح
وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جرى وداود وموذا ايضا كان من ائمه الله الملك
والنبوة وكذلك **سليمان بن داود وابوب** هو ايوب بن امو من نوح وارجح بن عيصان بن اسحاق بن ابراهيم
ويوسف هو بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم **وموسى** هو ابن عمران بن مريم فاهتدوا لادى بن يعقوب
وهارون هو اخو موسى وكان كبره منه بسنة انتهى **وكذلك نجزي المحسنين** يعني وما جزينا ابراهيم
على توحيد الله وصبره على اذى قومه كذا نجزي المحسنين على احسانهم **وذكرنا مواسا بن ادر بن ريكيا**
ويحيى بن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران **والياس** قال ابن مسعود هو ادريس ولد اسحاق بن يعقوب
واسرائيل قال محمد بن اسحاق هو الياس بن اسحاق بن ابراهيم بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح
لان اسحاق لا ينساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوح هو ابن لوط بن متوشلح بن اخوخ وهو

ادريس لان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته **كل من الصالحين يعني**
ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين **واسماعيل** هو ابن ابراهيم وان اخبر ذكره الى هنا لانه ذكر
اسحاق وكذا اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخبر ذكر اسماعيل الى هنا **واليسع**
ابن محطوب بن العجوة **ويونس** هو ابن متى **ولوط** هو ابن اخي ابراهيم **وكلا فضلنا على العالمين**
يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم
لكل موجود سوى الله تعالى فيه خل فيه الملك فيقتضي ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله ذكر
هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل
لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن من الطائفة اوجبت هذا الترتيب وبيان الله تبارك وتعالى
حسب كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم الصلاة والسلام ينوع من الكرامة والفضل فذكر اولاد نوحا
وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليه مرجع انسابهم جميعا ثم من مراتب القرابة بعد
النسب الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى اودوسليمان من ذلك حظا وافرا من المراتب
الصبر عند نزول البلاء والحج والشهادة وقد خص الله بهذه يوب عليه السلام ثم عطف على هاتين
المرتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشهادة الى ان اعطاه الله
ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتمدة في تفصيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام كثرة المعجزات
وقوة البراهين وقد خص الله به ذلك موسى وهارون من ذلك بالخط الوافر ثم من المراتب المعتمدة
الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام
ولذلك السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر اسم من بعده هؤلاء الانبياء من لم يبق لهم اتباع ولا
شرعية لهم وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه
كان هذا الترتيب احسن شيء يذكر الله اعلم بمراده واسر كتابه قوله عز وجل **ومن** **ياهم يعني ومن**
ابا الذين سميناهم من هنا للتبيين لان يا بعض من ذكرهم يكن مسلما **ودريا هم** يعني من ذرياتهم لان
يحيى وعيسى لم يكن لهما اولاد وكان في ذرية بعضهم من هو كان نوحا **واخوانهم** يعني من اخوانهم
والمعنى ان الله تعالى فو من ابا المذكورين ومن ذريتهم واخوانهم للهداية وخالف الله من هو قوله
تعالى **واجبيناهم** يعني اخبرناهم واصطفيناهم **وهديناهم** يعني وارشدهناهم **الى صراط مستقيم**
يعني الى الحق **فلذلك نمدى الله** قال ابن عباس في ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل
المراد بهدي الله معرفة الله وتربيته عن الشرك والافساد والاندا **بهدى من يشاء من**
عباده يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشدهم الى دينه وطاعته وخلع الافساد والاندا
ولوا شر كوا يعني هؤلاء الذين سميناهم بحسب عنهم يعني لبطل وذهب **ما كانوا يعملون** يعني من
الطاغيات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل **اولئك الذين**
اتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة يعني اولئك الذين سميناهم من الانبياء اعطينا الكتب التي انزلنا

عليهم واتيناهم العلم والحكمة والنبوة وشرفناهم بالنبوة وانا قدم ذكر الكتاب والحكمة والنبوة وان كانت
في الاصل لان منصب النبوة اشرف المناصب المراتب قد ذكر اول الكتاب والحكمة لانهما في النبوة
فان يكفر بها هو لا يعني فان يجحد به لا بل التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واسم المدينة وقيل هم المهاجرون والانسار وقال الحسن قتادة
هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج والدليل عليه قوله اولئك الذين يهدي
الله فهداهم اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملائكة وقال بعد لان اسم القوم لا يقع الا على بني آدم
وقيل هم الفرسان قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا او نبيا من الصحابة او التابعين
وفي الآية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عاليا على الاديان
كلها وقد جعل ذلك فواجا عن غيب قوله تعالى **اولئك الذين هدى الله** يعني النبيين الذين
تقدم ذكرهم هم المخصوصون بالمهابة **فهداهم اقتده** اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني
بشرايعهم وسنتهم اعمالهم والاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني لا في فعله وقيل امره
ان يقتدى بهم في اماله من الذين اتبعوا عليه وهو توحيد الله وتربيته عن جميع النقايس التي لا تليق
بجلاله والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدى بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال
المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى الستماء والعفو عنهم وقيل امر
ان يقتدى بشرايعهم الاما خصه دليل اخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على ان شرع
من قبلنا شرع لنا فطلب احج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
من جميع الانبياء عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة
فيهم فكان نوح صاحب خصال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل
وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلاء والحج وكان اودوسليمان من اصحاب الشكر
على النعمة قال الله فيهم اعلو داود شكره وكان ايوب صاحب صبر على البلاء قال الله تعالى
فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الخصالتين يعني العتد
والشكر وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب
صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبرنا عن ان الله تعالى امر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ان يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال الحميدة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم
كان افضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم واسم اعلم
وقوله عز وجل **قل لا اسئلكم عليه جزا** يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة تجلا وقيل
لما امره الله بالاقدة ابائين وكان من جملة هذا ما ترك طلب الاجر على انصال الدين وابلغ
الشرعية لاجرم اقتدى بهم فقال قل لا اسئلكم عليه اجرا **ان هو يعني ما هو يعني القرآن الاذكري**
للعالمين يعني ان القرآن الامو غبطة وذكرى لجميع العالم من الانس والجن وفيه دليل على انه غبطة

له صلى الله عليه وسلم لانه كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته
عمت جميع الخلائق قوله عز وجل **وما قدر الله حق قدره** قال ابن عباس معناه
وما عظموا الله حق عظمتهم وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شيء قدير وقال
ابو العالبيه ما وصفوا الله حق صفة وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته
يقال قدر الشيء اذا احذره وادان يعلم قدره ومقداره بقدره بالضم وقد راى
يقال لمن عرف شيئا هو بقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال له ان لا يقدر
قدره فنقوله وما قدر الله حق قدره يصح وضمة جميع الوجوه المذكورة في معناه
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
ما قدر الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء
فمن نزلت هذه الآية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول
من يقول ان جميع هذه السورة مدينية وهو قول السدي ويزيد عن مجاهد
وصححه الطبري وقال لا من اول السورة الى هذا الموضع فهو حبر عن المشركين وكان
قوله وما قدر الله حق قدره موصولا بذلك غير مقصود عنه فلا يكون قوله اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حبر عن غيرهم واورد نحر الدين على هذا القول
اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم نبوة موسى
وايضاً بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش ان ياتيهم بحال اليهود واجاب عنه بان
كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالثورة وبالمعجزات
الباهرات ولما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يمكن الزامهم بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الآية لا يليق بالانحال
اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني
في سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انما نزلت في اليهود وهذا على قول
من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة والها من الايات المدنيات التي في السور المكية
قال ابن عباس نزلت سورة الانعام تنكية الاست آيات منها قوله وما قدر الله حق
قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه
الآية فيهم قال سعيد بن جابر جاء رجل من اليهود يقال له مالك ابن الصديق فخاصمه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشر الله الذي انزل
التوراة على موسى لما جحد في التوراة ان الله يفضل الحبر السماوي وكان حبر اسمينا
فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال الصحابة الذين معه ويحك ولا

علي

على موسى فقالوا الله ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدر الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى قال اليعقوبي في الفقه ان مالك
ابن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عيبوا عليه وقالوا اليس الله نزل الكتاب على موسى
فلم قلت ما انزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له
وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فتزعم عن الجبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال
السدي نزلت هذه الآية في فتيان من عازروا اليهودي لانه القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قال
اليهود يا محمد الله انزل عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدر الله
الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وقال محمد بن
كعب القرظي جانا من بني يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محجب فقالوا يا ابا القاسم لا تأتينا
بكتاب من السماء كما جاء به موسى الى اخا تخجل من عند الله يا الله اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى الآية التي في سورة التا فاجابهم باعطاءهم الحبيشة
عني رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد منهم فانزل الله وما
قدر الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا
وهو انه قال لا ان اليهود مقررون بان التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله على
بشر من شيء مع اعترافهم بان التوراة على موسى ولم يجيب عن هذا الاشكال بشيء واجيب عنه بان
مراد اليهود الكفار نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الرسا بالابد لم ينزل الاقرار
من انزل التوراة على موسى فقال تعالى **قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى** اي قل يا محمد لا اله الا الله
الذي انزل التوراة على موسى فانزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وفي
هذا السؤال تنويح لليهود يتسوهوهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر **نورا وهديا للناس** يعني
التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرقه بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل
وتغير **يجعلونه قرا طيس** يعني يكتبونه في قرا طيس مقطعة بيده **ولها يعني القرا طيس ويخفون**
كثيرا يعني ويخفون كثيرا اما كتبوه في القرا طيس هو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونقشه في التوراة وما اخفوه ايضا اية الرحمة وكانت مكتوبة عندهم في التوراة **وعلمهم ما لم**
تعلموا انتم ولا اباؤكم اكثر المفسرين على ان هذا خطابا لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد
صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من قبل وقال الحسن بن علي بن محمد صلى الله عليه
وسلم قضيتهم ولم ينتفعوا به وقال المجاهد هذا خطابا للمسلمين يذكروهم النعمة فيما علمهم على لسان
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **قل الله** هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به فان اجابوك
يا محمد لا تقتل انت الله الذي انزل له **ثم ذرهم في خوفهم** يعني ذرهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون
من باطلهم وكفرهم ومعنى يلعبون ليعتبرون ويخزون وقيل معناه انك يا محمد اذا اثبت الحجج عليهم

الظالمين اذا تزلزل بهم الموت لرأيت امر عظيم او غمرته سديدة وسكراته وغرق كل شئ معظمتها
واما الشئ الذي يغمر الاشيا فيعطيها ثم وضعت في موضع السدايد والمكان **والملائكة باسطوا**
ايديهم يعني بالعذاب يعزبون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم **اخرجوا**
انفسكم يعني يقولون لم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدر لاحد على اخراج روحه من بدنه
فما بيده هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف
الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا
القول توبيخا لهم لانهم لا يقدر روز على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك **اليوم يخرجون عذاب الهون** يعني
الهوان بالفتح **يقولون على الله عز وجل الحق** يعني ذلك العذاب لانه يخرجونه بسبب ما كنتم تقولون على الله
غير الحق **وكنتم على اياتنا تستكبرون** يعني وبسبب ما كنتم تتعجبون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله
تعالى **ولقد جئتمونا افرادي** يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز
وجل عن حال الكفار وكيف يحضرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جئتمونا
فرادي تفرح وتوخيح لهم لانهم مرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل الولد والمال والحياه وافنوا اعمارهم في
عبادة الاصنام فلم يفرغ عنهم كل ذلك شيئا في يوم القيمة فيقو افرادي عن كل ما حصلوه في الدنيا
كما خلقناكم اول مرة يعني كما جئتمونا حفاة عراة غلابة لا يعني قلنا كما ولدتم امهاتهم في اول مرة في الدنيا
لا شئ عليهم ولا معهم في عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عظة فقال
ايها الناس انكم تحضرون الى الله حفاة عراة غلابة كما بدأنا اول خلقكم فاعيدوه وعدا علينا انا كفا فاعيد
ق عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحضرون الناس حفاة عراة غلابة
فقلت عايشة فقلت الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض فقال الامراء من ان يهيم ذلك
وروي الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا افرادي كما خلقناكم اول مرة
فقلت يا رسول الله واسوئاما ان الرجال والنساء يحضرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى
الرجال اشغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى **وترككم ما خولناكم وراا ظهوركم** يعني وترككم الذي علمناكم
وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كلما اعطى الله العبد وخوله فيه من المال والعبيد وراا
ظهوركم في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين يزعمون انهم فيكم شركا يعني ان المشركين يزعمون انهم ائمة و
هذه الاصنام لانهم عند الله تعالى يوم القيمة شركا تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وخ الله
المشركين وقومهم بهذه الآية ثم قال تعالى **لقد تقطع بينكم** ترى يتصل لون من بينكم ومعناه لقد تقطع
ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وترى بينكم برقع النور ومعناه لقد تقطع
وصلكم والذين من الاضداد يكون عدلا ويكون محررا واصل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وبطل ما كنتم
تذكرون في الدنيا فاعز وجل ان الله فالتق الحبت والنوي لما تقدم الكلام من تقرير التوحيد وتقرير

النبي ارفه بذكره لا ليل الله على حال قدرته وعلمه وحكمته تبيينها بذلك على المقصود
الا عظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله فانه مبدع الاشيا وخالقها
ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لانه لا مشاء التي كان يعبدها وتوحيدها ما كان
عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فاق
الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى الخلق قولنا ان الله بمعنى خلق ومعنى الآية عليه
القول ان الله خالق الحب والنوي وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الصفاك ومقاتل
قالا الواحد من مبادي القوم بسبب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام الرب خلق الله
الشيء بمعنى خلق ونقل الانزمي عن الزجاج جواره قال وقيل الخلق الخلق واذا ناسلت الخلق
تبين لك انه الكره عن الخلق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم
فلما اظهرها الله تعالى من العدم الى الوجود فكانه خلقها فظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثر
من الخلق هو السوء واختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال خلق الله
من السبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن السدي وابن زيد قال الزجاج يسئ الحق اليابسة
والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشعان للذان في
الحبة والنوي الحب ما سألني ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اسببه ذلك والنوي
جمع نواة وهو ما كان على ضد الحب كالرطب والخرق والشمش وما اسببه ذلك ومعنى قوله فخلق
الحب والنوي وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قد مر الزمان
اظهر الله ببارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سبلة يكون فيها الحب
ويظهر من النواة سحرة عدة في الهوى وعروقا ضاربة في الارض فتسبحان من اوجد جميع الاشيا
بقدرته وابداعه وخلقته وقوله تعالى **يخرج الحبي من الميت ويخرج الميت من الحبي** قال ابن عباس
في رواية عنه يخرج من المنطقة بشرحها من الميت ويخرج المنطقة الميتة من الحبي ومنه قوله الكلبي
ومقاتل قال الكلبي يخرج النشرة الحية من المنطقة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج
المنطقة الميتة والبيضة الميتة من الحبي وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المؤمن من الكافر
ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياء والكنز بمنزلة اللؤلؤة اقول الحسن وقيل
معناه يخرج الطاييع من العاصي والعاصي من الطاييع وقال السدي يخرج النبات من الحب
والحب من النبات وهذه اختيار الطبري قال لانه قال عقيب قوله ان الله فالتق الحب والنوي فان
قلت كيف قال ويخرج الميت من الحبي بلغة اسم الفاعل بعده قوله يخرج الحبي من الميت قلت هو كايلا
والتفسير لقوله فالتق الحب والنوي لان اصل الحب والنوي اليابسة واخراج النبات والشجر من
جنس اخرج الحبي من الميت لان التام من النبات في حكم الحوان وقوله تعالى **لكن الله يعني ذلكم الله**
الذي بر الخلق الصانع لهذه الاشيا كلها الحبي الميت لما فاني توفكون يعني فاني بقر فون عن الحق

فمنه ومن غير الله الذي هو خالق الاشياء وفيه دليل على صحة البعث بعد الموت لا الملة
على اخراج البدن من النطفة قادرا على اراحته من التراب للحساب قوله تعالى **فالتا اصباح**
اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى به الصبح وقيل الزجاج
الاصباح والصبح واحد وهو اول النهار فان قلت ظاهر هذه الآية يدل على انه تعالى خلق الصبح
والظلمة التي هي متعلق بالصبح فامعنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون
المراد فالظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل المتعاهد
في الاقواس كمنه لمرحان وهو الذي يترقب ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب
لانه يبدو في الاقواس في شروق الشمس ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضو المستطير
في جميع الاقواس في شروق الشمس الصبح الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى
فالظلمة الصبح الاول والصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل نور الصباح
فكذلك يشق نور الصباح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق اصباح اي فالق الصبح بنور
النهار الوجه الثالث ان يراد فالظلمة الاصباح وهو الغيب في اخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع
ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصفه الفجر والخلق وسمى الفجر خلقا بمعنى مخلوق
الوجه الخامس الخلق بمعنى الخلق خالق الاصباح وعلى هذا القول نزول الاسكال والصبح هو
الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدئ الضو الصبح وخالقه ومنوره وقوله تعالى **وجاعل**
الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكنا راحة
لان استعالي جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس ان كل روح يسكن فيه لان الانسان قد انقلب نفسه
في النهار فاحتاج الى مكان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل **والشمس والقمح حسانا**
يعني انه تعالى قد رزق حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس بحسب ما رزق من الجلال
لما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلها بحساب لا يحاظره حتى ينتهي
الى اقصى منازلها **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خلقها بقدرته
وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك **تقدير الغر العظيم** فالغر اشارة الى كمال قدرته والعلم اشارة
الى كمال علمه قوله عز وجل **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** جعل
منها معنى خالق يعني الله الذي خلق لكم هذه النجوم لتهتدوا بها اذا ضللتكم الطريق
وتحيرتم فيه فمما عليه على عباده بان جعل لهم النجوم لتهتدوا بها الى المسالك والطرق في البر
والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة ويستدلون على ما يريدون
في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها لتهتدوا
للسما كما قال تعالى ولقد رزقنا السما الدنيا بمصابيح وجعل بعضها رجوما للساطين **لقد فضلنا**
يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا **لقد فضلنا**

على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى **وهو الذي انشاكم من نفس**
واحدة يعني والله الذي ابتدأ خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم
وهو المخلوق منه وعيسى ايضا لانه ابتدأ خلقه من مريم وهي من نبات ادم فثبت ان جميع
الخلق من ادم عليه السلام **تمستقر ومستودع** قرئ تمستقر بكسر القاف وتحتها يقال قرئ
مكانه واستقر فن كسر القاف جعله مكانا والمستقر يعني المقر فيكون المعنى ولكم مقعد
والمستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسم الانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز
ان يكون المكان نفسه فن كسر القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرا
ومكان استودع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من
استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى البقاء من
المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معروض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين
في معنى هذا اللفظين ويروي عن ابن عباس انه قال المستقر يعني في ارجاء الامم والمستودع
في اصلاص الابان ثم قرأ وتفرقا لارجاء ما انشا ويبيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب
الابن فانما طويلا والخين يعني في بطن الام زنا طويلا ولما كان الكثر في بطن الام الكثر من
صليب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب ويروي عنه انه قال بالعكس يعني ان
المستقر صلب الاب والمستودع رحم المرأة ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب
الاب قبل حمل الرحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود
المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على الارض
في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال
لكن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان
تلقى ربنا جيلك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما الى الجنة واما الى النار وللقام
فيها يقتضي الطود والتأبيد **قد فضلنا الايات** يعني قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين
الواضحة والحج القاطعة **لقد فضلنا الايات** يعني قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين
توحيد هذه الايات هو الفهم قوله عز وجل **وهو الذي انشاكم من السما** يعني المظروفين ان الله
نزل المظروف السما ومن السما الى الارض **فخرجنا به** يعني بالما الذي انزلناه من السما **انزلنا كل**
شيء يعني من كل شيء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناها اخرجنا بالما الذي انزلناه
من السما اكل شي من الانعام والبهائم والطيور والوحش والارواق في ادم وقواهم ما يغذون به
فينبتون عليه وينمون **فخرجنا منه** خضر يريد خضر مثل عود واوراق الخضر من جميع الزروع
والبقول والنبات **فخرج منه** اي خرج من ذلك الاخضر نباتا فيها الحبوب كالحب
فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والانه والذرة وسائر الحبوب وفي مقدم الزرع على الفحل دليل

على الافضل لان حاجته الناس اليه افضل لانه القوت المألوف **ومن الخلق من طلبها فتواروا بينه**
يعني من سهرها قيل اطلعت النخلة اذا خرجت طلعا وطلعا سهرها قيل ان يشق عن الاعرض والاعرض
يسمى طلعا ايضا ومما ولا يكون في قلب الطلع والطلع اول ما يبرو ويخرج من سهر النخل كالكراد يكون
فيه الغدق فاذا استقر عند كثرانه سمي غدقا وهو القوت وجميعه فتوارا مثل صنو وصنوان دانت له قربة
للتناول ينالها القايوم والقاعد وقال مجاهد مذل وقال النخلة قصار ملتصقة بالارض وفيه
اختصار وحذف تقديره ومن الخلق ما قربته ومنها ما يبعده عالية والكتف به كقربة عن
البعيدة لشدة الامتصاص بها لانها اسهل تناولا والبعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة **وجنات**
من اغناب يعني خرجنا من ذلك بساكنين من اغناب **والزيتون والدرمان** يعني خرجنا من الزيتون
وسجرات الرمان **من شجر** قال قتادة مشتبهها وزرعا تحتها من الارز والرزينوسية ورق الرمان
وغيره يعني ومنها غير متشابه في اللون والطعم واعلم ان الله تعالى ذكره في هذه الآية
اربعة انواع من الشجر بعد الزرع ولما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع عداوتها والاشجار
قواكم والغدا تقدم على الفواكه ولما قدم النخل على غيرها لان ثمرها تجري مجرى الغدا وفيها من المنافع
والخامس ما ليس في غيرها من الاشجار وما ذكر العنب عقب النخلة لانه اشرف انواع الفواكه
ثم ذكر عنب الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال
ثم ذكر عنب الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودودا وقال تعالى **المشور والي غمره افلحتم**
وبينه يعني وبينه وادراكه والمعنى انظر وانظر استدل بالاعتبار وكيف اخرج الله تعالى هذه
الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى **ان في ذلك لآيات**
لنوم من نور يعني يصيد نور ان الذي اخرج هذه الثمار وهذه النباتات قادر على ان يحيي الموتى
ويبعثهم وانما اخرج الله عليهم لتصرفهم في خلقه ونقله من حال الى حال ومما يعلمونه قطعا
ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها واخراج انواع سائر النباتات والثمار منها وانه لا يقدر
على ذلك احد الا الله تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم
القيامة وانما اخرج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا يتكبرون بالبعث قوله تعالى **وجعلوا الله شركا**
الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا
الجن فيما سولوا لهم من شركهم فجعلواهم شركاء الله وقال الكلبي تزلزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لاشيئين
في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والاب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحياة
والغفاري ونقل هذا القول عن الجوزي عن الحسن بن السائب ونقله الامام فخر الدين الرازي عن ابن عباس
قال الامام فخر الدين وهذا ذهب المجوس بالزنادقة لانه الكتاب الذي نزل عن ربه انه نزل
من السما على بالزبد والمنسوب اليه يدي ثم عذب فقبل زيد بنى فاذا جمع زيادته ثم ان المجوس
قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من زبد الله يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني

ابليس ثم اختلف المجوس فالأكثر من منهم على ان ابليس محدث ولم في كيفية حدوثه اقوال
عجيبة والاقولون منهم قالوا انه قد بعث في التواريخ فقد اتفقوا على انه شرك الله في تدبير
هذا العالم لما كان من خير من الله وما كان من شر من ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت
فعلى بهذا القول انهم اثبتوا معننى شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركا
قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فيمحق ما حياه الله
عنهم من انهم جعلوا له شركا الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة
فمن قال ان الآية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امرهم به من عبادة الاصنام وجعلواهم
شركا ومن قال انها في المجوس فقد اثبتوا الهة من التوراة والظلمة وقال ان كفار العرب قالوا ان
الملائكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم متورون
عن الاعين وقوله تعالى **وخلقهم** وفي معنى الكناية قولنا احدهما انها تقود الى الجن فيكون المعنى
والله خلق الجن فكيف يكون شركا لله من هو محدث مخلوق والقول الثاني ان الكناية تقود الى
لجاء عين الله شركا فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا في ملكه **وخرقوا له بنين وبنات** **بغير علم** اي
اختلفوا وكذبوا بخلقوا واخترقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة
من اليهود ادعوا ان الله ابنه وكفار العرب ادعوا الى الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا
فيما ادعوا وقوله بغير علم كالسنيب على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول
لان الولد جبر من الاب والله سبحانه لا يتجر اقتبست فتر بعد عن ايجاد الولد وعن هذه الاقاويل
الفاسدة فقال تعالى **سبحانه وتعالى عما يصفون** فقوله سبحانه فيه تزيين عن كماله لا يلقى
بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد او يكون المعنى المتعالى عن
ايجاد الولد والشريك وقوله تعالى عما يصفون يعني عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل
بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سابق والله خلق السموات
والارض على غير مثال سابق **ان يكون له ولد** يعني من ان يكون له الولد **ولم تكن له صاحبة** لان الولد
لا يكون الا من صاحبة انى ولا ينبغي ان يكون له صاحبة لانه ليس كمثل شئ **وخلق كل شئ** يعني
ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثل شئ فكيف يكون الولد من الامم
له واذا نسب لولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل فتعالى عن المشبهة وهذه الآية حجة
قاطعة على فساد قول النصارى **وهو بكل شئ عليم** يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يزيغ عن
علمه مثقال ذرة وعلمه محيط بكل شئ قوله تعالى **ذلكم الله الذي من منته**
انه خلق السموات والارض وابدهما على غير مثال انه بكل شئ عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة
لا من دعونه من دونه من الاصنام لانها جامد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تقام والله تعالى باو

الخالق الصار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه
واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خالق رقيب حيثما يقوم بالزناق جميع خلقه
قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة
بكنهه الشيء وحقيقته لا بصار ترى الباري جل جلاله ولا يحيط به كمال القلوب تدركه ولا يحيط به
فقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار لا يحيط به الابصار فقال ابن عباس كانت
ابصار المخلوقين عن الاحاطة فثبتت تلك بظواهر الآية فقوم من اهل البدع ومن الخوارج والعترة
وبعض المرجلة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه والى رويته مستحيلة عقلا لان الله
اخب من الابصار لا تدركه واهم ارك الابصار عبادة عن الرواية الا لا فرق بين قوله اركه وبين
واليت بصري فثبتت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار لا يراه وهذا يعمم للعموم ومذهب اهل
السنة ان المؤمنين يوم القيمة في الجنة وان رويته غير مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان
الابصار لا تدركه واهم ارك البصر عبادة عن الاحاطة بكنهه الشيء واحتجوا الصحة من فهم بظواهر
ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على ان رويته لا تدركه ولا تدركه
للمؤمنين في الآخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ماضية الى ربها فانا ظنة في الآية دليل على ان
المؤمنين يوم القيمة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال السافعي حجب
قوما بالمعصية وبهم الكفار فثبتت قوما يرونه بالطاعة وبني الايمان فقالوا لا تدركه
المؤمنون يوم القيمة لم يعبر الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسن وزيادة
وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى الله تبارك وتعالى يوم القيمة واما دلائل السنة ما روي عن
جور بن عبد الله الجعفي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطر في الغزاة ليلة البدر فقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته قال استطيعتم ان لا تغفلوا
عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاقولوا نعم فقرأوا سجدة برك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب وخرج البخاري وسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في الغزاة ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تنظرون
في الشمس ليس ونبها سبحانه قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذا اخرجه ابو
داود يدل عنده في اوله ان ناسا سألوه ولا في اخره ليس ونبها سبحانه عن ابي ذر بن العقيلي قال
قلت يا رسول الله اكفنا نرى ربنا تخليبا به قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه فقال يا ابا ذر
اليس لكم ترون القمر ليلة البدر يخلي بابه قلت بلى قال فاسم اعظم انتم تخلق من خلق الله يعني القمر
فاسم اعظم اخرجته ابوداود واما الدلائل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه
الآية على جواز روية المؤمنين يوم القيمة وتصديره انه تعالى يمدح بقوله لا تدركه فلو لم
يكن جازر الروية لم يحصل هذا التمدح لان التمدح لا يقع رويته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار

يفيه المدح وهذا يدل على كونه تعالى جازر الروية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه
بحيث يتسع رويته فحينئذ لا يلزم من عدم رويته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جازر
الروية ثم انه قد روي على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت هذه الآية
دالة على انه تعالى جازر الروية واذا ثبت بهذا وجب القطع بان المؤمنين يوم القيمة لان موسى
عليه السلام سأل الروية بقوله وجب في نظر اليك اذ لا يسأل مثل موسى ما لا يجوز او يتسع وقد علق
الله الروية على استمر الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراه واستقر الجبل جازر والمعلق
على الجبل جازر واما الجواب عن مستل المعزلة بظواهر الآية على روية فاعلم ان الادراك
غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والروية المعاينة للشيء من
غير احاطة وقد تكون الروية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصبحاب موسى
انما لم يركبوا قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم
ايام فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية بقوله كلا والله تعالى يخون اليمين في الآخرة من
غير ادراك ولا احاطة لانا الادراك هو الاحاطة بالمرى ومومن كان محمد فداؤه جهات وادبه
متره عن الحد والحجة لانه القيم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يدرك ولا يدرك
وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدينيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والروية قالوا ويدل على هذا
التخصيص قوله وجوه يومئذ ماضية الى ربها فانا ظنة فقوله يومئذ ماضية تفيد يوم القيمة
وعلى هذا يمكن الجمع بين لا يتنى وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم بمعنى قوله
لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علماء وهذا وجه حسن ايضا
والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يانه تعالى يرى المراتب ويبصر جميع البصائر
لا يخفى عليهم شيء منها ويعلم حقيقتهها ومطلع على ما هيتهها فهو تعالى لا تدركه الابصار
المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف بالويلات الخبير بهم وقال
الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق وقيل هو الذي يني
عباده ذنوبهم ليلا يخجلوا واصل اللطف المنظر في الاشياء وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف
هو الذي يعاينهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون
وقال الزهري اللطيف من اسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف بعباده
حيث يشي عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم به واحسانه عند المعصية وقيل هو
الذي لطف عند ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى قد جاكم بصائر من ربكم البصائر
جمع البصيرة وهو الدلالة التي توجه البصيرة بالشيء والعلم والمعنى قد جاكم القرآن فيه البيان
والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحجج الباطل وقيل ان الايات والبراهين ليست

في انفسها بصائر الا انما تركها من عرفها ووقع على حقايقها فلما كانت هذه الايات
واضح والبراهين النسابا لمحصل البصائر سميت الايات **بصائر** يعني فمن عرفت الايات
واهتمت بها الى الحق **فلنفسه** يعني فلنفسه بصر لها عمل لانه يعود يقع ذلك ليسوع عيسى
يعني ومن جهل ولم يعرف الايات ولم يستدل بها الى الطريق **فليعلم** يعني تعالى نفسه عسى لها
ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غنى عن خلقه **وما انا عليكم بحفيظ** يعني وما
انا عليكم برقيب احصى عليكم اعمالكم وافعالكم انما انا رسول من ربكم اليكم ابلاغكم ما ارسلت
به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر
ان اذفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايان وقال احمد الحفيظ الوكيل
وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الاول ليست بمنسوخة والله اعلم قوله عز وجل **وكذلك نصرف الايات** يعني
وكذلك نبين الايات ونفصلها من كل وجه كما صرفنا وبينها من قبل **وليقولوا دارست**
وقيل معناه لئلا يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب جيد مره درسته
اذ اكثر من شيء ودلله للحفظ وقال ابن عباس وليقولوا اهل مكة حين يقرأ عليهم القرآن
درست يعني تعلمه من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا نزعنا من
من عنده الله وقال القرامعنا نعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف قارات اهل
الكتاب من اليهود والنصارى يقولون قرأت على اهل الكتاب وقرأ علينا
وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها
عليك قديمة قد درست واتخذت من قولهم درس الامر اذ احجى وذهب ثره **وليس له لقوم**
يعلمون يعني القرآن وقيل معناه نصرف الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اوليائه
الذين هم اهل البيت الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الايات ليسعد بها قوم ونسفي
بها اخر من اعرض عنها وقال النبي صلى الله عليه وسلم درست او دارست فهو شقي ومن
ومن تيسر له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحق الذي اداهم الى ان
قالوا درست ما تلو هذه الايات عليهم وهذه الامم تسميها اهل اللغة الامر الصارورة
يعني صار عاقبة امرهم الى ان قالوا درست فصا ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على
ان الله تعالى جعل نصرف الايات سببا لصلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهذا انهم
قوله تعالى **اتبع ما اوحى اليك من ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اتباع ما امر به بذلك
في وحيه الذي اوحاه اليك وما والقرآن فاعلم به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من
يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحى اليك من ربك تقوية لقلبك لئلا يضل الله
عليه وسلم واذا لخرى الذي حصل له بسبب قولهم دارست ونبه بقوله تعالى **الا اله الا هو**

يعني انه سبحانه وتعالى واحد فرد اصيل لا شريك له واذا كان كذلك فانه يحيط طاعته ولا
يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزايغين وقوله تعالى **واعرض عن المشركين**
قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم
فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال قوله عز وجل **ولو شأنا الله**
ما اسركوا قال الزجاج معناه لو شاء الله جعلهم مومنين وهذا نص صريح في ان شركهم
كان بمشيئة الله خلافا للمقتولة في قولهم لم يرهم من احد الكفر والسكوت لا يرد عليهم
وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على المشركين قريبا ولا حافظا
تخفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تنهم
منى ومعناه انك لم تبعث لتخفظ المشركين من العذاب فما تبعث مبلغا فلا تنهم بشركهم
فان ذلك بمشيئة الله تعالى **وما انت عليهم بوكيل** يعني وما انت عليهم بوكيل تقوم بارزاقهم
وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وفي قول
ابن عباس لا تكون منسوخة والله اعلم قوله تعالى **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**
فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية قال ابن عباس لما تزلت انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتسمى عن سبب لقتنا اولئك مجنون ربك فها هم الله عن
سبب وثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبوا اوثان الكفار
في ردوز ذلك عليهم فها هم الله عز ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جمل لا علم لهم
بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابوطالب لوفاة قالت قرشي انطلقوا بنا لندخل على
هذا الرجل فلما مره ان ينهي عنا ابن ابي جهل فانا نسبحي ان نقتله بعد موته ففقول العرب
كان عه يمينه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر من الحارث وامية
ابن خلف وابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمر بن العاص والاسود بن ابي النخعي الى ابي
طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا اذا انا واذي الهتنا فنجب
ان ندعوه فقتلناه عن ذكر الهتنا بسو ولله عده والهه فدعاه فجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ابوطالب ان هؤلاء قومك ويتوابعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما**
يسد وقالوا نريد ان ندعوا الهتنا ونهكك والهك فقال له ابوطالب قد انصفك
قومك فاقبل منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتم هذا فهل انتم معطوا
كلمة ان تكلمتم بها ملككم العرب ودانت لكم العجم وادت الخراج فقال ابو جهل نعم
وامتك واتبك لتعطينها وعشرة اثنا لها فامى فقال قولوا لا اله الا الله فابوا وكفروا
فقال ابوطالب قل غير هذا يا ابن اخي فقال يا عمر ما انا بالذي اقول غير هذا ولوا توخى
بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غير هذا ارادة ان يؤيسهم فقالوا تكفن عن شريك

الحقنا ولنشتنك ولنشتن من يارك فأترا الله ولا تشبوا الذين يدعون من دون الله
يعني ولا تشبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فليسوا الله عدوا بغير علم
يعني فليسوا الله ظلما بغير علم لا نضم جملة بالله عز وجل قال الزجاج بنو اف في ذلك
الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدونها المشركون فليسوا الله عدوا بغير
علم وقال ابن البار في هذه الآية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبى صلى الله عليه وسلم بكه
فلما قواه اصحابه نسخ هذه الآية ونظايرها بقوله اقلوا المشركين حيث وجهتموه
وقيل انما لغوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما ترتب على ذلك من
للفاسد التي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد
فذلك هو اعظم من سب الاصنام وقيل لما تركت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تشبوا
الاهم فليسوا بكم فامسك المسلمون عن سبهم فظاهر الآية وان كان نبيا عن سب
الاصنام فتحقيقه الذي عن سب الله تعالى لانه سب الله تعالى **كذلك زينا لكل**
امه علم يعني كازينا لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحمان والخذلان
كذلك زينا لكل امه علم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي الآية دليل على تكذيب القصة
والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى **ثم الى ربهم مرجعهم**
يعني المومن والكافر والطايع والعاصي **فبينهم ما كانوا يعجلون** يعني في الدنيا فيجازيهم
على ذلك قوله عز وجل **واقتموا با الله جهنم** قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان له عصى يضرب بها الحجر فيخرج منه اثنتا عشرة عينا
وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموتى فانتا باية حق بضدك ونوم منك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايما يحبون قالوا يحبون لنا الصفا ذهبنا وابعث لنا بعض موتانا نساله عنك
اخو ما تقول ام باطل واذا ز الملك بشهرك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعد
ما تقولون تصدقوني قالوا نعم والله لن فعلت لتبغناك اجمعين وسال المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعوا الله
عز وجل ان يجعل الصفا ذهبنا فجاءه جبريل فقال اما شئت ان شئت اصبحت ذهبا ولكن
ان لم يصعد قولك لنعذركم وان شئت نترككم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل يتوب تائبهم وانزل الله عز وجل **واقتموا با الله جهنم** يعني حلقوا با الله جهنم تائبهم
يعني اوكما قدر واعليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلق الرجل با الله فهو
جهنم **بينهم ما كانوا يعجلون** يعني كاجات من قبلهم من الامر **ليومنون** يعني ليصدقن بها **قل**
يعني قل يا محمد **انما الايات عند الله** يعني انه تعالى قادر على انزلها **وما يشعركم** يعني وما يدرككم
ثم اختلف العلماء في الخطابين بقوله وما يشعركم فقولوا للمشركين الذين اقتسموا بالله وقيل هو

خطاب للمومنين واختلفوا في قوله **انها اذا جات لا يومنون** فقرة ابن كثير واسئل البصرة
وابوبكر عن عامر انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على
معنى وما يدرككم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جات لا يومنون فمن جعل الخطاب
للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات اذا جات اعنتهم ومن جعل
الخطاب للمومنين قال وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جات اعنتهم لان المومنين كانوا
ليالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا الله ان يريهم ما اقرحوا حتى يومنوا فحاطهم الله بقوله
وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى **انها اذا جات لا يومنون** وهذا في قوم مخصوصين حكم الله
عز وجل عليهم بانهم لا يومنون وفي ذلك لسابق علمه فيهم وقر الباقون انها بفتح الالف وحلوا
الخطاب في ذلك للمومنين لان المومنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الايات
لذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جات لا يومنون
فعلى هذه اختلفوا في لفظه لان قوله لا يومنون ففعل بي صلة والمعنى وما يشعركم ايها اذا جات
يومنون وقيل بي على ما بها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم ايها اذا جات يومنون لا يومنون
وقيل ان معنى لعل في قوله ايها اذا جات وكذلك هو في قراءة ابن كعب لعلها اذا جات وهذا
شايع في كلام العرب تقول العرب بيت السوق انك تسرى لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قوله عدي بن زيد
اعاذ لعايد ريك ان ميني الى ساعة في اليوم او في شئ الغد يعني لعل ميني قوله تعالى **ونقلب**
افيه ثم وابصارهم قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات التي سألوا
امنوا بها والنقلب وهو تحويل الشئ وتحويله عن جهة الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف
القلوب والابصار عن الايمان بعثت على الكفر **كالم يومنون** **اول مرة** كالم يومنون اقبل ذلك من تلك
المجرات الباطنة وقيل ان اول مرة يعني الايات التي جاءها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس
المرة الاولى دار الدنيا يعني لو مردوا من الاخرة الى الدنيا لقلب فيدهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنون
كالم يومنون **اول مرة** قبل ما هم وفيه دليل على ان الله تعالى لم يهدى من يشا ويصل من يشا وان الايمان
والقلوب بيده وفي يده فيقيم ما شانها ويرفع ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يا منقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب فيدهم ثم تريها عن الايمان ونقلب
ابصارهم عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوا عنها فلا يومنون بها كالم
يومنون ابائهم ورسوله وما جاءهم عن الله فعلى هذا تكون الكفاية في به عايده على الايمان بالقرآن وما
جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤلهم الايات التي اقرحوها وقوله تعالى **ونذرهم في**
طغيانهم يعمهون يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبوا في علم الله انهم لا يومنون في نذرهم على الله
واعذتهم عليه يترددون لا يمتددون الى الحق قوله عز وجل **ولو اتنا لنهم الملايكة** قال ابن جريج
نزلت في المستمرون وذلك انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذرهم قريش فقالوا يا محمد انزلنا

بعض موقنا حتى نسالهم عنك اخو ما تقول ام باطل او ادنا الملايكة يشهدون لك انك رسول
الله او ابتنا باسده والملايكة قبلا قلت هذه الالية جوابا لالم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم
الملايكة حتى يشهدوا لك بالرسالة **وكلمهم المولى** يعنى عايسا لواء **وحزننا عليهم كل شئ قبلا**
يعنى وجمعنا عليهم كل شئ قبلا وقيل العليل الكليل بصحة ما تقولوا امنوا وهو قوله
ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله يعنى الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا
بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشيا المحسورة منها ناطق ومنها صامتة
فاذا انطقوا الله الكفر حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية العجاز وقيل قبل ان يلقا
والمواجعة والمعنى وحزننا عليهم كل شئ مواجعة ومعانية **ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله**
اخبرنا ان الايمان بمشيئة الله كما ظنوا انهم متى شاؤوا امنوا ومتى شاؤوا لم يؤمنوا وقلنا انهم كانوا
ليؤمنوا هم اهل النقا الا ان يشاء الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم في علمنا انهم يخطون في الايمان
وصحح الطبري قوله ان عيسى قال لا انا الله عم بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تعدوا ذكرهم في قوله
واقسموا بالله جديا انهم لن يجيئتم اية ليومنتم لها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين
سالهم الايمان وقوله تعالى **ولكن اكثرهم يجهلون** يعنى يجهلون ذلك كذلك ويجسسون ان الايمان
اليهم متى شاؤوا امنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن
ساله الايمان امن ومن ساله الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهبه اهل السنة ان الاشيا كلها بمشيئة
الله تعالى ومنه على القدريين والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان من جميع الكفار قوله تعالى **وكذلك**
جعلنا الكل نبي عهدا وقيل بمسوق على قوله تعالى وكذلك نبينا لكالمة علمهم اي كما فعلنا ذلك
كذلك جعلنا الكل نبي عهدا وقيل معناه كما جعلنا النبي قبله من الانبياء عهدا كذلك جعلنا لادله
وفيه تغرية للنبي صلى الله عليه وسلم وتولية له بقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم
فكذلك جعلنا الكل نبي عهدا والبعظم ثوابه على ما يكابد من اذى عذابه وعدوه واحدا برأه
الحج يعنى جعلنا الكل نبي عهدا **اشيا طين الانس** اخلاف العلماء في معنى شياطين الانس والجن
على قولين احدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عاتق متم من الجن
والانس وهذا قول ابن عباس وهو قول مجمل وهو قول قتادة قالوا وشيطان الانس
اشد من شيطان الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اعوا الموح الصالح واعياه ذلك استعان
على اغوايه بشيطان الانس لميخته ويد على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال قال ليرسل
الله صلى الله عليه وسلم هل تقودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس
من شيطان قال نعم ثم من شياطين الجن فذكره البغوي وغيره سندوا بسنده الطبري وقال مالك
ابن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن وذلك انه اذا تقودت باسده ذهب عني
شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجري الى المعاصي القولا الثاني ان الجميع من ولد ابليس

واضيف

واضيف شياطين الانس الى الانس على معنى انهم يعفونهم وهذا قول عكرمة والفضال والكلبي
والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد شياطين الانس التي مع الانس شياطين الجن
التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنوده قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى
الانس والفريقان شياطين الجن والانس معنى انهم يعفونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعدا
لنبي صلى الله عليه وسلم ولا وليا به من المؤمنين والصلح من ذهاب الى عهد القول قال زيد
على صحته ان لفظ الالية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاصياقة تقتضي المغايرة
فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى **يوحى بعضهم**
الى بعض يعنى يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها
الى من يريد اغواه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسرون بعضهم الى بعض ما يقتضونه
المؤمنين والصلح بين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول
شياطين الانس شياطين الجن اضللت صاحيكم وكذا افاضل انت صاحيكم بله ويقول
شياطين الجن شياطين الانس كذا فذلك وحى بعضهم الى بعض وقوله **زخرف القول** يعنى باطل
القول والخرف هو الباطل من الكلام الذي قد نزل وشي بالكذب وكل شئ حش محوه فهو
زخرف **غروا** يعنى ان الشياطين يزرون ذلك القول الكذب المزخرف غروا وذلك ان الشياطين
يزرون الاعمال القبيحة ليقادروا ويغروا بها غروا **ولو شاربك ما فعلوه** يعنى ما فعلوا
الوسوسة التي يلقيها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شاء منع الشياطين
من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله تعالى لم يمن من يشاء من عباده ما يعلم انه الاجر له في
النوايا فاصبر على المحنة **فذرهم وما يفترون** يعنى فذرهم يا محمد وما يزعمون ابليس وخبرهم به من
الكفر والمعاصي فاني من وراءهم قوله تعالى **ولتصغي اليه افيدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** قال ابن
عباس ولتصغي اليه واصل الصغى في اللغة الميل يقال صغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغوت
وصغيت صغيتا قال ابن ابي عمير اللام في وتصغي متعلقة بفعل مضارع معناه وفعلنا هم
ذلك لكي تصغي الى الباطل افيدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره الامر متعلق بيوحي تذرهم
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا به ذلك ولتصغي اليه افيدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والفتنة
في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتجهه وتزني
به وهو قوله **وليرضوه** يعنى يرضون بذلك القول المزخرف لباطل **وليقترعوا ما هم مقترعون**
يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل **افغير الله ابقى حكما اي قل**
يا محمد لا اله الا الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون
لنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى ان يجيبهم بهذه الجواب
ولحكم الحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم لكل من الحاكم لان الحاكم من

شأنه ان يحكم والحكم اهل ان يتخاطب اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فانه حكم لا يحكم الا بالحق
فلما اترأى الله على محمد القرآن فقه حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى **وبوالذي انزل اليكم الكتاب مفصلا**
يعني مبينا امره ونهييه ووعيده وفيه الحكم بينكم **والله اني انتقام الكتاب** يعني علماء اليهود
والنصارى **يعلمون انه منزل من ربك بالحق** يعني يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما
ثبت عندهم بالادلة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة وروايتهم مثل اني بكر عمر عثمان
وعلى بن ابي طالب يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فاصواتهم وصدوقهم **فلا تكونن من المنكذين**
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند
الله وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدوق فهو من باب التبيين لانه صلى
الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للتبصير الى الله عليه وسلم الا ان المراد به
غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القرآن شك انك من عند الله ما فيه من
الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى **وقمت ربك** وقرى كلمات ربك على
اجمع فترأى على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد
كقولهم قلنا الشاعر في كلمته يعني في قصيدته فذلك القرآن كلمة واحدة لانه شيء واحد في اعجاز
النظم وكونه حقا وصدقا ومجرا ومن قرأ بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الآية لا بعد ل
لكلماته فوجي الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني **صدقا وعدلا** يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما
حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن الرزق الماضي والامر
الحالي وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب لطيف في الجنة وعقاب لعاصي في النار
وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام **لامبدل الكلمات** يعني لا مغير لفظا
ولا ارجح له ولا خلق لواعبه وقيل لما وصف كلماته بالتام في قوله **وقمت ربك** والتمام
في كلماته لا يقبل النقص والتغيير والتبدل قال تعالى **لامبدل الكلمات** لانها مصونة عن التغيير
والتغيير يافيت الى يوم القيامة وفي قوله **لامبدل الكلمات** دليل على ان السعيد لا يتقلب شقيا
ولا الشقي يتقلب سعيدا فاما السعيد من سعد في الازل والسقي من شقي في الازل واورع على هذا ان
الكافر يكون شقيا بغيره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالحكمة
من ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل
والله اعلم وقوله تعالى **واموال السبع** يعني لما يقول العباد **العليم** يعني باحوالهم قوله عز وجل **وان**
تقطع اكثر من في الارض يصلونك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في اكل الميتة وذلك لانهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا
تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم **وان تطلع اكثر من في الارض في كل**
الميتة وكان الكفار يؤمنون اكثر اهل الارض يصلونك عن سبيل الله يعني يصلونك عن دين الله الذي

شرع

شرع لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعمهم في مقتداهم الباطل فانك ان تطعمهم يصلونك عن
عن سبيل الله يعني يصلونك عن دين الحق ومنع الصدق شر اخر عن حال الكفار وصالحهم عليه
فقال تعالى **ان يتبعوا الا الظن** يعني ان هؤلاء الكفار الذين جادلوك ما يتبعون في دينهم الذي هم
عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على الحق لانهم اتفقوا على
وتركوا التماس الصواب والحق واقتصر على اتباع الظن والجهل **وانهم الاخر صرون** يعني يكة بوز واصل
للمخرج والخرور والتحيز ومنه خوص الخلعة اذ اخر من جهة ثم تعا على الظن من غير يقين وسمي الكذب خروفا
لما يدخل من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خروفا لان قائله لم يقبله
عن علم ويقين **ان ربك مولع علم من يصل عن سبيله** وهو اعلم بالمهتدين يقول الله لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم يا محمد ان ربك مولع منك ومن جميع خلقه الى الناس يصل عن سبيله وهو ايضا اعلم بمن
كان على هدى واستقامة وسد لا يجني عليه شيء من احوال خلقه فاحذر تعالى انه اعلم بالزريقين
الفضال والمهتدين وان يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** هذا جواب لقول المشركين
حيث قالوا للمسلمين ان اكلوا ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم ما ذكر
اسم الله عليه من الذبايح **ان كنتم بايانا مؤمنين** وقيل كما نوحى من اوصاف من الغنم ويجوز الميتة فقيل
احلوا ما احل الله وحرما ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الاول
تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في خلاية ان كنتم بايانا مؤمنين **واما لكم الا ان تاكلوا مما ذكر**
اسم الله عليه يعني واي شيء لكم من الاكل وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد في اباحة
ما ذبح على اسم الله دون غيره **وقد فضل لكم ما حرم عليكم** يعني وقد بينت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون
وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فضل لكم ما حرم عليكم المحرمات للذكور في قوله حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورع الامام فخر الدين الرازي ها هنا اشكا لا فقال في سورة
الانعام ميتة وسور المائدة من اخر ما اترأى الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فضل لكم ما حرم
متمما على هذا المحل والرد في متأخر عن المكي فيمنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى
بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحى الى محمد ما على طاعه يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مستفحا او لحم خنزير
وهذه الآية وان كانت من بعد هذه الآية بتقليل الا ان هذا التقدير المتأخر لا يتسع ان يكون والمراد
قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة في قوله وقد فضل لكم ما حرم
عليكم الى انما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله اعلم بما رده وقوله تعالى **الماضيات**
اليه يعني لان تدعوكم الضرورة الى اكله لسبب شدة الحاجة فيباح لكم ذلك عنه الاضطرار **وان كثير**
ليضاون يا هو ايم بغير علم يعني وان كثير من الذين جادلوك في اكل الميتة ويجوزون عليكم في ذلك يقولون
ان اكلوا ما ذبحوا ولا تاكلون ما يذبح الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصفة ما يؤمنون
بل يتبعون ما هوامهم ليضاوا انفسهم وبتاعهم بذلك وقيل المراد به عرو من كذب في دونه من المشركين لانه

اول من يحجر الجبار وسبب لسوايب واباح الميتة وغيره من ابراهيم عليه السلام **ان لم يعلموا علم**
بالمعنى من معنى ان لم يعلموا علم من تغدي حرمه واحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو حرام
على مؤمنينهم قوله عز وجل **وذروا ظاهر الائم وباطنه** يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم
وهو الائم وباطنه والمعاصي كلها سرها وعلانيها قليلها وكثيرها قال الربيع بن ابي نعيم عن
ظاهر الائم وباطنه ان يعمل به سر او علانية وقال سعيدي بن جبير في هذه الآية الظاهر منه
قوله ولا تسكنوا ما ترك اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وتكافح المحارم من الائمات والبنات
والاخوات والباطن الزنا وقال السدي ما الظاهر فالزواني في اللواتي ومن اهل الجرايات
واما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صدقة فيايتها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية
يستسروا زنا ويرون ان ذلك حلالا كما كان سراً فحرم الله السرية والعلانية وقال ابن زبير
ظاهر الائم التجر من الثياب التي في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الائم طواف
الرجال بالبيت نهارا وعاء وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك
الى زجاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله
عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول
يكون معنى الآية وذروا ما اعلنت به وما اسرتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الائم
من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الائم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب
لخوف الله عز وجل لا خوف للناس وقيل المراد بظاهر الائم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب
فيه خل في ذلك الحسد والكبر والعجب واما ما قاله السوالمون في قوله تعالى **ان الذنوب**
يكسبون الائم يعني ان الذين يعملون فائها هم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها
يسمكون يعني في الاخرة **بما كانوا يفعلون** يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثم وظاهر هذا
النص يدل على عقاب المذنبات من خصوص من لم يرتب لانه السبل من اجتمعا على انه اذا جاب العبد من
الذنوب بنية صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يرتب فهو في خطر
المسئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضل ذكره وقوله تعالى **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله**
عليه قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المقتنقة وغيرها وقال عطاء الآية
في تحريم الذبايح التي كانوا يدعونها على اسم الاصنام فضلت اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا
لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين
والسعيدي ونقل الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر الله عليه من طعام
او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك
التسمية عامدا الا بالحل وان تركها ناسيا احل وقال الشافعي حلت الذبيحة سواء ترك التسمية
عامدا او ناسيا ونقله النووي عن ابن عباس ومالك وقيل ابن الجوزي عن احمد روايت في ما اذا ترك

التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت في باح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال
المذنب لاية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام به يدل ان قال تعالى في سائر الاية **وانه لفتور** جمع
العلماء ان كل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في باحها بما روي البخاري
في صحيحه عن عائشة قالت قالوا يا رسول الله ان هذا اقواما حديثا عهد بمرسلك يا رسول الله ان
فما نرى نذكرون اسم الله عليها ام لا قالوا اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا
للاباحة لكان السك في وجودها مانعا من اكلها كالتسك في اصل الذبح وقال الشافعي في قوله
وان كان عامدا بحسب المصنعة الا ان اخبرها لما حصلت فيه هذه الغنود الثلاثة وهي قوله وان نفق
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليحادلوكم وان اطعمتموهم انكم مشركون علمنا ان المراد من هذا
العموم هو المخصوص والفاسق ذكرا سم غير الله في الذبح كما قال في اخر سورة كما قال في اخر السورة قبل
لا جد فيما اوجى الى محمدا على طاعه بطعمه الى قوله اوفيتا اهل البعير اسم به فصار هذا الفاسق
الذي اكل البعير اسم به مفسر بقوله وان نفق مخصوص بما اهل البعير اسم به والله اعلم قوله تعالى
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليحادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من
المشركين ليحادلوكم ويخاضعوا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن
الشاة اذا ماتت من قبلها فقال الله قتلها قالوا فترحم انما قتلت انت واعلم ان حلالا
وما قتله الكلب والصفر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة
لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتب فارس وهم الجوس الى مشركي قريش ان خاضعوا محمد
وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يوحون الى
الانسان وهم الجوس ليوحون الى اوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة
ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكتبة في خفية **وان اطعمتموهم** يعني في اكل
الميتة وما حرم الله عليهم **انكم مشركون** يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج فيه دليل
على ان كل من احل شيئا ما حرم الله او حرم شيئا ما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت
كما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل **او من كان ميتا فاجييناه** يعني
او من كان ميتا بالكفر فاجييناه بالايان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان احيى
صاحب بصيرة يمدى الى شدة ولما كان الايمان يمدى الى النور العظيم والحياة الابدية شبهه
بالحياة **وجعلنا له نورا** يعني وجعلنا له نور يستضي به في الناس ويهدي
به الى قصده السبل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع الوهم كما يولد **نور** في الظلمة
يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة **ليخرجهم منها** يعني من تلك الظلمات
وهذا مثل ضرب به الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في النور المنة من كان ميتا فاجييناه

توراهته في مصاحبه وان الكافر منزلة من هو في ظلمات متعمق فيها ليس بخارج منها
فيكون متخيرا على الله وامرهم اختلفا لمضرو في هذه المثلث هل مما مخصوصا باننا
معينين او معاجلمان في كل يوم وكافرة كروا في ذلك قولنا احدهما ان الالية في جليلين
ثم اختلفوا فيها فقال ابن عباس في قوله جعلناه نور انما يعني به في الناس به حجة من عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل روي
النبي صلى الله عليه وسلم بفرح فاخبر حجة بما فعل ابو جهل وكان حجة قد رجع من صيده وبيده
قوس وحسن لم يومن قط فاقبل حجة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل
ابو جهل يتفرع الى حجة ويقول يا ابا يعلى اما ترى الى ما جابه سفعه عقولنا وسبب لهتنا
وخالفنا با نافعنا حجة ومن اسفه منكم عقولا تقيده والحجارة من ورائه اسهرا لا اله
الا الله واسهرا ان محمد رسول الله فاسلم حجة يومئذ فارتل الله هذه الالية وقال الضحك ارتلت
في عمر بن الخطاب واني جهل وقال عكرمة والكلي ارتلت في عمار بن ياسر واني جهل وقال مقاتل
ارتلت في النبي صلى الله عليه وسلم واني جهل وذلك ان ابا جهل قال انما بنو عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا نحن وهم كرسى مرهان قالوا ما بني يوحى اليه والله نونى الا ان ياتينا وحى كما ياتيه
فارتلت هذه الالية والقول الثاني وهو قول الحسن في اخرنا هذه الالية كامة في قول مؤمن وكافر
وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل احد وقوله تعالى **كذلك زين**
للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزب هو الله تعالى ويدل عليه قوله زيناهم اعمالهم
ولان حمل الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على
ان المزب هو الله تعالى وقال المعتزلة المزب هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى **وكذلك**
جعلنا في كل قرية اكابر مجرمين يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظما جعلنا في كل قرية اكابر
وعظما وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه وكما زيننا للكافرن ما كانوا يعملون كذلك
جعلنا في كل قرية اكابر لا كبر ولا يحوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الالية تقديم
وتأخير تقديمه وكذا جعلنا في كل قرية مجرمين اكابر وانما جعل الجرمين اكابر لانهم اقدر
على المكر والغدر وتروج الباطل بين الناس من غيرهم وانما خص ذلك لاجل ما يستهم وذلك سنة
الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل فقامم وجعل فسادهم اكابرهم **ليمكروا فيها** قال ابو جيب
المكر الخديعة والحيلة والغدر والخبر اد بعضهم والغيبه والتميمة والايان الكاذبة
وتروج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق
مكة أربعة نفر ليصروا الناس عن الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن
فكان هذا مكربهم **وما يكروا الا بانفسهم** يعني ما يجتنبون هذا المكرا لانهم لا يزالون مكربهم بعبوديتهم
وما يشعرون يعني ان وبال ذلك المكربهم وعليهم ويضربهم قوله عز وجل **واذا جاء نصر الله والوال**

لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا كنت انا اوليها منك لا في اكبر منك سنا ولا في اكبر منك سنا لا في اكبر
الله هذه الالية وقال مقاتل ارتلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ابا جهل قال انما بنو عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا نحن وهم كرسى مرهان قالوا ما بني يوحى اليه والله نونى الا ان ياتينا وحى كما ياتيه
يائنه فارتل الله هذه الالية واذا جاءتم اية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وايا جهل بن هشام او كل واحد من رؤسا الكفرة ويدل
عليه الالية التي قبلها وهي قوله وكذا جعلنا في كل قرية اكابر مجرمين باليمكروا فيها فكان مكرا كقار
قرين لقالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة لخصية
حسد منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما و
المشهور ان القوم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا
متبعين لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتم اية
من القرآن قام بهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله
رسول الله يعني يوحى اليه ويا نبينا جبريل نصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا
النبوة وانما طلبوا ان يخبرهم الملايكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى
القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا نبيا ويدل على صحة هذا القول سياق الالية وهو قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالته يعني انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشر فيه بها ويعلم من لا يستحقها
ومن ليس لها باهل وانهم ليسوا لها باهل ولا النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا هذه حجة
ومكر وغدر وقال اهل المعاني لا يبلغ في تضديد الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم
لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤسا مطاعين فانهم قوم لاجل ذلك فكان الله
تعالى علم من يستحق الرسالة فجعلها لليتيم اني طالع ونبي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قرين
ورؤساها وقوله تعالى **سيعيب الله من اجرموا صفارا** اي ذلته وهوان وقيل الصفار هو الذي
يصغر الى المرئ نفسه فيه **عند الله** يعني هذا من عند الله وقيل معناه ان هذه الصفار انما ثبت لهم
عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم هذه الصفار في الآخرة وقيل معناه سيعيبهم صفار
بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا **وحذايبي شديد** يعني في الآخرة **بما كانوا يكروا** يعني انما حصل
لهم هذه الصفار والعذاب بسبب مكربهم وحسدكم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى **فمن يرد**
الله ان يبدى به نبيهم صدره **للاسلام** والايان يقال شرع الله صدى فان شرح اي وسعه لقبول
الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان يقعه زايده وخيره راجح
ورجحه ظاهرا لا بطبعه اليه وقويت برحمته فيه فتسمى هذه الحالة سعة البقل والشرح الصدى
وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلانا مره اذا اوضحه واطهره وشرح المسئلة اذا كانت

مشكلة فافهمها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الغنى ومنه تبارك شرح
الكافر بالكفر صدق ما اى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدق الاقبح شرح
الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسع لقبوله والثاني ان للشرح تورية فله تعالى في قلب
العبد فيخرج بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى الآية فمن رد الله ان يرد به الايمان
بالله وبوسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويموت عليه وبسبيله
له بفضله وكرم ولطفه به واحسانه اليه فتعذر ذلك يستلزم للاسلام في قلبه فيضي به ويتبع
له صدره ولما تزلت هذه الآية شيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور
توقفه الله في قلب المؤمن فيشرح له ويتفتح قيل فهل لذلك اماره قال نعم الاشارة الى دار
الخلود والتجاني عن دار الفرو والاستعداد للموت قبل الموت واستباده الطاري عن امر حو
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم حين تزلت عليه هذه الآية فمن رد الله ان يرد به
ليشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب الغنى والشرح قالوا فهل له ذلك من اية يعرف
بها قال الاشارة الى دار الخلود والتجاني عن دار الفرو والاستعداد للموت قبل الموت وقوله
تعالى ومن يرد ان يضل يجعل صدره ضيقا حرا يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان
وقال الكلبي ليس للخير فيه متعة وقال ابن عباس اذا سمع له كراهه اشمار قلبه واذا سمع ذكر
الاصنام ارتاح الى ذلك وقراءه من الخطا بهذه الآية وعنده امر من كنهاته فقال له
ما الحجة فيكم قال الحجة فيها الشجرة تكون بين الاشجار التي لا يصل اليها شئ من الخير واصل
الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها
شئ وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال اهل هذا احد من بني بكر قال نعم قال ما الحجة فيكم قالوا
الوادى الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذا ذلك الكافر قال اهل المقام
لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصفه الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشرح
والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضللكه
بالضيق الذي هو خلاص الشرح والانفساح فلهذا ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث
لا يفتح علم ولا استعداد للاعلى فوجد الله والايمان به وفي الآية دليل على ان جميع الاشياء مهيئة
الله واداه حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى **كانما يصعد في السماء** يعني ان الكافر اذا
دعى الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى
كان قلب الكافر يصعد الى السماء شوقا الى الاسلام وتكديرا وقيل صانق عليه لم يصب فلم يجد الا
ان يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل ما من السقفة وصعوبة الامر فيكون المعنى
ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فكانه يتكلف مسقفة وصعوبة في ذلك لكن يتكلف الصعود
الى السماء وليس يقدر على ذلك **كذلك يجعل الله الرجى على الذي لا يؤمنون** الكافر في ذلك

فيه

تقيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجى عليهم كجعله صدق ومنه ضيقه
حرجة والمعنى كما جعلنا صدق ومنه ضيقه حرجة كذلك يجعل الله الرجى عليهم الوجه الثاني
قال الزجاج اي مثل ما نقصنا عليك كذا يجعل الله الرجى الا ان عبدا من الرسل الشيطان اي
يسلطه عليهم وقال مجاهد الرجى ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجى العذاب
وقال الزجاج الرجى في الدنيا اللعة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما**
يعني وهذا الذي بيننا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعني دينه
الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا
صراط ربك مستقيما يعني للاسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن الذي يورث من تبعه وعمله الى طريق
الاستقامة والسداد **قد فضلنا الايات** يعني قد فضلنا ايات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام القرآن **نوم يذكر** يعني من يذكر بها ويتعظ بها فيها
من الموعظة والعبرة قال عطاء يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان **لم دار السلام عند**
وهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسم الله
تعالى والسلام وهو جمع سلامة لانه تعالى والسلامة من جميع الاقوال والتفاني من فعلي هذا القول
اصيقت لدار السلام الذي هو اسم الله اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكنية بيت الله
والنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قال عبد الله يدعو والحق لصحة هذا اضافة
الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل ان
السلام صفة للدار لا لها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فكل هذا يكون السلام بمعنى السلامة كما
قالهم دار السلام التي لا يلتقن فيها شئ يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مفرقة بالسلامة
كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
وقال عتيم فيها سلام وقال سلام قولنا من جرحهم لا يسمعون فيها القول الا سلاما وقوله عند ربه
يعني الجنة معده مهيأة لهم عند ربه حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم ما كانوا يعملون** يعني انه تعالى
يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولى امرهم في الدنيا بالتوفيق
والهداية وفي الاخرة بطريق الجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويبرهم
في الاخرة بسبب عملهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى **يوم نحشرهم جميعا** اي
اذكر يا محمد يوم نحشر المعادلين باسمه الاصنام مع اوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين
جميعا في يوم القيمة **يا معشر الجن** فيه حذف نكرة به يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد
من الجن الشياطين **قد استكبرتم من الانس** يعني من اضلالهم واغوايمهم وقال ابن عباس معناه اضللتهم
كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل اخر لان الجن لا يتدبرون على اضلال الانس واغوايمهم
بانفسهم لانه لا يتدبر على الاجار احدا الا الله لانه ما المتصرف في خلقه بما يشاء فوجبا ان يكون

المعنى قد استندتم من الله تعالى الاضلال مع مضادة القول من الانس وقال اوليا ومن الانس
ربنا استمتع بعضهم ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال
الكلمى كان الرجل من الجاهليين اذا سافر فتراها برص فقرخا على نفسه من الجن قال اعود بيدها
الوادى من شربها قومه فيبيت فيجوارهم ولما استمتع الجن بالانس فهو المص قالوا سدا الانس
مع الجن حتى عاذوا بانه فادوا وادوا له شرقا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتع الانس بالجن
مومما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسموات والكهانة وتزبينهم الامور التي كانوا يعيرونها وتسهيل
سبلهم عليهم واستمتع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل
استمتع الانس بالجن فيما كانوا يولدونهم على انواع السموات واصناف الطياف وليهلونها عليهم
واستمتع الجن بالانس بطاعة الانس للجن فيما يامرهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالروسا للانس
والانس كالاتباع وقيل ان قولهم ربنا استمتع بعضهم ببعض موم من كلمة الانس خاصة لان استمتاع
الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكا ديكما يظهر لهما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر بوجوب
هذا الكلام عليه **وبلغنا الجحش الذي اجلنا** يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت
محدد ثم ذهب بيمينه كسرة والذرة قال الحسن السدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
لحساب في يوم القيمة **قال يعني قال الله تعالى** الذي استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس النار
منكم يعني ان النار مقامكم ومنكم فيها ومصيركم اليها **خالدين فيها** يعني مقيمون فيها نار جهنم **بدا الا**
ما ساء الله اخلاقا في معنى هذا الاستمتاع فغير معناه خاله فيها الاقرب مدة بقعهم ووقوفهم للحا
الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستمتاع ما اوتوا
تبعهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمر ثم يستغيثون منه
فينقلون الى النار فكان مدة بقعهم هو المراد من هذا الاستمتاع ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس نقل
ان هذا الاستمتاع يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم سيلون ويصعدون للنبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون
من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله **الاما ساء** بمعنى من يعني الامن ساء الله وفعل الطيرى
عن ابن عباس انه كان يتناول هذا الاستمتاع ان الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى شدة
وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا يترك له حجة ولا نارا قال الزجاج والقول
الاول اولى لان معنى الاستمتاع انما هو من يوم القيمة لان قوله **ويوم نحشرهم جميعا** هو يوم القيمة
ثم قال خاله فيها من ذبيحون **الاما ساء الله** من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
ان ربك حكيم يعني في تدبير خلقه وتقرينه اياهم في مشيئة من حال الى حال وغير ذلك من افعال
وقيل حكيم فيما يفعل من توالي لطابع وعقاب لغاصي رؤسايه وجوه المجازات **عليهم** يعني بعواقب امور
خلقهم وما هم اليه صايرون كما قال لما حكمت هو لا يلطو في النار لعلهم بانهم يستحقون ذلك قوله عز
وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** الخاف في ذلك كفاف التسييه تنسفي شيئا قدم فكره فالتدبر

كما ازلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا الى
نسلط بعضهم على بعض فاحذر من الظالم بالظالم كالحكا في الاثر من اعان ظالما سلط الله عليه
وقال قتادة يجعل بعضهم اوليا لبعض فالويل للمؤمنين شيكان وان كان الكافر ولي الكافر حيث
كان وان كان زو في رايه اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معنا
نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني لكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير
هذه الآية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا او لي عليه خيرا ثم اذا اراد بقوم شرا او لي عليهم
شرا ثم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا طائفة من سلطان الله عز وجل عليهم ظالمين فحق ارادوا
ان يخلصوا من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله **فانما كانوا يكسبون** يعني يسلط عليهم من ظلمهم
بسبب ما لم يجتنبوا التي اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن والانس** المعشر هو كل جماعة امرهم واحد
الم ياتكم رسل منكم اخلفت العلم في معنى هذه الآية وهل كان من الجن والانس كاذبا هذه كثر العلماء
الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم يعني من احدكم
وهم الانس فذلك المضاف فهو قوله تعالى يخرج منها اللولو والمرجان وانما يخرج من احدكما
وهو الملح دون العذيق وانما جاز ذلك لان ذكرهما اجمع في قوله مرج البحرين وهذا جاز في كلتا
التقوية اصله فذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهم بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس
وهذا قول القراء والزجاج ومنهجه جمهور اهل العلم قال الواحدى وعليه ذلك كلام ابن عباس لانه
قارريا بنيا من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انما هو ذمهم قوم الى ان رسل الى الجن سلاهم كما ارسل
الى الانس سلاهم قال الضحاك من الجن رسل كما ان رسل الانس رسل وظاهر الآية يدعي ان ذلك الله تعالى
قال الم ياتكم رسل منكم مخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله عز وجل قال **يا معشر الجن والانس**
الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من
حمل لفظ الآية على ظاهرها ثبت بذلك كون الرسل من الانس والجن ويحمل ايضا ان يقال ان كافة
الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى بلغ الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس
ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى **واذ صرنا اليك نفرا**
من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا استوفوا فما اقصى ولو الى قومهم منذرين فكان اولئك
المرسل من الجن رسل الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من
الانس والله عز وجل ونحو ذلك قال ابن جرير وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من
الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله عز وجل واسر كتابه وقوله تعالى **يعضون عليكم انا في**
بعضي يعني يخذرونكم بما اوحى اليهم من اياتي الدالة على تحيدي ونصدي **تورسلونهم** يعني تاتونهم
هذا يعني يخذرونكم ويخونونكم وينذرونكم لقاءة اتي في يومكم هذا وهو يوم القيمة وذلك ان الله
تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التفرع والتفرع في كتابه وهو قوله يا معشر

الحق والانس لانية فيجبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا يعني كفارا كجنا والانس شهدنا على**
انفسنا اعترفوا بان الرسل قد اتهموا وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لعقابهم وهذا وانهم
كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى
وعرثتم الحيوة الدنيا يعني لما كان ذلك سبب نهم غرثتم الحيوة الدنيا وما لوالها **وشهدوا**
على انفسهم انهم كانوا كافرين يعني في الدنيا فان قلت كيف اقرروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية
ومجدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيمة يوم طويروا الاحوال فيه
مختلفة فاذا راوا ما حصل للمؤمن من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار
ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فنجتم على افواههم ونشهد عليهم جوارحهم بالشرك
والكفر فذلك قوله **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** فان قلت لم تدر شهادتهم على انفسهم
قلت شهادتهم الاولى اعترافهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل
وفي قوله **وشهدوا على انفسهم** ذمهم وتخطيئة لرايهم ووصف لقله نظير لانفسهم وانهم
قوم غرثتم الحيوة الدنيا ولذا لما كان عاقبة امرهم انهم اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والمقصود من شرح حالهم تحتد بر الشامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك الشارة**
الى ما تقدم ذكره من عبثة الرسل اليهم وانذارهم سوا العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي
فحصنا عليكم من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم **ان لم يكن بكم** يعني انه لم يكن بكم **سوء القري**
بظلمهم واهلها غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلككم بذنوبهم من قبل ان تاتيهم الرسل اقربا منهم
فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفرابي يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلككم
بظلمهم منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفرابي انه لو اهلكهم قبل عبثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول
الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شئ من افعاله غير انه
اخبر انه لا يعذب قبل عبثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالما منه قوله تعالى **واللذرة جاثية ما علموا**
يعني ولكل عامل بطاعة الله او معصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير
وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والاختلاف كتفاضل الدرج وهذا
انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اسفل عقابا
وهذا قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى **واللذرة جاثية** ما علموا مختص باهل الطاعة لان اعطوا
الدرجة لا يلقون الا انهم وقوله تعالى **وما دبرك بغافل عما يعملون** مختص باهل الكفر والمعاصي وفيه
وعيد وهدى يدلهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيه خلو فيه المومن
والكافر والطائع والعاصي والله عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله
وما يلقى من ثواب وعقاب قوله عز وجل **وربك الغنى** يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لا يباين الكل

عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصصيص المطيعين بالثواب والعاصفين
بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع او مستغنى بمعصية العاصي بل هو العلي على الظلال وان
جميع الخلق قفر البذر **والرحمة** قال ابن عيسى يوليها يوليها طاعة فلا الهلبي خلقته والنجار
عنهم من رحمة تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون **ورجعون ان يشاء يهديهم** يعني يهلككم
لخطاياهم لانه لا هلكة فقيده وعيده وقد يداهم **ويستخلف** يعني وينشي ويخلف من بعدكم يعني من بعد
اهلاككم **بائسا** يعني خلقا غيركم امثلا وطوع منكم **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** اخلفتم عبادك
للمفسرين في هذه اللفظة فقال البيهقي يعني ابائهم الما صنفين من ذرية قوم اخرين وقال الواحدي وقال
صاحب الكشاف يعني من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وبهم اهل سفينة نوح عليه السلام
وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى **ويستخلف من بعدكم** يعني من بعد اذ مابكم لان الاستخلاف
لا يكون الا على طريق البذر من قايبت واما قوله ما يشاء فالله منه خلق ثالث ورابع واخلفوا فقال
بعضهم خلقا اخرين امثال الخلق في كل خلق ثالث ورابع يكون اقرب في دالة القدرة فانه تعالى
تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق في كل خلق ثالث ورابع يكون اقرب في دالة القدرة فانه تعالى
بني عليا في قدرته ليست مقصور على جنس وزجنس من الخلق الذي يصليحون لرحمة العظيمة التي هي
الثواب فينزلهم الى الطريق في تعالى رحمة لعلهم لا الاقوام الحاضرة من اعيانهم واهلهم ولوشا لانهم
واقتسام وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قوة قدرته على ذلك فقال **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** لان المراد
اذا انشركم الله تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك المحض
القدرة والحكمة واذ كان كذلك فكيف قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فذلك التقدير على تقويم
خلقنا اخر الخلق الماهل هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** يقول كما
لحدثكم وابنه عكم من بعد خلق اخرين كما انشاكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام
اعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان له ثيابا ثوبا لان الثوب من له ثيابا بعض كذلك الذي هو خطيبوا
بقوله **كما انشاكم** لم يرد اخبارهم هذه الخبر انهم انشوا مكان قوم اخرين قد هلكوا قبلهم قوله تعالى **انما**
نوعدون لان يعني ما نوعدون به من عجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيمة
لان يعني انكم انتم قريب **وما انتم بمعجزين** يعني بانيات حيث ما كنتم يدرككم الموت قوله عز وجل **قل**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد **ما قوم اي قل لقومك** من كبار قريش **اعلموا على مكانكم** وقري
مكاناتكم على اجمع والمكانة تكون صدرا يقال مكن مكانة اذا انتم ابلغ النمكن ومعنى المكان يقال مكان
ومكانة كما يقال مقام ومكانة فقول اعلموا على مكانكم يحتمل ان يكون معناه اعلموا على مكانكم من امركم وانفق
الاستطاعتكم ومكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعلموا على حالكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان
يبيت على حالة مكانك يا فلان اي ابيت على ما انت عليه لا تشغير عنه وقال ابن عجل معناه اعلموا على
ناحياتكم **اي عامل** يعني على مكانتي التي انا عليها وما امرني به مني المعنى انشوا على ما انتم عليه

من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمطابرة فان قلت ظاهر هذه الآية يدل على امر
الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد
والمبالغة في الرجوع عن ما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان ضيقتم
لا نفسكم بالعذاب الذي هو كقول الله تعالى اعملوا ما كنتم تنهون عن ان تعمل اليهم على سبيل
الرجوع والتهديد وليس فيه طلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى **فستقيلون**
يعني ان تكون العاقبة المحزنة طنا اولكم وقيل معناه ستقيلون عقوبتكم عند تروك العذاب انما كان على
الحق في عمله حتى انتم **من تكون له عاقبة الدار** يعني ستقيلون عقوبتكم في القيامة ان تكون عاقبة الدار هي
الحياة **انه لا يعلم الظالمون** قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفرني واشركتم في هذه الآية قولان
احدهما انها محكية وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على ما كنتم الوعيد والتهديد
والقول الثاني انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بترك القتال قوله تعالى
وجعلوا لله ما دار من خير والافنام نصيبا الآية لما بين الله عز وجل فتح طريق الكفار وما كانوا
عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبة بذكر انواع من جمالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيه على
ضعف عقولهم وقساوتهم كما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله ما دار من
الحرب يعني الزرع والتم والافنام يعني ومن الافنام وهي الابل والبقرة والغنم نصيبا يعني قسما وجزا
قال المفسرون ان المشركين في الجاهلية يجعلون من حروهم وثمارهم وافنامهم وسائر اموالهم
نصيبا والافنام نصيبا في جعلوه من ذلك لله مرفوه الى الضيغان والمساكين وما جعلوه للفقراء
انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقطت شي ما جعلوه لله في نصيب الافنام تركوه وقالوا ان الله عني
عن مبداء وان سقطت شي من نصيب لا وناز فيما جعلوه لله مرفوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه
وكانوا اذا اهلك شي ما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله ما دار من الحرب والافنام نصيبا
وفيه اختصار تغذي به وجعلوا لله ما دار من الحرب والافنام نصيبا والافنام نصيبا **فقالوا**
هذا لله برعهم يعني قولهم الذي هو غير حقيقة لان معنى برعهم حكاية قول يكون مظنة الكذب
وكذلك لا يخفى الا في موضع ذم لقابليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذه لله برعهم وان كانت الاشياء
كلها لله لا اضافتهم نصيبا لافنام مع نصيب الله وهو قولهم **وهذا لشركائنا** يعني الافنام طاعتوا
الافنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقون عليها **فما كان لشركائهم** يعني ما جعلوه لها من
الخزيرة والافنام **فلا يصل الى الله** يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيغان **فما كان لله**
فهو نصيب المشركين والمعنى انهم كانوا يقرضون ما جعلوه للافنام ما جعلوه لله ولا يقرضون ما جعلوه
لله ما جعلوه للافنام وقالوا قد كانوا اذا اصابتهم سنة اي فخطبوا شدة استغاثوا بما جعلوه
لله واكلوا منه ووفرنا ما جعلوه لشركائهم ولم ياكلوا منه شيئا وقالوا الحسن والسدي كما انوا اذ اهلك
ما جعلوه لشركائهم خذوا به ما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فذلك ذمهم فقال

لا يقرضون بل ما جعلوه لشركائهم
واذا اهلك ما جعلوه لشركائهم اذ كان
بذلك ما جعلوه لله

تعالى **سما يحكمون** يعني يصيبون ويقتضون وذلك انهم رجوا حجاب الافنام على جانب
الله في الرعاية والحفظ وهذا اسفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما
جعلوا للافنام جزا من المال الذي لا يملك ولا تخلق ولا تقدر ولا تنفع نسبوا الى الاسادة في
الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد
بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل **ولله** يعطى على قوله وجعلوا لله ما دار من
الحرب والافنام نصيبا يعني كما فعلوا جعلوا منهم كذا للذين كثير منهم قتل اولادهم شركائهم
والمعنى ان جعلوا لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم
لانهم جعلوا الافنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقداهم على قتل اولادهم في نهاية
الجهالة ايضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جعلوا خطأ فضلا لا كذا **لكن**
يعني حسن **لكن كثير من المشركين قتل اولادهم** يعني به واذا البناات اجبا محتاجة الفقر والعيلة **شركائهم**
يعني سياطينهم امرؤهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوا
فيما امرؤهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واصنعوا الشراكا
الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبي شركاء وهم سدنة الهتهم يعني خدامها
وسم الذين كانوا يزعمون انهم يتقون للكنار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيجمل
لنبي كذا كذا او كذا اغلاما لغير احد منهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول
الشركاء السدنة وخدام الافنام سمو شركاء لانهم اشركوا في الطاعة **ليروهم** يعني ليلكوهم
بذلك الفعل الذي امرؤهم به والارد في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار **وليلسوا عليهم**
دينهم يعني وليحفظوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليردوهم في النار **وليلسوا عليهم**
اسماعيل فرجوا عنه تلبيل الشياطين وانما فعلوا ذلك ليردوهم عن الدين الذي كان عليه
اسماعيل واربهم عليها الصلاة والسلام فوضعوهم في هذه الاوضاع الفاسدة ووزعوا ما لهم
ولو شاء الله ما فعلوه يعني ولو شاء الله من ذلك الفعل القبيح الذي يزيل من تحريم الحرب
والافنام وقتل الاولاد واخبر الله عز وجل ان جميع الاشياء بحسبته وادته اذ لو لم يسلما
فعلوا ذلك **فدروهم** يعني فارتكبوهم يا محمد **وما يفرون** يعني وما يجتفون من الكذب على الله فان
الله لم يلمضاد قوله تعالى **وقالوا** يعني المشركين **هذه افنام حرم** اي حرام واصله المنع لا قد
منع من الاستماع منه بتحميه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يجلسون اشيا من افنامهم
وحرمهم لاهتهم قال مجاهد يعني بالافنام البهيمة والسياسة والوصيلة والحام **لا يطعمها الا**
من نسائها يعني ياكلها خدام الافنام والرجال دون النساء والافنام حرم منهن **وما يفرون** يعني
وسم الافنام التي تجوز ما عن الركوب فكانوا لا يركبونها **وانعام لا يذكرون اسم الله عليها** يعني
لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسم الافنام وقيل معناه لا يجوز عليها

ولا يكونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة به نكراسه على فعل كل خير ذم هو لا على تركه فعل الخير
افترأ عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال فيعمون ان اسماءهم بها وذلك اختلاق وكذب
على الله عز وجل **يسخر بهم** كما نزل في قوله **فيسخر بهم** وتمد يد لهم على اقترابهم على الله الكذب
قوله عز وجل **وقالوا ما في بطون هذه الاثنا خالصه كونا ومحمدا على ارجاء** يعني فسادنا
قالوا نزلنا في قتادة والسعي ارجاء البجائر والسواب فاولعها جاهدوا خالصا للرجال دون
المنشأ واولعها ميتا الكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله **وان يكن هيبة** ثم فيه شركا وادخلت
الحا في خالصه للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقالوا انهم ادخلت لها التانيث
الانعام لان ما في بطونها مثلها فانث تانيثها وقالوا الكساي خالصا لخالصه واحد مثل وعظ وعظ
وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تانيثه على المعنى وانه كيره على اللفظ كما في هذه الآية
فانه انث خالصه على المعنى وذكره محرم على اللفظ **يسخر بهم** يعني سبكهم بسبب
وصفهم على الله الكذب **بانه حكيم عليهم** فيه وعيد وتمد يد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليهم لئلا
استحقاقهم قوله تعالى **قد خسرنا في قتلهم اولادهم** سخرها بغير علم قاله كونه ثلث في منية البناء
من سبعين ومضرة وكان الرجل يقاضي الرجل على ان يستحي جارية ويبيدها اخرى فاذا كانت الجارية التي
بيدها الرجل اواراح من عند امرته وقال لها انت على كذا ارجى ان رجعت اليك لم يقبلها ففتحها
في الارض فخره او ترسل عليها التراب في نسجها فيجتمعن عندها ثم يتدولنها بينهن حتى اذا ابصرته احبها
دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال فتاة هذا من صنع اهل الجاهلية كان احدهم
يقول بنته مخافة السبي والفاقة ويغروا كلبه اما بسبب الخسران المذكور في قوله قد خسرنا الذين
قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الطالفة فاذا تسبب الرجل في ذل هذه النعمة
عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في
نقص عده وازال ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد سعى بذلك في اذيال لعظيم
وقوله سخرها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وبخلقة والجبال المذمومة وبسبب حصول هذه
السفاهة موقلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهذا سوا جاهلية وقوله تعالى **وجرموا ما نزلهم الله** يعني الجحيم والسواب والحواشي
وبعض الحروف وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجفالة **افترأ على الله** يعني انهم
فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله لم يرمهم بذلك وهذا افترأ على الله وكذب وهذا ايضا
من اعظم الجفالة لان الجحيم على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب والكبر الكبار ولهذا قال تعالى **قد**
ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد **وما كانوا بمهتدين** يعني على طريق الحق والصواب في
فعلهم عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأنا فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام
قد خسرنا في قتلهم اولادهم سخرها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا بمهتدين من قوله عز وجل **وهو الذي**

النساء

النساء جئات معروشات يعني وافدا الذي يتدع وخلق جنات يعني يساقين معروشات وغير
معروشات يعني معروكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شئ مستوف يجعل
عليه الكرم وجمعه عروش يقال عروشت الكرم اعروشه عروشا وعروشه عروشا اذا جعلته لهيئة
السقف واعروش العنبل لعرش اذا علاه وركبوا واختلقوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات
فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر ما يعرض مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك
وغير معروشات ما قام على ساق وسبق كالنخل والزروع وسائر الشجر فلا الفخا الكلا في الكرم
خاصة لان منه ما يعرض ومنه ما لا يعرض بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات
ما عرسه الناس في البساتين والمتوايه فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته
الله في البراري والجبالي من كرم او شجر **والنخل والزروع** يعني وانما النخل والزروع وهو جميع الحبوب
التي تقطعت وتدرخ **مختلفا الكله** يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالخلو والحامض والحيد والورد ونحو
ذلك **والزيتون والرمثان** يعني في المنظر **وغير متشابه** يعني في الطعم كالرمان يتلون تماواه
وطعمها مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتها مختلفة في الجنس والطعم **كلوا من**
ثمره اذا اثم اذ اثم الله ما انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع الثمار ذكرها هو
المقصود الاصل وهو الانتفاع بها فقال تعالى **كلوا من ثمره اذا اثم** وهذه امر باخه ومتكلم بهذا
بعضهم فقال الامر قد ردد في غير الوجوب لان هذه الصنعة مفيدة لرفع الحرج وقال بعضهم المقصود
منه اباحه الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجله اذ كان في الحبوب والثمار ان يحتمل ان يحرم على
المالك ان ياكل منها شيئا المكان شركة الفقراء والمساكين معه فباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق
الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى **كلوا من**
ثمره اذا اثم بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشياء التي انعم بها على عباده هو الاكل
واتواحقه يوم حصاد يعني يوم جرده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال
ابن عباس وان من مالك ما الزكاة المفروضة وهذا قول طائفة من المحسنين وجابر بن زيد وسعيد
ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وقاتادة قال قتادة في قوله واتواحقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة
ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سقي فيما سقت السماء والعيون الساجدة وسقاء الطل والطل الذي اوكان
بدلا العسور كاملا وان سقي ينضح او سانية فنصف العسور ومذاقها كالماء من البئر او الزرع وبلغ
خمس اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس يقول تعالى
واتواحقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض
الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتواحقه على الزكاة المفروضة قلت
ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقادة ان هذه الآية تركت بالمدينة فعلى هذا تكون الآية محكمة
ترك في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس

انه قال تحت اية الزكاة كل صدقة في القران وقيل في قوله واتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى
الزكاة قرص يوم الحصاد وهو اطعام من حصد وترك ما سقط من الزرع والتموه وهذا قول علي بن الحسين
وعطاء ومجاهد وحاد قال ابراهيم قال هو الضعيف وقال الزبيعي هو لقاط السبل وقال مجاهد
كانوا يطعمون العذق عند الحصاد في كل منة من مئة وقال زيد بن الاصم كان لاهل المدينة اذا صروا الخيل
يجوزون بالعذق فيعلقون في جانب المسجد فيجي المسكين فيضرب به بعضاه فاسقط منه اكله فعلى
هذا القول اهل هذه الامم وجوبها واجتباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا
بآية الزكاة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث لا عراي هل علي غير هذا قال لا الا ان تطوع والقول
الثاني انه امر ندب واجتباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا احتيايا من باخراجه
في ائمة الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب لعشره لقول النبي صلى الله عليه وسلم تحت الزكاة كل نفقة في القران
واقتران هذا القول بالطريق صححه واختار الواحدي الرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول
الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السبل وانما يجب الاخراج بعد التضيقة والجفاف
قلت معناه قد رواه اخرج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التضيقة والجفاف ولان الخيل
يجب اخراج الحق منه الابد التضيقة وقيل معناه واتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التضيقة
وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع ويلوغه ما يجب يوم حصاده وحصوله في يده
ماله لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يده ماله وقوله تعالى **ولا تسرفوا** الاسراف تجاوز الحد فيما يقبله
الانسان وان كان في الاتفاق اسره وقيل السرف تجاوز ما حدك وسرف المال لفاقه في غير منفعة
ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عيسى في رواية عنه
محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمية نخلة في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فارتل الله هذه الآية
ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تنقطعوا اموالكم وتنفقوا واقتران هذا الرجاء فعلى هذا الواجب الا اذا
كواله ولم يوصل الى عياله شيئا فعد اسرف لانه قد صح في الحديث ايدي بن يقول وقال سعيد بن
المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتساويل الآية على هذا القول لا تجاوز الحد في الجمل والاسراف
حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القول لا يشترط ان المراد من الاسراف تجاوز الحد
الا ان الاولى في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تسرفوا الاضام
في الحرب والانتقام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاضام في الحرب
والانتقام فقد تجاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال
مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس خبيثا فانفقته في طاعة الله
لم يكن مسرفا ولو انفقته في ما اودى في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خطب بهذا
السلطان نبي ان ياخذ من رب المال فوق الذي اذن الله له يقول الله عز وجل لا تسرفوا
اي لا تاخذوا بغير حق وكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى **انه لا يحب المفسرين**

فيه وعيده وتنديده وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من لا يجله الله فهو من اهل النار قوله تعالى **ولا تنفقوا**
يعني والنفاس من الانتقام **محمولة** وهي كل ما يحمل عليه من الابل **وقرنا** يعني صغار الابل التي لا تحمل قال
ابن عباس المحملة هي الكبار من الابل والفرس هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري
اما المحملة فالابل والحمل والبغال والحمر وكل شيء يحمل عليه واما الفرس فالنعم وقال الزبيعي في المحملة
الابل والبقر والفرس المعز والضان فالمحمولة كل ما يحمل عليه من الانتقام والفرس ما لا يصلح للحمل سمى
فرسا لانه يفرس للذبح ولانه قريب من الارض لصغره **كلوا مما رزقكم الله** يعني كلوا مما احل الله لكم
من هذه الانتقام والحروف **ولا تتبعوا اخطوات الشيطان** يعني لا تسلكوا طريقه واثاره في محرم
الحرب والانتقام كما فعله اهل الجاهلية **انه** يعني الشيطان **لكم عذر ومبين** يعني انه بين العداوة لكم
ثم بين المحملة والفرس فقال عز وجل **ثانية اراج** يعني وانما من الانتقام ثمانية اراج يعني ثمانية
اصناف والزواج في اللغة الرضا اذا كان معاخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على
الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوجة **من الضان اثني** يعني الضان والاضني
والضان ذوات الصوف من الغنم والواحد ضان والاضني ضانية والجمع ضواين **ومن المعز اثني**
يعني الذكر والانثى والمعزة ذوات الشعر من الغنم والواحد معز والمعز موزون **من الدكر** يعني حرم امر
الانثيين استغنى به انكار ابي قل يا محمد لولا الجملة المذكور من الضان والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين
منها فان كان حرم الذكر من الغنم فكل ذكر بها حرام وان كان حرم الانثيين منها فكل انثى بها حرام
اما اشتملت عليه ارجام الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارجام الانثيين من الضان والمعز فانها
لا تشمل الاعلى ذكر وانثى **ينبئوني** اخبروني وفي تفسيره الى ما حرمتم **بعلم ان كنتم صادقين** يعني ان الله حرم ذلك
عليكم ومن الابل **اثني** ومن البقر **اثني** وهذه اربعة اراج اخرى بنية الثمانية **قل الذكر** يعني حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارجام الانثيين وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هاتين الايتين تقريب وتوضيح من الله
تعالى لاهل الجاهلية بحرمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه الغنم وحرم حوزها
ما في بطونها هذه الانتقام خالفته لكونها وحرم على ارجا وحرموا البقرة والسائبة والوصيلة
والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء والرجال كما اخبر الله عنهم
في كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف
الجهمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اسيا ما كان اباونا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الارواح الثمانية للاكل والانتفاع بها فان
ابى جاهد التحريم من قبل الذكرا من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتخير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لما لا يا مالكا لا تسلكم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قالوا ان التحريم من قبل
الذكر بسبب لذكوره وجب ان يحرم جميع الذكور لو قال بسبب لانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث
وان كان بالشمال ارجام عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشمل الاعلى فذكر وانثى والما تحضيض

التحريم بالولد الخامس والسابع او بالبعث دون البعض فمن ان ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان
دعوائهم بما يتبين لا يتبين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك وادعواؤه الى الله
فانكذب على الله وان لم يحرم شيئا من ذلك وانهم ابتغوا في ذلك اموالهم وخالفوا امرهم وذكر
الامام فخر الدين في معنى الآية وجهين احدهما ونسبها الى نفسه فقال ان هذا الكلام مأثور على
سبيل الاستدلال على بطلان قوله بل هو استنهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقولون ينسوبة
بنو لا تقولون بشرية شاعر فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمت
بالبعيرة والتشابة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فانه تعالى بين ان النعم عبارة عن
منه الانواع الاربعة وهي الضان والماعز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة
وهي الضان والماعز والبقر فكيف خصصتم لابل هذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى
ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الكتاب يقول الله للنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ما اولاء الجملة من الذين
الذين نزل عن ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحل هل شاعدهم الله حرم هذا
عليكم ووصاكم به فانكم لا تقولون ينسوبة احد من الانبياء فكيف تنسبون هذه الاحكام وتنسبونها
الى الله عز وجل ولما احتج الله عليكم بهذه الحجة وبيّن انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى **في اقل من اقل**
على الله كذب البطلان يعني من اشد ظلموا وابتعدوا عن الحق من يكذب على الله ويعتصم بتحريم
ما لم يحرم الله الى الله ليضل الناس به ذلك ويصدونهم عن سبيل الله جهلا منه ليس هو على بصيرة وعلم
في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا بهذه اقبل اراد به عجزه ونجى لانه ما اول من يجاليل
وسبيل السواب وغير ديني ارايم عليه سلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقتيه او ابتدع
شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسبه الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من
ادخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني انه لا يرشد
ولا يوفق من كذب على الله وادعاه اليه ما لم يشرع لعباده قوله عز وجل **قل لا اجد فيما اوحى الى محمدا**
على طاع عمر بطعمه اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقتهم اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل
من عند انفسهم واتباع اموالهم فيما اكلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك
وبيّن ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى شرع بنوى فقال تعالى قل اقل يا محمد هو لا شرع
لجاسم من الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحى الى قبيلى انهم قالوا انما المحرم اذ
قتلوا لاجد فيما اوحى الى محمدا على طاع عمر بطعمه يعني على اكل ما ياكله **الا ان يكون ميتة او دما مستفوحا**
يعنى سائلا مصبوحا او يحكم خنزير فانه رجل ينجس **واضيقا اهل لغير الله به** يعني ما ذبح على غير اسم
الله فينزل الله في هذه الآية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورات في الاربعة
الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المستفوح وحكم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله
ومما لم يلقه ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة الاشياء وذلك لانه ثبت انه لا طعن الى معرفة

المحرمات الا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولم يتركها لاختلاف العلماء
في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى طاهرها وان لا يحرم شي من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر
في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وموطا ومذهب مالك واحتجوا
على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خير والخير لا يدخل الفسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكتوبة
لكن بعض هذه الاية معدنية ومع قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اكل به لغير الله وكلمة انما قيد المحصر فصار هذه الآية الدينية مطابقة للآية الملكية في هذا
الحكم فذهب جمهور العلماء الى ان هذه التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان
الحرم ينطبق الكتاب بما وافق في هذه الآية وقد حرمت الستة اشياء وحيات القوم منها تحريم لحم
الاهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن التقدم بن محمد كبر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الامم عسى رجل يلقى الحديث حتى يروى منكى على ريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما
وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما حرم الله اخرججه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولا يروى الا في رواية واحدة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا الى اوتيت الكتاب ومثله بعد لا يوسك رجل سيعان على ريكته يقول عليكم هذه الايات
فما وجدتم فيه من حلال فاكلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموا الا لا يحل لكم الحمار والابل ولا كل ذى
ناب من السباع ولا لقطعة مما عاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن ترك اليوم فقلبه ان يقره فله ان
يعقبهم بمثل قرأه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون اشياء ويتركون اشياء فبعث الله نبيه
واتزل كتابه واهل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو
وتلا لا اجد فيما اوحى الى محمدا على طاع عمر بطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرججه ابوداود ومروان
عبد بن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير **مروان**
ما رواه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي يوم خيبر عن اكل لحوم الحمار والاهلية **ق** عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهي عن لحوم الحمار والاهلية واذني الخيل وفي رواية اكلنا من خيل الخيل وحمر الوحش ونهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار والابل عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن اكل الدواب واكل ثمنه
اخرججه ابوداود وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح اكل
ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص يحرم او تحليل فما كان له الشارع
يقبله كما ورد في الصحيح خمس فواستثني في الحل والحرم وهي الميتة والعقرب والفأرة والحذابة والكلب
العقور وروى عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ الوزغ اخرججه البخاري ومسلم
وفرد فيه وسماه فوسيقا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب الغلظة
والخلة والهده والصر اخرججه ابوداود وهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه
الى الاغلب من عادة العرب في استطيبة الاغلب منهم فهو حلال وما يستنجسه الاغلب منهم فهو

ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فلهذا تقرر
ما يحل وما يحرم من الطعومات واما الجواب عن الآية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لانه
محرم ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من الجبابر والسواب وغيرها الا ما يوحى الي في هذه الآية
الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكره ونفس عليه في هذه الآية
ثم حرم بعد نزولها شيئا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو
ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقى في الآية احكام في قوله تعالى او مما استفوا وهو ما مال
من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك الكبد والطحال
فانهما حلال لانهما دمان جامدان فقد خرجا عن الحيث باباحتها ولا ما احتلظ باللحم من الدم لانه
غير سايل قال عز وجل جرب رسالتنا باخلد عما يخلط باللحم من الدم وعن القدر الذي فيه كبرية الدم
فقال لا بأس بذلك انا معني عن الدم المستفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق او مخ الحمار
المستفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتبعت المسلمون الدم من العرب وما تبعت اليهود وقوله تعالى **من**
اضطر غير باغ ولا عاد بين الله المحرمات في هذه الآية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير باغ ولا
عدوان وفي قوله **فان ربك غفور رحيم** دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى **على**
الذين هادوا يعني اليهود **حما كل ذي ظفر** قال ابن عباس هو البعير والتمامة ونحو ذلك من الدواب
وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاضباع من البهائم والطير مثل البعير والتمامة والاوز والبطقال
القبيصة وكل ذي تخلف من الطير وكل ذي جافر من الدواب وسمى الجافر حافرا على الاستعانة
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها يعني شحوم الخوف وهي الذروب وشحم الكليتين **لما حلت ظهورها**
يعني لما علق بالظفر والجنب من داخل بطونها من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي
ابو صالح الالية لما حلت ظهورها وهذا القول محتمل الغنم لان البقر ليس لها الية **والحوايا** وهي
الباعرة في قول ابن عباس جهمور المفسرين واجدتها حافية وحيوية وقيل الحوايا المباعرة والمقارن
وهي الدواب التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعرة والمقارن غير محرم على
اليهود **وما اختلط بعظم** يعني شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالقطا
التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذه حلال على اليهود فحصل هذا الالهي حرم عليهم
موشحوا الذروب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم **ق** عن جابر بن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام
فقبل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفوف فيد بها الجلود ويستصبح بها
الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ذلك قاتل الله اليهود ان الله
لما حرم عليهم شحومها جعلوه ثم باعوه فاكلوه فلهذا قال الله تعالى **فان ربك غفور رحيم**

وجملته ان الله وجعلها كثر وافصح وقوله تعالى **ذلك جزايتهم** اي ذلك الجزايتهم جزايتهم
عقوبة **ببغيتهم** يعني بسبب بغيتهم وظلمهم وهو قتالهم الانبياء واخذتهم الربا واستحلوا
اموال الناس بالباطل **فان ربك غفور رحيم** يعني ان الله غفور رحيم في الاخبار عن بعضهم وفي الاخبار عن تخصيصهم
بهذا التحريم **فان ربك غفور رحيم** يعني ان الله غفور رحيم في الاخبار عن بعضهم وفي الاخبار عن تخصيصهم
بما بيناه في هذه الآية المتقدمة **فان ربك غفور رحيم** يعني ان الله غفور رحيم في الاخبار عن بعضهم وفي الاخبار عن تخصيصهم
لتسع المني والحسن فلا يحل ما يعقوبة على من كفر به او عصاه **ولا يرد عذابه** يعني فلا يرد عذابه
ونعمته اذا جاء وقتها **على القوم المحرمين** يعني الذين كفروا بالايقيا وبهم الكفار واليهود قوله عز وجل
سيفول الذين انهم كانوا منكم يعني من قبيل قال المفسرون حبلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة
يحرمه الله اخبر الله عنهم كما ينبغي لونه فقال تعالى سيفول الذين انهم كانوا منكم يعني منكم كفرين والرب
لو شاء الله ما اشركوا الا بالباطل يعني من قبيل قال المفسرون حبلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة
على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين شركنا حتى لا نقتله
فلولا انه رضى ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لكان بيننا وبين ذلك **لا حرمنا من شيء** يعني ما حرم
من الجبابر والسواب وغير ذلك فقال الله عز وجل **او تذكروا ان الله قد خلقكم من قبلهم** يعني
من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومكم كذبوا انبياءهم وقالوا مثل هؤلاء **حتى اذا فرأوا انهم**
عذابنا فضل استدلال الله بربوبه المعترلة لهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا
كذبهم الله ورد عليهم بقوله **كذلك كذب الذين من قبلهم** وايضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار
صحيح مذهب المجرة وهو قولهم لو شاء الله ما ان لا نشرك الله ولنفعنا عن هذا الكفر حيث
لم يمتنع عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا ان الله تعالى حكى
عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا من ذكر عقبيه **كذلك كذب الذين من قبلهم**
وهذا التذكير ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حقيق ولكن الكذب
في قولهم ان الله امرنا به ومنه في ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها ابائنا وامهائنا فلهذا الله عليهم ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفسح
والدليل ان التذكير في قولهم ان الله امرنا به هذا ورعيه متا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا
لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتحفيف فكان ينسب الى الكذب لا الى التذكير وقال الحسن
ابن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيم الله واجلاله ومعرفة حقيقة وما يقولون لما علمهم بذلك
ولكنهم قالوا هذه المقالة تذكيرنا او جلا من غير معرفة بالله وما يقولون وقيل في معنى الآية
انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يبعدونه عن
لانفسهم ويحجبونه حجة لهم في ترك الايمان والربوبية في ذلك ان امر الله بمنزل عن مشيئة وارادته

فانه تعالى يري جميع الكائنات غير ان جميع ما يريه فعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتغلق
بشيء فان شئته لا تكون عذرا لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض له
عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يامر به ومع هذا فينبغي للرسول الى العبد
ويأمره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير متمنع فالحاصل انه تعالى حتى عن الكفار انهم
يتمسكون بشيئته في شركهم وكفرهم فاحذر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطلا فانه لا يلزم
من شوق المشيئة لله تعالى في كل الاحوال دفع دھوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى **قل اى**
قربا محمد لمولا المشركين القايدين لوشا الله ما اشركنا ولكن رضى ما نحن عليه من الشرك اصل عندكم
يعني دعواكم ما تدعون **من علم** يعني من جهة وتكلم بوجوب اليقين من العلم **فخرجوه لنا** يعني
فخرجوا ذلك العلم وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلكوا تحالفة في القول
ان تتبعون الا الظن يعني فيما اتمم عليه من الشرك وتخرجكم ما لم يحرم الله وتجبون انكم على حق
وانما هو باطل وان اقمتم **الا تحضرون** يعني رعا انتم في ذلك كله لا تكذبون وتقولون على الله الباطل
قوله تعالى **قل فله الحجة البالغة** يعني قل يا محمد امولا المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم
فلهما الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بازالا الكتاب وارسال الرسل قل ان ربي من امر لا حجة
لا احد عصى الله واشرك به على الله ولكن الله الحجة البالغة على عباده **ولو شاء الله لم يترككم**
ولو شاء الله لم يترككم اجمعين لله اية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ان يترك الكافر
ولو شاء الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **قل هلم منكم لهدى الله** يعني هاتوا واعصوا
شهادكم وسلم كلمة دعوه الى الشئ يستوي فيه الواحد والاثني والجمع والذكر والانثى وفيها لغة
اخرى يقال للواحد هلم وللانثى هلم وللجمع هلموا والانثى هلمى واللغة الاولى افهم **ان الله حرم**
منه او هذا تنبيه من الله تعالى باستدعاء اليهود من الكافر على محرم ما حرموا على انفسهم
وقالوا ان الله امرنا بديننا لا يشاهدنا على ذلك وانما اختلف من عند انفسهم **فان شهدوا**
فلا تشهد معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهدوا انما يحرم معهم
لانهم في شهادتهم كاذبون **ولا يتبع اهل الذنوب اياهم** يعني ان وقع منهم شهادة فاما
من يتبع اهل الذنوب فلا يتبع انما يحرموا منكم وتكون اتباع ما اوحى اليك من كتابي الذي لا ياتيه
الباطل من يري به ولا من خلقه **والذين لا يؤمنون بالآخرة** اي ولا يتبع اهل الذنوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة **ومم برهم بعدون** يعني ليس يكون قوله عز وجل **قل تطاولوا انما حرم ربكم عليكم** لما يري الله
تعالى فساد مقالة الكفار في ايمانهم ان الله امرهم بتجريم ما حرموا على انفسهم فكانهم ما لو اقولوا
اي شئ حرم الله فامر الله عز وجل بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالى انما حرم الله الذي
صار عامما واصلا ان يقول من كان في مكان عال لم يواسف من ثم كثرة واتسع فيه حتى عم وقيل اصله
ان تدعو الانسان الى مكان ترفع وهو من العلو وهو ارتفاع المذلة فكانه دعاه الى عافية ورفعة وشرف

ثم كثرة في الاقضية والمعنى تعالى والواو هلموا ايها القوم انما ينبغي اقرار ما حرم ربكم عليكم يعني
الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما ترعون انتم بل هو وحى او حاه
الله الى **الا تشركوا به شيئا** فان قلت تركوا الاشرار واجبت فامعنى قوله الا تشركوا به شيئا لانه
كالتمصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت اجواب عنه من وجوه الوجه
الاول ان يكون مومنا من رفع معناه هو ان لا تشركوا اللوحى الثاني ان يكون محله النصب والافعال
في وجهه انتقائه فقبل معناه حرم ربكم ان لا تشركوا او يكون لاصلة وقيل ان حرف لا على
اصلها ويكون المعنى ان لا تشركوا ان لا تشركوا بالوحدان يكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا
لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوحدان الثاني ان يكون الكلام
قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاخر او بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به
شيئا ومعنى هذا الاشرار الذي حرم الله ومنى عنه هو ان يجعل الله شريكا من خلقه او يطبع
مخلوقا في معصية الخالق او يزيد عبادة ربا ومثقه ومنه قوله ولا تشرك بعبادة ربه احد او قوله تعالى
وبالوالدين احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما شئ بالوصية بالاحسان
الى الوالدين لانه اعظم النعم على الانسان فلهذا لانه ما اخرج من العدم الى الوجود ووظفه
واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم مالها
عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من الممالك في حال صغره **ولا تقتلوا اولادكم** من املاق
يعني من خوف الغنى والاملاق الاقمار والمراجل القتل والابناء ومثل احياء وكنيت العرب
تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم **حقن دماءكم ودايتكم** يعني لا تشربوا دماءكم
خوف العيلة والفقر فاني لم اترككم ودايتكم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على
الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل **ولا تقتلوا الفواحش**
يعني الزنا **ما ظهر منها وباطن** يعني علانية وسره وكان اهل الجاهلية يستحقون الزنا في العلانية
ولا يرون بأسا في السر حرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش
على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجه هنا
الذي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا
فان السبب ان كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى **ما ظهر منها وباطن**
دقيقة وهي ان الانسان اذا اخبر عن المعاصي في الظاهر ولم يخبر عن مآلها في الباطن وذلك على ان
احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيها امره او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف من روية
الناس ومنذرتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله
وتقوى الامر استوجب جزاء الله وثوابه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** اي بالحق حرم الله
تعالى قتل النفس الابالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدمة ذكرها في قوله تعالى **ولا تقتلوا الفواحش**

يومنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل **ومن ذا الكتاب نزلنا به ما لا ينفعكم**
لانه كثير الخير والمفيع والبركة ولا يضر احدكم من الايام من الايام والنوام
والاحكام **وانتوا يعني مخالفتكم** يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي
ترجوا على جزا التقوى **ان تقولوا** يعني ليلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني نزلنا اليكم
الكتاب كراهية ان تقولوا انما نزل الكتاب وقيل يجوز ان يكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى
وانقولوا ان تقولوا وهذا خطا بسلامة اهل مكة والمعنى وانقولوا ان تقولوا **انما نزل الكتاب**
اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل **على طائفتين من قبلنا** يعني اليهود والنصارى **وان كنا**
اي قد كنا وقيل وان كنا **عن دراستهم** يعني عن قراتهم **لغا فلي** يعني لا علم لنا بما فيها لانه ليس
بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجية على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله
عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القرآن عليهم ليلا يقولوا يوم القيمة ان التوراة والانجيل انزل على
طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم تعرف ما فيها فقطع الله عز وجل عذرهم بانزال القرآن
عليهم بلغتهم **وتقولوا انما نزل علينا الكتاب** **لكنهم امدى منهم** وذلك ان جماعة من الكفار
قالوا انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكننا خير منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتقادهم
على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنتهم قال الله عز وجل **فقد جاكم بينة من ربكم** يعني هذا
القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها **وهدي** يعني من الضلالة **ورحمة** يعني وهو رحمة ونعمة
انعم الله به عليهم **فمن اظلم الى اجد اظلم** واكثر من كذب بايات الله وصدف عنها يعني واعرض عنها
سبحي الذي يصعد فون عن اياتنا **سواء العذاب** يعني اسواء العذاب واشده **بما كانوا يصعدون**
اي ذلك العذاب جزاوم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى **من ينظرون** يعني من ينظرون
هو لا بعد تكذيبهم الرسول وانكارهم القرآن وصدفهم عن ايات الله ومواساتهم معناه التوقيف
الاية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدي هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احدا منها امرؤا
حين لا ينفعهم ايمانهم **الا ان ياتيهم الملائكة** يعني لبعض احوالهم وقيل ياتيهم بالعذاب **او ياتيهم ربك**
يعني للحكم وفضل العقاب في الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة
عنه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلال من الغمام بما فيه كفاية وان المجي والنهال على الله
محال فيجب امرهم بالانكشاف **او ياتي بعض ايات ربك** قال جمهور المفسرين موطوع الشمس
منها ما ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
اذا خرجن لا ينفع نفسا اياها من قبل الله من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض اخرجهم مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك
قال طلوع الشمس من مغربها اخرجهم الترمذي وقال حديث غريب **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عمار المزي

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عشرين اوقال
يسير الركب في عشرين اربعين وستين سنة خلفه الله تعالى يوم خلق السموات والارض
منعوجا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها اخرجهم الترمذي وقال حديث حسن صحيح
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا رآها الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا
اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا اياها من قبل الله من قبل طلوع الشمس من مغربها
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نذكر الدجال
فقال ما ترون في ذلك الساعة قالوا لا نعلم حتى تروا قبلها عشرين ايات فذكر الدجال والدجال
والدابة وطلوع الشمس من مغربها وتروا عيسى ابن مريم وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك فارتطد الناس الى محشرهم **م** عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يادروا بالاعمال استأطوع الشمس من مغربها والدجال
والدابة وخويصة احدكم وامر العامة **م** عن عبد الله بن عمر بن العاص قال حفظت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايات خرجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
صحي وايمانا كانت قبلها جنتها فالخروج على ارضها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود
في تفسير هذه الآية قال يصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب كالبعير من القرنين
زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا اياها من قبل الله من قبل طلوع الشمس من مغربها
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يروى من تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله
اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخرج سجدة فلا تزل الكذبة حتى يقال لها ارجعي
من حيث جيت فتصيح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخرج سجدة
فلا تزل الكذبة حتى يقال لها ارجعي فارجعي من حيث جيت فتصيح طالعة من مطلعها لا يتكلم الناس
منها شيئا حتى تنتهي فتخرج سجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصيح طالعة
من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي يومئذ قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم
لا ينفع نفسا اياها من قبل الله من قبل طلوع الشمس من مغربها اخرجهم الترمذي وقال حديث غريب
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حبيبة
تنطلق الى هناك سجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا اذان يطلعها من مغربها جنتها فتقول
يا رب من مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا اياها من قبل الله من قبل
من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيته من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا الى الله بقراب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت
جلست للتوبة وطوى العمل فقال الناس هل ذلك من اية نبي الله صلى الله عليه وسلم

اذا تارة تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يحسبونهم فيصلون له ثم يقفون
صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مصاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا
راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحو وطال عليهم رات عليهم طلوع الشمس
فبينما هم ينظرونها اذا طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا اياها لم تكن
امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا
الكتيبوا خيرا قل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان المحدث والمجرب
زعما ان ذلك لا يكون في يومهم الله قد مره فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيحقق عجزهم
وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدالة او يا جوج وما جوج او طلوع الشمس من مغربها يروي
عن مسعود بن قال التوبة مع وضعة على ابن ادم ان قلبها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع
الشمس من مغربها او يا جوج وما جوج ويروي عن عاتكة قالت اذا خرج اول الايات طرحت
التوبة وحسبت الحفظة وشهدت لاجساد على الاعمال ويروي عن ابي هريرة في قوله تعالى اياتي
بعض ايات ربك قال في مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض
ورواهم فروغا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا اياها فها لم تكن امت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واهل الاقوال
في ذلك ما نظاهم في عليه لاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اطلع الشمس
من مغربها وقوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا اياها لم تكن امت من قبل
يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الاية العظيمة التي
تضطرهم الى الايمان والتوبة **وكسبت في ايمانها خيرا** اي عملت قبل ظهور هذه الاية خيرا من
عمل صالح وتصدق قال الضحاك من ادركه بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه
العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن من شرك او تاب من معصية عند ظهور هذه
الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو امر الله عبدا على امة فامتنوا وصدقوا فانه لا ينفعهم
ذلك لما بينتهم الا هو الطلوع ايد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله تعالى **قل انظروا**
يعني ما وعدتهم من مجي الاية فقيه وعيد وتنبؤ **انا منتظرون** يعني ما وعدكم ربكم من الغدا
يوم القيامة او قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذه ايات تنظره من تاخر في الوجود من المشركين
والمكذبين محمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد به ان المشركين انما يملكون قدر مدة الدنيا
فاذا ماتوا وظهرت الايات لم ينفعهم ايمانهم وحلت بهم العقوبة اللانتهية ابدا وقيل ان قوله قل
انظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال المشركين فتكون الاية منسوخة بآية القتال
وعلى القول الاول تكون الاية محكمة قوله عز وجل **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**
يعني احرابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فنقرا

هذا الحديث في صحيح البخاري
والترمذي والبيهقي
وقوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك
يعني ما وعدتهم من مجي الاية
فقيه وعيد وتنبؤ انا منتظرون
يعني ما وعدكم ربكم من الغدا
يوم القيامة او قبلها في الدنيا
قال بعض المفسرين وهذه ايات
تنظره من تاخر في الوجود من
المشركين والمكذبين محمد صلى
الله عليه وسلم الى ذلك الوقت
والمراد به ان المشركين انما
يملكون قدر مدة الدنيا فاذا
ماتوا وظهرت الايات لم ينفعهم
ايمانهم وحلت بهم العقوبة
اللانتهية ابدا وقيل ان قوله
قل انظروا انا منتظرون المراد
منه الكف عن قتال المشركين
فتكون الاية منسوخة بآية القتال
وعلى القول الاول تكون الاية
محكمة قوله عز وجل ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا

فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم ومودن ابراهيم الخيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية
والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن فرقوا دينهم قال معناه
باينوه وتركوه من المفاصلة للشيء وقيل ان معنى القران يرجع الى شي واحد في الحقيقة وما وان من
فرق دينه فاقرب بعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال
الحسن بن جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هذه شعفا وناخذ الله وبعضهم عبد
الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا التفرق دينهم وقال مجاهد بن اليهود
وقال ابن عباس قتادة والسدي الضحاك السهم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال
ابو هريرة في هذه الآية انهم اهل الضلالة من هذه الامة وروى ذلك فروغا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدر والامم من هذه الامة ذكروا بغوي
بغير سند عن العرياض بن سارية قال صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بنوه
فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه
موعظة مودع فما بعد علينا فقال وصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد اجنبا فانه من بعين
منكم بعدى فسيروا خلافا كغير افعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تسكوا بها وعصوا
عليها بالنواجز واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود
والترمذي عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقلدكم من اهل الكتاب
اقتروا على نبيتي وسبعين ملة وان هذه الامة تستغفر على ثلاث وسبعين نفاقا وسبعون في النار
واحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه يخرج في امتي اقوام يتجارى بهم الاهوا كما يتجارى الكلب
بصاحبه لا يسقي منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستغفر في امتي على ثلاث
وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه
واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من
الملة والذين جعلهم من امة وقوله يتجارى بهم الاهوا كما يتجارى الكلب بصاحبه التجارى تعاظم من الذي
وهو الوقوع في الاهوا الفاسدة والبدع المصنعة تشبهها بحري الررس والكلب قال ابن مسعود ان
احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا لامور محدثاتنا ورواه جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فروغا وقوله تعالى **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**
منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى والكتار ومن قال
ان المراد من الاية اهل الاهوا والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بري ومنهم
ملك ببرا اقول العرب ان فعلت كذا افلست منك ولست مني اي كل واحد منا بري من صاحبه **ما احصوا**
الى الله يعني في الجز والمكافاة ثم ينسبهم **ما كانوا يفعلون** يعني اذا وردوا القنينة قوله تعالى **من جاء**

بالحسنة فله عشر مثاها يعني عشر حسنات مثاها **ومن جبال السبئية فلا يجزي الا مثاها** يعني مثاها
في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسبئية على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسبئية
هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاها عشر مثاها
واجيب عنه بان جزا الحسنة قد مر معلوم عند الله فهو تعالى يجازي على قدر ايمان المؤمن بما يشاء من الجزا
وانما قال عشر مثاها للترغيب في الايمان لا للتخديد وكذلك جزا السبئية بمثلها من جنسها والقول
الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد اوسية وهذه الاولى لان حمل اللفظ على العموم اولى
قال بعضهم التقدير جبال السبئية ليس للتخديد لان الله تعالى يصنع ما يشاء في حسنة السبعانية
ويعطي من يشاء بغير حساب واعطا هذا الثواب لعمام الحسنة فضل من الله تعالى هذه المذهب
اهل السنة وجزا السبئية بمثلها عند الله سبحانه وتعالى ويغفر وهو قوله تعالى **ومن لا يظلم مؤثقا**
يعني لا ينعص من نوابك لطابع ولا يزد على عقابك لغاصي **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر مثاها حتى يلقى الله تعالى
ع عن النبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جبال السبئية فله عشر مثاها
وازيد ومن جبال السبئية فجزا سبئية مثاها او اغفر ومن تغرب من شبرا اقرت منه ذراعا ومن تغرب من
ذراعا اقرت منه باغا ومن اتى بمشي تبتة هرولة ومن لعني بقراب لارض خطية بعد ان لا يشرك
في شيئا القيت بمثلها مغفرة **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى
واذا اراد عبد مني ان يعمل حسنة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكبونها بمثلها وان تركها مني اظلم
فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكبونها له حسنة وان عملها فاكبونها له
بعشر مثاها الى سبع مائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى واذا اتحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا
اكتبها بعشر مثاها واذا اتحدث بان يعمل سبئية فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها
له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سبئية وهو
اي صبره فقال الله تبارك وتعالى فاكبونها له بمثلها وان تركها فاكبونها له حسنة فاما تركها من غير
زاد الا ثمة من قران من جبال السبئية فله عشر مثاها قوله عز وجل **قل** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قولك
انني سدا في قلبهم صراط مستقيم يعني قل لهم انني ارشدني مني الى الطريق القويم وهو دين الاسلام
الذي ارتضاه لعباده المؤمنين **دينا ق** يعني هذا صراط مستقيم ديننا قايما ويحتمل ان يكون محمولا على
المعنى لغيره وعرفني ديننا قايما يعني ديننا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قايما ثابتا مقوما
لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو المبلغ من القايمة **ملأ ابراهيم** والملة بالسر الذي في الشريعة
يعني هذا في دين ابراهيم وشريعته **حنيقا** الاصل في الحنيق الميل وهو ميل عن الصلابة
الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختلج او حج حنيقا تنبيهها على انه على دين ابراهيم عليه السلام

وما كان من المشركين يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على
دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين ومن عبدة الاصنام قوله تعالى **قل** اي قل
يا محمد **انه صلاتي ونسبي** قال مجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والسدي ابراهيم النسب في هذا
الوضع الذبحة في الحج والعمرة وقيل النسب للعبادة والناسك للعبادة وقيل الناسك اعمال الحج
وقيل النسب كما يتقرب به الى الله عز وجل من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحد من ابن
الاعراب قال النسب سبائك القفصة كل سبيكة منها نسبية وقيل للمتعبه فاسك لانه يخلص
نفسه من دنس الاثام وصفاتها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسبي دليل
على ان جميع العبادات يورثها العبد على الاطلاق يد ويدك هذا في اخر قوله يد رب العالمين
لامريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدي الا على وجه التمام والكمال لان ما كان الله لا
ينبغي ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص لعباده له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت
مقبولة **وحجاتي** وحجاتي اي حيااتي وموتى بخلق الله وقضايه وقدره اي موحياتي ويميتني وقيل معناه
ان حياي بالعمل الصالح وموتى اذ امت على الايمان بالله وقيل معناه ان طاعتي في حيااتي وموتى
بعد مماتي من الله وحاصل الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسبه
وساير عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله **سبحانه**
له رب العالمين لا يشرك له يعني في العبادة والخلق والعقضاء والقدر وساير افعاله لا يشركه فيها
احد من خلقه **وبذلك امرت** يعني قل يا محمد وبذلك التوجيه امرت **وانا اول المسلمين** قال قتادة
يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المسلمين لقضايه وقدره قوله عز وجل **قل** **غير الله**
ربا وموسى يعني اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قولك اغير الله اطلب سيدا وسيدا **وموسى**
كل شي يعني وموسى كل شي وما لك لا يشاركه فيها احد وذلك ان الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
ارجع الى ديننا قال انى عمل كان الوليد بن المغيرة يقول انتم عوا سلى اهل عنكم اوزاركم فقال الله
عز وجل **لا تملك كل نفس الا عليها** يعني انى انى لم يجزى عليه لاهل غيره **ولا تزر وازرة وزر اخرى**
يعني لا تقبلوا خدعة من احد الا على نفسه حاملا جلا اخرى ولا يقبلوا خدعة من احد بغير خبر
غيره **ثم الى مرجعكم** يعني يوم القيمة **فينبئكم بما كنتم فيه تخطفون** يعني في الدنيا من الاذيان
والله قوله تعالى **ومن الله جعلكم خلايفا لارض** يعني والله الذي جعلكم يا امة محمد خلايف
في الارض فان الله اهلك من كان قبلك من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم في الارض
تخلفونم فيها وتعلم لغايبهم لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وواخيرهم وائمة اخر
الامم **ورفع بعضكم فوق بعض درجات** يعني انى انى جعلت احوال عبادي فجعل بعضهم فوق
بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والغنى والعقيد
والشرف والوضيع والعالم والجاهل والعزى والصنيف وهذا التقاوت بين الخلق في الدرجات

ليس لاجل العجز والجمل والخل فان الله سبحانه وتعالى منزله عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء
والامتحان وهو قوله تعالى **يسئلونكم فيما انزلكم** يعني ليعلمكم معاملته المبني والمختبر وهو اعلم باحوال
عباده والمعنى ليست لي الغنى بنباهة والفقير بفقرة والشريف بشرفه والوصيغ به نانه والعبد بالعبد والحر
وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب العقاب لان العبد اما ان يكون
مقصرًا كان نصيبه التحويل والترهيب وهو قوله تعالى **ان ربك سبع العقاب** يعني لاعدائهم
واهلكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما موات فهو قريب وان كان العبد موقفا
حقوق الله فيها امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى
وانه لغفور يعني لذنوبه وليايه واهل طاعته **حجيم** يعني جميع خلقه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
وهذا اخر ما تيسر من كتابة الريع الاول من تفسير الخازن

ونسأله العظيم ان يعين على تمامه بمنه وكرمه

انه على ما يشاء قدر ولا حول ولا قوة

والا اله الا الله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى اله

وصحبه



Süleymaniye U. Kütüphanesi	
Ki.	Beşir Ağa
Ye.	
Eski	27

